دار الكتب المصرية

القسم الأدبى

ديوان مهيار الديلمى

الجزء الأول

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م

فهـــــرس

قوافي الجزء الأول من ديوان مهيـار

(ملحوظة) ليس للشاعر قواف من حروف الثاء والخاء والذال .

*

ترجمة مهيار

عن كتابَىْ

" وفَيات الأعيان " و " المنتظم، فى تواريخ الملوك والأمم "

جاء فى " وفيات الأعيان " لاَبن خلّكان ما نصّه :

هو " أبو الحُسَين "[1] مِهْيارُ بن مَرْزَوَيْه الكاتب الفارسىّ الديلمىّ الشاعر المشهور، كان مجوسيًّا فأسلم، ويقال : إنّ إسلامَه كان على يد الشريف الرضىّ أبى الحسن محمّد الموسوىّ وهو شيخه وعليه تخرَّجَ فى نظم الشعر، وقد وازن مهيارُ كثيرا من قصائده، وكان شاعرا جزلَ القول مقدّما على أهل وقته وله ديوانُ شعرٍ كبيرٌ، وهو رقيقُ الحاشية طويلُ النَّفَسِ فى قصائده ،وقد ذَكَرَه "أبو الحَسَن الباخَرْزِىّ"[2] فى كتابه المسمّى "دُمية القَصْر" فقال فى حقّه :

" هو شاعر، له فى مَناسك الفضل مَشاعر، وكاتب، تحت كلّ كلمةٍ من كلماته كاعب، وما فى قصائده بيت، يُتحكَّم عليه بلو وليت، وهى مصبوبةٌ فى قوالب القلوب، وبمثلها يعتذر الدهرُ المذنبُ عن الذنوب "

---

(١) نبّه القارئ الى أن كنية مهيار فى كتاب وفيات الأعيان "أبو الحسين" وفى كتاب " المنتظم " " أبو الحسن " وبهذه الرواية الأخيرة وردت كنيته مرّات عديدة فى ديوانه ، وهو النسخة الفتوغرافيّة المحفوظة بدار الكتب المصريّة — والتى نقل منها هذا الجزء — تحت رقم ٤٢٣٩ (أدب) فليتنبّه القارئ الى ذلك إذ ليس من حقّنا الفصل أو الترجيح فى هذا الخلاف الخاص باسم أبيه. (٢) هو أبو الحسن على بن الحسن الباخرزىّ الشاعر المشهور، صنّف كتابَ " دمية القصر، وعصرة أهل العصر " وهو ذيل "يتيمة الدهر" للثعالبيّ ، وقد قُتل " بباخَرْز " فى ذى القعدة سنة سبع وستين وأربعمائة ؛ و " باخَرْز " هذه ناحيةٌ من نواحى "نيسابور" تشتمل على قرى ومزارع .

وذكره "أبو الحسن عليّ بن بَسّام" فى كتابه المسمّى "الذخيره، فى محاسن أهل الجزيره" وبالغ فى الثناء عليه، وذَكَر شيئا من شعره

وتُوفِّىَ مِهيارُ ليلة الأحد لخمس خلون من جُمادَى الآخرة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة هجريّة . انتهى

* * *

وجاء فى "المنتظم، فى تواريخ الملوك والأمم"[1] للإمام أبى الفَرج الجَوْزىّ ما نصّه :

مِهْيار بن مَرْزَوَيْه أبو الحسَن الكاتب الفارسىّ

"كان مجوسيًّا فأسلم سنة أربع وتسعين وثلثمائة وصار رافضيًّا غاليًا، وفى شعره لطفٌ، إلا أنه يذْكُر الصحابةَ بما لا يصلح

قال له "أبو القاسم بن برهان" : يا مهيار، انتقلتَ بإسلامك فى النار من زاويةٍ الى زاوية، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأنك كنتَ مجوسيًّا فأسلمتَ فصرتَ تسبُّ الصحابة

وكانت امرأةٌ تخدمُه، فكنَست الغرفةَ، فوجدتْ خيطا فجَرَّته فاذا هو خيطُ هِمْيانٍ[2] فيه مالٌ، وكان قد ترك الدارَ قومٌ من الخراسانية الحاجّ، فأخبرتْهُ فلم يتغيّر، وقال لها : قد تعبتُ حتى خبأتُه فلماذا نبشتِيه ؟ وكان فيه ألفا دينار، وسُعِىَ به الى "جلال الدولة"[3] فقبض عليه ثم أطلقه، وتوفّى فى جمادى الآخرة من هذه السنة .

انتهى

---

(١) نسخة فتوغرافيّة محفوظة بدار الكتب المصريّة تحت رقم ١٢٩٦ (تاريخ) وما نقلناه منها عن مهيار فى الجزء السابع من هذه النسخة : فيمن توفّوا سنة ٤٢٨ هجريّة .

(٢) الهميان : الكيس .

(٣) جلال الدولة : أحد الملوك من "بنى بُوَيه" الذين اختصّهم ونادمهم مهيارُ بطائفة كبيرة من مدائحه فى هذا الجزء والجزءين التاليين وخصّ بالذكر من أولئك الوزراء "أبا سعد بن عبد الرحيم" الملقّب "بعميد الدولة"، لكثرة ما امتدحه به مهيار من القصائد.

كيف صُحِّحَ هذا الجزء

نُقِلَ هذا الجزءُ من النسخة الفتوغرافيّة المحفوظة بدار الكتب المصريّة تحت رقم ٤٢٣٩ (أدب) وخطها من خطوط أوائل القرن السابع .

وقد عانينا كثيرا من المشاقّ فى قراءة هذه النسخة وآستجلاء غامضها وآستكناه عويصها، حتى آضطُررنا الى تصحيف كثيرٍ من الألفاظ التى ذهب إعجامها أو وُضعَ خطأً فى غير محلّه . وبعض هـذه الألفاظ قد يحتمل تصحيفا آخر ولكنّا راعينا فيما رجّحناه موقع الكلمة من آنسجامها مع أخواتها حتى يأخذ بعضهـا برقاب بعض ، كقوله :

وأنعمٌ " تأتيـــه " مع الربيع جُـــدُدُ

المقصود فى هذا البيت كلمة "تأتيه" وهى فضلا عن بعدها عما يقتضيه السياق وعن عدم آتزان البيت بهـا فإنها توجب أن تكون القافية منصوبةً ، فصحّفناها الى " نابتة " والى " ثابتة " ورجّحنا الأولى لآلتئامها مع قوله " الربيع" وقوله "جُدُد" وهى لا تخفى على أهل الذوق . ومن الواضح أن الشعر ذو وجوه ومناحٍ وكثيرا ما يُختلف على البيت الواحد وكلّ آختلاف له وجهٌ من الظن وناحيةٌ من الرأى . والواقع ، أنه لو أُطلق لنا العنان لنجرى وراء الأهواء سامعين لكل مُدْلٍ برأيه فيما صحفناه أو حورناه أو رجحناه لوقفنا فى وسط المضمار ولأعيانا الشوط وضاقت صحف هـذا الجزء عن آستيعاب الألفاظ التى توافق كل هوى .

وآضطُررنا أيضا الى تحرير كثيرٍ من الكلمات التى لا تتفق ومعنى البيت ، والى زيادة طائفةٍ أخرى من الكلمات التى نقصتها الأبياتُ لتحل محـل المفقود وراعينا فى ذلك ما يرمى اليه الشاعر غير جازمين بأنها هى بعينها إذ قد تختلف هذه الكلمات

أمثلة

من كلماتٍ صُحِّفَتْ خطأً أو ذَهَبَ إعجامُها

صحيفة	سطر	
		الأصل : علىّ ضوافٍ من سوالفِ طَولِهِ يجرِّرُ أذيالَ السحابِ "شَحوبُها"
٤٧	٥	صوابه : علىّ ضوافٍ من سوالفِ طَولِهِ يجرِّرُ أذيالَ السحابِ "سَحوبُها"
		الأصل : وفى التُّربِ مما استصحبَ الطيفُ فعمةٌ يراوح قلبى "يشـرُها" المتغرِّبُ
٥١	١٦	صوابه : وفى التُّربِ مما استصحبَ الطيفُ فعمةٌ يراوح قلبى "نَشـرُها" المتغرِّبُ
		الأصل : لئن دَرَستْ منها "الحظوظُ" فإنّه لَيبقَى طويلا عَرفُها فى المساحبِ
٥٦	٦	صوابه : لئن دَرَستْ منها "الخطوطُ" فإنّه لَيبقَى طويلا عَرفُها فى المساحبِ
		الأصل : فألسنهم غيظا "بوارد طبه" وأكبادهم خلف الضلوع حِرارُ
٣٨٦	٤	صوابه : فألسنهم غيظا "بوارد رطبة" وأكبادهم خلف الضلوع حِرارُ
		الأصل : فى ليلةٍ ... "ىىت" غيرَ حديثِها سُمّارُها
٣٩٩	١٣	صوابه : فى ليلةٍ [لم] "يَنْثُ" غيرَ حديثِها سُمّارُها
		الأصل : ولقد ظننتُ بها وراء لثامها خيرا فكشّفَ "فتحها" "الأشفارُ"
٤٢٤	١٥	صوابه : ولقد ظننت بها وراء لثامها خيرا فكشَّفَ "قُبحَها" "الإسفارُ"

أمثلة

من كلماتٍ محرَّفة

صحيفة	سطر	
		الأصل : على "شرط" عِزٍّ لا تحولُ رسومُهُ وسرحِ نعيمٍ لا تُراعُ سُروبُهُ
١٣٦	٩	صوابه : على "صَرحِ" عِزٍّ لا تحولُ رسومُهُ وسرحِ نعيمٍ لا تُراعُ سُروبُهُ

صحيفة سطر

الأصل : ومثلك أسرى لا يُسامُ فـداؤها هوانا "وقلبي" لا تُساقُ دياتُها

١٧٠ ١٠ صوابه : ومثلك أسرى لا يُسامُ فـداؤها هوانا "وقتلى" لا تُساقُ دياتُها

الأصل : وفيحاءَ من "دُونِهـم" زرتُهـا وأخلقْ بها جنـةً أن تُزارا

٣٥١ ٦ صوابه : وفيحاءَ من "دُورِهم" زرتُهـا وأخلقْ بها جنـةً أن تُزارا

الأصل : ولم أدرِ والشـك "يلق" اليقين الى أىّ شـقّ طريق أصـيرُ

٣٩٣ ١٥ صوابه : ولم أدر والشـك "ينفى" اليقين الى أىّ شـقّ طريق أصـيرُ

الأصل : يملأون الحُبَا جلوسا فإن ثا روا ملأتَ "الفضلَ" بيضًا وسُمْرا

٤٠٩ ١٢ صوابه : يملأون الحُبَا جلوسا فإن ثا روا ملأتَ "الفضاءَ" بيضًا وسُمْرا

امثـــلة

من أبياتٍ سقطَ بعضُ ألفاظها

الأصل : حرامٌ وإن أمحضتَ ... ... مطعمٍ علىّ، اذا أدّاه أخبثُ مكسبِ

١٦ ١١ صوابه : حرامٌ وإن أمحضتَ [أطيبُ] مطعمٍ علىّ، اذا أدّاه أخبثُ مكسبِ

الأصل : بك انتصر المـلوك ... ... فيما دعَوك لنصـره نِعم النصـيرُ

٣٥٩ ٥ صوابه : بك انتصر المـلوك [وأنت] فيما دعَوك لنصـره نِعم النصـيرُ

الأصل : وأشارك النُّـوَّاحَ فيـك بأننى ... ... فالتأبين نوح الشـاعرِ

٣٤٧ ١٢ صوابه : وأشارك النُّـوَّاحَ فيـك بأننى [أرثيك] فالتأبين نوح الشـاعرِ

صحيفة	سطر	
		الأصل : عريت من ظبائها الأنس ... ... وآعتاضت الظباءَ العُفْرا
٤٠٧	٤	صوابه : عريت من ظبائها [الآنساتِ الـ بيضِ] وآعتاضت الظباءَ العُفْرا
		الأصل : طاعنا فى السنين تطوى عليه نَّ ... ... السنين عصرا فعصرا
٤١١	١٢	صوابه : طاعنا فى السنين تطوى عليه نَّ [طوالَ] السنين عصرا فعصرا

وما الى ذلك كثيرٌ غير الذى تجاوزنا عن ذكره لكثرته بالأصل ممّا يحتاج الى مجلّدٍ على حدته وسيلمُّ القارئُ ببعض ما نوهنا عنه فى أماكنه من هذا الجزء .

"أحمد نسيم"

[illegible] يولى بينكر على جميل بلغه عنه

[illegible] في مودته [illegible] ويذكر أمارة اتصال ذلك

في شهر ربيع الآخر سنة ثلث وتسعين وثلثمائة

الآن إذ برد السلو ظماءي وأصاب مقدم الأحبة دائي — كانت عزيمة حازم أضللتها [illegible]

آليت لا أرقب الكواكب ناظري شوقاً ولا أمسح الدموع ردائي — أمسى من الأهواء على [illegible]

وقد آ[illegible] يوم الرحيل تفرق الخلطاء — دعهم ومن حملته [illegible]

مستمطرين ولم تجدهم أدمعي وموجعين وما لهم أحشاء — كانوا النواظر عزة لكنهم [illegible]

ولقد [illegible] المعاشر [illegible] — أظمى [illegible] في السؤال [illegible]

قالوا سخطت على الأنام وأنا [illegible] — صور [illegible] الأموات [illegible]

[illegible] منهم [illegible] العشاء — [illegible] في [illegible]

[illegible] — يتطاولون [illegible]

وإذا جرت [illegible] الزمان [illegible] — والنا[illegible]

عجزت [illegible] يوم الخصام [illegible] — [illegible]

وعلوت في وصفي [illegible] من الكرام — [illegible]

فلكت أظهر [illegible] العلا — [illegible]

[illegible] ثابتة على أعدائي — [illegible]

[illegible] رحمه الله [illegible]

نموذج من صحف الأصل الفتوغرافي [صفحة (١) يقابلها صفحة (١ — ٣) من هذه الطبعة]

... مما حاط الحاني الما زها
... يعز بها تحت به اعيارها
... السمرات في افقها سنتم منارها
... العيون تصادفت ابصارها
... من لذة راحت على عشارها
مع الاماني دون ما تبنى به احارها
... عليه ملبسا بالي اعمارها
... ان محرها فوكا وهازنارها
... وابت لذة تفي وسنى عارها
... سنا الي ابي بدنس عوارها
... عن ماعي ضيمها ابو ماوتم انصارها
... بفقرها الندى الا وتم كبسارها
ومغامرون اذا الكماة تواكلت اغمارها
في آل اوان المعالي منهم وحبارها
وحي جنبة مجذم سلس القياد ثمارها
ولو العزيمة ان حكى صغر النفوس قرارها
... فقسمة على اقرانه افرازها
لا تعجبن فانه امضى النصول طرارها
عذرت الرياسة معصما فيها واتت سوارها
كرمت كواكبها والبكبيرة اقمارها
فادجنها محاسن ما اصلدت ابسارها
كم من بالك كالغمام وكالسحاب غزارها
نصفوا اعلام في حولها نضمى ازرارها

طاب ... حجر اتيناني اليها وعنزارها
نطر الربيع بيد لغوله اوتارها
ولو انها تطلع العوجا بذكي نارها
وتقوى يبدي يشب مغازي اعدارها
وفضية في الحب لم تملا على حيارها
بانت وذكري طيبا دون الفراش شعارها
غالي بها الشانون وانتجع للبدو تجارها
ما كنت كف مبذرها على هوى بدارها
ما للرجال تروم اشواط الطوال قصارها
وحمي بني عبد الرحيم حوطها وجوارها
المضنة الملساء منع ان يلابس جارها
لولا نفي سوالها لاستهونت اعمارها
عرب الاكف عنهم من فارس احرازها
طاروا بمجدهم وقصر بالنجوم مطارها
لا تنتساج صلونه وابو المعالي جارها
بجمال الوبة السيادة بينها صبارها
عجبوا وقد لفا جيادا الى المدى مضمارها
مثل الكواكب في المنازل والعيون صغارها
في خير اهل زمانها بيننا وانت خيارها
بك عم ودون سحابها جودا وتم فخارها
وسلا بنو الملك الهوى لكم بانفا سحارها
تتروى بها حالي ويدرك من زماني ثارها
ولطيفة بانت وقد خفي الذي اثارها

جبى
... لا يعمى بسعى الاية ... ازمنا
الا الى الكرام ما عجاج وما اختارها
ان شمر مصك عن الخطوب فوارس استمرارها
فلرب نظرة عبثة في فيمقها وقصارها
ومنقبلة الايبان تسرب حلوة اشارها
وسلا فية كرم الغزال ثخال كافارها
ذيبت نصر ابنه باسم المسيح عبارها
لما حلت رسمها لم تعل الاوزارها
اخفيت رسم جبادها ولولا اعمارها
فاذا زاهم بن لهان حولته وجارها
والدوحة الغيناء تخلو اللحاة عارها
حلما والكلم الفوادع مغضب عوارها
شانت اناملهم وشانت انفسا وعارها
ركبا الصعاب من ابيهم زكافها مغوارها
بقطان اسهر اذا ذكر العيون جدارها
سبق الكهول وسنه ما استرعت اسبارها
ان الفوارج اخرت وتقدمت امهارها
هي وجه المجد التي لا يغلق استثمارها
ان السماء اذا سرت معدودة انوارها
وسبت عنطا بلعنان والعذاة نفارها
شقت قلوب الحاسدين وما يشق غبارها
وحصنه من حسن ابيك لا تنقض سوارها
اعيت اصابها ان لم يعنى اكبارها

نموذج آخر من الأصل الفتوغرافي [صفحة (١٦٢) يقابلها صفحة (٤٠٠ — ٤٠١) من هذه الطبعة]

*

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

قافية الهمزة والألف

(١)

قال الأستاذ أبو الحسن مِهْيار بن مَرْزَوَيْه الكاتب رحمه الله تعالى وكتب بها الى صديقٍ له يشكره على جميلٍ بَلَغه عنه، ورغبةٍ فى المودة أتته منه، ويذكر أمارة آتصال ذلك فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة

الآن إذ بَرَدَ(١) السلوُّ ظَماءَى(٢)	وأصاب بَعدكم الأُساةُ(٣) دوائى
كانت عزيمةُ حازمٍ أضللتُها	فى قربكم فأصبتُها فى النائى
آليتُ لا رَقَبَ الكواكبَ ناظرى	شوقا ولا مَسَح الدموعَ ردائى
أمسُّ من الأهواء عَفَّى رسمَه	بيد النُّهى يومٌ من الآراءِ
وقَذاءُ قلبى ، أن يَحِنّ لناظرٍ	— يومَ الرحيل — تفرّقَ الخُلَطاءِ
دعهم ومَنْ حَمَلَتْه حُمْرُ جِمالهم	للبين من حمراءَ فى بيضاءِ
مستمطِرين ولم تَجُدهم أدمعى	ومؤجَّجين وما لهم أحشائى

(١) يقال : بَرَدَه وبرَّده : جعله باردا . (٢) الظَّماء : أشد العطش . (٣) الأُساة جمع آسٍ وهو الطبيب .

ملاحظة : الأرقام المكتوبة فى مثل هذه العلبة (   ) على الهوامش الخارجيّة تدلّ على رقم الصفحة فى النسخة الأصليّة المنقولة بالتصوير الشمسىّ .

كانوا النواظـرَ عِزّةً لكنهم غَـدروا فـلم تُطبِق على الأقذاءِ (١)

ولقـد يغـادرنى وحيـدا مخفقا خَبَثُ المعـاش وقِـلّةُ النجباءِ

أظمَى وريِّى فى السؤال فلا يفى حَرُّ المـذلّة لى بـبَرْد المـاءِ

قالوا سخِطتَ على الأنام وإنمـا سخطى لجهلهمُ بوجه رضـائى

صُوَرٌ تَصَرَّفُ أنفسُ الأمواتِ فى أجسامها بجـوارح الأحيـاءِ

ألـقِى الى الصَّـمّاء بَثّى منهُـمُ وأعـير شمسِىَ ناظـرَ العَشْـواءِ (٢)

بأبِى غريبٌ بينهـم فى داره متوحِّـدٌ بتعـدّد النُّظَـراءِ

يَفـديك مستامون (٣) لا عن قيـمةٍ مُسْمَوْن والمعَنى سوى الأسماءِ

يتطاولون ليبلُغوك ولم يكن ليضمَّهـم وعلاك خـطٌّ سـواءِ

واذا جريتَ على الرِّهان وبُهْمَهـم لاقَ (٤) الخَـلوقُ (٥) بجبهـة الغـرّاءِ

والشامةُ البيضـاءُ تَنعَت نفسَهـا بوضوحها فى الجِـلدة السـوداءِ

عَجَـزتْ قرائحُهـم، وأغدرُ غادرٍ ـ يومَ الخصام (٦) ـ الفاءُ بالفأفـاءِ (٧)

لبّيـك عِـدّةَ ما أتانى غافـلا عنـك الرواةُ بطيّب الأنبـاءِ

وغلوتَ فى وصفى، فقلتُ سجيّةٌ ما زلتُ أعرفها من الكرماءِ

عمِيَ الورى عن وجهها فرأيتَـه ـ وهو البعيد ـ بناظرَىْ زرقاءِ (٨)

قد كنتُ أُظهرها وتَخـفَى بينهـم ما للغِـنى أثرٌ عـلى البخـلاءِ

لا آرتعتُ إذ أُعطيتُ منك مودّةً .اذا أسرّ النـاسُ من بَغضائى

---

(١) الأقذاء جمع القذى وهو ما يقع فى العين وما ترى به من غَمَص ورَمَص. (٢) العشواء: الناقة لا تبصر أمامها. (٣) يقال: آستام بالسلعة وعليها: غالى، فقوله: مستامون أى مغالون. (٤) لاق: عَلِق. (٥) الخلوقُ: ضرب من الطِّيب. (٦) الخصام: الجَـدَلُ. (٧) الفأفاء: الذى يردد الفاء فى كلامه. (٨) زرقاء: يريد زرقاء اليمامة وهى امرأة من جديس كانت تبصر مسيرة ثلاثة أيام.

وصـداقتي للفاضلين شهـادةٌ بالنقص ثابتـةٌ عـلى أعـدائي
نسبٌ، مُزِجنا، لا تمـيّز بيننا فيـه، آمتزاجَ المـاءِ بالصهباءِ
ومودّة الأبنـاء أحسنُ ما تُرَى موروثةٌ عن نِسـبة الآباءِ

* * *

وقال وكتب بها الى الصاحب أبي القاسم بن عبـد الرحيم رحمه الله، يهنئه بعيد النحر من هذه السنة

(٢)

يا عينِ لو أغضيتِ يومَ النوى ما كان يوما حَسَنًا أن يُرَى
كلَّفتِ أجفـانَكِ ما لو جرى برمل يَبْرِينَ(١) شـكا أو جرى
جنـايةً عرَّضتِ قلبي لهـا فآحتملي، أَولَى بها مَنْ جنى
سَـلْ ظبياتٍ بالحمى رُتَّعـا خُضَّرَ منهنّ بياضُ الحمى
نَشَـدتكنّ الله، ما حيـلةٌ صاد بهـا الأُسْدَ عيونُ المها(٢)؟
إن تك سِحْـرا أو لهـا فعـلُه فالسحر يشفي منه طِبُّ الرُّقَى(٣)
فيكنّ مَن حشوُ جلابيبـه أهيفُ راوي الرِّدفِ ظامي الحشا
قلبي له مَرْعًى وصـدري كَلًا(٤) ليت كَلَا ظبيُ الحمى ما رعى
يا بأبي غضبانَ لو أنه يرضى بغـير القتل نال الرضـا
أَغَصُّ بالمـاء حِفاظـا لِمـا فارقتُـه في فمـه من لَمَى(٥)
ما لدماء الحبّ مطـلولةً أهكذا فيهنّ دِينُ الدُّمَى(٦)؟

---

(١) يبرين : بلدة من أصقاع البحرين وبها الرمل الموصوف بالكثرة . (٢) المَهَا جمع مهاة وهي البقرة الوحشيّة . (٣) الرقى جمع رقية وهي العُوذة يتعوّذ بها الإنسان من السحر . (٤) الكلأ : رطب العشب ويابسه ، وحذفت الهمزة للضرورة . (٥) اللمى مثلثة اللام : سمرة في الشفة . (٦) الدمى جمع دُمية وهي الصورة المنقّشة من الرخام .

إن كانت الأعراضُ مُجـزِيَةً   فعاقَبَ اللهُ الهـوى بالهـوى

لله قلبٌ حَسَنٌ صبرُه   ما سُـئل الـذِّلّة إلا أبَى

وصاحب كالسيف ما صادفت   ضَرِيبَتُـهُ غَرْبَاهُ[1] إلا مضى

يركب فى الحاجات أخطارَها   إمّا خَسًا[2] فيها وإما زَكَا[3]

يَقِيـل إن هَجَّـر فى ظـلّه   ويحسب الليلَ البهيمَ الضُّحى

كأنه فى الخطب بالحـظّ أو   بدرِ بنى عبد الرحيم آهتـدى

فداء من يُحْسِن أن يوسع الـ   إحسانَ قومٌ خُلِقوا للفـدى

جاد على الأملاك وآستظهروا   بالمنـع بُخْـلا فى زمان الغنى

تبعث أحشاؤهـم غيظَـه   الى حلوقٍ حسبْته الشَّجا[4]

أراهُمُ عجــزَهُمُ ناهـضًا   بالثقل ما آستَضْوىَ إلا وَرَى

من معشرٍ تَضْـمَنُ تيجانُهم   صُوعَ[5] المعـالى وعِيابَ[6] النُّهى

تُرْفَع منهم عن جبـاهٍ بهـا   أُبَّهـةُ الملْكِ عفـا أو سـطا

للعـزِّ حَشْـدٌ دون أبوابهـم   يُشْـعِرك الخـوفَ ولمّا يُرَى

اذا أحبّـوا غايةً حَرَّمـوا   دون مداهـا أن تُحَـلَّ الحُبَى[7]

قـل "للحسين بن علىّ" وما   نمـاك أصل الخـير حتى نمـا

أُدّيت عنهم، فاحتبت[8] روضةٌ   تنبت بالنضرة فضـلَ الحيـا

مناقبٌ يجمعنـا مجـدهـا   جمعَ العُرَى فى عُقَدات الرِّشا[9]

---

(١) كذا بالأصل ولعلها "حِرْبَاءَ" وهى مسمار الدرع . (٢) الخسا : الفرد . (٣) الزكا : الشفع من العدد . (٤) الشجا : ما آعترض فى الحلق من عظم ونحوه . (٥ و ٦) صوع : جمع صاع وهو مكيال يكال به ، وعياب جمع عيبة وهى زبيل من أدم ، وكلاهما من باب الاستعارة . (٧) الحبى : جمع حبوة وهى أن يضمّ الإنسان رجليه الى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشدّه عليه ، وقد تكون باليدين عوض الثوب . (٨) احتبت : آشتملت . (٩) الرشاء بوزن كساء : الحبل وحذفت الهمزة للضرورة .

لذاك ما ظُلِّل لى واسعٌ ... أرتعُ منه آمنًا فى حِمَى
كأننى فى دُوركم منكمُ ... فى غير ما يُحْظَر أو يُحْتَمى
فى نعمةٍ منكم اذا آستُكْثِرَتْ ... منها الفُرادَى، أعقبتها الثُّنَى (١)
يحسدنى الناسُ عليها ولو ... قطَّعنى حاسدُها ما آعتدى
نشرتُها شكرا ولو أننى ... طويتُها نمَّتْ نسيمَ الصَّبا
فلتبقَ لى أنت، حقًّا اذا ... وجدت قولى، لا عدمتُ المُنَى
فى نعمةٍ ليست بعاريَّةٍ (٢) ... تُضْمَن، أو مقروضةٍ تُقْتَضَى
يَعضُد فيها العامُ ما قبلَهُ ... ويفضُل اليومَ أخوه غدا
فى كلّ يومٍ لك عيدٌ، فما ... يغرب فى عينيك عيدٌ أتى
وخذ من الأضحى بسهميك من ... حظَّين فى آخرة أو دُنًى (٣)
أجرك مذخورٌ لهذاك وال ... نيروزُ موفورٌ على حفظ ذا
ما طِيفَ بالأستار فى مثله ... ودامت المَروةُ (٤) أختَ الصَّفا

✦ ✦ ✦

وقال يمدح العمدة ذا النباهتين آبن الصاحب، ذا السياستين أبا محمد بن مكْرَم رحمهم الله، ويذكّره بقديم ما بينه و بينه من الخلطة، و يهنئه بعيد النحر من هذه السنة

مالكُمُ لا تغضبون للهوى ... وتعرفون الغدرَ فيه والوفا؟
إن كنتمُ من أهله فانتصروا ... من ظالمى أو فاخرجوا منه بَرًا (٥)
أما تَرَوْن كيف نام وحَمَى ... عينِى الكرى، فلم ينم ظبىُ الحِمى؟

---

(١) الثنى بالكسر والقصر : الأمر يعاد مرتين . (٢) العارية مشددة وقد تخفف : ماتدوول . (٣) دنى جمع دنيا . (٤) المروة والصفا : جبلان بين بطحاء مكة والمسجد . (٥) يريد براء : جمع برىء .

(٣)

وكيف خـلانى بطيئا قَـدَمى عنـه ومرّ سابقـا مع الونى؟(١)

غضـبانُ يالهَـفِى كم أرضيتُـه لو كان يَرضَى المتجنِّى بالرِّضا

ما لدليـلٍ نَصَلَتْ(٢) ركـابُهُ من الدجى، حاملةً شمسَ الضحى

ضلَّ؟ ولو كان له قلبى آهتـدَى بنـاره، أو شام(٣) جفنىٌّ سَـنَى

قالوا الغضـا، ثم تنفستُ لهم، فهم يدوسون الحصا جَمْرَ الغضا

بين الحُـدوج(٤) مُترَفٌ(٥) يُزعِجُـهُ لينُ مِهـادٍ ورفيقـاتُ الخُطَـا

عارضنى يُذَكِّرُنى الغصنَ به وأين منـه ما آستقام وآنثنى؟

حيٍّ وقَرَّبَ بالكثيب(٦) طـارقا من طيف حسناءَ على الخوف سرى

عاتَبَ عنهـا واصـفًا مـودّةً ما أسارتْ(٧) إلا عُلالاتِ(٨) الكرى

أضمَّ جفـنىَّ عليـه فَـرَقًا(٩) من الصباح، وعلى ذاك آنجـلى

كأننى عُجْبًا به وشَـغَفًا محبةُ "العمدةِ" فى حُبِّ العـلا

شمَّـرَ للجـدِ، وما تشـمَّرتْ له السنونَ ، يافعٌ كهلُ الحجا

وقام بالرأى، فكان أوّلُ من رأيه وآخرُ الحـزمِ سَـوَا

سما الى الغـاية حتى بلغتْ همتُـهُ به السـماءَ وسما

فابن الملوك بالملوك يَقتـدى وآبن البحار بالبحار يُبتَـغَى

سكبتموهـا فاضحين جُودَها مُبخِّليها بالسـماح والنَّـدَى

نشـاتم المُلكَ وقـد تهجَّمتْ سـائلةٌ بَلَغَت المـاءَ الزُّبى(١٠)

(١) الونى : التعب . (٢) نصلت : خرجت . (٣) شام ، يقال شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يمطر . (٤) الحدوج جمع حدج وهو مركب للنساء . (٥) المترف : المتنعم الذى لا يُمنع من تنعمه . (٦) الكثيب : التلّ من الرمل . (٧) أسارت : أبقت . (٨) علالات جمع علالة وهى البقية من كل شىء . (٩) فرقا : فزعا . (١٠) الزبى جمع زبية وهى الرابية لايعلوها ماء .

وآعترضت وجهَ الطريق حيّةٌ — صمّاءُ، لا تُصغى لِخدعاتِ الرُّقَى

أنكر فيها المَلْكُ مجرى تاجِهِ — وقام عن سريره وقد نبا

لفّتْ على العراق شطرًا وآنثنت — لفارسٍ، فدبَّ سمٌّ وسرى

لم تدرِ أنّ "بُعانَ" حاويًا — ما خَرَزاتُ سحرِهِ إلا الظُّبا

يتركها، تفحصُ عن نيوبها، — درداءَ(١) تستافُ(٢) الترابَ باللَّها(٣)

سَبْقًا أتتك، وحمتك حُمَّرا — عن هذه الدولة هاذاك العَشا

مهلا بنى مُكرَم، من سماحكم — قد أثمر المصفرُّ وآخضرَّ الثرى

إن كنتم الغيثَ تبارون به — فحسبكم، ما يفعل الغيثُ كذا

يا نجمُ، كانت مقلتى تنظرُهُ — حتى آستنار بدرَ تمٍّ وآستوى

صحبتُهُ ريحانةً فلم يزل — دُعاىَ، حتى طال غصنا ونما

أذكُرْ — ذَكَرتَ الخيرَ — ما لم تنسَهُ — من صحبتى، ذِكرَك أيامَ الصّبا

وحُرمةً شروطُها مكتوبةٌ — على جبين المجد، راعوا حقَّ ذا

١٠ نعمةٌ تقسمُها إلا أنا — بها أحقُّ من جميع مَنْ ترى

أىُّ جمالٍ زِنتنى اليومَ به — زانك بين الناس من مدحى غدا

لا تعدَم الأيامُ أو عبيدُكم — نعماءَ منكم تُحتَذى وتُجتدَى

ولا تزل أنتَ مدَى الدهر لنا — كهفا الى أن لا ترى الدهرَ مدَى

كلُّ صباحٍ واجهتك شمسُهُ — عيدٌ، وكلُّ ليلةٍ ليلُ مِنَى

إن نحروا فرضًا، فقم نافلةً(٤) — فآنحر عداك حسدًا بلا مُدَى

وآبقَ على ما قد أحلَّ مُحرِمٌ — وما دعا عند الطوافِ وسعى

(١) الدرداء: التى ذهبت أسنانها . (٢) تستاف: تشمّ . (٣) اللها جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق أو ما بين منقطع أصل اللسان الى منقطع القلب من أعلى الفم . (٤) النافلة: كل ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه .

* * *

وقال فى اللوح

ما مُكَرَّمٌ هيّنُ الآباء يكرهه … أبناءُ قومٍ ويَرضَى عنــه آباءُ؟
صِينَ لدى الله بأسمٍ واحدٍ وغَدَا … مُشَهَّرًا فيه بين النـاس أسماءُ
تَلْقَ به شِقّةً عيناكَ، وهو غدًا … فيـه شـقاءٌ لأقوامٍ ونَعْـماءُ
اذا وسَمَتَ علاماتٍ به فبدت … تلوح، فهى له سِـــترٌ وإخفاءُ
فإن كسته ثيـابَ العزِّ ناسجةٌ … يدُ صَناعٍ[1]، نَفَتْهـا عنـه نَحرقاءُ

* * *

وقال فى النيلوفر

ساهرةُ الليلِ نؤومُ الضُّحَى … ريّانةٌ، والأرضُ تشكو الظَّما
رائحةٌ فى السِّربِ لم تُقتَنَص … ظبـاؤه إلا بأمرِ الدُّجَى
مُلتثِمٌ فوها، وإن لم يكن … فى شفتيهـا ما لهـا من لَمَى
حَيّـةُ ماءٍ، ناقـعٌ سُمُّهـا … وناقـعٌ سمُّ أفاعى الصَّـفا
تعطيـك منهـا ألسُـنًا عِدّةً … مجتمعاتٍ كلُّهـا فى لَهَـا

* * *

قافيـــة البـاء

وقال وهى من أوّل قوله فى غرضٍ له

أيهـا العـاتبُ ما ذا … لك وما أعرِفُ ذنبى؟
أتظُنُّ الدمعَ دَيْنًـا … نتقـاضـاه بعتـبى؟

---

(١) صناع : حاذقة .

إن تكن أنكرتَ حفظى لك وآرتبتَ بحُبّى
فبعين الله، يا ظا لمُ، عيناى وقلبى

* * *

وقال وكتب بها الى أبى الحسين هليل(١) بن المحسّن بن إبراهيم الصابئ الكاتب، وقد عتب عليه فى مودة بينهما عتابا فى غير مكانه، ونسبه الى هجرٍ كان أبو الحسين جانيَهُ، وذلك فى ذى القَعدة من هذه السنة

عَذيرِىَ من باغٍ علَىّ أُحبُّهُ ولم أَرَ بغيًا قبلَه جرّه الحبُّ
يعاتبنى فى الهجرِ، والهجرُ دِينُه وقد كان حُلوًا لو حلا ودُّه العَتْبُ
وأسلك طُرْقَ الوصلِ وهو مجنِّبٌ فإن ضلّ حقٌّ بيننا فله الذنبُ
بعثتَ نُدوبا(٢) من تجنّيك يا "أبا الـ حسين" سهامًا لا يقوم لها قلبُ
أذكرًا بما سرّ الوشاةَ، وتُهمةً لعهدى، وقولًا فىَّ أسهلُهُ صعبُ
وذَمًّا، ولو ما جاء غيرُك خاطبًا جزاءً به منى، لقد سَهُلَ الخطبُ
وكم جُرِّعتْ منى رجالٌ، بجورِها كئوسَ آنتقامٍ، مُرّها فى فمى عَذْبُ
بأىّ وفاءٍ خلتنى حُلتُ عن هوًى ومثلىَ لا يسلو، وفى الأرض مَن يصبو
تصفَّحْ صحابَ الخير والشرّ وآنتقد بقلبك، تحُزْنى اذا نُبِذَ الصَّحْبُ
ولا تُمكِنْ من يقينك رِيبةً فتنبو، فإنّ الصارمَ العضبَ(٣) لا ينبو
سلمتُ من الحسّادِ فيك فإنهم اذا مُكِّنوا من نارِ فتنتهم شَبّوا
ولا أطفأتْ منك الليالى بجَوْرها على العبد، رأيًا كان يقدحُهُ القلبُ

---

(١) كذا بالأصل وفى آبن خلّكان وشذرات الذهب "هلال" . (٢) ندوب جمع نَدْبة وهى أثر الجرح . (٣) العضب : القاطع .

وقال وكتب بها الى أبي القاسم سعد بن أحمد بن الوزير الكافي مع قصيدة أنفذها الى أبيه الوزير الكافي أبي العباس الضبيّ وأنفذهما معًا في هذا التاريخ

حَمامَ اللِّوى رِفقًا به، فهو لُبُّهُ ... جوادًا رِهانٍ نَوحُكُنَّ ونَحْبُهُ
قَرَاكُنَّ(١) من لا يَنقَعُ الطيرَ ماؤه ... ولا يُشبِعُ النُّوقَ السواغبَ(٢) عُشْبُهُ
وطِرْنَ حيث القانِصُ آمتدّ حَبلُهُ ... وطالت، فلم تعدُ القوادمَ(٣) قُضْبُهُ(٤)
أعمدًا تُهيِّجنَ آمرأً بانَ(٥) أُنسُه ... وأسلمهُ حتى أخوه وصَحْبُهُ؟
أمرّ ومُهري مُغرَمَينِ على اللِّوى ... فأسأله أو(٦) كاد ينطق تُربُهُ
من الحيّ تَستَنُّ العِرَضْنَةَ(٧) عِيسُهُ(٨) ... إزاءك، حتى آمتدّ كالسطر رَكْبُهُ
وفي الظُّعْنِ(٩) محسودُ الحواضرِ مُترَفٌ ... تُلاثُ(١٠) على خدّ الغزالة نُقْبُهُ(١١)
تطولُ على الصَّوّاغ حين يمدّها ... خَلاخيلُهُ المَلأى، وتقصرُ حُقْبُهُ(١٢)
جَهِدنا، فلم نُدرِكْ، على أنّ خيلَنا ... سواءٌ عليها سهلُ سيرٍ وصَعْبُهُ
وقد فَطِنَتْ للشوق، فهي تسرّعا ... تكاد تعدّ السيرَ يومَ تَغِبُّهُ
أكلُّ ظَمائي، غائضٌ ما يَبُلُّه؟ ... وكلّ سَقامي، مُعوِزٌ مَنْ يَطُبُّهُ؟
تلاعبتَ بي يا دهرُ حتى تركتني ... وسِيّانِ عندي جِدّ خطبٍ ولِعْبُهُ
وأبعدتَ مَنْ أهوى فإن كنتَ مزمعا ... لتسلبني عنهم «فسعدٌ» وقربُهُ

(١) قراكنّ: ضافكنّ. (٢) السواغب: الجياع. (٣) القوادم: ريشات في مقدّم الجناح، الواحدة قادمة. (٤) القضب: جمع قضيب وهو الدقيق من السهام. (٥) بان: غاب.
(٦) أو: بمعنى حتى. (٧) العرضنة: الأعتراض في السير من النشاط، أو العدو في آشتقاق.
(٨) العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة. (٩) الظعن جمع ظعينة وهي الهودج.
(١٠) تلاث: تلفّ. (١١) نقب جمع نِقاب وهو معلوم. (١٢) حقب جمع حِقاب وهو شيء تعلّق به المرأة الحلي وتشدّه في وسطها.

بودّى، وهل يغنى عن المرء ودّه … وأشـياعُهُ فيما يحـاول حِزبُهُ؟

سلكتُ مجازَ العزّ بينى و بينه … تُحطّ روابيه وتُهتَك حُجْبُهُ

ولو أنّ أرضا مَهلكا، هان قطعُها … ولو أنّ ماءً من دمٍ، ساغ شربُهُ

الى قمرٍ، طرف تعلّلَ دونه … وكم قمرٍ غطّته دونِىَ سُحْبُهُ

"أبا القاسم" : المَرْعَى مَرِيرٌ نباتُهُ … يَبِيسٌ، وحلوُ العيش عندك رَطْبُهُ

أقول، وما داجتك زُورًا محبّتى … وقد يُفرط الإنسانُ فيمن يُحِبّهُ:

زكا غُصُنٌ من "آل ضَبّة" أصلُهُ … أبوك له فرعٌ، وإنك عَقْبُهُ

علاءٌ، تملّتْ منه بالودّ عُجْمُهُ … لصحبتها، وآستبقتِ العزّ عُربُهُ

رأى بك ما أنسى آبنَ غيلٍ شُبولَهُ … نخيرا بخيرٍ أو فشرّا يذبُّهُ

قليلا، على حكم النجابة، شِبهُهُ … كثيرا، على ما توجب السنّ، تِربُهُ (١)

لئن أخّرتنى عن فِنائكما التى … عتبتُ لها دهرى، فلم يُجدِ عَتْبُهُ

وسوّفنى رؤياكما فألطّ بى (٢) … فعادتُهُ فى أخذ حقّىَ غصبُهُ

فياليته أدنَى مَزارِىَ منكما … وأهلِىَ مَرعاه ودارىَ نَهبُهُ

وما أنا من تُصبيه أوطانُ بيته … لعاجلِ أمرٍ سَرَّ، والعارُ غِبُّهُ

اذا أنا أبغضتُ الهوانَ ودارَه … فأهوَنُ ما فارقتُه مَن أحبّهُ

صِلونا، فإنا مُجدِبون بمنزلٍ … يضيق على الأيام بالحُرّ رَحبُهُ

سواءٌ به يا "آل ضبّة" ليثُهُ … اذا سار يبغى الرزق فيه، وضَبُّهُ

وكانوا عِيارًا (٣)، ربما جاد بعضهم … فأعدَى صحاحَ السَّرحِ يا "سعدُ" جُربُهُ

---

(١) التِرب : من ولد معك وأكثر ما يستعمل فى المؤنث، يقال : هذه تِرب فلانة . (٢) ألطّ بى أي منعني حقي . (٣) عيار جمع عَير وهو الحمار أيا كان أهليًا أو وحشيًا وغلب على الوحشيّ .

يعـزّ عليكم، كيف يرجع مُرمِلا(١) غلامٌ من الآداب والمجـد كسبُهُ؟
تقـدّمنى قـومٌ، وما ذاك ضائرى لديكم، اذا ما أخلص الزُّبدَ وَطْبُهُ(٢)
أبانهـــم تلفيق جهـلٍ يربهـم وأحملنى تحقيـقُ فضـــلٍ أربُّهُ
تحلَّ بهـا يا "سعدُ" فهى قلادةٌ يُزيّنُ فيهـا فاخرَ الدرّ ثقبُـــهُ
هـديةُ خِلٍّ، إن جعلتَ ودادك الا صّداقَ لهـا مع فقره، فهو حسبُهُ
يرفّعــهُ عن بذلة البعـد عتبُـــهُ وهمّتـه العليـا الى النـاس ذنبُـهُ
ولى أختُهـا عنـــد الوزير تلوح فى دجى الليل، أو تبدو فتخجلُ شُهبُهُ
يلذُّ لهـا مَـــدُّ النشـيد ولينُــه ويُزهَى بهـا رفعُ الكلامِ ونصبُهُ
لهـا حُسْــنُها، لكن أريدك شافعًا وخيرُ شـفيعٍ لى الى الجسم قلبُـهُ

* * *

وقال وقد أنعم الله تعـالى عليه بالإسلام، ووفّقه لمـا كان يتردّد فى نفســه من الآستنصار بلطفه وفضـله، وذلك فى ســنة أربع وتسـعين وثلاثمـائة، يذكر ذاك ويُهجّن قومَه بسـفَهِ ما هم عليـه ومعايبه، وكتب بهـا الى الكافى الأوحد يبشّره ويمدحه

دواعى الهوى لك أن لا تجيبا هجـرنا تُقًى ما وَصَلْنا ذُنوبا
قفونا(٣) غرورَك حتى آنجلتْ أمـورٌ أرينَ العيونَ العيوبا
نَصبْنا لهـا أو بلغنـا بهـا نُهًى لم تدعْ لك فينا نصيبا
وهبنا الزمانَ لهـا مقبلا وغصنَ الشبيبة غضًّـا قشيبا
فقــل لمخوّفنـا أن يحـول صِبًا هَرَمًا وشـبابٌ مَشيبا:

(١) المرمل : الذى نفد زاده . (٢) الوطب : سقاء اللبن . (٣) قفونا : تبعنا .

وددْنـا لعقّتِنا أننا ... وُلدنا اذا كُرِهَ الشَّيْبُ شِيبا

وبلِّغ أخا صحبتى عن أخيك ... عشيرته نائيا أو قريبا

تبدّلتُ من ناركم ربَّها ... وخُبثِ مواقدها الخُلدَ طِيبا

حَبستُ عنانِيَ مستبصرا ... بآيةِ يستبقون الذُّنوبا

نصحتكُمُ لو وجدتُ المُصيخَ (١) ... وناديتكم لو دعوتُ المجيبا

أفيئوا فقد وعد الله فى ... ضلالة مثلكُمُ أن يتوبا

وإلا هلمّوا أباهيكُمُ ... فمن قامَ والفخرَ، قام المصيبا

أمثل محمدٍ المصطفى ... اذا الحكم وُلِّيتُموه لبيبا

بعدلٍ مكانَ يكون القسيمَ ... وفصلٍ مكانَ يكون الخطيبا

وثَبْتٍ (٢) اذا الأصلُ خان الفروعَ ... وفضلٍ اذا النقصُ عاب الحسيبا

وصِدْقٍ بإقرار أعدائه ... اذا نافق الأولياءُ الكذوبا

أبان لنا الله نَهجَ السبيل ... ببعثته وأرانا الغيوبا

لئن كنتُ منكم فإنّ الهجيـ ... ـن يُخرِجُ (٣) فى الفَلَتاتِ النجيبا

أَلِكْنِي (٤) الى مَلِكٍ بالجبا ... ل يدفعُ دفعَ الجبالِ الخطوبا

فتًى يطرُقُ المدحُ من بابه ... قِرًى كافيا وجنابًا رحيبا

قوافيَّ تلك وَرَدْنَ النميـ ... ـرَ من جوده ورَعَيْنَ الخصيبا

عوارىَ تُكسَى ابتساماته ... وفى القول ما يستحقّ القُطوبا

ومن "آل ضَبَّةَ" غصنٌ يهُزّ ... جَنيًّا، ويَغمِزُ عودًا صَليبا (٥)

وكانوا اذا فتنةٌ أظلمتْ ... وأعوزهم مَن يُجلّى الكروبا

---

(١) المصيخ : المصغى . (٢) الثبت : الثابت . (٣) الهجين : الذى ولد من أمة وأبوه عربى أو من أبوه خير من أمه . (٤) ألكنى : أرسلنى . (٥) صليبا : شديدا .

تداعوه : يا أوحــدًا كافيًــا لنــا مستخصًّا الينــا حبيبا
فكان لنــا قمرا ما دجتْ وماءً اذا هى شُبّتْ لهيبــا
أرى مُلْكَ "آلِ بُوَيْه" ٱرتدَى عَواراً بأن راح منــه سليبــا
فإن يُمسِ مَوضــعُه خاليــا فمــا تُعرَفُ الشمسُ حتى تغيبا
لك الخير مَوْلًى، رَميتُ المنى رِشاءً اليــه، فروّى قَليبــا (١)
لحظّىَ فى حبس مَســيِرِى اليـ ـك رَأْىٌ سأنْظُرُهُ أن يؤوبا
اذا قلت : ذا العامُ شافٍ بدت قوارفُ (٢) منع تُجِــدُّ النّــدوبا
ولى عزمةٌ فى ضمــانِ القبولِ سَتُدْرِكُ، إن ساعدتنى هُبوبا
وإلا فتحمِلُ شكرا اليـــك يشُوقُ الخلىَّ ويُغرِى الطروبا
وعذراءَ تُذْكِر نُعــماكَ بى وإن كنتُ لستُ بها مستريبا
ستُنكــرُ لجــأةَ عُنوانهــا اذا هو أعطاك وَسْمًــا غريبا
فوفِّ، فقــد جعَلَ الدَّينُ ما تنفَّلتَ فى الجودِ فرضا وُجوبا
وقد كنتُ عبدا قصيّا وجُدتَ فكيف وقد صرتُ خِلًّا نسيبا !

* * *

وقال وكتب بهــا الى أبى الحسين علىّ بن محمد البُنداريّ الكاتب خليفة الكافى الأوحد ، يشكره على كثرة وصفه إيّاه و إطرائه له ، و بلغه ذلك عنــه بلاغة يُرغَبُ مع مثلها فى المودّة

أخى فى الودّ فوق أخى النسيبِ وخِلّى دون كلّ هــوًى حبيبى
ومــولاى البعيــدُ يقــول خيرا قريبٌ قبــل مولاى القــريبِ

---

(١) القليب : البئر . (٢) قوارف : قواشر، من قولهم : قرف القرحة أى قشرها بعد يبسها .

(٧)

وما دحق المصرّحُ شاهدًا لى — فـداءٌ للعـرّض فى مَغيبِ
فلا تتطلّبى غَلَطاتِ شوقى — فما إن زلتُ ذا شوقٍ مصيبِ
أرَدْتِيني يملكنى نفاقا — سليمُ الوجه ذو ظَهرٍ مريبِ
وألسنةٌ تظاهرنى صِحاحًا — وأعلمها بطائنَ للعيوب
قد اعتذر الزمانُ بودّ خِلٍّ — محا ما كان أسلفَ من ذُنوبِ
أتتى — طاب ما أتتِ ابتداءً — بلا حقٍّ عليه ولا وُجوبِ —
يدٌ منسه وفَتْ بيـد الغمام الـ — مصيب، همّتْ على العام الجديبِ
فمثّله التصوّرُ لى بقلبٍ — يَرى بالظنّ من خَلَلِ الغيوبِ
"أبا حسنٍ" بدأتَ بها فتمّم — وإن لم تعطنى إلا نصيبى
صفاتُك وهى تكشف عن قريضى — يمينُ القَيْن يشحذ عن قضيبِ
بنا ظمأٌ وعندكُمُ قَليبٌ — وأنت رِشاءُ هاذاك القَليبِ
"أبو العباس" موئلنا و"سعدٌ" — فقل فى الطود، أو قل فى الكثيبِ
رضيتك ثمّ لى ذخرا لنشر الـ — سليم الطىّ أو نشر المَعيبِ
وغيرك مَنْ سَكَنتُ اليه كُرهًا — كما سكَن العِذارُ الى المشيبِ
متى سالمتنى سلِمتْ صَفاتى — على ما دسّ قومٌ من ذنوبى
اذا نَظَر الحبيبُ بعينِ عَطفٍ — فأهونُ ناظرٍ عينُ الرقيب

***

وقال بعد عوده من حضرة الكافى الأوحد، وقد تأخر كتابه ورسومٌ له، لغلبة الأشغال عليه، وكتب اليه يعاتبه بهذه القصيدة وأنفذها اليه

شفى الله نفسا لا تذِلّ لمَطْلَبِ — وصبرا متى يسمعْ به الدهرُ يَعجبِ
وصدرًا، اذا ضاقت صدورٌ رحيبةٌ — لخطبٍ، تلقّاه بأهلٍ ومَرحبِ

بعيــدا من الأفكار ماكُنّ حطّةً ... فإن تك فى كسب المكارمِ تَقــرُب

تمرَّنْ بأخلاقى، فتى الحىّ، إن تكن ... رفيقــا، فإمّا عاذرى أو مؤنبى

تبغَّضْ اذا كنتَ الفقيرَ وإن تكن ... غنيًّــا نطامِنْ للغنَى وتحبّب

اذا لم تَجِدْ ما يُعظمونك رغبــةً ... وأردت النَّصْف منهـــم فأرهبِ (١)

فإنك ما لم تُرْجَ أو تُخْشَ فيهـــمُ ... وتقعدْ مع الوُسطى تَدُسْك فَتَعْطَبِ

أفق يا زمانى، ربمــا أنا صــائر ... الى سهلِ ما أرجو بفـــرطِ تصعُّبى

أغرَّك فى ثوب العفافِ تزمُّـــلى ... وأخـــذى مكانَ الآمل المترقّبِ؟

اذا أنا طــالت وقفــتى فتــوقّنى ... فإنّ لهــا لا بدّ وثبــةَ مُنجِبِ

ويا صاحبى، والذلّ للرزق موردٌ ... أضَنُّ بنفسى عنــه وهى تجودُ بى

خذ النفسَ عنى والمطامعَ إنهــا ... قد آستوطاتْ من ظهرها غيرَ مركبى

حرامٌ وإنــــ أمحضتَ مطــم (٢) ... عــلىّ، اذا أدّاه أخبثُ مكسبِ

أ أنت على هجــر اللئــام معنّفى؟ ... نعم أنا ثَمَّ، فارض عنّى أو آغضبِ

أ ألقَ البخيــلَ أجتــديه بمدحةٍ ... خصيان فيهــا شاهــدى ومغيِّبى

وأكذِبُ عنــه فى عبــارةِ صادقٍ ... كثيرٌ إذًا، فى حيث أصدقُ، مُكذِبى

تعــوّدته خُلُقًــا، ثنــائى لمحسنٍ ... أقول بمــا فيــه، وذمّى لمذنبِ

---

(١) هكذا بالأصل وهو مختل الوزن وقد ورد فى بعض النسخ المطبوعة هكذا :

إذا لم تجد ما يعظمونك رغبة * ورمتُهمُ أن ينصفوك فرهّب

وهو مختلف عن الأصل فى لفظه، ومع المحافظة على ألفاظ الأصل لعله يكون هكذا :

اذا لم تجد ما يُعظمونك رغبــةً * به وأردت النِّصْف منهم فأرهبِ

بزيادة "به" فى أوّل الشطر الثانى .

(٢) كذا بالأصل ولعله * حرامٌ — وإن أمحضتَ — أُطيبُ مطعمٍ *

فما سرّنى فى الحقّ أنّى مع العدا ... ولا عابَ أنّى فى المحال على أبى

وحاجةِ نفسٍ دبّر الحزمُ صدرَها ... فأبتُ بها محمودةً فى المُعَقَّبِ

أريدُ بها "الكافى" بقلبٍ معذَّبٍ ... مُرادَ "آبن حُجْرٍ" قبلها "أمَّ جُنْدَبِ" (١)

وليلِ تِمامٍ (٢) قد قليتُ نجومَه ... اليه، يُردنَ الشرقَ، يَذهبن مَذهبى

وما لانفرادى ما لها من تجمُّعٍ ... ولكن بقلبى ما بها من تلهُّبِ

وطودٍ تخال الراسياتِ وِهادَه ... متى يَبْغِ ظنُّ العينِ أُخراهُ يُكْذَبِ

تراه — ولم تظفر محلِّقةٌ به — الـ ... ـعُقابُ بعينَىْ عاجزٍ فى تهيُّبِ

سَلكتُ فأدّانى بقلبٍ ملفَّحٍ ... عظائمَ ما ألْقَى، وجسمٍ مجرَّبِ

إرادةُ حظٍّ أتعبَتْنى، ومن تكن ... له حاجةٌ فى ذمّةِ الشمسِ يتْعَبِ

فِدَى الأوحد "الكافى" جبانٌ، لسانُه ... شجاعٌ، بحيث القولُ غير مصوَّبِ

بخيلٌ، لو آنَّ البحرَ بين بنانه ... وفرّقَها عن قَطرِهِ لم تسرّبِ

يساميه تغريرا برأيٍ مُشعَّثٍ (٣) ... يكدُّ ولا يُجدى، وعِرضٍ مشعَّبِ (٤)

ومنتسبٌ يومَ التفاخر مُسفِرٌ، ... اذا آنتسب "الضبّىُّ" قيلَ: تنقَّبِ

أيا ساريا، إمّا ركبتَ فلا تُنخْ ... مُريحا، وإمّا ماشيا كنتَ فآركبِ

لعلك تأتى شِرعةَ الجودِ سابقا ... بهاذاك، مع فرط التزاحم تَشربِ

وقل: يا "أبا العباس" بل يا أبا الورى ... فكلُّهُمُ فيما مَلكتَ بنو أبِ

أنا ذاك، لم تكفِ آشتياقِى زَورةٌ، ... بَلَى، زادنى بالبعدِ شجْوًا تقرُّبى

اذا كنتَ تهوى الشىءَ إمّا رأيتَه ... وأحببتَ أن تَشْقَى، فزرْ ثمَّ جَنِّبِ

---

(١) يشير الشاعر هنا الى قول آمرئ القيس بن حجر

خليلىَّ مرّا بى على أمّ جُنْدَبِ ... لنقضى لُباناتِ الفؤادِ المعذَّبِ

(٢) ليل التمام بكسر التاء: أطول ليالى الشتاء. (٣) مشعّث: مفرّق. (٤) مشعّب: مصدّع.

أحنّ اذا الوفدُ آستقلّوا لقصـدكم ... حنينَ الفتى العُـذرىّ مَرّ بربرِبِ

ووالله لم أهجـركم العـامَ عن قِلًى ... ولا أنّ سـيرًا نحوكم كان مُنْصِبى

وما صـاحبى قلبٌ بظنٍّ مُرَجَّمٍ ... الى غـيركم فى العالمين مُقلِّبى

اذا أطربَ الإبلَ الحُـداءُ فإننى ... اليكم متى غنّيتُ فالجـودُ مُطرِبى

ونفسى لكم ، تلك التى لودادها ... ولو أُغضِبتُ فى واجبٍ ألفُ مُوجِبِ

أأمدحُ منهـا ما آختبرتم! وإنمـا ... يُظَنُّ بعتق السيفِ ما لم يُجرَّبِ

هجـرتُ لك الأقـوامَ حبًّا فوفّنى ... يَبِنْ بِى الى جدوَى يديك تحـزُّبى

وأشمتّهـم ذا العامَ أنّك جُرتَ بى ... ومَذهبُك العدلُ الصحيحُ ومَذهبى

لئن عَتَبوا أنى تفـرّدتُ دونهـم ... بمدحك، فاشهدْ أننى غـيرُ مُعتِبِ

فإن خَبُثَتْ أيديهُمُ لِى وأسْهكَتْ[(١)] ... فـرُبَّ نوالٍ طاهـرٍ لك طيّبِ

* * *

وقال وأنشدها الأميرَ سندَ الدولة أبا الحسَن بن مَزْيَد فى داره بالنيل، وقد لقيَهُ بها فى شهر ربيع الأوّل سنة ثمانى وتسعين وثلاثمائة

هَبْ من زمانِكَ بعضَ الجِـدّ للّعبِ ... وآهجرْ الى راحةٍ شيئاً من التعبِ

ما كلُّ ما فات من حظّ بليّتُــهُ ... عجــزٌ، ولا كلُّ ما يأتى بمُجتلَبِ

لا تحسَبِ الهمّةَ العَلياءَ مُوجِبــةً ... رزقًا على قِسـمة الأقـدارِ لم يجبِ[(٢)]

لو كان أفضلُ مَنْ فى الناس أسْعَدَهم ... ما آنحطّتِ الشمسُ عن عالٍ من[(٣)] الشُّهُبِ

أو كان أسْـيَرُما فى الأُفْق أسْلَمَهم ... دام الهـلالُ فلم يُمحَـقْ ولم يَغبِ

يا سـائقَ الرَّكْبِ غَرْبياً وراءك لى ... قلبٌ الى غـير نجـدٍ غيرُ مُنقلِبِ

(١) أسهكت : أتت فى عَرَقها بريح خبيثة . (٢) فى الأصل : لم تجب . (٣) فى الأصل : منْ .

تلفُّتًا، لخلال الضِّيقِ مُتَّسَعٌ ... ورُبَّ منجذِبٍ فى زِىّ مجتنِبِ

قِفْ نادِ يا "آل بكر" فى بيوتكُمُ ... بيضاءُ يُطرِبها فى حُسنها حَرَبِى

لما رأت أُدْمَةً(١) نُكْرًا وغائرةً ... شهباءَ(٢) راكضةً فى الدُّهم(٣) من قُضُبِى(٤)

لوتْ وقد أضحكتْ رأسى الخطوبُ لها ... وجهًا الى الصدِّ يُبكينى ويَضحَك بى

لا تعجبى اليومَ من بيضائها نظرًا ... الى سِنِىَّ، فمن سودائها عجبى

ما زلتُ — علمًا بأنَّ الهمّ مخترِمٌ ... عُمرَ الشبيبةِ — أبكيها ولم أَشِبِ

وُسُومُ شَيْبٍ، فإن حقَّقتِ ناظرةً ... فإنهنّ وُسُومٌ فىَّ للنُّوَبِ

تُرَى نداماىَ ما بين الرُّصافة فالـ ... بيضاءِ(٥) راوِين من خمرٍ ومن طربِ؟

أو عالِمين — وقد بُدِّلْتُ بعدَهُمُ — ... ما دارُ أنسى وما كأسى وما نشبى؟

فارقتهم، فكأنى — ذاكرًا لهُمُ — ... نضوٌ تلاقت عليه عضّتا قتبِ

سقَى رضاىَ عن الأيام بينهمُ ... غيثٌ، وبان عليها بعدَهم غضبى

إذ نَسكُب الماءَ بُغضًا للمزاج به ... ونطعمُ الشُّهدَ إبقاءً على العنبِ

يمشى السُّقاة علينا بين منتظِرٍ ... بلوغَ كأسٍ ووثّابٍ فمستلِبِ

كأنما قولنا للبابلىّ: أدر ... حلاوةً، قولنا للمَزْيَدىّ: هَبِ

فِدَى علىٍّ جبانُ الكفِّ مقتصرٌ ... من الفخار على الموروث بالنسبِ

يُرَى أبوه ولا تُرْضَى مكارمُه ... الأرضُ صحّت وأودى الداءُ بالعُشُبِ

ومُشْبَعون من الدنيا وجارُهُمُ ... بادى الطَّوَى ضامرُ الجنبين بالسَّغَبِ

---

(١) الأدمة : السمرة فى الإنسان، ولون مشرَبٌ سوادا فى الإبل . (٢) الشهباء : البيضاء يصدعها سواد . (٣) الدهم جمع أدهم وهو الأسود . (٤) القضبُ جمع قضيب وهى الناقة التى لم تُرَضْ ، وكلّ ألفاظ البيت من بابْ الاستعارة يصف بها ما أصاب وجهه من التلويح وما أصاب رأسه من الشيب كما يتضح من الأبيات التالية . (٥) الرصافة والبيضاء : اسما بلدتين .

قـــل للأمير، ولو قلت : السماءُ به مفضوحةُ الجَـودِ، لم تَظلِمْ ولم تُحَبِ:[1][2]

أعطيتَ مالَك، حـتى رُبَّ حادثةٍ أردتَ فيهـا الذى تُعطِى فلم تُصِبِ

لو سُمتَ نفسَــك أن ترتاضَ تجربةً بحفــظ ذاتِ يدٍ يومين لم تَطِبِ

كأنّ مالَكَ داءٌ أنت ضامنُـــه فـا يُصِحُّك إلا عـــلّةُ النشبِ

لو كان يُنصفك العـافون لاحتشموا بعضَ السؤالِ، فكفُّوا أيسرَ الطلبِ

يا بدرَ عَوْفٍ، وعوفُ الشمسُ فى أَسَدٍ وأَسَـــدٌ[3] شامةٌ بيضاءُ فى العـــربِ

أنـتمْ أولو البأسِ والنعماءِ، طارفــةٌ[4] أخبارُكم، وعُلّى تِـلْدٌ[5] من الحِقَبِ

أحـلَى القـــديم حديثًا جاهليتُــكُم وقُصّ أسلافِكم من رتبـــة الكتُبِ

ما كنتُمُ مذ جلا الإســلامُ صفحتَهُ إلا ســـيوفَ نبيٍّ أو وصيِّ نبى

بكم "بصــفّينَ" ســدَّ الدينُ مَسكنَهُ و "آلُ حَرْبٍ" له تحتال فى الحُرَبِ

وقام "بالبَصْرة" الإيمــانُ منتصـبًا والكفرُ فى "ضَبَّةٍ" جاثٍ على الرُّكَبِ

حـــتى تقيَّلتَهـا إرثًا، وأفضــلُ ما نقلتَ دينَك شَرْعًا عن أبٍ فأبِ

اذا رأيتَ نجيبًا صحَّ مـــذهبُـــهُ فاقطع بخـــيرٍ على أبنـائه النُّجُبِ

لا ضاع، بل لم يضِعْ يومَ انتصرتَ به وأنت كالوِرْدِ، والأعداءُ كالقَـــرَبِ[6]

وقـــد أتوكَ برايات مكـــرّرة لم تدر قبلك ما اسمُ الفرّ والهـــربِ

تمشى بهـــم ضُمَّـــرٌ، أَدْمَى روادفَها غرورُ فـــرسانهـا بالفـارسِ الذَّرِبِ

لمـا دعوتَ "عليًّا" بينهـم، ضَمِنتْ لك الولايةَ فيهـــم ســاعدُ العطبِ

حكت رءوسَ القنا فيـــه رءوسُهمُ حـــتى تموّهتِ الأعناقُ بالعَـــذَبِ[7]

(١) الجود : المطر. (٢) لم تحب : لم تأثم، وفى الأصل "لم تخب" وهو تحريف. (٣) كلمة "وأسد" فى هذا الشعر يدخلها "الخَبْلُ" وهو ما حُذِفَ ثانيه ورابعه الساكنان. (٤) الطارفة : الحديثة. (٥) التلد جمع تليد وهو القديم. (٦) القَرَبُ : سير الليل لورد الماء. (٧) العَذَبُ جمع عَذَبة وهى خرقة تشدّ على رأس الرمح، وهى أيضا ما سدل بين الكتفين من العمامة.

وطامعٌ فى معاليـك ارتقَى فهوى وهل يَصِحُّ مكانُ الرأسِ للذنَبِ؟
ما كان أحوجَ فضلا تمّ فيك الى عيبٍ يعوِّذُه من أعينِ النُّوَبِ
أحببتكم ، وبعيدٌ بين دَوْحتنا[1] فكنتُ بالحبِّ منكم أىَّ مقترَبِ!
وودُّ "سَلْمانَ" أعطاه قرابتَه يوما ، ولم تُغنِ قُربَى عن أبى لَهَبِ
ورفَّعَ الصوتَ إلا عن مناقبكم أسبابَ مدحِىَ فى شعرى.وفى خُطَبِى
فما ترانِىَ أبوابُ الملوك مع الـ زِّحام فيها على الأموال والرُّتَبِ
قناعةٌ رَغِبتْ بى عن زيارة مسـ ـدولِ الستورِ وعن تأميلِ محتجبِ
ولى عوائدُ جُودٍ منك لو طَرَقت تَسنامُ مُلكَكَ لم تُحرَمْ ولم تَخِبِ
ملأتُ بالشكر قلبَ الحافظ الغزِلِ الـ ـفؤادِ منها وأُذنَ السامعِ الطَّرِبِ
فـرأىُ جُودِك فى أمثالها لفتًى أتاك بالحرمتين الدِّينِ والأدبِ
ومَنْ توسَّلَ فى أمرٍ فما سببٌ اليك أوكدُ فى الأمرين من سببى

* * *

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم ،وقد ورد من فارس يهنّئه بخِلَعٍ أُفيضت عليه بها، وتكرِمةٍ لحقته فيها، و بسلامته و بالمِهْرَجان[2]، و يقتضيه حاجةً كانت له

رعى اللهُ فى الحاجاتِ كلَّ نجيبِ سميعٍ على بُعدِ الدعاءِ مُجيبِ
وطهَّرَ فتيانا من الذمِّ طهَّروا غيوبَهم[3] أن تُنتحَى بعيوبِ
سواءٌ على عُسرِى ويُسرِى وفاؤهم وألسنُهم فى مَشهَدى ومَغيبى
أحبُّوا المعالى وهى مُنصِبةٌ لهم فما قَنِعوا من وصلها بنصيبِ

(١) الدوحة : الشجرة العظيمة الباسقة .
(٢) المِهْرَجانُ : عيد الفرس، وهى كلمة مركّبة من "مِهْر" و "جان" ومعناها : مَحَبَّةُ الروح .
(٣) فى الأصل : عيوبهم .

بجارِهمُ من دارهم مثــلُ ما لَهم ... على راحــةٍ من عيشهم ولُغــوبِ[١]

اذا جئتَهــم مستصرِخا ثارَ مجدُهم ... بكلِّ مُجيبٍ فى الخطــوب مَهيبِ

وكـرّم عيشى عنــدهم وأعاده ... بما فاض من حُسْنٍ عليــه وطِيبِ

تعــيّرنى "لَيْـلَى" الوفاءَ بعهـدِهم ... عـلى بُعــدِهم، أنْتِ غيرَ مُنيبِ!

خُلِقْتُ رقيق القلب، صــعبًا تقلُّبى ... أَرَى لبعيــدٍ ما أَرَى لقــريبِ

وما زلتُ أهــوَى كلَّ شىء ألِفتُــه ... وصاحبتُهُ حــتى ألفتُ مَشــيبى

وتُنكِر أضــفارى[٢]، كأنْ لم تَرِ الصِّبا ... ســقَى وَرَقى يومًا وهزَّ قضــيبى

ولم ألقَ أشراكا فأثنِى حبالَهــا ... على ما ٱشتهتْ من أعيــنٍ وقلوبِ

فمــا زال مُمسِىَّ الزمانُ ومُصبِحى ... بأسمــاله[٣] حتى ٱســتردَّ قشــيبى

فداءُ بنى "عبــد الرحيم" وودِّهم ... هوى كــلِّ ممذوق الوداد مُريبِ

ولا بَرِحتْ، تسقِى "الحسينَ" وعَرْضَهُ ... بملآنَ من فَيض الثناء سَكوبِ

مجلجــلةُ الأرجاءِ، صادقٌ برقِهـا ... حَلوبٌ لمــاء الشِّــعرِ غـيرُ خَلوبِ

مَرَتْها[٤] رياحُ الشــكر حتى تلاحمتْ ... بمــا نســجَتْها من صَــبًا وجَنوبِ[٥]

فصابت، فعمّتْ ماسقته، فأخصبتْ، ... عــلى أنها لم تُسْــقِ غيرَ خَصيبِ

وجازاه ملكا فى الجــزاء فضــيلةً ... وأدَّى ثوابَ الشــكرِ حــقَّ مُثيبِ

أخى، وأخى الموروثُ غــيرُ موافقٍ ... ومولاى[٦]، وٱبنُ العمِّ غـيرُ نسيبِ

ضميرٌ على حكم اللســانِ، وبعضُهم ... أخــو مَلَقٍ يُبــلَى أخــوه بذيبِ

وعن حفظ غَيبِ المُلكِ نُصحا اذا طغَى ... به غَلُّ[٧] أسرارٍ وعينُ غيــوبِ

(١٠)

(١) اللغوب: التعب. (٢) أضفار: جمع ضَفْر وهى كلّ خصــلة على حدتها كالضفيرة. (٣) الأسمال جمع سَمَل وهو الثوب الخَلَق. (٤) مرتها: ٱستخرجتها. (٥) الصَّبا: الريح الشرقية، والجنوب: ريح تقابل الشَّمال. (٦) المولى: ابن العم. (٧) الغَلّ: الماء جرى بين الأشجار.

فكم غمّــة عمياء أعضــلَ داؤها رماها برأيٍ من نُهـاهُ طبيبِ
وشاهــدةٍ (١) بالفخر أوفتْ صــفاتُهـا على كلّ معــنًى فى الجمـال عجيبِ
أتت شَرَفاً من سيّد، وكأنهـا أتت من محبٍّ تُحفــةً لحبيبِ
صَفَتْ وَضَفَت حتى آستطالت جُنوبها بوافٍ، ومــدّتْ باعَهـا برحيبِ
ونيطتْ بأخرى مثلِهـا فتظاهــرا على ظهــر طَودٍ فى قميص قضيبِ
ومنحولةٍ (٢) جسمَ الهــواءِ نحيــلةٍ كأنّــ الهوى فيهـا رَمَى بمصيبِ
من الريح، لولا أن "يَذْبَلَ" تحتهـا وقارُك، مرّتْ عنـك مرَّ هُبوبِ
اذا دقَّ مسًّـا وقْعُـها جلَّ رفعُــها الى منصِبٍ فى القَــريتين (٣) حسيبِ
وذى شيبتين (٤) آستَوْقف الصبحَ والدجى على ناصــلٍ مــن لونه وخضيبِ
كأنّــ السحابَ جَوْنَها و بياضَها تفــرّعَ من صــافٍ به ومَشوبِ (٥)
تشبَّثتِ الأبصــارُ حــتى تمكّنتْ وقـــد كرّ مــن هادٍ (٦) له وسَبِيبِ (٧)
توقَّ الأذى مــن عُرْفه بخيــلةٍ وحَكَّ الحصى من ذيله بعَسيبِ (٨)
وأعجَبــه فى رِدفــه ووشــاحــه ملابسُ تكسو منــه كلَّ سليبِ
نصيبٌ مــن الدنيا أتاك ففُــزْ به ولا تنسَ من فضــلِ العطاء نصيبى
كفى المِهرَجان مُــذْكِرا وذريعــةً الى محُســنٍ فى المكرُماتِ مُطيبِ
بقــاؤك ألفًــا مثــلَه فى كفالتى دعوتُ، ومَنّــ اللهُ فيــك مُجيبى
فمــا زال فيــكم كلُّ خيرٍ طلبتُــه قُضى لِىَ فى إدراكه وعُــنِى بى

(١) يقصد بقوله "وشاهدة" خلعة ضافية . (٢) منحولة : معطاة . (٣) القريتين : اسم بلد . (٤) يصف جوادا . (٥) فى الأصل "شُبوب" وهو خطأ . (٦) الهادى : العنق . (٧) السبيب : شعر الذنب والعرف والناصية من الفرس. (٨) العسيب : عظم الذنب أو منبت الشعر منه .

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس أبى الحسن الهَمَانىّ فى عيد النحر، وقد حصل ببغداد يهنّئه ويُعرّض بذكر عدوّ له توثّب على ولايته بالعناية دون الكفاية

أَستنجِدُ الصبرَ فيكم وهو مغلوبُ ... وأسألُ النومَ عنكم وهو مسلوبُ

وأبتغى عندكم قلبًا سمحتُ به، ... وكيف يرجِعُ شىءٌ وهو موهوبُ؟

ما كنتُ أعرِفُ ماقدارُ وصلِكُمُ ... حتى هجرتم، وبعضُ الهجر تأديبُ

أستودع اللهَ فى أبياتكم قمرًا ... تراه بالشوق عينى وهو محجوبُ

أَرضَى وأسخطُ أو أرضَى تلوُّنَه ... وكلُّ ما يفعلُ المحبوبُ محبوبُ

أمّا وواشيه مردودٌ بلا ظَفَرٍ ... وهل يُجابُ وبذلُ النفسِ مطلوبُ؟

لو كان يُنصِفُ ماقال: آنتظرْ صِلَةً ... تأتى غدًا، وآنتظارُ الشىء تعذيبُ

وكان فى الحبّ إسعادٌ ومُنعطَفٌ ... منه، كما فيه تعنيفٌ وتأنيبُ

يا لَلّوَاتى بَغضنَ الشَّيْبَ وهو الى ... خدودهنّ من الألوانِ منسوبُ

تأبَى البياضَ وتأبَى أن أسوِّده ... بِصبغةٍ وكلا اللونَيْن غِربيبُ(١)

ما أنكرتْ أمسِ منه ناصلًا يقَقًا(٢) ... ما تُنكر اليومَ منه وهو مخضوبُ

ليتَ الهوى صان قلبي عن مَطامعه ... فلم يكن قطّ يستدنيه مرغوبُ

إنى لأسغَبُ(٣) زهدًا والثرى عَمَمٌ(٤) ... نبتًا، وأظما وغَرْبُ(٥) الغيثِ مسكوبُ

ولا أَرِقُّ لحِرصٍ خابَ صاحبُه ... سعيًا، ويعلم أنّ الرزقَ مكسوبُ

(١) الغربيب: الشديد السواد، يريد أن كلا اللونين فى الشعر وهما الأبيض الناصل والمخضوب، أسود فى لونه لأن كليهما لا ترضاه العين، وقد قال المتنبي

ابعدْ بعدت بياضًا لا بياضَ له ... لأنتَ أسودُ فى عينى من الظُّلَمِ

(٢) اليقق: الأبيض. (٣) أسغب: أجوع. (٤) العمم: اسم لكل ما آجتمع وكثر.

(٥) الغرب: الدلو العظيمة.

عُقبَى الطاعــة فى مالٍ يُمَنُّ به عُصـارةٌ لا يُغطِّى خُبثَها الطِّيبُ

طَهِّـرْ خِلالَك من خِلٍ تعابُ به وآسلم وحيدًا فما فى الناس مصحوبُ

إنى بُليت بمضـطرٍّ رفيقُهــمُ، والمـاءُ يَملُحُ وقتًا وهـو مشروبُ

كم يوعد الدهرُ آمالى، ويُخلِفُهـا (١) أخًا أُسَرُّ به، والدهرُ عُرقوبُ (٢)

أسعَى لمثل سَجايَا فى "أبى حَسَنٍ" وهــل يُبَلِّغنِى الجوزاءَ تقريبُ! (٣)

فِــدَى محمــدٍ المنسىِّ نائــلُهُ مُرَاجِـعٌ، نيلُه المنزورُ محسوبُ

حالٌ تحــدِّثه الأحلامَ جاهـلةٌ لحاقَه، وأخو الأحلامِ مكذوبُ

إن قدَّم الحـظُّ قومًا غالطًا بِهِـمُ أو بيَّنتهــمْ عِناياتٌ وتقـريبُ

فالسـيف يُخـبَرُ قطعًا وهو مدَّخَرٌ والطِّرْفُ يكرمُ طبعًا وهو مجنـوبُ (٤)

حذارِ من حَدَثِ النَّعماء مؤتنِفٍ، (٥) علاؤه بشـفيع الوجــه مجلوبُ

تسوءه سائلا : مِن أين سؤدَدُه؟ إنّ اللئـيم بمـا قد ساد مسبوبُ

أأنت أنت وفى الدنيا "أبو حَسَنٍ"؟ صدقتَ إن لفى الدنيا أعاجيبُ

اذا رأيتَ ذيولَ السَّرح آمنــةً لم يَحْمِها، فلأمرٍ يحـلمُ الذيبُ

يا مُلبسِى الشيمةَ الغــرّاءَ ضافيةً علىَّ، إن قَلَصتْ عنِّى الجلابيبُ

عَلِقتُ منـك بعهدٍ لا مَواثِقُــهُ تُنسَى، ولا حبلُه بالغدر مقضوبُ

وأحمدَتْك آختباراتى وقد سَبرتْ غَوْرَ الرجال وَكدَّتهـا التجاريبُ

فاتجزِينَّـك عنِّى كـلُّ غاديةٍ لهـا من الكَلِم الفيَّاض شؤبوبُ (٦)

اذا وَسَمتُ حَيَاها باسمك آنحدرتْ له الرُّبَى وأطاعتــه المصاعيبُ

---

(١) فى الأصل "يعد" (٢) عرقوب : اسم رجل كان أكذب أهل زمانه و يضرب به المثـل فى الخلف . (٣) التقريب : ضربٌ من العدو . (٤) فى الأصل "محبوب" وهو خطأ والمجنوب من الخيل الذى تقُوده الى جنبك . (٥) حدث النعماء مؤتنف : حديث النعمة جديد العهد بها . (٦) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

فاسلم لهنّ ولى ، ما طاف مستلمٌ سَبْعا ، وعَلَّقَ بالأســـتارِ مكروبُ
تُرجَى وتُخشَى فَسيحَ الباب ممتنِعًا إنــ الكريمَ لمرجُوٌّ ومرهوبُ

* * *

وقال وقد أُنفِذَ الصاحبُ أبو القاسم بن عبد الرحيم الى حضرته بفارس فى رسالة ، عقيب موت الملك بهاء الدولة رحمه الله ، فأحسن البلاغَ وأحسن السّفارةَ وآستقلّ بقضاء الحاجة ، فأفيض عليه خِلَعٌ جميلةٌ وكرمٌ ، فكتب اليه وقد عاد الى العراق يهنّئه ويستوحشُ لسابق بُعدِه ويذكُرُ المسرّة بقُربِهِ

أَفلحَ قومٌ اذا دُعوا وَثَبُـــوا لا يرهبون الأخطارَ إن ركبوا
تَسبِقُ نَهْضاتُهُـــم عزائمَهُـــمْ أنْ تُستشارَ العاداتُ والعُقُبُ (١) (٢)
سارُون لا يسألون : ما حَبَسَ الـ ـفجرَ ولا كيف مالت الشُّهُبُ
عوّدهم هجرُهـــم مُطالبَـــةَ الـ ـراحةِ أن يظفَروا بمـا طلبوا
وخاب راضٍ بالعجز يَصبِر للـ ـأوزار مستسلمـا ويَحتسِبُ
إنـ فاته حظُّ غـــيرِه فله منه آغتيابٌ يشفيه أو عجبُ
لا تستريح العلى الى سكَنٍ إلا غـلامًا يريحـــه التعبُ
تَضمَّنَ السيرُ صدرَ حاجتِـــه والثِّقتان التقـــريبُ والخَبَبُ (٣)
من مبلغُ البينِ يومَ دلَّهَنى : آبَ ، بمـا سرَّ بَعدَك ، الغُيَبُ (٤)
رُدَّ شبابى من "الحسينِ" كما كان ، وعادت أيامِيَ القُشُبُ (٥)
يا قادما أُتهِـــمُ البشـــيرَ به من فرحٍ ، أنَّ صِـــدْقَه كذِبُ
سرتَ ، ونفسى تودُّ فى وطنى بَعْـــدَك أنّ المقيـــمَ مغتربُ

---

(١) يريد : مخافة أن تستشار . (٢) العقب جمع العاقبة وهى آخر كلّ شىء . (٣) الخبب : ضربٌ من العدو . (٤) الغُيَبُ : جمع غائب . (٥) القشب جمع قشيب وهوالجديد .

(١٢)

أحتشم البدرَ أن أراه فال	ـحاظِي عنـه بالدمع تحتجبُ
وكم تصدَّى عمـدًا ليخدَعَني	يَسـفِر عن غيهبٍ و ينتقبُ
فـلم أزده على مسارقة الـ	ـجفن ولحظٍ بالكره يُستلبُ
وعَـبْرةٍ رِيُّه(١) وَحليتُـه،	يُشرَبُ من مائها ويُختضَبُ
ويومِ بينٍ صَبَرْتُ قبلَك، أن	يفوتني الحزمُ فيـه والأربُ
حَمَلتُـهُ ثابتَ الحشا ذَكَرَ الـ	ـقلبِ، وموجُ الحُمولِ مضطرِبُ
سلوانَ أجزِى بالصدّ جانيَـه	بملْك رأسى إن أظلمِ الغضبُ
ونظـرةٍ حُلوةٍ رَدَدْتُ عن الـ	ـبيتِ وفيه الجمـالُ والحسبُ
بسُـنَّة غير ما ٱقتضَى أدبُ الـ	ـحبِّ حِفاظًا، وللهوى أدبُ
وٱنقدتُ طوعا فى حبل(٢) ظالعة(٣)	تجنُبُـنى أو يقـالَ : مُجتنَبُ
بيضاءَ تُقلَى بُغضًا وأعهـدُها	سـوداءَ تُرضَى حباًّ وتُنتخبُ
صاحتْ وراءَ المزاحِ واعظةً:	لا يَلتـقِ الأربعونَ واللعبُ
أعدَى بها الشَّيبُ وهى واحدةٌ	ألفًا، ويُعدِى الصحائحَ الجُرُبُ(٤)
يا ساكنا ثائر العـزيمة مـ	ـسَّ الصِّلِّ من تحت لينه يثبُ
قد علِمَ الملكُ اذ دعاك وحبـ	ـلُ الرأيِ واهٍ والشملُ منشعبُ
أنّ قلوبا غِشًـا، تميل مع الـ	ـدولة أهـواؤُها وتنقلبُ
وأنّ سِرًّا متى ٱصـطفاك له	أخلصَ ما فى إنائِه الذهبُ
لمـا تجلّى وجهُ الحـذارِ ولِـ	ـمَ ٱبنٌ على غدره وخِيفَ أبُ

---

(١) فى الأصل : زيّه . (٢) الحبل : الرسن . (٣) يريد بقوله "ظالعة" : شعرة فى رأسه شائبة تجنبه مجالس أنسه ولهوه وقد شبّهها بالناقة الظالعة وهى التى تغمز فى مشيها . (٤) الجـرب جمع أجرب وهو غير الصحيح .

رَمَى بك القصدُ سهمَ مُنجِحةٍ	يسبِقُ حِرصا حديدَه العَقِبُ
لم يَثنِ فأل الشهورِ عزمتَــه	لا صَفَرٌ عائقٌ ولا رجبُ
جَرَتْ عليه أو مرّت الريحُ تلقـ	ـاها بوجه أديمُــه كَرَبُ (١)
قَلِيــلَةُ الجَرْيِ وهي جامدةٌ	له كيوم الجوزاءِ يلتهبُ
سفَرتَ فيها سَفارةَ الليثِ لا	يرجعُ إلا في كفِّه الطلبُ
لسعيه ما أهمَّه الدمُ والـ	ـلحم ولكن لغيرِه السَّلَبُ
حتى آستقامت على تأوّدها (٢)	وآنتظمتْ في رءوسها العَذَبُ
جزاك حسنَى ما آسطاع إن وَزَنتْ	فعلَك تلك الأقدامُ والرتبُ
أعطاك ما لم تنل يدانِ ولا آمـ	ـتدّ الى مَطرَحِ المُنَى سببُ
وضافياتٍ تطول في مذهب الـ	ـملك اذا شُمِّرتْ وتَنسَحبُ
أهدَى، من مُزنة السماء لها	ماءٌ، ومن نور شمسها لهبُ
اذا علتْ مَنكِبًا علا، فعيو	نُ الدهرِ زُورٌ (٣) عن أفقه نُكُبُ (٤)
أوكيتَ (٥) رأسًا منها موافِيه (٦)	فكلُّ رأسٍ لجيده ذَنَبُ
وصافناتٍ (٧) بين المواكب كُثـ	ـبانٌ (٨) وفي الروع ضُمَّرٌ قُضُبُ
ضاقت مكانَ الحصور وآتسعتْ	أضعالها لا تُقِلُّها الأُهَبُ (٩)

---

(١) قد ورد هذا البيت في نسخة مطبوعة هكذا :

عليه إن مرّت الرياح تلقـ ـاها بوجه أديمه كربُ

والكَرَبُ أصول السعف الغلاظ .

(٢) التأوّد : الأعوجاج . (٣) زور: جمع أزور وهو المائل . (٤) نكب جمع أنكب وهو المائل أيضا . (٥) أوكى : يقال أوكى القربة أى شدّ رأسها بالوكاء وهو الرباط . (٦) في الأصل : يوافيه . (٧) الصافنات : الخيل تقوم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . (٨) الكثبان جمع كثيب وهو التلّ من الرمل . (٩) الاهب جمع أُهبة وهي العدّة .

تَغيبُ في جريِهـا قوائمُهـا فما تَرى أذرعٌ ولا رُكَبُ
من كلِّ دهماءَ أنسُها الليلُ تعـ ـزوه الى لونهـا وتنتسبُ
ثارت فطارت نخاضت الأفُقَ الـ ـعُلوِيَّ تجتاحــه وتنتقبُ
فَمِنْ ثُريّاه أو مَجَــرّته لجامُها العســجديُّ واللَّبَبُ (١)
مواهبٌ لا يَرُبُّهنَّ أبٌ إلا شفيقٌ على العــلا حَدِبُ (٢)
من معشرٍ لا يُجارُ مَنْ طَرَدوا ولا يَطيبُ البقاءُ إن غضبوا
مُثْرِينَ مجــدًا ومُقْترِينَ لُهًى (٣) والمجدُ طَبْعٌ والمــالُ مكتسَبُ
فُرسان يومِ الطعانِ إن طَعَنوا بالألسنِ المشكلاتِ أو ضَرَبوا
لا يَرجِعُونَ الكلام كَرًّا من الـ ـعِيِّ ولا يعــرفون ما كَتَبوا
دعا فؤادِي شوقي اليك على الـ ـبعدِ، فلبّيكَ والمَدى كَثَبُ (٤)
جواب من لا يُرام جانبُــهُ منــذُ غَدَا وهو جارُك الجُنُبُ (٥)
ولا يُبـالي اذا سلمتَ له ما حَصَدتْ من نباتها الحِقَبُ
حَمَلْتَ دُنيايَ فاْسترحتُ، وقد طال عنـاءُ الآمالِ والتعبُ
وقُمْتُ مذ قادني هُــداك على مَحَجَّــةٍ لا تدوسها النُّــوَبُ
فليحمدنّي في كلّ قافيــةٍ تزيدُ حســنا في دُرِّها الثُّقَبُ
أمسحُها (٦) فيك أو تَقِرُّ وقـــد أوغل (٧) في أمّ رأسها الشَّـغَبُ (٨)
حُلِّيَ من المعدن الصريحِ، اذا غشَّ تِجارُ الأسـعارِ ما جَلَبوا

---

(١) اللبب : ما يشد من سيور السرج في اللبة من صدر الدابة ليمنع آستئخار الرحل. (٢) الحدِب : المتعطف. (٣) لهى جمع لهوة وهى أعظم العطايا وأجزلها. (٤) كثبٌ : قريبٌ. (٥) الجارُ الجنب : جارك من غير قومك. (٦) أمسحها : أحسّنها. (٧) أوغل : يقال أوغل في الشيء: اذا ذهب فيه وأبعد (٨) الشغب : الكلام يؤدّى الى الشر.

تَشكُرُها الفُرْسُ فى مديحك للـ ـمعنَى، وترضَى لسانَهـا العَرَبُ
يُظهِرُ منها السرورَ حاسـدُها ضرورةَ الحقِّ وهـو مكتئبُ
يُطرِبه البيتُ وهو يُحـزِنُهُ ومن أنينِ الحمامةِ الطَّرِبُ
يا آل "عبد الرحيم" لا تزل الـ ـدنيـا رحًى، أنتمُ لهـا قُطُبُ
إن تفضُلوا الناسَ والحسينُ لكم ومنكمُ، فافضلوا، فلا عَجَبُ!
فـدَاكمُ خاملون لو كاثَرُوا الـ ـرملَ بأعدادهم لمـا حُسِـبوا
لا يَخلُقُ العَـدلُ فى خلائقهم لينًا، ولا يُكرَمُونَ إن شربوا
أخَّرَ أقدامَهـم وقدّمكـم أنهُـمُ يحسبون ما كَتَبوا

⁂

وقال وكَتَب بها الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب رحمه الله تعالى

قالوا رَضيتَ قلتُ ما أجدَى الغَضَبْ ما غالبَ الدهرَ فتًى إلا غَلَبْ
كيف أبالى قُبْحَ ما خيّبنى؟ اذا علمتُمْ كيفَ أجملتُ الطلَبْ
اذا آجتهـدتُ لم يَعنِى فعـلُهُ ما لم يَجِبْ، وما قَضَيتُ ما وَجَبْ
يلومنى عـلى الهُـزال راتعٌ يحسَبُ ما أسمنَهُ ممـا آكتسبْ
ومن يَرَأْ[1] مِن بِلّةِ الخِصْبِ دَرَى أنّ الحظوظَ منحـةٌ بلا سَـبَبْ
لله ما أبصـرَنى بزَمَـنِى! لو سَـلِمَ المَجلومُ[2] من عَيْبِ الأزَبْ[3]
جَنباىَ للحَمْـلِ، وجاء لائمـا أملسُ لم يَقْمِص[4] لعضّات القَتَبْ
جرِّبْ كما جرَّبتُ فى النـاس تجِدْ أصدقَ ظنِّك الذى فيهـم كَذَبْ
تستحفِل الضَّرعَ فإن لامستَه عاد بَكِيئًا[5] جلدُه بلا حَلَبْ

---

(١) يَرَأْ: يمتلئْ من الطعام، وفى الأصل: يرا. (٢) المجلوم: المحلوق. (٣) الأزبّ: كثير شعر الوجه والعثنون. (٤) يقمص: يثب. (٥) البكيء: الناقة قل لبنها وفى الأصل "بكيًّا".

إنك ما آستعففتَ أنتَ المُجتَبى — وما ثطفتَ (١) فأنتَ المُجتَنَبْ
نذيرةٌ فلو قبلتَ نُصحَها — تَوقَّ مَن تأمنُ وآهجرْ مَن تُحِبْ
كم من أخٍ ملأتُ كفِّى به — أحسبُ في الوفاء غيرَ ما حسبْ
حَمَلتُه أطوى حياءً عيبَهُ — كما حملت جلديك (٢) الجربْ
وحالياتٍ من جمالٍ ونَسَبْ — نفَّرهُنّ عَطَلى من النشبْ (٣)
بكَرْنَ إشفاقاً يعبنَ مقعدى — على الخمول : ما لهذا لا يثبْ؟
نراه تحتًا ونرى مَنْ تحتَه — في الفضل فوقًا، يالهذا من عجبْ!
أمَا جنَى خيرا له آدابُهُ، — أعاذكُنّ اللهُ من شرّ الأدبْ
هو الذى أنحرنى مشارفَ (٤) الـ — سبق، فأظمَا شفتى على القربْ
لا تغترِرنَ بابن أيوبَ اذا — أعجبَ منه بالصفايا (٥) والنُّخَبْ
فإنه ممّن ترينَ واحدٌ — وليس كلُّ معدنٍ عرقَ الذهبْ
يطلبه قومٌ، وما آجتهادهم — في حلبةٍ مُدركُ رأسٍ بذَنَبْ
أكلُّ من تشجّرتْ نسبتُهُ — صحّ له البطنانِ من خالٍ وأبْ!
وساعدتْهُ يدُهُ ونفسُهُ — بالفضل والبذل فسادَ ووهَبْ
تزحزحوا — فليس من أوطانكم — للأسد الوَرْدِ (٦) عن الغاب الأشِبْ (٧)
ولا يروقنَّكمُ تشادُقٌ — فتحسبون كلَّ مَن قالَ خَطَبْ

---

(١) كذا بالأصل ولعلها : تطفّلتَ . (٢) كذا بالأصل وهو مكسور وفى بعض النسخ ورد هكذا ولعله الصواب

* حزما كما حمّلتَ جلديك الجرَبْ *

(٣) النشب : المال والعقار . (٤) المشارف : الأعالى من الأرض وقد آستعاره هنا للسبق . (٥) الصفايا والنخب جمع صفىّ ونخبة وهما ما يُصطفى ويُنتخب . (٦) الورد : الأحمر الضارب الى الصفرة . (٧) الأشب : الملتف من الشجر .

دَعُوا قنا الأقــلامِ إن نكصتُمُ لحاذقِ الطعنِ اذا شـاء كَتَبْ
من تاركى الســيوفِ وهى زُبَرٌ (١) شــدائدٌ أسرَى بجــزّارِ القَصَبْ
قومٌ اذا نارُ الوغى شبّتْ لهــم كتائبا فَلُّوا شَــباها بالكُتُبْ
إن شووِروا لم يَعجلوا أو سُئلوا لم يَقِــفوا تلفُّتًا الى العُــقُبْ
لا ظَهرُهــمْ لِغيبَةٍ إن ذُكروا يوما، ولا ملحهُــمُ عــلى الرُكَبْ (٢)
وقَصَّ (٣) آثارَهُــمُ محمــدٌ شهادةٌ، إنَّ النجيبَ آبنُ النُّجُبْ
فلا تَزَلْ نوافــذٌ صــوائبٌ يُصمَى بها الحاسدُ أو يَرضَى المحبّْ
ما شُكِرتْ صنيعةٌ أو ظَهَرتْ مودّةٌ خالصــةٌ من الرِّيَبْ
وآختلف النيروزُ والعيــدُ، وما توافقــا فى بُعُــدٍ ولا قُــرُبْ
تأخــذ ما تشاء من حظّيهما مقــترحًا محتكما وتَنْتَصِــبْ
وزائراتٍ (٤) طَيَّبَتْ أعطـافَهـا منــك بذكرٍ لو عَدَاكَ لم تَطِبْ
جَــواريًا مــع الرياح بالذى أوليتَ، أو سَواريًا مع السُّحُبْ
كلُّ فتــاةٍ قــرّ لى شِمَاسُها (٥) وذَلّ فى فودىَّ منهـا ما صَعُبْ
تلقاك نفسا حرّةً من فارسٍ بنتَ الملوكِ، وفمًا من العَــرَبْ
تُرَوَى، فلو أطربَ شئٌ نفسَــهُ لقــد سمعتَ من قوافيها الطرَبْ
أَضحَى وراحَ حاسدى إن قلتُهـا وحاســدوك إن علوتَ فى تَعَبْ

(١) الزبر جمع زُبْرة وهى القطعة الضخمة من الحديد . (٢) يقال: ملحه على ركبتيه أى لا وفاء له وفى الأساس: "فلان ملحه موضوع على ركبتيه" أى هو كثير الخصومات كأن طول مجاثاته ومصاكته للركب قرّح ركبتيه فهو يضــع الملحَ عليهما يداويهما به . (٣) قصّ: آقتفى . (٤) يريد بقوله "وزائرات" قصائده . (٥) الشماس: الامتناع والإباء .

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى طالب بن أيوب أيضا

أَصبتُ لو أَحمدتُ أن أُصيبا ... وفزتُ لو كان الحِجا المطلوبا
وراضَ منّى الدهرُ ظَهرًا لم يكن ... ـلو أنصفَ الحظُّ لهـ مَركوبا
أقسمَ لا ٱزددتُ به فضيلةً ... دهرِىَ إلا زادنى تعذيبا
فكلّما آنستُ منه بأذًى ... بَقّاهُ وٱستأنف لى غريبا
رَميتُ حظّى بوجوهِ حِيَلى ... فلم أُصِبْ ولم أقعْ قريبا
تنزّهٌ يُعابُ أو محاسنٌ ... محسودةٌ محسوبةٌ ذُنوبا
أُنظر الى الأقسام (١) ما تأتى به ... متى أردتَ أن ترى عجيبا
تَجمَعُ بين الماءِ والنارِ يدٌ ... وما جَمعْتَ الرزقَ والأديبا (٢)
ليتَ كفانى الدهرُ مَعْ تخلُّصى ... مكروهَهُ كما كَفَى المحبوبا
أو ليتَ أعدَى خُلُقى جنونُهُ ... فكنتُ لا سَمْحًا ولا لبيبا
يا صاحبَ الزمانِ مغترًّا به ... أنتَ دمٌ فٱحذرْ عليك الذيبا
تبعتُ ألحاظَك من وفائه ... بارقةً صيفيّةً خَلوبا (٣)
سَلْنى به وقِسْ علىَّ معَهُ ... فقد قتلتُ أهلَه تجريبا
بَعدَ عنائى وٱجتهادى كلِّه ... بالأرض حتى وَلَدَتْ نجيبا
جاءت به بعد ٱلتراخى غَلَطًا ... ثم نوتْ من بعدُ أن تتوبا

(١) الأقسام : الحظوظ . (٢) يقول : أن تجمع اليد بين الضدّين الماءِ والنارِ أصعب من الجمع بين الحظ فى الرزق والفهم ، ولعله من قول المتنبى

وما الجمع بين الماء والنار فى يدى ... بأصعبَ من أن أجمع الجدَّ والفهما

(٣) فى الأصل " حلوبا " وهو تحريف .

أبلجَ بسّـامَ العشيّ واضحـا ريّانَ مخضرّ الثرى رطيبا
تصفو المدامُ وتروقُ ما آنمتْ حُسْــنًا الى أخلاقه وطيبا
للجد قومٌ وقليـــلٌ ما هُـــمُ وفى القليـــل تجِـدُ المطلوبا
كالنجم للباعِ المديد بُعْــدُه وللعيون أنْ يُرَى قريبـا
لا تشكُرنّ من فتًى فضيلةً وليس فيهـا مُعْــرِقا نسـيبا
فإنما أَعطَى "آبنَ أيّوبَ" المَدَى فى الشرف آقتفـاؤه "أيّوبا"
يا لابسَ الكمال غيرَ مُعْجَبٍ تركـتَ كلّ لابسٍ سليبـا
إن غادر الشكرُ لسـانًا ناكلا (١) وكان سيفا قبله مذروبا (٢)
فقد عقَــدتَ لَسَنِي (٣) وقُدتنى بالطّــوْلِ فى حبـاله جنيبا (٤)
حَسبتُ أعداد الحصى ولم أُطِقْ عدّ الذى أوليتنى محســوبا
فى كلّ يومٍ شارقٍ معــونةٌ تَبرُدُ حرّ جَوْرِه المشــبوبا
ونعمةٌ تســير فى نُضوحها خَرْقَ (٥) الجديب فيُرَى خصيبـا
يُخجلنى آستقبالُها فتحسَبُ الـ ـمينَ آبتسامى نحوَها قُطوبا
لو شئتُ لأسترحتُ من أثقالها إن كنتُ من مَكرُمةٍ متعوبا
كنتُ أخًا ، فلم تزل تَسبُغنى باللّطفِ حــتى خِلتُنى حبيبا
فإن قضَى الثناءُ حقّ نعمةٍ أو كاد أن يقضيَها تقريبا
وأقنعَ الميســورُ فاحبسْ شُرّدًا تَسألُ عنهـا الشمألُ الجنوبا
يَعلَقُ بالعِـرضِ الكريمِ نَشرُها وهى به طائرةٌ هُبــوبا

---

(١) ناكلا : ناكصا . (٢) المذروب : المحدود . (٣) اللدن : الفصاحة . (٤) الجنيب : يقال جنبه أى قاده الى جنبه فهو جنيب . (٥) الخرق : القفر .

اذا بنيتُ البيتَ منها ودّتِ الـ ـأسماعُ لو كانت له طُنُـوبا (١)

يَخْـلُدُ مسموعا ويُغني كلّما عَوَّضتَ مُهْدًى عنه أو موهوبا

عُدَّ السنينَ صومَها وفِطرَها تُحْفَ مَقْـروءا به مكتوبا

(١٥)

* * *

وقال وكتب بها الى مؤيّد السلطان أبى القاسم بن الأوحد ذى السياستين أبى محمد آبن مُكْرَم ، يشكره على ملاطفةٍ جميلةٍ لاطفه بها ، ودنانيرَ حملها اليه سنيّةٍ ، وجوابٍ أجاب به عن كتبه ، يشكر منالَه ويصف فيها السفينةَ ، وقبيحَ وساطةِ غلامٍ أُنفذت الهديّةُ على يده ، وتعرُّضَه لها وآستبدادَه ببعضها ، ويذمُّ الغلامَ ويسأل الغرامة ، وأنفذها فى صفر سنة تسع وأربعمائة

سَلَا دارَ البخيلةِ "بالجنابِ" (٢) متى عَرِيَتْ رُباكِ من القِبابِ ؟

وكيفَ تشعّبَ الأظعانُ صبحا بدائدَ (٣) بين وُهْدِكِ (٤) والشِّعابِ ؟

بطالعـةِ (٥) الهلالِ على "ضُمَيْرٍ" (٦) وغاربةٍ كمنقضِّ الشِّهابِ

حَمَلْنَ رشائقًا ومبـدّناتٍ رماحَ الخَطِّ تنبُتُ فى الرَّوابى

وأين رضاكِ عن سُقيًا دموعى ربوعَكِ من رضاكِ عن السحابِ

بكيتُكِ للفـراقِ ونحنُ سَـفْرٌ (٧) وعُـدْتُ اليومَ أبكى الإيابِ

وأمسحُ فيكِ أحشائى بكفٍّ قريبٍ عهدُها بحشا "الرَّبابِ"

لها أَرَجٌ بمـا أبقاه فيهـا الـ ـتصافحُ بعدُ من ريحِ الخضابِ

أمفصِحةٌ فأطمعَ فى جوابٍ وكيفَ يُجيبُ رَسْمٌ فى كتابِ ؟

(١) الطنوب جمع طنب بضم الطاء والنون وهو الحبل يشدّ به سرادق البيت . (٢) الجناب : اسم واد . (٣) بدائد : متفرقة . (٤) الوُهْد جمع وَهْدٍ وهو ما آنخفض من الأرض . (٥) فى الأصل : "بطالعه" وهو تحريف . (٦) ضمير : اسم بلدة . (٧) السفر : جماعة المسافرين .

نَحَلتِ ففى ترابِك منـك رَسمٌ كما أنى خَيالٌ فى ثيـابِى
وفى الأحداج مُتعبـةُ المَطَايَا تُلِينُ عرائكَ الإبلِ الصِّعابِ
بَعيـدَةُ مَسقِطِ القُرطينِ تُقرا خُطوطُ ذؤابَتَيها فى الترابِ
تجمَّع فى الأسـاورِ مِعصماها ويَقلَقُ خصرُها لكَ فى الحِقَابِ
تَعيبُ على الوفاءِ نحولَ جسمى ، ألا بالغـــدرِ أجدرُ أن تُعابِى !
وما بِكِ أن نَحَلتُ سوى نُصولٍ من السنواتِ أسرعَ فى خِضابى
جزِعت له كأنَّ الشَّيبَ منـه يَسُلُّ عليـكِ نَصْلًا من قِرابِ
فما ذنبى اذا وقعتْ عُقـابٌ من الأيّام طار لها غرابى ؟
وقد كنتُ الحبيبَ وذا نحولى وهـــذا فى العريكة حدُّ نابى
ليالىَ لِى من الحاجاتِ حُكمِى وليس وسيلةٌ بسوى شبابى

* * *

ألا لله قلبُـــكَ من حَمولٍ على عِلاَّتِ وَصْـلٍ واجتنابِ
وحبُّـكَ من وَفِىِّ العـهدِ باقٍ على بُعْـــدٍ يُحيـلُ أو اقترابِ
هوًى لكَ فى جبالِ "أبانَ" ثاوٍ وأنتَ على جبالِ (١) "عُمانَ" صابى
وكان المجدُ أعودَ حين يَهوِى عليـكَ من المهفهَفة الكَعابِ
وإن وراء بحرِ "عُمانَ" مُلْكًا رطيبَ الظلِّ فَضفاضَ الرِّحابِ
رقيـقٌ عيشُـــهُ عَطِرٌ ثراهُ بِطُرَّاقِ الفضائلِ غـــيرُ نابى
متى تنزِلْ به تنزِلْ بوادٍ من المعروفِ مَرعِىِّ الجنابِ
يدبّره من الأمراءِ خِرقٌ (٢) يَذِلُّ لعـــزّه غُلْبُ (٣) الرِّقابِ

(١) كلمتا "جبال" الواردتان فى هذا البيت وردتا فى الأصل "حبال" ، وأبان : اسم جبل ، وعمان : بلد باليمن . (٢) الخِرقُ : السخىّ والفتى الحسن الكريم الخليقة . (٣) الغلب جمع أغلب وهو الذى غلظت عنقه .

وَفَى ذُو المجدِ سَبَّاقًا فوافَى ... يحلِّق عُرْفُه والنجمُ كابِى
وقامَ بنفسِه يسعَى ففاقَتْ ... غريزةُ نفسِه شَرَفَ النِّصابِ (١)
وبانَ به لعينِ أبيهِ بَوْنٌ ... أراه الشِّبلَ أغلبَ ليثَ غابِ
على زَمَنِ الحَداثةِ لم يُفتْــهُ ... تقــدُّمُ شِيبِهم قَدَمَ الشَّبابِ
سَمَا لمكانهم وهُمُ شموسٌ ... فطال الطودُ أعناقَ الهِضابِ
وسيِّدُ قومِهِ من سوّدوه ... بلا عَصَبيّةٍ وبلا مُحابِى
وقُدّم بالفِراسةِ وهو طِفلٌ ... تُحلَّلُ عنه أنشِطةُ (٢) السِّخابِ (٣)
وما تَرْكُ الشريفِ على بنيه ... وهم منه، تَجاوُزَهُ بعابِ
وإن كان الفتى لأبيه فَرْعًا ... فإن الغيثَ فَرْعٌ للسحابِ
بَلَوْهُ وجرَّبوا يوميه نُعمَى ... وبأسًا فى السكينةِ والوِثابِ
فما ظَهَروا مُخاطَبةً بوانٍ ... وما ظَفِروا مُضارَبةً بنابِى
ولا عدِموا به لَسَنًا (٤) وقَطْعًا ... عمائقَ فى الإصابة والصوابِ
لذلك جاوروا بالبحرِ بحرًا ... كِلا كِرميهما طاغى العُبابِ
يقول لِىَ الغنَى ورأى قُعودى ... عن السعى المموِّلِ والطِّلابِ
وعفّــةَ مذهبى ظَلِفًا (٥) ومَيْلِى ... الى العيشِ المُرمَّقِ (٦) وانصبابى :
أرى لك فىَّ لو خاطرتَ مَرْعَى ... يبدِّلُ صحّــةً أُهُبَ (٧) الجِرابِ
أما لكَ فى بحارِ "عمانَ" مالٌ ... يسُدُّ مَفاقِرَ الحاجِ الصِّعابِ ؟
ومَولًى يوسعُ الحُرُماتِ رَعْيًا ... ويَعمُرُ دارسَ الأملِ الخرابِ

(١) النصاب : الأصل . (٢) أنشطة : يريد بها جمع أنشوطة وهى عقدة يسهل حلّها مثل عقدة التكة . (٣) السخاب بوزن كتاب : قلادة من سُكّ وقرنفل ومحاب بلا جوهر، والسُّكّ : طيب يعجن و يقرّص و يترك يومين ثم يثقب بمسلة و ينظم فى خيط قنّب وكلما عتق طابت رائحته . (٤) اللَّسَن : البيان . (٥) الظَّلَف : النزه (٦) المرمّق : الذى يُتَبلَّغ به (٧) أهب جمع إهاب والجراب جمع أجرب .

لعلَّ "مؤيَّدَ السلطانِ" تحنو عواطفُ فضله بعدَ اجتناب

قفلتُ ودونه متــلاطماتٌ زَواخرهنَّ كالأُسْدِ الغضابِ

صَواعدُ كالجبال اذا أحسَّتْ نسيماً، أو نوازلُ كالجَوابي (١)

وأخضرُ لا يروق العينَ يُطوَى علـى بيضاءَ سوداءِ الإهابِ (٢)

تجـاذبه الأزمّةُ من حديدٍ فَيَقمِصُ أو يُقَطَّرُ في الجذابِ (٣)

اذا خُوصُ الرِّكاب شكونَ ظمأً (٤) شكى رُكبانُهـا شَرَقَ الرِّكابِ

يروعُ حُـداءُ أحبُشِها النَّواتِي (٥) اذا شاقتــك حاديةُ العِرابِ (٦)

اذا عثَرتْ فليس تُقالُ ذنبا وإنصدَعتْ فليستْ لانشعاب

ولستُ بسابحٍ فأقولُ : أنجـو عسى إن ظهــرُها يوما كَبَا بى

اذا حَلَمَتْ بها فى النوم عينى طفقتُ أجُسُّ هل رَطِبتْ ثيابى ؟

ومالى والخِطارَ وقـــد سَقَتْنى سماءُ يديهِ من غـيرِ اغـتراب

وجاءتنى مَواهبُــهُ بعيـــدا بأفضـلِ ما يجىءُ مع اقتراب

رغائبُ من يديه فاجأتنى وَفَيْنَ رِضًا بآمالِ الرِّغابِ

وزِدنَ على حساب مُناىَ لكن "وِشَاحٌ" (٧) لم يكُن لى فى حِسابى

نَدَى وَصَلَ السماحَ به ولكن تولَّى عنــه حاجبُه حِجابى

أمرتَ بها (٨) كعِرضك لم يُدنَّسْ بلا غِشٍّ يشوبُ ولا ارتياب

من الذهب الصريح فصار ممّا يُبَـــدَّلُ فى يديه الى الذَّهابِ

---

(١) الجوابى جمع جابية وهى الحوض الضخم . (٢) يصف بقوله "وأخضر" البحر وبقوله "بيضاء سوداء الإهاب" سفينة مطليّة الجرم بالجير والقار . (٣) يقطّر: يُلقَى على قُطره أى جانبه . (٤) خوص جمع خوصاء وهى التى غارت عينها . (٥) النواتى : جمع نوتىّ وهو ملّاح السفينة . (٦) العراب : الإبل المنسوبة للعرب ، وفى الأصل "الغراب" . (٧) وشاح : اسم غلام الأمير الذى ناوأ الشاعر على جوائزه . (٨) يريد بقوله "أمرت بها" الصلة أو الجائزة .

وقاسَمَنِى مُناصَفةً عليه ... وجاحَدَنى ليحبسه كتابى (١)

وقال ولم يهبكَ ولم يَصُنِّى : ... كذلكَ فيكَ منذُ سنينَ دابى

اذا حُمِّلتُ رِفْدا أو كتابًا ... اليكَ لواه نَهْبِى وٱغتصابى

مَكارمُ سقتَهنّ الى محبٍّ ... ففاز بها مُغيرٌ لم يُحابِ

بعثتَ بها الخئون، فضاع سِرْبٌ ... أمِنتَ عليه غائرةَ الذئاب

ولولا أنّ خدمتَه وَقَتْهُ ... وحُرمةَ عزِّ بابك والجناب

لَمَا سَلِمَ البعوضُ على عُقاب ... ولا عُضَّ الهِزَبْرُ بشرِّ ناب

أَدَلَّ بكم فالْحَمَنِى، وكانت ... نواحيه ما كلّ للسِّباب

بِجَلَّ عن الهجاء بذاك عندى ... وقلَّ بما أتاه عن العتاب

سُلِبْتُ نداك فى ناديك ظلمًا ... بغارةِ صاحبٍ لك فى الصحاب

ثلاثَ سنينَ حَوْلا بعدَ حَوْلٍ ... بكفِّ "وِشاحَ" مُقتَسَمٌ نِهابى

وأنتَ خفيرُ مالِكَ أو يؤدّى ... الىَّ ولو بمنقطِعِ التراب

اذا أنصفْتَنى فعليك دَيْنًا ... غَرامةُ ما تجمَّعَ فى الحساب

أعِدْ نظرًا فكم أغنيتَ فقرًا ... به وجَبَرتَ كَسْرًا من مُصاب

وكم نوديتَ يا بحرَ العطايا ... فجاء البحرُ بالعجبِ العُجاب

وَفَتْ فيك المنى وقَضَتْ نُذُورى ... فوفَّ عُلاكَ حقّى تُرْضِها بى

وفى يدك الغنى فابعث أمينا ... الىّ به وصيِّرهُ جوابى

ولا تُحوِجْ ظَماىَ الى قَلِيبٍ ... سواكَ على مُقامى وٱنقلابى

أُذكِّرك الذى ما كنتَ تنسَى ... سُفورى تحت ظلّك وٱنتقابى

وإنى إن بلغتُ النجمَ يومًا ... لكان الى صنيعتك ٱنتسابى

(١) يريد وجاحدنى كتابى ليحبس عنى الذهب.

***

وقال فى معنًى عَرَضَ له

مَنْ بِسَلْعٍ مُطْلِــعٌ لى ... قمــرا طال مَغيبُــهْ ؟

وأصــيلا بالحِمَى نُغْـ ... ـصَ بالعاذل طِيبُــهْ

كلُّ شيءٍ حَسَنٍ حا ... شاك فالعين تُصيبُهْ (١)

عنَّفوا القلبَ على قا ... تِلِه وهو حبيبُـــهْ

كلُّ جُرْمٍ لك إلا الـ ... ـغدْرَ (٢) فالقلب وَهُوبُهْ

وأقلُّ الناس ذَنْبًـا ... قادرٌ عُدَّتْ ذنوبُهْ

***

وقال وقد أوجب عليه بعض الرؤساء المشهورين وهو أبو الحسين أحمد بن عبدالله الكاتب رحمه الله حقًّا أكّده بقصده إيّاه فى علّةٍ نالته، عائدا عِدّةَ دفعاتٍ من غير أن يكون سَبَق اليه بمعرفةٍ، ولاجرى بينهما لقاءٌ إلا بالذِّكر والصفة من الأستاذ أبى الحسَن المختار بن عبد الله الذهبىّ ، وواصَلَ تفقُّدَه تبرُّعا وآبتـداءً ما يوجب الشكر و يُعرَف مثلُه من أمثاله فى هـذا الوقت ، وكتب بها اليه يشكره و يعتمد بفعله، وأنفـذها فى رجب سنة آثنتى عشرة وأربعمائة

هَوًى لى،وأهواءُ النفوسِ ضُروبُ ... تَجانَبُ "قُوسَى" (٣) أن تُهبَّ جَنوبُ

يدُلُّ عليهـا الريفُ أين مكانُهُ ... ويُخبِرها بالمُــزْنِ كيفَ يصوبُ

---

(١) ورد هذا البيت كما هو فى النسخة المطبوعة ، وورد فى الأصل هكذا

كلّ شىء حسن ... فى العين تصيبه

وهو مختل وزنا ومعنى ، ولو حافظنا على الأصل لعله يكون هكذا

كل شىء حسنٍ فى الـ ... ـعين فالعين تصيبه

(٢) فى الأصل : "العزر" . (٣) قوسى : اسم بلدة ، ومعنى البيت : أن هواه على آختلاف أهواء النفوس فى أن يجانب "قوسى" وهى البلدة التى بها محبوبه مخافة أن تهبّ عليها ريح الجنوب وهى ريح حارة تخالف الشمال ، وقد كنى بها عن زفراته فى حرّها .

وتمشى على روضِ الحِمَى ثم نلتقى | فيبلغُنى منها الغداةَ هبوبُ
أمانِى بعيدٍ لو رآها لسرَّها | مكانَ الحيا من مقلتيه غُروبُ
ودمعٍ إذا غالطتُ عنه تشاهدَتْ | قوارفُ فى خدّى له وندُوبُ
علَى أنّ ذِكْرا لا تزال سهامُهُ | ترى مَقتَلا من مهجتى فتُصيبُ
إذا قيل "مَىٌّ" لم يَرُعْنِى بحلمه | حياءٌ، ولم يحبِسْ بكاىَ رقيبُ
أُعِيرُ المنادى باسمها السمعَ كلّه | على علمه أنى بذاك مريبُ
وكم لِىَ فى ليل الحِمَى من إصاخةٍ | الى خَبَرِ الأحلامِ وهو كذوبُ
توقَّرُ منها ثم تسفَهُ أضلعى | ويجمُدُ فيها الدمعُ ثم يذوبُ
وما حبُّ "مىٍّ" غيرُ بُرْدٍ طويتُهُ | على الكُرهِ طىَّ الرَّثِّ(١) وهو قشيبُ(٢)
رأتْ شَعَراتٍ غَيَّرَ البينُ لونَها | فامست بما تُطريه أمسِ تعيبُ
أساءكِ أن قالوا: أخٌ لكِ شائبٌ؟ | فأسوأُ منه أن يُقالَ: خَضيبُ
ومن عجبٍ أنَّ البياضَ ولونَه | اليكِ بغيضٌ وهو منكِ حبيبُ!
أحِينَ عسا(٣) غُصْنى طرحت حبائلى | الىَّ، فهلّا ذاك وهو رطيبُ؟
تُظَنِّينَهُ من كَبْرةٍ فرطَ ما انحنَى | كأنْ ليس فى هذا الزمان خُطوبُ!
فعُدِّى(٤) سِنِيه، إنما العهدُ بالصِّبا | وإن خانه صِبغُ العِذارِ قريبُ
وفى خَطَلِ(٥) الرمح انحناءٌ، وإنما | تُعَدُّ أنابيبٌ له وكعوبُ
همومِىَ من قبل اكتهالى تَكَهُّلٌ | وغدرُكِ من قبل المَشيبِ مَشيبُ
وما كان وجهٌ يوقِدُ الهمُّ تحته | لتُنكِرَ فيه شَيبةٌ وشُحوبُ(٦)
لو انَّ دَمِى حالتْ صَبيغةُ لونِهِ | مُبيَّضَةً ما قلتُ: ذاك عجيبُ!

---

(١) الرث: البالى. (٢) القشيب: الجديد. (٣) عسا: كبر. (٤) فى الأصل: "تعدّى" وهو تحريف. (٥) الخطل: الاضطراب. (٦) الشحوب: تغيّر اللون.

ألم تعلمى أنَّ الليـالى جحافلٌ ... وأنَّ مُداراةَ الزمانِ حروبُ ؟

وأنَّ النفوسَ العـارفاتِ بليّـةٌ ... وحمـلَ السجايا العالياتِ لُغوبُ (١)

يُسيغ الفتى أيامَهُ وهو جاهلٌ ... ويغتصُّ بالساعاتِ وهو لبيبُ

وبعضُ مَوَدّاتِ الرجالِ عقاربٌ ... لها تحت ظلماء العُقوقِ دبيبُ

تواصَوا على حبِّ النفاقِ، ودِينُهُ ... بأنْ يتنـافَقَ مَشْهـدٌ ومَغيبُ

فـا أكثرَ الإخوانَ بل ما أقلَّهم ... على نائباتِ الدهرِ حين تنوبُ !

وقبلَ ٱبنِ عبـدِ الله ماخلتُ أنه ... يُرَى فى بنى الدنيا الوَلودِ نجيبُ

ألا إن بانى المجـدِ يَخلُصُ طِينُهُ ... وكلّ الذى فوق التراب مَشوبُ

سقى الله نفسا مذ رعت قُلّةَ العُلا ... فكلُّ مَراعيهـا أعمُّ خصيبُ

وحَيّا على رغم الغـزالةِ غُرّةً ... إذا طلعتْ لم تَدْجُ حـين تغيبُ

وحصَّنَ صدرا قلبُ ""أحمدَ"" تحته ... يضيق ذراعُ الدهرِ وهو رحيبُ

من القوم يسّامون والجوُّ عابسٌ ... وراضون واليومُ الأصمّ (٢) غضوبُ

رأوا بابنهم ليثَ الشرى وهو ساربٌ ... لحاجتـه، والبحرَ وهو وهوبُ

فتًى سوّدته نفسُـهُ قبـل خَطّه (٣) ... وشابت عُلاه وهو بَعْـدُ ربيبُ

وقدّمه ــ أن يعلَقَ الناسُ عَقْبَهُ ــ ... سماحٌ مع الريح العَصوفِ ذَهوبُ

ورأىٌ على ظَهر العواقبِ طالعٌ ... إذا أخطأ المقـدارُ فهو مصيبُ

إذا ظنَّ أمرًا فاليقـينُ وراءه ... ويصدُق ظنٌّ تارةً ويحوبُ (٤)

وخُلْقٌ كريمٌ لم يَرُضْـهُ مؤدّبٌ ... تمطّقَ (٥) فُوه الشّـذَى وهو أديبُ

---

(١) فى الاصل : ""الغالبات"" . (٢) اليوم الأصمّ : العصيب الشديد . (٣) قوله : "" قبل خطّه"" أى قبل نبت عذاره من قولهم : خَطَّ الغلامُ إذا نبت عذاره . (٤) يحوب : يأثم . (٥) تمطّق : تذوّق .

تحمّلَ أعباءَ الرياسةِ ناهضا ... بها قاعدا والحادثاتُ وُثوبُ
وصاحتْ به الجُلّى لسدّ فُروجها ... فأقدمَ فيها والزمانُ هَيوبُ
وكم عَجَمتْهُ النائباتُ فردّها ... رِدادًا وعاد النَّبْعُ(١) وهو صليبُ
هناك اتفاقُ الناسِ أنك واحدٌ ... إذا كان للبدر المنير ضريبُ
وأعجبُ ما في الجودِ أنك سالبٌ ... به كلَّ ذي فضل وأنتَ سَليبُ !
أأنسى لك النُّعمى التي تركتْ فمي ... يُصَعِّدُ يبغي شُكرَها ويَصوبُ ؟
ملكتَ فؤادي عند أوّل نظرةٍ ... كما صاد عُذريًّا(٢) أغنُّ ربيبُ
وكنتُ أخاف البابليَّ وسحرَه ... ولم أدرِ أن الواسطيَّ(٣) خَلوبُ
وغنّاك أقوامٌ بوصفِ مَناقبي ... فرنَّحَ نَشوانٌ وحنَّ طروبُ
رفعتَ منارَ الفخرِ لي بزيارةٍ ... وَسَمْتَ بها مَغْنايَ وهو جديبُ
وكنتَ لداءٍ جئتني منه عائدا ... شفاءً، وبعضُ العائدين طبيبُ
وأنهلتَني من خُلْقك العذبِ شَربةً ... حَلَتْ لي، وما كلُّ الدواء يطيبُ
ولما جلا لي حُسنَ وجهك بِشرُهُ ... تبيّنَ في وجه السَّقام قُطوبُ
أجبتَ وقد ناديتُ غيرَك شاكيا ... وذو المجد يُدعَى غيرُهُ فيُجيبُ
فَطِنتَ لها أُكرومةً(٤) نام غَفْلَةً ... من الناس عنها مائقٌ وأريبُ
ذهبتَ بها في الفضل ذكرًا بصوته ... سبقتَ، فلم يقدر عليك طَلوبُ
لئن كان في قَسْم المكارم شَطرُها ... فللدِّين فيها والولاءِ نصيبُ
وإن أكُ من "كِسْرى" وأنت لغيره ... فإني في حبّ "الوصيّ" نسيبُ
ستعلمُ أنّ الصُّنع ليس بضائعٍ ... عليّ، ولا الغرسَ الزكيَّ يخيبُ

---

(١) النبع: شجر تعمل منه القسيّ والسهام. (٢) عذريًّا: رجلا من بني عُذرة وهم قوم مشهورون بالعشق. (٣) البابليّ والواسطيّ نسبة الى بابل و واسط. (٤) الأكرومة: فعل الكرم.

وتحمَـدُ منّى ما سـعيتَ لكسبِه — وما كلّ ساعٍ فى العَلاء كسوبُ
ومهما يُثْنِك الشـعرُ شكرا مخلّدا — عليها، فإنّ الله قبلُ يُثيبُ
وتَسمعُ فى نادى النّدى أىَّ فِقْرةٍ[1] — يقوم بهـا فى الوافدين خطيبُ
متى آمتدّ بى عُمْرٌ وطالت مودّةٌ — فربعك حُسنٌ من ثَناىَ وطِيبُ
ودونك منى ضَيغمٌ، فُوهُ فاغِرٌ[2] — متى ما دنا من سَرْحِ عِرضك ذيبُ
محاسنُ قومٍ وَسمةٌ فى جباههـم — ولى حسـناتٌ سِرُّهن غُيوبُ
وما الحُسنُ ما تُثنِى به العينُ وحدَها — ولكنّ ما تُثنِى عليـه قلوبُ
لقد عَقَلَتْ دنياك مذ قيِّضْتَ لى — وراح عليها الحِـلمُ وهو غريبُ
أظنُّ زمانى إن زجرتَ صروفَه — سـيرجع عمّـا ساءنى ويتوبُ
تخاتِلنى الأخبارُ ـ أخلبَ برقُها ـ — بأنك يا بـدرَ الـكمال تغيبُ
فأمسكُ قبلَ البين أحشاءَ مُوجَعٍ — لهـا بين أثناء الحـذار وجيبُ
بأىّ فؤادٍ أحمل البعدَ، والهوى — جديدٌ، وذا وجدى وأنتَ قريبُ
فلا تصـدَع الأيّامُ شملَ محاسنٍ — تُسـافر مصحوبا بهـا وتؤوبُ
ولا تعـدَم الدنيا بقاءَك وحدَه — فإنك فى هذا الزمانِ غريبُ

* * *

وقال يمدح سيّد الوزراء مؤيّدَ الملك أبا علىٍّ الرُّخّجىَّ، و يشكر إنعامَه فى تقديمـه وإكرامِه، وتطوّلَه فى تحسين وصفه وتقريظه، ويعتدّ لإحسانه بعادات مُواصِـلة فى القول والفـعل، عَقيبَ تقلّدِهِ الوزارةَ بعـد آمتناعِه من الدخول فيها، ومدافعتِه بالتلبّس بها، وذَكَرَ ذلك فى القصيدة وماظهر من آثاره فى النظر، بعد نكول من سبقَ من الوزراء، وأنشدها بحضرته فى الدار بباب الشعير .

(١) الفقرة : أجود بيت فى القصيدة . (٢) فاغر : مفتوح .

إذا عمّ "صحراءَ الغُمَيرِ" جُدوبها ... كفى دار "هند" أنّ جفني يصوبها

وقفتُ بها والطَّرفُ ـ مما توحّشتْ ـ ... طريدُ رباها ، والفؤادُ جَذيبُها

وقد دَرَسَتْ ، إلا نَشايا(1) عواصفٌ ... من الريح لم يَفطُنْ لهنّ هُبوبُها

خليليَّ ، هذى دار أنسي ، وربما ... يَبِينُ بمشهودِ الأمور غُيوبُها

قِفَا نتطوّعْ للوفاء بوقفةٍ ... لعلّ المُجازِى بالوفاء يُثيبُها

فلا دارَ إلا أدمعٌ ووكيفُها ... ولا "هندَ" إلا أضلعٌ ووَجيبُها

وعَيَّرتُماني زفرةً خَفَّ وَقدُها ... مَلِيًّا ، وعينًا أمسِ جفّتْ غُروبُها

فإن تك نفسي أمسِ في سلوةٍ جَنَتْ ... فقد رجع اليومَ الهوى يَستتيبُها

وإن يُفنِ يومُ البين جُمّةَ أدمعي ... فعند جُفوني للديار نصيبُها

تكلِّفني "هندٌ" ـ إذا التحتُّ(2) ظامئًا ـ ... أمانيَّ لم تُنْهَزْ لِرِيٍّ ذَنوبُها(3)

وأطلبُ أقصَى ودّها أن أنالَه ... غِلابًا ، وقد أعيي الرجالَ غَلوبُها

بمنعطف الجزعَين لَمْياءُ لو دَعَتْ ... "بمدينَ" رُهبانًا صَبَتْ وصليبُها

إذا نهض الجاراتُ أبطأَ دِعصُها(4) ... بنهضتها ، حتى يخفَّ قضيبُها

تَبسَّمُ عن بِيضٍ صوادعَ في الدجى ... رِقاقٍ ثناياها ، عِذابٍ غُروبُها

إذا عادتِ المسواكَ كان تحيّةً(5) ... كأنّ الذى مسّ المساويكَ طِيبُها

وكم دون "هند" رُضتُ من ظَهرِ ليلةٍ ... أشدَّ من الأخطارِ فيها ركوبُها

فنادمتُها والخوفَ ، تُروِي عظامَها الـ ... ـمدامُ ، ويَروَى بالبكاء شَريبُها

(1) نشايا جمع نشيّة وهى الرائحة . (2) التحتُ : عطشتُ . (3) الذَّنوب : الدلو .

(4) الدعص : قطعة من الرمل مستديرة . (5) يشير الشاعر هنا الى عادة من عادات العرب في أعيادهم وهى أنهم كانوا اذا حيّوا يقدّمون الريحان تحيّةً وكان ذلك في يوم من أيامهم اسمه "يوم السباسب" وفيه يقول النابغة :

رقاقُ النعال طيّب حجزاتهم ... يحيّون بالريحان يومَ السباسبِ

فيكون معنى بيت مهيار : أنها اذا استاكت فسواكها يكون ريحانة يحيّى بها لما ناله من نكهتها .

إذا شربتْ كأسا سَقَتْنى بمثلها من الدمع، حتى غاض دمعى وكُوبُها (١)
حَمَى اللهُ بالوادى وجوها كواسيا إذا أوجهٌ لم يُكْسَ حُسْنا سَليبُها
بَوادىَ وَدَّ الحاضرون لو آنها مَواقِـعُ ما أَلقتْ عليه طُنوبُها
إذا وصَفَ الحُسْنَ البياضُ تطلّعَتْ سَوَاهِمُ (٢) يُفْـدَى بالبياضِ شُحوبُها
ولله نفسٌ، مِن نُهـاها عذولُها ومِن صَونِها ـ يومَ المُذَيْبِ ـ رقيبُها
لكلِّ محبٍّ يومَ يظفَرُ رِيبةٌ، فَسَلْ خَلَواتى: هل رأت ما يريبُها ؟
إذا آختلطت لذّاتُ حُبٍّ بعاره فأنعمُها عنـدى الذى لا أُصيبُها
وسـاء الغوانى اليومَ إخلاقُ لِمَّتى (٣) فهـل كان ممّا سَرَّهنّ قشيبُها ؟
سواءٌ عليها كَثُّها (٤) ونَسيلُها (٥) وناصلُها (٦) من عِفَّـتى وخضيبُها
وتعجَبُ أن حُصّتْ (٧) قوادمُ مَفرِقى (٨) وأَكثرُ أفعـالِ الزمانِ عجيبُها !
ومن لم تغـيِّره الليـالى بعـدّه طِوالَ سِنِيهـا غـيَّرته خُطوبُها
إذا سُلَّ سيفُ الدهرِ والمرءُ حاسرٌ (٩) فأهون ما يَلْقَى (١٠) الرءوسَ مَشيبُها
يعـدِّد أقـوامٌ ذُنوبَ زمانهم فمن لى بأيّامٍ تُعَـدُّ ذُنوبُها
يقولون: دارِ الناسَ تَرْطُبْ أكفُّهم ومَنْ ذا يدارِى صخـرةً ويُذيبُها ؟
وما أطمَعَتْنى أوجهٌ بآبتسـامها فيُؤْيِسَـنى ممّـا لديها قُطوبُها
وفى الأرض أوراقُ الغنى لو جَذبتُها لَرَفَّ على أيدى النوال رطيبُها
إذا إِبِلِى أمستْ تُماطَلُ رَعْيَها فهـل يَنفعَنِّى من بلادٍ خَصيبُها ؟

(١) الكوبُ: كوز لا عروة له. (٢) سواهم: متغيرات. (٣) اللمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن. (٤) الكث: كثرة شعر اللحية. (٥) النسيل: ما يسقط من الشعر والريش. (٦) الناصل: الخارج من الخضاب. (٧) فى الأصل "خصّت" وهو تحريف، وحُصّتْ من قولهم: رجلٌ أحصّ أى قليل شعر الرأس. (٨) المفرق: وسط الرأس وهو الذى يفرق فيه الشعر. (٩) الحاسر: من لا مغفر له ولا درع أو لا جُنّة له. (١٠) فى الأصل "تلق".

عَذيرِىَ من باغٍ يودّ لنفسِـــهِ ... نزاهــةَ أخلاقٍ، ويُمسِى يَعيبُهـا
إذا قَصَّرتْ عنِّى خُطاه أَدَبَّ لى ... عقاربَ كيدٍ غيرُ جِلْدى نَسيبُهـا
ومِن أَمَلِى فى سـيِّد الوزراء لى ... مطاعمُ يُغْنِى عن سواها كَسوبُهـا
إذا ما حَمَى مـؤيَّدُ المُلْكِ حَوزَةً ... من الصُّمِّ لم يقـدِرْ عليها طَلوبُهـا
علىَّ ضَوافٍ من سوالفِ طَوْلِهِ ... يجرِّرُ أذيالَ السـحابِ سَحوبُهـا (١)
وعَذراءَ عنـدى من نداهُ وثَيِّبٍ ... إذا جُلِيَتْ زانَ العُـقودَ تَريبُهـا (٢)
عوارفُ تأتى هــذه إِثْرَ هـــذه ... كما رافدَتْ أعلَى القنـاةِ كُعوبُهـا
إذا عُدِّدَ المجــدُ انبرَيْنَ فوائتـا ... عُقودَ البنانِ، أَن يَعُـدَّ حسيبُهـا
حلفتُ بمُسْتَنِّ البطاحِ وما حَوَتْ ... أسابيعُها (٣) من مَنْسَـكٍ وحَصيبُهـا
وبالبُـدْنِ (٤) مُهداةً، تُقادُ رقابُهـا ... مُوَقَّفَــةً (٥)، أو واجباتٍ (٦) جُنوبُهـا
لقام الى الدنيا، فقام بأمرِهـا ... — على فترة — جَلْدُ الحصا وصليبُها
وغَيْرانُ لا يُرضيه إصلاحُ جسمه ... بدارٍ إذا كان الفسـادُ يشوبُهـا
وقَاها من الأطماعِ حتى لو آنه ... جرى الدَّمُ فوقَ الأرضِ ما شَمَّ ذيبُها
ومدّ عليهـا حاميًا يَدَ مُشْــبِلٍ (٧) ... له عصــبةٌ بعــدَ النذيرِ وُثوبُها
يَذُدُّ كلَّ ريحٍ تَمترِى ماءَ مُزْنِهـا ... فمـا ضرّها ألّا تَهُبَّ جَنوبُهـا
أرى شِبهَهُ الأيّامَ عادتْ بصـيرةً ... ومُذنِبَهـا قد جاءَ وهو مُنيبُهـا
وذلّتْ فأعطاها يَدَ الصفحِ ماجدٌ ... إذا سِــيلَ (٨) تَرّاكُ الذُّحولِ (٩) وَهُوبُها

---

(١) فى الأصل ''مُحُوبها'' وهو تحريف. (٢) يريد بالتريب: الترائب وهى عظام الصدر.

(٣) الأسابيع: يريد أسابيع أشهر الحج. (٤) البدن جمع بَدَنة وهى من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تُهدَى الى مكة. (٥) فى الأصل: ''موفقة'' وهو تحريف. (٦) واجبات: ساقطات، وفى القرآن الكريم: (فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا). (٧) فى الاصل: ''مسبل'' وهو تحريف، والمشبل: ذو الأشبال وهى أجراء الأسد. (٨) سيل: سُئِلَ. (٩) الذحول جمع ذَحْل وهو الثأر أو العداوة والحقد.

لكَ اللهُ راعى دولةٍ رِيعَ سَرْحُها ... وراح أمام الطاردين عَزِيبُها (١)

طوتْ حُسنَها والماءُ تحت شفاهها ... غِراَثا، وأدنى الأرض منها عَشيبُها

إذا ما تراغت (٢) تقتضى نصرَ ربِّها ... فليس سوى أصدائها ما يُجيبُها

وقد غَلَب الطّالبينَ عَرُّ (٣) جلودها ... وفاتت أكفَّ المُلحمينَ نُقُوبُها (٤)

لها كلّ يومٍ ناشدٌ غير واحدٍ ... تَقَفّى المُنَى آثارَها فيُخيبُها

ومُطّالعٌ يَفْلِي (٥) طريقَ خلاصها ... فيعمَى عليه سهلُها وحَزيبُها (٦)

نفضتَ وفاضَ الرأى حتى انتقدتَها (٧) ... وما كُلّ آراءِ الرجالِ مُصيبُها

مُحمَّلةً من ثِقْلِ مَنِّكَ أوْسُقًا ... ينوء بها مركوبُها وجَنيبُها

فعطفًا عليها الآنَ تَصْفُ حياضُها ... وتُبقِلْ مَراعيها وتُدْمَلْ نُدوبُها

فما رَأَمَتْ أبْواءَها (٨) عند مالكٍ ... سواك ولا حنَّتْ لغيرك نِيبُها (٩)

تَسربلْ بأثوابِ الوزارة إنها ... لك انتُصِحتْ (١٠) أردانُها وجيوبُها

وقد طالما منّيتَها الوصلَ مُعرِضًا ... وباعدتَها من حيث أنتَ قريبُها

ومَن يك مولاها الغريبَ وجارَها ... فأنت أخوها دِنْيَةً (١١) ونسيبُها

بلطفِك فى التدبير شابَ غلامُها ... على السيرة المُثلَى وشبَّ رَبيبُها

وقد ضامها قبلُ الولاةُ وقصَّرتْ ... قبائلُها عن نصرها وشُعوبُها

فداك — وقد كانوا فداءك — منهمُ ... جبانُ يدِ التدبيرِ فينا غَريبُها

---

(١) العزيب : من الإبل والشاء التى تعزب عن أهلها فى المرعى ، وفى الأصل : "غريبا" .
(٢) تراغت : صوّتت فضجّت . (٣) العرّ : الجرب . (٤) نقوب جمع نَقْب وهو قرحة تخرج بالجنب . (٥) يفلى : يتدبّر . (٦) الحزيب : الأمر الشديد، وفى الأصل "وحَزوبها" .
(٧) فى الأصل "اتقدتها" وهو تحريف . (٨) أبواء جمع بوّ وهو جلد الحوار يُحشى تبنا ويقرّب من أمّ الفصيل فترأمه وتعطف عليه فتدرّ . (٩) النيب جمع ناب وهى الناقة المسنة . (١٠) انتُصحتْ : خِيطَتْ . (١١) الدنية : يقال : هو ابن عمى دنية بمعنى هو ابن عمى لحًّا أى لاصق النسب .

رمى بك فى صدر الأمور ولم يخف ... فلولَ نيوبِ الليثِ مَن يستنيبُها
حَملتَ له الأثقالَ والأرضُ تحته ... وراعيته لما علَتْه[1] جُنوبُها
وآخرُ أرخَى للنعيم عِنانَهُ ... أخو الهزلِ مِمْراحُ العشايا لَعُوبُها

* * *

تزخرفتِ الدنيا له فصَبَا لها ... مُقارَضَةً يخشَى غدًا ما ينوبها
وكان فتى أيامِهِ وابنَ لينها ... وأنت أبوها المتَّقَى ومَهيبُها
وقاسٍ كأنَّ الجمرَ فلذةُ كِبْدِه ... يَرَى بالدماءِ نَحْلَةً يستذيبُها[2]
مَخُوفُ نواحى الخُلْقِ، مُجٌّ طباعُهُ ... إذا عولجت، مُرُّ الحفاظِ مَريبُها
إذا همَّ فى أمرٍ بعاجِلِ فتكةٍ ... على غَرَرٍ[3] لم يلتفتْ ما عَقيبُها

* * *

وذو لُوثةٍ[4]، مَنَّاهُ سلطانُ رأيه ... مُنًى غَرَّهُ مِخداجُها[5] وكَذوبُها
ولم يك ذا خيرٍ فشاورَ شرَّهُ ... وما الشرُّ إلا أرضُ تيهٍ يجوبُها
يواثب من ظَهْرِ الوزارة رَيِّضًا[6] ... زلوقًا[7] وقد أعيَا الرجالَ رُكوبُها
ومدّ بكفِّ العنفِ فضلَ عِنانها ... فعادتْ له أفعَى حِدادًا نُيوبُها
رَمَى الناسَ عن قوسٍ وأعجبُ مَن رمَى ... يدٌ أرسلتْ سهمًا فعادَ يُصيبُها
تَوَقَّ خُطًا لم تدرِ أين عِثارُها ... فكم قَدَمٍ تسعَى الى ما يَعيبُها
ولا تحسبَنْ كلَّ السحابِ مَطيرةً ... لخاصبُها من حيث يُرجَى صبيبُها

---

(١) فى الأصل "عايه". (٢) يستذيبها : يطلب ذوبها وهو العسل، وفى الأصل "يستديبها". (٣) الغرر : الخطر. (٤) اللُّوثة : الحُمْق. (٥) المخداج : الصيِّفة قلّ مطرها. (٦) يقال : ناقة رَيِّضٌ : أوّل ما ريضت وهى صعبة بعدُ. (٧) الزلوق : الناقة السريعة، وفى الأصل : "زليقا" ومعناها : الولد السقط للناقة اذا أسقطت وهذا لا يتفق ومعنى البيت.

وكم أَصْرَمَتْ (١) تحت العصائبِ لِقحةٌ (٢) ودرَّتْ لغير العاصبين (٣) حُلوبُها
أَبَى اللهُ أن يُشقِى بك اللهُ أُمّةً أردتَ بها سُقْما وأنت طبيبُها

* * *

تَطَأْطَأْ لِمَنْ لو قمتَ نالك جالسًا فما كلُّ أولادِ الظنون نجيبُها (٤)
فقد دانت الدنيا لربِّ مَحاسنٍ مَحاسنُ قومٍ آخرين عُيوبُها
فيا ناظمًا عِقدَ الكلام تَمَلُّه (٥) ويا ناشر النعماءِ حيَّاكَ طِيبُها
إذا الأنفس اختُصَّتْ بحبِّ فضيلةٍ سموتَ بنفسٍ كلُّ فضلٍ حبيبُها
توافَق فيك الناسُ حُبًّا وأَمطرتْ بشكرك سُحْبُ القولِ حتى خلوبُها
ملكتَ مكانَ الودِّ من كلِّ مهجةٍ كأنك لُطفًا فى النفوس قلوبُها
إذا الشمس لم تطلُعْ علينا، وأمرُنا بكفِّك معقودٌ، فدامَ مَغيبُها
أنا العبدُ أعطتك الكرامةُ رِقَّهُ وجاءت به عفوا اليك ضُروبُها
رفعتَ بأوصافى طريفًا وتالدًا كواكبَ لى عمَّ البلادَ ثُقُوبُها (٦)
وميّزتَنى حتّى ملكتُ بوحْدَتى نواصىَ هذا القولِ يضفو سبيبُها (٧)
وكم أملٍ أسلفتُ نفسى ودعوةٍ قنطتُ لها، واللهُ فيك مجيبُها
بلغتُ الأمانى فيك، فابلغ بِىَ التى تُنَفِّسُ نَفْسًا، ملءُ صدرى كُروبُها
وللدهرِ فى حالى جُروحٌ وإنه بلحظك إن لاحظتَ يُوسَى رغيبُها (٨)
ومهما تُعِرْ من نِعمةٍ بجزاؤها على الله، ثُمَّ الشعرُ عنى يُثيبُها
بكلِّ شَرودٍ يَقطعُ الريحَ شَوطُها ويَسرى أمامَ الغاسقات دُبوبُها
تَرِمُّ (٩) لِىَ الأصواتُ يومَ بلاغها إذا ما علا أعوادَ شِعرٍ خطيبُها

---

(١) أصرمت: انقطع لبنها. (٢) اللقحة: الناقة الغزيرة اللبن. (٣) العاصب: الذى يشدّ بالعصابة فخذى الناقة لتدرّ. (٤) فى الأصل: "يخبيها". (٥) كذا بالاصل وفى النسخة المطبوعة "الكمال". (٦) ثقوبها: ضوءها. (٧) السبيب: شعر الناصية. (٨) رغيبها: واسعها. (٩) ترمّ: تصوّت.

يروقُكَ منها جَزلُها وحَميسُها — إذا راقَ من أبياتِ أُخرَى نسيبُها
ترى الناسَ خَلْفي يلقُطونَ[1] بَديدَها — ويُعجِبهُم من غيرِ كدٍّ غُصُوبُها
جواهرُ، لى تصديفُها من بحورها — صِحاحًا، وللعادِى المُغيرِ ثُقوبُها
يُمُرُّ بها لا بائعا يستحِلُّها — بِملكٍ ولا مستوهِبًا يستطيبُها
بَقيتَ لها مستخدِما حِبَرَاتِها — ومنتقِدًا ما حُرُّها وجَليبُها
موسَّعةً أيّامُ مُلكِكَ، مُعوِزًا — على الحادثاتِ أن يَضيقَ رَحيبُها
وأعداكَ من شمسِ النهار خُلُوُّها — وإشراقُها، لكن عَداكَ غُروبُها

* * *

وقال يمدح الوزير تاجَ المُلْك أبا غالب الحسن بن منصور و يهنّئه بالوزارة، وأنفذها اليه وهو بواسط، بعد ظَفره بأبى محمد بن سَهْلانَ، وعرَّضَ بذكر الحرب التى جرت بينهما، وحصولِهِ فى رِبْقَته، وذلك فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

قضى دَينَ "سُعدَى" طيفُها المتأوِّبُ[2] — ونَوَّلَ إلا ما أَبَى المتحَوِّبُ[3]
سَرَى فأراناها على عهدِ ساعةٍ — ومن دونها عَرضُ "الغُويرِ"[4] "فغُرَّبُ"
فمثَّلها لا عِطفُها متشمِّسٌ — ولا مسُّها تحت الكرى متصعِّبُ
تحيِّي نَشاوَى من سُرى الليل ألصقوا — جُنوبا بجِلدِ الأرضِ ما تتقلَّبُ
إذا أنِسوا بالليل جاذَبَ هامَهم — حوافزُ قَطْعِ الليل، والنومُ أطيبُ
وفى التُّربِ مما استصحبَ الطيفُ فَعمةٌ[5] — يرواح قلبى نَشْرُها[6] المتغرِّبُ
فَعَرَّفنى[7] بين الركاب كأنما — حقيبةُ رَحلى باقِىَ الليلِ مَسْحَبُ

(١) فى الأصل: يطلقون. (٢) المتأوِّب: الطارق أوّل الليل. (٣) المتحوب: المتعبد الذى يلق الحوب عن نفسه. (٤) الغويرِ كزُبير، وغُرَّب كسُكَّر: اسما موضعين. (٥) فعمة: نَفْحة. (٦) فى الأصل "بشرها" وهو تحريف. (٧) فعرّفنى: فطيبنى بعرفِه.

ألا ربما أعطتك صادقةَ المُنَى … مصادَفةُ الأحلامِ من حيثُ تكذِبُ

ويومٍ كظلِّ السيفِ طال قصيرُهُ … على حاجةٍ من جانبِ "الرَّملِ" تُطلَبُ

بعثتُ لها الوجناءَ(١) تقفو طريقَها … أمامَ المطايا تستقيمُ وتنكُبُ

فسالت على حكمِ الصَّبا "لمحجَّرٍ"(٢) … وللسيرِ فى أُخرى مَظَنٌّ ومَحْسَبُ

أعِدْ نظرًا واستانِ يا طرفُ ربّما … تكونُ التى تهوَى التى تتجنّبُ

فما كلُّ دارٍ أقفرتْ "دارةُ الحِمَى" … ولا كلّ بيضاءِ الترائبِ "زَينبُ"

عجبتُ لقلبي كيف يستقبل الهوى … ويرجو شبابَ الحيّ والرأسُ أشيبُ

تَضُمُّ حبالَ الوصل من "أمِّ سالمٍ" … وحبلُكَ بعد الأربعينَ مُقَضَّبُ(٣)

وليس لسوداءِ المحاجِرِ ـ ولو دنا … بها سببٌ ـ فى أبيض الرأس مَطْرَبُ

ولائمةٍ فى الحظّ تحسَبُ أنّه … بفضلِ احتيالِ المرءِ والسعيِ يُجْلَبُ

رأت شَعَثًا غطّى عليه تَصَوُّنى … وعيشًا بغيضًا وهو عندى محبَّبُ

وقد كنتُ ذا مالٍ مع الليلِ سارحٍ … علىّ، لو انّ المالَ بالفضلِ يُكسَبُ

ولكنه بالعِرضِ يُشرَى خِيارُه … ويَنمِى على قَدرِ السؤالِ ويَخصِبُ

وما ماءُ وجهى لى إذا ما تركتُهُ … يُراقُ على ذلِّ الطِّلابِ ويَنضُبُ

وإنكِ لا تدرين، واليومُ حاضرٌ … بحالِ اختلالى، ما غدًا لِى مُغَيَّبُ

لعلّ بعيدًا ماطَلَتْ دونه المُنَى … سيحكُمُ "تاجُ المُلْكِ" فيه فيقرُبُ

فما فوقه مَرمًى لظنٍّ موسَّعٍ … ولا عنه للحقِّ المضيَّعِ مَذهَبُ

وإن فاتنى من جودِهِ واصطفائِهِ … الى اليومِ ما تُسْنِي(٤) يداه ويوهَبُ

وأيبَسَ رَبعى وحدَه من سحابةٍ … تبيتُ لمثلى من عطاياه تَسكُبُ

فرِجْلِيَ كانت دون ذاك قصيرةً … وحظِّيَ فيما جازنى(٥) منه مُذْنِبُ

---

(١) الوجناء: الناقة المسرنة . (٢) محجّر: كمعظّم ومُحدَّث اسم لجملة مواضع . (٣) المقضَّب: المقطّع . (٤) تسنى: ترفع . (٥) فى الأصل "حازنى" .

ولا لومَ أن لم يأتنى البحرُ، إنما | على قدر ما أسعَى الى البحرِ أشربُ
حَمى بيْضةَ الإسلامِ ليثٌ تناذرتْ | ذئابُ الأعادِى الطُّلْسُ (١) عما يُذَبِّبُ (٢)
وزانت جبينَ المُلكِ دُرَّةُ تاجهِ | فما ضرَّه أىُّ العمائم يُسْلَبُ
وَفَى بالمعالى مستقِلًّا بحملها | متينٌ إذا خارت قُوَى العزمِ صُلَّبُ
تريه خَفِيّاتِ الشَّوا كلِ فكرةٌ | بصيرٌ بها من خَطفةِ النجم أثقبُ
إذا آستقبل الأمرَ البطىءَ برأيه | تبيَّنَ من أُولاهُ ما يتعقَّبُ
ومُزلِقَةِ المتنين تمنعُ سرجَها | وتُسأَلُ قُوسُ (٣) الُّجمِ: من أين تُصحَبُ
أَبَتْ أن يُطيف الرائضون بجنبها | فقوَّدتَها مملوكةَ الظَّهرِ تُركَبُ
ويومٍ بلون المشرفيَّةِ أبيض | ولكنه مما يُفَجِّرُ أصهبُ (٤)
إذا أسفرتْ ساعاتُهُ تحت نَقْعهِ | عن الموتِ ظلَّت شمسُه تتنقَّبُ
صبَرتَ له نَفْسًا حبيبًا بقاؤها | الى المجدِ حتى جئتَ بالنصرِ يُجْنَبُ
كواسطَ، والأنبارُ أمسِ كواسطٍ | ومن إيما يومَيْك لا أتعجّبُ
وكم دولةٍ شاختْ وأنتَ لها أخٌ | وأُخرى تُربّيها وأنتَ لها أبُ
ينام عزيزًا كهلُها وغلامُها | وأنت عليها المُشبِلُ المتحدّبُ
أرَى الوزراءَ الدارجين تطلَّبوا | على فضلهم مانلتَهُ فتخيَّبوا
تباطَوْا عن الأمرِ الذى قمت آخذا | بأعجازه وآستبعدوا ما تُقَرِّبُ
فلو لحقَتْ أيامُهم بك خلتَهم | بهَدْيك ساروا أو عليك تأدّبوا
نَهيتُ الذى جاراك راكبَ بَغيِه | الى حَينِه، والبغىُ للحَينِ مَركَبُ
وقلتُ: تَفلَّلْ (٥)، إنما أنت حابِلٌ (٦) | على جنبك الواهى تَحُشُّ وتَحطُبُ

(١) الطلس جمع أطلس وهو الأمعط من الذئاب . (٢) يذبّب : يدافع . (٣) قُوس جمع أقوس وهو المحنىّ . (٤) أصهب : أحمر . (٥) تفلّل : انهزمْ . (٦) الحابل : الذى معه حبله .

دع الرأس واقنع بالوسيطة ناجيًا ... بنفسك، إن الرأس بالتاج أنسبُ
وإن ولى الأمر دونك ناهضُ الـ ... ـبصيرة طَبٌّ (١) بالخطوب مدرَّبُ
وأهيبُ فينا من قُطوبك بِشرُهُ ... وما كلّ وجهٍ كالح يُتَهيَّبُ
بفعلك سُدْ، إن الأسامِيَ (٢) مُعارةٌ ... وبالنفس فاخرْ لا بمن قمتَ تَنْسُبُ
تمنَّوْكَ "تاجَ الملكِ" أن يتعلَّقوا ... غُبارَك، وآبْنُ الريح في السَّبق أنجبُ
فظنُّوا تكاليفَ الوزارة سهلةً ... ومنكِبُ "رَضوى" (٣) في العريكة يَصعبُ
فلا زلتَ تلقَ النصرَ حيث طلبتَه ... بجَدّك يعلو أو بسيفك يَضربُ
تَمُدُّ لك الدنيا مَطَاها (٤) ذليلةً ... فتَركَبُ منها ما تشاءُ وتُركِبُ
الى أن ترى ظهرَ البسيطة قبضةً ... بكفّيك يَلْقَ مَشرِقًا منه مَغرِبُ
وقَيِّضْ لى من حُسنِ رأيك ساعةً ... يُساعف فيها حظِّيَ المتجنِّبُ
فتُمطِرنى من عدلِ جودك دِيمةً ... تَبُلُّ ثرى حالى بما أنا مُجدِبُ
لعل خَفِيًّا كامنا من مَحاسنى ... تبوحُ به نُعماك عنّى وتُعرِبُ
ومَن لِيَ لو أنِّى على العجز مائلٌ ... بناديك يُصغِى المُفحَمون وأخطُبُ؟
فتشهد أنى ما عدمتُ فضيلةً ... الى مثلكم مثلى بها يتقرَّبُ
وتَعلم منّى كيفَ أمدحُ ناظما ... فإنك تدرى ناثرا كيف أكتُبُ

✦ ✦ ✦

وقال وقد تُوُفِّيَ أبو الحسين أحمد بن عبد الله، وكان من معادن الفتوّة الغريبة، ومظانّ الكرم العجيبة، وجامعا للدين والمروءة والفضل والرياسة، واتفَقَ قبل موته بسنين قلائل آنتساجُ مودّةٍ بينه وبينه سبقَ خبرُها، بدأ أبو الحسين بخطبتها، وقصدَهُ

---

(١) الطبّ: البصير بالأمر والحاذق الماهر. (٢) الأسامى: الأسماء. (٣) رضوى: اسم جبل. (٤) المطا: الظهر.

راغبا فيها، وتبرّع بضروب من التفقّدِ وأصنافٍ من الرّعاية، تبعُدُ على كثيرٍ من أبناء الزمانِ الفطنةُ لها، فعمل هذه القصيدةَ يرثيه، وتُوُفِّيَ بواسطٍ فى شوّال سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

نعم! هـذه يا دهرُ أمُّ المصائبِ ... فلا تُوعِدَنّى بعـدَها بالنـوائبِ

هتكتَ بها سِتر التجامُلِ بيننا ... ولم تلتفت فينا لِبُقْيا المُراقِبِ (١)

وما زلت ترمى صفحتى بين عاصدٍ (٢) ... ومنحـرِفٍ حتى رَمَيْتَ بصائبِ

فرأيَكَ فى قَوْدى، فقد ذلّ مِسْحَلى (٣) ... وشأنَكَ فى غمزِى، فقد لان جانبى

ولا تحسَبنّى باسـطا يدَ دافعٍ ... ولا فاتحا من بعـدها فمَ عاتبِ

ولا مُسبِغا فَضفاضـةً (٤) أبتغى بها ... شَباً (٥) طاعنٍ من حادثاتك ضاربِ

لما كنتُ أستبقِى الحياةَ وأحتمى ... وأجمعُ بُرْدِى من أكفِّ الجواذبِ

وَلَجْتَ رُواقَ العـزّ حتى اقتحمتَهُ ... بلا وازعٍ عنـه ولا ردِّ حاجبِ

وأنشبتَ فى صمّاءَ عهـدى بمتنِها ... صفيقَ المَطا زَليقـة بالمخالبِ

سددتَ طريقَ الفضلِ من كلِّ وِجهةٍ ... وملتَ على العليـاء من كلّ جانبِ

فـلا سَنَنٌ (٦) إلا محجّـةُ تائهٍ ... ولا أمـلٌ إلا مطيّـةُ خائبِ

أبعدَ ابنِ "عبدِ الله" أحظَى براجعٍ ... من العيش، أو آسَى على إثر ذاهبِ؟

وأُرسِـلُ طَـرفى رائدا فى خميـلةٍ ... من النـاسِ أبغى نُجعـةً لمطـالبى؟

وأقدحُ زَندا واريًا من هَوَى أخٍ ... وأكشفُ عن ودٍّ خبيئةَ صاحبِ؟

وأدفعُ فى صـدرِ الليـالى بمثـلِهِ ... فترجِعَ عنّى داميـاتِ المناكبِ؟

---

(١) فى الأصل: "كُبْقِيَا". (٢) العاصد: السهم الملتوى. (٣) المسحل كمنبر: اللجام.
(٤) الفضفاضة: الدرع. (٥) شبا جمع شباة وهى حدّ كلّ شىء. (٦) السنن: الطريق.

أَبَى ذاكَ قلبٌ عنــه غــيرُ مُغالِطٍ ... برجمٍ (١)، وحـلمٌ بعـدَهُ غــيرُ عازِبِ

وأنَّ خُروقَ المجــدِ ليستْ لراقعٍ ... سواه، وصدعَ الجودِ ليس لشاعِبِ

طَوَى الموتُ منه بُردةً فى دُروجِها ... بقيَّــةُ أيامِ الكــرامِ الأطـايبِ

مُحَــبَّرةً، سَــدَّى (٢) وألحمَ وَشْيَهــا ... صَــنَاعٌ بحَوْكِ المكرماتِ الرغائبِ

كسا اللهُ عِطفَ الدهرِ حِينًا جمالَها ... فلمــا طغى قِيضَتْ لهــا يَدُ سالبِ

لئن دَرَسَتْ منهــا الخُطوطُ (٣) فإنه ... لَيبْقَ طو يلا عَرفُهــا فى المَساحبِ

وجوهرةً فى النــاس كانت يتيمةً ... وهل من أخٍ للبدرِ بين الكواكبِ

أَبَى الحسْنُ أن يحيَى بها عِقــدُ ناظِمٍ ... فتُسلَكَ، أو يسمو لها تاجُ عاصبِ

فُــدَّتْ اليهــا بالردى يَدُ كاسرٍ ... وكان يقيهــا المجــدُ من يد ثاقبِ

سل الموتَ: هل أودعتَه من ضغينةٍ ... تَنَــقَّمَ منهــا فهو بالوِتْرِ (٤) طــالبِ؟

له كلَّ يومٍ حــولَ سَرحِىَ غارةٌ ... يشرِّد فيهــا بالصــفايا النجائبِ

سُــلافةُ إخوانى وصــفوةُ إخوتى ... ونُخبــةُ أحبـابى وجُــلُّ قرائبى

فلَيتَ عفا عن "أحمدٍ" فاديًا له ... بمُصرمــةٍ (٥) ممــا آقتنيتُ وحالبِ

أألآن لمّــا آشــتدَّ مَتْــنِي بودّه ... وردتْ مِلاءً من نَداه حَقــائبى!

وجَمَّتْ لآمالى العطاشِ حِياضُــهُ ... وكانت تُخلِّى عن نِطافِ (٦) المَشــاربِ!

فُجِعتُ به غَضَّ الهوى حاضرَ الجَدَى ... جديدَ قميصِ الودِّ سَهْلَ المَجَــاذبِ

كأنى على العهدِ القريبِ آعتلقتُــهُ ... بطُولِ آختبــارى أو قديمِ تجاربى

سَــدَدتُ فمَ النــاعِى بكفِّى تطيُّرا ... ولوَّيتُ وجهى عنــه لَىَّ مُغاضِبِ

---

(١) الرجم: الظن. (٢) سَدَّى وألحم أى أقام سَدَاها ولُحمتَها. (٣) فى الأصل: "الحفاوظ" وهو تحريف ويريد بها خطوط البردة التى كسا الله بها عطف الدهر. (٤) الوتر: الثأر أو الحقد. (٥) المصرمة: الناقة التى كُوِىَ ضَرعها فآنقطع لبنها. (٦) نطاف جمــع نُطفة وهى المــاء الصافى أو البقية منه.

وقلتُ : تبيّنْ ما تقولُ لعلّها تكون كتلك الطائراتِ الكواذبِ !

فكم غامَ من أخباره ثم أقشعتْ سحابتُه عن صالحِ الحالِ ثائبِ

فلمّا بدا لِى الشرُّ فى كرِّ قوله ربطتُ تَوازِى أضلعِى بالرواجِبِ (١)

ومِلتُ الى ظِلٍّ من الصبر قالِصٍ قصيرٍ، وظَنٍّ بالتجمُّلِ كاذبِ

ونفْسٍ شَعاعٍ (٢) قد أخلَّ وقارُها بعادتِهِ فى النازلاتِ الصعائبِ

وعينٍ هَفَا الحزنُ الغريبُ بجفنها فطاحَ ضياعا فى الدموعِ الغرائبِ

أُسائلُ عنه المجدَ وهو معطَّلٌ سؤالَ الأجبِّ (٣) عن سَنامٍ (٤) وغاربِ (٥)

وأستروحُ الأخبارَ وهى تسوءنى علائقَ منها فى ذيولِ الجنائبِ (٦)

فيُفصِحُ لى ما كان عنه مُجَمْجِمًا ويصدُقُنى ما كان عنه مُوارِبى

فَقِيدٌ " بمِيسانَ " (٧) استوت فى افتقاده مَشارقُ آفاقِ العُلا بالمغاربِ

وقيِدَ الحياءُ والسماحُ فأُرْجِلَا عَقِيرَيْنِ فى تُرْبٍ له مُتراكِبِ

تُنافِثُ عن جمرِ الغضا نادِباتُهُ كأنّ فؤادى فى حُلوقِ النوادبِ

بكتْ أدمعا بِيضًا ودمَّتْ جِباهَها فتحسَبُها تَبكِى دمًا بالحواجبِ

هوتْ هَضْبةُ المجدِ التليدِ وعُطِّلتْ رسومُ النَّدَى وانقضَّ نجمُ الكواكبِ

ورُدَّتْ رِكابُ المُخمِسِينَ (٨) بظِمْئِها تَكُدُّ الدلاءَ (٩) فى رَكايا (١٠) نواضبِ (١١)

---

(١) الرواجب جمع راجبة وهى المفاصل التى تلى الأنامل . (٢) شعاع : متفرقة .
(٣) الأجبّ : مقطوع السنام . (٤) السنام : الحدبة فى ظهر البعير . (٥) الغارب : الكاهل .
(٦) الجنائب : جمع جنوب وهى ريح تخالف الشمال . (٧) ميسان : اسم كورة واسعة بين البصرة وواسط . (٨) المخمسين : الذين ترد إبلهم خمسا ، والخمس بكسر الخاء : من أظماء الإبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع . (٩) الدلاء جمع دلو وهو معروف . (١٠) الركايا جمع ركيّة وهى حفرة يجتمع فيها الماء . (١١) نواضب : غوائر .

وَمَنْ يستبلُّ المُسنِتونَ (١) بسيبهِ (٢) ... فيرجِعَ خُضرًا بالسنين الأشاهبِ (٣) ؟

ومولًى كشفتَ الضيمَ عنه وقد هوَى ... به الذلُّ فى عَمياءَ ذاتِ غياهبِ

فلما رآك آستشعرَ النَّصْفَ وآستوتْ ... به رِجلُه فى واضحٍ متلاحبِ (٤)

وفيمن يُصاغُ الشعرُ بعدَك ناظمًا ... عقودَ الثناءِ حاطبًا بالمَناقبِ !

وأين أخوك الجودُ من كف راغبٍ ... إذا لم تكن قَسّامَ تلك الرغائبِ ؟

ومن ذا يعى صوتى ويمتدّ نُصرتى ... جهادا، وودّى من وشيجِ (٥) المَناسبِ (٦) ؟

برغمىَ أنْ هبَّ النيامُ وأننى ... دعوتُك وجهَ الصبح غيرَ مُجاوِبِ

وأن لا تُرى مُستعرِضا حاجَ رُفقةٍ ... ولا سائلًا : من أين مقدَمُ راكبِ ؟

وكنتُ إذا ما الدهرُ شلَّ مَعاطنى ... دعوتُك فاستنقذتَ منه سَلائبى

ذخيرةُ أنسى يومَ يوحشنى أخى ... وبابى اذا سُدّتْ علىَّ مَذاهبى

وكم من أخٍ بَرٍّ وإن أنا لم أجِدْ ... كَأَنْتَ أخًا فى أُسرتى والأجانبِ

سَرَى الموتُ من أوطانه فى مآلفى ... ونقّبَ من أخلافِهِ (٧) عن حبائبى

عجبتُ لهذى الأرضِ كيف تلُمُّنا ... لتَصدَعنا ، والأرضُ أمُّ العجائبِ

نطارِدُ عن أرواحِنا برماحِنا ... ونَطربُ من أيامنا للحرائبِ

وتَسحَرنا الدنيا بشَبعةِ طاعمٍ ... هى السُّقمُ المُرْدِى، ونَهلةِ شاربِ

أُحدّثُ نفسى خاليًا (٨) بخلودها ... فأين أبى الأدنَى وأين أقاربى ؟

ولا كنتُ إلا واحدا من عشيرةٍ ... ولا باقيا فى الناس إلا آبن ذاهب

---

(١) المسنتون : المجدبون . (٢) السيب : العطاء والعرف . (٣) الأشاهب : يقال سنة شهباء أى لا خضرة فيها أو لا مطر . (٤) يريد بقوله متلاحب : واضح وهو من باب التوكيد لقوله "واضح" قبلها . (٥) الوشيج : اشتباك القرابة . (٦) المناشب : القرابات . (٧) الأخلاف جمع خلْف وهو البقية من الناس ، وفى الأصل "أخلاقه" . (٨) فى الاصل : "حاليا" .

فهل أنا أَنْجَى من مَقَاوِلِ "حِمْـيَر" (١) وأمنعُ ظَهرا من مُشَـيَّد "مَارِب" (٢) ؟
وهل أخَذتْ عهدَ "السموءل" لى يدٌ من الموت أو عندى حَنيَّةُ "حاجِب" (٣) ؟
أردّ شـفارا عن نحورِ صَحابةٍ كأنىَ دَفَّاعٌ لهـا عن ترائبى
ولا عِلمَ لى من أىِّ شِـقٍّ مَصرَعى وفى أيِّما أرضٍ يُخَطُّ لجانبى
إذا كان سهمُ الموتِ لابدّ واقعا فياليتنى المرمىُّ من قبلِ صاحبى
و ياليتَ مقبورا "بكوفان" شاهدٌ جوایَ ، و إن كانت شهادةَ غائبِ
و لَيتَ بِساطَ الأرض بينى و بينـه طوته على الأعضادِ أيدى الركائبِ
فَعُجتُ عليـه واقفًا فسلّمـا و إن هُوَ لم يَفقهْ حديثَ المُخاطِبِ
ولَيتَ طريفَ الودّ بينى و بينـه ـ و إن طابَ يوما ـ لم يكن من مَكاسبى
سلامٌ على الأفراح بعـدَك إنهـا ـ و إن عشتُ ـ ليست إربةً من مآربى
إذا دنّس الحـزنَ السـلوُّ غسلتُـهُ فعاد جـديدا بالدموعِ السواكبِ
و إن أحدثَتْ عندى يدُ الدهرِ نعمةً ذكرتُك فيها فاغتدتْ من مَصائبى
أُدارِى عيـونَ الشـامتين تجـلُّدا وأبسِمُ منهـم فى الوجوهِ القواطبِ
أُرِيهـم بأنى ثابتُ الريش ناهضٌ وتحت جَناحى جانفـاتُ المخالبِ
سَـقَتكَ بمعتادِ الدموع مُرِشَّـةٌ أفاويقُ (٤) لم تُخـدِجِ (٥) بلمعـةِ خالبِ
يلوث خطـافُ البرقِ فى جَنَباتهـا بهامِ الهضابِ السودِ حُمرَ العصائبِ
لهـا فوق مَتنِ الأرض ـ وهى رفيقةٌ بما صافحت ـ وَخْدُ القرومِ المصاعبِ

(١) المقاول جمع مِقوَل وهو الملك من حِمْيَر . (٢) مارب : يريد "مأرب" كمنزل : موضع باليمن ، وقيـل اسم قصر بها . (٣) يريد حاجب بن زرارة حين وفد على كسرى وأرهنه قوسه ضمانا له بوفاء العرب . (٤) الأفاويق : ما اجتمع فى السحاب من ماء فهو يمطر ساعة بعد ساعة . (٥) لم تخدج أى لم يقلّ مطرها .

تَرَى كلَّ تُربٍ كان يَعتاضُ لِينَـا لهـا، وغلامًا كلَّ أشمطَ شـائبِ[1]

إذا عُمِّمتْ جَلْحاءُ[2] أرضٍ بوبلهـا غدتْ روضــةً وفراءَ ذاتَ ذوائبِ

وإن كان بحـرٌ فى ضريحك غانيـا بجُمَّاتِه عن قاطراتِ السـحائبِ

* * *

قال وكتب بها إلى الصّاحبِ أبى القاسم بنِ عبـدِ الرّحيم رحمهُ الله، يهنئه بمقدَمِه من واسطٍ، ويَستبشرُ به، ويَذكُر خلاصَه من النَّبْوَةِ التى لحقتْه بها، وذلك فى صفر سنة أربع عشرة وأربعمائة

تزِلُّ الليـالى مرّةً وتصــيبُ ويعــزُبُ حِـلمُ الدهرِ ثمّ يثوبُ

وتَســتلقِحُ الآمالُ بَعــدَ حِيالهـا[3] أوانًا ويَنــأَى الحظُّ ثم يؤوبُ

ولولا قُفولُ الشمس بعــد أُفولِها هوتْ مَعَها الأرواحُ حين تغيبُ

تَنَظَّرْ وإن ضاقتْ بصدرٍ رِحابُهُ فُروجَ صَــلاحٍ ذَرعُهنّ رحيبُ

فما كلُّ عينٍ خالجَتْــك مريضــةٌ وخطفةَ برقٍ خالسَــتْك خَلوبُ

قَضَتْ ظُلُماتُ البُعدِ فيك قَضاءَها فصُبْحًا[4]، فهذا الفجرُ منك قريبُ

بدَتْ أوجُه الأيّام غُرًّا ضواحكا وكنّ وفى آستبشارِهنّ قُطوبُ

وطارحْننى عُذرَ البرىءِ وربمـا سَـــبقنَ وفى أعذارهنّ ذُنوبُ

أرى كَبِدى قد أثلجتْ فى ضلوعها وكانت على جمــرِ الفــراقِ تذوبُ

وراحت إليها بعدَ طُول آلتياحِها صَــبًا قَرّةٌ تَنــدَى لهـا وتطيبُ

سَرَى الفضلُ من مَيسانَ يُشرِقُ بعدما أطال دُجَى "الزَّوراءِ" منه غروبُ

---

(١) يريد بقوله "وغلاما كل أشمط شائب" أن الأرض ترعرعت وآخضرت وعاد اليها لينها بعد يبسها وأن كل شائب عاد غلاما مترعرعا مما حلّ به من الخصب الذى أعاد للارض لينها وللشائب نضرته بما عاد عليه من ترف العيش ورفاهته . (٢) الجلحاء : الأرض التى لا نبات فيها . (٣) الحيال : عدم حمل الناقة . (٤) يريد فآنتظر صبحا .

وهبّت رياح الجودِ بُشرَى بقربِهِ | لها سالفٌ[1] من نشرِها وجنيبُ
وما خِلتُ أن البدرَ يطلُعُ مُصعِدا | ولا أنَّ ريحَ المكرماتِ جَنوبُ
تزاحمتِ الأيامُ قبلَ لقائه | بجنبيَّ من ذَنب الفراقِ تتوبُ
وتُقسِمُ لى أيمانَ صدقٍ بأنْ غدًا | تراه ، وبعضُ المُقسِمين كذوبُ
وقد زادنى شكرا — لحُسنِ وفائها | بما وعَدَتْ — أنَّ الوفاءَ غريبُ
كفَى البين ، أنى لِنْتُ تحتَ عِراكِه | وخُرتُ وعُودى فى الخطوبِ صليبُ
وقاربتُ من خَطوى رِضًا بقضائِه | ولى بين أحداثِ الزمانِ وُثوبُ
حَملتُ وُسوقَ البُعدِ فوق أضالعٍ | من الثِّقْلِ عَضّاتٌ بها ونُدوبُ
أَخُبُّ حِذارَ الشامتين تجلُّدا | بهنّ وما تحتَ الحِبالِ[2] نَجيبُ
فإن تُعقبِ الأيامُ حُسنَى تسوءُها | فللصبرِ أُخرَى حُلوةٌ وعَقيبُ
سَمَتْ أعينٌ مغضوضةٌ ، وتراجَعتْ | الى أُنسِها بعد النفورِ قُلوبُ
وعادت تسرّ الرائدين خميلةٌ | تَعاورَها بَعدَ "الحسَين" جُدوبُ
فماءُ الندى عَذبُ اللِّصابِ[3] مُرَقْرَقٌ | وغصنُ المُنَى وَحْفُ[4] النباتِ رطيبُ
سيُلقِى عصاهُ وادعًا كلُّ خابطٍ | على الرزقِ يطوِى أرضَه ويجوبُ
وهل ينفُضُ الجوَّ العريضَ لنُجعةٍ | أريبٌ ، وواديه أعمُّ خصيبُ ؟
أقولُ لآمالى وهنّ رواقدٌ : | خذى أُهبةَ اليقظانِ ، حانَ هُبوبُ
إذا الصاحبُ استقبلتِ غرّةَ وجهِهِ | بدا قمرٌ وافٍ وماسَ قضيبُ
ولم تَفْتحِى الأجفانَ عن طَرْفِ لافتٍ | الى نائباتِ الدهرِ حين تَنوبُ
سلامٌ ! وحيّا اللهُ والمجدُ سُنّةً | لها فى دُجُنّاتِ الظلامِ ثُقوبُ

(١) السالف : السابق . (٢) الحبال : الكَلّ . (٣) اللصاب جمع لِصب وهو مضيق الوادى . (٤) الوحف : الكثير الملتف .

وزادَت عَلاءً فى الزمان وبَسْطَةً ... يَدٌ تُضرِمُ الأنواءَ (١) وهى حَــلُوب
لآثارِهـا فى كلِّ شهباءَ (٢) روضــةٌ ... وفى كلِّ عَمْيــاءِ الميــاهِ (٣) قليبُ
حمى مجــدَهُ واقى الحمــائل سيفُهُ ... غيورٌ اذا ما المجــدُ ضِيمَ غَضوبُ
له كلَّ يَومٍ نهضةٌ دون عِرضِــهِ ... اذا نام حُبــا للبقاءِ حَسيبُ
قليلةُ أُنسِ الجفنِ بالغُمْضِ عينُــهُ ... وللعــارِ مَسرًى نحــوه ودبيبُ
إذا سال وادى اللُّؤمِ حَلَّتْ بيوتُهُ ... بأرعنَ (٤) لا ترقَى إليــه عُيــوبُ
وقامَ بأمرِ المُلك يَحسِــمُ داءَهُ ... بصــيرٌ بأدواءِ الزمانِ طبيبُ
له مَــدَدٌ من سـيفِهِ ولسانِهِ ... قؤولٌ إذا ضاقَ المَجالُ ضَروبُ
إذا يَبِستْ أقلامُــهُ أو تصامتتْ ... فصارِمُهُ رَطْبُ اللسانِ خَطيبُ
يُرَى كلَّ يومٍ لا بسًا دَمَ قارِنٍ (٥) ... له جَسَــدٌ فــوق الترابِ سَليبُ
ولم أرَ مثلَ السيفِ عُريانَ كاسيًا ... ولا أمرَدَ الخــدَّين وهْو خضيبُ
وقد جرّبوه عاطــلًا ومقــلَّدا ... وقادوه يَعْصِى حبــلَهُ ويُجيبُ
فما وَجَدُوا مَعْ طُولِ ما آجتهدوا له ... فتًى عنــه فى جُلَّى تنوبُ ينوبُ
فعادوا فعــاذوا ناهضين بعــاجزٍ (٦) ... حضورُهُــمُ ما أخَّروه مَغيبُ
أمينٌ على ما ضــيَّعوا من حقوقه ... سليمٌ، وودّ الغــادرين مَشوبُ
من البيضِ، إلا أن يُحلِّ وجوهَهُم ... ـإذا هُجِروا خَلْفَ الترابِ ـ شُحوبُ
صِباحٌ، نجومُ العزِّ فوق جِباههم ... طوالعُ غُــرٌ، والنجــومُ تغيبُ

---

(١) الأنواء جمع نوء وهو المطر . (٢) يريد بالشهباء : السنة المجدبة . (٣) يريد بعمياء المياه : المفازة التى لا ماء فيها . (٤) الأرعن : الجبل . (٥) القارن : الذى معه سيف ونبل أو رمح وجُبة . (٦) العاجز : السابق، مأخوذ من قولهم : عاجزه فعَجَزه فهو عاجزٌ بمعنى سابقه فسبقه فهو سابق .

عصائبُ تيجان الملوك سِماتُهم ... ويومُهُمُ تحتَ الرِّماح عَصيبُ
إذا حِيزَ بيتُ الفخرِ حلَّق منهُمُ ... عليه شَبابٌ طيِّبون وشِيبُ
لهم كلُّ مقرورٍ عن الحلم، ظَنُّهُ ... يقينٌ، وهافٍ (١) عزمتيه لبيبُ
تَفيضُ أكفُّ الواجدين وكَفُّهُ ... على العُدْمِ تَهمِي مرّةً وتصوبُ
تكادُ من الإشراق (٢) جِلدةُ خدِّهِ ... تَغَصُّ بماءِ البِشر وهْو مَهيبُ
يقيكَ الردَى غُمْرٌ (٣) يُجاريك في النَّدَى ... فيعقِلُ عِيٌّ رُشْدَهُ ولُغوبُ
إذا قمتَ في النادي بريئًا من الخنا ... تلفَّتَ من جنبيهِ وهْو مريبُ
تَتبَّعَ يقفو الخيرَ منك بشرِّهِ ... خِداعًا، كما قَصَّ المَشَمَّةَ ذِيبُ
تنبَّهَ مشروفًا بغلطةِ دهرِهِ ... وبِنتَ بمجدٍ أنتَ فيه نسيبُ
وقد يُنهِضُ الحظُّ الفتى وهْو عاجزٌ ... لحاجاتِهِ حتى يقالَ: نجيبُ
أنا الحافظُ الذوّادُ عنك وبيننا ... وَشائعُ (٤) من بُسْطِ الفلا وسُهوبُ (٥)
شَهَرْتُ لسانًا في ودادك، جُرْحُهُ ... إذا حَزَّ في جِلدِ النفاقِ رَغيبُ
لكَ الجُمَّةُ الوطفاءُ (٦) من ماءِ غَربِهِ ... وعند العِدَا حَرٌّ له ولهيبُ
يسرُّكَ مكتوبًا وشخصُك نازحٌ ... ويرضيك مسموعًا وأنتَ قريبُ
وكيف تَرونِي قاعدًا عن فريضةٍ ... قيامي بها حقٌّ لكم ووُجوبُ
وفيكم نما غُصني وطالت أراكتي ... وغُودرَ عيشي الرثُّ وهو قشيبُ
شَوَى (٧) كلُّ سهمٍ طاحَ لي في سواكُمُ ... ولي شُعبةٌ من رأيكم ونصيبُ
ولي بَعْدُ فيكم ذَروةٌ ستنالُها ... يدي، ومُنًى في قولها ستُصيبُ

---

(١) الهافى : الزّالُّ . (٢) فى الأصل : " الأشواق " . (٣) الغمر : الجاهل .
(٤) الوشائع جمع وشيعة وهى الطريقة فى البُرْد . (٥) سهوب جمع سهب وهو ناحية الفلاة التى لا مسلك فيها . (٦) الوطفاء : السحابة الدائمة السَّحّ . (٧) الشوى : الأطراف ، ويقال شواه فأشواه أى أصاب شواه ولم يصب مقتله ثم استُعمِلَ فى كلِّ من أخطأ غرضًا .

متى تذكروا حـقّى أبث بوفائكم وظَهْرُ العـلى العاصى علىّ رَكوبُ
طَرِبتُ وقد جاء البشـــيرُ بقربكم وذوالشوق عندآسم الحبيبِ طَروبُ
وقمتُ إليــه راشـفًا من ترابِهِ ثرًى لك يحـلو رشـفُهُ ويطيبُ
فـلا كانَ يا شمسَ الزمانِ وبَدْرَهُ لسعدِك من بعـدِ الطلوعِ مَغيبُ
ولا زلتَ مطلوبًا تفوتُ، ومُدرِكًا أواخرَ ما تبـــغِى وأنتَ طَلوبُ
كأنك من حَبِّ القلوبِ مصوَّرٌ فأنتَ إلى كلِّ النفوسِ حبيبُ

(٣٧) وقال يفخَر

أُعْجِبَتْ بى بين نادى قَومِهـا "أمُّ سعدٍ" فمضَتْ تسألُ بى
سَرَّهـا ما عَلِمتْ من خُلُقِى فأرادتْ عِلمَهـا ما حَسَـبِى
لا تخـالى نَسَـبا يخفِضُنى أنا مَن يُرضيكِ عنـد النسبِ
قَوْمِىَ آستولَوْا على الدهرِ فَتًى ومَشَـوْا فوق رءوسِ الحِقَبِ
عمَّموا بالشـمسِ هاماتِهِـمُ وبنَـوْا أبياتَهـمْ بالشهُبِ
وأبِى "كِسرَى" على إيوانِه، أين فى النـاس أبٌ مثلُ أبى ؟
سَـوْرةُ الملكِ القُـدامَى وعَلَى شَرَفِ الإسـلامِ لِى والأدبِ
قد قبَستُ المجدَ من خيرِ أبٍ وقبَستُ الدينَ من خـيرِ نبى
وضَممتُ الفخرَ من أطـرافِهِ سوددَ الفرسِ ودينَ العـرب

وقال يمدح مؤيّد الملك سيّدَ الوزراء أبا علىّ، وأنشدها فى المِهرَجان الواقع فى رجب سنة أربع عشرة وأربعمائة

أَجِدَّكَ[1] بعدَ أن ضَمَّ "الكثيبُ"[2] — هـل الأطلالُ إن سُئلتْ تُجيبُ ؟

وهل عهدُ "اللِّوى" "بزَرودَ"[3] يُطفِى — أُوامَكَ[4] ؟ إنه عهـدٌ قـريبُ !

أعِـدْ نظـرًا فـلا خنساءَ جارٌ — ولا "ذو الأثل"[5] منك ولا "الجَنوبُ"

إذا وطَنٌ عن الأحبابِ عَزَّى — فلا دارٌ "بنجـدَ" ولا حبيب

يمـانيَـةٌ، تلوذُ "بذى رُعَينٍ"[6] — قبائلُهـا المنيعـةُ والشـعوب

حمتهـا أن أزورَ[7] نوًى شَـطُونٌ[8] — براكبها ، وراجحـةٌ شَـبوبُ

مُلَملَمَـةٌ تضـيقُ العينُ عنهـا — إذا شرِقتْ بجُمَّتهـا السُّـهوبُ

ومُعجَـلةٌ عن الإلجـام قُبٌّ[9] — أعنَّتُهـا الى الفـزع السبيبُ

وإنك "بالعـراقِ" وذِكرَ حىٍّ — على "صَنعاءَ" تَحُـلُمُ الكذوبُ

لعـلّ البانَ مطلولًا "بنجـد" — ووجهَ البدرِ عن "هندٍ" ينوبُ

ألا يا صاحبـيَّ تطلَّعـا لى — "أشيٌّ"[10] هل اكتسى الأيكُ السليبُ ؟

وهل فى "الشِّرب" من سُقيا فإنى — أرى فى "الشِّعبِ" أفئدةً تلوبُ[11]

أكفكفُ بالحمى نزَواتِ عينى — وقد غَصَّتْ بأدمعهـا الغُـروبُ[12]

وأحـلُمُ والمطـايا يقتضـيها — دُوَينَ حنينها الحـادى الطَّروبُ

فمَنْ يجهـلْ به أو يَطْغَ شـوقٌ — فشـوقى لا أبا لكما لبيبُ

وبِيـضٍ راعهنّ بيـاضُ رأسى — فكـلٌّ محبَّبٍ مـنّى مَعيبُ

---

(١) أجدك معناه : أجدًّا منك ، أو أبجدٌ هذا منك . (٢) الكثيب : اسم موضع بالبحرين .
(٣) اللوى وزرود : موضعان . (٤) الأوام : حَرُّ العطش . (٥) ذو الأثل والجنوب : موضعان . (٦) ذو رعين : ملك من ملوك اليمن . (٧) فى الأصل : "أز" فرجحنا كلمة "أزور" . (٨) الشطون : البعيدة . (٩) القُب : جمع قَبّاء وهى الفرس الدقيقة الخصر .
(١٠) أشىّ : اسم واد . (١١) الشِّربُ والشِّعب : موضعان ، وتلوب : تحوم على الماء .
(١٢) الغروب جمع غَرْب وهو مُقدِمُ العين ومُؤخرُها .

عَددنَ ـ مذ ٱلتمتُ به ـ ذُنوبى ... وقبلَ الشَّيبِ أُحْبِطتِ الذنوبُ

يُجِدُّ المرءُ لِبستَهُ ويُبلِي ... وآخِرُ لِبسةِ الرأسِ المَشيبُ

وكنتُ إذا عتبتُ على الليالى ... وفى وجهى لها لونٌ نسيبُ

أطاعَ شبابُها حِفظًا شبابى ... فجاءت من إساءتها تُنيبُ

فما بالى أرى الأيامَ تَجنِى ... علىَّ مع المشيبِ وهنَّ شِيبُ

عَذيرِى من سَحيلِ(١) الودِّ، تَحوِى ... حقيبةَ رحلِهِ مَرَسٌ(٢) تُخيبُ(٣)

وَفَى لِى وهو مَحصوصٌ(٤) وأضحى ... غداةَ ٱرتاش وهو علىَّ ذِيبُ

ومحسودٍ علىَّ تضيقُ عنِّى ... خلائقُهُ وجانبُهُ رَحيبُ

لَطِيتُ(٥) له فغُرَّ بلِينِ مسِّى ... وربَّ كمينةٍ ولها دبيبُ

تَوَقَّ عِضاضَ مختمرٍ(٦) أخيفَتْ ... جوانبُهُ وفى فيه نُيوبُ

فإنَّ الصِّلَّ يُحذَرُ مستميتًا ... وتحتَ قُبوعِهِ أبدًا وُثوبُ

ولا تُثْلِمْ ودادَك لى بغَدرٍ ... فقد يتثلَّمُ النسبُ القريبُ

أنلنى بعضَ ما يُرضى فلو ما ... غضبتُ حَمانِىَ الأنفُ الغَضوبُ

ومَنْ هذا يردُّ عِنانَ طِرْفى ... اليك، إنِ ٱستمرَّ بِىَ الرُّكوبُ؟

ستَرمِى عنكَ بى إبلى بعيدا ... وتنتظرُ الإيابَ فلا أؤوبُ

وربَّتما أتاكَ بنشرِ صيتى ... وواسعِ حالِىَ النبأُ العجيبُ

أُخوِّفُ بالخيانةِ من زمانى ... وقد مَرَنَتْ على القتَبِ النُّدوبُ

وما وادعتُهُ منذ ٱحتربنا ... على سِلْمٍ، فتوحشَنى الحروبُ!

٣٨

---

(١) السحيل: الخيط غير المفتول ويراد به الضعيف. (٢) المرس: الحبال واحدها مَرَسَةٌ.
(٣) أى تخيب من يتعلق بها. (٤) المحصوص: الذى لا ريش له. (٥) لطيت له: من لَطِىَ بالارض: لصق بها، كناية عن الخضوع. (٦) المختمر: لابس الخمار.

وكيف يُريبنى منه بيومٍ ... زمانٌ كلُّه يومٌ مريبُ؟
وإنى مذ غدت هممى سيوفا ... لأَعلمُ أنّنى أبدا ضَريبُ
وما جنتِ الذى يجنيه قلبى ... على جسمى العُداةُ ولا الخُطوبُ
لئن أبصرتَنى رَثًّا مَعاشى ... أُطوِّفُ حولَ حظّى أو أجوبُ
فتَحْتَ خَصاصتى نفسٌ عَزوفٌ (١) ... وحَشْوَ مَعاوِزِى (٢) كَرَمٌ قَشيبُ
سلِ بيدى الطُّروسَ وعن لسانى ... فَوارِكَ (٣) لا يلامسها خَطيبُ
لها وطنُ المقيم بكلِّ سمعٍ ... تمرّ به، وسائرُها غريبُ
بوالغُ فى مَدَى العلياءِ لو ما ... أعانَ رُكودَها يوما هُبوبُ
لئن خَفَّتْ على قومٍ ودقَّتْ ... فما يُدعَى بها منهم مُجيبُ
ونَفَّرها رِجالٌ لم يُرَوَّحْ ... على أفهامِهم منها عَزيبُ (٤)
فعند "مؤيِّدِ المُلْكِ" آطمأنَّتْ ... وضمّ شَعاعَها المرعَى الخصيبُ
فكم حقٍّ به وَجَدَ آنتصافًا ... وظَنٍّ فى نداهُ لا يخيبُ
وواسعةِ الذراعِ (٥)، يَغُرُّ فيها ... عيونَ العيسِ رَقّاصٌ (٦) خَلوبُ
اذا آستافَ (٧) الدليلُ بنا ثراها ... أرابَ شميمَه التُّربُ الغريبُ
تُخَفِّضُنا وتَرفَعُنا ضَلالًا ... كما خَبَّتْ براكبِها الجَنوبُ
اذا غَنَّتْ لنا الأرواحُ فيها ... تطاربتِ العمائمُ والجيوبُ
عمائمُ زانها الإخلاقُ لِيثَتْ ... على سُنَنٍ وَضاءَتُها الشُّحوبُ
قطَعناها اليك على يقينٍ ... بأنَّ الحظَّ رائدُه اللُّغوبُ

---

(١) عزوف : زاهدة . (٢) مَعاوز جمع مِعْوز وهو الثوب الخَلَق الذى يُبتذل لأنه لباس المعوزين . (٣) الفوارك : النواشز من أزواجهن ، ويشير الشاعر بذلك الى آستعصاء قصائده على كلّ خطيب . (٤) فى الأصل : "غريب" وهو تحريف وقد مر تفسير العزيب . (٥) يريد "بواسعة الذراع" : الصحراء . (٦) يريد "بالرَّقّاص الخلوب" : السراب . (٧) استاف : شمّ .

تَرَى(١) ما لا تَرَى الأبصارُ منها ... كأنَّ عيونَها فيها قلوبُ
الى ملِكٍ مخضَّـرةٍ رُباهُ ... جَمادُ الرزقِ من يدهِ يذوبُ
يَغيضُ بنا ويَملُحُ كلُّ ماءٍ ... وماءُ بنانِهِ عِـدٌّ(٢) شَـروبُ
تناهتْ عنه أقدامُ الأعادى ... كأنّ رُواقَه الغابُ الأشيبُ(٣)
اذا ركب السريرَ عَـلا فأوْفَى ... عـلى مَرْباتِهِ(٤) أَقْنَى(٥) رَقـوبُ
يعـولُ الأرضَ ما كسبَتْ يَدَاهُ ... وما كلُّ ابنِ مَرْقَبَةٍ كسوبُ
متينُ قُـوَى العزيمةِ ألمعِيٌّ ... اذا ما ارتابَ بالفكرِ الأريبُ
يريه أمسِ ما فى اليـومِ رأىٌ ... تُمِـلُّ على شهادته الغيوبُ
بِذِبِّك من وراء المـلكِ قامت ... دعائم منـه والتأمتْ شُعوبُ
حملتَ له بقلبـك ما تركتَ الـ ... ـجبالَ به تُفاخِرها القلوبُ
تَضَرَّمُ فِتْنَـةٌ وتضـيقُ حالٌ ... وصـدرك فيهما ثَلِجٌ رحيبُ
وكم أَشْـفَى(٦) به داءٌ عُضالٌ ... وصنعُ اللهِ فيـك له طبيبُ
طلعتَ على البـلاد، وكلُّ شمس ... تضىء قد استبدَّ بها الغـروبُ
وقد قَنِط الثرى وخوتْ أصولُ الـ ... ـعضاهِ وصَوَّحَ العُشبُ الرطيبُ
ونارُ الجَـورِ عاليـةٌ تَلظَّى ... وداءُ العجـزِ منتشرٌ دَبوبُ
فكنتَ الروضَ تُجليه(٧) النُّعامى(٨) ... وماءَ المزنِ منهمرا يصـوبُ

---

(١) فاعل "ترى" ضمير يعود الى العيس فى قوله السابق

* عيونَ العيس رقَّاص خلوبُ *

(٢) العدّ : الماء الجارى الذى لا ينقطع . (٣) الأشيب : الشجر الملتفّ . (٤) المرباة : المرقبة وسُهّلت الهمزة للضرورة . (٥) الأقنى : الذى ارتفع وسط قصبة أنفه مع ضيق المنخرين وهو من صفات المدح فى البازى والصقر . (٦) أشفى به : أودى به . (٧) تجليه : تجعله ذا جلية . (٨) النعامى : ريح الجنوب .

كأنك غُرّة الإقبالِ لاحت بعقبِ اليأس، والفرجُ القريبُ
هنا(١) أمّ الوزارةِ أن أتاها على الإعقامِ منك آبنٌ نجيبُ
وأنك سيّد الوزراءِ معنًى به سُمِّيتَ، والألقابُ حُوبُ
ولو أتتِ السماءُ بمثلك آبنًا لَمَا كانت طوالعها تغيبُ
بك آجتمعتْ بدائدُها، ولانت مَعاطفُها، ومَعْجَمُها صليبُ
فلا تُجاذب الحسّادُ منها عُرًى يَعيا بمِرّتها(٢) الجذيبُ
ولا يستروحوا نفحاتِ عَرفٍ لها، بثيابِ غيرك لا تَطيبُ
نصحتُ لهم لو آنّ النصحَ أجدَى ولم يكن المشاورُ يستريبُ
وقلتُ: دعوا لمالكها المعالى ففى أيديكُمُ منها غُصوبُ
خذوا جُمّاتِه(٣) الأولَى وخَلُّوا أقاصِيَ لا يخابطها ذَنوبُ(٤)
فكم من شرقةٍ بالماء تُردِى وإن كانت به تُشفَى الكروبُ
لك اليومانِ تكتُبُ أو تَشُبُّ الـ ـوغى، وكلاهما يومٌ عصيبُ
فيومُك جالسا قلمٌ خطيبٌ ويومُك راكبا سيفٌ خضيبُ
جمعتَ كفايةً بهما وفتكا ومجمعُ ذين فى رجلٍ عجيبُ
وضيّقةِ المجالِ(٥) لها وميضٌ قِطارُ سمائه العَلَقُ الصبيبُ
وقفتَ له، حسامُك مستبيحٌ محارمَها، وعفوُك مستثيبُ
ومسودِّ اللّثاتِ(٦) له لُعابٌ يجِدُّ الخطبُ وهو به لَعوبُ
يُخال على الطروس شُجاعَ(٧) رملٍ اذا ما عضّ لم يُرْقَ الاسيبُ(٨)

---

(١) هنا: أصلها هنأ وسهّلت الهمزة. (٢) المرّة: القوّة. (٣) جُمّات جمع جُمّة وهى مجتمع ماء البئر. (٤) الذنوب: الدلو. (٥) يريد بضيّقة المجال: الوغى. (٦) يريد بمسودّ اللثات: القلم. (٧) الشجاع: الحيّة أو الذكر منها. (٨) اللسيب: الملدوغ.

تَغلغـلُ منـــه فى مهج الأعادى … جَوائفُ (١) جُرحُهـا أبدا رغيبُ (٢)

اذا مَسَلَكَ الرقابَ به آمترينـا … مضى قـلمٌ بكفّك أم قضيبُ؟

ومضطَهَدٍ طردتَ الدهرَ عنـه … وقد فَغَـرتْ لتفرِسَه شَـعوبُ (٣)

اذا عُصِرت من الظـمأ الأَداوَى (٤) … على الإعيـاء أو رُكب الجنيبُ

فنِـعم مُنـاخَ طالعـةٍ (٥) وسَـقْيًا … ذَراك الرحبُ أو يدُك الحلوبُ (٦)

عُلًا "رُنجِيـةٌ" (٧) الأبياتِ خُطّتْ … على شمـاءَ ينصفها "عسيبُ" (٨)

لهـا عَمَـدٌ على صـدر الليالى … وفوق أوائل الدنيـا طُنـوبُ

صفا حَلَبُ الزمان لهـا، وقامت … لدعوتهـا الممـالكُ تسـتجيبُ

وما مِن دولةٍ قَدُمت وعزت … وإلّا ذكرُهـا بكُمُ يطيبُ

ومنـــكم فى سـياستهـا رجالٌ … فُحُـولٌ أو لكم فيهـا نصيبُ

كرامٌ تُسـنَد الحسـناتُ عنهم … وتَزلَق عن صَفاتِهِـم العيوبُ

مضَـوا طَلَقًا بأعـداد المساعى … وجئتَ ففتَّ ما يُحصِى الحسيبُ

قنـاةٌ، أنت عاملُهـا شروعا … الى نحـــر السما وهم الكعوبُ

وخـيرُ قبيـلةٍ شرفًا مـــلوكٌ … لمجـــدك منهمُ عِرقٌ ضَروبُ

فلا وضَحَ النهـارُ ولستَ شمسا … ولا أزرَى بمَطلِعـك المغيبُ

ولا برحتْ بك الدنيـا فتـاةً … تُرِبُّ (٩) كما آكتسى الورقَ القضيبُ

---

(١) جوائف جمع جائفة وهى طعنة تبلغ الجوف ، وفى الأصــل " خوائف " وهو تحريف .
(٢) الرغيب : الواسع . (٣) شعوب : اسم المنية . (٤) الأداوى جمع إداوة وهى إناء صغير من جلد . (٥) فى الأصل : " طالعة " . (٦) فى الأصل : " الجلوب " وهو تحريف .
(٧) رُنجيّة : وردت هذه النسبة فى صحيفة (٤٤) سطر (١٥) عند قوله " وقال يمدح سيّد الوزراء أبا علىّ الرُّنجىّ " وقد أثبتناها كما وردت بالأصل و بالبحث عنها لم نجد غير " رُنَّج " والوزن هنا يقتضى أن تكون كما وردت بالأصل . (٨) عِسيب : اسم جبل . (٩) تُرِبّ : تَرَبَّى وتَنمَى .

اذا ما حزتها انتفضت عطارا (١) سوالفها بعدلك والتريبُ
ومات الدهرُ وانطوتِ الليالى وملكُك لا يموتُ ولا يشيبُ
وقام المهرجانُ فقال مثلَ الـ ـذى قلنا وآبَ كما نؤوبُ
وعادك زائرا ما كرَّ ليلٌ لسعدك بين أنجمه ثقوبُ
بك استظللتُ من أيامِ دهرى ومن رَمضائها فوقى لهيبُ
كفيتنيَ السؤالَ فما أبالى سواك مَن المنوعُ أو الوهوبُ
وغرتَ على الكمال فصنتَ وجهى فليس لمائه الطامى نُضوبُ
مكارمُ خضَّرتْ عُودى وروَّتْ ثراه وقد تعاوَره الجُدوبُ
تُواصِلنى مَثانِيَ أو وِحادا كما يتناصر القَطْرُ السَّكوبُ
فما أشكو سوى أنّى بعيدٌ وغيرى يومَ ناديكم قريبُ
أفوِّقُ عزمتى شوقا اليكم ويَقبِضُنى الحياءُ فلا أصيبُ
أصدُّ وضمنَ دَستِك لى حبيبٌ عليه من جلالته رقيبُ
اذا امتلأتْ لحاظى منك نورا نَزَا قلبى فطارَ به الوجيبُ (٢)
يُميلُ اليك بِشرُك لحظَ عينى ويَحبِسُ عنك مجلسُك المَهيبُ
ولو أنى بُسِطتُ لكان سعىٌ وبَلَّ بِلالَه الشوقُ الغلوبُ
أبيتُ فما أُجيبُ سواك داعٍ ولكنّى دعاءَكُمُ أجيبُ
فإن يكن انقباضى أمسِ ذَنْبا فمنذ اليومِ أُقلِعُ أو أتوبُ
وتحضُرُ نابياتٌ (٣) عن لسانى فواقرُهُ (٤) ربُّها عبدٌ منيبُ

---

(١) هكذا بالنسخة المطبوعة وفى الأصل * اذا ما أخللتنا انتقضت عطارا * وهو غير متّزن ومحرّف . (٢) الوجيب : الخفقان . (٣) نابيات : شاردات . (٤) فواقر جمع فاقرة وهى التى تثقب الخرز أو الدر للنظم و يريد أن قصائده ستأتى الممدوح ثاقبة درَّ مديحه .

أوانسُ فى فمى متيسّراتٌ ... اذا ذُعِرتْ من الكلِم الشُّروبُ
اذا أعيتْ على الشعراء قِيدتْ ... الىّ وظهــرُ ريِّضها رَكوبُ
بقِيتُ وليس لى فيها ضريبٌ ... ولا لك فى الجزاءِ بها ضريبُ (١)
تُصاغ لها الحماسةُ من معانى ... علاك، ومن محاسنِك النسيبُ
رَعَيتُ بهنّ من أمَلِى سمينا ... لديك، وحاسدى غيظا يذوبُ
وهل أظمَا، وهذا الشِّعرُ سَجْلٌ (٢) ... أمــدُّ به، وراحتك القَليبُ؟

⁂

وقال يعــزّى أبا الحسين بن رَوْح النِّهَروانىّ عن آبنين له تُوُفِّيَا فى مدّةٍ قريبةٍ، ويتوجّع له لحرمةِ الصداقةِ بينهما

على أىّ أخلاق الزمان أعاتبُـهْ ... وما هــو إلا صَرفه ونوائبُــهْ
تَفَــرَّى أديمى (٣) وهو بُترٌ شِفارُهُ ... وجافت جروحى (٤) وهــو صُمٌّ مَخالبُــهْ (٥)
نُدوبٌ تُقفِّى هــذهِ عَقْبَ هــذهِ ... وداءٌ اذا ما باخ (٦) أَوقَدَ صاحبُهْ
شغَلتُ يدى حينا بعَدّ ذنوبِهِ ... وزِدن فقــد تاركتُه لا أحاسبُهْ
طرحتُ سلاحى وآنتزعتُ تمائمى ... وضــاربُه يُنحِى عــلىّ وسالبُــهْ
ببِيضٍ من الأيام هنّ سيوفُه ... وسودٍ من الليلاتِ هنّ عقاربُهْ
أُداجِيــه (٧) حتّى يرانِىَ راضيــا ... مِرارا، وأَعصِى مرّةً فأغاضبُهْ
فلا هو إن أطريتُــه قابضٌ يدًا ... ولا خائفٌ عارا بمـا أنا عائبُــهْ
نصحتُك لا تُخدَعْ بسنّةِ وجهِــه ... فشاهــده حُسْنٌ تَشَــوّهَ غائبُــهْ

(١) الضريب : المثيل . (٢) السجل : الدلو . (٣) تفرّى أديمى : انشق جلدى .
(٤) جافت : بلغت الجوف . (٥) صُمّ جمع أصمّ وهو الصلبُ المتين . (٦) باخ : خمد .
(٧) أداجيه : أوافقه .

ولا تتمهّد قِعدة فوقَ ظهره ... فما هو إلا ضيغمٌ أنت راكبُهْ
تَردّى رجالٌ قبلنا وتقطّرت (١) ... بهم شُهبةُ دون المَدِيّ (٢) وشاهِبُهْ (٣)
وصَرّح عمّا ساءهم طولُ مَحضِه ... خبائثَ جرّتها عليهم أطايبُهْ
حبائلُ مكتوبٌ لها نصرُ كيدها ... من الله، لا يُمحَى الذى هو كاتبُهْ
فمن مغلَقٍ مستعجَلٍ أو مؤخَّرٍ ... مُراخيه يوما لا مَحالةَ جاذبُهْ
تصاممتُ عن داعى المنونِ مغالطا ... وإنّى على طول السكوت مُجاوبُهْ
وقدّمتُ غيرى جُنّةً أتّقى بها ... ومن يوقَ من راميه لا بدّ صائبُهْ
أخلّاى، أيمُ الله أطلب ثأرَكم ... من الدهر، لو قد أدركَ الثأرَ طالبُهْ
أفى كلّ يومٍ لى قَضيبٌ مُخالَسٌ (٤) ... وذخرٌ نفيسٌ منكم الموتُ غاصبُهْ؟
وكاسٍ من العلياء والحسنِ، يعتدى ... — سليبا على سيفى وسَوطِى — سالبُهْ
تَطيحُ به زَندى، وجَهدُ تحفُّظى ... بميثاقِه فى الغيب أنّى نادبُهْ
وكم منكمُ كالنجم رُعتُ به الدُّجَى ... زمانا، خبا بعد الإضاءةِ ثاقبُهْ
وآخَرُ لمّا ساعَنَتْنى بأصله الـ ... ـمنايا ذَوتْ أغصانُهُ وشعائبُهْ
وأضحى بنوه غِبطةً وبناتُهُ ... تُسَلُّ بهم أنيابُهُ ورواجِبُهْ
فيَنزو بلىّ شجوُهُ، وتُصيبنى ... بموضِعه من سِرّ قلبى مَصائبُهْ
ألا يا أخى للودّ دنيًّا (٥)، وكم أخٍ ... لأمّى بعيداتٍ علىّ قرائبُهْ
لحا الله خَطبا، شَلّ (٦) سرحَك طردُهُ ... وجمّعَ فى إلهابِ قلبك حاطبُهْ
رمَتْك يدُ الأيّام عن قوسِ قارنٍ ... اذا هو والى لم تخنه صوائبُهْ
سقتك بكفٍّ أدهقتْ لك ثانيا ... ولمّا يُفِق من أوّلٍ بعدُ شاربُهْ

(١) تقطّرت بهم: ألقتهم. (٢) المدِيُّ: الحوض لا ينصب حوله حجارة. (٣) الشاهب: من الخيل الذى غلب بياضه على سواده. (٤) مخالَس: مُعجَل. (٥) يقال: هو ابن أخى أو ابن عمّى دِنيا أى لحّاً (٦) شلّ: أذهب.

فقرحٌ وقرحٌ لم تـــلاحم نُدوبُه ودمعٌ ودمعٌ ما تعــلّق ساربُه
ويا ليتـــه لمّـا تثـــنّى تعلّقتْ مقاديرُه ، أو آستوين مَراتبُهْ
ولكنّها كفٌّ هوتْ إثر إصبع وحارِكُ[1] ظهرٍ بعدَهُ جُبَّ غاربُهْ
حَصاتان من درٍّ حَصانانِ[2] لم تَطِرْ يدٌ بهما ، مادنّس الدُّرَّ ثاقبُهْ
هما[3] بيضتا كِنٍّ بجانبِ مُلبِسٍ[4] حماه الطروق تيهُهُ وسَباسِبُهْ[5]
حرامٌ على السارى تضيعَ على القطا أفاحيصُهُ[6] فى جوّه ومَساربُهْ
يحوطهما ما آسطاعَ وحفُّ جَناحِهِ شِعارُهما دون التراب ترائبُهْ
تراه يُصادى حاجبَ الشمسِ عنهما لو آنّ الردَى ما أحرز الشيءَ هائبُهْ
رزِئتَهما شمسيْنِ أُقسِمَ فيهما ظلامُ الأسَى ألّا تجَلَّى غياهبُهْ
يعدّون خُرْقا بالفتى فى بناته اذا ما بكَى أو ذلَّ للحزنِ جانبُهْ
وكم من كريم عزّهُ نجباؤه فعزَّ بما ساقت اليه نجائبُهْ
وبعضُ البناتِ مَن بها يُنتَجِ العُلا وبعضُ بنى الإنسان فى الحىّ عائبُهْ
فإلّا تكونا صارمين جِذْوَتا[7] حُسامٍ عتيقٍ لا تُفَلُّ مَضارِبُهْ
أخى الحلم لم يَملِك عليه حياؤه ولا كَذّبتْهُ فى الزمان تجاربُهْ
اذا وَلَدَ آستذكرنَ حزمًا إناثُهُ[8] كما ذُكِّرتْ أخلاقُهُ وضرائبُهْ
تعزَّ آبنَ "رَوحٍ" إنما الموتُ مُدلِجٌ الى أمدٍ فيه النفوسُ مَراكبُهْ
ومن أخّرتْه شمسُ يومٍ فلم يمتْ يمتْ حولَه أحبابُهُ وحبائبُهْ

---

(١) الحارك : أعلى الكاهل وعظم مشرف من جانبيه . (٢) حصانان : عفيفتان .
(٣) فى الأصل "وما" وهو تحريف . (٤) مُلبِس : مُغَطًّى ويراد به : المكان المحجوب .
(٥) سباسب جمع سبسب وهى المفازة . (٦) أفاحيص جمع أفحوص وهو الموضع تفحص عنه القطا لبيضها . (٧) فى الأصل : "بجدوتا" وهو تحريف والجِذْوة : القطعة . (٨) فى الأصل : "أثاثه" وهو تحريف .

وأعجبُ من ذى خُبرةٍ بزمانه تنكَّر منه أن تَوالَى عجائبُهْ

خُلِقنا لأمرٍ أرهقتنا صدورُهُ فياليت شعرى ما تجرّ عواقبُهْ؟

غريمٌ مُلِظٌّ(١) لا يَملُّ وطالبٌ بغير تِراتٍ(٢) لا تنامُ مَطالبُهْ

وقد جربتْك الحادثاتُ فلا تكن ضعيفَ القُوَى رِخوًا لهنّ تجاذِبُهْ

وغيرُك مغلوبٌ على حُسنِ صبرِه ولا خَطبَ إلا أنتَ بالصبرِ غالبُهْ

برغمىَ أن يَسرِى غِزىٌّ(٣) من الأسَى اليك ولم تُفلَلْ بنصرى كتائبُهْ

وإن كان خصما لا لسانى ينوشه ولا كلماتى الغاسقاتُ تواقبُهْ

ويا لِدفاعى عنك إن كان صارما أصالحه أو كان ليثا أواثبُهْ

ومَن لى لو آنّ الحزنَ يرعَى جوانحى فدًى لك لو يرضَى بقلبِىَ ناصبُهْ

فما هى إلا مهجةٌ لك شطرُها وموهوبُ عيشٍ أنت ماعشتَ واهبُهْ

وإن كان يُطفِى حَرَّ لوعتِك البكا على أنّه جاريه لا بدّ ناضبُهْ

فدونك دمعى سائلا ومعلَّقا فجامدُهُ باقٍ عليك وذائبُهْ

عتبتُ على دهرى فسهَّلَ عذرُهُ بأنّك باقٍ كلَّ ما هو جالبُهْ

اذا سلِم البدرُ التمامُ فهيِّنٌ على الليلِ أن تَهوِى صِغارا كواكبُهْ

⁂

وقال يمدح الوزير أبا القاسم الحسين بن علىّ المغربىّ رحمه الله عند تقلُّدِه الوزارةَ، ويهنّئه بالنيروز، وأنشدها فى داره بباب الشعير فى سنة أربع عشرة وأربعمائة

هل عند عينيك على "غُرَّبٍ" غرامةٌ بالعارض الخُلَّبِ(٤)؟

نَعَمْ! دموعٌ يكتسِى تربُهُ منها قميصَ البلدِ المعشِبِ

(١) الملظّ : جاحد الحق . (٢) التراث جمع تِرَة : وهى الذَّحْل . (٣) الغزىّ : الغازى وفى الأصل "عزىّ" وهو تحريف . (٤) العارض : السحاب، والخلّب : الذى يرعد و يبرق ولا مطر فيه، وفى الأصل "المخلب" يقال : ماءٌ مُخلِبٌ أى ذو خُلْب وهو الطين، وهذا لا يتفق والمعنى .

سارِبةٌ[(١)]، تَركبُ أردافَها معلَّقاتٌ بعدُ لم تَسرُبِ
ترضَى بهنّ الدارُ سَقْيًا وإن قال لها نوءُ السِّماكِ : آغضبي
علامـةَ أنّى لم أنتكِثْ مَراثرَ[(٢)] العهدِ ولم أقضِبِ
يا سائقَ الأظعانِ لا صاغرا عُجْ عوجةً ثمّ آستقِم وآذهبِ
دع المطايا تلتفتْ، إنها تلوبُ من جفنى على مَشربِ
لا والذى إن شاء لم أعتذرْ فى حبّه من حيث لم أُذنِبِ
ما حدّثتْ ريحُ الصَّبا بعدَه لثامَها عن نَفَسٍ طيّبِ
ولا حلا البذلُ ولا المنعُ لى مذ هُوَ لم يَرضَ ولم يَغضبِ
كم لى على "البيضاء" من دعوةٍ لولا آصطخابُ الحَلْيِ لم تُحجَبِ
وحاجـةٍ لولا بُقَيّاتُها فى النفس لم أطرَبْ ولم أرغبِ
يا ماطِلى بالدَّين ما ساءنى اليكَ ترديدُ المواعيدِ بى
إن كنتَ تقضِى ثمّ لا نلتقِى فدمْ على المطلِ وعِد وآكذبِ
سال دمى يومَ الحمَى من يدٍ لولا دمُ العشاقِ لم تُخضَبِ
نبلُ رماةِ الحىّ مطرورةٌ[(٣)] أرفَقُ بى من أعينِ الربربِ
يا عاذلى قد جاءك الحزمُ بى أُقادُ فاركبنِىَ أو فاجنُبِ
قد سدّ شيبى ثُغَرِى فى الهوى فكيف قَصّى أثَرَ المَهرَبِ
أفلحَ إلا قانصٌ غادةً مدّ بحبلِ الشَّعَرِ الأشيبِ
ما لبناتِ العَشْرِ والعَشرِ فى جِدّ بنى الخمسين من مَلعبِ
شِيَاتُ أفراسِ الهوى كلُّها تُحمَدُ فيهنّ سوى الأشهبِ

---

(١) سارِبة : جارية وفى الأصل "سارية" وهو تحريف ويتعين ذلك لقوله : لم تسرب .
(٢) مرائر جمع مريرة وهى طاقة الحبل . (٣) مطرورة : محدودة .

(٣٢)

أمَا تَرَيْني ضاوياً عارياً ... من وَرَقِ الملتحِفِ المُخصِبِ ؟
مُحتجِزا أندبُ مِن أمسِيَ الـ ... ـماضى أخًا ماتَ ولم يُعقِبِ
فلم يُثَلِّمْ ظُبَتَىْ عاملى(١) ... ما حَطَمَ الساحبُ من أكعبى
يوعِدُنى الدهرُ بغَدراته ... قعقِعْ لغيرِ الليثِ أو هَبهِبِ
قد غَمزتْ كفُّك فى مَروَتى(٢) ... فتحتَ أىَّ الغمزِ لم أصلُبِ
أمُفزِعى أنتَ بفَوت الغنَى؟ ... تلك يدُ الطالى على الأجربِ
دعْ ماءَ وجهى مالئًا حوضَه ... وكُلْ سمينا نَشَبِي واشربِ
إن أُغلَبِ الحظَّ فلى عَزفةٌ(٣) ... بالنفس لم تُقمَرْ ولم تُغلَبِ
ذمَّ الأحاظِى(٤) طالبٌ لم يجِدْ ... فكيف وِجدانى ولم أطلُبِ ؟
آه على المالِ وما يُجتَنَى ... منهُ لو انّ المالَ لم يُوهَبِ
راخِ(٥) على الدنيا اذا عاسرتْ ... وإن أتَتْ مُسمِحةً فاجذِبِ
ولا تَعسَّفْ كَدَّ أخلافِها(٦) ... فربّما درَّت ولم تُعصَبِ
هذا أوانُ استقبلَتْ رشدَها ... بوقفةِ المعتذِرِ المعتِبِ
وارتجعتْ ما ضلَّ من حلمها ... من بين سَرحِ الذائدِ المعزِبِ
وربّما طالَعَ وجهُ المنَى ... من شرفِ اليأسِ ولم يُحسَبِ
قل لذوِى الحاجاتِ مطرودةً ... وابنِ السبيل الضيّقِ المَذهبِ :
وقاعِدٍ يأكلُ(٧) من لحمِه ... تنزُّهًا عن خَبَثِ المَكسَبِ :
قد رُفِعت فى "بابلٍ" رايةٌ ... للمجدِ من يَلْقَ بها يَغلِبِ

---

(١) العامل : الرمح . (٢) المروة : حجر أبيض برّاق يورى النار . (٣) العزفة : الانصراف عن الشىء والزهد فيه . (٤) الأحاظى : الحظوظ . (٥) راخ : أى أرْخِ . (٦) فى الأصل "أخلاقها" وهو تحريف ، والأخلاف جمع خِلف وهو ضرع الناقة . (٧) فى الأصل : "تأكل".

يصيحُ داعى النصرِ من تحتها : يا خيلَ مُحيِي الحسَناتِ آركبي
جاء بها اللهُ عــلى فَــترةٍ بآيــةٍ من يَرَهـا يعْجَبِ
هاجمــةِ الإقبالِ لم تُنْتَظـرْ بواسـع الظنِّ ولم تُرقَبِ
لم تألفِ الأبصارُ من قبلهـا أن تطلُعَ الشمسُ من المَغرِبِ
رِدوا فقــد زاركم البحـرُ لم يُخَض له الهـولُ ولم يُركَبِ
يشِفُّ للأعينِ عن دُرِّه الـ ـثمينِ صـافى مائه الأعذبِ
فارتبِعوا بعــدَ مِطالِ الحَيـا وروِّضوا بعــدَ الثرى المُجدِبِ
قد عادَ فى "طيءٍ" ندَى "حاتمٍ"(١) وقامَ "كعْبٌ" سيّدَ الأكعُبِ
وعاش فى "غالبَ" "عمرُو العُلا"(٢) يَهشِمُ فى عامهـم المُـلزِبِ(٣)
وآرتجعتْ "قحطانُ" ما بَزَّها من ذى الكَلاعِ(٤) الدهرُ أو حَوشَبِ
ورُدَّ بيتٌ فى بنى "دارِمٍ"(٥) "زُرارةٌ"(٦) من حـولِهِ مُحتَبِي
كلُّ كريمٍ أو فتًى كاملٍ وفاعــلٍ أو قائـلٍ مُعـرِبِ
فاليومَ شكُّ السمع قد زال فى أخبـاره بالمَنظَـر الأقــربِ
الى الوزير آعـترَقتْ نيَّها(٧) كلُّ أمـونٍ(٨) وَعرةِ المَجـذِبِ
تُعطِى الخشاشاتِ(٩) لَيـانا على أنفٍ لها غضـبانَ مستصعَبِ
مجنـونةُ الحِلمِ وما سُفِّهتْ بالسَّـوط ، خرقاءُ ولم تُجنَبِ

---

(١) حاتم وكعب من أجواد العرب . (٢) عمرو العلا : هاشم بن عبد مناف أبو عبد المطلب وهو أوّل من هشم الثريد لقومه . (٣) الملزب : الشديد القحط . (٤) ذو الكلاع : أحد أذواء اليمن . وسمّى بذلك لأن حِميَر تكلّعوا على يده أى تجمّعوا وحوشب من مخاليف اليمن .
(٥) هو دارم بن مالك بن حنظلة أبو حىّ من تميم . (٦) هو زرارة بن أوفى أبو حىّ فى اليمن .
(٧) اعترقت نيّها : أكلت شحمها ، كناية عن هزالها . (٨) الأمون : الناقة الوثيقة الخلق .
(٩) الخشاشات جمع خِشاش وهو ما يدخل فى أنف الناقة أو البعير من خشب ونحوه .

بيأس لحل الشول من ضربها (١) لعزة النفس ولم تكتب (٢)
لو وطئت شوك القنا نابتا في طرق العلياء لم تنقب (٣)
يخط في الأرض لها منسم دام متى يملل السرى يكتب
كأن حاذيها (٤) على قارد (٥) أحمش (٦) مسنون القرا (٧) أحقب (٨)
طامن في الرمل له قانص أعجف (٩) لم يحمض (١٠) ولم يرطب (١١)
ذو وفضة (١٢) يشهد إخلاقها بأنها عامين لم تنكب
مهما تخلله بنياتها (١٣) من "ودج" أو "ورك" (١٤) يعطب
فر لم يعطف على "عانة" (١٥) ذعرا ولم يرأم على "تولب" (١٦)
به خدوش يتعجلنه قدائم من لاحق الأكلب (١٧)
بأى حس ربع خيلت له رنة قوس أو شبا مخلب
يذرع أدراج الفيافي بها كل غريب الهم والمطلب
يرمى بها ليل جمادى الى يوم من الجوزاء معصوصب (١٨)
في عرض غبراء رياحية عجاء لم تسمر ولم تنسب

---

(١) الضرب : السفاد . (٢) لم تكتب : لم تقيد ولم يختم حياؤها حتى لا ينزى عليها . (٣) لم تنقب : لم تصب بالنقب وهي القرح . (٤) الحاذان : ما وقع عليه الذنب من أدبار الفخذين . (٥) القارد : المتجعد الشعر . (٦) الأحمش : دقيق الساقين . (٧) القرا : الظهر . (٨) الأحقب : الحمار الوحشي . (٩) الأعجف : النحيل المهزول . (١٠) لم يحمض : لم يصادف حمضا . (١١) لم يرطب : لم يصادف رطبا . (١٢) الوفضة : خريطة الراعي لزاده وأداته . (١٣) بنيات الطريق : الطرق الصغار تتشعب من الجادة . (١٤) ودج وورك : اسما موضعين . (١٥) العانة : اسم موضع ولغة القطيع من حمر الوحش . (١٦) التولب : اسم موضع ولغة ولد الأتان من الوحش . (١٧) الأكلب جمع كلب . (١٨) معصوصب : عصيب .

(٣٣)

يُشكِلُ مشهورُ الركايا(١) بهـا	على مصانيف القَطَا اللُّغَبِ(٢)
حتى أنيختْ وصـدوعُ السُّرَى	بالنومِ فى الأجفانِ لم تُشعَبِ
وشَمْـلَةُ(٣) الظلمـاءِ مكفورةٌ(٤)	تحت رِداء القمـــرِ المُذْهَبِ
الى ظليـلِ البيت رَطْبِ الثرى	عالى الأثافِى حافلِ المَحْلَبِ
مختضب الجفنـةِ ضخمِ القِـرى	اذا يدُ الجـازرِ لم تُخضَبِ
تُرفَــع بالمَنـــدَلِ نـيرانُهُ	اذا إماءُ الحىِّ لم تَحطِبِ
له مجـاويفُ عِمـاقٌ اذا	ما القِـــدر لم تُوسِع ولم تُرحِبِ
كلّ رَبوضٍ(٥) عُنْقُها بارزٌ	مثـلُ سَنام الجَمَـلِ الأنصبِ
تُعجِلها زحمــةُ ضِـــيفانِهِ	أن تنأَّى(٦) حطبَ المُلهِبِ
أبلج فى كلّ دجى شُبهةٍ	لو سار فيهـا النجمُ لم تُثقَب
مُوَقَّر النادى ضحوك النـدَى	يلقاك بالمُـرغِب والمُـرهِب
تَلحظهُ الأبصـارُ شَزْرا وإن	أكثرَ من أهلٍ ومن مَرحَبِ
مُرٌّ، وإن أجدَتْك أخلاقُهُ	شمـائلَ الصهبـاءِ لم تَقطِبِ
يَحطُّ عنـه النـاسُ من فضلهم	منحدَرَ الرِّدفِ عن المنكِبِ
أتعبَــهُ تغليســهُ(٧) فى العـلا،	مَن طَلَبَ الراحةَ فليتعَبِ
من معشرٍ لم يهتبــلْ(٨) عزُّهم	بغَلَطِ الحـظِّ ولم يُجلَبِ
ولا عــلا ابنٌ منهــمُ طالعـا	من شَرَفٍ إلا وراءَ الأبِ

(١) الركايا جمع رَكِيّة وهى الحفرة يجتمع فيها الماء . (٢) اللغب جمع لاغب وهو المعيي، وفى الأصل "اللعب" . (٣) الشملة الكساء دون القطيفة . (٤) مكفورة : مستورة . (٥) الربوض : الضخمة، والأنصب : المرتفع الصدر . (٦) تنأى : تنتظر، وفى الأصل "تنأبى" وهو تحريف . (٧) التغليس : السير فى الغلس . (٨) يهتبل : يغتنم .

تسلّقوا المجـدَ وداسوا العلا ... وطـرْقُها يهـماءُ[1] لم تُلحَبِ[2]
ووافقوا الأيّام فاستنزلوا ... أبطالها فى مِقنَبٍ مِقنبِ[3]
قـومٌ إذا أَخلف عامُ الحيا ... لم تخترلهم حَـيْرة المَسْغبِ
أو بسـطَ اللهُ ربيعا لهم ... لم يبطَـروا فى سَعةِ المَخْصَبِ
سَمَوْا وأصبحتَ سماءً لهم ... يطلُعُ منها شَرَف المَنْسَبِ
زدتَ وما انحطُّوا ولكنّها ... إضاءةُ البـدرِ على الكوكبِ
خُلِقتَ فى الدنيا بلا مُشبِهٍ ... أغربَ من عَنقائها المُغْربِ
لا يَجلِسُ الحلمُ ولا يركَبُ الـ ... ـخوفُ ولم تجلِس ولم تركَبِ
إن جَنَحَ الأعداء للسِّلم أو ... تلاوذوا منك الى مَهـرَبِ
كتبتَ لو قلتَ ، فقال العدا : ... أعزلُ لم يَطعَنْ ولم يضربِ
أو ركبوا البغىَ الى غارةٍ ... طعنتَ ، حتى قيل : لم يكتُبِ
فأنت ملءُ العينِ والقلب ما ... تشاءُ فى الدَّستِ وفى الموكبِ
وربَّ طاوٍ غُـلَّةً بائتٍ ... من جانب الشرّ على مَرقَبِ
ينظرُ من أيامـه دولةً ... بقـلم الأقـدارِ لم تُكتَبِ
راعته من كيدك تحت الدجى ... دبّابةٌ أدهَى من العقـربِ
فقام عنها باذلا بُسْـلَةَ[4] الـ ... ـراقِ ولم يُرْقَ ولم يُلْسَبِ
بك اشتفى الفضـلُ وأبناؤه ... بعـد غُمـوم السَّقمِ المُنصِبِ
والتقم الملكُ هُدَى نهجـهِ ... وكان يمشى مِشية الأنكبِ
وزارةٌ قلّبَهـا شـوقُها ... منك الى حُوّلِها القُلّبِ[5]

(١) اليهماء : الفلاة لا يُهتدَى فيها . (٢) لم تلحب : لم تُسلك . (٣) المقنب : زهاء ثلاثمائة من الخيل . (٤) البسلة . أجرة الراق . (٥) الحوّل القلّب : البصير بالامور .

جاءتك لم تُوسع لهـا مُرغِبا ولِيَّهـا المَهـرَ ولم تَخطُبِ
كم أجهضتْ قبلَك مِن عَدّهم لهـا شهورَ الحاملِ المُقـرِبِ (١)
وولدتْ وهى كأنْ لم تلِد أمٌّ اذا ما هى لم تُنجِبِ
قُمتَ بعنـاها وكم جالِسٍ تكفيه منهـا سِمـةُ المَنصبِ
وهى التى إنْ لم يُقَدْ رأسُها بمحصداتِ الصـبر لم تُصحِبِ (٢)
مَزلَقـةٌ، راكـبُ سِيسائها (٣) راكبُ ظهرِ الأسَـدِ الأغلبِ
راحتْ عـلى عِطفِـك أثوابُهـا طاهـرةَ المَـرفَعِ والمَسـحَبِ
فتحتَ فى مُبهَـمِ تدبـيرها تَنفُّسَ البُلْجَـةِ فى الغيهبِ
وآرتجعتْ منـك رِجالاتهـا كلَّ مطيـلٍ فى النَدَى مُرغِبِ
رُدَّ بنو "يحيى" و"سهلٍ" لها "والطاهريُّون" بنو "مُصعبِ"
فآضرب عليهـا بيتَ ثاوٍ بهـا قبلك لم يُعـمَدْ ولم يُطْنَبِ (٤)
وآستخدم الأقدارَ فى ضبطها وآستبشر الإقبـالَ وآستصحِبِ
وآمدُدْ على الدنيا وجَهْـلاتها ظِـلالَ حـلمٍ لك لم يَعزُبِ
وآطلُع على النَّيروزِ شمسا اذا ساقَ الغروبُ الشمسَ لم تغرُبِ
تفضُـلُ ماكـرَّ سِنِي عُمْـرِهِ بملء كفِّ الحاسبِ المطنِبِ
يومٌ من الفُـرسِ أتى وافـدا فقالت العُـرْبُ له : قـرِّبِ
بات من الإحسان فى دارِكم —وهو غريبٌ— غيرَ مستغرَبِ
لو شاء من ينسِب لم يَعـزُهُ لغـيركم عيـدا ولم يَنسِبِ
وآسمع لمغـلوب على حظّـه لـو أنـك النـاصرُ لم يُغلَبِ

(١) المقرِبُ التى قَرُبَ وِلادها . (٢) لم تصحب : لم تُنقد ولم تذلّ (٣) السيساء : منتظم فقار الظهر . (٤) لم يعمد ولم يطنب : لم يكن له عمد ولا أطناب .

مُوَحَّدٍ لم يشكُ من دهره — وأهلِهِ إلا الى مُذنِبِ

أقصاه عند الناس إدلاؤه — من فضله بالنسب الأقرب

لو قيض إنصافُك قِدماً له — عَزَّ فلم يُقْصَ ولم يُقْصَبِ(١)

عندك من برقِي لَمَّاعةٌ — سابقةٌ تَشهدُ للغُيَّبِ

منشورُها ذاك ، ومنظومُها — هذا ، كلا الدرين لم يُثقَبِ

ما زلتُ أرجوك ومِن آيتي — أنْ رجائي فيك لم يَكذِبِ

لم يبقَ لي بعدَك عتبٌ على — حظٍّ ولا فقرٌ الى مَطلَبِ

فاغرِسْ ونوِّهْ منها واصطنع — تَرضَ مضاءَ الصارمِ المُقضِبِ

وغِرْ على رِقِّ من خاملٍ — لِملكِ مثلٍ غيرِ مستوجِبِ

كم أحمدتْ قبلَك عُنْقي يدٌ — لكنَّها سامتْ ولم تَضرِب

ولَدنةِ الأعطافِ لم تُعتَسَفْ — بالكَلِمِ المُرِّ ولم تُتعَبِ

من الحلالِ(٢) العفوِ لم تُستَلَبْ — بغارةِ الشعرِ ولم تُنهَبِ

دمُ الكرى المهراقِ فيها على — سامعِها إن هو لم يطرَبِ

جاءك معناها وألفاظُها — في الحسنِ بالأسهلِ والأصعبِ

أفصحُ ما قيلَ ولكنَّها — فصاحةٌ تُهدَى الى "يَعرُبِ"

* * *

وقال في بعض الأغراض وقد سُئِلَه

ضمانةٌ يَصدُقُ وعدُ الضنا — فيها ، جناها الطَّمَعُ الكاذبُ

عاد بها اليومُ جديدَ الهوى — وقد تولّى أمسُها الذاهبُ

أيّة نارٍ قَدَحتْ في الحشا — عينُ مَهاةٍ زَندُها ثاقبُ ؟

(١) لم يقصب : لم يُقطع . (٢) في الأصل "الجلال" وهو تحريف .

وأىُّ ثغــرٍ ولَمّى صادنى؟ نابــلُ قلبي بهــما الصائبُ
حُبَّـا له من بَرَدٍ جامـــدٍ يقطُــرُ منــه ضَرَبٌ(١) ذائبُ
اللهَ يا "خنساء" فى مهجةٍ أنتِ بهـا الثـائرُ والطالبُ
إن كنتِ حرَّمتِ وصالى فمن أين دمِى ملٌّ لكم واجب
سلى سهامَ الشوقِ عن أضلعى إن صدَقتْ عينُكِ والحاجبُ
مَنْ مُوقِدُ النـارِ وقد أُخمِدتْ على فــؤادى ومَن الحـاطبُ ؟

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى المعالى هِبَة الله بن عبد الرحيم فى النيروز الواقع فى سنة خمس عشرة وأربعمائة

يا دارُ لا أَنْهَـجَ(٢) القشيبُ منــكِ ولا صَوَّحَ الرطيبُ
ولا أخلَّتْ بكِ الغــوادى تَشْعَبُ ما يَصدعُ الجُدوبُ
من كلِّ مخـروقة العَـزَالِى(٣) تغلِبُ أخياطَها الثُّقــوبُ
تعجَبُ منهـا رباكِ حـتَّى يضحكَ فيها الوجهُ القَطوبُ
وكان عِطْرا كما عهـدنا مَشْىُ الصَّــبا فيـكِ والهبوبُ
فــربَّ ليلٍ ثراكِ فيـــه ــ بين نُحورِ العشاق ــ طِيبُ
عُجْنـا وليـــلُ المطىِّ ليــلٌ بَعْـدُ وصوتُ الحادى صليبُ
وما نَقضناهُ من طريقٍ مِن حيثُ رحنا عنــه قريبُ
فقـال صَحْبي : أضــلَّ هادٍ أم خُدِعَ الحـازمُ الأريبُ ؟
ليس أوانُ التعريسِ هذا قلتُ : هو الشوق لا اللُّغوبُ

(١) الضرب : الشهد . (٢) أنهج : بلِىَ . (٣) العزالى جمع عزلاء وهى مصبّ الماء من الراوية ونحوها .

يا من رأى "باللِّوى" بُرَيقًا ... تقــدَحُ نيرانَهُ الجَنــوبُ
كَلَا وَلَا (١) ، بينما تــراهُ ... يطلُــعُ أبصــرتَهُ يغيبُ
كأنّــ ما لاح منـــه وهَنًا ... على شـــبابِ الدجى مَشيبُ
حـــدَّثنى "بالغضا" حديثا ... سَـــرَّ، على أنه خَـــلوبُ
يقـــول : هيفاءُ لم يُحِــلْها ... عن عهدك الناقِلُ الكذوبُ
جفـــونُها بَعـــدَكم حُنُوًّا ... ماءٌ وأحشـــاؤهــا لهيبُ
فارض، فمِن قلبها خُفـــوقٌ ... أعدَى ومن طرفِها أصوبُ
لا وليــالٍ على "المُصَـــلَّى" (٢) ... تُســرَق فى نُسكها الذنوبُ
وما رأى "الخَيفُ" (٣) من هَنَاتٍ ... يغفرها المـالكُ الوهـــوبُ
وخَـــلَواتٍ "بأمّ ســـعدٍ" ... ما بعـــدها لذةٌ تطيـــبُ
لولا لمـاها لمـا شـــفانى ... "بزمزمٍ" ما ســقَى القليبُ
ما ذا على مُحـــرِمٍ "بجَمْـــعٍ" (٤) ... وسهـــمُهُ من دمى خضيبُ
وكيف والصَّيـــدُ ثَمَّ بَسْـــلٌ (٥) ... تصـادُ بالأعينِ القــلوبُ ؟
يا فتكها نظـــرةً خِلاســا ... ســـبَّبَ أدواءَهــا الطبيبُ
ذابت عليهـا حصـاةُ قلبى ... يا من رأى جمــرةً (٦) تذوبُ ؟
قُل لزمانى : ما شئت فاضغط ... قـــد دبِرَ (٧) الجـابرُ الجـــليبُ

---

(١) كَلَا ولا أى كقولك " لا لا " و يراد بها أن هذا البُرَيق فى سرعته يطلع و يغيب كمقدار قول " لا لا " وهى لا تستعمل عادة إلا فى كلّ ما ينمّ على السرعة كقول مهيار فى غير هذا المكان .

كيف رأيت الإبلَا * خواطفًا كَلَا وَلَا

(٢) المصـــلَّى : اسم موضع . (٣) الخَيف : اسم موضع . (٤) جَمـع : اسم موضع من مناسك الحج . (٥) بسل: حرام . (٦) كذا بالأصل وفى منتخبات البارودى "حفرة" .
(٧) دبِرَ : أصابته الدبرة وهى قرحة فى ظهر البعير .

أصبتنى بالخطــوب حــتّى لم تُبْــقِ لى مَقتَــلا تُصيبُ
فى كل يوم جورٌ غريبٌ عنــدى عليه صَــبرٌ غريبُ
حتى لقــد صــار لا عجيبا منــك الذى كلُّه عجيبُ
ولائمٍ فى عُزوفِ نفسى قلتُ له : أنتَ والخطــوبُ ؟
عساك ــ خُبْرا بالناس ــ مثلى إن رُدَّ من حِلمك العــزيبُ
فَــنِى قِــلَى مَنْ تُراكَ تَلْحَى منهــم؟ وفى تَرْكِ مَنْ تَعيبُ ؟
اللهُ لى ــ إن طَرَحْتُ عِرضى أُكلةَ آمالهــم ــ حسيبُ
قد كنتُ أبكى وهــم فُروقٌ شَتَّى وأشكو وهــم ضُروبُ
فاليــوم سوّتهــم المَساوِى عنــدى وعمَّتهم العيــوبُ
فما أرى منهُــمُ بريئا يَخشَى آفتضاحا به المُــريبُ
بلى ! قد آستثنتِ المعالى بيتًــا لهــا فخــرُهُ نسيبُ
بيتًا ، شموسُ الضحَى عِمادٌ له ، وشهبُ الدجَى طُنــوبُ
الحَسَبُ[(١)] العِــدُّ[(٢)] من بنيــه كلُّ نجيبٍ نَمَى نجيبُ
من آل "عبــدِ الرحيم" مُردٌ حولَ رواقِ العُــلا وشِيبُ
تشــابهوا سُــودَدًا فأعطَى شاهدُهم فضــلَ مَن يغيبُ
كلُّ مُحَيًّــا الجبينِ طَلْقٍ لم يَعتسِفْ بِشرَه القُطــوبُ
راضون أن يُشبِعوا ويَضْوُوا[(٣)] والعــامُ مسحنفِزٌ[(٤)] غَصــوبُ
تَرْوَى عِطاشُ الآمالِ فيهــم وهْىَ عــلَى غــيرهم تَلوبُ
لهــم أفاويقُــها إذا ما أصرَمَ ثَدْىُ الحَيَــا الحَلوبُ

---

(١) فى الأصل : أيحسب . (٢) العِدّ : القديم . (٣) يضووا : يهزلوا ، وفى الأصل : "يضروا" . (٤) مسحنفز : ماضٍ مسرعا .

دوحةُ مجـدٍ، أبو المعـالى غصنُ جناها الغضُّ الرطيبُ
كان فتـاها والرأىُ كـهلٌ وطفـلَها والحجـا لبيبُ
ليثُ حِمـاها والدارُ حربٌ وفى السـلامِ الظبىُ الربيبُ
لا فرحـةٌ تسـتقلُّ منــه حِلْما ولا نوبةٌ تنـوبُ
تغمِـزُ فيــه أيدى الليـالى والنَّبـعُ مسـتعصِمٌ صَليبُ
إذا كساه الغِـنَى قميــصا فهو بأيدى النـدَى سليبُ
وكلُّ ســعيٍ له كَسوبٍ تَغـرَمُه كفُّه الوهـوبُ
يحمى حِمـاه بنافـذاتٍ خُدوشُها فى العِـدا نُدوبُ
لا يَبلُغُ السَّبرُ(١)، ما يُفـرِّى(٢) — مُعمَّقا — جُرحُها الرغيبُ
يبعثُهـا مفصِـحا لسانٌ ماضٍ إذا لجلجَ الخطيبُ
إذا فُـروجُ الكلامِ ضاقتْ تمَّ بهـا باعُـهُ الرحيبُ
لا محقتْ بدرَك الدآدِى(٣) ولا محا شمسَـك الغـروبُ
ورجَـع الدهرُ مستقيـلا اليـكَ من ذنبِه يتـوبُ
يُقسِمُ لا شِيمَ وهـو سيفٌ بعـدُ ولا شَمَّ وهـو ذيبُ
وعاد ظـلُّ الدنيا عليكم يُورِقُ أو يُثمِـرُ القضيبُ
حظُّكُمُ صـفوُها وحظُّ الـ أعداءِ منهـا المُـرُّ المشوبُ
ما كرَّ عَـوْدًا شبابُ ليـلٍ يَردُفُـهُ من ضُحًى مَشـيبُ

(١) السـبر : امتحان غَوْر الجـرح ومعرفة مقـداره . (٢) ما يفرّى : ما يُشَـق .

(٣) الدآدىُّ : ثلاث ليال من آخر الشهر قبـل ليالى المحاق أو هنّ ثلاث ليال فى آخر الشهر يُدأدِئُ القمر فيها الى الغروب أى يُسرِعُ وقد سُهِّلت همزتها ، كقول الراجز

أبدى لنا غرّة وجه بادى * كزُهرَة النجوم فى الدآدى

وواحدتها : دَأْدَاء وفى الحديث ”أنه نهى عن صوم الدأداء“ وهى يوم الشك .

وزار يومُ النـــيروز عامَ الـ ـخصبِ كما زارك الحبيبُ
تُهدَى لكم من ثناىَ عُونٌ[1] كلُّ ابنِ سمعٍ لها طروبُ
قواطنٌ فيـــكمُ وتُمسِى تجولُ فى الأرض أو تجـوبُ
فى كلّ يومٍ تغشـاكَ منها حبيبـــةٌ ما لهـا رقيبُ
كذاك لا غائبى خبيثٌ لكم ولا شاهــدى مريبُ
قـلبى صحيـحٌ لكم ودّى ما مرِضَ الودُّ والقـلوبُ
أجبتكم قبــلَ أن دعـوتم فكيف أُدعَى فلا أُجيبُ

وقال وكتب بها الى الرئيس سعد الملك أبى الحسين بن حاجب النُّعمان فى شوّال من ســنة سبع عشرة وأربعمائة ، ويذ كُرُ قديمَ الرياســةِ فى بيته ، وٱجتذابَه إيّاه ، وٱقتراحَه مديحَهُ، وَتواصَلَ الخطابُ على ذلك

لعلّها — واليأسُ منها أغلبُ — إن نأتِ اليــومَ غدًا تستقربُ
حاجةُ صـــدرٍ لك لا ملفوظةٌ ولا تَســوغُ حُلوةً فتُشــرَبُ
أَضْحَـكُ من مواعِدِ الدهرِ بها ممّـا يجىءُ باطـــلا ويذهبُ
ودونها — أن ينتهِى لِحَاجُها — ذو صِبغتَيْن دِينُــه التقلُّبُ
فى كلّ يومٍ مُرسَـــلٌ مغـالِطٌ لى عنـــده ، وشافِـعٌ محبَّبُ
وحَلفــةٌ كـاذبةٌ وفى فمى شكيمةٌ[2] مِن أن أقولَ : تكذبُ
مُلَّ فلا الحصـاةُ من فـــؤاده تلينُ لى ولا اللسانُ يَرطُبُ
اللهَ ياهيــفاءُ لى فى زمنٍ نعيمُهُ بِمـــدَكُمُ معـــذَّبُ

---

(١) العُونُ جمع عَوانٍ وهى النَّصَفُ فى سنّها من كل شىء ويريد بها قصائده . (٢) الشكيمة : الحديدة المعترضة فى فم الفرس .

وكبِدٍ يصدَعُها كلُّ أسًى | بها الكبودُ القرِحاتُ تُشعَبُ
لا سلوةُ البعدِ المُريحِ عِصمةٌ | منكِ ولا الهمّ المُراح يعزُبُ (١)
وكلّما أطمعَ فيكِ سببٌ | آمُلُهُ أيأسَ منكِ سببُ
يعيشُ قلبي وهو عيشٌ مؤلمٌ | ثم يموتُ وهو موتٌ طيّبُ
نفسَكَ يا مُعطى الهوى قيادَه ، | إنك فى خَيطِ الهوانِ تُجنَبُ
وإن هَوِيتَ فأنتصرْ بغَدرةٍ | عن ثقةٍ أنّ الوفاءَ العطبُ
قالت على "البيضاء" أختُ عامرٍ: | أسفرَ فى فَودَيكَ ذاك الغيهبُ
ومن بلاياكِ وإن عبتِ به | شبابُ حُبٍّ وعِذارى الأشيبُ
غدرُكِ والحسونَ ، أيّ روضةٍ | قشيبةٍ بينهما لا تُجدِبُ (٢) ؟
وما الذى أنكرتِهِ من ليلةٍ | يطلُعُ فيها قمرٌ أو كوكبُ ؟
ما نصلَتْ إلا بماءِ مقلتى | فليتها بماءِ قلبي تُخضَبُ
وعاذلٍ لا سُقِيَتْ غُلّتُهُ | "بالغور" ما يُروى ولا ما يَعذُبُ
يزعمُ أن كلَّ دارٍ "رامةٌ" | وأنّ كلَّ ذاتِ حِجلٍ (٣) "زينبُ"
حلفتُ يومَ ينحرُ الناسُ بها | ساجدةً أذقانُها والركبُ
يُعطَى المُنَى منها الذى يَستامُهُ | طُلًى (٤) تَطيحُ وجُنوبٌ تجِبُ (٥)
مثل التلاعِ (٦) بازِلًا (٧) وحِقّةً (٨) | قامَ عليهنّ الربيعُ المخصِبُ
والمُشرفاتِ من "مِنًى" كأنّها | على ظُهورِ الهَضَباتِ حَدَبُ
وبالملبّينَ سعَوا فنفضُوا | ذنوبَهم وجمّروا وحصّبوا

(١) فى الأصل "المزاح يغرب" وهو تحريف . (٢) فى الأصل "تجذب" وهو تحريف .
(٣) الحجل : الخلخال . (٤) الطلى : الأعناق . (٥) تجب : تسقط . (٦) التلاع جمع تلعة وهى ما ارتفع من الأرض . (٧) البازل : الجمل المسن . (٨) الحقّة : الناقة الداخلة فى الرابعة من عمرها .

ومَاحَوَى ـ وأىَّ فضلٍ ماحوى ـ ذاكَ العتيــقُ البــارزُ المحجَّبُ
لو نُسبَ المجــدُ لمَــا كان الى غيرِ بنى "عبدِ العزيزِ" يُنسَبُ
مِن أرضِهم طينتُــهُ وفيهِــمُ رواقُـــهُ و بيتُـــهُ المطنَّبُ
أقسمَ : لا فارقَهم ، وأقســموا ما دام خُلْدًا مِن "أبانَ" مَنكِبُ
حىٌّ على رغمِ البــدورِ غُرَرًا تَقــدحُ فى فحمِ الدجى فتثقُبُ
ورِدْ نفــوسا حُرَّةً وأيديا تُحيلُ فى المحلِ عليهــا السُّحُبُ
تبادروا الجودَ فلاطوا حوضَهُ،(١) لهم ليــالى وِردِه والقَــرَبُ
وٱنتظموا سوددَهم نظْــمَ القنا لكن صدورٌ ليس فيها أكعبُ
داسُوا بأعقابِهمُ هامَ العــلا وٱقتعَــدوا ظهورَهــا وٱعتقَبوا
شُمَّ الأنوفِ والسيوفِ، قَصُرَتْ دروعُهم، وهى سِباغٌ تُسحَبُ
يمشُونَ رَجْلَى(٢) فيُخالُ أنهــم من شَــارةٍ(٣) ومن شَطَاطٍ(٤) رَكِبوا
توارثوا الملكَ فــلا خلافــةٌ إلا لهــم سريرُها والمــوكبُ
ومنهُـــمُ فى حربِهــا وسلمِها رمحٌ يَخُطُّ ولسانٌ يخطبُ
حُلِىُّ كلِّ دولةٍ عاطلةٍ وبِشْرُ كلِّ نعــمةٍ تُقطِّبُ
إذا الخطوبُ حُسِمتْ بخَــدعةٍ أو رَدعةٍ لانوا لهــا وصَــعُبوا
إن كتبوا، قلتَ: ٱصطلاما(٥) طعنوا أو طعنوا ، قلتَ : بلاغًا كتبوا
ترى الجبالَ فى الحُبَى إن جَلَسوا والأسدَ هيجَ شرُّها إن وَثبــوا
لهــم قُدامَى الفخرِ، ما تنقُــلُهُ لك الرواةُ وتريك الكــتبُ
وخيرُ ما ٱستطرفتَــهُ حديثُهــم إذا الكرامُ زانهـــم ما أعقبــوا

---

(١) لاطوا : طيَّنوا . (٢) رَجْلَى : على أرجلهم . (٣) من شارة : من حسن وزينة .
(٤) ومن شطاط : من طولٍ وحسنِ قوام . (٥) ٱصطلاما : ٱستئصالا .

وَولَدوا "أبا الحسين" فرأى الـ ـمجدُ به كيف نَمَوْا وأنجبوا

برزتَ فى عِقدِهِمُ واسطةً لها من الأبصار ما يُستلَبُ

بيضاءَ مما أبغضَ الغوّاصُ فى الـ ـفحص عليها أنفُسًا تُحبَّبُ

ومَطَلَتهم دونها أُمنيّةٌ روّاغةٌ وحِقبٌ وحِقبُ

حتى قضى الصبرُ لهم قضاءَهُ وآستحييت الأيّام مما نصبوا

فاستخرجوها تملأ الراحةَ والـ ـعينَ، فقالوا : دُرّةٌ أم كوكبُ ؟

وشَرُفتْ فلُقّبتْ فخرَ العلا او لم يقعْ دون سناها اللقبُ

وكيف لا تطلُع بدرا فيهمُ؟ والشمسُ جدٌّ لك والنجمُ أبُ

ألقَى الكمالُ طائعا عِنانَهُ اليك يُرخِى تارة ويَجذِبُ

وأقعصَ[1] الأقرانَ عنك قلَمٌ ممرّنٌ وخاطرٌ مدرّبُ

وقمتَ قُرحانا[2] فتيًّا بالعلا قُيِّدَ عنك القارحُ المجرّبُ[3]

وَرثتَ فضلا لو قَنِعتَ لكفَى لكن أبيتَ غيرَ ما تكتسِبُ

كالليثِ لا تحلو له فريسةٌ لا ينتقِى[4] فيها ولا يُخلِّبُ[5]

وكم سواك لم يحُزْ حِسابُهُ أعدادَ ما تُملِى عليه الحُسَّبُ

حَويتَ إعظاما وقد مثَّلتَ لى رائدَ عينىَّ وقلتَ : تَكذِبُ

أدُميةٌ صيغتْ أم البدرُ هَوَى وبَشَرٌ أم مَلَكٌ مُقرَّبُ؟

معجِزةٌ جاء الزمانُ غلطا بها وآىٌ كلُّهنّ عَجَبُ

وكرَمٌ على اللسان حاضرٌ يشِفُّ منه الكرمُ المُغيَّبُ

---

(١) أقعص : أمات . (٢) القُرحان فى الإبل : مالم يجرَب قطّ ، وفى الأصل " فرحانا " وهو تحريف . (٣) القارح المجرَّب : المسنّ الذى أصابه الجرب . (٤) ينتق : يطلب النِّقْىَ وهو مخ العظام . (٥) يخلِّب : يُعمِلُ مخالبَه .

وراحةٌ مُطلَقــةٌ طارحَهـا الـ ـعِرضُ المصونُ أن يهون النشبُ

سحرتَنى ودارُ عِزِّى "بابل" وقُــدتِني وأمُّ رأسى(١) تصعُبُ

وملَّكتَنى لك نَشوانَ الهــوى خلائقٌ غِناؤهنّ مُطــرِبُ

ملأتَ بالبِشــرِ وِطابَ(٢) أمَلى وبعضُهــم بكيئةٌ(٣) لا تُحــلَبُ

حتى رَقَ الحـاوِى فأصغيتُ له وكدتُ معْ شدّةِ زُهدى أرغبُ

وقلت عاش "لزهيرٍ"(٤) "هَرِمٌ"(٥) وقامَ فى أهلِ "الزُّبَيرِ"(٦) "مُصعَبُ"

أرضيتنى عن الزمان بعــد ما حرَّقَ أضلاعى عليـه الغضبُ

وعاد بَرْدا وسَـــلاما بك لى ما توقِد الدنيـا وما تحتطِبُ

أغنيتنى قبــلَ اللُّهـا مودّةً والودّ عنـدى خيرُ رِفدٍ يوهَبُ

وقرَّبَتْنى منــك أُولَى نظــرةٍ حتى كأنّا لم نزل نصــطحبُ

فِراســةٌ أيقظك المجــدُ لهـا وفطنــةٌ على سواك تعــزبُ

وهمّــةٌ إذا ركبتَ ظهــرَها أدركتَ من أخرَى العلا ما تطلُبُ

فاسمع أُقرِّطْك شُــنوفا دُرُّهـا لغــير آذانِكُمُ لا يُثقَبُ

من المصــوناتِ التى تعنَّستْ(٧) خلف الخدورِ وهى بِكرٌ تُخطَبُ

تنـافسَ الملوكُ فى مُهــورها وٱقترَعوا فى حُبِّــها وٱحتربوا(٨)

عنـدهُم الرغبــةُ والودّ لهـا وعنــدها المــلالُ والتجنُّبُ

(١) أمّ الرأس : الدماغ أو الجلدة الرقيقة التى عليه . (٢) الوطاب جمع وطْب وهو السِّقاء . (٣) البكيئة : الناقة أو الشاة قلّ لبنها . (٤) زهير بن أبى سلمى الشاعر . (٥) هرم بن سنان من أجواد العرب وقد اختصه زهير بمدائحه . (٦) الزبير بن العوام رضى الله عنه حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبد المطلب ومصعب ابنه . (٧) تعنّست : صارت عانسا وهى التى طال مكثها بعد إدراكها ولم تتزوج قط حتى خرجت من عداد الأبكار . (٨) احتربوا : أوقدوا نار الحرب .

وزادها نزاهةً وورعًا ... منّى أبٌ على البناتِ حدِبُ
ليس عليه للتمنّى طاعةٌ ... ولا له فى الشهواتِ أربُ
لا يمدح الناسَ ولكن مدحُكم ... يلزَمُ فى دِينِ العلا ويجبُ

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس الأجلّ عميد الكفاة أبى سعد بن عبد الرحيم، يتذلل ببعض المعاتبة، ويهنّئه بالمهرجان الواقع فى السنة المذكورة

نأتْ والأمانِى بها تقرُبُ ... وملّتْ وأحسَبها تعتِبُ
ومال بها الغدرُ غدرُ الطبا ... عِ عنّىَ والكاشحُ المجلِبُ
وغيرانُ يُذعِره آسمى بكم ... ويؤنسه حولَه المِقنبُ
يكون لغيرى جَناحَ البعو ... ضِ لينا ولى قرمُه[1] المصعَبُ
ومنتحِلٌ فى الهوى يدّعِى ... مقامى وشاهدُه يكذِبُ
تبدّل بى ساء ذاك البديلُ ... كما بِيعَ فى الأخبثِ الأطيبُ
فيا عجَبى من مُريقٍ دمى ... عنادا وقلبى به معجَبُ
ومستهزئٌ ضاحكٌ من بكاى ... يجِدُّ بقلبى كما يلعبُ
أهيفاء، أىُّ هوى قد علمـ ... ـت يُقصى وأىّ أخٍ يُقصَبُ[2]؟
ولما آنطوَى العامُ نفسي ترُ ... دُّ عنكِ وحافزُها يطلُبُ
صددتِ كما آنصرفَتْ بالصدى[3] ... غرائبُ[4] أوجهها تُضرَبُ
أقول : غدًا، نظرا للوفاء ... وغدركُمُ من غدٍ أقربُ
وكيف اللقاءُ وقد سُدّتِ الـ ... ـمطالعُ يا ذلك الكوكبُ؟
وأين النجاءُ وما الحظُّ فيه، ... ومنكِ — وأنتِ المنَى — المهربُ؟

(١) القرم المصعب : الفحل الذى ترك فلم يُركب حتى صار صعبا . (٢) يُقصب : يُقطع .
(٣) الصدى : الظمأ . (٤) الغرائب : الإبل الغريبة التى تضرب لصرفها عن الماء .

* * *

سلِ الهاجعين على "ذى الطُّلوح"[1] وطَـرف لهـم حارسٌ يرقُبُ

أشِمتُم يميـنا سـنا بارقٍ يشـوقُ عـلى أنه خُلَّبُ ؟

تألَّق مستشـرفا لا يُسَـلُّ حتى يُرى سيفُه يُقْـرِبُ[2]

يبينُ ويُخفى رءوسَ الهضابِ فتنصُـلُ منـه كما تُخضَبُ

يَمُـرُّ فيُرغِب[3] فى أضـلُعِى صُـدوعا برَجعتِـة تُشْعَبُ

وهل عنـده خبرٌ إن سألـ ـتُ : ما "البانتان" وما "زينبُ" ؟

وهل ربعُ "غُرَّبَ" فى الباليا تِ أم هل على عهدنا "غُرَّبُ" ؟

سقىَ بالحمى الأعيُنَ الـنابلا تِ من دم أحشاىَ ما تشربُ

وحيًّا الحيـا أوجها لا تَغُشُّ لجُينُ الجمـالِ بهـا مُذهَبُ

وفى السانحـاتِ بذاك "الرُّميـ ـل" عفـراءُ تاهَ بهـا الربربُ

من الذاهبـاتِ بحَبِّ القـلو بِ لا تُقتَضَى ردَّ ما تَسـلُبُ

وما نُطفـةٌ حصَّـنتها السماءُ بأرعنَ مَرقاهُ مستصعَبُ

مصفَّقـةٌ[4] حَلَبتْ عَفـوَها[5] بها المزنُ أوّلَ ما تَحـلُبُ

الى أن تبـقَّت لُباناتُهـا وكادت بمـا لطُفتْ تَنضُبُ

تراوِحـها وتغـادى الشَّمالُ تُرقـرقُ فيهـا وتُسـتعذَبُ

ولا نحـلةٌ بات يَعسـوبُها[6] على الحسْنِ من حـذَرٍ يلسبُ

يَغـار فيمنعها أن تُشا[7] رَ، ما منعَ الشائرَ المشغَبُ[8]

---

(١) ذى الطلوح : اسم موضع . (٢) يقرب : يدخل فى القراب وهو غمد السيف .

(٣) يرغب : يوسع . (٤) مصـفّقة : مصفّاة . (٥) العفو : أول ما يحلب .

(٦) اليعسوب : ذكر النحل . (٧) أن تُشار : أن يستخرج عسلها . (٨) المشغب : المهيّج .

تُجاذبُ فيها أكفُّ الجُنا ... ةِ غِنًى(١) مثلها مثله تَكسِبُ
ولا مِسكةٌ طاف عطّارُها ... "بدارِينَ"(٢) يَنخلُ ما يَجلبُ
يبقّرُ عنها بطونَ الظِّباءِ ... من الألف واحدةٌ تُنجِبُ
فجاءت لضوعتها سَورةٌ ... تكاد العِيابُ بها تُثقَبُ
بأطيبَ من فم ذات الوشاح ... سُحوراً، بلى! فمُها أطيبُ
تقول العواذلُ : دعْ ذِكرها ... ففى الذِّكر قادحةٌ تُلهِبُ
وهَبْها كعاريةٍ تُستَرَدُّ ... لا بدَّ أو ثَلَّةٍ(٣) تعزُبُ
فقلتُ : إذن كبِدى فلذةٌ ... من الصخر أو كبِدى أصلبُ
تُزَمُّ الحمولُ فلا أستكينُ ... وتشدو الحمامُ فلا أطربُ
عَذيرىَ من زمنٍ لا يَسُرُّ ... بنعماءَ إلا بها يَنكُبُ
إذا قسَمَ الحظَّ بين الرجال ... فحظىَ من شرّ ما يَنصِبُ
تَعاوَى علىّ تصاريفُه ... تَذاءبُ حولى وتَستكلبُ
فأدفعهنّ بصبرى الجميلِ ... اذا ظَلَع المتنُ والمنكبُ
سأركبُ عزمىَ، حتى يطيرَ ... عن الضيم عنقاءُ بِى مُغرِبُ(٤)
وإلا فعندَ "عُبيدِ" الكفا ... ةِ" حِمًى مانعٌ وذَرًى مُعشِبُ
وراتعةٌ من أمانى العُفا ... ةِ لا هىَ تَظمَى ولا تَسغَبُ
لها ما يُوَسِّعُ من ذَرعها ... بساطَ الرجاء وما يُرحِبُ
كريمٌ، وشائجُ(٥) أعراقِه ... إلى العِيص(٦) من مجده تَضرِبُ

(١) فى الأصل "عنى" وهو تحريف. (٢) دارين : بلدة مشهورة بالطيب. (٣) الثلة : جماعة الغنم أو الكثيرة منها. (٤) يقال : عَنقاءُ مُغرِبٌ وعنقاء مُغرِبةٌ والعنقاءُ المغربُ وعنقاءُ مُغربٍ وهو طائر معروف الأسم لا الجسم وفى المثل "حَلَّقتْ به عَنقاءُ مغربٌ". (٥) الوشائج جمع واشجة وهى الرحم المشتبكة. (٦) العيص : هو من أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر.

توسّعَ في نسبٍ، كالهـــلال ... إلى الشمس، أعرقَ ما يُنسَبُ
بُنـاةُ العـلا آلُ "عبـدِ الرحيـ ... ـم" يُعــرَفُ بابنهِمُ ما الأبُ
ميامينُ، أنديةُ المكرماتِ ... لهـم تُجتبي(١) وبهـم تُعصَبُ
إذا ذَكَروا العـارَ لم يأمنوا ... وإن ركبوا السيفَ لم يَرهَبوا
وجـوهٌ ميسَّــرةٌ للنـجا ... حِ باسمــةٌ والـثرى يَقطُبُ
وأيــدٍ تخفُّ إلى الأعطياتِ ... إذا حُسِبَ الفقــرُ لا تُحسَبُ
تراحُ عِشـارُهُمُ(٢) للشــفارِ ... فتُعبطُ(٣) من قبــلِ تُستحلَبُ
ولولا القرى ورشادُ الضيـو ... فِ(٤) لم يغدُ عبدٌ لهـم يَحطِبُ
مضَوا تضمنُ المجـدَ أحداثُهم ... وذكـرهُـمُ خالدٌ طيِّبُ
وقام "أبو سـعدهم" ذائدا(٥) ... بمـيراثه وبمـا يكسِبُ
فتـاهم بما عُدّ من سِــنّه ... وشـيخٌ وأحلامهم تعــزُبُ
كفته بديهــةُ حِــدْثانه ... قـديمَ الرجالِ وما جرّبوا
وغلّس حـتى انتهى واحـدا، ... له المجلسُ : الصـدرُ والموكبُ
كثيرُ الغَنـاءِ قليـلُ العنـاءِ ... فما يسـتريح وما يتعَبُ
وما يَغـمزُ الخطبُ في عُوده ... إذا انقلب الزمنُ القُلَّبُ
أبيٌّ جوادٌ، فيـومَ الخصام ... يَحُجُّ، ويومَ النـدى يَغلِبُ
يرى النفسَ تلك الـتي لا تُذَ ... لُّ والمـالَ ذاك الذى يُوهَبُ
أصاخ بكم لِيَ حـظّي الأصـ ... ـمُّ واعتذر الزمنُ المذنبُ

---

(١) تجتـبي : تصطفى، وفى الأصـل "تجتنى" وهو تحريف . (٢) العشار : النوق .
(٣) فتعبط : فتُنحر . (٤) يريد : لولا ما يوقدونه للقرى من النار التى يُرشَد بها الضيوفُ الى أحيائهم ما احتطب لهم عبد . (٥) فى الأصل : "زايدا" وهو تحريف .

وذلَّلتمُ لي ظهورَ الرجا ... ءِ ما شئتُ أركبُ أو أجنُبُ
وكنتم مآلى ومالى فلسـ ... ـتُ أرهبُ شيئاً ولا أرغبُ
وردَّ الودادُ إليكم قِيا ... دَ قلبي فما عنكمُ مَذهبُ
وحلأتُ[1] عن حوض شعرى الملو ... كَ وهو لكم مُفدِقٌ مُعذَّبُ
صوارمُه دونكم تُنتضَى ... وأذيالُه حولكم تُسحَبُ
أحنُّ لكم حَنَّة العاشقين ... فأمدحكم مثلَ ما أنسِبُ
على مللٍ فيكمُ لا تزال ... بجني قوارفُهُ تَنْذُبُ
متى آتِ لم أكُ مستكرَها ... وأنأى فما أنا مستقرَبُ
وكم ماطرٍ فيهمُ بالوفاءِ ... إذا رمتُ أنصافَهُ[2] يحلِبُ
يُدير كئوسَ الهوى بيننا ... فيسقِى الغرامَ ولا يشربُ
ومن حاسدٍ لِيَ، أرسانُهُ ... بما ساءنى عندكم تُجذَبُ
إذا خافنى دبَّ فى دوركم ... بعيبى كما دبَّت العقربُ
فلا وشقاوتِه ما يَشُقُّ ... على البدر أن تَنبحَ الأكلُبُ
ولو كنتُ أُغلِى عليكم رضاىَ ... لما سرّكم أننى أغضبُ
ولكن فؤادٌ لكم رقُّهُ ... فما يستبيع ولا يَهرُبُ
يُريه الهوى أنَّ إمساكَه ... بكم من تنقّلِه أصْوبُ
وأنَّ الحفاظَ وحبَّ الوفاءِ ... على طينِ طابعِه أغلبُ
فلا تنتزعكم يدٌ تستمـ ... ـيحُ منّى ولا قاهرٌ يَغصِبُ[3]

(١) حلأت : منعتُ، ومعذَّب : مزوع ما فيه من قذًى . (٢) أنصافه : أى نصف ما يحلبه فى قَربه، ومنه : قربة نَصفَى لمى بلغ فيها الماءُ أو غيرُه نصفَهُ . (٣) فى الأصل " يغضب " ولا يتفق والمعنى .

ولا أُعدَمَنْ منكمُ أُسرةً ... بأيسرِ عُتبَى لها تعتِبُ
وغُرٌّ مفوَّفةٍ كالبرو ... دِ أو هى من حَوكها أقشبُ
تجارِى بروجَ العلا أو تعود ... وشرقُ النجوم لها مَغرِبُ
يُنِلُّ النوالُ لكم صعبَها ... فكلُّ شوامسِها (١) تُركَبُ
بكم هامَ رِيقُها (٢) فى الشبابِ ... وهذا لكم عمرُها الأشيبُ
على كلِّ يومٍ جديدِ السعو ... دِ ومن حُسنِها سِمةٌ تغرُبُ
فإن جاءكم أعجمىٌّ اللسا ... نِ فهى لسانٌ له مُعرِبُ
فتبقونَ وهى بواقٍ قعودٌ ... ما (٣) آختلفَ الصبحُ والغيهبُ

* * *

وقال وكتب بها الى أبى الحملات شبيب بن حمّاد بن مَزْيَد، وقد كرّر الرغبةَ اليه فى ذلك، وثقّل بجماعةٍ من الأصدقاء سامهم تنجُّزَ مديحه، وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وأربعمائة

طَرقتْ على خطَر السُّرَى المركوبِ ... والليلُ بين شَبيبةٍ ومَشيبِ
وعلى الرحائل ساجدون دَحَا (٤) بهم ... سُكرانِ : سُكْرُ هوًى وسُكْرُ لُغوبِ
دعَموا الخدودَ بأذرعٍ مضعوفةٍ ... وتواقعوا لمناكبٍ وجُنوبِ
وتعلَّلوا طرَبا إلى أوطانهم ... بحنينِ كلِّ منَدَّبٍ (٥) مجلوبِ
فكأنَّ صَحْبِى نالهم قَرقفٌ (٦) ... أو فزَّ بينهمُ عِيابُ الطِّيبِ
فعجبتُ للزَّورِ القريبِ دنا به ... قَدرٌ وليس مَزارُه بقريبِ

---

(١) الشوامس جمع شامس وهو الفرس يمنع ظهره. (٢) الرِّيّق: أوّل العمر. (٣) هذا الشطر دخل على أوّله "الخرم" وهو ذهاب "الفاء" من "فعولن". (٤) دَحَا بهم: رمى بهم. (٥) المندَّب: الذى به آثار الجروح. (٦) قرقف: من أسماء الخمر، وفزّ: سال ونَدِىَ.

يَسرِى وحيدا "بالعراق" وأهلُه ما بين قُنَّة "لَعلَع" و"عَسيبِ"

وأبى سَلامةَ إنما جَلبَ الكرى منها عدوًّا فى ثياب حبيبِ

لو حُكِّمتْ يقظَى لما زارت بلا عِدَةٍ ولا وصلتْ بغير رقيب

يا أختَ "فِهرٍ" والمحبة بيننا نسبٌ، وإن ناداكِ غيرُ نسيبِ

لولاكِ لم أشِمِ الخِلابَ ولاصبتْ نفسى لأحلامِ الكرى المكذوبِ

ولكان لى مندوحةٌ "بالحَزْنِ"(١) فى أخويك من رشأٍ له وقضيبِ

ناهضتُ حبَّك والنحولُ يخوننى وكتمتُ سرّك والدموعُ تَشِى بى

وحَملتُ حتى قيلَ : مات إباؤه وجزعتُ حتى قيلَ : غيرُ لبيبِ

فاذا وذلك(٢) ليس عندكِ نافعا لما مِلتِ وقلَّ منك نصيبى

تجرمين الذنب تجزينى به والشيبُ والإقلالُ كلُّ ذنوبى

ثِنتان لو خُيِّرتُ فى كلتيهما عُمَر الربا مالى وعُمر مَشيبى(٣)

ولقد حَبستُ عن اللئامِ مَطامعى وأطلتُ فى دار الهوان مَغيبى

وعزفتُ والأرزاقُ مطمحُ ناظرى أَنِفًا من المتمنِّنِ الموهوبِ

مالى أذلُّ وسيف نصرى فى فمى والصونُ بين مآزرى وجيوبى

وعلىَّ دون الحاسدين ونَبلِهم دِرعان من فِطَنى ومن تجريبى

---

(١) الحزن : اسم موضع . (٢) يريد "فإذا هذا وذلك" كقول عبد الرحمن بن عبد الله أو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمار المشهور بالقَسّ وهو صاحب سلّامة المغنية

باتت تعلّلنا وتحسب أننا * فى ذاك أيقاظ ونحن نيامُ

حتى اذا سطع الضياء لناظر * فاذا وذلك بيننا أحلامُ

وكقول أبى كبير الهذلىّ

فاذا وذلك ليس إلا ذِكْرُهُ * وإذا مضَى شىءٌ كأنْ لم يُفعَلِ

(٣) كذا بالأصل رسما وشكلا ولعله :

ثنتان لو خُيِّرت فى كلتيهما * عُمَرَ الرُّبا مالى وعِزَّ مشيبى

(٤١)

وحمـايةُ الأحرارِ تحفظُ جانبي والفضلُ يمنع سارحى وعزيبى
وإذا فزعتُ لجأتُ من أَسدٍ إلى أَسدٍ تأشَّبَ فى القنا المخضوبِ
ونزلتُ فى غُرفِ العـلا متظلّلا بالعـزّ تحت رواقها المضروبِ
وعلِقتُ منهـا ذمّـةً ومـودّةً أن فات "حمّادٌ" بحبلِ "شبيبِ"
المـاجد آبن المـاجدين وربما تجدُ النجيبَ وليس بآبن نجيبِ
وآبن القِرى وآبن الصوارم والقنا والخيـلُ تخـلِط أرجلا بسبيبِ
والواهبِ ما لا يُجـاد بمثـلِه والسـالبِ ما ليس بالمسـلوبِ
والراكبين الى ذوى حاجاتِهم ظَهرا من الأخطار غيرِ ركوبِ
جادوا فقال المالُ: سُحْبُ مواهبٍ وسطَوْا فقال الموتُ: أُسدُ حروبِ
وتتابعوا فى المجـد ينتظمونه، والرمحُ أُنبـوبٌ على أنبـوبِ
كانوا الأسنةَ فى "مَعَـدٍّ" كلِّها والناسُ بين مَعاقِدٍ وكُعوبِ
إن فوخروا شهِدت لهم أيّامهم فيـها بكلِّ معـلَّمٍ مكتوبِ
يتوارثون مَكارما مُضَريّةً إرثَ النبوّةِ فى بنى "يعقوبِ"
دَرَجوا عليها آخذين بحكمها لم يُفسـدوا حسـناتها بعيوبِ
وجرى أبو الحملاتِ يطلبُ شأوَهم أكرِمْ به من لاحقٍ وطلوبِ
قالوا: الهمامُ، فأفرجَتْ أبطالُهم لك عن طريق الضيغمِ المرهوبِ
لقبٌ يصدّق فيـك معناه آسمَه ومن الرجالِ مُمـوَّهُ التلقيبِ
لك يا "شبيبُ" صباحَها ورواحَها عَقـرُ الكماةِ بها وعَقـرُ النيبِ
وعلى سلاحك أوسماحك أُركِزتْ راياتُهـا بفِـنائها المطـلوبِ
أصبحتَ غرّةَ مجـدها فبياضُه مستخرَجٌ من لونك الغـريبِ
وعلامةُ العـربىّ دُهمـةُ وجهه ومن الوجوه البيضِ غيرُ حسيبِ

• والبدرُ أشرفَ طالِعٍ فى أفقه ... وبياضُه المرموقُ فوق شُحوبِ
لله بيتُك أمنُه وجِفانُه ... والحق بين مَخافةٍ وجُدوبِ
ومكرَّماتُ النسلِ تُهِونُ(١) فى القِرى ... بالمصطفى منها وبالمجنوبِ
وإذا الوَقودُ خَبَا جعلتَ لحومَها ... حطباً لنارِ الطارق المجلوبِ
من كلِّ مُشرِفةٍ تحدّث هامةً ... ورديفةٍ(٢) عن "صخرةٍ(٣)" و"عسيبِ(٤)"
الكُورُ(٥) فى وضحِ الصباحِ لظهرِها ... والسيفُ فى الظلماء للعُرقوبِ
حُدّثتُ والخبرُ الجلىُّ مصدَّقٌ ... عن سيبك المتدفّقِ المسكوبِ
وشمائلٍ لك فى الندَى مطبوعةٍ ... كالتبر ليس صفاؤه بمشوبِ
وبما عَرفتَ فضائلى ووصفتَها ... ورغبتَ فى وِدّى وفى تقريبى
فاستاق منك غريبَ أشعارى الى ... متوحِّدٍ فى المكرماتِ غريبِ
فبعثتُها لك فاتحاً ما بيننا ... بابَ الوصال ونُهزةَ الترغيبِ
من كلِّ ساريةٍ بذكرك، صيتُها ... فى الأرض بين فدافدٍ وسُهوبِ
تزدادُ صبرا فى الزمانِ وقوّةً ... أبدا على الإدلاجِ(٦) والتأويبِ(٧)
وهى التى شَجَتِ الملوكَ وخودِعوا ... منها عن المنفوس والمرغوب
فاستقربوها مغرَمينَ بها وما ... تزدادُ غيرَ تمنُّعٍ ونُكوبِ
وتفرّدتْ فى ذا الزمانِ بمعجزٍ ... لم تُؤتَ من ردٍّ ومن تكذيبِ
فاعرف لها حقَّ الزيارة بغتةً ... وتلقَّها بالأهلِ والترحيبِ

---

(١) تهون : تهين . (٢) يريد : من كلّ مشرفة هامةً ورديفة أى تابعة لها تحدّث عن صخرة وعسيب كناية عما لهذه النوق من الضخامة والارتفاع حتى صارت تحكى الجبال . (٣) صخرة : جبل . (٤) عسيب : جبل باليمن وقد تقدّم . (٥) الكور : الرحل . (٦) الإدلاج : السير بالليل . (٧) التأويب : السير جميع النهار .

وٱكرِمْ عليها تجتابُ أخواتِهـا إنّ الصـلاةَ تتمّ بالتعقيبِ
طلبتك تأملُ أن تنالَ بك الغنى فلئن وفَيْتَ لهـا فغيرُ عجيبِ

* * *

قال وكتب بهـا الى الصاحب عميدِ الحضرةِ ذى الرتبتين أبى طاهر بن حمّاد ، وقد بلغه جميلُ ذكرِه به ، وتشوّقُه اليه ، وٱستحسانُه لشعرِه ، وكان قد واصلَه بهدايا يريدُ بها مفاتحتَه ، وسفَرَ فى ذلك أبو الحسَن المختار بن عُبَيد الله الذهبيّ لأجل ما كان بينهما من المودّة والصحبة بمكاتبةٍ جامعاً بين الحقّين

(٤٢)

نظرةٌ منكِ ويومٌ "بالجَرِيبِ" (١) حَسْبُ نفسى من زمانٍ وحبيبِ
فمَن الواقفُ بى بينكما جَمَعَ الفُـوقَ (٢) على سهمٍ مُصيبِ ؟
وقفـةً لا أشتكى من بعـدِها غُلّةَ الصـدرِ ولا ذلَّ الغريبِ
يا ٱبنة "الجمرةِ" (٣) من "ذى يَزَنٍ" فى الصميمِ العِدِّ والبيتِ الرحيبِ
ما لكم — لا أجدبَ اللهُ بكم — يرتعِى جارُكُمُ غيرَ الخصيبِ ؟
الجـدَى (٤) يمنعـه ذو جِـدةٍ والجنابُ الرحبُ ينبو بالجُنوبِ
ورماحٌ دون أضيـافِكمُ تأخذُ السالمَ فيـكم بالمـريبِ
أتّقيكم والهـوى يقـدمُ بى وأغضُّ الصوت والدمعُ يَشِى بى
ومن الشّـقوةِ فى زورتِكم أنّ عينَ الرمح من عينِ الرقيبِ
لا يكن آخرَ عهـدى بكُمُ — ياوُلاةَ القلبِ — ليلاتُ القليبِ (٥)
يا لمَن ينكُص عن غِزلانكم وهو وثّابٌ على الليثِ الغضوبِ

(١) الجريب : اسم واد . (٢) الفوق : موضع الوتر من السهم . (٣) يريد بالجمرة : إحدى جمرات العرب وهى القبيلة لا تنضمّ الى أحد . (٤) الجدة : اليسار والسعة . (٥) القليب : اسم ماء بنجد .

ومتى العــزُّ؟ وفى أبيـاتكم أعينٌ تقهرُ سلطانَ القـلوبِ
يا صَبا "نجدٍ" ويا بانَ "الغضا" أُرفُقـا بى بالتثنِّى والهبــوبِ
وآسلمـا، لا مثلَ ما طاحَ دمى منكما بين نســيمٍ وقضيبِ
قَسمَ البينُ فمـا عـدّل بى غدرةَ الوافى وتبعيــدَ القـريبِ
وقضى الدهرُ فحالتْ صِبغــةٌ عُدَّ ذنبُ الدهرِ فيها من ذنوبى
وفؤادى يشتـكى جَورَ النـوى وعِذارِى يشـتكى جَورَ المشيبِ
كم أدارِى عَنَتَ الأيّام فى غَبْنِ حظِّى وأُطاطِى للخطـوبِ ؟
وأردّ الحــزمَ فى أُخوصِـــه وهو هافٍ يتــنزّى للوثوبِ
قاعدا والجَــدُّ قد رحَّلَ بى والمعـالى يتقاضَيْــن ركوبى
جِلســةَ الأعزلِ ياوِى يَدَهُ وســلاحى بين كُورِى وجَنيِبى
أمدحُ المثرِيــن ظنًّــا بهِــمُ ربّمـا يُقــمَر بالظنّ الكذوبِ
كلُّ وغدِ الكفِّ منبوذِ الحيـا طيِّبِ المحضرِ مســبوبِ المغيبِ
يمنـــع الرِّفــدَ وتَلقَى وفــدَه خِفّــةُ البخلِ بإدلالِ الوهــوبِ
يطلبُ المدحَ لِأنْ يفضحَهُ وهو قبلَ المدحِ مستورُ العيوبِ
قلتُ للآمال فيـــه ــ كَذَبَتْ أُمّهُ ــ : إن كنتِ آمالى نخيبى
جَلَبُ الأرضِ عريضٌ دونه وسُرَى العيسِ وإدمانُ اللّغوبِ
وغــلامٌ آخــذٌ ما طلبتْ نفسُه أو فاتَّ كلُّ طلوبِ
يقْـــمحُ (١) الضـيمَ ولو أبصرهُ ليـلةَ العِشرِ على الماءِ الشّروبِ
ما أذلَّ الخصبَ فى دارِ الأذى وألذَّ العــزَّ فى دار الجُــدوبِ
يا بنى كلِّ نعــيمٍ ضاحكٍ فى حِمى وجهٍ من اللؤمِ قَطوبِ

(١) يقال : قمح البعيرُ اذا رفع رأســه عن الشرب كارها له .

قــد مالِمناكـم على شـارتكم (١) ويضيقُ الصدرُ في البيتِ الرحيبِ
وعسى الدنيـا التى أدّتـكُمُ تصـطفينا من بنيها بنجيبِ
ماجدِ الشيمةِ سـهلٍ، ليـلُه للقِرى، صبٌّ إلى الحمدِ طَروبِ
يكسِبُ المـالَ لأن يُتلفـهُ والعلا فى يدِ متلافٍ كَسوبِ
تَخبُثُ الأيدى وفى راحتِـه من نداه أرجُ المَشـتا المَطيبِ
كابن "حمّـادٍ" ولا مِثـلَ له هل ترى للبدرِ فرداً من ضريبِ
جاذبَ الرُّوّاضَ عن مِقـودِهِ مَرِسٌ (٢) تُنكرُه كفُّ الجذيبِ
ودعا النـاسَ الى تسـويدِه واسعُ الجمـرةِ وهّاجُ الثُّقـوبِ
أين يا سائقَها؟ أيـن بها؟ جعجعِ (٣) الآمالَ فى غيرِ عزيبِ
جَمَعَ "الصاحبُ" من أطرافها وفى (٤) حيرى الطُّرقِ عَمياءِ النُّكوبِ
ضمّـها بالرأيِ حـتى ٱلتأمتْ شُلَّتاها (٥) من شُـذوذٍ وشـذوبِ
ويدٍ — لا تربتْ تلك يدًا — رِبقـةِ (٦) الجانى وفكّ المستنيبِ (٧)
سـلّتِ الدولةُ منـه صارما شرِقَ الصفحةِ ظمآنَ الغُروبِ
طَبعَ الأقبـالُ من جوهرِهِ زُبْرةً تقدحُ نيرانَ الحروبِ
لو أطاعتـه يدٌ حامـلةٌ لم تُكذِّبْ ظبتاهُ عن ضَـريبِ
جرّبوه ماضـيا حيثُ مضى صادعَ الوحيِ ومختـومَ الغيوبِ
قَلِقًا، يَنفِى الكرى عن وجهـهِ عِلمُه أنّ المعالى فى الهبوبِ
ألمعِـيًّا سـوّدته نفسُـهُ والمساعى قبلَ تسويدِ الشعوبِ

---

(١) الشارة : الحسن والزينـة ، وفى الأصل : "شاربكم" وهو تحريف . (٢) المرس : ذو المراس والشدّة . (٣) جعجع : اتخ . (٤) الوفْ : ماأشرف من الأرض . (٥) الشلة : البعيد تطلبه . (٦) الربقة : العروة فى الحبل يشـدّ به البَهْمُ . (٧) فى الأصل المستثيب .

قدَّمتْــهُ صاعدا عن قومِهِ مَضْعَدَ اللَّهــذَمِ[1] قُدَّامَ الكعوبِ

هَبَهبوا منــه بليثٍ فى الوغى قَرِمِ[2] الأظفارِ مشـتاقِ النّيوبِ

خيرِ من خَبَّتْ[3] له أو وَخَـدتْ للجَــدَى ذاتُ سَـنامٍ وسَبيبِ

يأخذُ الحاجاتِ من حيثُ غلتْ غيرَ معذولٍ على حبِّ الغُصوبِ

تحسَبُ الغـابةَ مما آجــتّرهُ حومــةً بين عَقــيرٍ وتريبِ

ماضــيا لم يثنِــهِ عن قصــدِهِ هجمةُ الليلِ ولا طولُ الدؤوبِ

جَمَعَ الجـودَ الى البأسِ كما شعشعَتْ نارٌ بمـاءٍ فى قضيبِ

راحةٌ لم يَعــلَقِ البخــلُ بهــا وفــؤادٌ لم يُســفَّهْ بالوجيبِ

ولسانٌ يخصِمُ السـيفَ به يترك الفـارسَ عبــدا للخطيب

مَنْ رسولٌ سَــعِدتْ رحلتُــهُ — يومَ أدعوهُ بلَبَّيْكَ — مجيبي ؟

ناصحُ الجيبِ بما حمَّلتُــهُ حيثُ يُخشى مُرسَلٌ غِشَّ الجيوبِ

لم أكلِّفهُ سُرى البيــدِ ولم أتعسَّــفْه بأخطارِ السُّهوبِ

عيسُــه ، ملمومةٌ[4] يركبُ منها[5] مطمئنا ظهرَ مِذلالٍ رَكوبِ

تقسِــمُ المـاءَ بباعٍ مطــلَقٍ وفِقارٍ[6] مُرسَــلِ الحبلِ[7] سَروبِ

صــعبةُ الخلقــةِ سهلٌ أرضُها فهو بين اللينِ منها والصَّليبِ

ساريا ليستْ عليــه خِيفــةٌ ما وقاه الله سَــوْراتِ الجَنوبِ

قــل لنوتِيِّــك : شَرِّعْ آمنـا حَذَتَ التَّيارِ والمــوجِ العصيبِ

رِدْ بها "مَيسانَ" وآحبسها على الـ ـمَعقِلِ الممنوعِ والوادى العشيبِ

---

(١) اللهذم : القاطع من الاسنة . (٢) القرِمُ . ذو الشوق وأصله من القَرَم وهو شدّة الشهوة الى الطعام وكثر حتى قيل فى الشوق . (٣) فى الأصل "حنت" . (٤) ملمومة : مستديرة ويريد بها السفينة . (٥) كذا بالأصل ولعله قد ردّ هذا الشطر من "فاعان" الى "فاعلاتن" وفى النسخة المطبوعة "يركبها" . (٦) الفقار : ما آنتضد من عظام الظهر . (٧) فى الاصل "الخيل" وهو تحريف .

فاذا ضـاقت فعـلِّقها "أبَا ... طاهرٍ" تَعلَقْ بفرَاجِ الـكروبِ

والى ذى الرتبتينِ آبتـدرتْ ... فُرصُ المجـدِ وحاجاتُ الأريبِ

قل له عَنِّىَ : حيَّتـك العُـلا ... بوكيفٍ من حَيَا الشكرِ صَبيبِ

وسَقَى عِرضَك ـ ما آستسقيتَه ـ ... بارقٌ من مِدَحِى غـيرُ خَلوبِ

ترفُلُ الأحسـابُ فى روضـتهِ ... مَرفَلَ الغـادةِ فى البُرْدِ القشيبِ

خيرُ ما آستثمرَ من غَرسِ النَدَى ... وآجتنَى من غُصُنِ الجودِ الرطيبِ

وبذلتَ الوفْـرَ حتى آبتعتَـهُ ... هَمُّ آدابك من حُسنٍ وطِيبِ

جاءنى أنـك مشـعوفٌ به ... شَعَفَ العذرىِّ بالخشفِ(١) الربيبِ

راغبًا أنْ تصْطَفى من جِدّه ... والفكاهاتِ بمـدحٍ أو نسيبِ

وتُحَلَّى منـه عِقـدًا ، باقيـا ... فخـرُهُ فى كلِّ جِيـدٍ وتريبِ

قلتُ : فضلٌ عَجَبٌ من دهرنا ... وهـو من فاعله غيرُ عجيبِ

ما تبالى حين تَسـتامُ العلا ... أخطيبُ الشمسِ أم أنتَ خطيبى

أنَا من يُعطيـك مجـدًا حاضرا ... ويُبقِّى لك مجـدًا فى العَقيبِ

لا كقولٍ يطرد "الساقى"(٢) به ... جذوةً تخمُـدُ من قبـلِ اللهيبِ

كم يُمنِّيـنى عـلى سلطانِهـا ... نفْسَ مَرجُوٍّ ومَخشِىٍّ مَهيبِ

وآبتغَى بالمـالِ أن يشرِيَنِى ... فترفَّعْتُ فطارتْ عفَّـتى بى

لكن آشتقتُ وقـد سُمِّيتَ لى ... بسماتِ الفضلِ والجودِ الغريبِ

فافـترِغْ خيرَ هَـدِىٍّ(٣) وأثِبْ ... خيرَ ما جادت به نفسُ مُثيبِ

واذا صرتَ نصـيبى منهُـمُ ... فقد آستوفيتُ من دهرى نصيبى

---

(١) الخشف مثلثة : ولد الظبى . (٢) لعله آسم شخص يعنيه . (٣) الهدىّ : العروس .

* * *

وقال وقد آتفق بُعدُ وزيرالوزراء عميـدِ الدولةِ أبى سعدٍ ونزوله "أوانا"(١)، مستوحشا من سببٍ خافه ببغداد، وظهور التأسّف ممّن فيها على بُعدِه، وتلوّح قُربِ عَودِه، فكتب اليه يبشّره بذلك، ويذكُرُ صحّةَ تفاؤله بالسلامة فى مثله، وأنفذها الى "أوانا" فى النّيروز

(٤٤)

نرِقُّ، وتقسو "بالغوير" قـلوبُ ... ونَسألُ سكّانَ "الغضا" ونجيبُ(٢)

وتهفو على "ذاتِ النقا" بحلومنا ... وجوهٌ تُريحُ الوجــدَ وهو عزيبُ(٣)

وقفنا ومنّا رابطٌ جاشَ قلبِـهِ ... برىءٌ ومحـلولُ العــزاءِ مريبُ

تَجاذَبُنـا أيدى الحميَّــةِ والهوى ... ونأبىَ عـلى الأشــواقِ ثمّ نُجيبُ

نغالطُ ألحاظَ المها عن قلوبنـا ... و"بالرمل" قارىءُ السهامِ مُصيبُ(٤)

اذا أخفـقَ القنّاصُ راح بكل ما ... يَرَى مُطعِمٌ للصيد منــه كسوبُ

قَضَى من دماءٍ ما آستحلَّ وحلّقتْ ... به نيّةٌ ـ عمـا أشـاطـ(٥) ـ شَـعوبُ(٦)

فمـا هو بعد "النّعفِ"(٧) إلا عُلالةٌ ... أحاديثُ نفسٍ تفــترى وتحـوبُ

تَشرَّكُ منها ـ والدجَى فى قميصه ـ ... زخارفُ يحــلو زُورُها ويطيبُ

فتطرَبُ والشادِى بهـا سامرُ المنى ... وتشربُ ما يَسـقِى وجفنُك كُوبُ

حمى الله عينا من قَـذاها على الحِمى ... تجِفُّ(٨) ضروعُ المـزنِ وهى حَلوبُ

---

(١) أوانا : اسم بليدة . (٢) هذا البيت ورد فى الأصل هكذا رسما وشكلا :

" تَرِقُّ وتقسو بالغُوير قلوبُ * و يُسأَلُ سكان الغضا و يُجيبُ "

ولمّا لم نوفّق الى معنى نطمئنّ اليه آضطررنا الى تصحيفه . (٣) فى الأصل "غريب" وهو تحريف .

(٤) القارىّ : نسبة الى قبيلة آسمها "القارة" وهم رماة ومنـه المثل "أنصف القارةَ من راماها" .

(٥) عما أشاط : عما عرّضه للقتل . (٦) شعوب : منشعبة . (٧) النعف : اسم بلدة .

(٨) فى الأصل "تخفّ" وهو تحريف .

اذا قلتُ : أفى البرق جَمَّـةَ مائهـا ... مراها مرورُ البـرقِ وهى جَنوبُ
بكت وغديرُ الحىّ طامٍ فأصبحت ... عليـه المطايا الحائمـاتُ تلوبُ (١)
وما خلتُ قبـلى أنَّ عينا ركيَّةٌ ... ولا أنّ مِلح المـاقِيَيْنِ (٢) شَروبُ !
وليلةَ "ذاتِ البانِ" ساهرتُ طالعا ... من النجم لم يُكتَبْ عليـه غروبُ
أسائلُ عن نومى وضـوءِ صباحها ... وأعيا ، فأىّ الغائبيـن يؤوبُ ؟
سَرتْ تخبط الوادى الىّ وصُحبتى : ... طريحٌ عـلى أقتابِهِ وكـئيبُ
أناخوا الى تعريسـةٍ (٣) قلَّ عُمْرُها ... فما هى إلا خَفقةٌ وهبـوبُ
فللريحِ منهــم أعينٌ ومسامعٌ ... وللـتربِ منهــم أذرعٌ وجُنوبُ
فزارت فحيَّت ممسكا بفـؤادهِ ... له نازعٌ من شوقه وجَـذيبُ
فيا لك باقى ليـلةٍ لو تخلَّصتْ ... من الغِشِّ يُقذَى صفوها ويشوبُ
ولكن نهانى الخوفُ : قم أنت مدركٌ ، ... وصاحَ الظلامُ : الصبحُ منك قريبُ
ولم أدرِ أنّ القربَ عينٌ حفيظةٌ ... علىّ ولا أنّ الوصالَ رقيبُ
يخوّفنى عضَّ الزمانِ ، ومنكبى ... رَديدٌ على حملِ الزمانِ جليبُ
تعـودتُهُ لا خاضـعا لخطوبه ... وكيف وكلُّ العيش فيـه خطوبُ ؟
وكم غمـزةٍ فى جانبى لم أقل لهـا : ... أَلِيتِ ، وجُرحى ـ لو شكوتُ ـ رغيبُ
تعـمّق فيهـا مُخلِبـا ومُنيِّبـا (٤) ... وأقلعَ والنبـعُ (٥) الأصمُّ صليبُ
وهل أتغطّى منـه خوفا وموئلى ... جنـابٌ منيعٌ للوزير رحيبُ ؟
ودونِىَ منه إن مشى نحوىَ الأذى ... طِـرابٌ تدمّى الناعلاتِ ولُوبُ

(١) تلوب : تحوم حول الماء من العطش ، ومنه : إبل لُوبٌ . (٢) الماق : مجرى الدمع من العين أو طرفها من جهة الأنف . (٣) التعريسة : الاستراحة فى آخر الليل . (٤) أى باحثا بمخلبه ونابه . (٥) النبع : شجر تعمل منه الرماح .

وحصداءُ(١) من نُعماه، كلُّ مسدَّدٍ ... له حَيَدٌ عن سَردها ونُكوبُ
حمانى من الأيّام أروعُ لو حَمى ... شبابِىَ لم يُقدِمْ عليه مَشيبُ
رعَى "شرفُ الدين" العلا برعايتى ... فما شَمَّ ريحا حول سرحِىَ ذيبُ
أثرْ بُزلَها(٢) يا طالبَ المجدِ والغنى ... وخاطرْ بها فآبنُ الخطارِ نجيبُ
وطرِّقْ هواديها الجبالَ وخلِّها ... تجوبُ مع الظلماءِ حيث تجوبُ
تقدَّمْ بها فالسعدُ بالمرءِ مقبِلٌ ... ولا تتهيَّبْ فالشقاءُ هَيوبُ
أقِمْ ببنى "عبد الرحيم" صدورَها ... اذا حطَّ منها أو أمالَ لُغوبُ
وغنِّ بهم أسماعَها إن حدوتَها ... تحِنّ اذا حنَّت لتطرَبَ نِيبُ
ففى العيس قلبٌ مثلُ قلبك ماجدٌ ... وسمعٌ الى ذكرِ الكرام طروبُ
تيَمَّمْ أعالى "دِجلةٍ" فأنخْ "شامةً"(٣) ... بحيثُ تَبُلُّ العيشَ وهو جديبُ
وناصِ بها(٤) فرعَ "الدُّجَيلِ" فعندَه ... مَرادٌ يعمُّ الرائدين عَشيبُ
وقلْ "لعميد الدولة" : آسمعْ فإنها ... مَلاحمُ إن فتَّشتَها وخُطوبُ
لحظتَ ذَرا أعجازها من صدورها ... وبعضُ ظنونِ الألمعىِّ غيوبُ
وداويتَها بالرأى حتى كفيتَها ... وما كلُّ آراءِ الرجالِ طبيبُ
عجِلتَ لها مستأنيا ما وراءها ... وللأمرِ بادٍ ظاهرٌ وعقيبُ
خلَصتَ خلوص التبرِ منها مسلَّما، ... عليك وميضٌ صادعٌ ولهيبُ
وقالوا خِطاءً : مسرعا متعجلا، ... وقد يتأنّى فى الأمور طَلوبُ
وأهونَ بالتغريرِ فيها كأنه ... بجِدّ الخطوبِ المثقلاتِ لَعوبُ
وما علموا أنَّ السهامَ موارقٌ ... ولا أنّ خَطَواتِ الأسودِ وُثوبُ

---

(١) الحصداء: الدرع المحكمة . (٢) البزل جمع بازل وهو الجمل المسنّ . (٣) دجلة وشامة : اسما نهر وجبل . (٤) يقال : ناصاه : أخذ كل منهما بناصية صاحبه والدجيل : شِعب فى بغداد .

سهرتَ ونامَ الغمر عما رأيتَــهُ ففــزتَ، وطرفُ الألمعيِّ رَقوبُ
كأنَّ لك اليـومَ المنعَّمَ صُبحةٌ(١) ويومُ الحريص المستغرِق عصيبُ
وقالوا : طَوَى "بغدادَ" بغضا وسلوةً و"بغـــدادُ" مغنًى للحياة خصيبُ
وظنُّوك إذ فارقتها أنَّ قلبَها ــعلى قلة الإعراضِ عنك ــ يَطيبُ
وقد تظعنُ الأشخاصُ والحبُّ قاطنٌ ويكثر هجـــرُ البيتِ وهو حبيبُ
وما الملكُ إلا جَنَّـــةٌ عمّ نورها ومــذ غبتَ عنهــا سُهمةٌ وشحوبُ
فكيف غدت شلاء(٢)! لا بدمِ العدا ولا بعطارِ الغــانياتِ خضيبُ!
بكى وحشــةً وهو المغيضُ دموعَهُ وأَنَّ لَحَرِّ الجُـــرحِ وهو ضريبُ
وكنتَ له وجها ضحوكا فبِشرُهُ عُبوسٌ ــ وقد فارقته ــ وقُطوبُ
يُوَرِّي(٣) حياءً والنـــدامةُ غُصـــةٌ لهـا خَدشةٌ فى صـــدره ونُدوبُ
الى ماجدٍ فى صــــدره قمرُ الدجى اذا تمَّ، راضٍ والهزبرُ غَضوبُ
تُقبِّلُ منـــه راحةٌ تقتلُ الصدَى تعـلَّمَ منها المزنُ كيف يصوبُ
رسَتْ فى الندَى حتى آستقرَّت عروقُها من البحرِ، والعرقُ الكريمُ لَصوبُ(٤)
يدٌ، تعجبُ الأقلام من أُنسِ سيفِه بهـا، وهــو فيما بينهنَّ غريبُ
اذا آختصموا، قالت: تأخّرْ، فإنمـا لنا السـبقُ، فاتبعنا وأنت جنيبُ
فيأبَى له الحـــدُّ المصمِّم أنه يؤخّرُ والأقـــلامُ عنـــه تنوبُ
وتجــــرِى هَناتٌ بينهنّ و بينــه يُحكِّمُ فيهــا فارسٌ وخطيبُ
فيجعـــلُ للأقلام فيهـا نصيبَهـا بحقٍّ، وللســيفِ الحسامِ نصيبُ
وقد زعموا أنَّ الحِجا متكهِّلٌ وأنّ رجالاتِ السيادةِ شِيبُ

---

(١) الصبحة : نوم الغداة .   (٢) شلاء : متعطّلة الكفّ .   (٣) يورّى : يتقــد .
(٤) اللصوب : الناشب اللاصق .

فلله منــك المنتهى فى آقتبـالِهِ ... ومَنْ رَبَّ أمرَ النـاس وهو ربيبُ
ومَنْ بسقتْ أغصانُه فتفرَّعتْ ... على الشــجرِ العادىّ(١) وهو قضيبُ
ولا تُبلِ أثوابَ الوزارةِ بعــد ما ... كستك بهـا الأيّام وهى سليبُ
تَقمَّصَها قومٌ وما خُلقتْ لهــم ... فهانوا، ومن بمِض الجَمـالِ عيوبُ
أتتك فصـار الرِّقُّ فى يدِ مالكٍ ... وقــد دنَّســتها بِذلةٌ وغُصوبُ
وسـالَمَ معناها بســوددِك آسمَها ... وبينهــما فى آخرين حروبُ
تَنـافَى بيوتُ معشـرٍ وبيوتُهـا ... وأنت لهـا فى جانبيك نسـيبُ
فمـا بيت "إسماعيلَ" عنها بنازحٍ ... ولا أنّ بهـا "عبدُ الرحيم" غريبُ
فلو هبَّ مَيْتٌ من كراه فقام أو ... تطلَّعَ مرموسُ(٢) الجبيــن تريبُ(٣)
لَقرّتْ عيونٌ أو لَسُرَّتْ مَضـاجعٌ ... بأنّــك مـيراثٌ لهـا وعقيبُ
إذنْ لرأت منك الذى الشمسُ لا تَرَى ... بأنجمها فى الأفق حين تغيبُ
نَشرتَ لهــم فخرا يعيشُ حديثُـه ... ويخلُقُ(٤) عمرُ الدهرِ وهو قشـيبُ
لئن عَمَّ شرٌّ أو أُسِرَّتْ ضَــغائنٌ ... ببـغيٍ، فإنّ الله عنك حسيبُ
وقـد علمتْ نجوَى رُقاك عقاربٌ ... لهـا نحـوكم تحت الظلام دبيبُ
ولم تك إلا هفـوةً وآستقالهـا الـ ... ـزمانُ وذَنبا وهو منـه يتوبُ
ولا بدَّ للإقبال من يومِ عَودةٍ ... تدافعُ عنـه العينُ حين تصيبُ
وكم رافعٍ لى بالعــداوةِ صــوتَه ... يُهِيبُ فى إيعـادِهِ ويُهيبُ!
قويًّا على ظلمى بسيفِ عدوِّكم ... وعهــدى به بالأمس وهو يخيبُ
يظُنّ ــ وحاشا كم ــ عُراى تقطَّعتْ ... وأنّى أخيــذٌ(٥) والزمانُ طليبُ

(١) العادىّ : القديم . (٢) المرموس : المدفون فى الرمس . (٣) التريب : المعفّر بالتراب . (٤) يخلق : يبلَى . (٥) الأخيذ : الأسير .

وأنّ قناتى بعدكم ستلينها ... ضروسٌ له مذروبةٌ ونيوبُ
ولم يدرِ أنّ "الشامَ" او حالَ دونكم ... وزيّلتُه[١] عنكم لكنتُ أصيبُ
فقلتُ: لفيكَ الترْبُ أو فوقك الحصَى ... تغيبُ أُسودُ الغابِ ثمّ تؤوبُ
غدًا تُطلِعُ الراياتُ ـ والنصرُ تحتها ـ ... كتيباً يوليّه النجاحَ كتيبُ[٢]
ترَى المجدَ فى أطرافها خافقَ الحشا ... سرورا بما ضمّت وأنتَ كئيبُ
و"بغدادُ" طلقٌ وجهُها متبسمٌ ... وللمُلكِ من بعد الخمودِ شُبوبُ
بشائرُ، لى فى مثلِهنّ مواقفٌ ... أصدّق فيها والزمانُ كذوبُ
مجرّبةٌ فيكم كأنّ عيونَها ... لها خلفَ أستارِ الغيوبِ ثقوبُ
تمرّ لكم طيرى يمينا بزجرها ... على مَشهدٍ منى وحين أغيبُ
نشدتكُم باللهِ كيف رأيتُمُ ... مَناجحَها، والعائفات[٣] تخيبُ[٤]
فقولوا: نعمْ وُفّقتَ، وارعوا ذِمامَها ... غدًا، وغدٌ للناظرين قريبُ
بكم يابنى"عبد الكريم"[٥] انجلَى القذَى ... وأصبحَ وعرُ الجودِ وهو لحيبُ[٦]
اذا أجدبتْ أرضى وسُدّتْ مَواردى ... فعندكُمُ لى روضةٌ وقليبُ
ولما رأيتُ الحبَّ فى الهزلِ[٧] سُنّةً ... عشقتكُمُ، والعاشقون ضُروبُ
فمَن يُعطِ منكم طالبا فوق حقّه ... فحقّ دَينٌ لازمٌ ووُجوبُ
فلا قلَصتْ عنى سحائبُ ظلّكم ... فمنها مُرِذٌّ[٨] تارة وسَكوبُ

(١) فى الاصل: زلّيتُه ولم نعثر على هذه الكلمة فى كتب اللغة ولعلها محرفة عن "زيّلتُه".
(٢) الكتيب: الفرقة من الجيش. (٣) العائفات: الزاجرات للطير. (٤) فى الأصل: "تجيب" ولعله تحريف. (٥) كذا بالأصل ولعله "عبد الرحيم" كما يعيّنه قوله قبل ذلك فى نفس هذه القصيدة ⁕ أقم ببنى "عبد الرحيم" صدورها ⁕
وقد ورد ذكره لهذا الأسم فى عدة قصائد. (٦) اللحيب: الواضح. (٧) الهزل: الأفتقار والضيق. (٨) المرذّ: السحاب الذى يهمى بالرذاذ وهو المطر الضعيف.

ولا عــدِمتكم نعمةٌ خُلقتْ لكم ... ودنيـا لكم فيهـا الحياة تطيبُ
يزورُكم النَّـيروز مقتبَـلَ الصِّبا ... وقد دبَّ فى رأس الزمان مشـيبُ
تصوِّح أغصانُ الأعادى وغصنكم ... من السـعد ريّانُ النباتِ رطيبُ
دعاءٌ حيالى فيــه ألفُ مؤمِّنٍ (١) ... تَوافقُ منهــم ألسنٌ وقـلوبُ

* * *

وقال وكتب بهـا الى أبى الحملات شبيب بن حمّاد بن مَزْيَد ، يعاتبه على تأخير رسمه ، وتغافلِه عن مقابلة قصائدَ أنفذها الى حضرته ، وذلك فى شعبان سنة عشرين وأربعمائة

ألا مَن مبلغٌ "أسدا" رسولا ... متى شهِدَ النـدىَّ فما أغيبُ
وعوفٌ منهمُ أربى ، "فعوفٌ" ... عيونُ "خُزَيمةٍ" ، وهم القلوبُ
أفرسانَ الصباح اذا آقشعرتْ ... من الفزع السنابكُ (٢) والسبيبُ
وضاق مَخارجُ الأنفاسِ حتّى ... تُفرَّجَ عن سيوفكم الكروبُ
ويا أيدى الحيا والعامُ جدبٌ ... ووجهُ الأرض مغبرٌّ قَطوبُ
مَجازرُ تُفهِقُ (٣) الجَفَناتُ منها ... ونارُ قِـرًى شرارتُهـا لهيبُ
اذا جَمَـدَ الضيوفُ تكفَّلتهم ... لهـا فِـلَذٌ وأسنمةٌ تذوبُ
ويا أقمـارَ "عدنانٍ" وجوها ... يشِفُّ على وَضاءتها الشحوبُ
أصيخوا لى فلى مَعَكم حديثٌ ... عجيبٌ يوم أَنْثُـوهُ (٤) غريبُ
متى أنصــفتُمُ فالحقُّ فيــه ... عليكم واضحٌ لى والوجوبُ
وإن أعرضتُمُ ورضيتموهُ ... فإنَّ المجـدَ ممتعِضٌ غَضوبُ

---

(١) فى الأصل "مبيّن" . (٢) السنبك : طرف الحافر . (٣) تُفهق : تُملأ .
(٤) أنثوه : أشيعه وأحدّث به .

حديثٌ لو تلَوه على "زهيرٍ" غدا من مدحه "هَرِمًا" يتوبُ
بأىّ حكومةٍ وبأىّ عــدلٍ أُصابُ من القريضِ ولا أُصيبُ ؟
وكم أعراضكم تزكو بمـدحى وتنجحُ والمنى فيكم تخيبُ !
تردُّونَ الغُصـوبَ بكلّ أرضٍ وتوجَـدُ فى بيوتكم الغُصوبُ !
وتحمون البلادَ وفى ذَراكم حريمُ الشِّـعرِ منتهَكٌ سليبُ !
وعنـدكُمُ لكلّ طريدِ قومٍ جِوارٌ مانعٌ وقِـرًى رحيبُ !
وأبكارٌ وعُونٌ من ثنائى عجائفُ، عيشُها فيكم جديبُ !
محبَّبـةٌ اذا رُوِيَتْ فإمّا طلبتُ مهورَهنّ فلا حبيبُ
اذا أحسنتُ فى قولٍ أساءَ الـ ـفعالَ كأنّ إحسانى ذنوبُ
أجرُّ المَطْلَ عاما بعـد عامٍ مَواعـدَ برقُها أبدًا خـلوبُ
ويا لَلنّـاسِ أَسلُبُ كلَّ حَىّ كـرائمَهُ ويَسلُبُنى "شَبِيبُ" !
أمدُّ اليـه أرشيةَ (١) المعـالى فيعطِشُنى وراحتُـه القَليبُ
وأُلبسُـه ثيابَ المدحِ فخرا فيُمسِكُ لا يُجيبُ ولا يُهيبُ
ويسمحُ خاطرى فيـه ابتداءً ويمنعُ وهـو بذّالٌ وهوبُ
ولم نَعرِف غلاما "مَزْيَدِيًّا" يناديه السماحُ فـلا يُجيبُ
ولو ناديتُ من كَثَبٍ "عليًّا" تدفّق ذلك الغيثُ السَّكوبُ
وَمنّ على عوائده القُـدامَى مُضِىَّ الريحِ جدَّ به الهُبوبُ
ولو "حمّـادُ" يزقو (٢) لى صداه لَأُكرِمَ ذلك الجسـدُ التريبُ
أُصـولُكُمُ وأجدرُ إذ شهدتم مقـامَ علائهـم ألا يغيبوا
فما لك يا "شبيبُ" خَلاك ذمٌّـ تَجِفُّ وعندك الضَّرعُ الحلوبُ ؟

---

(١) فى الأصل "أرسنة" . (٢) يزقو : يصيح .

وما لخـــريدةٍ خفيتْ لديكم تكادُ عـــلى طُفولتها تشيبُ
محلّلة النكاحِ بلا صَـــداقٍ وذلك عنـــدكم إثمٌ وحُوبُ
يَطيبُ الشيءُ مرتخَصا مباحا ومُرتخَصُ المدائحِ لا يطيبُ
فأين حياءُ وجهك يوم تُحدَى بها فى وصفك الإبلُ اللُّغوبُ ؟
وأين حياء وجهك فى البوادى اذا غنَّى بها الشادى الطروبُ ؟
وكيف تقول:هذاوصفُ مجدِى فلا أُجدِى عليـــه ولا أُثيبُ ؟
وكم نَشَزتْ(١) على قومٍ سواكم فلم يعلَقْ بهـا الرجلُ الطَّلوبُ
وراودنى ملوكُ النـاس عنها وكلٌّ باذلٌ فيهـا خطيبُ
فلم يُكشَفْ لهـا وجهٌ مباحٌ ولم يُعرَفْ لهـا ظهرٌ رَكوبُ
فلا يَغرُرْك منهـا مَسُّ صِـلٍّ يلين وتحت هَـدْأته وُثوبُ
أخافُ بأن يعاجِلَنى فيطغَى فتُصـــبحَ(٢) بالذى تُثنِى تَعيبُ
وتَشرُدَ عنڪمُ منظلِّماتٍ وتبغون الإيابَ فلا تؤوبُ

* * *

وقال وكتب بها الى عميد الرؤساء أبى طالب بن أيّوب، وقد ٱستقرّت له وزارةُ الإمام القادر بالله رضوان الله عليه مكانَ أبى الحسن بن حاجب النعمان، يذكر ذلك ويهنّئه بالنَّيروز الواقع فى شهر ربيع الاول سنة ٱثنتين وعشرين وأربعمائة

جاء بهـا ــ والخيرُ مجلوبُ ــ طيفٌ على الوَحـــدةِ مصحوبُ
طوى الفـــلا يركب أشواقَه والشـوقُ فى الأخطار مركوبُ
سـاعةَ لا مَسرَى عـــلى شقّةٍ تَعيا بهـا الـــبُزَّلُ المصـاعيبُ
يرغبُ فى الظلمـاءِ مهتأنسـا وجانبُ الظلمـاءِ مرهـــوبُ

(١) نشزت : امتنعت، وفى الأصل "نشرت" وهو تحريف (٢) أى فتصبح قصائده .

أحسنَ بى حـــتى تخيّلتُـــه أصـــدقَ شيء وهو مكذوبُ
أنّى تسدّيتَ لنـا "باللّوى" "وصـارةٌ" "دارك" "فاللُّوبُ"(١)
وبيننا عَمياءُ من أرضكم دليلُها أبــلَهُ مســلوبُ
لا يهتـــدى الذئبُ الى رزقِهِ فيهـا ولو شَـمَّ بهـا الذيبُ
فزرتَ شُعْثًا طاف ساقى الكرى عليهـمُ والطاسُ والكوبُ
فـا تدلّى النجمُ حتى ٱلتـوى ممـاكسٌ(٢) منهـم وشِـرِّيبُ
بِتُّ ورحـلى بِكِ رَيحانةٌ نمَّ عليهـا الحسنُ والطيبُ
كأنمـا ذيلُ الصَّـبا فـوقها بالقَطرِ أو ذيلُكِ مسـحوبُ
يا ٱبنـةَ قومٍ وجَدوا ثأرَهـم عنـدى بهـا والثأرُ مطلوبُ
لولاكِ — والأيّام دوّالةٌ — ما ٱستعبَدَ الفُرسَ الأعاريبُ
أراجـعٌ لى بضمانِ المـنَى "ملحوبُ" أو ما ضمّ "ملحوبُ"(٣)؟
وصـالحاتٍ من ليـالى الحِمى ما شـابَهـا إثم ولا حُوبُ
لهوىَ نُسـك ووجوهُ الدمى تحت دجاهـا لى محاريبُ
وذاهـلٍ عابَ حنينى لهـا ولم يعِبْ أنْ حنّتِ النيبُ
قال : سَفاهٌ ذِكرُ ما قد مضى وظَنَّ أنَّ اللّـومَ تأديبُ
ما لكَ ؟ لا أحببتَ إلا ومِن فوقك سوطُ العذلِ مصـبوبُ
إنْ أبكِ أمرا بعـد ما فاتنى فقـد بكى قبـلِىَ "يعقوبُ"
وأنكَرَ الصـبوةَ من شـائبٍ حتى كأنْ ما صبتِ الشِّـيبُ !
وهـل عَدَتنى شيبةٌ فى الحشـا إذ مَفـرِقى أسـودُ غِربيبُ

---

(١) اللوب وما قبلها : أسماء مواضع . (٢) المماكس : المشاكس . (٣) ملحوب : اسم موضع .

لا لاقطٌ فيها ولا خاضبٌ والشَّيبُ ملقوطٌ ومخضوبُ
يَغلبُ فيها الحبُّ أمرَ النُّهَى والحزمُ بالأهواءِ مغلوبُ
أمَا تقنَّعتَ بها رثَّةً لابسُها عُريانُ مسلوبُ؟
تلاقتِ الأوجُهُ مَقتاً لها عنِّى فمزورٌّ(١) ومقطوبُ
ناصعةٌ فى العين لكنَّها تُبغَضُ، والناصعُ محبوبُ
فقد أراها وضيا وجهِها لى شَرَكٌ فى البيضِ منصوبُ
أيَّامَ فى قوسِ الصِّبا مَنزَعٌ ونَبلُهُ المكنونُ مَنكوبُ
وقد أزورُ الحىَّ مُستَقبَلاً، لى منهُ تأهيلٌ وترحيبُ
وأغشِمُ(٢) البيتَ بلا آذنٍ وهو على الأقمارِ مضروبُ
وأشهَدُ النادى، فمستعبَدُ الـ ـسمع بآياتى ومخلوب
ومُوصَدِ الأبوابِ ناديتُهُ حتى بدا لِى وهو محجوبُ
خادعتُ من سلطانه صخرةً فانبجَستْ(٣) لى وهى شُؤبوبُ
ورحتُ عنه والذى يَملكُ الـ ـمملوكُ والغاصبُ مغصوبُ
فاليومَ إنْ صرتُ الى ما ترَى فهى الليالِى والأعاجيبُ
آنسنى بالعُدمِ توفيرُهُ عِرضى وأنَّ المال موهوبُ

(١) المزورّ : المائل بجنبه، والمقطوب الذى به عبوس . (٢) أغشم البيت : أدخله غصبا، وفى الأصل "أعشم" وهو تحريف، وقد شككنا فى صحة هذه الكلمة حتى أكدها قوله فى هذه القصيدة

ما هجمتْ غَشْمًا ولا ضره تدرُّجٌ فيها وترتيبُ

وقوله فى قصيدة أخرى

تَعلَقُ بالآذانِ موصولةً غَشْمًا بلا إذنٍ ولا حاجبِ

(٣) انبجست : تفجَّرت .

جرّبتُ قـوما فتجنّبتُهـم ورُسُـلُ العـقلِ التجاريبُ
وزادنى خُـبراً بمن أتّـقِى أنّى بمـن آمنُ منكوبُ
قل لأخى الحِرص : آسترحْ إنمـا حَظُّـكَ إدلاجٌ وتأويبُ
اذا الحظوظ آنصرفتْ جانبـا لم يُغنِ تصـعيدٌ وتصـويبُ
مالكَ تحتَ الهُونِ مسترزِقا ؟ وإنمـا رزقُـك مكتوبُ
لا تذهبنّ اليـومَ فى ذِلةٍ فاليومُ من عُمـرك محسـوبُ
وإن جهدتَ النفسَ فى مكسَبٍ فالجِدَّ، إنّ المجـدَ مكسوبُ
جَدَّ آبنُ "أيّوبَ" ولو قد ونى كفاهُ ما شَـيَّدَ "أيّوبُ"
رأى رُوَيدَ السيرِ عجـزا به فسـيرُهُ حُضْرٌ وتقـريبُ
سما الى المجد، فقال العـدا : له طـريقٌ فيـه ملحوبُ
ساد طـريرَ الماءِ(١) حتى آنتهى والشّـيبُ فى فوديه أُلهوبُ
والرمحُ لا يُذْرَعُ(٢) إلا إذا تكاملَتْ فيـه الأنابيبُ
أضحى وزيرُ الدِّين ذا مَغرَمٍ: وزارةُ الدنيـا وتعـذيبُ
رتبـةُ عِزٍّ، فخـرُها عاجـلٌ وأجرُها ذُخـرٌ وتعـقيبُ
ما هجمتْ غَشْماً ولا ضـرّه تـدرّجٌ فيهـا وتـرتيبُ
وزارةٌ ما زال من قومـه مُعـرّقٌ(٣) فيهـا ومنسـوبُ
أبناءُ "عبّاس" و"أيوبَ" مـذ تفَـرّعوا رَبٌّ ومربوبُ
خـلائفُ الله وأنصـارُهـم فصاحبٌ طابَ ومصـحوبُ

(١) طرير الماء : غضًّا فتياً . (٢) يذرع : يقاس بالذراع . (٣) المعرّق : العريق .

لا ودُّهم غِلٌّ ولا حبلُهم ... يوما بغدرِ الكفِّ مقضوبُ
جارهمُ يؤكل فى جورهم ... ومالُهم بالإفكِ منهوبُ
وما على مُقْصٍ سواكُم اذا ... أدناكمُ فى الرأيِ تثريبُ
لا تلكم العاداتُ منكم ولا ... أسلوبكم تلك الأساليبُ
باسم عميدِ الرؤساءِ الذى ... ما زاد فى معناه تلقيبُ
رُدَّ عليها بعدَ ما أُيِّمتْ ... أبناؤها الغُرُّ المَناجيبُ
اِكفِ الذى(١) آستكفَوْك وآحملْ لهم ... ما تحمِلُ الصُّمُّ الأهاضيبُ
مُلملمَ الجنبِ أمينَ القُوى ... وكلُّهم أدبرُ(٢) مجلوبُ
وقُدْ أعاديك بأرسانهم(٣) ... قسْرًا فمركوبٌ ومجنوبُ
وآرتعْ من الدولة فى ظُلةٍ ... رواقها بالعزِّ مطنوبُ
محمِيَّةِ الروضةِ مرقيّةٍ ... والروضُ بالرُّعيانِ(٤) مسلوبُ
أفياؤها(٥) فيحٌ(٦) وماءُ الحيا ... فى ظلِّها السابغِ مسكوبُ
وآصحبْ من النَّيروزِ يوما يفى ... بالعزِّ إن خان الأصاحيبُ
يكُرُّ بالإقبال ما خولِفتْ ... صدورُ دهرٍ وأعاقيبُ

(١) الذى بمعنى الذين وهو فى الجمع كالواحد .

(٢) الأدبر : البعير تصيبه القرحة .

(٣) الأرسان : الحبال .

(٤) الرعيان جمع راع وهو معروف .

(٥) الأفياء جمع فىء وهو الظلّ .

(٦) فيحٌ : فساحٌ .

يغشاكُمُ يخــدِمُ إقبالَكم ماحنَّ للفُــرجَةِ مكروبُ
لا تستجيرون "بعمرو"[(١)] ولا واعدَكُم بالعُمرِ "عُرقوبُ"[(٢)]

***

وقال وكتب بها الى بعض أصدقائه من الكتّاب، وهو المهذب أبو المنصور الحسن بن عليّ بن المزرع، وكان غائبا فقدم يغبط له بالورود، ويحثّه على ٱلتزام حاجةٍ له كان ٱبتداء الشروع فيها بعد عتابه إياه على تفريطه فيها

من ناظرٍ لى بين "سَلعٍ" و"قُبَا"[(٣)] كيف أضاء البرقُ أم كيف خَبَا ؟
نبّهنى وميضُــه ولم تَــنَمْ عيــنى ولكن رَدَّ عقلا عَزَبا
قرّتْ له بنـاتُ قلبي[(٤)] خافقـا وٱســتبردتْه أضلعى ملتهبـا

---

(١) يريد الإشارة الى عمرو الملقّب "جسّاس" وقصته أنه طعن "كُلَيباً" أخا "المهلهل" التغلبيّ صاحب حرب البسوس فألقاه على الأرض فقال له "كُلَيب" : يا "عمـرو" أغثنى بشربة ماء فأجهز عليه وفى ذلك يقول الشاعر

المستجير بعمرو عنــد كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وفى مجمع الأمثال للميدانى

المستغيث بعمرو عند كربتــه كالمستغيث من الرمضاء بالنار

والمشهور "المستجير" الخ

وقد صار هــذا البيت مثلا يضرب لمن يستجير فيزيده المستجار بليّة على بليّته .

(٢) عُرقوب رجل من العماليق وقصته أن أخًا له أتاه يسأله فقال له عرقوب : اذا أطلعت هــذه النخلة فلك طلعها فلما أطلعت أتاه للعدة فقال : دعها حتى تصير بلحا، فلما أبلحت قال : دعها حتى تصير زهوا، فلما زهت قال : دعها حتى تصير رطبا، فلما أرطبت قال : دعها حتى تصير تمرا، فلما أتمرت عمد اليها عرقوب فى الليل بجدّها ولم يعط أخاه شيئا فصار مثلا فى الخلف . وقال الاشجعىّ

وعَدتَ وكان الخلفُ منك سجيةً مواعيــدَ عرقوب أخاه بيَتْرَب

و"يَتْرَب" بالتاء والراء المفتوحة موضع باليمامة و بعضهم يقولها "يثرب" بالثاء وكسر الراء وهو خطأ .

(٣) سلع وقباء و يقصر موضعان .

(٤) بنات قلبي : خواطرى وهواجسى .

كأنه يجلو ثنايا "بالغضا" ... رُوقًا(١) وينهلُّ لَمَى أو شَنَبا

يا لبَعيد من "مِنًى"، دَنَا به ... ـيوهمني الصدق ـ بُرَيْقٌ كَذَبا

ولنسيمِ سَحَرٍ "بحاجرٍ" ... رَدّتْ به عهدَ الصِّبَا ريحُ الصَّبا

أليَّةً، ما فتح العطّارُ عن ... أعبقَ منه نفَسًا وأطيبا

سل مَن يدُلُّ الناشدين "بالغضا" ... على الطريد ويردّ السَّلَبا؟

أراجعٌ لى؟ والمُنَى هَلْهَلَةٌ(٢) ... فطالعٌ نجمُ زمانٍ غَرَبا

وطوفةٌ بين القِبابِ "بمِنًى" ... لا خائفًا عينًا ولا مرتقِبا

مستقبَلًا بهاهُنَا وهاهُنا ... مقترَعًا علىّ أو مجتَذَبا

ألقَى الوصالَ مسفرًا لى وجهُهُ ... والغدرَ لى مع قبحِه منتقِبا

هناك مَنْ باعَ الغوانى حِلمَهُ ... بالخُرقِ(٣) عُدَّ الحازمَ المجرِّبا

ولائمٍ ملتفتٍ عن صبوتى ... يُنكرها، ولو أحبَّ لصَبا

اذا نَسبتُ بهوًى ساءه ... مُصَرِّحًا ولو كَنَوْتُ غَضِبا

---

(١) روق جمع أروق وهو الذى تطول ثناياه العُلَا السُّفلَى . (٢) فى النسخة المطبوعة "تعلّة" وفى الأصل "هلهلة" ولم نوفّق الى معنًى لها يتّفق والسياق إلا على وجه بعيد، فمن معانيها "التأنى والانتظار" و"تخفيف الثوب وسخف نسجه" و"ترقيق الشِّعر"؛ واذا صحّ ظنّنا فلعل الشاعر يريد الإشارة الى تكرار المتمنّى لكلمة "هَلْ" الاستفهامية فى كلامه كلّما خطر بباله هاتفٌ من خواطر التمنّى بالتساؤل طلبًا لما يحسبه عزيزا عليه أو حنينا الى ما هو حبيبٌ الى نفسه كقول من يقول متمنّيا

* هل مشرقٌ نجمُ سعدى بعدما أفلا *

* هل بالغٌ عزمِى أوجَ العلا *

* هل راجعٌ عهدُ الصِّبا *

* هل أرى ليلَى وليلِى بالغضا *

وما إلى ذلك وهو كثير، و"الهَلْهَلَة" فى هذا المقام أشبهُ بقولهم "العنعنة" وهى تكرار كلمة "عَنْ" عند ما يُراد بها التكثير من أسماء الثقات على صحّة الإسناد . والله أعلم . (٣) الخُرق : الحُمق .

وما عليه أن غَرِمتُ "بابلا" "بحاجرٍ" و"فاطما" "بزينبا"
يلومنى لا مات إلا لائمـا أو عاش عاش بالهوى معـذَّبا
قال : عشقتَ أشياءً، يعدُّها منقصةً، نعم! عشقتُ أشيبا
هل شَـــعرٌ بُدِّلته بِشَـــعرٍ مُبَـــدِّلٍ من أربٍ لى أربا ؟
أَبَى الوفاءُ والهـــوى ، و بالغٌ مَعـــذرةً من سِيمَ غدرا فأبى
ما أنا من صِبغةِ أيّامكمُ ولا الذى إن قلّبـــوه آنقلبـا
ولا آبنُ وجهين ألمُّ حاضرا من الصـــديقِ وألومُ الغُيَّبا
قلبىَ للإخوانِ شطُّوا أو دنَوا وللهوى ساعفَ دهرٌ أو نبـا
مَن عاذرِى من مُتلاشٍ كلّمـا أذنَبَ يوما وعَـــذَرتُ أذنبا
يَضحكُ فى وجهى ملء فِمِــهِ وإن أغبْ وذُكِرَ آسمِى قَطَّبا
يطيرُ لى حَمامةً فإن رأى خَصاصةً دبَّ ورانى عقـربا
ما أكثرَ النـاسَ وما أقلَّهم وما أقلَّ فى القليـــل النُّجَبا
ليتهمُ — إذ لم يكونوا خُلِقوا مهذَّبين — صَحِبوا "المهـذَّبا"
فعلَّمتْهم نفسُــهُ كيف العـلاءُ ووده كيف الصـديقُ المجتبَى
ووَرَدوا من خُلقِـــه ويدِهِ أبردَ ما بلَّ الصـــدَى وأعذبا
مثل "أبى منصورَ" فلتَأذَنْ لى الـ ـدنيا ولا سَرَّ ســـواه آبنٌ أبا
أتركُهُ لى غنيمةً باردةً يا دهرُ وآذهبْ ببنيك سَلَبـا
اللهُ جارٌ لفـــتًى أجارنى على زمانٍ لم أفُتْــهُ هَرَبا
وفرَّجتْ عـنّى يَدَا إسـعادِهِ حـــوادثا ضغطْنَنى ونُوَبا
لمـا رأى الأيّام فى صروفهـا نارا تَشُــبُّ ورآنى حطَبـا
قام لهـا يَصْـلَى بهـا وناشنى فلم أذق حَـدًّا لهـا ولا شَـبا

وصان وجهى لاقيا بوجهه ... ذلَّ السؤالِ وكفانى الطلبا
عِفتُ فلم أشربْ سوى أخلاقه ... اذا كئوسُ الشَّرب دارتْ نخبا
وصحَّ لى جوهرةً من معدنٍ ... أملسَ لا يُنبتُ إلا الذهبا
من معشرٍ تُنمَى العلا اليهمُ ... هم أهلُها والناسُ منها غُرَبا (١)
كما اقترحتَ، حربُهم وسلمُهم ... شدُّوا رِباطَ الخيلِ أو شدُّوا الحُبا (٢)
ساسوا يعدّون الملوكَ واحتبوا ... وسْطَ النّدِيِّ يصفون العَرَبا
يرضيك من حديثهم شاهدُهم ... وفى القديم ما سألتَ الكُتُبا
اذا رجال طأطأَ اللؤمُ بهم ... قَعْصًا (٣) فشمُّوا بالأنوف الرُّكَبا
طالوا ينالون ثَعالبَ (٤) القنا ... تحسَبُ ماشِيهم بُسُوقًا راكبا
وحدّثتْ فروعُهم عن أصلهم ... تحدُّثَ الناجِمِ عما غَرَبا
لبّيك مشكورا كما لبّيتنى ... وقد دعوتُ قُذُفًا لا كَثَبا
وكنتَ لى بابا الى مطالبي ... ـ لولا قعودُ الحظّ بى ـ وسببا
تعجّبَ الناسُ وقد وَلِيتَها ... أكرومةً، فقلتُ: لا لا عجبا
عينِيَ منّى ويدى فهل ترى ... يفوتنى — ما سلِما — ما طَلَبا؟
وكيف لا تحفِزه لأربى ... مودّةٌ تمّت فعادت نسبا؟
ومِقةٌ لو خلصتْ لابنِ أبى ... منّىَ هزّ عِطفَه وطرِبا
وإن يكن هوّمَ فيها ناسيا ... وعاجَ عن طريقها وجنّبا

(١) فى الأصل "منهم". (٢) فى الأصل "سلُّوا" ولعلّها محرّفةٌ عن "شلُّوا" بمعنى: أرسلوا من قولهم: "شلّت العين دمعَها" بمعنى أرسلته ودفعته، أو عن "حلُّوا" اذا كان المراد "بالرِّباط" ما تُربط به الدابّة، أو عن "شدُّوا" اذا كان يراد "بشدّ الرِّباط" إعدادُ الخيل وارتباطُها لجهاد العدوّ فى الحرب وهو ما رجّحناه؛ وفى القرآن الكريم (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ). (٣) القعص: داء فى الصدر كأنه يكسر العنق. (٤) الثعالب جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل فى جُبِّ السنان، وفى الأصل "تعالب" وهو تحريف.

وقَـدَحتْ فى أملى عنـدهمُ قادحـــةٌ لم يك فيهـا مذنبـا
فقد قبِلتُ العــذرَ أو قتلتُــه علمـا وقــد عاتبتُــه فأعتَبا
وٱستقبل الرأىَ وأعطَى ذمّةً تصفحُ للآنف عمّا ذَهبـا
فاشكر لهـا وكالةً منّى على نفسِىَ وٱقض دَيْنهـا إذ وجبا
من لك مثــلى بأخٍ مسـامحٍ ترضيه بالعــذرِ اذا ما غضبا ؟
وٱحذر على مجدِك أخرَى تنتقِى(١) عَظــمَ الوفاءِ وتجــرُّ الرِّيَبـا
شَمِّرْ عن الساقين فى ٱستداركها وٱمحُ بوَادى شرِّها معتقِبـا
ولا يزالُ أمَــلى يقنَعُ لى بدون ما سدّ خَصاصِى(٢) نَشَبا
ذاك ودعنِى شاكيا وسائلا وخذْ حــديثى غزَلا منسَّبا
كان جناحُ الشوقِ أمس طائرى منسِرا(٣) فى كبِدى مخلِّبـا
وأكَلَ البينُ سمينَ جلَدى حتى غدا سَنَامُ صدرى ذَنَبـا
بانَ بك العيشُ الذى يسرُّنى وعاد لمـا عدتَ لى مقــتربا
قال البشير: قادمًا، فقلتُ: مَنْ؟ قال: ”أبومنصورَ“، قلتُ: مرحبا
وقمتُ لا أملِكُ ما يَسَــعهُ غــير نعِمْتَ من جزاءٍ وحبـا
أرشفُ من فيه مكانَ ٱسمك، لا أحسَــبنِى أرشفُ إلا الضَّرَبا(٤)
عَطْفٌ من الأيّام لى ونظَــرٌ جاء وما كنتُ له محتسِــبا
لكنّنى بالبعـــدِ فى أثنـائه(٥) أُصبحُ أو أُمسِى مَروعا مُتعبَا
اذا ٱطمأنّتْ أضلُعِى تذكّرتْ نواك فاهتزّتْ جوًى لا طرَبا
فادفعْ بهصدرَك ما ٱستطعتَه يوما تردّ شمــلَ أنسى شُــعبَا

---

(١) تنتق: تُخرج النِّقىَ وهو مُخّ العظم. (٢) الخصاص: الفقر. (٣) منسرًا: باحثا بمنسره وهو منقارُه. (٤) الضرَب: الشهد. (٥) فى الأصل ”أبياته“.

راخِ يديكَ فى آمتدادِ حبلِهِ ... وطاوِلِ الوقتَ به أن يُجذَبا

وخَفِّف على قلبى غدًا من وقفةٍ ... يكون لى فيها الوداعُ العطَبا

ولا تدَعْنى أسأل الرُّكبانَ عن ... قلبٍ دوٍ[1] وأستطِبُّ الكتُبا

لا أقفرتْ منك ربوعٌ عَمُرَتْ ... أُنسا ولا أيبسَ عيشٌ رَطُبا

ولا برحتَ مالكا مقتسِرا ... نواصِىَ الإقبالِ أو مغتصِبا

حتّى تكونَ باديا وحاضرا ... بين النجوم بانيًا مطنِّبا

* * *

وقال يمدح عميدَ الرؤساء أبا طالب بن أيوبَ فى النّيروز

أَبلغْ بها أُمنيَّةَ الطالبِ ... فالرزقُ بين الرِّدفِ والغاربِ

ولا تُذمِّمْ[2] لوجاها[3] فما ال ... راحةُ يومًا فى مَطَا[4] اللاغبِ

ليلتُها فى الدائبِ المتقِى ... بُغامُها[5] فى السارحِ العازبِ

حُداؤها فى الرَّكبِ أحظَى لها ... من نَعقةِ الراعى أو الراكبِ

فاوتَ بين الطيرِ حالاتُها ... من باطشٍ أو فَرِقٍ هائبِ

فالخسفُ للجاثِم فى وكرِهِ ... والخِصبُ للقاطعِ والكاسبِ

أفلحَ من داوسَ طُرُقَ العلا ... موفَّقا للسَّنَنِ اللاحبِ

تُعجِبُه الفضلةُ فى ماله ... ما لم تَشُبْها مِنّةُ الواهبِ

ذلك فى المولَى، غدًا فى العدا ... مَثلبةٌ، فاسددْ فمَ الثالبِ

خوفى من العائب لى نجوةٌ ... من الأذى تُشكَرُ للعائبِ

والناسُ أصحابِىَ ما لم تَمِلْ ... وسُوقُ أثقالى على صاحبِ

(١) دو: مريض. (٢) تذمم: تلُم. (٣) الوجى: الحفا. (٤) المطا: الظهر.

(٥) البغام: الصياح بأرخم ما يكون فى صوت الناقة.

أكون ما آستغنيتُ عن رفدهم جِلدةَ بين العينِ والحاجب

فإن عَرَتْ أو حدَثتْ حاجةٌ فالحبــلُ مَلْقِيٌّ على الغـاربِ

وكم أخٍ غَــيّرَهُ يومُه الـ ـمُقبِـلُ عن أمسِ به الذاهبِ

كنتُ وإيّاه زمانَ الصــدَى كالمـاء والقهوةِ (١) للشـاربِ

ومَـــدّ باعيْه (٢) نخــلَّى يدى نهباً لكفّ القابِضِ الجاذبِ

مرّ فلم يعطِف لحُبِّ الصِّبا الـ ـجانى ولا حقِّ العلا الواجبِ

كأنّـــ ما أحكمتُ من ودّهِ أبرمتُــهُ لِلمســحَلِ (٣) القاضبِ (٤)

اللهَ للمغصــوبِ فيكم عـــلى ديونِه يا شِيعة الغـاصبِ

قد قلتُ للخابطِ (٥) خلفَ المُنَى مباعــدا : قارِبْ بهـا قاربِ

اِحبس مطاياك فما فى السرى إلا جنونُ الطمعِ الكاذبِ

لا تطلبنّ الرزقَ من معــدِنٍ يَنبوعه غــيرُ "أبى طالبِ"

فالبحرُ مَن خلّقَـــهُ خَلْقَــهُ لم يقتنع بالوشــلِ الناضبِ

خاطَرَ فى المجــد فغـالَى فتًى لم يخشَ منه قَمْــرةَ الغـالبْ

وكاثَر النـاسَ بإحسانِهِ فلم يحــزْهُ عــددُ الحاسبِ

اذا آحتـــبى (٦) ينسبُ عليـاءه دار عليــه قُطُبُ النـاسبِ

ضمّ الى ما كســبتْ نفسُــهُ سالفــةً فى عرقِــهِ الضاربِ

فظلَّ لا يَشْرُفُ مِن جانبٍ إلا دَعاهُ الفخــرُ من جانبِ

من معشرٍ تضحكُ أيمـانُهــم إن آدّ (٧) عامُ السنةِ (٨) الشـاحبِ

(١) القهوة : الخمرة . (٢) فى الأصل " باعاه " . (٣) المسحل : المنحت .

(٤) القاضب : القاطع . (٥) الخابط : الذى يسير على غير هدى . (٦) فى الأصل " اجتبى " وهو تحريف .

(٧) فى الأصل " آ " فرجحنا كلمة " آد " بمعنى : آشتدّ .

(٨) السنة : الجدب .

تُحلَبُ أموالُهُمُ ثَرَّةً (١) والضرعُ مبسوسٌ (٢) على الحالبِ
لهم نَدِىٌّ شَرِقٌ (٣) منهمُ بكلِّ مخطوبٍ له خاطبِ
لا نائمُ السامرِ فى الليلةِ الـ ـطُولَى ولا منتقِرُ (٤) الآدبِ
هم وَزَرُوا الدولاتِ واستنصحوا رَعْياً على العاطفِ والساربِ
وهم سيوفُ الخلفاءِ التى تُعلِّمُ الضربَ يدَ الضاربِ
غاروا نجومًا ووفَتْ بابنهم (٥) شهادةُ الطالعِ للغاربِ
حَذًا وزادته قُوَى نفسِهِ، والمجدُ للموروثِ والكاسبِ
زيادةَ البدرِ بشعشاعِهِ على ضياءِ الكوكبِ الثاقبِ
ليتَ عيونا لهمُ فى الثرى مغضوضةٌ بالقدَرِ اللازبِ (٦)
تراك فى رتبتِهم جالسا تأمُرُ فى العارضِ والراتبِ
حتى يُقِرَّ اللهُ منها الذى أُقذِىَ بالرامسِ والتاربِ
قد عَرَفَ "القائمُ بالأمرِ" مذ سَلَّكَ أنَّ القطعَ للقاضبِ (٧)
ظَهَرتَ (٨) بالعِفَّةِ سلطانَهُ، هذا وما الزاهدُ كالراغبِ
وصنتَ ما حَسَّنَ من ذِكرِهِ عن دنَسِ القادحِ والقاصبِ (٩)
فلا تَزَلْ عندك من طَوْلِهِ ما عندَه من رأيك الصائبِ
ولا خَلَا دَستُك من مركبٍ غاشٍ ومن راجٍ ومن هائبِ
ودام لى منك ربيعى الذى يُرضِى رياضِى بالحَيَا الساكبِ

---

(١) ثرة : غزيرة . (٢) المبسوس : الذى لا يدرّ . (٣) فى الأصل "شرف" وهو تحريف . (٤) المنتقر : الداعى بعضا دون بعض، وفى الأصل "مستنفر" . (٥) فى الأصل "بإتهم" وهو تحريف . (٦) اللازب : اللازم . (٧) القاضب : السيف القاطع . (٨) ظهرت : أعنت . (٩) القاصب : الجزّار، وقد كنى به عمن يقطع لحوم الناس ذما .

وجُنّتِي الحصداءُ (١) إن صاحَ بي ... دهرِيَ : لاسَلْمَ ! فقم حاربِ
مالىَ فى فقــرى الى ناصِرٍ ... ســواك مَنْ أحمِي به جانبي
فى ودّك آستبليتُ ثوبَ الصِّبا ... وفيــه أنضــو بُردةَ الشـائب
قلــبي لك المأمونُ تقليبُـــهُ ... ما قام "ريّانُ" على "ماربِ" (٢)
أبيضُ ثوبِ الودّ صافٍ على ... لونَيْـهِ من راضٍ ومن عائبِ
وكُلّمـا أُنســيتُمُ صُحبــتى ... ذكّرَتكُمْ زَمنُ "الصاحبِ"
وخُـــرّدًا أرســلتُها شُرّدًا ... من حابلٍ (٣) منكم ومن حائبِ (٤)
كلّ فتــاةٍ مَـعَ تعنيسها ... تفضَحُ حُسنَ الغادةِ الكاعبِ
ضوافيًا من فوقِ أعراضِكم ... للُســدِلِ المُــرخِى (٥) وللساحبِ (٦)
سارتْ مع الشمس وعمّت مع الـ ... ـغيث فمن ذالكِ ومن هاضبِ
تعلَقُ بالآذانِ موصــولةً ... غَشْما بلا إذنٍ ولا حاجبِ
تنصُبُ أعلامًا لكم ، سيرُها ... فى الأرضِ، فلتُشكَرْ يَدُ الناصبِ
كَرَّرتِ الأعيادُ أعدادَها (٧) ... والمهــرجاناتُ على الحاسبِ
حتى لقد خافت بمـا أكثرتْ ... ملالةَ القـارئ والكاتبِ

* * *

وقال يمدح كمال الملك و يهنّئه بالنيروز

لكِ الغــرامُ وللواشى بكِ التعبُ ... وكلُّ عذلٍ اذا جَـــدَّ الهوى لَعِبُ
أما كفاه آنصرافُ العين مُعرِضَـةً ... عنــه، وسمعٌ بوقرِ الشوق محتجِبُ

(١) الحصــداء : الدرع المحكمة الضــيقة الحلق . (٢) ريّان ومارب : جبــل و بلد .
(٣) الحابل : الصائد، لنصبه الحبالة . (٤) الحائب : القاتل، و يريد بهذا البيت أنه يشرد قصائده فى كل واد خوفا من حابل يقيدها أو حائب يقتلها . (٥) المذاكى : المتئد . (٦) هاضب : ماطر وفى الأصل : هاصب . (٧) الضمير فى أعدادها يعود الى القصائد .

وأنّ قلبا وأحشاء مُدغدَغةً اذا آستقامتْ حُمول الحيّ تضطربُ

لاموا عليك فما حلُّوا وما عقَدوا عندى، وعابوا فما شقُّوا ولا شعَبوا

فكلُّ نارِ هوًى فى الصدر كامنةٍ فاللَّوم يُسعرها والعذلُ يحتطبُ

آهًا لوحشةِ ما بيني وبينكُمُ اذا خلَتْ من دِلاءِ الجيرةِ القُلُبُ

وعطَّتْ(١) القُورَ(٢) والأجراعَ(٣) نوقُكُمُ طُروحَ عيني وحالت بيننا الكُثُبُ

مَن أشتكي الشوقَ إذ هزَّت وسادتَهُ مدامعٌ تنتحى أو أضلعٌ تجِبُ

فما أسفتُ لشيءٍ فائتٍ أسفي من أن أعيش وجيرانُ "الغضا" غيَبُ

قد كنتُ أسرِقُ دمعي فى محاجره تطيُّرًا بالبكى فاليومَ أنتحبُ

لا يُبعدِ اللهُ قلبًا ظلَّ عندكُمُ لم يغنِني عنه نِشدانٌ ولا طلَبُ

سلبتموهُ فلم تُفتُوا برجعته وربّما رُدَّ بعدَ الغارة السلَبُ

فأين إذمامُكم(٤) قبلَ الفراق له ألّا يضامَ ولا تمشي له الرِّيَبُ؟

أسيرةٌ لكُمُ فى الغدرِ حادثةٌ تخُصُّ، أم رجعتْ عن دينها العرَبُ؟

يا أهلَ ودّى، وما أهلًا دعوتُكُمُ بالحقِّ لكنها العاداتُ والدُّرَبُ

كنَّا بها نتسمَّى قبلَ غدركُمُ فاليومَ كلُّ آسمِ ودٍّ بيننا لقبُ

أشبهتمُ الدهرَ فى تلوينِ صبغتهِ فكلُّكم حائلُ الألوانِ منقلبُ

كنتم عليَّ مع الأيّام إخوتَها وليس إلا عُقوقٌ بينكم نسبُ

صبرًا وإن كان ملبوسا على جَزَعٍ ظُلمتُ، والصابرُ المظلومُ محتسِبُ

لعلَّ عازبَ هذا الحظِّ يرجعُ لى يوما وقاعدَ هذا الجَدِّ بى يثِبُ

---

(١) عطّت: شقّت. (٢) القور جمع قارة وهى الجبيل المنقطع عن الجبال أو الأرض ذات الصخور. (٣) الأجراع جمع جَرَع ودو الأرض ذات الحزونة تشا كل الرمل وقيل هى الرملة السهلة. (٤) الإذمام: أخذ الذمة.

وليتَ أنَّ "كمالَ المُلكِ" خالصةٌ آراؤه لى ورأىُ الناسِ مؤتَشِبُ (١)

بل ليتَ أنَّ قضاياه مواهبُه فكان إنصافُه فى عَرِضٍ ما يَهَبُ

فتّى قَنِعتُ به من بين مَنْ حَمَلَتْ خُوصُ الركابِ (٢) فسارت تُثقَلُ الرُّكُبُ (٣)

أحببتُه حُبَّ عينى أختَها ويدى يدى، ولى فى مَزيدٍ منهما أرَبُ

وكان لى حيثُ لاجفنٌ لناظرِهِ حفظًا وصَوناً ولا تحمِى الظُّبا القُرُبُ (٤)

عَطفًا لحقِّ وإسبالًا على ذممى كأنّه وهو مولًى فى الحنو أبُ

يرعَى شواردَ فيه لم تَسِرْ مَعَها ريحٌ ولا طمعتْ فى شأوِها السحُبُ

فغالبتنى على ذاك المكان يدٌ للدهر، كان لها ـ مذ ملَّنى ـ الغلَبُ

مَلالةٌ لم تطِرْ فيها مُطاوَلةٌ وبغضةٌ كالتجنِّى ما لها سببُ

قَسًا فأصبحَ للواشين بى أُذُنًا تَليقُ ما آختلقوا عنّى وما آجتلبوا

لو قيل: إنّى سرقتُ السمعَ أو صرفوا الىَّ تبديلَ دينِ اللهِ أو نَسَبوا

لَمَا آمترَى أنَّ رُسْلَ اللهِ بى جُبِهوا بالردِّ أو حُرِّفَتْ عن أمرِىَ الكتُبُ

فقل له ـ طيَّب اللهُ الوفاءَ له والحقُّ يَسفِرُ والبهتانُ يَنتقِبُ ـ :

يا ناقدَ الناس كشفًا عن جواهرِهم متى تَغيَّرَ عن أعراقِه الذهبُ ؟

وكيف أفسدَ سوءُ الحظِّ خُبرَك بى حتّى بدا لك أنّ الدرّ مَخشَلَبُ (٥) !

أغيرَ أنّ فَراشًا طار ينأمُ بى (٦) ؟ لو شئتَ كان بنارِ الردِّ يلتهبُ

أبعد أن رضتَنى عشرينَ أو صَعِدتْ لا الجرىُ تُنكِره منّى ولا الجَنَبُ (٧)

يُروَى لك الخُرُقُ (٨) عن حزمِى فتقبلُه صفحًا ويَجذُبك الواشى فتنجذبُ !

(١) مؤتشب : غير صريح . (٢) خوص جمع خوصاء وهى التى غارت عينها . (٣) الركب جمع ركاب . (٤) القرب جمع قراب وهو غمد السيف . (٥) المخشلب : الخرز لا قيمة له . (٦) ينأم بى : يهمس بى . (٧) الجَنَبُ : شبه الظَّلَع . (٨) الخُرُقُ : الحمُق .

حاشاكُم أن تكونوا عَونَ حادثةٍ … أو ترتميني على أيديكم النُّوَبُ

أذنبيَ الحبُّ والإخلاصُ عندكُمُ؟ … فإنّ ذنبي الى أيّامِيَ الأدبُ

أمَا وقومِكَ ، والمجدُ التليدُ لهم … ـ اذا حلفتُ بهم ـ والدينُ والحسبُ

ما خلتُ ـ والدهرُ لا تَفنَى عجائبُهُ ـ … أنّ العلا نافقٌ فى سُوقها الكذبُ

ولا عجبت لدهرى كيف يظلمنى … وإنما ظلمكم أنتم هو العجبُ!

يامَن به صحّ سُقمُ العيشِ وآجتمعتْ … على توحدهِ الأحزابُ والشُّعَبُ

ومَن كَفَى المُلكَ ما لم يَكفِ صارمُهُ … وردّ عنه الذى ما ردّه اليَلَبُ (١)

ومَن توسَّط أفقَ المجد فآعتدلتْ … به البدورُ ولبَّت أمرَهُ الشهُبُ

على بساطِكَ تُقضَى كلُّ مُبهِمةٍ … يعنو بها الخطْبُ أو تعيا بها الخطَبُ

وهالةُ البدرِ دَستٌ أنت راكبه … وتارةً هو غابُ الضيغمِ الأشِبُ

بِشْرٌ وقورٌ، وجِدٌّ ضاحكٌ، ورِضًا … لولا الطلاقةُ خِلْنا أنه غضبُ

جَرَى بك الخُلُقُ الفضفاضُ وآنقبضتْ … بك المهابةُ فالسَّلسالُ واللهبُ

وأفقرتك العطايا ، والثناءُ غنًى … وأنصبتك العلا ، والراحةُ النَّصَبُ

مَن عندَهُ نَشَبٌ لا مجدَ يعضُدُهُ … فإنّ عندك مجدا ما له نشبُ

حَلَلْتُ باسمك عَقدَ الرزق فآندفعتْ … عُراه تُفصَمُ لى عفوا وتنقضبُ

وكنتَ واسطةَ العقد الذى آنتظمتْ … عنه السلوكُ ولم تُخدَشْ به الثُّقَبُ

أنتم رفادةُ ظهرى إن وَهَى جَلَدى … ودَرَّةُ العيش لى والضَّرعُ معتصبُ

وَمشربى العِدُّ والغدرانُ غائرةٌ … منكم لِيَ الحوضُ أو منكم لِيَ القَرَبُ

قدّمتمونى فلى رهنُ السباقِ، ومَنْ … يلزّنى (٢) بعدُ : مجنوبٌ ومعتقبُ

---

(١) اليلب : الدروع أو جلود تلبس مثل الدروع . (٢) يلزّنى : يلزمنى و يلصق بى .

عِزّى بنفسِى ولكن زادنى شرفا — أنّى اليـــكم ـ اذا باهلتُ ـ أنتسبُ(١)
والنــاسُ غيرَكُمُ مَن لا يجاوزنى ، — أبيــاته عَمَـــدٌ تُبنَى ولا طُنُبُ
اذا صفوتم فلا وِرْدى ولا صَدَرى — منهم وإن أملَحوا يوما وإن عذُبوا
لى منكم الجبهةُ الغـــرّاء والعنُقُ الـ — ـتلْعاءُ والناس بعــدُ الرُّسغُ والذنَبُ
فلا تَـلْنى الليــالى فيكُمُ بيـــدٍ — إلا التَّــبابُ(٢) لها والشــلُّ والعطبُ
ولا تُصبكم عيـــونُ الدهر إنّ لها — الى الكمال لحاظًا سهمُـــها غَرَبُ(٣)
وإنْ أتَى رائدُ النيروزِ مجتــديًا — أيْمــانَكم فالروابى الخُضْرُ والعشُبُ
فمن جبـــاهكُمُ نَورُ الربيع لنـــا — ومن أكفِّكُمُ الأنواءُ تنسكبُ
يومٌ يكُرُّ به إقبـــالُ جَـــدِّكُمُ — غدًا على ملككم ما كرّت الحِقَبُ
تجلُونَ من حسنه حظَّ العيـونِ فللـ — أشعار فيكم حظوظُ السمعِ والطربُ
فما بقيـــتم فأيّامى بعـــزِّكُمُ — كما أُحبُّ وأحـــوالى كما تجبُ

✦✦✦

وقال وكتب بها الى الوزير زعيم الدين فى المهرجان

اذا فاتهـا روض الحمى وجَنـــوبُهُ — كفاها النسيمُ البابلىُّ وطيبُـــهُ
وكم حُبَّ من وادٍ الى العيش مجدِبٍ — وأُبغِـضَ مَثْرَى(٤) آخَـــرٍ وخصيبُهُ
وما الجـانبُ المسكونُ إلا وفاقُــهُ — هَوَى النفسِ، لا خضراؤه وعَشيبُهُ
فدعهــا تَلُسُّ(٥) العيشَ طوعَ قلوبها — فأمرعُ ما تـــرعاه ما تستطيبُهُ

---

(١) باهلت : حاججت مفتخرا . (٢) التباب : الهلاك . (٣) يقال : سهمٌ غَرَبٌ : لا يُدرَى راميه . (٤) المثرى : محل الثراء . (٥) تلسّ : تنتف الكلأ بمقدّم فيها .

وإن الثِّمادَ البَرْضَ(١) فى عزِّ قومها	لأَنقعُ من جَمٍّ(٢) يُذَلُّ غريبُهُ
وأشبَهها ألّا تكون طرائدا	اذا شُلَّ(٣) من سَرحِ المسيمِ(٤) عزيبُهُ
وأن كان حيًّا بالحمَى – إن توفّرتْ	من الوجد – مُبرِى(٥) دائها وطبيبُهُ
وكلُّ هلالٍ "ذو الأراك" حجابُهُ	يسرُّ البدورَ الطالعاتِ مَغيبُهُ
تحولُ الرماحُ "العامريّةُ" دونه	فيقنطُ راجيه ويعيا طَليبُهُ
وأتعبُ من حاولتَ يا قلبُ وصلَهُ	حبيبُ سِنانُ السمهرىِّ رقيبُهُ
يُصيبُ بعيدا سهمُهُ كلَّ من رمَى	وترميه أيدٍ حولَه لا تصيبُهُ
يلوم على "نجدٍ" ضنينٌ بدمعهِ	اذا فارق الأحبابَ جفَّتْ غروبُهُ
وهل طائلٌ فى أن يُكثّر عذلَهُ	اذا قلَّ من إصغاءِ سمعِى نصيبُهُ؟
وما الناسُ إلا مَنْ فؤادى فؤادُهُ	لأهلِ "الغضا" أو مَن حبيبى حبيبُهُ
سأرعَى الذى بيْنى وبينَ ملوَّنٍ	شربتُ على صفوى له ما يشوبُهُ
خذينى بغيرِ الغدرِ خُلْقًا وإن جنى	علىَّ الوفاءُ : قَرفُهُ وندوبُهُ
فذلك طينُ الأرضِ لم تُبْنَ فطرتى	عليها وما ماءٌ سقانى قليبُهُ
خُلقتُ يدًا دون الصديقِ وجُنّةً	يردُّ بها عن صدره ما ينوبُهُ
ركودى الى الجوّ العريض ركودُهُ	اذا رام أمرا أو هبوبى هبوبُهُ
وأصفحُ عنه عاذرا متأولا	وإن كثُرتْ زلّاتُهُ وذنوبُهُ
ويُقنعنى منه ظهارةُ وجههِ	فلا أسأل التفتيشَ كيفَ مَغيبُهُ
ومن طال عن خُبرِ الأخلّاء بحثُهُ	ليبلُوَهم لم يخلُ مما يريبُهُ
دعينى يكن خصمى زمانِىَ وحدَهُ	وتكفيكِ لى أحداثُهُ وخطوبُهُ

(١) الثماد البرض : الماء القليل النزر . (٢) الجم : الماء الكثير . (٣) شل : طرد .
(٤) المسيم : الذى يُرعى الدوام وهي الإبل من قولهم : أسامها أي أرعاها . (٥) مبرى : مبرئ .

هو الطِّرْفُ غرَّتْ رِحلتى خطواتُهُ (١) وزُمّتْ (٢) فكان الليثَ صعباً ركوبُهُ
أصابعُ من كفّيه صِلٌّ خديعةٍ لغير التحايا أهلُهُ ورحيبُهُ
ولولا رجالٌ هم أساةُ جروحِه جَرَتْ بدمى أظفارُهُ ونُيوبُهُ
لتسقِ بنى "عبد الرحيم" أكفُّهم فأروَى الحيا وكّافُهُ وصبيبُهُ
وما السيلُ ذو الدُّفّاع (٣) يرغو جُفاؤه (٤) بأمرعَ من وادٍ نداهم يَصوبُهُ
هم القاتلونَ الأزْمَ (٥) والعامُ مسنتٌ (٦) يقطِّبُ فى وجهِ المُسيم جدوبُهُ
وهم إن شكا الفضلُ الغريبُ انفرادَه قبائلُه دون الورى وشُعوبُهُ
ملوكٌ على الأيّام بيتُ علائهم تُناط بأعناق النجوم طُنوبُهُ
رَبَا الملكُ طفلاً ناشئا فى حجورهم وأشيبُ هذا الدهرِ بعدُ ربيبُهُ
لهم تاجُهُ المعصوبُ أيّامَ تاجِه وفيهم أخيرا سيفُهُ وقضيبُهُ
مواريثُ فيهم نصُّها إن مضى أبٌ يَسُدُّ الذى سدَّ ابنُهُ ونيوبُهُ
وأمواتُهم فيهم كأحياءِ غيرِهم اذا طَلَعَ المركوبُ جاء جَنيبُهُ (٧)
اذا ما "زعيم الدين" حدَّثَ عنهمُ توارَدَ شُبّانُ الفخارِ وشيبُهُ
هو البُلجةُ البيضاءُ فى وجه عزِّهم اذا شان عِزَّ القوم بابنٍ شحوبُهُ
يَرَى نصرَهم ماسار من حسن ذكرهم فتنشرُهُ أفعالُهُ وتُطيبُهُ
فتًى كمُلتْ فيه أداةُ اكتهالِه وغصنُ الصِّبا لم يَعْسُ بعدُ رطيبُهُ
تحمَّل أعباءَ الرياسة ناهضا فما لان من عرض الرجال صليبُهُ
ومن عجبٍ أن البِكّارَ (٨) جليدةٌ وقد عُقِرَتْ بُزْلُ الطريق ونِيبُهُ (٩)

(١) يقال : رَحَلَ البعير رحلة أى وضع عليه أداة رَحْلِه . (٢) زمّت : شُدّت . (٣) الدفّاع : الموج .
(٤) الجفاء : الزَّبَد . (٥) الأزم : الضيق . (٦) مسنت : مجدب . (٧) فى الأصل :
"نجيبه" وهو خطأ . (٨) البكار : الفتيّات من الإبل . (٩) النيب : جمع ناب وهى الناقة المسنة .

وكم سابقٍ فيهم ولم يَخْفَ رُسْغُهُ ... ولا ٱبتلَّ فى شَوطِ الرِّهانِ سبيبُهُ
ومن منجبٍ فيه أبوه وأمُّهُ ... وما وَلَدُ الإنسانِ إلا نجيبُهُ
لهم يومَ يحتدُّ الجلادُ كَبِيُّهُ ... ويومَ التَّرامى بالكلام خطيبُهُ
فلا محفِلٌ إلا وفيهم صدورُه ... ولا جحفَلٌ إلا وفيهم قلوبُهُ
"أبا حسنٍ" باهِلْ بهنَّ فضائلا ... لحاسدها حَرُّ الجوى ولهيبُهُ
يَعيبُك مَثنىًّ على الغيظ صدرُهُ ... خوافقُهُ تَزْوى(١) به ووجيبُهُ
وكيف ينالُ العيبُ أطرافَ ماجدٍ ... محاسنُ أبناءِ الزمانِ عيوبُهُ
وقال: وهل فى الناس من هو فوقه؟ ... فقلتُ: نعم! إن كان فيهم ضريبُهُ
كريمٌ اذا ما ظلَّ يَقسِم مالَهُ ... فأنزرُهُ مستقسَما ما يُصيبُهُ
يحبُّ ثراءَ المال حبًّا لبذله ... وليس كَسوبَ المالِ إلا وَهوبُهُ
أطلتَ يدى بالنصر فى نَيلِ مطلبى ... فأصبح لى أقصاه وهو قريبُهُ
وأمكنتنى من ظَهر حظِّى وعُرفِهِ ... فأسمحَ لى بعد الشِّماسِ رَكوبُهُ
وأغنيتنى عن كلِّ مرعًى أرودُه ... وَغَىً على تيهِ الطريق أجوبُهُ
وكم جَمَدَ الرزقُ البطىءُ على يدى ... فسلسلتَ من كفَّيك ماءً يُذيبُهُ
ولا خِلفَ(٢) إلا من عِصابِك(٣) دَرُّهُ ... ولا جَفْرَ(٤) إلا من نداك ذَنوبُهُ
اذا روَّعتْ سَرحى من الدهرِ رَوْعةٌ ... زأرتَ فلم يعسِلْ(٥) من الخوف ذيبُهُ
فقد صار يحبونى الذى ما سألتُهُ ... ويخطبُ منِّى المدحَ مَن لا أجيبُهُ
فلا يَخْبُ من نُعماك بدرٌ أضاءَ لى ... زمانى ولا نجمٌ هدانى ثقوبُهُ

(١) تزوى به: تذهب به. (٢) الخلف: الضرع. (٣) العِصابُ: شدُّ فخذى الناقة بحبل لتدرّ، ومنه: "مثل لا يدرّ على العِصّاب". (٤) الجفر: البئر لم تُطوَ وهو مذكّر. (٥) فلم يعسل: فلم يضطرب فى عَدوه.

ولا تتغـيّرْ من وفائـك عادةٌ ... يَرَى المجـدُ فى أثنائها ما يعيبُهُ

ولا برِحتْ تطرو[1] اليـك شـواردٌ ... يَلـين لها وعرُ الفـلا وسُهو بُهُ

مُطَبِّقَةٌ ما طبَّـق الأفقَ ، سـيرُها ... بوصـفك مسرى ليـلِها ودؤو بُهُ

من الـكَلِم السهـلِ المنيع مرامُهُ ... على النـاس والنَّزْرِ الكثيرِ عجيبُـهُ

تَرقرَقَ حُسنا فامـترَى كلَّ سامع ... به وهو مخـلوبُ الفؤاد طَـروبُهُ

أسربِلُ منه المهرجانَ مُفاضـةً ... يُصانُ بها عُريانُه وسـليبُهُ

ينـوبان من ناديك أمنـعَ جانبٍ ... وأنضرَ رَبعٍ : غضُّـهُ وقشيبُـهُ[2]

مدى الدهرِ ما هبَّ النسيمُ لناشقٍ ... ودبَّ على وجـه الصعيدِ دبيبُـهُ

على شَرْطِ[3] عزٍّ لا تحـولُ رسومُهُ ... وسَرحِ نعـيمٍ لا تُراعُ سُـروبُهُ

* * *

وقال يمدح الوزيرَ عميدَ الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم ، وأنفذها اليه وهو معتزلُ النظرِ لجفوةٍ جرَتْ بينه وبين الأتراك اقتضت تغيُّبَهُ ، ويُعرِّضُ بذكر الساعى به عند شاهانشاه جلالِ الدولة رحمه الله ، وذلك فى المهرجان الواقع فى شوّال من سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة

يا قلب من أين على فَـترةٍ ... رُدَّ عليـك الوَلَهُ العـازبُ ؟

أبعـدَ أن مات شبابُ الهوى ... شاوَرَك المحتنِـكُ الشائبُ

وبعدَ خمسين قضَتْ ماقضتْ ... وفضـلةٍ أغفلها الحـاسبُ

هبّتْ بأشواقك "نجـديّةٌ" ... مطمِـعةٌ ، أنت لهـا واجبُ ؟

ما أنت يا قلب وأهـلَ الحمى ... وإنمـا هم أمسُـكَ الذاهبُ

---

(١) تطرو : تأتى من مكان بعيد ، وفى الأصل " تطر " . (٢) غض وقشيب مرفوعان على أنهما بدل متطوع والقطع فى البدل جائز كما فى النعت . (٣) كذا بالأصل ولعله "صَرْح" .

لم تذكر الغـائبَ من عهدهم إلا لأنْ يأكلك الغـائبُ
قد وعظَتْ واعظةٌ من حجا بوعظهـا ما زَهـدَ الراغبُ
فارددْ عـلى الريح أحاديثَهـا ففى صِـباها ناقـلٌ كاذبُ
جاءت وقد أفرقْتَ(١) تهدى الصَّبا لا سَـلِمَ المجـلوبُ والجالبُ
ودون "نجدٍ" وظبـاءِ الحمى أن يُقـرَعَ المَنسِمُ والغـاربُ
والفيلقُ الشهباءُ من "عامرٍ" والطاعنُ الغـيرانُ والضاربُ
والشمسُ أدنى من "تميميّةٍ" طالعُـها من "رامةٍ" غاربُ
لو سَبقَتْ بالغـدرِ فى قومها لمَـا وَفَى فى قوسه "حاجبُ"(٢)
مكنونةٌ بيضـاءُ لم يُعـدِها فى البدو لونُ العربِ الشاحبُ
إنْ وُصفت تيَّمها وصفُها أو نُسبتْ أعجبهـا النـاسبُ
فـلا تَغُـرَّنَّك نفَّاحـةٌ منهـا ولا بارقـةٌ خالبُ
يا راكبَ الأخطارِ تهوى به انزلْ، كُفيتَ السيرَ يا راكبُ
مالَك ـ والراحةُ قد أمكنَتْ ـ تشـقَى بمـا أنتَ له طالبُ !
قد آن أن يُعفَى الكـايـلُ المطَا وأن يُراحَ النِّصبُ اللاغبُ
إنّ المقيم اليـومَ فى غِبطةٍ يحسـدها السارحُ والسـاربُ
قد أربعَ الوادى "ببغداد" وآبـتلّ الـثرى واتّسع الجـانبُ
أظلَّها من سُـحْبِ أيدى بنى "عبدالرحيم" الهاطلُ الماضبُ(٣)
ورجَعَتْ طالعـةً شمسُهـم فيهـا وعاد الكوكبُ الثاقبُ
الى "عميد الدولة" آسترجع الـنافرُ أنســا وأوَى الهـاربُ

---

(١) أفرقت : بان الشيب فى مفارقك . (٢) حاجب : هو حاجب ابن زرارة وقد تقدمت الإشارة اليه فى صحيفة (٥٩) . (٣) الماضب : الماطر ، وفى الأصل "القاضب" .

عَمَّ وسَوَّى عادلا جُـــودُهُ ... حتى آستوى المحرومُ والكاسبُ
طَبَّقَ فى التـــدبير أغراضَــهُ ... سهما فسهـــما رأيُه الصائبُ
وأدّب الأيّامَ بالحلم، وال ... جهـلُ على أخلاقها غالبُ
والمُلْكُ سَرحٌ نام رُعيانُه ... وهبَّ يطغَى ذئبُـــهُ الساربُ
كانت جحيما ترتمى بالأذى، ... فى جانبيهـا الشررُ اللاهبُ
فأخمـــدَتْ هيبتُهُ كلَّ ما ... هبَّ عليها المُوقِـــدُ الحاطبُ
صَبَّ عليهـا الدَّمَ لمّا غدتْ ... بالمـاءِ لا يُطفئُها الساكبُ
فهامــةٌ ساقطـــةٌ فوقهـــا ... حَصْدًا وجنبٌ حولها واجبُ
عشواءُ خطبٍ لم يكن ينجلِى ... حتى يؤوبَ القمرُ الغـائبُ
يا "شرَفَ الدين" تمدَّحْ بها ... فالعُجبُ فى أمثالهـا واجبُ
ما زال تنـــكيلُك بالمجرِم الـ ... ـمُصرِّ حتى خافــك التـائبُ
صَـــدْعٌ من الدنيـا تداركتَهُ ... لولاك ما كان له شاعبُ
جاذبه النـــاسُ يرومـــونَهُ ... دهرا فـلم يعــلَقْ به جاذبُ
لا العاجـــز الوانى تأتّى له ... منهـــم ولا المجتهــدُ الدائبُ
سَلَلْتَ بالعـادة فى جســمه ... رأيًا هو الصَّمصامةُ القاضبُ
قـــد ظهَرتْ رايةُ أيّامـكم ... وطبَّــق الأرضَ بهـا الجانبُ
وجَمَـعَ الألسنَ تفضيـلُكم ... فآصـــطلَحَ المادحُ والثالبُ
لا يَصلحُ الأمرُ على غـــيركم ... لا عارض منـــه ولا راتبُ
ولا تـــدرُّ المالَ أخـــلافُهُ ... وغــــيرُ أيديكم له حالبُ
وزارة مجلسُـــها منصِبٌ ... له آصـــطفاك الله والناصبُ
أنتَ لهـا ــ فاشدد يمينا بها ــ ... الأخُ وآبنُ العمِّ والصاحبُ

فإن تعزّلتَ وفارقتَها ... أو نابَ فى تدبيرها نائبُ
كان فِراقًا لك تسديدُهُ ... ولولا عادى سهمُهُ الخائبُ
بَعُدتَ فانحصَّ الذى رِشتَهُ ... وانقبضَ السائمُ والساربُ
فاعطِفْ على الدنيا وما قد جَرَى ... به عليه القدرُ اللازِبُ
فالليثُ لا يغمِز فى زأره ... وإن ألحَّ النابحُ الواثبُ
فى جِلده ذمّى وفى عظمه ... مُظَفَّرٌ[1] فى عزّكم خالبُ[2]
مَشَى بها الماشى الى حتفه ... يا بؤسَ ما أعقبَهُ العاقبُ
يا باسطا من كفّه مُزنةً ... يَبسمُ منها البلدُ القاطبُ
ومَن حَمَى الأرضَ فما فوقَها ... للخوف مسلوبٌ ولا سالبُ
والمصطفى المحبوب من ماله ... يَخبِطُ فيه العائثُ الناهب
أغنيتَنى عن كلِّ غَرّارةٍ ... سحابُها المصعِقُ والحاصبُ
وكلِّ مبذولِ الحمى بابُهُ ... واللؤمُ عن أمواله حاجبُ
لا يخلُقُ الخَجْلَةَ فى وجهه ... لا مادحٌ أثنَى ولا عائبُ
وصُنتَ وجهى بعد ما شفَّنى ... من مائه المنزَفُ والناضبُ
وخَلَطْتَنِى منك نُعمى بها ... شَجَّرنِى[3] فى بيتك الناسبُ
وحُطْتَنِى أمنًا وقد ثارَ لى ... بالشرِّ صِلُّ الرملةِ الواقبُ
كلبٌ أتى الليثَ فأغراه بى ... وقال وهو الفاجرُ الكاذبُ
وغْدٌ دعِىٌّ ليس من شكله ... ما هو كاسٍ باسمه كاسبُ
أعداه من مِهنةِ آبائِهِ ... عِرْقٌ الى اللؤم به ضاربُ

---

(١) مظفّر: غارزٌ أظافره . (٢) الخالب: الجارح بمخلبه . (٣) شجرنى: جعلنى من شجرتكم أي من ذوى قرباكم .

ولم يكـن لو أنه كاتبٌ ... يُراعُ منــه الشاعرُ الكاتبُ

وعند شعرى — لو هجا مثلَهُ — ... لعرضِــه القـاصمُ(١) والقـاصبُ(٢)

فابقَ لأنْ تُرغِمَ لى أنفَـهُ ... أنفٌ لعـمرى أجدعٌ تاربُ

(٥٧)

والبس من الدولة فَضفاضـةً ... يَسحَبُ من أذيالهـا الساحبُ

وأقِمْ ليــوم المهرجان الحيا ... وَفـدًا، فنـعمَ الوافـدُ الآئبُ

يومٌ لآبائـك فى حفظــه ... عهــدٌ يُراعَى حقُّـهُ الواجبُ

وأصبِـحْ بفخرٍ طــيرُه أيْمن ... وفى عداك البــارح(٣) الناعبُ

ما غَرَّدتْ ورقاءُ أو دافعتْ ... فتخاءُ(٤) عن أفراخها خاضبُ(٥)

وآسمعْ اذا شُدَّت لهـا حبوتى ... أفصـحَ ما فاهَ به خاطبُ

مرصوعةً بآسمـك من خيرِ ما ... لاثَ على مَفـرِقه عاصبُ

عنـدك منهـا غَرِدٌ مطربٌ ... وعند من عاديتَـه نادبُ

من معـدِن الجِدّ ولكن تُرى ... رقّتُهـا أنّى بهـا لاعبُ

لا رَبُّ "غُمْدانَ"(٦) وعَى مثلَها ... سمعًا ولا مَن دارُه "ماربُ"(٧)

وآمضِ مع العـادةِ فى مَهرها ... على طـريقٍ نهجُهُ لاحبُ

فـا تَطيبُ الأرضُ موهوبةً ... عنـــدىَ لولا أنك الواهبُ

---

(١) القاصم : الكاسر . (٢) القاصب : القاطع . (٣) البارح من الطير : ما يمرّ الى المياسر وهو الذى يتشاءم به . (٤) الفتخاء : العقاب اللينة الجناح . (٥) خاضب : محمرّة الأظفار . (٦) غُمْدان : قصر باليمن بناه "يَشْرَحُ" بأربعة وجوه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر . (٧) يشير الى سبأ بن يشجب بن يعرب الذى بنى قصر مأرب .

وقال يمدحه ويهنئه بالمهرجان، وكتب بها اليه وهو مقيم بعُكْبَراء وقد شارف العَوْدَ الى النظر بالوزارة بعد اعتزاله منها مُدَيْدةً، وتقرر ذلك له، يتشوقه ويذكر الحالَ، وذلك فى سنة ستّ وعشرين وأربعمائة

عزفتُ فما أدري الفتى كيف يرغبُ ... وعفتُ فما أشكو القذى كيف يُشربُ

وروّضني لليأسِ هجرُ مَطامعي ... فبُغضَ عندى الوفر وهو محبَّبُ

رأيتُ الغنى ما نَدَّ عنّى ففاتنى ... فكيف يخافُ الفَوْتَ من ليس يَطلُبُ

وأرضى عن الأقدارِ كيف تصرّفت ... وغيرِىَ بالأقدارِ يَرضَى ويغضَبُ

أأشرى بعرضى رِفدَ قومٍ معوضةً ... وأُشعِرُ نفسى أنّ ذلك مكسَبُ؟

فلا جرَّ رزقٌ(١) غِبطةً وهو يُجتَدَى ... ولا سَدَّ مالٌ خَلَّةً(٢) وهو يوهَبُ

هنيئا لربِّ الرائحاتِ خلاصُه ... إذا ضافنى مما يعقُّ(٣) ويَحلِبُ

ومن قَودِها لى فى الصِّلاب ثنيّةٌ(٤) ... وبزلاءَ(٥) تعصِى فى القيادِ وتُصحِبُ(٦)

تركتُ لمعطى النائلِ الغمرِ نَيلَهُ ... وإنى الى تَرْك البخيلِ لأقربُ

فلا المدحُ فى المُسنِي الجوادِ أَكُدُّه ... ولا اللَّحِزُ(٧) المنّاعُ ذمّى يَرهَبُ

ويظلمنى المولَى وفى فِيَّ ناصرٌ ... وكفّى، فلا أشكو ولا أتعتّبُ

اذا ذهبتْ بى رغبةٌ عن تلاده ... طريقًا فما لى عنه بالودّ مذهبُ

له خِصبُهُ دونى ولى نَوْطَةٌ(٨) به ... وعَونٌ على أيامه وهو مُجدِبُ

---

(١) فى الأصل "رزقا". (٢) الخلة: الفقر. (٣) مما يعقّ: مما يذبحه. (٤) الثنية: الناقة الطاعنة فى السادسة. (٥) البزلاء: الناقة الطاعنة فى التاسعة وليس بعد ذلك اسم لسن. (٦) تُصحِبُ: تنقاد ذليلة بعد صعوبة. (٧) المسنى الذى يجعل الجائزة سنية واللحز: البخيل الضيق الخلق. (٨) نوطة: تعلّق.

ولِلحبِّ منِّى – ما أمِنتُ خيانةً – محَـلَّةُ قلبٍ قلَّما يتقلَّبُ

أجُرُّ الهوى – ما لان – فَضْلَةَ مِقوَدى ويَعسِـفُنى حينا فآبَى وأجذِبُ

وما كلّما فارقتُ أشربُ دمعتى ولا كلّما غنّى الحَمامُ أُطَرَّبُ

وكم ألِفَتْنى ظبيةٌ وهى فَذَّةٌ فملتُ ولم أعطِف وقد عنّ ربرب

أحبُّ الوفاءَ مُحسِنا ومغـزِّلا وأصحَبُـهُ فيما أُجِـدُّ وألعبُ

وأعطِى يدى ما خِلتُنى متفضـلا وأمنعها ما خلت أنّىَ أرغبُ

فلو لقِيتْ أيّامَ دهرى خلائقى لكانت عـلى جَهْلاتِهـا تتأدَّبُ

ولو أنهـا للسِّـلم جانحـةٌ معى لكانتْ على الشـحناء بى تَتَحبَّبُ

وكنتُ لهـا عُذرا الى كلِّ ماجدٍ يَرَى أنهـا فى حرب مثـلِى تُذْنِبُ

ولكنّها عَجماءُ، سِيّانِ عندها شدَا جاملٌ (١) أو قال هُجْـرا مؤنِّبُ

تشُطُّ بأحبـابى الذين أودُّهم وتدنو بجـارٍ لا أُحبُّ فتَقصِبُ

ولو أنهـا تأوِى لصونى لقرَّبتْ بعيـدا وشطَّت بالذين تُقرِّبُ

كواكبُ آمالى وأقمـارُ مَطلبى نأتْنى، وفى الأحبابِ بدرٌ وكوكب

تَطَلَّعُ حينا من بُروج سُعودِها عـلىَّ ويطويهـا البعادُ فتغـرُبُ

اذا قلتُ: هذا العامُ حسبُ، وبعده الـ ـثَّواءُ، أتى فى الأمر ما ليس يُحسَبُ

فكم يحمِلُ الثقلَ الضعيفُ وكم ترَى يُقِلُّ وُسوقَ (٢) البعـد جنبٌ مندَّبُ (٣) !

وكم تكتسِى فى ظلِّ قـومٍ أعزةٍ قوادمُ ريشِى ثم تعـرَى فتُسلَبُ !

ويأخذُ منّى الحاضرون بجَهلِهم فواضِـلَ ما يُعطى السماحُ المغيَّبُ !

أيدرى الوزيرُ مَن كُنِى عنه أو عُنِى؟ نعم هـو يدرى ما أُعمِّى وأُعرِبُ

---

(١) الجامل: ذو الجَمَل ويريد به "الحادى". (٢) وسُوق جمع وسق وهو الحمل، وفى الأصل "وشوق". (٣) منـدَّب: مقرَّح.

وإنى بحبلٍ غيرِ أطنابِ بيتِه على بيتِ شِعرٍ ناصحٍ لا أطنِّبُ
سِماتُ بنى "عبدالرحيم" سلائطٌ(١) على وجهِ أشعارِى تُنيرُ وتثقُبُ
لهم جُمّتا فكرِى مُطيلا ومقصرا وصفوتُه صِرفًا وبالماءِ تُقطَبُ(٢)
فلو قلتُ : إنى فى مديحِ سواهمُ صدقتُ ، لقال الشعرُ فى السرِّ: تَكذِبُ
هُمُ أمكنونى من ظهورِ مآربى فأركبُ منها ما أشاء وأجنُبُ
ألمَّ بهم ما لا يُلِمُّ بشاعبٍ وأرأبُ فيهم صدعَ ما ليس يُرأبُ
وأستعتب الأيّامَ وهى مُصِرَّةٌ(٣) بهيبتهم حتى تفىءَ فتُعتِبُ
هُمُ رحِمى والأقربون معقّةٌ(٤) وفيهم أبى البَرُّ الرؤوفُ ولا أبُ
ودولتهم — لا عُطِّلتْ — لِى مواسمٌ وأيّامهم سُوقٌ بفضلِىَ تُجلَبُ
ذُخِرتُ لهم كنزا مواريثَ قومِهم فمن رامنى من غيرهم فهو يَغصِبُ
فلا أسمعتْ "ذُبيانُ" بعدى وبعدَهم بنى "منذرٍ" عذرا به العفوُ يوجَبُ
ولا فرِحتْ أقيالُ آلِ "أميّةٍ" بما سَيَّرتْ فيها "تميمٌ" و"تَغلِبُ"
أيا راكبَ العشواءِ يطرَحُ صدرَها خِطارا على الشِّقِّ الذى هو أتعبُ
ترى ظلَّها فى الشمسِ تحسَبُ أنّه لأُخرَى سواها لاحقًا أو ستقرُبُ
تغارُ اذا ما أبصرتْ ظلَّ سُنبُكٍ على الأرضِ جَلَّ سابقا وهى تَعقُبُ
كأنّ بِجاجِ الأرضِ نَقْدٌ(٥) لركضِها تُغيرُ عليه كيفَ شاءت وتَنهبُ
تَنُصُّ مقاضاتين(٦) للسير(٧) تلفِظُ الـ مُحالَ وتُوعِى الحقَّ نصحًا فتوعِبُ
وكالئةٍ ترعَى الشخوصَ كأنّها أخو ليلةٍ — بات الربيئةَ(٨) — يرقُبُ

(١) سلائط جمع سليطة وهى الزيت أو الدهن ينار به . (٢) تقطب : تمزج . (٣) يقال : أصرّ الفرس بأذنه أى سوّاها ونصبها للاستماع . (٤) معقة : عقوق . (٥) فى الأصل "نقلٌ" ولعله تحريف . (٦) فى الأصل : "مفاضاتين" . (٧) فى الأصل "للسر" . (٨) الربيئة : المتطلع يرقب العدو .

اذا ٱقتُضِيَتْ في ذمّة النجم حاجةٌ فتلك لديهـا دعوةٌ لا تخيَّبُ
تحمّلْ سـلامى وٱحتقِبْ لِىَ حاجةً تُضيءُ لك المسرَى وطُرْقُك غَيْهبُ
الى "شرف الدين" ٱنترعْها إهابَها ودعْها عـلى نارِ السِّياط تلَهّبُ
الى مَلِكٍ لا يسلُكُ النومُ جفنَـهُ وفى المُلْكِ صـدعٌ بالسهاد يُشَعَّبُ
ولا تبلُغ الأثقـالُ غايةَ جَهـدِهِ اذا ظلّت البُزْلُ المصاعيبُ تشغَبُ
تفحَّصَ فى الآراءِ حتى أرينَـهُ ـعلى غير فحص ـ أىّ أمريْه أصوبُ
وأتعبَـه التـدبيرُ حـتى أراحه وقد تستريح النفسُ من حيث تتعبُ
فكن مُبلغًا عـنّى، وحظُّك عنـدَه اذا أنت بِاسمى فُهتَ أهلٌ ومرحبُ
وقل يا عميد الدولة ٱعطفْ و إن جَنتْ فما زَلّةٌ إلا وعفـوُك أرحبُ
تَلَافَ عصاها أن تُشقّ فإنهـا بسوء القضـايا تُلتَحَى وتُشذَّبُ
وداركْ ذَمَاها (١) وهو بعـدُ، فربّمـا تخورُ القُـوَى أنْ ينفـعَ المتطبِّبُ
يقرّبك الإقبـالُ حينا فتؤنس الـ ـحياة ويُقصيك الشقاءُ فتَعطَبُ
ومن أعجب الأشـياء تعليلُهـا بمَنْ تَرَى عجـزَه من حظّه يتعجّبُ
فإن يبلغوا بالداء لا يحسمونه وعنـدهمُ منك الدواءُ المجـرَّبُ
اذا طُلّقتْ منك الوزارةُ أصبحتْ مُجـذَّذةً (٢) من حُسنها تُتسلَّبُ
تغوثُ (٣) بالأسحـار تدعو صَباحَها وتبكى زمانَ الوصـل منك وتندُبُ
تَخالُ بهـا ربعا مُحيـلًا تساقطتْ تحاجلُ فيـه الشاجِجاتُ (٤) وتنعَبُ
بنيتَ بهـا بِكر الصِّبـا فَمَن الذى يُصـفِّى هواها وهى شمطاءُ ثيِّبُ
وأبرحُ من تعنيسهـا وهى أيِّمٌ (٥) ـاذا غبتَ ـ من يُسمَى لها وهى تُخطَبُ

(١) يريد ذماءها وهو بقيّة النفس . (٢) مجذّذة : مقطّعة . (٣) تغوث : تستغيث .
(٤) الشاججات : الأغربة التى فى صوتها غلظ . (٥) الأيّم : التى ليس لها زوج .

وهذا أوانُ الشدِّ فانهضْ بحملِها ... وثِبْ واثقاً، إنَّ العلاءَ توثُّبُ

فما كلُّ ما استوضحتَ فيها هدايةٌ ... وليس ضلالاً كلُّ ما تتنكَّبُ

قد اشتاقك المُلْكُ الذى أنت أنسُهُ ... وأُوحِشَ صدرٌ منه وارتاعَ موكبُ

وقد أعجفَ(١) الرُّوَّادُ واعتصروا الحيا ... من الصخر اذ أمست سماؤك تُحجَبُ

وقُصَّ جَناحُ الشِّعرِ لا الطبعُ جاريا ... يَرِقُّ ولا مستولَدُ الفكر يُنْجِبُ

فنحن كأنَّا لم نصِفْ مَلِكاً ولم ... نقم قطّ ما بين السَّماطين(٢) نخطُبُ

وكائنْ لنا من موقفٍ متشهِّرٍ ... لديك يطيبُ القولُ فيه ويعذُبُ

تميَّزُ به عُتْقُ(٣) القوافى وهُجْنُها(٤) ... وتعلمُ ما ذا يُجتَبَى ويجنَّبُ

ووجهك بسَّامٌ الى المدح مقبِلٌ ... عليه ووجهُ الدهرِ جهمٌ(٥) مقطِّبُ

وكم ثَمَّ من مسترزِقٍ حلَفتْ له ... لُهاك — وبَرَّتْ — أنه لا يُخيَّبُ

وعيشٍ يبيسٍ بالسماح بلَلْتَهُ ... ووجهُك فيه من بناك أرطَبُ

رعَى اللهُ منك البحرَ لم أَروَ بعده ... بَلَى ربَّما أُفعمتَ والبحرُ ينضُبُ

ومَطرَحَ آمالى الذى كلُّ ضيِّقٍ ... عليه فسيحٌ عنده لِيَ مَرغَبُ

ومالى اذا أعسرتُ من كلِّ وجهةٍ ... وجاهى الذى من بعضه المالَ أكسِبُ

تأجَّنُ(٦) غُدرانى وماؤك سَلسَلٌ ... وتخبُثُ أوطانى وتُربُك طيِّبُ

وَجُودُك لى سِيَّان ما كنتَ حاضرا ... قريباً، وما ينأَى وما يتقرَّبُ

فلولا مضيضُ الشوقِ لم أشكُ غُصّةً ... ولا أجحفَ التَّردادُ بى والتقلُّبُ

ولكنّك العينُ التى كلُّ غبطةٍ ... اذا هى لم تُوجَدْ عناءٌ معذِّبُ

---

(١) يقال : أعجف القوم : هزلت مواشيهم وصارت عجافا . (٢) السماط : الصف ، يقال : قام القوم حوله سِماطين أى صفّين . (٣) العُتْق جمع عتيق وهو النجيب من الخيل . (٤) الهجن جمع هجين وهو غير العتيق أو الذى ولدته برذونة من حصان عربىّ . (٥) الجهم : المكفهرّ الوجه . (٦) تأجن : تصير آجنة متغيرة طعم الماء ولونه .

فـلا حَوّلتْ عـنى ظِلالَك خُطّـةٌ ... تَحُـــلُّ ولا محـــذورةٌ تُترقَّبُ
وعشتَ لمثـلى واحدا فى زمانه ... وللنـاسِ بعـدى يطلبون وتُطلَبُ
أجازى نداكَ الغَمــرَ نَشرا(١) مخـلّدا ... كلانا مطيـلٌ فى معانيـه مُطنِبُ
بكلِّ مطـاعٍ أمرُها مستجيبةٍ ... لدعوتهـا الأسماعُ تُرجَى وتُوهَبُ
تَوَلَّجُ(٢) لا تخشَى تلوُّنَ آذنٍ، ... لهـا الخلواتُ والرواقُ المحجَّبُ
يُمَرُّ لها بالفضـلِ من لم تُقلْ(٣) له ... ويُعظمُها العيّـابُ والمتعصّبُ
لهـا كلُّ صوتٍ، كلُّ راويه مُبلِغٌ ... فصيحٌ، ومَن غنَّى به فهو مُطرِبُ
تَصفَّتْ فقد كادت مع التبر تُقتَنَى ... ورقَّتْ فقد كادتْ مع المـاء تُشرَبُ
مصدَّقة فى المـدح أسرفَ أو غَلَا ... ومأمونة ما تسـتزيدُ وتعتِبُ
تزورك، يوما فى نَديِّك تُجتَـلَى ... ويوما مع السُّفَّار تُقــرَا وتُكتَبُ
تسوقُ التهـانى خلفَها وأمامَها ... تُصعِّدُ فى الدنيـا بكم وتُصَـوِّبُ
تذكِّرُكم من حقِّها إن نسيتمُ ... بمـا تَقسِم الأعيـادُ حظًّا وتُنصِبُ
تَرَفَّعُ عن تيـه المصيبِ وعُجبـهِ ... ولكن بكم فخـرا تَتيهُ وتَعجَبُ

* * *

وقال يمدحه ويهنئه بالمهرجان الواقع فى سنة سبع وعشرين وأربعمائة

سَلِ الرَّكبَ إنْ أعطاك حاجتَك الرَّكبُ ... مَن الكاعبُ الحسناءُ تمنعها "كعبُ(٤)"؟
قضى أنهـا مغـلوبةٌ لِينُ عطفها ... وحصّنها ـ أن تُملَك ـ الأُسُدُ الغُلْبُ
حمَوْها وذبُّوا أن تُرامَ وما حَمَوا ... قلوبَ الهـوى من مقلتيها ولا ذَبُّوا
وهزّوا القنا الخطّار والبيضَ دونها، ... فمَن طالبٌ؟ والمانع الطعنُ والضربُ

---

(١) فى الأصل : بشرا . (٢) تَوَلَّجُ : تدخل . (٣) فى الأصل " يقل " .
(٤) كعب : اسم قبيلة .

يخافون صوتَ العار أن يُصبحوا بها ... حديثا وأفـواه المواسم تَستَبُّ
وما العـارُ إلا أنّ بين بيوتهـم ... قلوبَ المحبـينَ السلائبُ[1] والنَّهبُ
لئن أشحـطوها أن تُزارَ فبيننا ... مواثيقُ ، بُعدُ الدار إن رُعِيَتْ[2] قربُ
وإن حُجبتْ والريحُ تَسـفُرُ[3] بيننـا ... بنجوَى فؤادَيْنا فما ضَرَّت الحُجْبُ
وفى دارها " بالروضـتين[4] " لناظرٍ ... شفائفُ[5] ضوءِ البدرِ تكفُره[6] السحب
ومنهـا ومن أترابهـا فى ثرى الحمى ... عبائقُ تَهديها الصَّبا لِيَ والتربُ
وقفتُ وصَحبي فى "اللَّوى" فأملّهم ... وقوفِيَ حتّى قد وقفتُ ولا صحبُ
أذاكـرُهُ مَرآةَ يَومِى بأهــله ... فيشكو الذى أشكو ويصبو كما أصبو
ولم أحسَب الأطلالَ تُخضعها النّوى ... ولا أنّ جسم الربع يُنحِلُه الحبُّ
تحدَّثْ بمـا أبصرتَ يا بارقَ الحمى ... فإنك راوٍ لا يُظَنُّ بك الكذبُ
وقلْ عن حشّى من حَرّها وخفوقها ... تعلّمتَ ما تنزو خِطارا وتشتبُّ
وعن بدَنٍ لم يبرح الشوقُ مُعرِيًا ... وَشائظَهُ[7] حتى ٱلتقى الجنبُ والجنبُ
فلو أنه فى جفنِ ظبيـةِ حابلٍ ... مكانَ القذَى ما كان يَلفِظُه الهُدبُ
وهـذا ضنا جسمى وقلبىَ عنـدها ... فكيف به لو كان فى جسدى قلبُ
فُطرتُ على طينِ الوفاء ودِينـهِ ... فنفسى اليـه بالغـريزة تنصبُّ
فكم نائمٍ عـنّى وثـيرٍ مِهـادُهُ ... وجنبِى له عن ابن مَضجَعه ينبـو
أصابرُ فيـه الليـلَ حتى أغيظَهُ ... فتحسُدَ أجفانى على السهر الشهبُ
وأعجبُ ما حدَّثتُـهُ أنّ ذمّةً ... وفَتْ فارسٌ فيها وخاسَت[8] بها العُربُ

(١) السلائب : كل ما أخذ قهرا . (٢) فى الأصل : دعيت . (٣) تسفر : تكون سفيرا . (٤) الروضتين : اسم موضع . (٥) الشفائف : الستائر يستشف ما وراءها . (٦) تكفره : تحجبه . (٧) وشائظ جسم وشيظة وهى قطعة عظم تكون فى العظم الصميم . (٨) يقال : خاس بالعهد أى أخلفه .

عذيرى من الأيّام أونحن مرتعى ورنّقن لى من حيث يُستعذبُ الشُّربُ
ثَـاوبُ قومًا غَضَّها وهشيمَها وكلُّ نصيبِي من معيشتهـا الجدبُ
أُخلِّ عليهـم عفوَها (١) ودُرورَها فأرضَى بلا ذلٍّ بمـا كدَّه العصبُ (٢)
وأتركُها تَرْكَ المسالِم قادرا لأسـلَمَ منهـا وهى لى أبدا حربُ
وكم قد شكوتُ الدهرَ لو كان مُشْكِيا وعاتبتُ جورَ الحظّ لو نفع العتبُ
بلى فى يدى ـ لا أكفُرُ اللهَ ـ جانبٌ من العزّ لى فيـه الوسيعةُ والرَّحبُ
ومنبعُ جُود لو قنعتُ كفى الغـنى وبلّ غليـلى ماؤه العَلَلُ (٣) السَّكْبُ
تعـوّد جوِّى غيمَــهُ ونسيمَهُ وأرضِىَ أن تزكو عليـه وأن تربو
أقِلْنى من التغرير يا طالبَ العلا ومن كدِّىَ الآمالَ تنهضُ أو تكبو
فلولا الندَى العِدُّ "الرحيمىُّ" ما جرى الى أيكتى ماءٌ ولا آخضرّ لى تربُ
هم النـاس ناسى والزمانُ زمانُهـم ربيعى وكسبى من رضاهم هو الكسبُ
تملّحتُ (٤) فيهـم وآلتحفتُ بريشهم فوكرِى بهم حيث آستوى الماءُ والعشبُ
وحسْبِي غنًى أو سُـودَدا أنَّ بحرَهم وسيّدهم عند الملمـات لى حَسْبُ
الى "شرَف الدين" آنتشطنا حبالَهـا تُعانِقُ (٥) فى نفض الطـريق وتختبُّ (٦)
سلائلُ ماصفّى "الغَضينُ وداحِسٌ" (٧) وحازت كلابٌ رهنَها واَعتلت كلبُ
بناتُ الفـلا والريحِ كل حسـيرة اليهـا الرياحُ المستقيماتُ والنُّكْبُ

(١) العفو : اللبن أوّل مايحلب . (٢) العصب : أن تُعصب فخذا الناقة لتدرّ، وفى الأصل "العضب" . (٣) العلل : المتتابع، وأصله الشرب بعد الشرب تباعا . (٤) تملّحتُ : سمِنتُ وفى الأصل : تلمَّحتُ . (٥) تعانق : تسير العَنَق وهو ضرب من السير . (٦) تختبّ : تسير الخبب . (٧) الغضين وداحس : اسما فرسين، يضرب بأحدهما المثل يقال : "هو أشأم من داحس" .

كَسيرِ(١) العصا المقدودِ لو سُلكتْ بها ... ثُقوبُ الخروت(٢) لم يضق دونها ثَقْبُ
تُخَالُ عِناناً فى العنان من الطَّوَى ... وإن شُطِبتْ(٣) بالسوط قلتَ هي الشَّطْبُ
تُحَطُّ اليه وهى قُلْبٌ(٤) من الطَّوى ... وتُركَبُ عنه وهى مُجْفَرةٌ(٥) قُبُّ
الى مَلِكٍ لا يملِكُ الخوفُ صدرَه ... خُفوقا ولا يغشى على رأيه الخطبُ
ولا يطَّبيه(٦) التيهُ فى معجزاته ... اذا هامةُ المفتون أسكرها العُجبُ
مهيبِ الرضا مستصفَحِ السخطِ بالغٍ ... به القولُ ما لا يبلغ الباتِر العضبُ
مُحيطٍ بآفاق الإصابة رأيُه ... بديهاً، ورأىُ الناسِ مختمرٌ غِبٌّ(٧)
اذا رَفعتْ للإذن سَجْفا(٨) رواقُه ... فللأعين الإشراقُ والآنُفِ(٩) التربُ
مَقامٌ تُلاقِى عنده النِّعمُ السُّطَا(١٠) ... ويجتمع الرُّغْبُ المحبَّبُ والرُّعْبُ
اذا أَمرتْه مُرَّةٌ من حفيظةٍ ... تسوءُ، نهاه خُلْقه الباردُ العذبُ
تصوَّرَ من حُسنٍ وحِلمٍ ونائلٍ ... ففى الدَّستِ منه البدرُ والبحرُ والعضْبُ(١١)
من القوم لم تُضرَبْ عليهم إتاوةٌ ... ولم يَعتبِدْهم غيرَ خالقِهم ربُّ
صدورٌ قلوبٌ فى المجالسِ والوغَى ... اذا رشَحوا فاضوا وإن قدَحوا شبُّوا
ومدَّ "عميدُ الدولة" العرضَ راسخا ... فحدَّثَ عن ضَربِ العلا الرجلُ الضَّرْبُ(١٢)
وما علمتْ أمُّ الكواكبِ(١٣) قبلَه ... وقبلَهُمُ أن الهلالَ لها عَقْبُ

(١) السير: القِدَّة من الجلد، و يقال فى مثل مولَّد: "ليس فى عصاه سير" يضرب لمن لا يقدر على ما يريده. (٢) الخروت جمع خُرت وهو ثقب الإبرة ويريد بها هنا الإبر نفسها. (٣) شطبت: خط فيها السوط بما يخالفه نتايها من الأثر. (٤) قلب جمع قلباء: مقلوبة الشفاه. (٥) مجفرة: عظيمة الجنبين. (٦) لا يطبيه: لا يستميله. (٧) غبّ: متأنّى فيه. (٨) السجف: كل ستر ين مقرونين بينهما فرجة. (٩) الآنف جمع أنف وهو معلوم. (١٠) السطا جمع سطوة. (١١) العضب: السيف. (١٢) الضرب: الماضى النَّدْبُ الخفيفُ اللحم. (١٣) أم الكواكب: الشمس.

وأنّ شروقَ الشمس عنهم سيتقِى ... الى مَلِكٍ فى صدره الشرقُ والغربُ

أرى المُلك بعـد المَيْل قامت قناتُه ... ولُوحِمَ منه بعد ما آنصدعَ الشَّعبُ

لك الُبلجة البيضـاءُ إن مات بحرُهُ ... وفى يدك التفريجُ إن غَشِىَ الكربُ

وقد علِمتْ أمّ الوزارة أنهـا ... اذا غبتَ ثَكلَى قَصْرُها(١) الدمعُ والندبُ

وتُطمِعُ مخـدوعَ المنى فى نكاحِها ... مَطامع كذّتهـا وأنت لهـا خِطْبُ(٢)

ودبُّوا لهـا تحت الظلام عقاربا ... ولو حسبوا وطء الأخامِص ما دبُّوا

ولمّـا رأوا عنهـا آلتفاتَك عاجلوا ... وُثوبًا، وقِدْمًا طاح بالقَدَمِ الوثْبُ

رَقَيْتَ بفضـل الحلم شَوكَةَ لَسْبِهم ... فقـد ماتت الأفعَى وقد برأ اللَّسْبُ

هُمُ عقـروها إذ تعاطَوا فعُـذِّبوا ... ورأيك فيهم "صالحٌ"(٣) وهُم السَّقبُ(٤)

وراموا التى يرضَى بها الخُرقُ وحدَهُ ... خِداعا وتأباها الحـزامةُ واللُّبُّ

ومن دونها أن يخطبَ الليثُ هُدنةً ... من الذئب أو يبكى من العطش الضبُّ

تُحدِّثهم أحلامُهم أنّ ظهـرَها ... رَكوبٌ ولكن يُكذَبون اذا هَبُّوا

صِلُوها فـا يشقَى من اليوم معنُها ... عليكم ولا تَذْوِى(٥) وأنتم لهـا قطبُ

ولا برحتْ فيكم تَجُـرُّ عزيزةً ... سرابيـلَ لا يُخفِى ذلاذِلَها(٦) السَّحْبُ

ضَممتَ عزيبَ الملك بعد آنتشاره ... وأفرشـتَه أمنًا وقد ذُعِرَ السِّربُ

وما زلتَ بالتـدبير تَركبُ صـعبَه ... الى سهله حتى آستوى السهلُ والصعبُ

أحبّك ودًّا مَـن يخافُك طاعةً ... وأعجبُ شىءٍ خِيفـةٌ معَها حُبُّ

ولو نشَزتْ عنك القـلوبُ لردَّها ... لسانُك هذا الحلوُ أو وجهُك الرَّطْبُ

---

(١) قصرها : غايتها . (٢) خِطب : خاطب . (٣) صالح : اسم نبىّ من أنبياء الله صلوات الله عليهم . (٤) السقب : ولد الناقة . (٥) تذوى : تذبل . (٦) الذلاذل : أسافل القميص الطويل واحدتها : ذُلذُل ، وقيل : أثواب تلبس فوق بعضها كل واحد منها أقصر مما تحته لتظهر كلها للناظرين .

فما مُقلةٌ إلا وأنتَ سوادُها ولا كبِدٌ إلا وأنت لها خِلبُ (١)

وأما القوافى فهى منذ رعيتَها بطائنُ وادٍ كلُّ أعوامِه خِصبُ

يكاثفها نبتا ويعذُب مَشرَبا فلسّاتُها (٢) خَضْمٌ ورشفاتُها عَبُّ

صحائحَ مُلْسًا كالدِّهانِ وعهدُنا بها عند قومٍ وهى مُجفِلةٌ جُرْبُ

وكم بكرةٍ منها لمدحك قُدتُها فقرّت ومن أخلاقها الغَشْمُ والشَّغْبُ

تغاديك أيام التهانى بوفدها مكرَّرةً لُبسًا وهنّ بها قُشْبُ

بشائرُ ملكٍ صدقُه فيكَ، لا يرى له رُكُنٌ ولا يقصّرُ له طُنْبُ (٣)

وأنَّ يدَ اللهِ البسيطةَ جُنّةٌ تقيكم وأحزاب السعودِ لكم حزبُ

يزورُكُمُ قلبى بها مثلَ منطقٍ فلا الغِشُّ يُخشَى عليها ولا الخِبُّ (٤)

وأمدحُ مَن أعطاكُمُ مِن لسانِهِ وأرضاكُمُ مَن قلبُه بِكُمُ صبُّ

فلا تعدَموا منها عرائسَ عُطَّلًا لها من أياديكم قلائدُ أو قُلْبُ (٥)

اذا مشتِ الأقرانُ حولَ خريدةٍ فوَحدتُها فى الحسنِ ليس لها تِربُ

أجُدُّ بها والطبعُ يجرِى خلالَها طُلاوةَ رَقراقٍ تُرى أنها لِعْبُ

وغيرُكُمُ يرتاب بى إن مدحتُه لعرفانه ألّا يحلَّ لها الغصبُ

فأرفعُه بالفعلِ لو كان فاعلا وقد خَفَضَتْهُ من نقيصتِه رُبُّ (٦)

يُساءُ كأنّى بالثناء أسبُّهُ لعمرُ أبى إنّ النفاقَ هو السبُّ

(١) الخِلب : حجاب الكبد . (٢) اللسّة : أخذ الدابّة النباتَ بجحفلتها . (٣) كذا بالأصل وفى النسخة المطبوعة .

* له ركنُ عزّ أو تقصّر له طنبُ *

(٤) الخِبّ بفتح الخاء وكسرها : الخداع ، وفى الأصل "الحب" وهو تحريف . (٥) القُلُبُ : السوار . (٦) ربُ لغةٌ فى ربَّ ، والبيت مكتظّ بكثيرٍ من التورية النحويّة .

* * *

وقال فى سمكة

وكالرقمِ يحسَــــبه من قــرا ويُعرَفُ ممَّنْ إذا مَن كُتِبْ

من البَهْمِ لو طَلَب النطقَ ضلَّ وفى الأنبيـاءِ إذا ما طُلِبْ (١)

يبادر خيــلَ الوغى الدُّهمَ والـ ـوِرادَ (٢) بشهبـاءَ (٣) تُجــلِى الشهبْ

بحيث تُرَى مخطفاتُ (٤) الحــديـ ـدِ يضعفن عن مرهَفات القَصَبْ (٥)

إذا ما تَرَدَّى (٦) نجــا سالمـا ويُقعَص (٧) إن قام أو إن وثبْ

يكون بدرعٍ فيلَقَ وإنْ تسربلَ درعين لاقَ العطبْ (٨)

* * *

وقال فى سُمَارِيَّة (٩)

وجاريةٍ فى مجــارى الحيـاةِ خلعت (١٠) عليهــا رداء الشـبابِ

وحَلَّيتَها حِليــةَ المشـــرفـ ـىّ فوق حمــائلِهِ والقـــراب

---

(١) يريد بالبَهْــم البهائم ، وسمّيت بذلك لما فى صوتها من الإبهام ، ويسـتوى فيها كلّ ذات أربع قوائم من دوابّ البر والماء . ويريد بقوله "وفى الأنبياء" سورة "الأنبياء" فى القرآن الكريم وما تضمّنته حكاية عن سيدنا "يونس" عليه السلام من قوله تعـالى : (وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً) الآية . (٢) الدهم : السود ، والوراد : الحمـر . (٣) "بشهباء" أى "بدرع بيضاء" وهى كناية عن إهاب النون لبياضه ولمعان ما عليــه من قشور تظهر كالنجوم لناظرها . (٤) مخطفات الحديد : لعـله يريد بمخطفات الحــديد الشصوص جمع شِصّ وهى حديدة عقفاء يصاد بها الســمك | صِنارة | . (٥) القصب : عروق الجناح وعظامها ، ويريد بها "الزعانف" وهى أجنحة السمك وغيرها مما يدافع بها عن نفسه . (٦) اذا ماتردّى : اذا ما سقط فى اللجّة واتّخذ سبيله فى البحر سربا . (٧) يقعص : يقتل رغم أنفه . (٨) يريد أن هذا الحوت يلق كل ما ينتابه بدرعه أى بإهابه لمتانته حتى اذا لبس درعين — كناية عن إهابه وعن الشبكة التى يحيطه الصــيَّاد بهـا — فانه يلاق الموت والهلاك . (٩) سُمَارِيَّة : نوع من السفن الصــغيرة تركب فى الأنهـر . (١٠) بالأصــل "جعلتُ" .

إذا غادةٌ منعَتْ وطأَها تبطَّنتُ منها ذلولَ الركابِ
وخرَّقَ ما تحته ظهرُها كما تخرقُ الشمسُ ثوبَ السحاب
وأحمدُ من جسمها أنه كريمُ العظام لئيمُ الإهابِ (١)

* * *

وقال فى الدفاتر

وصفحةِ وجه من وجوهٍ عَلِقتُها أراعى خدوشاً فوقها ونُدوبا
تَعرَّضُ لى والغانياتُ صوادفٌ فأذكُرُ أصداغاً لها وتَريبا
أكونُ حليماً تارةً ما اجتليتُها وقُوراً وأحياناً أكون طَروبا
ويُعجِبُنى منهنّ أنّىَ لا أرى حبيباً لقلبى أو أراه قريبا
سَبَتْنى بألفاظِ الرجال وطابَ لى جَناها ولم تنطقْ ولم أرَ طيبا
فأودعتُها ما أودع اللهُ مهجتى جلابيبَ خيطت لاتُقلُّ جيوبا
تُقصِّرُ عن أقدامِها ورءوسِها وتملأُ أصلاباً لها وجُنوبا
إذا عُرِّيتْ منها وَقتْها عيوبَها وإن أُلبِسَتها لم توارِ عيوبا

قافيـة التـاء

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم يمدحُه ويذكُرُ ظفرَه بعدوٍّ كان يناوئه ويهنّئه بمهرجان سنة إحدى عشرة وأربعمائة

ما أنكرتْ إلا البياضَ فصدَّتِ وهى التى جَنَتِ المشيبَ هى التى
غَرّاءُ يَشْعَفُ قلبَها فى نحرِها وجَبينِها ما ساءنى فى لِمَّتى
لولا الخلافُ وأخذُهنّ بدينِه لم تكلَفِ البيضاءُ بالمُسودَّةِ

---

(١) إشارة الى بياضها وسواد جرمها .

أأنستِ حين سَريتِ فى ظَلمائها ... ونفرتِ أن طلعتْ عليـك أهلّتى ؟

ولقدعلمتِ ــ وعهدُ "رامةَ" عهدُنا ... قَتيْن ــ أنّى لم أشبْ من كَبرةٍ

وإذا عددتِ سنِيَّ لم أكُ صاعدا ... عَدَدَ الأنابيب التى فى صَـــعدتى (١)

أَجَنيْتِها من خَـلَّةٍ (٢) فى مَفــرِقى ... فتكونَ عنــدكِ قادحا فى خُلَّتى (٣) ؟

نَكِرُوا ــ فلا عَرَفوا ــ "برامةَ" وقفةً ... مَيــلاءَ نادتها الديارُ فلبّتِ

وألامَ فيكِ وفيكِ شِبتُ على الصِّبا ... يا جَورَ لائمتى عليـــكِ ولِمّتى

وحننتُ نحـوكِ حَنَّـةً عربيّـةً ... عِيبت، وتُعذَرُ ناقةٌ إن حنّتِ

ماذا على الغضبانِ ؟ ما آسترفدتُه ... دمعا ولا آســتوقفتُهُ من وقفــتى

أبغى الشــفاءَ بذكره مِن مُسقِمى ... عجبــا لمن هـــو علّتى وتعلّتى !

يا هلْ لليلاتٍ "بجَــعٍ" عودةٌ ؟ ... أم هل الى وادى "مِنًى" من نظرةٍ ؟

والحاصبات، وكلّ موقعِ جمــرةٍ ... يَنبــذْنَها فى القلبِ مَوقدُ جمــرةِ

ومِن المحــرّمِ صيــدُهنّ خليعةً ... طابت لهــا تلك الدماءُ وحَلّتِ

حكمتْ عليـك بقلبِ ليثٍ مُخدِرٍ ... ورنتْ اليــك بعــين ظبيٍ مُغلِتِ

ورأيتُ أمَّ الخشفِ تَنشُــد بيتها ... أفأنتِ تلك سرقتِ عينَ الظبيــةِ !

نَشَطُوا عن الركبِ الحبالَ فنفّروا ... سكَناتِ أضــلاعى بأوّلِ نفــرةِ

رفعوا القبابَ، وكلُّ طالبِ فتنةٍ ... يرنو اليــكِ وأنتِ وحدكِ فتنتى

لا آســتوطأتْ منّى مكانَكِ خُلّةٌ (٤) ... كلُّ الفــؤاد نصيبُ ذاتِ الكِلّةِ (٥)

---

(١) الصعدة: القناة . (٢) الخَلّة: الحاجة . (٣) الخُلّة: الصداقة . (٤) الخُلّة: الخليلة . (٥) الكِلّة: الستر الرقيق أو غشاء يُتوقّى به من البعوض [ناموسيّة] .

* * *

يامن يلوم على آجتماعى قاعدا ... والأرضُ واسعة الفُروجِ لنهضتى

ويَرى الرجالَ وكلُّهم متكثِّرٌ ... بصحابةٍ فيلومنى فى وَحدتى

أعذُرْ أخاك فما تهجَّر مُشمِسا ... حتى تقلَّص عنه ظلُّ الدَّوحةِ

كيف آعترافى بالصديق وكيف لى ... بالفرق بين محبتى من بِغضتى ؟

وقلوبُ أعدائى الذين أخافهُم ... مغلولةٌ لِىَ فى جسوم أحِبَّتى

رقَص السرابُ فراقنى من راقِصٍ ... كَشَرتْ مودّتُه وراءَ الضَّحكة

ورأيتُ فاغرةً ظننتُ كُشورَها ... طلبًا لتقبيلى فكانَ لنهستى (١)

وَلَدَ الزمانُ الغادرين فما أرى ... أمَّ الوفاء سوى المِقلِّ المُقلِتِ (٢)

وهُزِلتُ أن سَمِنَ اللئامُ وإنما ... ذلُّ المطامع حزُّ عزَّةَ جَوْعتى

ولكلِّ جسمٍ فى النحول بليّةٌ ... وبلاءُ جسمى من تفاوتِ همّتى

أمّا على كذبِ الظنون فإنها ... صدَقتْ أمانٍ فى "الحسين" وبرّتِ

المجدُ ألقحَ فى السماء سحابةً ... نُتِجتْ به مطرَ البلاد فعمّتِ

أَروَى على يَبَسِ الشفاهِ وبيّضتْ ... كفّاه باردةً سوادَ الحِرَّة (٣)

متهلِّلا أعدَى بخُضرة جودِه ... جدبَ الرُّبَى من أرضِها المغبَرّةِ

"بالصاحب" آنفتقتْ لنا ريحُ الصَّبا ... خِصبا وغنى الساقُ فوقَ الأيكة (٤)

كُفِلَتْ بأولَى مجدِه أيامُهُ الـ ... أُخرَى فأحيا كلَّ فضلٍ ميّتِ

شَرفًا بنى "عبد الرحيم" فإنما ... تُجنَى الثمارُ بقدرِ طِيبِ المَنبِتِ

لكُمُ قُدامَى المجدِ لكن زادكم ... هذا الجَناحُ تحلُّقا فى الذّروةِ

غدتِ الرياسةُ منكُمُ فى واحدٍ ... كَثُرتْ به الأعدادُ لمّا قلّتِ

(١) النهس : النهش . (٢) المقلت : المرأة لا يعيش لها ولد . (٣) الحِرّة : الحجارة السود . (٤) الساق : الحمام .

عَطَفتْ لكم يدُهُ وزَمَّتْ آنفَــا ... شُمًّــا لغــير خِشاشِــهِ ماذلَّتِ
لمــا تقــلَّدها وكانت ناشزًا ... ألقتْ عَصاها للمقــام وقــرَّتِ
موسومة بكُمُ فمَن تعــلّقَ بهــا ... دعواهُ يَفضــحْهُ عِلاطُ(١) الوسمــةِ
نِيطتْ عُراها منــه بابنِ نجيبــةٍ ... سهلِ الخُطَا تحتَ الخطوبِ الصعبةِ
يقظانَ يلتقِطُ الكرى من جفنِــه ... نظــرُ العواقبِ وآتقــاءُ العِــذرَةِ(٢)
لا يطمئنُّ على التــواكُلِ قلبُــهُ ... فيما رعى إنْ نامَ راعى الثَّــلَّةِ
تدجُو(٣) الأمور وعنــده من رأيه ... شمس إذا ما جَنَّ خطبٌ جلَّتِ
ويُصيبُ مرتجــلًا بأول خَطْــرةٍ ... أغراضَ كلِّ مُخمِّــر ومُبيِّتِ
تَدمَى بنــانُ النــادمين وسِـــنُّهُ ... ملســاءُ إثرَ ندامةٍ لم تُنكَتِ
ما ضمَّ شمـــلَ المُلكِ إلا رأيُهُ ... بعــد آنتشار شَــعاعِهِ المتشتِّتِ
حَسَرَ القذَى عن حوضِهِ وسقَى على ... طولِ الصدَى فشفَى بأوّلِ شربةِ
من بعد ما غمَزَ العِـــدا فى عُودِهِ ... وآسـتضعفوا قــدَمًا له لم تثبُتِ
ولربَّ باديةٍ وكانت جـــذوةً ... كُمِتْ ضِراما "بالحسينْ" وتمَّتِ
حاميتَ عنه بصــولةِ المتخمِّطِ(٤) الـ ... ـعادى وهَــدْيِ المستكينِ المُخبِتِ(٥)
وإذاعُرَى الحزمِ آلتقتْ عَلِقَ الفتى ... بمَدَى السريعِ على خُطَا المتثبِّتِ
إن الذينَ على مكانِكَ أجلبـــوا ... ضربوا الطُّلَى(٦) بصــوارم ماسُلَّتِ
طلبوا السماءَ فلا هم آرتفعوا لهــا ... شُلَّ(٧) الأكُفِّ ولا السماءُ آنحطَّتِ
وبودِّ ذى القَدَمِ القطيمةِ ماشــيا ... لو أنّهــا سلِمتْ عليــه وزَلَّتِ

---

(١) العلاط : سمة فى عرض عنق البعير، ومنه : لأعلُطنَّك عَلْطَ البعير . (٢) العِذرةُ : اسم بمعنى المعذرة . (٣) تدجو : تُظلِمُ . (٤) المتخمّط : الشديد الغضب . (٥) المخبت : الخاشع المتواضع وفى القرآن الكريم (وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ) . (٦) الطُّلى : الأعناق أو أصولها . (٧) شُلّ جمع أشل .

خان السُّرى رُكُبَ القِلاصِ[(١)] وسُلِّمتْ ... بُسُطُ الفلاةِ الى القُرومِ[(٢)] الجِلَّةِ[(٣)]

يَفـديك مُرتابٌ بغلطَةِ حظِّه ... سَرَقَ السيادةَ من خِلالِ الفَلتـةِ

ما رُدَّ يوما عازبٌ من عقـله ... إلا رأى الدنيـا به قد جُنَّتِ

قُبِضتْ يداه وما يبـالى سـائلٌ ... بَخِلتْ عليه يدُ آمرئٍ أو شَلَّتِ

وأرى الوزارةَ لا يُعاصِلُ[(٤)] نابَهـا ... حاوٍ سواك على آختلاف الرُّقيـةِ

يرجوك ريِّضُهـا لمتنٍ مُزلِقٍ ... قـد قُطِّـرتْ[(٥)] فُرسـانُهُ فتردَّتِ

يشتاق ظهرُك صـدرَ مجلسها وكم ... شكَت الصدورُ من الظهورِ وضجَّتِ

وإذا آلتفتُّ الى الأمور رأيتُهـا ... مذخورةً لك من خِلالِ تلفُّتِى

فألٌ متى يامنت سـانحَ طـيرِهِ ... صـدقَتْ عِيافتُهـا بأوّلِ زجرةِ

فهناك فآذكُرْ لى طريفَ بِشارتى ... بعـلاك وآحفَظْ تالدًا من صحبتى

لو شـافَهَ الصُّمَّ الجِـلادَ محـدِّثٌ ... عنكم بنى "عبد الرحيم" لأصغتِ

أو عُوِّضتْ بكم السماءُ وقد هوتْ ... أنوارهـا بَدَلَ النجـومِ تسلَّتِ

البـاذلون فـلو تُصافحُ راحَكم ... ريحُ الصَّبا وهى الحيا لآستحيتِ

والقائلون بلاغةً فلو آحتبَتْ ... أمُّ الفصـاحة بينكم لأذمَّتِ[(٦)]

أَنِستْ بفاتحة الكتاب شِـفاهُكم ... ورزقتمُ ظَفَرَ الكتابِ المُسكِتِ

(١) القلاص جمع قَلوص وهى الشابّة من الإبل . (٢) القروم جمع قَرْم وهو الفحل من الإبل وقيل : السيد العظيم على التشبيه بالفحل وقد آجتمع كلاهمـا فى قول المتنبى :

ولكنّا نداعب منـك قَرْمًا ❊ تراجعت القرومُ له حِقاقا

أى نمازح منك سيدا عظيما صارت فحول الرجال بالنسبة اليه كالنياق بالنسبة الى فحول الجمال ، وحقاق جمع حِقّ وهى الناقة التى سقطت أسنانها هرما . (٣) الجلّة جمع جليل . (٤) يعاصل : يعوّج .
(٥) قُطِّرتْ : ألقيت على قُطرها . (٦) لأذمّت : لأعيت وتخلفت .

لكُم آنحَنى صَيَدى(١) وأعسلَ حنظلى للجتــنِى وتولَّدتْ حُوشِــيَّتى(٢)

وسجــرتموني(٣) منصــفين مودّةً و رِفادةً يومَىْ رَخاىَ وشــدَّتى

أعشــبتُمُ فبطِنْتُ(٤) فى مَرعاكُمُ والدهرُ يقنَعُ لى بفضــلِ الجِــرةِ(٥)

أدعو وغابَ أبى وقلَّ عشــيرتى فيكون نصرُكُمُ إجابةَ دعــوتى

ومتى تقيَّــدُنى الليــالى عن مدًى قمتم فأوسعتم اليهــا خطــوتى

عجِبَ المــديحُ وقــد عَمَمتكُمُ به من رَجعــتى فيــه عقيبَ أليَّتى

حَرَّمتُــــه زمنــا فكنتم وحدكم من بينِ مَنْ حَمَــلَ الترابُ تحلّتى

هو جوهرٌ، ما كلُّ غائصــةٍ له بالفكرِ تعــلمُ ما مكانُ الــدُّرَّةِ

ويَصِــحُّ معناه ويســلَمُ لفظُــهُ ونظامُه، وهنــاك باقى العــلَّةِ

كم خاطبٍ بأعزِّ ما تحوِى يدٌ عذراءَ منــه وعِرضُــهُ دونَ آبتى

ولقــد زففتُ لكم كائنَ خِــدرِهِ فــكرمتُمُ صِهراً ووالِىَ عُــذْرَةِ

من كلِّ راكبــةٍ بفضــلِ عفافِها والحُسنِ عُنْــقَ العائبِ المتعنِّتِ

عزَّتْ فمــا عَثَرتْ بغــير معــوِّذٍ بِلَعًا(٦) ولا عَطَستْ بغــير مُشمِّتِ

أَمَــةٌ لكم بجــزيل ما أوليتُمُ وتُصــانُ عنــدكُمُ صِيانَ الحُرَّةِ

سلِمتْ على غَرَرِ الخلافِ، وِلادُها فى أُمَّــةٍ ووِدادُهــا فى أُمَّــةِ

مَدَّتْ الى "ساسانَ"(٧) ناشرَ عِرقِها وقضت لهــا "عَدنانُ" بالعربيَّةِ

يُصغى الحسودُ لهــا فيشــكرُ أُذنَهُ طــربا ووَدَّ لغيظــه لو صَمَّتِ

(١) الصَّيَدُ : رفع الرأس كبرا . (٢) الحوشيّة : وحشيّ الكلام وغريبه و يريد أنه صار مولَّدا بعد حوشيته . (٣) سجرتمونى : ملأتمونى ، وفى الاصل "سحرتمونى" ولعله تحريف . (٤) بطنت : عظم بطنى من الشبع . (٥) الجرّة : ما يفيض به البعير فيأكله ثانية . (٦) لعا : كلمة تقال عند العثرة دعاء بالانتعاش . (٧) ساسان : جدّ ملوك الأكاسرة الساسانية .

تَسرى رفيقةَ كلِّ يومٍ مؤذنٍ (١) بسعادةٍ فاذا ألمَّ ألمَّتِ
تَروِى لكم عن "ذى القرون" حديثَهُ قِدْمًا ويُحيِى نشرَها "ذا الرُّمَّةِ" (٢)
أحمدتُمُ ماضىَّ فى أمثالها ولئن بقيتُ لتحمَدُنَّ بقيَّتى

* * *

وقال فى غرض له

رعى الله يوم البين ظبيا أذمَّ لى (٣) بما أثَّر التوديعُ فى وجَناتهِ
تعاطيتُ إلا النومَ بعد فِراقِهِ كأنِّى عليه مُسقَمٌ بحياتِهِ
وصرتُ أذمُّ الدهرَ فى الليل ما دجَا وعهدى به والليلُ من حسناتِهِ

* * *

وقال يرثى الصاحب بن عبد الرحيم و يتفجّع له

قِفَا نِضوَيْكما (٤) "بالغَمْرِ" نسألْ حَفِيًّا (٥) أينَ مثوَى المكرماتِ ؟
وأىُّ ثرًى كريم العِرقِ سِيطَتْ (٦) به رِمَمُ المعالى الدارساتِ ؟
وأينَ لذكرها تحتَ الغوادى مَطارحُ أعظُمٍ فيها رُفاتِ ؟
وكيف تكوَّرتْ بيَدِ المنايا الـ ـغَزالةُ (٧) مَدْرَجًا للسافياتِ ؟
وإن أَصفَى مَزادُكما فَـدًّا (٨) بأذنبةٍ (٩) هُنالكَ مُترَعاتِ
أناملُ "للحسين" غَبرنَ حينا ضرائرَ للغيوثِ المُرزِماتِ (١٠)
ولُوذَا مُسنَدَينِ بجنب طَودٍ من المعروف عالى الهضبِ عاتى

---

(١) ذى القرون : الإسكندر . (٢) ذا الرمة : اسم شاعر . (٣) أذمّ لى : أخذ لى عليه الذمّة . (٤) النضو : المهزول من الإبل وغيرها . (٥) الحفىّ : العالم يتعلم الشىء باستقصاء وفى القرآن الكريم (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) . (٦) سيطت : خُلطت . (٧) الغزالة : الشمس ، والسافيات : الرياح تحمل تُرابا . (٨) أصفَى : خَلَا . (٩) أذنبة جمع ذنوب وهو الدلو . (١٠) المرزمات : المجلجلات بالرعد .

فَثَمَّ الجارُ محميُّ النَّواحِي ... وثَمَّ الرَّعيُ مكتهِلُ النباتِ

وثَمَّ الوجـهُ أبلجُ والمساعي الـ ... كرامُ وثَمَّ حاجاتُ العُفاةِ

قِفَا فتنادَيا فلعلَّ صوتًا ... سيزقو[1] أو يُصيخ الى الدُّعاةِ

وقولا : كيف يا حَنَشَ الرمالِ آخـ ... تُدعتَ واستَ من قَنَص الرُّقاةِ ؟

مَن الحاوي الذي انتزعتْ يداهُ ... نيوبَ العزِّ من تلك اللَّهاةِ ؟

لعمرُ العاطفين اليك ليلًا ... لنعمَ أخو العشايا الصالحاتِ

ونِعمَ عدوّ مالِكَ كنت فيهم ... وخصبُ الحالباتِ الرابحاتِ

ومأوَى كلِّ مُطَّردٍ تُرامِي ... به الأخطارَ أيدي النائباتِ

لِمَنْ خيلٌ تُضمَّر للسرايا[2] ... وفُرسانٌ تُخَمَّر للبَياتِ ؟

وأنديةٌ وأروقةٌ رِحابٌ ... تَضُمُّ بدائدَ الفضلِ الشتاتِ ؟

ومَنْ للمحكَماتِ من القوافي ... تطيرُ بهنَّ أجنحةُ الرُّواةِ ؟

ومَنْ لي يَزحَمُ الأيّامَ عنِّي ... وقد هَجمتْ عليَّ مصمِّماتِ ؟

ويجذبُ من يد الزمن المُعاصي ... بأضباعي[3] الى الزمن المُواتي ؟

ومَن ذا قائلٌ : خذْ أو تحكَّمْ ؟ ... إذا أنا قلتُ : هَبْ، أو قلتُ : هاتِ

وما أنا والعزاء وقد تقضَّتْ ... حياةٌ تُستَمَدُّ بها حياتي

يُعنِّفُ فيك أنْ صُدِعتْ ضلوعي ... خَليُّ القلبِ من تلك الهَنَاتِ

كأنّي فيك أُبعَثُ بالتأسّي ... على جزعي وأُغرَى بالعظاتِ

رزئتُك أطولَ الرجلينِ باعا ... وأمضَى الصارمينِ على العُداةِ

وأوفَى من سِراج الأفق نوراً ... إذا الأيّام كانت داجياتِ

---

(١) سيزقو : سيصيح . (٢) السرايا جمع سَرِيَّة وهي قطعة من الجيش . (٣) أضباع : جمع ضبع وهو العضد .

كأنى قبلَ يومِك لم أُفزَّعْ بصائحةِ العشىِّ ولا الغَداةِ
ولم تُطرَفْ بفاجعةٍ لحاظى ولم تُقرَعْ بمَرْزِئةٍ (١) صَفاتى
بكيتك فى العُناةِ لحين قالوا : قُتِلتَ، وددتُ أنك فى العُناةِ (٢)
أصاب السيفُ منك غرارَ (٣) سيفٍ وحُطَّ بك الفُراتُ الى الفُراتِ
فلا زالت هى البُترُ (٤) النَّواتى (٥) سيوفٌ أسلمتك الى النَّواتى (٦)
ذوائبِ أسرتى وكرامِ صحبى وإخوةِ شِدّتى وبنى ثِقاتى
هوت "بالصاحِب" القِرطاتُ (٧) منّى فَرُحْتُ بعاطلاتٍ مُصْلَماتِ (٨)
لقد خُولستُ وُسطَى العِقدِ منكم به وخُدِعتُ عن أحرى القناةِ
فيا مطلولُ، بلَّ ثراك صبحًا صلاةُ الله نُتبِعُها صلاتى
لقد واسيتنى فى العيش دهرا فمالى لم أُواسِك فى المماتِ
عَسَى وبَلَى لنا لا بدّ يومٌ سيَقضى فيك ممطولَ التِّراتِ
فإن أجزعْ فماضٍ كلُّ ماضٍ وإن أصبِرْ فآتٍ كلُّ آتِ

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى الحسن المختار بن عبد الله الذهبىّ الكاتب، يذكُرُ سروره بموَدّتهِ من بين الإخوان، وقد سأله ذلك

دعْها تكنْ كالسَّلْفِ (٩) من أخَواتِها تجرِى بها الدنيا على عاداتِها
ما هذه يا قلبُ أوّلُ عثرةٍ قذَفتْ بك الأطماعُ فى لَهَواتِها
هى ما علمتَ، وإن ألمتَ لفضلةٍ من ثِقلِ وطأتِها وحدّ شَباتِها

---

(١) المرزِئة : المصيبة . (٢) العناة جمع عانٍ وهو الأسير . (٣) الغرار : الحدّ .
(٤) البُتْر : المقطوعة . (٥) النواتى : المائلة ضعفا . (٦) النّواتى : الملاحون .
(٧) القِرطات : القُرط ما يُعلّق بالأذن وجمعه قِرَطَة والقرطات جمع الجمع وفى الأصل " الفرطات " .
(٨) مصلمات : مقطوعة الآذان . (٩) السَّلْف : المتقدم، وسكّنت لامه للضرورة .

كم خطوة لك فى المُنى إزليقة[1] لم تنتصر بلمّا على عثراتها

وذخيرة طفقتْ يداك تضمُّها والدهرُ خلفك مولعٌ بشتاتها

ووثيقة ألجأتَ ظهرك مُسندًا بغرورها فسقطتَ فى مهواتها

لو كنتَ عند نصيحتى لم ترتبِق[2] بمشورة الآمال فى حلقاتها

وهوًى أطعت أميره فى لذة متبوعة لم تنجُ من تبعاتها

يبنى السفينَ اللامعاتِ سرابُها ويمدّ مخدوعا تراب فلاتها

وفتاة قوم لا ينامُ مُغيرهم رُمتَ اقتسارهمُ على خلواتها

شحذوا المُدى لك دونها فركبتها تغترُّ حتى طرتَ فى شفراتها

ويمين جارية * سلكتَ فى مسباحها وذهبتَ فى آناتها[3]

ما كانَ قبلكَ للحفاظ شريعةٌ فى دينها أبدًا ودين لداتها

نظرتْ فكنتَ ضريبةً لحسامها ومشتْ فكنتَ دريئةً[4] لقناتها

ومضيتَ تتبعُ وصلها ولسانها[5] والرشدُ عند صدودها ووشاتها

نَمْ، قد سهرتَ فدونَ يومِ وفائها ـ وهى التى جرّبتَ ـ يومُ وفاتها

واشكر لها كشْفَ القناع فإنها غدرتْ فكان الغدرُ من حسناتها

واذكر مآربَ غيرها واعجبْ لها غصبتك آفتُها على لذاتها!

* * *

ومُلثّمينَ على النفاق بأوجه صُمٍّ يصيحُ اللؤمُ من قسماتها[6]

---

(١) إزليقة: لم نعثر على هذه الكلمة ولعله يريد بها "زلّاقة". (٢) لم ترتبق: لم تُدخِلْ رأسك فى الربقة وهى عروة فى الحبل الذى يشدّ به البَهم وقد تقدم. (٣) هكذا ورد بالأصل رسما وشكلا ولم نوفق الى صحة وزنه ولا الى أكثناه ألفاظه ومعناه. (٤) الدريئة: الحلقة يُتعلَّم الطعن عليها. (٥) لسانها أى المتكلم عنها ويريد به الواشى. (٦) القَسمات جمع قَسِمة بفتح السين وكسرها: الوجه، أو ما بين الوجنتين والأنف.

صبغوا الوفاءَ بياضَه بسوادِه ... والمكرماتِ هبوبَها بسُباتِها
متراهنين على الدنيَّةِ أحرزوا ... غاياتِها وتناهبوا حلَباتِها
ورِثتْ نفوسُهُمُ خباثَتَ أصلِها ... لؤمًا وزادت دِقّةً من ذاتِها
أيدٍ تجفُّ على الربيعِ وألسنٌ ... سَرَقَ السرابُ الإفكَ من كلماتِها
يَصفُ المودّةَ بشرُها ووراءه ... بِشرُ الزجاجِ يشِفُّ عن نيّاتِها
دَسُّوا المكايدَ في مواعدَ حُلوةٍ ... كانت عقاربَ والكِذابُ حُماتِها (١)
خَلَقٌ إذا حدّثت عن أخلاقِها ... فكأنما كشّفت عن سوْآتِها
لله آمالٌ أُرِقتُ دماءَها ... فيهم فلم يتعلّقوا بدِيَاتِها
وكرائمٌ وليتُ فضّةَ عُذرِها (٢) ... منهم سوى أكفائِها وكُفاتِها
غُرٌّ أهنتُ على اللئامِ كرامَها ... وأبحتُ أبناءَ العُقوقِ بناتِها
أهملتُها فيهم سُدًى مظلومةً ... تبكي أراجزُها على أبياتِها
يتناكرون حقوقَها من بعدِ ما ... عُلِطوا على أعراضِهم بِسِماتِها (٣)
من كلّ مفتوحٍ اليها سمعُهُ ... مضمومةٍ كفّاه دون صِلاتِها
يَهوَى العُلا فاذا ارتقى لينالها ... ردّاه (٤) حبُّ الوفرِ من شُرُفاتِها
حيرانَ يتبعُ من أخيه وبخلِه ... ما يتبعُ الأصداءَ من أصواتِها
مَن عاذري منهم ومَن لحرارةٍ ... أشرجتُ (٥) أضلاعي على جمراتِها ؟
ونلُطّةِ خَسْفٍ عصيتُ بعارِها ... رأسَ العلا وحططتُ من درجاتِها ؟
أنا ذاك جانيها فهل أنا آخذٌ ... غيري بها وهو الذي لم ياتِها (٦) ؟

(١) حُمات جمع حُمَةٍ وهي إبرة العقرب تَضرِبُ بها . (٢) العُذر : البكارة . (٣) عُلِطوا : وُسِموا . (٤) ردّاه : أسقطه . (٥) أشرجت : جمعت أشراجها والأشراج : العُرى .

(٦) ياتها : يأتها وقد سهّلت الهمزة .

يا حظُّ ما لك ؟ لا أقالك عثرةً … جارى الحظوظِ وغافرٌ زلّاتِها
كم أشتكيك وأنت صِلُّ حَمَاطَةٍ (١) … لا يطمعُ الحاوون فى حيّاتها ؟
عيشٌ كَلَا عيشٍ ونفسٌ ما لها … من مُتعةِ الدنيا سوى حسَراتها
وتودّ حين تودّ لو ما بُدّلتْ … أحبابَها من جَورها بعُداتِها
و يزيدها جَلَدا وفـرطَ تجـلُّدٍ … بين العدا الإشفاقُ من إشماتِها
إن كان عندك يا زمانُ بقيّـةٌ … ممّا يضامُ بها الكرام فهاتِها
صبرا على العوجاءِ من أقدارِها … لا بدّ أن تجرى الى ميقاتِها
ولعلّها بالسخط منك و بالرضا … أن تستقيمَ طريقُها بحُداتِها
كم مثلها ضاقتْ فحَلّ ضِيقَها (٢) … يومٌ ولم يُحسبْ جَلَا غَمَراتها
ولقد كنزتُ فهل علمتَ مكانهُ … من صفوِ أيّامى ومن خيراتها ؟
خِلًّا تخلّلَه آرتيادى واحـدا … صحّتْ به الدنيا على عِلّاتها
غلِطتْ به أمُّ الزمان فأنجبتْ … فيه وخابت فى بنى عَلّاتها (٣)
لى منه كالئةُ العيون و بسطةُ الـ … أيدى الثقاتِ اذا عدمتُ ثِقاتِها
وقـرابةُ الأخِ، غيرَ أنّ مسافةً … فى الودّ لم يبلغ أخى غاياتِها
مِن ما نِعى حَرَمِ الإخاءِ ونافِضِى … طُرُقِ الوفاءِ فمُحرِزى قصَباتِها
والسالمين على تلوّنِ دهرهم … وتحوّلِ الأشياء عن حالاتِها
واذا الأكارعُ والزعانفُ عوّروا … من خلّةٍ كانوا مكانَ سَراتِها
نبهتُـهُ ومن العيون غضيضةٌ … حولى وأخرى كنتُ أختَ قَذاتِها

---

(١) الحماطة شجرة التين أو الجُمّيز وعشبة خشنة المسّ . (٢) حلّ : فرج . (٣) بنو العَلّات : بنو أمّهاتٍ شتّى من رجل واحد ، واحدتها "عَلّة" وهى الضَّرّة .

فأثرتُ منه أبا الشبول(١) فالت(٢) الـ ـأرماحُ تدعَسُه(٣) على غاباتها

ملآنَ من شرفِ السجيّة، نفسُه تحوى الفضائلَ عن جميع جهاتها

منقادة للكرماتِ، وأنفسٌ تدعُ العلا وتُقادُ فى شهواتها

ما آختارت المختارَ لى إلا يدٌ وثِقتْ لمُغرسِها بطيبِ جناتها

لله خائــلةٌ رأيتُ ودادَها بدلالة التوفيقِ فى مِرآتها

ردَّ الزمانُ به شبيبةَ عيشتى بعد آشتعال الشَّيبِ فى شَعَراتها

وتســوّمت غُرًّا محجّلةً به أيامُ دهرٍ قد نكرتُ شِياتها

كم خَلَّةٍ داويتُها بدوائها منه ونعمى كان من أدَواتها

وملمّةٍ وَلِىَ الزمانُ فُتوقَها منّى رقعتُ به وسيعَ هَناتها

مِن حاملٍ صُحُفَ الثناء أمانةً لا يستطيعُ النَّكثُ(٤) قرعَ صَفاتها

شكرا كما ضحكتْ اليـه مَجودةٌ(٥) "بالحَزْن" باقى الطلِّ فى حَنَواتها(٦)

يغـدو فينقُلُ ثِقلَها بسكينةٍ فى سَمْتِها(٧) هَـدْىٌ وفى إخباتها(٨)

طَبٌّ بعلمِ فُروضِها وقُروضِها حتى يؤدّيها على أوقاتها

أبلغ "أبا الحسَن" التى ما بعدها مَرمًى لغالبة المنى ورُماتها

عنّى : مُغلغَلَةً تُسِرُّ حديثَها أمَّ الكواكبِ(٩) أو أعيرَ صِفاتها

مِن منبع الحُلو الحلالِ اذا غدا مِلحُ القرائح ذاهبا بفُراتها

لو نازل الرُّهنانَ(١٠) حطَّ قِنانَها(١١) فصبت اليه وحلَّ من عَزَماتها

(١) الشبول جمع شبل وهو آبن الأسد . (٢) بالأصل "تمالت" وهو تحريف . (٣) تدعسه : تدفعه . (٤) فى الأصل : "التَّكتُ" . (٥) مجودة : ممطورة . (٦) الحنوات جمع حنوة وهى العطفة . (٧) السمت : السير على الطريق بالظن . (٨) الإخبات : خروج القوم للخبت وهو المطمئن من الأرض . (٩) أمّ الكواكب : الشمس . (١٠) الرُّهنان : اسم موضع وأمله مشهور بقنان جباله . (١١) قِنان جمع قُنّة وهى قلّة الجبل .

٦٧

يَجزيك عن كسبِ العلاء وحبّهِ	ما تَنطقُ الخرساءُ بعدَ صُماتِها [(١)]
وتردُّ أعراضَ الكرام كأنّها	يمنيّـــةٌ تختالُ فى حِبَراتِها [(٢)]
ثَمنا لودّك، إنْ يكن ثمنًا له	بذلُ القوافى فيك مكنوناتِها
تسخو به لك من نَخيلةِ سرها	نفسٌ ترى بك ما ترى بحياتِها

* * *

وقال وكتب بها الى أبى قَوامٍ ثابتِ بنِ علىّ بن مزيدٍ يتنجّزه وعدا وذلك فى رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة

خصيماى من "ظمياءَ" واشٍ وشامتُ	وحظّاى مظنونٌ لديها وفائتُ
وقلبى لها وحشيّةٌ ضلّ خشفُها	تُطاولُ تَبغيـهِ الرُّبا وتُلافتُ
مضت ليـلةٌ تقتصّه بعـدَ ليلةٍ	ويومٌ تداجيه الشخوصُ الثوابتُ
تناشدُ عنه النجمَ : أين طريقُهُ؟	تحارفُه طَورا وطَورا تسامتُ [(٣)]
ولا هو منها حيث يُجمَـعُ شاردٌ	ولا يُرتَجَى للعَـودِ إن عاد فالتُ
سوى أنها مرّت بماءِ سُوَيقةٍ [(٤)]	سُحَيرا، ورامٍ بالشريعـةِ بائتُ [(٥)]
عـلى يده للـرزق أذلغُ [(٦)] أحرسٌ [(٧)]	وضَلعاء [(٨)] فوها ساعةَ النزعِ صائتُ
يقوت شَـعاثًا [(٩)] مقـتَرين [(١٠)] بفضلها	أطابت له أو جانبتـه المَقاوِتُ
فما رابها إلا دمٌ ونُـوَيرةٌ [(١١)]	ومنتقياتٌ [(١٢)] ــ من عظامٍ ــ رَفائتُ

(١) الصُّمات : لغة فى الصُّموت وهو السكوت . (٢) حبراتها بكسر الحاء وفتحها جمع حِبَرَة : ضرب من برود اليمن . (٣) تسامت : تقابل وتوازى . (٤) سويقة تصغير ساقية .
(٥) سحير تصغير سحر . (٦) الأذلغ : متشقق الشفتين ويريد به السهم، وفى الأصل "أذلع" .
(٧) الأحرس : القديم العادىّ الذى أتى عليه الحَرْس أى الدهر . (٨) الضلعاء : القوس المعوجّة .
(٩) شعاثا : غُبْر الرءوس . (١٠) مقترين : معسرين . (١١) نويرة تصغير نار .
(١٢) منتقيات : أُكل نِقيُها وهو مخّها .

فعادت تُماشي اليأسَ موضعَ ظلِّه ... وللحَيْن ـ لو أغنى الحِذارُ ـ مَواقتُ
وخبّرنى السُّفّارُ أن قد تبدّلتْ ... فقلت : حديثٌ مضحِكٌ وهو كابتُ (١)
أسدَّ مكانى فى الهوى مَنْ تعوّضتْ ؟ ... مَدّى وأبيها بيننا متفاوتُ !
أمِنْها خيالٌ والجُنوبُ خوافقٌ ... بجانب "خَبْتٍ" (٢) والجفونُ خوافتُ ؟
طوى الليلَ نجمًا وهو يستثقلُ الخُطا ... بساهلةِ الأرداف ثم يعانتُ (٣)
فبتنا به فى ضَوعةٍ وإنارةٍ ... وبانُ "اللِّوى" خزيان والبدرُ باهتُ
نرى أنّ فارَ (٤) المسك تحتَ رحالنا ... فتائقُ من أردانه وفتائتُ
سل الخِيمَ (٥) بالبيضاء من جانب الحمى : ... أتجمَعُ أوطارى بكنّ الشتائتُ ؟
وهل لطريدٍ سلّه الدهر مُدرَكٌ ... فتُعقلَ لى ليلاتكنّ الفَلائتُ ؟
اذ العيشُ حىٌّ والزمانُ مراهق ... فتىٌّ وريحانُ البطالةِ نابتُ
تلوّنَ رأسى صِبغَتين فميِّتٌ ... وذو نبّةٍ أو لاحقٌ متماوتُ
وأمست على أيدى الغوانى حبائلى ... وهنّ بأطراف البنان بتائتُ (٦)
وما الدهر إلا داءُ همٍّ مماطل ... مدى العيش أو خطبٌ هَجومٌ مُباغتُ
عذيرى من الإخوان لا أستشِفُّ من ... قلوبهمُ مَنْ وامقٌ لى وماقتُ
خِفافا الى ما ساءنى فمصالتٌ (٧) ... به أو مُداجٍ، كيف لى لو يصالتُ ؟
جعلتُ الجفاءَ عُوذةً لىَ منهمُ ... وفى الناس أجساما قلوبٌ عَفارتُ
وعلّمنى نَبذى لهم وتوحّدى ... بنفسىَ أنّى فى التكثّر غالتُ (٨)

---

(١) كابت : محزن . (٢) خَبْت : من قُرى "زبيد" باليمن . (٣) يعانت : يشقّ عليه .
(٤) الفأر : النافجة وهو وعاء المسك . (٥) الخيم : اسم جبل . (٦) بتائت : مقطوعة .
(٧) المصالت : المضارب بالسيف . (٨) الغالت : الذى يغلط فى الحساب وقيل : الغَلَتُ فى الحساب ، والغلط فى القول .

سل السارحَ المخدوعَ أعجف مالَه جَفاءُ السُّـمىّ[1] والسنونَ السوانتُ[2] ،
توغّل يرجـوها وتُخلف ظنّــه منابـعُ أكدَى ماؤها ومَنابتُ :
الى أين ؟ وأين الغاضريّةُ[3] شاهـدٌ يغـرُّك نجـمٌ أو يدلّك خارتُ[4]
تلقَّ الحيا من جَوّهِ وآرعَ روضَـهُ تدرّ العجافُ أو تعيش المَوائتُ
ألا إنما بدرُ السماءِ آبن شمسها وبدرُ بنى "عوف" على الأرض ثابتُ[5]
فتًى ، لا على الأعذارِ بالعهد ناكثٌ ولا مَعَ فرط الجود للسنّ ناكتُ[6]
يبيتُ خميصا جنبُـهُ و وسادُه وطارقُهُ خِصبا كما شاء بائتُ
اذا الليلةُ الطُّولَى أمرّتْ وأيبستْ فللضيف منه مُتمرُ الليـلِ رابتُ[7]
تَرَى مالَهُ ما سلّه الجودُ لا التى تناعرُ[8] حوليها الحـداةُ المَصاوتُ
رخىُّ البنانِ فى النوائب كلّما أضبّ على المال[9] الحسيبُ[10] المباكتُ[11]
تَهادَى نساءُ الحىّ وصفَ حنانه وتأباه فى الروع الرجال المَصالتُ[12]
ترى الحلمَ مشحونا وراء ردائه اذا مرّ ينزو الطائشُ المتهافتُ
فهل مبلغٌ عنى "خُزيمةَ" ما وعى حصاها البديدُ أو رباها الثوابتُ ؟ :
وَفَى لك مجدا ما تَعُدّين فى "أبى قوامٍ" اذا خان الفـروعُ النوابتُ
ولدتِ وأولدتِ الكبيرَ ، ومثلُه قليـلٌ وأُمّاتُ الصقورِ مقالتُ[13]
سبقتَ فلم يعلَقْ غبارَك جامحٌ وفتَّ فلم يملكْ صِفاتِك ناعتُ

(١) السمىّ جمع سماء وهو المطر . (٢) السوانت : المجدبة . (٣) الغاضريّة نسبة الى "غاضرة" : قبيلة من أسد . (٤) الخارت : الدليل الحاذق الذى يهتدى الى أخرات المفاوز وهى مضايقها وطرقها الخفيّة . (٥) ثابت : اسم ممدوحه . (٦) ناكت : قارع . (٧) الرابت الذى يضرب على جنب الصبىّ بيده لينام . (٨) تناعر : تصوّت . (٩) أضبّ على المال : أخفاه وأمسكه . (١٠) الحسيب : الحاسب . (١١) المباكت : المستقبل غيره بما يكره . (١٢) المصالت جمع مِصلت وهو الشجاع . (١٣) مقالت جمع مِقلات وهى التى تلد واحدا ثم لا تلد .

وجرَّبك الأعداءُ غمــزا وهزّةً فما خدَشتْ فى مَروتَيْك النواحتُ

فداك صـديقٌ وجهُـهُ، وفؤاده معادٍ على دين المعالى مُعانتُ

يريك الرضا والغـلُّ حشو جفونه وقـد تنطقُ العينان والفمُ ساكتُ

طوَى بغضةً فى جفنـه فهو باسمٌ وفى فيـه ليثٌ كاشرٌ لك هارتُ (١)

أهبتُ بشِعرى فأنبرت لك عيسُهُ بما حملتْ وهى الخُضوعُ الخَوابتُ

فعـادت بمـا أرعيتَها، ولِبَانُهـا (٢) طَواعٍ (٣) على لىّ الحبـالِ ضواغتُ (٤)

ونادتك لُغواتُ (٥) السؤال فأفصحت (٦) يداك وأيدى المـانعـين صوامتُ

وأوسـعتنى مالّا أتى لم تُخَضْ لهاا لـدياجى ولم تُنفَضْ عليه السَّبارتُ (٧)

وخُلْقًا كما شعشعتهـا ذهبيَّـةً "ببابلَ" أهدتهـا اليك الحوانتُ

ولم تكـحاشا مجدِنفسكـكامرئٍ تَصـامَمَ عنّى وهو للدح ناصتُ

وقوم كأن الشِّـعر فيهـم بليّـةٌ أعرّت (٨) وعافتها الأكفُّ الزوافتُ

فكن سامعا ما آمتدّ باعُك فى العلا وسُرَّ محبٌّ أو تخيَّبَ شـامتُ

ثناءً، فمُ الراوى عليـك مسـلِّمٌ به ومصـلٍّ الشكر باسمك قانتُ

تزورك منه فى أوانٍ فروضها قوافٍ لهـا عنـد الكرام مَواقتُ

يُفدْن الغنى أضـعافَ ما يستفدنَهُ وهن بقايا والعطايا فـوائتُ

أقول لأيّامى : دعى لىَ أو خذى فمـا أنتِ إلا المقبـلاتُ اللوافتُ

فلست أبالى مَن تزيَّل ركبُهُ "وثابت" لى على المودة ثابتُ

---

(١) الهارت : واسع الشدق . (٢) لبان جمع لَبون وهى الغزيرة اللبن . (٣) طواع جمع طاعية وهى الطائعة . (٤) ضواغت جمع ضاغتة وهى التى تلوك بأسنانها ونواجذها ، وفى الأصل "طواعت" . (٥) لُغوات جمع لُغوة كغُرفة وهى اللغة . (٦) فى الأصل "فأصبحت" ولا معنى لها . (٧) السبارت جمع سُبروت وهو القفر لا نبات فيه . (٨) أعرّت أى جاءت بالعرّ وهو الجرب .

وقال وكتب بها الى تاج الدولة أبى المكارم بن مُكَرَّم بعد آنقطاعه عن مدحه وأنشده إياها فى عيد النحر

حماها بأطـراف الرماح حُماتُها ... فـلا حَفلُها منّا ولا خَلواتُها

وذَبَّ[1] عنها من "عُقَيلِ بن عامرٍ" ... أراقمُ لا تَحوى شَباها رُقاتُها

عشـيرةُ مكلوءِ البيوتِ محصَّنٍ ... يَعِزُّ بنوها أن ترام بَناتُها

معودة طَردَ العيوب غيوبُها ... اذا حفظتْ عوراتِها أَسَلاتُها[2]

وحرَّم واليها الوَلوعَ بذكرها ... وإن عَتبت أخرى عليها سِماتُها

فهل مغمَزٌ فى جانبٍ من ورائه ... "سلامةُ" يا قلبى وهذى حَصاتُها[3]؟

فكم فى بيوت "العامريّات" من هوًى ... يُناط كما نيطت بها خالفاتُها

ومثلُكَ أَسرى لا يُسام فداؤها ... هـوانا وقتلى[4] لا تُساق دياتُها

بلى لكَ منها فى الكرى إنْ وفَى الكرى ... وفى الريح حظٌّ إن جرت نفحاتُها

وليلٍ "بذى ضالٍ" قصـيرٍ طويلُه ... على البُدْن، تَطوى دَرجَه ناجياتُها

ترى العيسُ فى أجوازه بقلوبها ... الى قصـده ما لا ترى لحظاتُها

بها من حنينٍ تحته ما بركبها ... وإن نطقوا الشكوى وطال صُماتُها

اذا الريح قَرّت[5] فاستهزّت ضلوعَهم ... تصـلَّوا[6] بما تُذكى لهم زفراتُها

سَرتْ بنشاوَى من مُعاقرة السُّرى ... وسائدُهم فـوق الثرى رُكُبَاتُها

نضَوا ما نضَوا من ليلهم ثم هَوَّموا ... غِرارا[7] وقد خاط العيونَ سِناتُها[8]

---

(١) ذبّ : دافع . (٢) أسلات جمع أسلة وهى مستدقّ اللسان . (٣) الحصاة : العشيرة القوية الكثيرة العدد . (٤) فى الأصل : "قلبى" وهو تحريف . (٥) قرت : بردت . (٦) تصلّوا : استدفأوا . (٧) الغرار : القليل من النوم . (٨) سنات جمع سِنَة وهى فتور يتقدم النوم .

(٦٩)

علـى ساعةٍ جِنُّ الفلاةِ ووحشُها   تريها الشخوصَ الزُّورَ عنا فلاتُها
تخطّت الينا "الغَورَ فالعرضَ فالحمى"(١)   وما ذاك مَمشاها ولا خُطُواتُها
فبتنا لها فى نعمةٍ شكرتْ لها   وما هى جَدواها ولا أعطياتُها
عواطفُ دُنيا فى الكرى لو أردتُها   على مثلها يقظانَ عزَّ التفاتُها
فلم أرها وعند قومٍ أداتُها   من العيش إلا وهْىَ عندى أداتُها
سقى الله شرًّا دوحةً لى سَيالُها(٢)   وللناس مُلْقَى ظلِّها وجَناتُها(٣)
ولودا، ولِى من حظِّها بطنُ حائلٍ   معنَّسةٍ(٤) شابت وشابَ لِداتُها
أغامز منها صخرةً "إرميّةً"(٥)   تفُلُّ النيوبَ وهى جَلْدٌ صَفاتُها
وكيف تسامُ النَّصْفَ أمْ تلوَّنتْ   مَعارِفُها إن حُوشيتْ مُنكَراتُها
تُرِى الوكَلَ المغمورَ كُحْلَ لحاظِها   وكلُّ أخى الهمِّ البعيد قذاتُها
هوت برءوس الناسِ سُفْلًا وحلّقتْ   بأذنابها مجنوبةً طائراتُها
فعندك منها أن ترى ببُغاثِها(٦)   كواسبَ جوٍّ حُصَّ(٧) فيه بُزاتُها(٨)
ركبتُ من الأيامِ ظهرَ ملوّنٍ   صبائغَه(٩)، والخيلُ شتَّى شِياتُها
وقلّبتها يوما فيوما مجرّبا   فلا سوءُها يبقَى ولا حسناتُها
سأحملها حتّى تخفَّ وُسوقُها   وأحلُمُ حتى ترعوِى جَهَلاتُها
لعلَّ مميتَ الحظِّ يُحييه آنفًا   فإنَّ الحظوظَ موتُها وحياتُها
فلا يؤيِسنْكَ صدُّها من وصالها   ولا مَطلُها من أن تَصحَّ عِداتُها
ألم ترَ مُلكَ "المكرَميّين" نارُهُ   خبت غَلَطا ثم اعتلتْ وَقَداتُها

(١) الحمى وماقبله أسماء مواضع . (٢) السيال : نباتٌ له شوك . (٣) الجناة : كل ما يجنى كالجنى . (٤) الحائل : العقيم ، والمعنّسة : التى طال مكثها ولم تتزوج . (٥) إرميّة نسبة الى إرم . (٦) البغاث جمع بغاثة : شرار الطير . (٧) حصّ : قصّ . (٨) بزاة جمع باز . (٩) فى الأصل "صبائعه" .

هفا الدهرُ فيهـــم مستغرًّا بغـــيره ... نخاضـوا وشاكَـتْ رِجلَه عَثراتُهـا
بَغى نقلَ ما أُعطُوا ســفاهًا ولم تكن ... هضابُ "شَرَوْرَى"(١) زائلا راسياتُها
هم السحبُ ملء الأفقِ والدهرُ تحتها ... جُفاءٌ اذا سالتْ به سائلاتُهـا
علا السيلُ حتى "الصينُ" يُفعَمُ بحرُها ... فيطغَى وفى "بغدادَ" يجـرى فُراتُهـا
حمى "ناصرُ الدين" العلا بعد من مضى ... فضُمَّتْ قَواصـيها ولُمَّ شَـتاتُهـا
وأضحى "بتاج الدولة" العـزُّ مفـرِقا ... لهـا، تتلظَّى فوقــه خَرَزاتُهـا
وإن فروجا سدَّها مثـلُ سعيه ... لضيِّقةٌ أن تُرتَجَى خَطَفاتُهـا
رعاها أبو الأشـبالِ حتى دنا بهـا ... لهـا من شميمِ سَرحِها حسراتُهـا
أخـو عزماتٍ لا يُراع صـديقُها ... — كما لم ينم — ولا تنام عُداتُهـا
كريمُ المحيَّـا رطبـةٌ قَسَماتُهُ ... اذا ما الليوثُ آستجهمتْ عابساتُهـا
على الصدرِ منـه هيبةٌ تملأ الحشـا ... ممـرَّرةٌ، أخــلاقـه مُحلياتُهـا
ومن رأيه فى الحربِ عَضبٌ وذابلٌ ... وما الحــرب إلا سـيفُها وقَناتُهـا
كريمٌ فما الأحسابُ إلا آقتناؤها ... لديه ولا الأموالُ إلا هِباتُهـا
اذا آعترضَتْهُ هِزَّةَ الجـود ساكنا ... نزت بالنــدَى فى كفّه نَزَواتُهـا
أفاد النــدَى فـلم تزل برياضـه ... رياحُ العــلا أو صَوَّحت شَجَراتُهـا
من القوم فضُّوا عُذرة الأرض سادةً ... وشابت وهـم أربابُهـا وولاتُهـا
فمن حلمهـم أركانُهـا وجبالُهـا ... ومن جودهـم أمواهُها ونباتُهـا
وليسوا كمن جُنَّ الزمانُ برفعـه ... وجاءت به من دولةٍ فَلَتاتُهـا
ولا كذبا طارت به الريح طـيرةً ... فأقعصه أن طأطأتْ عاصفاتُهـا
ثقيلتُهــم والنفس يَكـرُمُ أصلُها ... على عِرقِها السارِى فتكرُمُ ذاتُهـا

---

(١) شرورى : اسم جبل .

بك آهـتزَّ فـرعاها وأينع ظلُّها وطاب جَنَاها وآنتهت بَرَكاتُها

جمعتَ لَهَا شُذَّانَ[1] كلِّ فضيلة تعـزُّ على من رامها مفرَداتُها

فمن كان من قومٍ سَفًا[2] فى أديمهم وزِعنفـةً[3] تُزرَى فأنتَ سَراتُها[4]

لئن عَركتْ فى جنب طودك نبوةٌ من الدهر لا تُمحَى بعـذرٍ هَناتُها

وهزَّ العِدا من حسنِ صبرك صعدةً فقـد علموا بالهزِّ كيف ثباتُها

وما كنتَ إلا الشمسَ، لِثَتْ جَهَامةٌ عـلى خدِّها ثم آنجلت غاشياتُها

تنصَّـل منها الملكُ لمّا تبيَّنتْ لعينيـه أُخـراها ومعتقِباتُها

وأبصرها شنعاءَ يبـقَ حـديثُها ذميما ولا تبـقَ له عائداتُها

فردّك ردَّ السيفِ فى الغِمدِ لم تُعب مَضَاربُهُ إن ثُلِّمتْ شَـفَراتُها

فكيف يَليقُ الحسنُ أوجُهَ دولةٍ اذا عـدِمتْ تيجانَها خَرزاتُها

رعى الله نفسا لا الغنى زادها عُلًا ولا فقـرُها حُطَّتْ له درجاتُها

معظَّمةً فى حـدِّها وسـنانها وسلطانها لا ما حوت مَلَكاتُها

اذا قزعتْ[5] يوما من الدهرِ نكبةٌ اليها، عَسَتْ[6] فـلم تُسـغْها لَهَاتُها

وأنت الذى تُعطى ـ وعامُك أشهبٌ ـ عطاءَ رجالٍ خُضِّرتْ سـنواتُها.

مع الجـود أنّى مِلتَ غـير مصرِّفٍ يمينَـك إلا حيثُ شاءت عُفاتُها

أقلنى أقلنى جفـوةً ما آعتمدتُها وهجـرةَ أعوامٍ خَلَتْ ما آبتـداتُها[7]

وسعياً بطيئا عن مقامى من العلا لديك إذا الأقـدام فازت سُعاتُها

فما كان إلا الحظُّ منكم حُرمتُـهُ ودنيـا كثيرٌ بالغـنى فلتاتُها

تريـد بنفسى كلَّ ما لا تـريده وتمنعـها ما تقتضى شـهواتُها

(١) الشذّان : ما تفرّق . (٢) السفا : الشعر الخفيف على الأديم وفى الأصـل "شفى" .
(٣) الزعنفة : طرف الأديم كاليدين والرجلين . (٤) السراة : الظهر . (٥) قزعت : أسرعت .
(٦) عست : اشتدّت وصلبت . (٧) يريد ما ابتدأتها .

وإنّى لكم ذاك الذى لا حبالُه تَرِثُّ ولا يُخشَى عليه آنبتاتُها (١)

مقيمٌ على نعمائكم حافظٌ لها مُضِبٌّ (٢) على ما أوجبت حُرُماتُها

يُنقِّل قوما قربُهم وبعادُهم ونفسيَ لا تهفو بها مُبْتَذِلاتُها

تحنُّ الى أيّامكم فى ذراكمُ وتحفزها من عهدكم مُذكِراتُها

وعندى لكم ـ إن أسخطتكم سوالفى ـ عوائدُ ، تُرضِى مجدَكم آنفاتُها

تسيرُ على عاداتِها بصفاتِكم طوالعَ تمشى بالعلا مُثقَلاتُها

نوازلَ فى عرض الفلا وصواعدًا تُرَدُّ على رَوْحاتِها غُدُواتُها

تُخالُ هواديها بنشرِ علائكم بُرودَ "زُبَيْدٍ" (٣) نُشِّرتْ حِبَراتُها

يقُصُّ بها تحت الظلام سميرُها وتَرجُزُكم وجهَ النهارِ حُداتُها

تَطرَّبُها الأسماعُ فيكم كأنما عزيفُ الملاهى ما تقولُ رواتُها

كأنَّ الأولى دارتْ عليهم بيوتُها بنو نشوةٍ دارت عليهم سُقاتُها

مبشِّرة أيامَكم باتصالها تُرِى الحسنَ قبلَ أن تُرَى أخرياتُها

خوالد ما لبَّ الحجيجُ وطوَّفوا وعَجَّتْ بسفحَىْ مَكَّةٍ عَرفاتُها

وما عقروها واجباتٍ جُنوبُها تَفَجَّر من لَبَّاتِها فاجراتُها

تزوركم الأعياد مجلوَّةً بها تحلَّى بما صاغت لكم عاطِلاتُها

اذا لَعَنَتْ قوما لئاما فإنما على ذكركم تسليمُها وصَلاتُها

***

وقال يمدح الوزير زعيم الدين الحسن فى المهرجان

أهفو لعُلوىِّ الرياح اذا جرَتْ وأظنُّ "رامةَ" كلَّ دارٍ أقفرتْ

ويشوقُنى روضُ الحمى متنفِّسا يَصِفُ الترائبَ والبروقَ اذا جَرَتْ

(١) الأنبتات : الانقطاع. (٢) المضبّ : الحريص. (٣) زبيد : اسم موضع.

متعلّلاتٍ بعــدَ طارقــةِ النــوَى ... أو أبرأت داءَ الجــوى أو علّلتْ
يا دِينَ(١) قلبٍ من ليالى "حاجرٍ" ... مَكَرَتْ به فقضتْ عليــهِ وانقضَتْ
ومَضــاجعٍ "بالنَّعْفِ" بات يعــدُّها ... غُنما وأصــبح ودُّه لــو لم يبِتْ
ومليحةٍ لو أنصفتْ عينُ المها ... فى الحسن ماثنَتِ الصليفَ(٢) ولا رنتْ
بيضــاءَ من كِلَلِ الخــدور وربّمــا ... ذُكِرتِ بداوةُ قــومِها فتسهّمتْ
أخذَتْ وأعطتْ من ضياءِ الشمس ما آحتكمت فجمّعتِ الجمــالَ ووفّــرَتْ
وكأنمــا وَلِيَتْ خَطائــطَ وجهِها ... يدُها فجاءتْ فى الكمالِ كما آشتَهتْ
ملكت على باناتِ "جَوٍّ"(٣) أمرَها ... فلها الإمارةُ ما آســتقامتْ وآنثنَتْ
فاذا أرادتْ بالقضــيب مَسَــاءَةً ... وتنقّــمَتْ جُرما عليــه تأوّدتْ
سنحتْ لنــا دون الغــدير فمــا سَقَى ... صفوُ الغــدير وعذبُه مَنْ أعطشَتْ
ورمتْ فــلولا أنهــا ثُعَلِيَّــةٌ(٤) ... قُلنــا : رأت ثُعَــلًا رَمى فتعلَّمتْ
غَدَرتْ فــلولا أنّهــا نَذرتْ دمى ... لم تعرِف النّــذر الذى فيــه وفَتْ
وعلى "النقا" والعيسُ تخفِــرُ فى النقا ... أخفافُها من ثِقــلِ ما قد حُمّلتْ
حلَفتْ على قتــلى فلمّــا أن رأت ... بذَماىَ باقيــةَ الرِّماقِ تأوّلتْ
أبشِر فانــك فى الحيــاةِ مخــلَّدٌ ... يا من رأى يومَ "القليبِ" ولم يَمُتْ
وتشرَّفَت(٥) لتشبَّ جمــرةَ صــدرِهِ ... بنتُ الأراكِ(٦)، وهل تُشَبُّ وما آنطفتْ؟
وُرقاء ذكَّرها الحــداةُ هوًى لهــا ... طــارت ألائفُهــا(٧) به فتذكَّرتْ
هتفتْ على خضراءَ، كيف ترنَّمتْ ... من فوقِها مالت بهــا فترنّحتْ

---

(١) الدين الداء ومنه * يادِينَ قلبكَ من سلمى وقد دينا * (٢) الصليف : عرض العنق .
(٣) جو : اسم لناحية اليمامة . (٤) ثعلية نســبة الى ثعل وهو أبو قبيــلة مشهورة بالرمى .
(٥) آرتفعت فوق الشرف وهو الجبل . (٦) يريد بينت الأراك "الحمامة" . (٧) الالائف : الألّاف .

لو كان ينجو من علاقاتِ الهـوى شيءٌ لضُـعْفٍ أو لمَرحمـةٍ نَجتْ
ولقـد طربتُ كما حزنتُ لصوتِهـا فشككتُ هل غنَّت بشجوٍ أو بكتْ
قف يا أخا الملهوف وقفةَ مُرسَـلٍ حمـلَ الأمانةَ هَضْـبةً أو أدّيَتْ
وٱجهَـرْ بصـوتك للتى لو خاطبتْ فى السرّ أوعالَ القِنـانِ لأسمعتْ
وقـل التحيـةَ والسـلامَ وحاجةً من بعدِ أن خابت وإن هى أُنجِحتْ
يا أختَ "سـعدٍ" فيم بات معـذَّبا قلـبى عليكِ كأنمـا عيـنى جَنَتْ؟
رُدّى الفـؤادَ علىَّ فهـو وديعـةٌ مضـمونةٌ مغرومةٌ إن ضُيِّعتْ
إن كانـ ظنُّكِ بالخيـانةِ والقِلَى أن يشمَتَ اللاحِى عليك فقد شَمِتْ
وعميّـةِ الأوضاحِ خرساءِ الصـدَى (١) عَشِيَتْ على ضوءِ الصباحِ وأظلمتْ
مَرَدَتْ على عينِ الدليـلِ ورأيِهِ فتخالُه فيهـا أضـلَّ بمـا خَبَرتْ (٢)
تتغـايرُ البَـوْغاءُ (٣) تحتَ شميمِـه فيهـا ويُنـكَرُ صَـوتُه والمُلتَفتْ
مركوبةٍ، جَوْبُ المهـارى جـوَّها غَرَرُ المقامِرِ فيـه أَخْسَتْ أوزَكتْ (٤)
واذا الركابُ ٱستيأستْ فى جَهلها كيف النجاءُ توكَّلتْ وٱسـتسلَمتْ
داوسـتُها أبغى العَـلاءَ بهمّةٍ لو شاورت أمَّ الشـقيق لمَـا سَمتْ
تفلى على الكرماء تنفضُ منهُـمُ طرقَ المَطالبِ أسهلتْ أو أحزَنتْ
ووراءها ــ لولا المطامعُ منهُـمُ ــ قُرَباءُ لو قنعتْ بهـم ما أبعـدتْ
نبّهْ بنى "عبـدِ الرحيم" ولا تُبَـلْ معهم عيونَ الدهرِ كيف ٱستيقَظتْ
وٱسـتفتهم فى المجـدِ تسألْ أنفسا لَقِنتْ على جهـلِ الورى وتفهَّمتْ
خَبُثَ الترابُ وما عليـه، وماؤها شرفٌ فطابت وحـدَها وتطَهَّـرتْ

---

(١) يريد بهذا الوصف "الصحراء". (٢) يقال: خبرت الأرض أى عرفها ولم تخف عليه طرقها. (٣) البوغاء: ما يثور من الغبار. (٤) أخست أو زكت: لعبت بالفرد أو بالزوج.

فكأن زاكِى عِرقِها لم يُسقَ من ماءِ الزمانِ وفى ثَراه ما نبتْ

قومٌ اذا حذَر التناكرُ لُؤْمَهُم(١) وجلا الصِّفاحُ أكفَّهم فتحسَّرتْ(٢)

كفرتْ وجوهُهُم البدورَ وآمنتْ لأكفِّهم أيدى السحابِ فكفَّرتْ

شفعوا العلاء تليدَه بطريفه فتقدمت علياؤهم وتأخَّرتْ

ولدتهم الأرضُ التى قد أجمعتْ فى الأكثرين فما كيستْ(٣) وتجبّتْ

جاءت بهم وهى الوَلودُ كأنّهم غُرباءُ جاءوا فى العِقامِ أو القَلَتْ

متواردين على العَلاء كأنّهم ضربوا له ميقاتَ يومٍ لم يُمَتْ

راضوا الأمورَ، فتيهم كسنّهم سَوْمَ الكعوبِ تلاحقَتْ فتنظَّمتْ

شَرَعوا الى ثُغَرِ الخطوب ذوابلا لولا صنيعةُ نفسها ما فُضِّلَتْ

جُوفًا(٤) ترى الصمَّ الصعابَ وراءها فى الحرب تقفو ما حذَتْ أو مَثَّلتْ

كتبوا على شهب الطروس لنا كما طَعنوا على الخيلِ الوِرادِ أو الكُمْتْ(٥)

والحالسُ القوّالُ منهم آخذٌ منها بأنفاس الشجاع المنصلِتْ

خذ من حديثهمُ حديثَ قديمهم واعجب لأطراف العلا كيف التقتْ

واسأل "زعيم الدين" عما خلفه من مجدهم فهو الشهادة والثَّبَتْ(٦)

قمرٌ هو المِرآة عن أحسابهم مهما رأت مما يقابلها حكتْ

أدَّى فروضَهمُ وسَنَّ نوافلا فى المجد تممت الفروضَ وكمّلتْ

فضحَ السوابقَ مالكٌ أشواطَه جارِى الرياحَ تخلَّلَ عنه وقيَّدتْ

وتقرّطت أيامُه بيتيمةٍ منه صفتْ للناظرين وأشرقتْ

---

(١) لؤم جمع لئام . (٢) تحسرت : تعرت . (٣) أكيست : ولدت أولادا كَيِّسى أى ظرفاء، فطنين جمع "كيِّس" . (٤) جوفا جمع جوفاء . (٥) الكمت جمع كُميت وهو الفرس فى لونه كُمتة أى حمرة مشوبة بسواد . (٦) الثَّبَتُ : الحجّة .

لم يدرِ جهــدُ الغائصين وكيــدُهم — من أىّ أصداف البحار آستُخرِجتْ
قــد جوّلوا فيهـا الظنونَ وأكثروا — بالخوض لمـا آستُغرِبتْ وآستُعظِمتْ
قالوا : من البحر المحيط تصــعّدتْ — لا ! بـل من الفلَكِ المحيط تـنزّلتْ
بيضاء ملء يد المــنى ملمــومة، — مَلَكَ المُنَى وحوَى الغنى مَن أُعطِيتْ
يا جامعَ الحسناتِ بعــد شــذونها — مِزَقًا(١) وموجدَها أوانَ تعــذّرتْ
ومقطِّــر الأقران عن صَهَواتِ ما — رُبطتْ من الرأى الأصيل وضُمِّرتْ
كم واثقٍ منهــم بعِصــمةِ رأيه — وحسـابِهِ من هفــوةٍ أو من غَلَتْ
ضايقتَــه حــتى أقــرّ بعجـــزه — لمـا وضعتَ له يديك على النُّكَتْ(٢)
ومُنطِّقٍ ظنَّ البــلاغةَ آيــةً — نُصبتْ له علَمـا وشخصا صُوِّرتْ
قال الكثيرَ موسّــعا لَهَــواتِهِ — عُجْبـا فلمّـا قلتَ واحدةً سكتْ !
حَسِب الفصاحةَ فى التشادقِ وحدَه — ما كلُّ ما وُصِف الأسودُ به الهَرَتْ(٣)
وأرى الوزارةَ مــذ حَملتَ لواءَها — نُصِرت على فشــل الولاة وظُفِّرتْ
ساندت فيهـا ما عليك صــلاحُهُ — وفسادُه إن أصلِحتْ أو أُفسِــدتْ
ثَنّى أخــوك أخاك فيهـا مُسهِما — وبُعِثَ ثالثَهـا الذى بك عُزِّزتْ
أنــتم فوارسُها المَــذاودُ دونهـا — إن حوربت وملوكُها إن ســولمتْ
وظهــوركم لصـــدورها مخلوقةٌ، — مظلومةٌ إن ضويقت أو زوحمتْ
نُصبتْ لكم وتمهّــدتْ فــتى طــرا — من غيركم طارٍ(٤) نَبَتْ وآســتوحشتْ
هى مِلكُكم فــتى آســتُعيرت منكمُ — لتجمّلٍ وأردتمــوها آســترُجعتْ

(١) مزق جمع مِزقة وهى القطعة من الثوب . (٢) النكت جمع نُكتة وهى المسئلة الدقيقة اخرجتْ بدقّة نظر و إمعان فكر . (٣) الهرت : آتساع الشدقين . (٤) طار : يريد "طارئ" .

أبناء نِسبتِها وأبعُلُ[1] عُذْرِها[2] … واذا عَدَتكم أعزبت وتأيّمتْ
تَفدِى " أبا الحسنِ " الترابَ وطئته … قِمَمٌ هوت من تحتِ رِجلك إذ علت
ومحدِّثٍ بك فى الوساوس نفسَه، … نفسٌ لعمرك ضَلّةٌ ما سَوَّلتْ
لو ثاقلوك به وألقِ " يَذبُلٌ "[3] … معه لكانت قِسمةً ما عُدِّلتْ
أغنيتنى بك عن سواك فلم أُبَلْ … فُتِحت أنامِلُ معشرٍ أو أُقفِلتْ
وسُقيتُ أعذبَ شربتيك فما أرى … بأسا ببارقةٍ همَتْ أو أخلبتْ
وصفوتَ لى بالودّ، والصهباءُ لم … تَشُبِ العقولَ بطعمها حتى صفتْ
أنكرتُ ودَّ أخى وعهدَ أحبّتى … وكريمُ عهدك طينةٌ ما أخلقتْ
فمتى طَلبتُ من الزمان سواك أو … شَرْواك[4] فاشهدْ أنَّ ذاك من العَنَتْ
ولَتُرضِينَّك ما سمعتَ نواهضٌ … بالشكر لم تَخَفِ اللُّغوبَ ولا وَنَتْ
يقضِين ما أسلفن من أيدى غِنًى … وَسِعتْ حقوقَ المقرضين وأفضلتْ
يَغنَى بها العرضُ الفقيرُ وإن رأت … عِرضا غنيًّا زيّدته وأثّلتْ
ريحانة ما آستُنشِقت أرواحُها … وسلافة تُصحِى اذا ما أَسكرتْ
تقضى على الألباب أين خلاصها … من شَوبها ما آستُحظِيت أو أُلغِيتْ
ضجّتْ منابرُها بدعوتها لكم … فلو آدعت بكم النبوّةَ صُدّقتْ
إن صاحبتْ يوما اليكم عاطلا … حلّته أو تَفِلَ[5] النواحى عطّرتْ
والمهرجان وكلّ يومٍ عادكم … فى لطفه مما كستْ أو زَخرفتْ
فتمثّلها وتمَلَّه متلوّةً … ومُقابَلًا ما كرّ أو ما أُنشِدتْ
حتى ترى الأجداثَ تنفضُ أهلَها … والشمسَ فى خضرائها قد كُوِّرتْ

---

(١) أبعل جمع بَعْل وهو الزوج . (٢) عُذر جمع عَذراء وهى البكر . (٣) يذبل : اسم جبل .
(٤) الشروى : المِثل . (٥) التَّفِلُ : المنتن الريح ، وفى الأصل " تقل " وهو تحريف .

قافيـــة الجـــيم

بعـــد خلو حـــرف الثـاء

وقال وكتب بها الى الأســتاذ أبى منصور بن ماسرجيس، وقد ورد من سفرةٍ كان أبعدَ وأطال أمدَها وآتفق إنفاذُه إيّاها اليه فى المهرجان الواقع فى جمادى الأولى من سنة تسع وأربعمائة

لِمن الحُمولُ سلكن "فَلْجا"(١) يَطلُعنــهُ جفًّـا ففــجّا ؟

يخبطنَ بالأيدى الطريـقَ فمـا يكدن يجـدن نَهجا

ســودٌ بمـا صبغ الهجيرُ جلودَهن الحمــرَ وَهْجـا

من كلّ حامـلةِ الهـلالِ(٢) بنَى عليهـا البينُ بُرجا

بيتا يســير وفيــه قلبك فهو جسمك خيل حِدْجا(٣)

لك من وراء سجوفه ما أوسعَتْها الريحُ فَرْجا

رمحٌ ونصــلٌ لا كما سَمَّوهما هَيَـفا(٤) وغُنْجا(٥)

كالبِيْض لم تلجِ السمائمُ كِنَّهنَّ فلُحنَ بُلْـجا

لمـا أيِسنَ من الظلام رَفعنَ لى فنظـرنَ سُرْجا

وعلى الطليعــة فاردٌ(٦) كالرئم خافَ فــرام مَلْجا

خالستُ قُبلتَــه الوشـاةَ كما آدغمت الحرفَ دَمْجا

ففتحتُ عن غُرٍّ(٧) تمجّ المســكَ والصهبـاءَ مجّا

---

(١) فلج : اسم بلد . (٢) الهلال : ما آستقوس من البعير عند ضمره . (٣) الحدج : مركب من مراكب النساء كالهودج . (٤) الهيف : ضمور البطن ورقة الخاصرة . (٥) الغنج : الدلال . (٦) الفارد : المتفرّد . (٧) غرّ : بيض .

(٧٣)

لو لم تكن مخلوقة　للرشف لم يُخلقن فُلْجا

ومؤاخذٍ أن حرت يو　م وداعه والبينُ يَفجا (١)

لو كان خاصمني بعيـ　ـشي وحده كان الأحجا

وبسيطةٍ دون العلا　ءِ نفضتها نشرا ودَرْجا

كلَّفتُ حاجاتي بها　مَرِحا يرى التغرير أحجى

وأخٍ صفوتُ كما صفا　ومزجتُ لَمّا شاء مزجا

رمتُ التمام لوده　وأراد إجهاضا وخَدْجا (٢)

أمعى هزيلا ثم أنـ　ـت عليَّ إن أعطيتَ نَفْجا ؟ (٣)

ومفارقٍ لى "كابن عيسى" غَمَّ أيامى وأدجى

راودتُ قلبي عن نوا　د فكلّما لاطفتُ لَجّا

وحملتُها كالداء أشـ　ـرجُ فوقه الأضلاعَ شَرْجا

متنظرا هذا الإيا　بَ لعُرتها كيًّا ونُضْجا

فإن آنتصرتُ بقربه　فلقد صبرتُ وكنتُ مُلجا (٤)

أو عُدنَ أيامى الحسا　نُ به فقد أسلفن سُمْجا (٥)

يابن الوزارة أثبتتْ　فى بيته وتدا أشجّا (٦)

أبلَى وأخلق قومُه　أثوابها فوُرثن نُهجا (٧)

يتنقلون على مرا　كبها فما يضعون سَرْجا

ومشت أمورٌ بعدهم　بمعاشرٍ فمشين عُرجا

---

(١) يريد "يفجأ" أى يباغت . (٢) الخدج : إلقاء ولد الدابة قبل أيام تمامه .
(٣) النفج : فخر الإنسان بما ليس عنده . (٤) يريد "مُلجأ" . (٥) سمجا : قباحا .
(٦) الأشج : المشجوج الرأس . (٧) نُهجا : بالية .

من آل "ما سرجيس" مجـ	ـسودُ العـــلا يُخشَى ويُرجَى
متقيِّـــلٌ فى المجـــد سُنَّـ	ـةَ مغرمِيــن به أَلَجَّــا (١)
جارِين ســـدَّ الجوِّ شـــو	طُهُمُ وشـــقَّ الأرض رَجًّا
فصـــلُ الخطـابةِ ناطقٌ	ما قال إلا كان فَلْجا (٢)
مســتردفا يـــدَه وأخـ	ـرسَ عجَّ فى القرطاس عجَّا
كالرمح أُرهِفَ صـــدرُهُ	وكعوبُهُ نَصـــلا وزُجَّا (٣)
هـــذا يمـــجُّ بمـا يَخُـ	ـطُّ دمًا وذاك يَخُـــدُّ دَرْجا (٤)
مَلَكَ السماحُ يديـــه، يَمـ	ـرُجُ فيهما العافيـن مَرْجا (٥)
مغـــرًى بأثقال النـــوا	ل يخالهـا دَيْنًـا وخَرْجا
ســـوّغتنى ودًّا غـــير	تُ بِرَنْقِهِ غَصَّانَ أَشْجَى (٦) (٧)
وسحـــرتنى بخـــــلائقٍ	كُنَّ العيون فكنّ دُعْجا
فلتطرقنّـــك ما بكـر	ن غواديا وسرين دُلْجا
زُهرٌ ككتابـــة النجو	م سوائرٌ يَهدِجن هَدْجا (٨)
موســومةٌ بك أنك الـ	ـمقصود فيهنّ المُرجَّى
ما أُنشـــدتْ خِلتَ البرو	دَ عُرِضن تفـــويفا ونَسجا
وســـواك يسمعها فيحـ	ـزَن سمعُهُ من حيث يُشجَى (٩)
يـــرتاب منهـــا بالثنـا	ء كأنه بالمـــدح يُهجَى

(١) ألجّ : ركب اللجّة . (٢) الفلج : الاستظهار على الخصم ومنه المثـل « من يأت الحَكَم وحده يفلُج» . (٣) الزجّ : الحديدة التى فى أسفل الرمح . (٤) الدرج : التزام المحجّة فى الكلام . (٥) يقال : مرج الدابّة : أرسلها ترعى فى المرج ومرج بمعنى خلط أيضا . (٦) الرنق : غير الصافى . (٧) أشجى : أغصّ . (٨) يهدجن : يمشين فى ارتعاش . (٩) يشجى : يطرب .

خادعتُــه فأضــرَّ بى غشى، وكان الصدقُ أنجَى
فتملَّهـا ما راح ســر حُ أو رأيتَ البيتَ تُحَّـا

* * *

قافيـــة الحـاء

وقال يهنئ أبا منصور يَزْدَانفادار[1] بالنيروز

أشوقا ومَن تهوَى خلىُّ الجوانحِ؟ لك اللهُ مِن واف الأمانةِ ناصحِ!
فما كلّ عهــدٍ بالسليم على النوى ولا كلّ ناوٍ حافظٌ عهــدَ نازحِ
حبيبُك من خلّفتَ بين ضلوعه — وسرتَ — فؤادا لا يلين لكاشحِ
لمَن منزلٌ أنكرتَه فعرفتَــه وقــد راح أهــلوه بطيبِ الروائحِ
خليلَ — والواشون حولى عصابةٌ فمن مُسرفٍ فى لومــه ومُسامحِ —
أجِلْ فى جناب الركب طرفَك هل ترى أسى بارحا أو طائرا غيرَ بارحِ؟
وخلفَ الستور الرَّقْمِ[2] من كان بينُــهُ — على طولِ ما استّرتُ حبِّىَ — فاضحى
وهبتُ له عينى وقلبى وإنمـا لعــزّته هانت علىَّ جوارحى
أفى كل دارٍ صاحبٌ أصلحتُ له الر عايةُ قلبى وهــو لى غير صالحِ؟
وخاطبُ شكرٍ يُرخِص البخلُ مهرَهُ عليــه فيُمسى وهــو ألأمُ ناكحِ
أهزُّ بعتبى منــه طودا كأننى أريد لأكسو العَــيْرَ[3] جــلدةَ سابحِ[4]
اذا ما عليــل البخل لم يُبرِ داءَه مخافــةُ هاجٍ لم يُثبْ قــولَ مادحِ
بلى! فى فتًى من أسرتى إن شكرتها منــائحُ تُعطيــه حلالا مــدائحى

(١) كلمة فارسية معناها: القاصد وجه الله. (٢) الرقم: التى بها خطوط من قولهم: رقم الثوب أى خططه ومنــه الأرقم وهو الثعبان المخطوط فيــه سوداء و بيضاء. (٣) العير: الحمار.
(٤) السابح: الفرس.

هنيئا لكم يا طالبي سيبِ كفِّه أبيحت قَلِيبا فليفـــز دلوُ ماتِح

يُخَـــيِّمُ غادٍ للســـؤال ورائحٌ بساحـــةِ غادٍ للسماحـــةِ رائحِ

صباحُك ــ والنيروز يجلوه فانعمن ــ رأى خيرَ مصبوحٍ، رأى خيرَ صابحِ

هو الجَذَع(١) فاستقبل به بَكرَ(٢) عامه وإن كان مما كرَّ فى سنِّ قارحِ(٣)

اذا وجه يومٍ غيره كان عابسـا تبسّم عن ساعاتِ أبلجَ واضحِ

وعش بين جَدٍّ للخطوب محاربٍ حرىٍّ وجدٍّ للســعود مُصالِحِ

سليما على الأيام طــرًّا، طِوالُهـا رقاقُ العشـايا صالحاتُ المفاتِح

⁂

وكان بينه و بين أبى الحسين أحمد بن عمر النِّهْرَوانىّ ـــ وهو من الآحاد المعروفين المعدودين فى البغداديّين ـــ مودةٌ ترتفع عن حدّ القرابة ، ومجانسةٌ ترفع المنافسة ، وتسقط المحاسدة ، وفضائلُ تستوفيه الأفراح ؛ وكان أبو الحسين أخلَّ بعادَته فى مكاتبته ، ورأى كتبه عند جماعةٍ من إخوانه، فشقَّ ذلك عليه، وآتفق أنه عَقَد لنفسه عَقدَ نكاحٍ بالنّهروان، فكتب اليه يعاتبه فى الجفاء و يهنّئه بالعَقد

لهـا بعد خطوٍ لات حين مَراحِ قضاءٌ بوصـــلٍ غـــدوةً برواحِ

وهل هى إلا رقـــدةٌ فاسمحا بهـا وحســبكما أن توقظـا لسماحِ

و إلا فســيرُ الريح أسرعُ طِيّــةً وكم هبَّ لى شـوقٌ هبوبَ رياحِ

أقولُ لهـا ــ والنّهروانُ طريقُها ــ : هُنـاكَ آسنحى لا زلتِ طيرَ نجاحِ

ألمّى بهـا فى السّحب ثم تحفَّـلى(٤) فسُــحبى تحيّـاتى بأنضرِ ساحِ

---

(١) الجَذَع : الجديد وهو من البهائم : ما قبل الثنىّ وسكنت الذال للضرورة . (٢) البكر : الفتىّ من الإبل . (٣) القارح من البهائم : الذى آنتهى سنه . (٤) تحفّلى : تجمّعى .

وقولى : سلامٌ "يابن رَوحٍ" تظنُّه	صبيبــةَ طــلٍّ فى صُبابَةِ راحِ (١)
شكوتُ فياللّشوقِ أين تصــبُّرى	ونمتُ فيا لَليــلِ أين صباحى !
وغرَّك إسمــاحى فسرّك أن ترى	اذا عنَّف المقتـادُ كيف جِماحى
رعى الله ظبيــا سارحا لِىَ رعتَــه	بنفْــرةِ قلبٍ للعُقــوقِ مُبــاحِ
وتوهَبُ للعـــذر الصُّراح مودّتى	لديك وبعض العُــذر غير صُراحِ
رسائلُ تعــدونى وكُتْبٌ تجوزنى ،	صــداى على ماءٍ يُذادُ قَــراحِ ! (٢)
تلوحُ لعينى كلّمــا مرّ خاطف	بناحيــةٍ منهـا بكت بنواحى
بمن ـ ليتَ شعرى وهى ليتُ تعجُّبٍ ـ	يُردُّ شبابى إن حملتُ سلاحى
أبِن لِىَ هل جاذبتنى فى مودّةٍ	فعــيرّتنى يا صــاحِ غَــيرة صاحِ
وهــل رمتَ أسبابَ السماء لِبغيــةٍ	فحلّقتَ إلا طــائرا بجَنــاحى
ســقى الله نفسى كيف يَكْرُمُ عهدُها	على نفــرٍ ممن أُحبّ شِحــاحِ
أروم آنتصــارا منــك ثم يردُّنى	هــوًى لم تدنّســه ملامــةُ لاحى
فأغمِــدُ فى الودّ الحــدادِ صوارمى (٣)	وأكسِرُ فى الحبّ السِّــداد رماحى
فلا تنكرنْ هــذى العوائدَ إنمـا	لسـانِىَ سكرانٌ وقلبِىَ صـاحى
ولا تُلزمنِّى فى العتـاب بقيّــةً	فسـادُك فيهـا فاتكٌ بصــلاحى
ولمـا أتانى ما أقــرَّ جــوارحى (٤)	وأبرأَ من تلك الهَنات جِراحى
خلطتُ التهـانى بالتشاكى مُرجِّيًا	بموضعِ جِدّى أن يكون مزاحى
وبعــدُ ! فيـا لله أيّة فَرحــةٍ	تخــبِّرنى عن أىّ فوزِ قِــداحِ ! (٥)

(١) الصبابة : البقيّة . (٢) القراح : العذب الصافى . (٣) الحداد : ذو الحدّة .

(٤) جوارح جمع جارحة وهى العضو . (٥) القداح جمع قِدح وهو سهم الميسر .

اذا كانت الجوزاءُ للمشــترِى حُلّى وكانـــ قِبـاحٌ غيرُها لقبـاحِ
فمـا آتفق السعدانـــ حتى تكافآ أعزُّ بطونـــ(١) فى أعزِّ بِطـاحِ(٢)
ولو قيل : غيرُالشمس سيقت هديةً الى البـــدر لم أفـــرح له بنِكاحِ
فأنتم بنـــو مالٍ على الدهرِ هالكٍ وقاءٌ لأعراضٍ عليـــه صِحـاحِ
شـــبابٌ مراجيحٌ(٣) تفرّعتِ النُّهى(٤) بهم عنـــ شيوخٍ فى النـدىّ مِلاحِ
تعقّبْ غدًا يُمنا وســعدا بها " أبا الـ حسينـــ " وسـعيا مؤذنا بنجـاحِ
كأنك بالأشـــبال حولك ربّضا(٥) ليـــومِ رُواء(٦) أو ليـــومِ كفاحِ
صَـــباحا صَباحا ! كلُّ يومٍ بشـارةٌ الى سبعةٍ مثـــلِ البـــدورِ صِباحِ

* * *

وقال وأنشدها أبا القاسم بن ممّا فى يوم المهرجان

ما كانـــ سهما غار بل ظبيٌ سنحْ إن لم يكن قتلَ الفؤادَ فقـــد جرحْ
جلبَ الجمـالَ يريد أنفسَـــنا به ثمنـا فتاجرناه فيـــه كما آقـــترحْ
أرجتْ جِنانَ "السفحِ" فيه بنافضٍ رُدنيـْـه عن عَرفِ الجنان اذا نفحْ
عَرَقُ المجاسِـــدِ(٧) فاض ماءُ شـــبابه والوردُ أطيب منـــه ريحا ما رشحْ
فى جيـــده الكافورِ سبحةُ عنـــبرٍ ما كان أغفلنى وليس عنـــ السُّبَحْ
وأمَا ومشـــيتِهِ ـــ توقُّـــرَ تارة صلَفا وأحيانا يُجنُّ من المَـرَحْ ـــ
ومَواعـــدٍ لىَ فى خلال وعيـــده مَزجتْ بدمع صبابتى دمعَ القدَحْ،
لأشاطرنَّ هواه جســـمى إن وفَى ولأبخلنّ على العواذل إنـــ سمحْ

(١) بطون جمع بطن وهو دون القبيلة . (٢) بطاح جمع بطحاء وهى المسيل الواسع فيه دقاق الحصباء . (٣) المراجيح : الحكماء . (٤) النهى جمع نُهية وهى العقل . (٥) ربّضا : جثّما . (٦) الرواء : حسن المنظر . (٧) المجاسد جمع مجسِد وهو القميص يلى البدن .

راحت تعنِّفُ فى الصِّبا : ما آن أن يثنيك عن أَشَرِ[١] الثَّنِى نَهىُ القَــرِحْ[٢]

والخمسُ والعشرون تعــذرُ فاسدا لو ناهزتْه الأربعون وما صلحْ

منّاك ظنُّــك بى غــرورا أننى أصحو، وفى الظنّ المحالُ المطَّرَحْ

كالليث والغمــرُ آستغرَّ بثغــره فــدنا اليــه فاسئلى عمّا كَلَحْ[٣]

"والصاحبِ" آلتمس الغمامُ تشبّها بيديه، لا جَرَمَ آنظرى كيف آفتضحْ

جاراهمــا ويكاد يغــرق فيهــما بالجــود إلا أنه فيــه سَــبحْ

للعــزّ ما منعَ "الحسينُ" فلم تنَل كفُّ الزمانــ ، وللمكارم ما منحْ

إنــ هَمَّ أبصر غايتيــه بحــزمه كالطَّرف يُدرِك نورُه أنَّى طَــرَحْ

أو جَدَّ فى خطبٍ كفاه ووجهُــه متبسِّــمٌ، فيقول حاسدُه : مَزَحْ[٤]

كم نعمةٍ لم تُلهِــهِ عنــ عصمةٍ وجمادِ عامٍ لم يعُقهُ أنــ آنفسحْ[٥]

ومدامــةٍ عــذراءَ بات نديمَها وبغارةٍ شَــعواءَ يومئــذٍ صبحْ

رفقا بجُــرّبهْ وقــل فى ناره إن أُضرِمتْ وقد آشتواك بما لفحْ

وآهتزَّ كلكلُه فكــنت سحيقــةً بددا[٦] فأين يكون[٧] ركنك إن نَطحْ :

بى أنت، ضجَّ السيفُ حتى إنه لو كان يومَ يُسَــلُّ ذا صوتٍ لَبَحْ

وشكا جوادُك فى الضوامرِ بثَّــه لمّا آستراحت وهو تحتك لم يُرَحْ

طِــرفٌ تعــوّد أنه لو طارد الـ ـريحَ الشَّمالَ عليــه فارسُــه بَطحْ[٨]

وأغرُّ يُسرِجُ ــ يومَ يَسرَجُ ــ وجهُهُ[٩] زُهَرَ الكواكبِ قام فيها أو سرحْ

(١) الاشر : البطر . (٢) يريد بالثنى شرخ شبابه وبالقرح كبره . (٣) كلح، يقال : كلح وجهه : تكشر فى عبوس . (٤) فى الأصل : "مرح" وهو تحريف ويعينها قوله فى أوّل البيت "جدّ". (٥) فى الأصل " إن انسفح " وهو تحريف . (٦) بددا : متفرقة . (٧) هــذه الكلمة فى الأصل غير موجودة وقد رجّحناها ليستقيم المعنى ويتّزن الشطر . (٨) يريد بقوله "بطح" : ألقى الريح على وجهها وتقدّمها . (٩) يسرج : يضىء .

ومؤدَّب الأعضـاءِ لا يهفـــو به جنباه، ما حسَّ الغـلامُ وما مسخ (١)
فســـواه ما خلع اللجامَ ومدَّ طغـ يانا وما منـع الركابَ وما رمخ
ولك المقـامُ زأرتَ فيـه، والقنـا أجَمٌ (٢)، فهان على عرينـك من نبخ
والرأىُ أعجـــزه الصوابُ فلم يُشِرْ فيــه سواك ولو أشار لمـا نصخ
أمؤاخذى كرما علـىَّ قضيتُهُ إن ضاق عنه لسانُ شكرى أو رزح (٣)
غَفْـرًا متى قصَّرتُ عنــك فإننى بالمـدح أولَى لو بلغتُــك بالمِدَحْ
هــذا ولم تَخْفُـرْكَ (٤) قدرةُ خاطرى ما جاءه عفــوا وما فيــه كدحْ
كم نومةٍ للعاشقين وهبتُهـا ليـلا أراقب ديكه حتى صـدحْ
والليـــلة البهماءُ تُولِد فكرتى غرّاءَ يحســـدها الصباحُ اذا وضحْ
ولأنتَ باستحسانهـا أنطقتـــنى وشرحتَ بالإكرام صدرى فانشرحْ
ونســيتَ ما أعطيتَنيه وفيهـــمُ ــ حاشا سماحك ــ مَنْ اذا أعطى لَمَحْ
فلغـــيرك المتسهِّلُ المبذولُ فى آســ ــترخاصــه ولك الغــرائبُ والمُلَحْ

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى طالب بن أيّوب فى عيد الأضحى

لِمَن الحُمول بجو "ضاحى" (٥) من باكرٍ غَلَسـا (٦) وضـاحى
مِثـــل الأَداحِى (٧) تحتهـا أمثـالُ أُمّات (٨) الأداحى
يحملن أقمـارا حَمَا ين السـقمَ فى مُقَلٍ صحاحِ
من دون أطراف الحـديـ ـث لهنّ أطـرافُ الرماحِ

(١) يقال : حسّ الدابة : نفض التراب عنها بالمِحسّة وهى آلة ينفض بها الغبار . (٢) الأجم جمع أجمة وهى الشـجر الكثير الملتفّ . (٣) رزح : أعيا . (٤) لم تخفرك : لم تُوفِك . (٥) ضاحى : اسم موضع . (٦) الغلس : ظلمة آخر الليـل . (٧) الأداحى جمع أدحيّة وهى بيض النعام فى الرمل . (٨) أمّات جمع أمّ .

مَن مخبرى عن رائحـ ـين نكرتُ بعدهُمُ مراحى ؟
هيهات لو صدق الدليـ ـلُ سألتُ ليلى عن صباحى
والنجمُ يحمل كأسها منها الحبابُ بغير راحِ
حَظَرَ الكرى مَن لا يُطا ع سواه فى حَظْر المباحِ
راضٍ اذا سفك الدما ءَ بما تقلَّد من جُناحِ
كَثُرَ الملاحُ وما له مِثْلٌ بإقرار المِلاحِ
بأبى ثناياه لقد غولطتُ عنها بالأقاحى
غَلَطَ المُقايِسِ بابن "أيـ ـوبَ" السحابةَ فى السماحِ
"ومحمدٌ" أزكى نسيـ ـمَ ثرًى وأندَى بطنَ راحِ
وأعمّ حين يخصّ جو دُ الغيث ساحا بعد ساحِ
طالت به عينٌ الى الـ ـعلياء واسعةُ الطِماحِ
ويدٌ تقلَّبُ أنملا تِ مكارمٍ سُبِطٍ(١) سِجاحِ(٢)
لم تدرِ أنّ اللهَ خا لقُ هذه الأيدى الشحاحِ
من معشرٍ يتذمّمو ن المالَ ليس بمستباحِ
لا يُطعَمون مع العشـ ـىّ حلاوةَ النَّعمِ المُراحِ
فاذا تزاحمت الوفو د على بيوتهم الفِساحِ
يَسَروا(٣) فكان لمن يفو ز بضيفه فوزُ القِداحِ
فى عِرضهم سَرَفُ(٤) القِصا صِ ومالهم هَدرُ الجراحِ

(١) سبط : من قولهم فلان سبط البنان أى كريم وهو من باب الكناية نقيض قولهم : جعد الكف كناية عن البخل . (٢) سجاح : لينة سهله . (٣) يسروا : لعبوا بالقداح .
(٤) السرف : الإفراط ومجاوزة الحد فى القصاص ، وفى الأصل هكذا رسما وشكلا "شَوْفُ العصاصِ".

فاذا ٱنتضَـوا زُبَرَ الصحا ئف ثلَّموا زُبَرَ الصِّـفاحِ
واذا قِيامــةُ ســؤدُدٍ كذَبتك فى الصُّوَر القِباحِ
بلَجوا عــلى ضوء الصِّبا حِ ببهجة الغُــرر الصِّباحِ
لبِّيك عـدةَ ما ٱكتسبـ ـتُ وقد دعوتُك من صلاحِ
وضممتنى والدهــرُ مجـ ـتمعُ الصروف على ٱطراحى
واذا شهرتُ عليــه سيـ ـفا عاد يُدمينى جِــراحى
قد كنتُ مقترِحا لجِـا ءِ بك الزمانُ عـلى ٱقتراحى
لا توســعنِّى من نوا لك فوق ما يَسَعُ ٱمتداحى
دعــنى أطيرُ بشكره ما دام يحملنى جَناحى
فى كلّ شـاردةٍ مبا عِــدةِ الغــدوِّ مع الرواحِ
بِكرٍ وَلودٍ من بنـا تِ النـاتجات بلا لقـاحِ
أحبُـوك منهـا كلَّ عيـ ـد بالخـــريدةِ (١) والرَّداحِ (٢)
تصــف اللطائمُ (٣) طيبَهـا من طيبك الشرفِ الصُّراحِ
ما كُسِّرت رُجُمُ الجِمـا رِ وسُوِّقت بُدُنُ الأضاحى

***

وقال يرثى الرئيس أبا الحسن بن محمد بن الحسن الهُمَانىّ الكاتب، وكان بقيّـة الأعيان فى صنوف الفضــل، وواحد الزمان فى كمال الأدب، وممن أوجب عليه حقوقا فى المودة، وٱتخذ عنده حرمات من التفقّد والمراعاة، وتوفّى فى رجب سنة ثمان وأربعمائة، ودفن فى مدينة المنصور

(١) الخريدة : العذراء . (٢) الرداح : المرأة الثقيلة الأوراك، وثقل الأوراك من صفات الحسن فى النساء . (٣) اللطائم جمع لطيمة وهى نافجة المسك أو المسك نفسه أو العير التى تحمل الطيب .

أُغَشّ بآمالى كأنّىَ أُنصحُ ... وأبقىَ لأشقىَ بالبقاء وأفرحُ
وأصبو الى وجهٍ من الدهر مسفرٍ ... ضحوكٍ، ووجهى فى الخمار مكلّحُ
ويعجبنى إملاء يومٍ وليلةٍ ... وما الموتُ إلا غابقٌ أو مصبّحُ
مَطلتُ بدَينى والغريمُ مصمّمٌ ... وأحسنتُ ظنّى والمسىءُ مصرّحُ
تُدَمّى المنايا الناسَ حولى وإنما ... دمى ذاك فى أثوابهم يتنضّحُ
وأسلو اذا أبصرتُ جِلدىَ أملسا ... وما صحّةٌ فى الجلدِ والقلبُ يُجرَحُ!
اذا مرّ يستقرى مَن الهالكُ الردى ... يميلُ فى أبنائه ويرجّحُ
تطامنتُ أرجو أن أفوتَ لحاظه ... فأخفَى وعينُ الموت "زرقاءُ" تلمحُ
وقد غرّنى ليلُ الشباب فأين بى ... أضلّ وفجرُ الشيب عُريانُ مصبحُ؟
وأقرب شىء من قضيبٍ جُفوفُهُ(١) ... اذا الورقاتُ الخُضرُ ظلّتْ تَصوّحُ
نُتيّمَ بالعُمرِ الجِذاعُ(٢) وخانهم ... فما لىَ أرجو ودَّه حين أُنزحُ
وقد كان قدّامى مدًى منه يُرتجَى ... هو اليومَ مُلقٍ من ورائىَ يُطرَحُ
حسوتُ بمُرّ الدهر حبّا لحلوه ... فطورا يُصفّى لى وطورا يُصبّحُ
اذا بزّنى فى صاحبٍ بزّ صاحبا ... أغنّى بشعرى تارةً وأنوّحُ
أبيحُ الترابَ أوجها كان مُسخِطى ... على الشمس منها الساهمُ(٣) المتلوّحُ(٤)
وأحثو بكفّى أو أشقّ حفيرةً ... يُهال على قلبى ثراها ويُضرَحُ
ترى الحق مطروفا وتعشى لواحظٌ ... يراقصها هذا السرابُ الملوّحُ
يودُّ الفتى أن البسيطةَ دارُهُ ... وما فوقها مالٌ عليه يروّحُ
وسيعةُ بطنٍ جلّ ما هو مُحرِزٌ ... ومطرحُ جنبٍ جَهدَ ما يَتَفسّحُ

---

(١) الجفوف : اليبس . (٢) الجذاع جمع جَذَع وهو الشاب الحدث . (٣) الساهم : الذى تغيّر لونه و بدنه مع هزال . (٤) المتلوح : الذى تغيّر لون وجهه .

تبايعنا الدنيا مُنًى بنفوسنا ... فتوكس غَبنا والمُبايع مُصلِحُ
فلا نحن من فرط الخسارة نرعوى ... ولا هى ترضى فرطَ ما هى ترْبحُ
فما لكِ يا دنيا وأنتِ بطينةٌ ... ونحن خِماصٌ تبخلين ونسمحُ!
ألا طرقتْ لا يملأُ الليلُ صدرَها ... ولا تتحاشى صارخا حين تَصْبحُ
مغلغِلةٌ لا طودَ يعصمُ ما آرتقت ... ولا موئلٌ من حيث تهبطُ أبطحُ (١)
وَصولًا الى البيت الذى تستضيفه ... ولا مُوقَدٌ يُورِى ولا كلبَ ينبحُ
لها من قِرًى ما آستصلحتْ وتخيَّرتْ ... حشايا (٢) تُوَطَّى أو صفايا (٣) تُذَبَّحُ
أصابت صريعَ المجد من حيث ينتمى ... وغضّت لحاظَ الفضل من حيث تطمحُ
وحلّت فحكّت بَرْكَها (٤) من "محمدٍ" ... بجانب ركنٍ لم يكن قبلُ يُنطَحُ
قويمٍ على عرك الخطوب، فما له ... وقد زحمته زحمةٌ يتطوّحُ!
سلا مُقعصَ الأقران: من أىّ طعنةٍ ... تقطّر عن ظهر الكفاية يُطرَحُ؟
وقاطِعَ مَثْناةِ الجبال حرانُهُ: ... بأىّ زمامٍ قِيدَ يعنو ويُسمِحُ؟
ومَن هزّ من بين الوسائد طودَه ... وفى دسته "شهلانُ" (٥) لا يتزحزحُ!
وقولا وإن لم يخرق التربَ صائحٌ ... اليه ولم يفهم صدَى الأرض موضِحٌ:
"أبا حسنٍ" أمّا الرجاءُ فخائب ... وأما الرجا فيما نعاك فمنجحُ
حملتُ الرزايا جازعا ثمّ صابرا، ... على ذاك حسنُ الصبر بعدك يقبحُ
وواصلتُ من أحببتُ ثم فقدتُه ... فما نازلٌ إلا وفقدُك أبرحُ
ذكرتُك إذ غَصّ الندىُّ فلم يُشِرْ ... نَصيحٌ ولم ينطق لسانٌ مُفصِّحُ

---

(١) الأبطح: المسيل الواسع فيه دقاق الحصى كالبطحاء. (٢) حشايا جمع حشيّة وهى الفراش المحشو. (٣) الصفايا جمع صفيّة وهى الناقة الغزيرة اللبن المصطفاة. (٤) البَرْك: الصدر. (٥) شهلان: اسم جبل.

ولا أضمـــرتْ صـــدقا مَعاقدُ حبوةٍ جثـا بفخارٍ ربُّهــا يتبجَّحُ
وقد غاض بحرٌ كان فكفك مدّه وأُرتجَ بابٌ كان فى فيك يُفتَحُ
وقد جاء نجمٌ من جُمادَى بلَيلةٍ بَليـلٍ يريك الطولُ أن ليس تُصبحُ
يسائلُ عن اطناب بيتــك ضيفُها ردائدَ خطفِ البرقِ فيما تُـلوِّحُ
تعيَّف(١) طـيرا بارحاتٍ يسرنه(٢) بفقدك قد كانت ميامينَ تَسنحُ
فبات صـعيدُ الأرضِ والريحُ زادهُ شـقياً بمـا يَسـتافُ أو يتنفَّحُ
بليـلةِ بؤسٍ فات مُعتامَها القِـرَى كما فاتهـا منك المصـلِّى المسـبِّحُ
وللأمرِ كنتَ الليثَ إما حفظتَهُ تعاوَتْ تَعاطاه ثعـالبُ تَضـبحُ(٣)
رُعِى بعدك الشِّقُّ الذى كنت خامياً له وعتا الخَـرقُ الذى كنت تَنصحُ(٤)
وخُلِّىَ للعجـز التنافسُ واستـوى عـلى الجهـل سَرحٌ سائمٌ ومُسرَّحُ
وقام رجالٌ كان فضلُك مقـعدا لهـم فـتراءوا للعـلا وترشَّحـوا
بلا عائبٍ تُزرِى عــلى سيئاتهــم محاسنُه، والنقصُ بالفضـل يُفضَحُ
ائن حَرَصـوا فيما عَمَرت تعافُه فـربَّتَ سـاعٍ للدنيّــة يكدحُ
تمـالَوا على ما كنتَ تأباه أوحدًا ومنَّـوا بمـا استضعفتَه وتمـدَّحوا
وما ازدحموا أن القذى بعـدك انجلَى عن المـاء لكن يشربون وتقمحُ(٥)
فداكَ ــ وهـل حىٌّ فداءٌ لميّتٍ ــ ؟ قصـيرُ الخطا يكبو بمـا كنتَ تجمحُ
تعجَّبَ لمّـا ساد من حظِّ نفسه، وقـد يُدرِك الجَـدُّ الدنىَّ فيُفلحُ
ولمّـا رأيتَ الدهرَ ضـاقت ضلوعُه بحملك وهى للئـام تَفسَّـحُ
أنفتَ من الدنيا الذليـلةِ عارفا اذا عيشـةٌ ضامتك فالموت أروحُ

---

(١) تعيّف : زجر . (٢) يسرنه : جئن من جهة اليسار . (٣) تضبح : تصوّت .
(٤) تنصح : تخيط . (٥) تقمح : ترفع رأسك كرها للماء .

وذكّرنيك الودُّ أحليتَ طعمه … وأصفيتَ فهو الآن يَقذَى ويَملَحُ
ضَربتُ عن الإخوان صفحا مؤملا … بأن الردى لى عنك وحْدَك يصفحُ
وأغنيتنى ودًّا ورفدا بحاجة … من اليوم ما أرتادُ أو أتمنّحُ
أعلّل نفسى عنك لو أن مُسقَما … يُفيق بنوعٍ من جوًى أو يُصبَّحُ (١)
وأرقَعُ أيّامى أروم صلاحها … وقد فسد العيشُ الذى كنت تُصلِحُ
سألتُ بك الأيّام أرجو مسرّةً … فلما أَبت إلا التى هى أترحُ
ضحكتُ الى ناعيك أحسب أنه … ـ وقد جَدَّ ـ إكبارا ليومك يمزحُ
عفا ربعُ أنسى منك ضيقا، وما عفا … بساحة قلبي منزلٌ لك أفيحُ
به ساكنٌ من طيبِ عهدك عامرٌ … يُريح عَزيبَ الحُزن من حيث يَسرحُ
اذا ذبَلَت فيه على الصبر جمرةٌ … خمودا ورَى زندٌ من الذّكر يَقدَحُ
وذاك اللسانُ الرَّطبُ لا زال فى فمى … هو اليومَ يرثِى، مثلَه أمسِ يَمدحُ
يقول وإن لم يُغنِ عنك وإنما … ملأتَ إناءً نعمةً فهو يرشحُ
ولو رُدَّ قبلى الموتُ بالشّعر أو مضى … شَبا لَسِنٍ أو عاش فى الدهر مُفصِحُ
نجا لا ثنا بالعزّ فى غير قومه … ـ وقد سبق الناسَ ـ الغريبُ المقرَّحُ (٢)
ومستنزِلُ "النعمان" (٣) عن سطواته … بما يَتقِى من عِذرةٍ (٤) وينقّحُ
و"عُروةُ" (٥) لم يُصبغ الردى لنسيبه … ولم يُعطَ فى "قَيس" (٦) مناه "الملوّحُ" (٧)
وغيرُ "غيلانَ" (٨) المهارى بعَنسه (٩) … فلم تُنجه من عَدوة الموتِ "صَيدحُ" (١٠)

(١) يصبّح : يُسقَى الصبوح . (٢) يشير الى امرئ القيس وكان يقال له : ذو القروح لأن قيصر ألبسه قيصا مسموما فتقرّح جسمه ومات غريبا "بأنقرة" وفى ذلك يقول

أجارتنا إنا غريبان ههنا … وكلّ غريب للغريب نسيب

(٣) يشير الى النابغة الذبيانىّ حين هجا النعمان بن المنذر ثم عاد اليه معتذرا . (٤) العِذرة : المعذرة .
(٥) عروة بن حزام هو أحد العشاق الذين قتلهم العشق . (٦) اسم مجنون ليلى . (٧) اسم أبى مجنون ليلى . (٨) غيلان : اسم ذى الرمّة الشاعر . (٩) العنس : الناقة القوية .
(١٠) صيدح : اسم لناقة ذى الرمّة .

ولكنه شَـرطُ الوفاء وغمّـةٌ على الصـدر بآستخراجها أتروّحُ
ذممتُ فؤادى فيك والحـزنُ محرقٌ وعاتبتُ جفنَ العـين والدمعُ مُقرِحُ
وما عجبٌ للدمع أن ذَلَّ عـزّه فما جَـمّ إلا أنه لك يُـنزحُ
وأقسمُ ما جازاك قلبٌ بمـا طوى غليـلا ولا قـولٌ يطولُ فنشرحُ
ولا كان فى حكم الوثيقة أن أرى عليـك الثرى كَلّا وجسمِىَ رَيِّحُ
وما أنا إلا قاعدٌ عن فضـيلةٍ اذا قمتُ فيهـا مائـلا أترنّحُ
سقاك ــ وإن كان الثرى بك غانيا عن السـحب ــ غادٍ بالحيا متروّحُ
حَولٌ(١) لمـاء المزن تطفو لصوبه فـواغرُ أفواهِ الجـواءِ فتطفَحُ
اذا خار ضعفا أو تراخى حَـدتْ به مَواقرُ(٢) من نوءِ السماكين دُلَّحُ(٣)
يُخفِّـلُ طـردُ الريح فيهـا كأنها سـفينٌ جَوارٍ أو مَراسـيلُ(٤) جُنَّحُ
شجـاعٌ كأنتَ أو جـوادٌ بمـائه فإن عاقه ضِنٌّ فعينىَ تَسـفَحُ
ليعــلمَ قـبرٌ بالمـدينـة أننى من الغيثِ أَوْفَى أو من الغيثِ أَسمَحُ

* * *

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى المهرجان يهنّئه به (٧٩)

أمرتُكمُ أمرى "بنَعمانَ" ناصحـا وقلتُ : آحبسوها تلحقِ الحىَّ رائحا
فما ريتمونى تَخبُرون آجتهـادَها فأُبتم بلا حاجٍ وأُبنَ طلائحـا(٥)
وقد صدّقتنى فى الصَّبا عن مكانهـم أخابـيرُ(٦) أرواحٍ سبتنى نـوافحـا
كأنّ الثرى من طيبها فَتَّ فوقه مجيزون من "دارِينَ"(٧) فأرا فوائحـا

---

(١) فى الأصل "حوك" . (٢) مواقر : مثقلات . (٣) دلّح جمع دالح وهو السحاب الكثير الماء . (٤) مراسيل جمع مرسال وهى الناقة السهلة السـير . (٥) الطلائح جمع طليحة وهى الناقة التى أعياها السـير . (٦) خبر جمعه أخبار وجمع الجمع "أخابير" . (٧) دارين : فُرضة بالبحرين يُجلب اليها المسكُ من الهند .

لقاءٌ على "نَعمانَ" كان غنيمةً — وهيهات يدنو بعـــد أن فات نازحا
حَمَى دونه حَرُّ "السماوة" ظَهـــرَها — وعبّس وجهها ناجرٌ (١) فيـــه كالحـا
الى الحول حتى يشربَ القيظُ ماءهم — "بنجد" وإما يسلخون البوارحا (٢)
لعلّك فى إرسالِيَ الدمـــعَ لائمٌ — وقد عطّف الناسُ المطيَّ جوانحا
نعم ، قد تجرّعتُ الدموعَ عليهـــمُ — عِذابا وأقرحتُ الجفونَ الصحائحا
وما قلتُ : غاضت بالبكاء ركيّةٌ — من العين إلا أرسلَ الشــوقُ ماتحا (٣)
فهل ظبيةٌ "بالغور" يَجزِى وفاؤها — هوًى لم يُطِعْ فيها على النأى كاشحا؟
اذا آعترضتْه من سلوٍّ معوضةٌ — مَحاسنُ فى أخرى رآها مَقابحا
ومن أين يَنسَى من يَرَى الغصنَ مائلا — مثالَكِ والظبيَ المــروَّعَ سانحا!
أرى عينه عينيك و"الغــورُ" بيننا — فأَدمَى ، لقد أبعـدتَ يا سهمُ جارحا!
يعنِّفُ فى حُبِّ البــداوة فارغٌ — من الوجد لم يَقْرِ الغـرامَ الجوانحا
فياليتَ لى من دار قومى وأسرتى — جــوارَكِ روّاحًا عليك وصابحا
ومن تُرَّهاتِ (٤) الريف أرضا قطنتُها — من الجـدب فيها يأكلون النواضحا (٥)
اذا ما شربتُ الوصـــلَ عَذبا مرقرقا — بها لم أعَفْ أن أشرب المـاء مالحا
دعُونى "ونعمانَ الأراكِ" أرِوده — يجاوبُ صـــوتى طيرَه المتنـاوحا
عسى سارحٌ من دار "ميّةَ" يامنٌ — يُقيِّضُ لى عن شائمٍ طار بارحا
سقَى ما سقَتْ خدّى الدموعُ الحيا الغضا — بواكرَ من جمّاته وروائحا
فكم ليـــلةٍ فيه نضوتُ حميـــدةٍ — وألبستُ يوما بُرقُعَ العيش صالحا

---

(١) يقال "لصفر" ناجر: وهو الشهر الواقع فى صميم الحرّ، وفى الاصل "ناجز" (٢) البوارح جمع بارح وهى الريح الشديدة الباردة . (٣) المـاتح : الذى يستق وهو على رأس البئر . (٤) الترّهات : الطرق الصغار تتشعب عن الجادّة واحدتها تُرَّهة . (٥) النواضح : الإبل التى يُستقَى عليها ، واحدها ناضح .

وهمٍّ ترى القلبَ الرحيبَ وراءه … من الضيقِ لهفا يستعيبُ المَراوحا (١)

تلطَّفْتُــه (٢) حتى وجدتُ مَفَـارجا … لصـدرِىَ من غُمَّـاته ومَسارحا

وبحرٍ من الآل الغَــرور محرَّمٍ … ركبتُ له من سير "لاحقٍ" (٣) سابحـا

الى حاجة فى طُرْقها الجِــدُّ كلُّه … فأدركتُها جذلانَ أُحسَبُ مازحا

ومضطغِنٍ (٤) أن قدَّمتنى زوائدٌ … من الفضل أخْفَتْه وقد كان واضحـا

يعــيِّرنى الحِدْثانَ وهو أعزُّ لى … كفى جَذَعا أن فاتَكَ الشـوطَ قارحا

وهل ضائرى شيئا ـ اذا جئتُ آخرا ـ … تأخُّرُ ميــلادى وقــد جئتُ فاصحا

وهَرٍّ فلم يُطــرَدْ فعضَّ سفاهــةً ؛ … وعقــرُك لى أنى حقَــرتُك نابحـا

وزَنتُ بحلمى جهــلَه لا أجيبــه … فلله منَّــا مَن تمكَّن راجحـا

وعجماءَ من وحش القوافى خدَعتُها … ولم تُعطِ قبــلى جِلدَها قطُّ ماسحـا

خطبتُ اليهـا عُــذرَها فتحلَّلتْ … وكانت حــراما لا تلامس ناكحـا

وعادتُهـا فى المــدح ألا أذيلهـا … ولكنَّ قوما يكــرمون المــدائحا

تمنَّى بنى "عبد الرحيم" ومجــدَهم … رجالُ أمانٍ لم يقعن نجائحـا

وريمــوا، فمـا حَطَّ الثريَّا لبـاعه … فتًى ظنَّها كفًّا فمــدَّ مُصافحـا

كرام مضــوا بالجود إلا صُبـابةً … أعاروا نداها الماطلاتِ السوافحـا

لهم من تليــد العزّ ما يدّعونه … اذا خفَتَ فى دعوى الحسيبِ القوادحا

اذا نشَروا الأغصانَ من شجراتهم … على ناسبٍ عُــدُّوا الملوكَ الجحاجحـا

تواصَــوا فطابوا فى الحيـاة وأُكرِموا … نفوسا وطابوا ميِّتين ضرائحـا

---

(١) المراوح : المفاوز تخــترقها الرياح واحدتها مَروحة . (٢) تلطفته : ترفقت فيه .

(٣) لاحق : اسم فرس معروف عند العرب . (٤) المضطغن : الحاقد .

وأخفَى "الحسينُ" خطفَهم بشُعاعِه[١] … كما أخفت الشمْس النجوم اللوائحا

فتًى لا يريد المجــدَ إلا لنفســه … ولا المـالَ إلا قسمةً ومَنائحـا

ينـازع أزْماتِ السنين بأنمُلٍ … جوابرَ للأحوال تُسـمَّى جوارحا

أنامل من يُسرٍ اذا ما أدارها … على مغلَقاتِ الرزق كُنَّ مَفاتحـا

أقام على وجه الطـريق بوجهــه … مجيرَ النهـار عاقرَ الليــل ذابحـا

بحيث السـماح لا يخيِّبُ سائلا … وحدُّ الصفاح لا يخيِّبنَ صائحـا

اذا عجـزتْ يوما مواعظُ صفحه … عن الأمر ولَّاه القنـا والصفائحـا[٢]

ويأبى فيأتى مَشـرَعَ الدمِ واردا[٣] … حريصا ويأتى مشرعَ المـاء قامحـا[٤]

يصيب بأطراف العــوالى مُحـاربا … عِداه، وأطـرافِ الكلام مُصالحـا

اذا هزَّ رمحا طاعنا خِيــلَ كاتبـا … سَدادا، وطِرسًا كاتبـا خِيلَ رامحـا[٥]

أقــول لأيّامى وهن عواثر … بحظِّى: لَعًا، قد أدرك الذنبُ صالحا

اذا "الصاحبَ" آستبقيته لى ورهطَهُ … فمُرِّى بقـــومٍ طائراتٍ طوائحـا

أذمّوا على الآمال لى وتعاقــدوا … على رَفْع خَلَّاتى أكفًّا نواصحـا

غَبرتُ زمانا أمنع النـاس مِقـوَدى … حَرونا الى غير المطـامع طامحـا

أَعِزُّ فلا ألقى آبنَ مالٍ مؤمِّـــلا … لمـالٍ ولا يلقـانِىَ الدهرَ مادحا

مع النـاس حُرًّا خاطرى، غير أنهـم … بأخلاقهـــم يستعبدون القرائحـا

وما كنتُ فى طرد الخطوب بيُمنهـم … بأوّلِ داجٍ يستضىء المصابحـا

بك آعتدلتْ حُوشيّةٌ من تصعّبى … وراخيتَ من أنسى فأصبحَ سارحا

صَحِبتُك لم يَمسحْ عِذارى ســوادُه … وها أنا قد غطَّى ســوادى المسائحـا[٦]

---

(١) يريد خطفهم الأبصار بضوئهم . (٢) الصفائح جمع صفيحة وهى السيف العريض .
(٣) المشرع: المورد . (٤) القامح الذى يرفع رأسه عن المـاء كرِها له وقد تقدّم . (٥) الرامح: ذو الرمح . (٦) المسائح جمع مسيحة وهى شعر جانبى الرأس .

وسدّيتَ[1] عندى نعمةً ليس ناهضا ... ثنائى بها ما لم أجدك مُسامحا
فكن سامعا فى كلّ نادى مسرّةٍ ... شواردَ فى الدنيا ولسن بوارحا
حواملَ أعباءِ الثناء خفائفا ... صعِدن الهضابَ أو هبَطن الأباطحا
يَرَى المفصِحُ المفتونُ عُجْبا بشِعرِه ... لها ناقصا ما سَرّه منه رازحا
اذا قمتُ أتلوها أقشعرَّ كأننى ... تلوتُ مَزامِيرا بها ومَسابحا
تزورك ، لا زالت تزور بشائرا ... يسوق التهانى وفدُها والمَفارحا
يضُمُّ الزمانُ شملَ عزِّك نظمَها ... ويطرحُ مَن عادَى علاك المَطارحا

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ الرئيس أبى منصور بن ماسرجيس يهنّئه بالمهرجان الواقع فى سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، ويعتذر له ويعرّض بذكر قوم يحسدونه على الشعر ويغتابونه

أيا ليلَ "جوٍّ" مَنْ بشيرُك بالصبح؟ ... وهل مِن مَقيلٍ بعدُ فى ظُلَل الطَّلح[1]؟
وماؤكم آستشفيتُ "زمزمَ" بعده ... فما بَرَدتْ لُوحى[2] ولا رقَدتْ جُرحى
سَرقتُ على سؤرِ[3] البخيلة نهلةً ... بها لم أكن أدرى أتُسكر أم تُصحى؟
قضت ساعةً "بالجوّ" أن ليس عائدا ... بها الدهرُ فى يومٍ بخيلٍ ولا سَمح
فما لكَ منها غيرُ لفتةِ ذاكرٍ ... اذا قلتُ: بلَّتْ، أوقدتْ لوعةَ البَرْح[4]
أيا صاحِ، — والماشى بخير موفَّقٌ — ... ترنَّمْ "بليلَى" إن مررتَ على "السفح"
وقامِرْ بعينى فى الخليط مخاطرا ... عست نظرةٌ منها يفوز بها قِدحى
وسلْ ظبيةَ الوادى : أأنتِ أم التى ... حكتكِ على قلبى بلحظتها تَنحى؟

---

(١) سدّيت بمعنى أسديت . • (١) الطلح : شجر عظام من العضاه واحدتها طلحة .
(٢) اللُّوح : العطش . (٣) السؤر : الحوض . (٤) البرح : شدة الأذى والمشقة .

رَمتْ بجُنَنت وآستصفحتْ ، هى عامدٌ ... ألا أين جُرم العامدين من الصفحِ!

وليــلٍ لبسـناه بقـــربك ناعِمٍ ... بطائنَ ما بين القـلائد والوُشحِ (١)

ويُضحى ويُمسى ضوءُ وجهك بيننا ... سراجا ، وضوءُ البدر يُمسى ولا يُضحى

ولمـا آســتوى قسمُ الملاحة فيكما ... تكلّمتِ حتى بان فضلُك بالمُلْحِ (٢)

تذمُّ آطراحى وُدَّ قـــومٍ ومدحَهم ... وما مسَّها حمل الهــوانَ ولا طرحى

تعاوت على سَرح القريض تقصُّـــهُ ... ذئابٌ لها من عجزها نَقَـــدُ السَّرحِ (٣)

تَجانَفُ عن حُلوِ الكلام وصفوِه ... اذا ولِعت جهـــلا وتكرعُ فى المِلحِ (٤)

اذا كان للتقبيل والشمِّ أصبحت ... تماضغه ما بين أنيابهـا القُلْحِ (٥)

ترى كلَّ علجٍ يحسبُ المجـدَ جَفنةً (٦) (٧) ... تُراوِحُ أو قَعْبـا يخمَّـــرُ للصَّبحِ (٨)

اذا رشَحت من بَهْــرِه وآنتفاخه (٩) ... أياطِــلُه ظنَّ الفصاحةَ فى الرشحِ (١٠)

اذا معجزاتُ الشــعر عارضن فهمَه ... حَلبنَ بكيئًا لا تدرُّ على المسحِ (١١)

لكـلِّ غريبٍ نادرٍ فى فـــؤاده ... وأحقادِه فعـلُ النكاية فى القَــرْحِ

اذا الغيظُ أو جهـلُ الفضـــيلة عاقه ... عن المـدح فى شىء تجمّـــلَ بالقَدحِ

وكم دون حُرّ القولِ من جِنح ليلةٍ ... اذا أظلمتْ لم يورِ فيها سوى قَدحى

وقافيـــةٍ باتت تحـارب ربَّهـا ... فنازلتُهـا شيئا فألقت يدَ الصـــلحِ

وصلتُ اليهـا والأنابيبُ حولهـا ... تَكسَّرُ لمّـا كنتُ عاليـةَ الرمحِ

اذا شئتَ أن تبلو آمرأ أين فضـــلُهُ ... من النقصِ فاسمع منه إطراىَ أو جَرحى

---

(١) الوشح جمع وشاح وهو معروف . (٢) الملح : الحُسْن . (٣) النَّقَد : صغار الغنم . (٤) الملح غير العـذب . (٥) القُلح : جمـع قلحاء وهى السنّ التى يعلوها صفرة أو خضرة . (٦) العلج : الرجل الضخم من كفّار العجم . (٧) الجفنة : أوسع القصاع . (٨) القعب : القدح الضخم ، والصبح : شرب الصبوح . (٩) البهر : انقطاع النَّفَس من الإعياء . (١٠) الأياطل جمع أيطل وهو الخاصرة . (١١) البكىء : الناقة أو الشاة التى قلّ لبنها .

وكم ملكٍ لو قد سمحتُ أريتُــه بوجهٍ قريضى طلعــةَ النصر والفتح
اذا ما ترامت عاليـاتُ المنى به بعيــدا تمنّى موضعَ النجم أو مدحى
وخِلٍّ أتى من جانب اللين عاطفا فياسره عُودى ولانَ له كَشحى
وفَــرتُ له قِسما كفَاه وزادَه فــالَ به الإسـفافُ فى طلب الرِّبح
وساومَ غيرى المدحَ يُرخِص عرضَهُ فلم يُغننى بخلى عليــه ولا شُحّى
فأصبحتُ كالبيضاء ضرّت فغاظها بســوداءَ والعجزاءِ غارت من الرُّسْح (١)
ولكنّ "ما سرجيسَ" من لا تردُّه عن الجِدّ حنّاتُ الطبـاعِ الى المزح
ولا تُقتضَى ممطولةَ الحقّ عنــده ولا يُكتسَبُ الإنصاف بالكدّ والكدح
اذا نال بيضـاتِ الأَنوقِ ميسّرا له وَكرُها لم تَسبِه بيضةُ الأُدحى
كريمُ الوفاء أملسُ العــرض طاهرٌ اذا دَنَسُ الأعراضِ عــولج بالرَّضح (٢)
تضيقُ صــدورٌ بالخطوب وصــدرُه الى فُرُجاتٍ مــن خلائقــه فُسْح
يُشــير بصغرَى قولتيه فيُكتفَى بها، وذُبابُ (٣) السيفِ يَقطعُ بالنفح (٤)
غزيرٌ اذا آستملى البــلاغةَ فكرُهُ ســقى بقليبٍ لا يُغــوَّرُ بالــنزح
تدبَّرَ مــن بيت الوزارة باحةً له السبق فيها، والجِــذاعَ من القُرْح
اذا زلِقتْ يوما بأقــدامِ معشرٍ فمالت مشَى فيها قويمـا على الصَّرح
أُخذتم بأحقادٍ قــديمٍ وَقُــودُها عليكم ونارُ الضِّغن تُحرِق باللفح
وغاظت (٥) علاكم حاسـديكم فنفّرتْ قُـــوقَ كُبودٍ لا تُعالَجُ بالنُّضح
وجوهُ اليكــم ضاحكاتٌ وتحتهـا دخائلُ نيّـاتٍ معبّسةٍ كُلْح
وددتُكَ لم أذخر هــواكَ نصيحةً أروح بهـا ملءَ الفــؤادِ كما أُضحى

(١) الرسح جمع رسحاء وهى القليلة لحم العجُز . (٢) الرضح : القليل من العطيّة . (٣) ذباب السيف : طرفه . (٤) النفح : الضرب الخفيف . (٥) فى الأصل "وغاضت" .

حبيتُكَ من سَلمى وأغدو بشفرةٍ على عُنُقِ مَن أبغضتُ مِن مَنطقِ أُنحى

وكم من فتاةٍ قــد منحتُك رقَّها على العزّ لم أمنن عليك بها مَنحى

لها بين يوم المهــرجان مواقفٌ لديك وبين الصوم عنـدك والفِصْح

أدلّت بحسنٍ فهى تــبرُزُ سافرا اذا آختَمرتْ أخرى حياءً من القُبح

اذا المنشدُ الراوى بهـا قام خلتــهُ يناوبُ ترجيعَ الحَمامة بالسَّجح (١)

و إن أبطأتْ عاما عليك سماؤها فعندك سَلَفٌ من مَرازمِها (٢) الدُّلْح (٣)

ولا ذنبَ لى إن أعقمتنى عوائقٌ من الدهر يوما أن يُقصِّر بى لَقحى

* * *

وقال وكتب بها الى ربيب النعمة أبى المعمّر بن الموفّق على بن إسماعيل فى النيروز الواقع فى سنة أربع عشرة وأربعمائة

مَن عَذيرى يــومَ شرقىّ الحمى من هــوًى جَــدَّ بقلبٍ مَزَحا ؟

نظــرةٌ عادت فعـادت حسرةً قَتــلَ الرامى بهـا مَن جَرَحا

قلن — يستطردن بى عينَ "النقا" —: رجلٌ جُنَّ وقــد كان صحا

لا تعُدْ — إن عُدتَ حيًّا بعدها — طارحا عينيك فينا مَطــرَحا

قد تذوّقتُ الهــوى من قبلها وأرى مُعــذَبَهُ قــد أملحا

سل طريق العيس من "وادى الغضا" كيف أغسقتَ (٤) لنا رأدَ الضحى ؟

ألشىءٍ غــير ما جــيراننا نفضوا "نجدا" وحلّوا "الأبطحا" ؟

يا نسيم الصبح من "كاظمةٍ" شــدّ ما هِجت الجــوى والبُرَحا (٥)

الصَّبا — إن كان لا بدّ الصَّبا — إنهـا كانت لقلــبى أرْوَحا

(١) السجح : السجع . (٢) مرازم جمع مُرزمة وهى السحابة الشـديدة صوت الرعد .
(٣) الدلح جمع دالح وهو : السحاب الكثير الماء . (٤) "أغسقت : اشتدت ظلمتك وفى الأصل "أعسفت" . (٥) البُرَحاء : شدة الأذى والمشقة ومنه "برحاء الشوق" .

(٨٢)

يا ندامای "بسـلع" هل أرى	ذلك المَغْبـق والمصـطَبَحا ؟
أُذكرونا ذكرَنا عهـدكُمُ (١)	ربَّ ذكرى قرَّبتْ مَن نَزَحا
وآذكروا صبًّا اذا غنَّى بكم	شرِبَ الدمعَ وعاف القَـدَحا
رجَع العاذلُ عنى آيسا	من فؤادى فيكُمُ أن يُفلِحا
لو درَى — لا حَمَلتْ ناجيـةٌ	رحـلَهُ — فيمن لحانى ما لَحَا
قد شربتُ الصبرَ عنكم مُكرَها	وتبعتُ السقم فيكم مُسمِحا
وعرفتُ الهمَّ من بعـدكُمُ	فكأنى ما عرفتُ الفـرحا
ما لسارى اللهـوِ فى ليـل الصِّبا	ضَـلَّ فى فجـرٍ برأسى وضَحا ؟
ما سمعنا بالسُّرى من قبـله	بابن ليـلٍ ساءه أن يُصبِحا
طـارقٌ زارَ وما أنـذرنا	مُرغِيا بَكرا ولا مُستنبِحا
صَـوَّحتْ ريحانةُ العيشِ به	فَمَن الراعى نباتا صَـوَّحا (٢)
أنكرتْ تبـديلَ أحوالى، ومَن	صحِب الدنيـا على ما آقـتَرحا ؟
شـدَّ ما مَنَّى غرورا نفسَـه	تاجِرُ الآدابِ فى أن يَربَحا
أبـدا تُبصِرُ حظًّا ناقصـا	حيثما تُبصِرُ فضـلا رجَحا
والمنَى والظنُّ بابٌ أبـدا	تُغـلَق الأيـدى اذا ما فُتِحا
قد خَبَرتُ النـاسَ خُبرِى شِيَمِى	بخـلاء وتَسـمَّوا سُمَحا
وتـولَّجتُ على أخلاقهـم	داخلا بين عَصاها واللِّحا
وبعثتُ المـاءَ من صُمِّ الصَّفا	قبـلَ أن أبعثَ ظنّـا مُنجِحا
يشتهون المـالَ أن يبقَ لهم	فلمـاذا يشتهون المِـدَحا ؟

(١) هكذا بالأصل والرواية المشهورة * أُذكرونا مثل ذكرانا لكم * (٢) صَوَّحَ النبتُ كتصوَّح : يَبِسَ .

يُفصِح اللَّحَّانُ بالجـودِ وهُمْ ... فرطَ بخـلٍ يُعجِمون الفُصَحا

جَرَّتِ الحسنى غلاما ماجـدا ... لم يطُع فى الجـود إلا النُّصَـحا

طَوَّلوا فى حَلبـةِ المجـدِ له ... فمضى يَتبـعُ رأسا جَمَحا

مُنجَبًا من "آل إسماعيل" لم ... يَرِو فى الأخـلاقِ إلا المُلَحا

كيفما طارتْ عِيافاتُ النـدَى ... حَوْلَه طِرنَ يمينا سُنُحا

لا يبـالى أىَّ زندٍ أَصـلدتْ ... مَن أتى راحتَـه مقتـدِحا

كلّما ضاقت يـدُ الغيثِ بما ... ملَكتْ جاودها مُنفَسِحا

لربيب النعمـةِ آجتابَ الدجَى ... خابطٌ يُنضى قِلاصا طُلَّحا

حَمَّلَ الهمَّ وقـد أثقـلَه ... جَـلْدَةَ العظمِ أُمُونا[(١)] سُرُحا[(٢)]

تُوسِعُ البيـداءَ ظهـرا خاشعا ... فى يدِ السـير ورأسا مَرِحا

لا تبـالى ما قضت حاجتَها ... ما دَمِى من خُفِّها أو قَرِحا

حَمَلَتْ أوعيـةَ الشكرِ له ... وآنثنت تحمـلُ منـه المِنَحا

أحرز الفضـلَ طريفا تالدا ... والمعـالى خاتِمـا مُفتتِحـا

وجرى يقتصُّ مِن آياته ... أثَرَ المجـدِ طـريقا وَضَحـا

نسبٌ كيف ترامت نحـوه ... أعينُ الفخر أصابت مَسرِحا

أملسُ الصفحةِ لم تعـلَق به ... غمـزةٌ من قادحٍ ما قـدَحا

عَـوَّد البـدرَ وقـد قابله ... غُرّةً بات بهـا مسـتصبِحا

ورآه البحـرُ أوفَى جمَّـةً ... منـه بالنـائل لمّـا طفَحا

وتسامت أعينُ الشِّـعر الى ... أن يكونَ السـامعَ المتـدَحا

لم تجِـد أبكارُهُ أو عُـونُهُ ... عنك فى خُطّابهـا مُمتـدَحا

(١) الأمون : الناقة القوية . (٢) السرح : السريعة المشى السهلة السير .

غير حُرّاتٍ أراها مُهمَلا حقُّها(١) عندكُمُ مُطَّرَحا
كم ترى أن يصبِرَ الشعرُ على أن تُهينوا مثلَها أو يَصفَحا ؟
أتم آستنزلتُمُ عنها يدى بعد ما عزّ بها أن أسمَحا
ورغبتم فى علا أنسابها وكرامٍ من ذويها صُلَحا
وأرى مطلكُمُ فى مهرها دام، والمهرُ على مَن نَكَحا
وثِقَ الشعرُ بكم وآتصلتْ غفلةٌ تُخجِلُه فافتضَحا
فآعذروه إن أتى مُقتضِيا فلقد أنظَركم ما صَلَحا
ومضى حَولٌ على حَولٍ ولم يُنتِج الوعدُ الذى قد أُلقِحا
أُذكروه مثلَ ما يذكركم مُحسِنا وآستقبِحوا ما آستَقبَحا
وآعلموا أنّ قَليبَ الشكرِ إن هو لم يُمدَدْ برِفدٍ نَزَحا
وآصحبوا أيامَكم وآستخدموا فى المعالى هُجنَها والصُّرَحا
بين نيروزٍ وعيدٍ أمسيا رائدَىْ إقبالكم أو اصبحا
تَكمَهُ(٢) الأحداثُ عنكم إن رأى طرفُها غيرَكُمُ أو لَمَحا

✦ ✦ ✦

وقال وكتب بها الى أبى القاسم بن ماكولا، وقد آجتمع معه ببغداد فأنس به، ثم شخص الى البطيحة(٣) متقلدا إيّاها يتشوّقه ويمدحه ويصف السفينة

مَن الغادى تَحُطُّ به وتعلو نجائبُ من أزمّتِها الرياحُ ؟
جوافلُ، تَحسَب الظِّلمانُ(٤) منها أضاء لوجهِ قانصِها الصَّباحُ

---

(١) فى الأصل "حقا" وهو تحريف . (٢) تكمه : تعمى . (٣) البطيحة : أرض واسعة بين واسط والبصرة . (٤) الظلمان جمع ظليم وهو الذكر من النعام .

فــرّتْ كلُّ شائلةٍ (١) زَفوفٍ (٢) ... لها من غيرها اليــدُ والجَناحُ
مُلملَمــةٍ لها ظَهــرٌ مصونٌ ... وبطنٌ تحت راكبها مُتــاحُ
ترى ســوطَ الشِّمال يَشُلّ (٣) منهـا ... طــرائدَ لا يُكَفُّ لهـا جِمـاحُ
تُراوح رِجلُ سائقهـــا يديه ... ولا التعريس منـــه ولا البَراحُ
تعبُّ المـاءَ بين قذٍ وصافٍ ... اذا ما عافت الإبلُ القِماحُ
لعلّك ترتمى بك أو سيقضى ... الى المجـــد الغــدوُّ أو الرواحُ
فصُلْ ـ وخلوتَ من ولهى ووجدى ـ ... وقل ـ ولك السلامة والفلاحُ ـ
لمقتدحين فى كبدى ـ وساروا ـ ... لــواعجَ ما لقاطنهـــا بَراح :
أَظنَّـــا أنكــم بتمٍ وأبقَ ؟ ... لَبعضُ الظنِّ إثمٌ أو جُنـاحُ
ويَحسَبُ بدرُ "عِجلٍ" (٤) أنّ ليلى ... له من بعـــد غيبته صباحُ !
وأنّى بعـــده بمُنًى وحــظٍّ ، ... ينازعـنى الى جــذلٍ طِماحُ !
إذن ففركتُ بعلَ المجـد منــه ... وبِنتُ من العـلاء ولا نِكاحُ
بمَن ولمَن أريدُ القلبَ عنكم ... ليذهلَ وهو عنــدكُمُ يُراحُ ؟
ومَن بدلٌ وهل عِوضٌ وظهرى ... بكم يَعـــرَى وعزّى يُستباحُ ؟
حَملتُ فراقَكم أو قيلَ : جَـــلْدٌ ... وخلفَ حشاى أسنةٌ طِـــلاحُ
وكيف تغيضُ لى نزواتُ دمعى ... وتحت الدمع أجفانٌ قِراحُ !
فهل فيكم على العُدَواء (٥) آسٍ؟ ... فإنّ البينَ فى كبدى جِراحُ
ألا عَطفًا عــلى عيشٍ فســادٍ ... يكون له بقربكُمُ صــلاحُ
وحُرٌّ قيـــدَته لكم طليقا ... من النـاس المكارمُ والسماحُ

(١) الشائلة التى ترفع ذنبها . (٢) الزفوف : السريعة العدو . (٣) يشلّ : يطرد .
(٤) عجل : اسم قبيلة . (٥) العدواء : البعد .

وقادته لكم خِلًّا صريحا ... حبائلُ مدَّها المجدُ الصُّراحُ
وأخلاقٌ سقته فأسكرتْهُ ، ... وبعض خلائقِ الكرماءِ راحُ
نكصتُ وقد أحالَ عليَّ قِرنٌ ... له سيفانِ : شوقٌ وآرتياحُ
كأنَّ دمي الحرامَ على يديه ... بُعيدَ البينِ مالُكُم المباحُ
فمن يكُ في النوى بطلا فإنّي ... أنا المقتولُ والبينُ السلاحُ
فُجعتُ بقربكم والعهدُ طفلٌ ... وساعةُ وصلنا بِكرٌ رَدَاحُ
وما شبِعت برؤيتكم لحاظٌ ... سواغبُ لى ولا بَرَدَ آلتياحُ
وحتى بعدَ أملسَ لم تَعَلَّقْ ... له بذيول طِيبِ الوصلِ راحُ
فراقٌ سابقَ اللقيا وعطفٌ ... من الأيّام زاحمه آطراحُ
ونُهزةُ نهلةٍ لم تحْلُ حتّى ... تأجَّن ماؤها الشَّبِمُ القَراحُ (١)
كأنَّ الدهرَ قامرنى عليها ... معالجةً فخانتنى القِداحُ
لئن قَصُرت مساعيها وضاقت ... ففى الأشواقِ طولٌ وآنفساحُ
فإن كَسرتْ عصا جَلَدِى عصاها ... فما لى برجعتها صِحاحُ
وقد يلد السرورُ على عقامٍ ... ويحيا بعد ما مات المِراحُ
لعلّك — يابنَ أكرمهم يمينا ... وأقدمِهم اذا كُرِهَ الكفاحُ
وأوسعِهم قِرًى وأعمَّ قدرا ... اذا ما الكلبُ أعجزه النُّباحُ —
بقربك أن ستُخبِرُ أو سيُقضَى ... لهذا الخرقِ رقعٌ وآنتصاحُ
فترجعَ لى ليالٍ صالحاتٌ ... بكم فاتت وأيّامٌ مِلاحُ
وينبُتُ تحت ظلِّكُمُ لحالى ... جَناحٌ حَصَّه القدَرُ المتاحُ
عَلِقتكُمُ هوًى ومُنًى فما لى ... على الأيّام غيركمُ آقتراحُ

(١) الشبم القراح : البارد الصافى .

وبعتُ بكم بنى دهرى ودهرى فعــدت وملء حِضْــنىَّ الرياحُ
أقول — وقد تعــرَّم[1] جُرح حالى وسُــدَّ على مَطالِعىَ السَّــراحُ[2]
وكاشــفنى وكان مجاملا لى عَبوسُ الوجه من زمـــنى وقَاحُ
وقد مَنعتْ غضارتَهــا وجفَّتْ على أخلاقها الأيدى الشِّحاحُ — :
غدًا يا نفس فآنتظـرى أناســا هُمُ فَــرَجٌ لصــدركِ وآنشراحُ
ستطلُعُ من "بنى عيسَى" عليكِ الـ ـأكُفُّ البيضُ والغُرَرُ الصِّباحُ
ثِقِى بغـــنَى ثراكِ غــدًا براحٍ يُطَلُّ بهــا جُــدوبُكِ أو يُراحُ
ولا تتســـغَّبى أســـفا ويأســا فعنـــد مَغالـــق الأمر آنفتاحُ
سيُنهِضُ ســـقطتى منهــم غلامٌ عزائمــه الأزمَّـــةُ والصِّـــفاحُ
كريمٌ جاره حـــرمٌ منيـــعٌ عـــلى الأيّام أو حَىٌّ لَقَــاحُ[3]
كأنَّ الفضــــلَ فى ناديه صَونًا فتــاةُ الحىّ تمنعهــا الـــرماحُ
هو آبتــدأ النــدَى لم أحتســبه وأورَى لى ولم يكن آقتــداحُ
ودَرَّتْ راحتـــاه ولم تُعصَّبْ وكم مِن مُــزنةٍ لا تســتماحُ
وظنِّى أن سيشفعُها بأخرى يســابقُ ســـعيَهُ فيهــا النجاحُ
تقُوم بهــا على مَيَـــدٍ[4] قنــاتى وتُلحَمُ من خصاصــتِىَ الجِــراحُ
وتُنتَجُ من كرائم رأيـــه لى بجــانبِ جاهـــه فيهــا لِقَــاحُ[5]
وعنـــدى فى الجـــزاء مسوَّماتٌ لهــا بالشكر مَغــدًى أو مَراحُ
حُلَى الأعراضِ تضحك فى تَريبٍ لهــا عِقــدٌ وفى صدرٍ وِشــاحُ
لهــا الغرضان من معنًى دقيــقٍ تقُـــوم بنصـــره كِلَمٌ فِصــاحُ

(١) تَرَّعَ ما عليــه من لحم . (٢) السراح : التسريح . (٣) لقاح : لا يدينون للملوك ولم يصبهم فى الجاهلية سباء . (٤) الميد : الميل . (٥) اللقاح : الإبل واحدتها "لَقُوح" .

أبوها "فارسٌ" وكأنّ قومي بها "عدنانُ" أو داري "البِطاحُ"
وأفضلُ ما جَزَيت أخًا بودٍّ وإحسانٍ ثناءٌ وآمتداحُ

* * *

وقال وكتب بها الى المهذّب أبي منصور بن المزرّع يمتدحه ويهنّئه بإملاكه(١) وإعراسه، ذهابا مع مودّة واحدة بينهما، ترتفع مع حقوقها المنافسة وتجب المساعفة(٢)، وكان قد قدِم من سفرةٍ طويلة

قُلْ للزمان : صُلْحا قد عاد ليلِي صُبحا
جادَ فزار قمرٌ كان لَوًى وشَحَّا
يلبَس جِنحا من دجى الـ ـليل وينضو جِنحا
فَرَدَّ ريحًا ناشقا "كاظمةً والسَّفحا"
كأنّ فأرَ(٣) تاجرٍ أنحى عليها ذبحا
يبعثُ منها بُرْدُه مع النسيم نَفحا
غلّس شوقا وأصا ب فُرصةً فأضحى
طال به الليلُ نعيـ ـما والنهارُ سَبْحا
يا لَسَقامِ آملٍ بَرَا(٤) به وصَحَّا
ورشفةٍ كانت على نارِ حشاى نَضْحا
رشّ الغليلَ بَرْدُها وبلَّ ذاك البَرْحا
كانت سبارَ(٥) كبِدى وكان شوقِي جُرحا
سل ظبيةَ الوادى تُلْـ ـسْ بانَهُ والطَّلحا،

(١) الإملاك : التزوج . (٢) بالأصل "تعريسه" وهو تحريف، والإعراس بناء المرء على أهله وهو الذى يريده الشاعر كما تدل على ذلك أبيات القصيدة . (٣) الفأر : نافجة المسك وقد تقدّم . (٤) يريد "برأ" وقد سُهّلت همزتها، وفى الأصل" برأيه" . (٥) السبار : ما يسبر به الجرح .

لهـا "بنعمانَ" طَلًا (١) تَـاوِى عليـه الكَشْحا :
أأنتِ أم "ظمياءُ" زُر تِ لاغبين طُلْحا ؟
تَوسَّـدوا مَناسمـا ورُكُباتٍ قُـرْحا
أم جئتِنـا بسِـحرِها تلفّتـا ولحَـا ؟
قاربتِهـا مـلاحة وفَضَـحتِك مِـلْحا
يا آبنـةَ أمّ البـدر يا (٢) أختَ نجـومِ البَطحا
إِسـاءةً ومَـلَلا (٣) أزدْ أسًى وصـفحا
لَحَا عليـكِ حاسـدٌ وحيثُ رُدَّ لَحَّـا
حُبُّـكِ خَرْقٌ لا أرى له المـلامَ نَصْـحا
فالعـذلُ غِشٌ لى واو مات العـذولُ نُصْـحا
أنـكَرتِ آبتسامَ أيّـ امى وكنَّ كُلْحا
وأبصرتْ جِـدّى غدا فكاهـةً ومَـزحا
وما أحسّتْ أنّ ربـ عَ الهـمِّ قـد أمحّا (٤)
وأعذبَ الشّربُ الذى كان الأُجَاجَ المِلْحا
أضحت خُطا البينِ الـ ىّ باللقـاء تُمحَى
وعاد "بالمهـذّبِ" الـ دهرُ البخيـلُ سَمْـحا
أهلا — وقد مات الحيا حـتى أمات السّرحا
وكَشَرتْ دُرْدًا سـنو نَ أربـعٌ وقُلْـحا
وعاد ضرعُ النـابِ (٥) من تحت العصابِ قَرْحا (٦)

---

(١) الطلا : ولد الظبي . (٢) فى الأصل "الغدر" . (٣) يريد "زيدى إساءة وملا" .
(٤) أمحّ : عفا . (٥) الناب : الناقة المسنّة . (٦) القرح : الجرب الشديد .

بغــرّةٍ تزيــدُ فى ليــلِ الجــدوب قَدْحا
وبيَــدٍ يُعــدى ندا ها المُحــزِنَ الرَّشْحا (١)
إن قَطَــرَتْ فوابــلا أو هَطَلَتْ فسَــحًّا
ميمــونةٍ ما مســحَتْ بساطَ أرض مَسْحا ،
إلّا كستْ غــدائرا هـامَ رباهـا الجُلْحا (٢)
لا تعجبوا إن أصفرتْ ومُــوّلَ الأشــحّا
هل يَسمنُ العودُ يُشظَّى أبــدا ويُلْــحَى (٣) (٤)
لو أنهــا بحــرٌ لأفنَتْهــا الحقــوقُ نَزْحا
ومرحبًا بهنّ أخلاقا رِطابا سُمْــحا (٥)
اذا السجايا فَتَرتْ عدنَ نشاوى مرْحا
أبلجُ زكّاه النــدَى فما يخاف جَــرْحا
جهِــدتَ ياعائبَــهُ فهل وجــدتَ قَدْحا ؟
تنــحَّ عن مكانه من العــلا ! تنحّــا
يا بن " علىٍّ " قُــمْ الأشــراطَ جُذْعا قُرْحا
علوتم النــاسَ ترا با والنجــومَ سَــطحا
لم تدَّعــوا رِبابــةً للجــد تحــوى قَدْحا ،
إلا لكم فــورتُها (٦) منحا بهــا وسنحا
طينــةُ بيتٍ أرضُــه فــوق السماء تُــدْحَى

---

(١) المحزن : جمع لحِز وهو البخيل . (٢) الجلح جمع جلحاء وهى التى انحسر شعر رأسها
(٣) يشظّى : يشقّق . (٤) يلحَىْ : يُقشر . (٥) سمحا : كريمة . (٦) الفوره : سَراة الجبل ومتنه وهو هنا مجاز .

ودوحـــةٌ أفـــرط فيـ ـها من أطال السَّـــرحا [1]
بثُمْـــرِكُم [2] حامـــلةٌ ولم تُهجِّنْ لَقَـــحا
جُمْـــلةُ مجـــدٍ كنتمُ تفصـــيلَها والشَّـــرحا
كلُّ غـــلامٍ كافـــرٍ [3] تحت اللثامِ الصُّـــبحا
يَفـــرَعُ [4] من شَـــطاطِهِ قبـــلَ الركوبِ الرُّمحا
يرمى بعينيـــه طُمو حا فى العـــلا وطرحا
كما تَفـــعَّى [5] أرقـــمٌ [6] بالرمـــل يُذكِى اللمحا
اذا أحسَّ نبـــأةً [7] كشَّ [8] لها وفحَّا [9]
علِقتُـــكم تحت شنـــو فِ الدهرِ بُلجا [10] قُـــرحا [11]
وبعتُ من بعتُ بـــكم فعَبَّ بحـــرى [12] رِبحا
زوّجتُ آمالى بـــكم فـــوَلَدتْ لى النُّجحا
لـــولا هَنـــاتٌ كالشِّرا رِ يلتمعن لَفَـــحا
وغفـــلةٌ تُحـــرِق فى وجـــهِ الجمالِ القُبحا
وحاجـــةٌ تَحفِـــزنى يُضرَبُ عنها صـــفحا
وكم غضبتُ ثم عـــد تُ أستميح الصُّـــلحا
وشـــفَعتْ نفسى لـــكم لحال عنـــى مـــدحا

---

(١) السرح جمع سرحة وهى الشجرة العظيمة ، وفى الأصل "الشرحا" وهو تحريف . (٢) جمع الثَّمَر ثِمار وجمع الجمع ثُمُر ككتب وسكّنت الميم للضرورة . (٣) كافر : ساتر وفى الأصل "مكفر" .
(٤) يفرع : يطول و يعـلو ، وفى الأصـل " يقرع " ، والشـطاط : حسن القوام واعتـداله .
(٥) تفعّى : تنكّر . (٦) الأرقم : الثعبان . (٧) النبأة : الصوت الخفىّ . (٨) كشّ : صات من جلده لا من فيه . (٩) فحّ : صات من فيه . (١٠) بلجا جمع أبلج وهو المشرق الوجه ذو الكرم والمعروف . (١١) قرحا جمع أقرح وهو الأغر . (١٢) فى الأصل "بحرى" .

يا بدرُ، هذى الشمسُ مهـ ـداةٌ اليـك نِكحا
ففز بها وقل لها : نصرا بكم وفتحا
مَلَكتَ "بِلقيس" (١) بها وما نقلتَ الصَّرحا
أقررتَها عينا وأعـ ـينُ الأعادى قَرْحى
وآجتـلِ نجما مشرقا (٢) منها وصُبحا صُبحا
وآذخرْ ثنائى لبنيـ ـك كيمياء صحّا
أنظم منه لهُمُ قلائدا ووُشُحا
يَخطِر فيها الحَضَـ ـرىُّ بدوياً لَحّا
يتلون منه ما تلو ن خطباء فُصْحا
ما أرقص الأيكَ الحما مُ طربا وسجحا
وما جرى الصومُ وجا ء الفطرُ يحدو الأضحى

* * *

وقال وكتب بها الى الشريف الأجلّ الذكىّ ذى النباهتين أبى على عمر بن محمد السّابُسى، وقد كاتبه دفعات ٱبتدائياً، وكتب يخطب فيها ودّه و يمدحه، و يسأله نسج الحال والمودّة بينه، وأنفذها الى الكوفة فى رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة

سَلْ فى الغضا ـ وصَبا الأصائل تنفحُ ـ : هل ريحُ "طيبةَ" فى الذى يُستروَحُ ؟
وهل النوى ـ وقضاؤها متردِّدٌ ـ تركتْ "برامةَ" بانةً تترنّحُ ؟
أم شقّ ليلَ "الغورِ" عن أقمارِهِ بعدى يدٌ تمطو (٣) وطرف يطمحُ ؟

(١) بلقيس : اسم الملكة التى تزوجها سيدنا سليمان عليه السلام وسيرة نقل عرشها جاء بها القرآن الكريم فى سورة النمل . (٢) هذه الكلمة ليست بالأصل وقد رجّحناها لأتزان الشطر و إتمام معناه .
(٣) تمطو : تمدّ .

أهلُ "القباب" — ومن بهم لمصفَّدٍ ... بالبعد أتلعَ "بالعراق" وأبطحوا —

جعلوا "اللّوى" وعدَ اللقاء فقرّبوا ... ورمتْ "تهامةُ" دونهم فتنزّحوا

ووراءهم "بينُ الغوير" وهامـةٌ ... رعناءُ(١) من "أجإٍ"(٢) ورحبٌ صحصحُ(٣)

وسيالُ(٤) "طيٍّ" في رءوس صعادِها ... والخيــلُ تزبُنُ(٥) في الحــديد وترمحُ

فمن المطالبُ والغــريمُ "ببابلٍ" ... والدَّينُ يحجبه "الأراكُ" و"توضِحُ"(٦)؟

يا موردي "ماءَ النخيل" هنـاكمُ ... أن تعذِبوا وشُروبُ "دِجلةَ" تملحُ

هــل في القضــيّةِ عندكم من نهلةٍ ... تَروَى بهــا هــذي القلوبُ اللُّوَّحُ؟

تَرِدُ الغــرائبُ آنساتٍ بينـكم ... وأســيركم يجِــدُ الفراتَ فيَقمَحُ

لا سكرةُ البلوى "ببابلَ" بعــدكم ... تصــحو ولا ليلُ البلابلِ يُصبِــحُ

كم سهمِ رامٍ عنــدكم أهدفتُــه ... قلــبي ولكن تقتلون ويجــرحُ

وتمايحت لي ظبيةٌ "غــوريّةٌ" ... سنحتْ وظبيتكم "بنجــدٍ" أملحُ

إمّا بدتْ عنكم "بَسيطةُ عامرٍ" ... "فطَراةُ شَيبةَ"(٧) بالمَناسم يُرضَحُ(٨)

"والجُرّتان" وزندُ ناجرَ فيهمــا ... إمّا يَشُبُّ لظًى وإما يقــدحُ

فلكمْ على "الزوراءِ" من متعلّقٍ ... بشكيمتي شــغفا ورأسي يجمحُ

وكريمــةِ الأبوين أطرُقُ بيتَهــا ... والليــلُ بابنِ سمائه متوضّحُ

وعليّ من ثوبَيْ هــواي وعفّــتي ... شــوقٌ يُبَــلُّ وخَــلوةٌ لا تَقبُحُ

ومحجّب الأبوابِ في رَيْعــانه ... أضحت مَغالقُــه لشــعري تُفتحُ

تتراحــم الآمالُ حــولَ بســاطه ... عِظَمًا ولي منــه المكانُ الأفيحُ

---

(١) رعناء : شاهقة . (٢) أجأ : اسم جبل . (٣) الصحصح : ما استوى من الأرض .
(٤) السيال : شجر ذو شوك ، والصعاد جمع صعدة وهي القناة . (٥) تزبن : تدفع . (٦) توضح وما قبلها أسماء مواضع . (٧) طراة شيبة : اسم جبل . (٨) يقال : رضخ الحصى : كسره .

رفضَ الكلامَ الوغــدَ يَعلم أنه / يُهجَى – سوى فِقَرِى – بما هو يُمدَحُ

ومشى يجُــرُّ قــلائدى متخايلا / فيهــا يُقــلَّد دُرَّهــا ويُوشَّحُ

وعلى "السَّدير" و"حيرة النعمان"(1) لى / من خاطبٍ لو أنّ ودّى يُنكَحُ

وفتًى، ذؤابةُ "هاشــمٍ" آباؤه / دينًا وبيتاه "مِنًى" و"الأبطحُ"

رضَـعَ النبوّةَ وٱرتَبى فى حجرهـا / جَذَعا على طول الإمامة يَقــرَحُ

ورمَى بطَرفِــه السماءَ فلم يفت / طَرفَه من مَلَك "المجرّة" مَطرَحُ

"عَمرُو العُلا" أدّته عن "عَمرِو العلا" / أمٌّ متمّمــةٌ وفحــلٌ مُلقِــحُ

شرفٌ الى "الزَّهراء" مَسرى عرقِهِ / وعلى "الوصىّ" فروعُــه تترشّحُ

تتهـابطُ الأمــلاكُ بين بيوته / وتطــير وهى بهَــديه تَستنجحُ

يا راكبَ الوجناءِ، ينقل رحلَهُ / عنــقٌ لهــا ذُلُلٌ وذيلٌ مِلوحُ(2)

تمضى عزوفا لا تُغَــرّ ببــوّها / يُلقِى السقائطَ(3) بالفــلاةِ ويَطــرَحُ

وإذا أراهــا الخِمسُ ماءَ عشــيّةٍ / عدّته قانعــةً لآخرَ يُصبِــحُ

بلّغ كأنك مُفصحا "غيلانُ" وٱنـ / ـفضِ الطريقَ كأنّ عنسَك "صيدحُ"

"الكوفةَ البيضاءَ": أنّ "بجوّها" / قمــرا تُغــاظ به البــدورُ وتُفضَحُ

عَرّجْ وقُل "لأبى علىٍّ" مالئــا / أُذُنَيــه: حيّتك الغــوادى الرُّوَّحُ

وسقتك كفُّك فهى أغزرُ ديمــةً / ما قلّصتْ عنــك السحابُ الدُّلَّحُ

وٱزداد مجــدُك بَســطةً وإنارةً / وعلوُّ جدّك والجــدودُ تُطــوَّحُ

فتَّ الصــفاتِ فلجلجَ المثنى بما / تولى وأعجــمَ فى علاك المفصحُ

فالبــدرُ تمٌّ وأنت أكملُ صــورةً / والبحرُ عمٌّ وأنت منــه أسمــحُ

---

(1) بالأصل "جيرة". (2) ملوح: كثير الإلاحة. (3) السقائط جمع سُقاطة وهى ما سقط من الشيء.

وَالخـادرُ(١) الحـامِي حِمى أشبـالِهِ ... لك عن وليجةِ غابه يتزحزحُ
تركتْ سيادتَهـا العشيرةُ رغبـةً ... لك فى اقتبالك وهى بُزْلٌ قُــرَّحُ
ورأتْ زئيرَك دونهـا فتأخّرت ... وثعـالبُ الأعداءِ فيهـا تَضـبَحُ
جمَّعتَ ألفــةَ عزِّها ، وعَزيبُهـا ... بقنا العـدا طردا يُنَسّـلُ ويُسرحُ
وشفَتْ سيوفُك من بنى أعمامهـا ... داءً تَضيـقُ به الصـدورُ وتَبرحُ
دَيْنٌ شكوت الى الحسامِ مِطـالَهُ ... فقضاه، والسيـفُ المشاوَرُ أنصحُ
دِمَنٌ على القُـربى تزيدُ عداوةً ... لخروقُهـا ما بينكم لا تُنصَـحُ
حسدوا تقــدُّمَ فضلكم لحقودُهم ... لا تنطفِى وفسادُهــم لا يَصلحُ
زحموك أمسِ فعاركوا ملمومةً ... صمّـاءَ يُوقِصُ(٢) ركنُها مَن ينطَحُ
فسقيتهم كأسا مُجاجتُهـا الردى ... شربوا على كرهٍ لهـا ما يُجــدَحُ(٣)
يا جامعَ الحســناتِ وهى بدائدٌ ... ومُرِبٍ روضِ الفضلِ وهو مُصوِّحُ
كفٌّ تخفُّ مع الرياح سمـاحةً ... ومهابةٌ تزن الجبـالَ وتَرجَحُ
قد جاءت الغـــرر الغرائبُ طُلَّعا ... كالشهب تَثقُبُ فى الدجى وتلوِّحُ
ثمـرٌ بغرسِك قد حلتْ مجتنـاتُهُ ... ونتائجٌ من بحـــر فكرك تُلقَحُ
فنطقن والأشعار خُرسٌ عنـــدنا ... ونجون سبقا والقـــوافى طُلَّحُ
فكأنَّ روضَ الحَزْنِ تنشره الصَّبا ... ما ظَلْتُ من قرطاسها أتصفَّحُ
فسوادُها من ناظـرى ما يَمَّحى ... وسَــدادُها من خاطرى ما يَبرحُ
ألّفتُهـا من جوهرٍ فى النفس لا ... يَفنَى ومعدنِ فكرةٍ لا يُنزَحُ
نَظَمتْ لِيَ الحُسنَ المبرّزَ والهـدَى ... فكأننى بنشـيدهنَّ أسـبِّحُ
وأمَا وذَرعِك فى العــلاء فإنه ... قَدَمٌ لباعِ الصـدقِ فيـه مَسرَحُ ،

(١) الخادر : الأسد . (٢) يوقص : يقال أوقص عنقه أى دقها . (٣) يجدح : يخلط .

ما خلتُ صدقَ القول شخصا ماثلا يُهـدَى وأنَّ الرفد سِحـرٌ يُمنَحُ
جاريتُهـا متحذِّرا من سبقها والبرقُ يكبو عن مداى ويُكبَحُ
ومتى أقــوم مكافئـا بجزائهـا ونداك مفـتَرَعٌ بهـا مسـتفتَحُ
كرمٌ تطلَّع من شريفِ خلائقٍ أصفَى من المزن العِـذابِ وأسجَحُ
لم أرمِـه بسهـام تقـديرٍ ولم أطـرح له الآمالَ فيما أطـرحُ
فلترضينَّك — إن قبلتَ — معوضةٌ ممـا أصونُ " بحائلٍ " تتنفَّحُ
سـيّارةٌ فى الخافقين فذكرُها ذِكرُ الغـمائم باكرٌ مترَوِّحُ
تَجزى الرجالَ بصـدقهم فصديقُها فى غِبطـةٍ وعدوُّها لا يفـرحُ
مجنـوبةٌ لك لا تزال جِباهُهـا أبدا على السّـبق المبرِّج تُمسَحُ
فامددْ لهـا رسَنَ الرجاءِ فإنهـا بالودِّ تُشْـكُمُ(١) والكرامةِ تُشـبَحُ(٢)
مهما تُعـرِّضُ للرجالِ بدِينِهـا فديحُهـا لك بالغـلوِّ يُصرَّحُ

* * *

وقال وكتب بهـا الى زعيم الملك أبى الحسن بن عبـد الرحيم يهنّئه بالمهرجان ويشكر مراعاته

أتكتُمُ يومَ " بانةَ " أم تبوحُ ؟ وأجدرُ لو تبـوحُ فتسـتريحُ !
حملتَ البينَ جَلْدا والمطـايا بَوازِلُهـا بمـا حَمَلَتْ طُـلوحُ
وقمتَ وموقفُ التـوديع قلبٌ يطـير به الجـوى وحشًا تَطيحُ
تَلاوذُ(٣) حيثُ لا كبِـدٌ تلظَّى بمَعتبـةٍ ولا جفنٌ قـريحُ
فهل لك غير هـذا القلبِ تحيـا به أو غير هـذى الروحِ روحُ ؟
لعمرُ أبى النوى لو كانَ موتا جَنَتْ لك فهـو موتٌ لا يريحُ

---

(١) تشكم : يُسَدُّ فوها بالشكيمة . (٢) تشبح : تُقيَّد . (٣) تلاوذ : تلوذ .

يفـارِقُ عاشـقٌ ويمـوتُ حىٌّ وخيرُهمـا الذى ضَمِنَ الضريحُ
وقال العاذلون : البعدُ مُسْلٍ فمـا لجواك ضاعفـه النزوحُ !
وفى الأظعانِ طالعـةٌ "أُشَيَّا" أبو لونين مَنّاعٌ منـوحُ
سـلافةُ ريقـه بَسْـلٌ حرامٌ ووردةُ خـدّه مما يُبيـحُ
اذا كتمتْه خالفـةٌ[(١)] وخِـدرٌ وشى بمكانه المسـكُ النضيحُ
أسارقه مُسارَقةً ودونَ الـ خِلاطِ به الأسِـنّةُ والصفيحُ
ولم أرَ صادقَ العينين قبـلى أضـلَّ فـدلَّه شـمٌّ وريحُ
أيا عجبا يُهتِّـكُ فى سـلاحى — وقد حطم القنَا — طرفٌ طموحُ
ويقنصنى على "إضم" — وقدما قنصتُ أسـودَها — رشأٌ سَنيحُ
رمَى كبدى وراح وفى يديه نُضوح دمى، فقيل : هو الجريحُ
وأرسـلَ لى مع العُـوَّاد طيفا يُرِى كرما وصاحبُـهُ شحيـحُ
إذا كَرَبَ[(٢)] الرمىُّ يُبِـلُّ[(٣)] شيئا ألمَّ فدمَّيَتْ تلك القُـروحُ
فقال : كم القنوطُ وأنت تحيـا وكم تأتى الغنىَّ وتسـتميحُ ؟
شكوتَ، ومَن أرى رجلًا صحيحٌ ! فقلتُ له : وهل يشكو الصحيحُ ؟
فما لك يا خيالُ — خلاكَ ذمٌّ — أتاحك لى على النأى المتيـحُ !
فكيف وبيننا خيطا "زَرودٍ" قَرُبتُ عليـكَ، والبـلد الفسيحُ !
أعزمٌ من "زعيم الملك" تَسرى به أم من ندَى يده تَميـحُ ؟
حملتَ اذًا على ملكٍ كريم الى رحلى يعـودُ بك "المسيحُ"
وجئتَ بنائلٍ لا البحرُ منـه بمنتصِـفٍ ولا الغيثُ السَّفوحُ
حَمَى اللهُ ابنَ منجبـةٍ حمانى وقد شُـلّت على الراعى السُّروح

(١) الخالفة : عمود من أعمدة البيت فى مؤخره . (٢) كرب : قرب . (٣) يُبِلُّ : يشفَى .

(٨٨)

وســـدَّ بجوده خَـــلَّاتِ حالى ... وقد ضعفتْ على الخَرْقِ النُّصوحُ
تكفَّلَ من بنى الدنيا بحاجى ... تَنَــوجُ فى عقائمها لَقــوحُ
تفــرّغ لى وقد شُــغِلَ المُواسى ... وخالصنى وقد غُشَّ الصــريحُ
وقام بنصرِ ســـؤدُده فسارتْ ... مَطالعُــهُ وأنجمهـــم جُنـوحُ
حَلَتْ مِدَحِى لقـــومٍ لم يَهشّــوا ... وغنّاه فأطـــربه المـــديحُ
كأنّ الشعرَ لم يُفصــحْ لحيٍّ ... سواه وكلُّهـــم لَحِنٌ(١) فصيحُ
جــوادٌ فى تقلُّبِ حالتيـــه ... فلا سَـعةٌ تَبين ولا رُزوحُ
اذا قامت له فى الجـود ســوقٌ ... فكلُّ مُتاجرٍ فيها رَبيــحُ
تمرَّن فى السيادة منـه ماضٍ ... عـــلى غُـــلَوائه لا يســتريحُ
جَرَى متـــدفقا فى حلبتَيها ... كما يتـــدَفّق الطِّرفُ السَّــبوحُ
وجمَّــع مُلكُ "آل بويه" منه ... على ما شتّت "الكافى" النصيحُ
يقلِّبُ منـــه أنبـــوبا ضعـــيفا ... تَدينُ له الصـــفائح والسريحُ(٢)
وكان الفارسَ القلَمىَّ يُبلى ... بحيث يُعـــرِّدُ(٣) البطلُ المُشـــيحُ
ورَى بضيائه ـــ والليلُ داجٍ ـــ ... خُفوقَ النورِ منبلجٌ وَضــوحُ
أضـــلَّ الناسَ فى طرق المعالى ... سبيلًا بين عينيـــه يلوحُ
وضمَّ الحبـــلَ مُحـــلَوْلىً مَريرًا ... أخو طعمينِ متقمٌ صفوحُ
فيـــوم الأمنِ وَرّادٌ شروبٌ ... ويوم الغبنِ عيّافٌ قَمــوحُ
"أبا حسنٍ" عدوّك من تَرامَى ... به الرَّجَوانِ(٤) والقـــدَرُ الجَموحُ
الى متمـــرِّدِ المهوَى عميـــقٍ ... فتطـــرحه مَهالِكُهُ الطَّـــروحُ

---

(١) اللحن : الفطن . (٢) السريح من الخيل : المُعْرَى . (٣) يعرّد : يفرّ ويهرب .
(٤) الرجوان مثنّى رجا وهو ناحية البئر ويقال : "رُمِىَ به الرَّجوان" من باب الاستهزاء كأنه رُمِىَ به رجوا بئر .

تفـــرَّس فى الغزالةِ[1] وهو أعشى ليقـدَحَ فى محاسنهـا القَــدوحُ
ينـاطحُ صخـــرةً بأجَـــمَّ[2] خاوٍ أيا سَرْعانَ ما حُطِمَ النطيحُ
بحقك ما أبحتك من فؤادى مضـايقَ لم ينلهـا مسـتميحُ
أصـارك وهى خافيـــةٌ اليهـا ووادُك لى ونائلك السـجيحُ[3]
فإن أحرستَ ريبَ الدهر عنّى بعونك والنـــوائبُ بى تَصيحُ ،
ولم تبْعَلْك[4] بى مـــترادفاتٌ من الحاجاتِ تغـدو أو تروحُ ،
وغـــيرك حامَ آمالى عِطاشا عليـــه وما يُبَـــلُّ لهنّ لُــوحُ[5] ،
تَزاورَ جانبـا عن وجه فضلى فضاع عليـــه كَوكَبِىَ الصبيحُ ،
جفانى لا يَعُـــدُّ علىَّ ذنبـا بأعـــذارٍ وليس لهـا وضوحُ ،
أعاتبُـــه لأنقــلَه ويعيـا بنقلٍ "يَلَملَمَ" اليومُ المُــريحُ ،
وكم أغضيتَ إبقـاءً على ما أتى وســترتَ لو خَفِىَ القبيحُ ،
فلا تعــدَمك أنتَ مكرراتٌ على الآفاق تقطُنُ أو تَسيحُ
لهـا أرَجٌ بنشرك كلّ يومٍ على الأعراض ضَوعتُه تفـــوحُ
تَصاعَدُ فى الجبـالِ بلا مَراقٍ ويَقـذِفُ فى البحار بهـا السُّبوحُ
تمرُّ عليـكَ أيّامُ التهـانى ومنهنّ المبـارَكُ والنجيحُ
بجيـدِ المهرجان وكان عُطْلا قلائدُ من حلاها أو وُشــوحُ
بشائرُ أنّ عمرَكَ فى المعـالى يَعُـدُّ مُضاعِفا ما عَدَّ "نوحُ"

---

(١) الغزالة : الشمس . (٢) الأجمّ : الكبش لا قرن له . (٣) السجيح : الغزير .
(٤) يقال : بعل بأمره : بَرِمَ فلم يدر ما يصنع . (٥) اللوح : العطش .

***

وقال وكتب بها الى ناصر الدولة أبى القاسم بن مكرم، وأنفذها الى عمان على يد صاحبه وذلك فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة

لمن صاغياتٌ(١) فى الحبالِ طلائحُ ... تسيلُ على "نعمانَ" منها الأباطحُ

تخابط أيديها الطريقَ كأنها ... مَوائرُ فى بحر الفلاة سوابحُ

دجا ليلُها وهى السهام تقامُصا ... فلم ينصرم إلا وهنّ طرائحُ

كأنّ الوجى(٢) سرٌّ تخاف انتشارَه ... فمنها مُرِمٌّ(٣) بالتشاكى وبائحُ

حَمَلْنَ شموسا فى الحُدوج غواربا ... وليلُ السُّرَى منهنّ أبلجُ واضحُ

ينوء بها أن القدودَ خفائفٌ ... ويُظلِعها أن المتونَ رواجحُ

وفيهنّ منصورُ السهام مسلّطٌ ... لعينيه أن تَدْوَى(٤) القلوبُ الصحائحُ

يطير جُبَارا(٥) ما أراقت لحاظُه ... اذا وُقِّيتْ حكمَ القصاصِ الجرائحُ

رمانى ونسكُ الحجّ بينى وبينه ... ولم يدر أنّ الصيد فى الحجّ قادحُ

طرحتُ "بجَمْعٍ" نظرةً ساء كسبُها ... وتبعثُ شرًّا للعيون المطارحُ

فإن سترتْ تلك الثلاثُ على "مِنًى" ... هواى فيومُ النَّفرِ لا شكّ فاضحُ

بكيتُ ولامَ العاذلاتُ فلم تفِضْ ... على رُقيةِ العذلِ الدموعُ السوافحُ

ولم أرَ مثلَ العينِ تُشفَى بدائها ... ولا كالعذول يُحتوَى وهو ناصحُ

أمنكِ ابنةَ الأعراب طيفٌ تبرّعتْ ... به هَبّةُ التغويرِ والليلُ جانحُ؟

طوى "الرملَ" حتى ضاق بينى وبينه الـ ... ـعناقُ وما بينى وبينك فاسحُ

فباتَ على ما ترهبينَ ركوبَه ... هجوما وفيما تمنعين يسامحُ

(١) الصاغيات : المائلات . (٢) الوجى : الحفا . (٣) المرمّ : الساكت .

(٤) تدوَى : تمرض . (٥) جُبارا : هدرا .

رَعَى اللهُ قلبـا ما أبرَّ بمن جفا ... وأثبتَ عهــدًا والعهــودُ طوائحُ
وأوسـعَ ذَرعا بالوفاء وصــونِه ... اذا ضاق ما تُطوَى عليــه الجوانحُ
عذيرىَ من دهرى كأنى أريده ... على الودّ سَلمـا وهو قِرنٌ مكافحُ
وصحبـةِ خَوّانينَ، بائعُهم وإن ... تَكثَّر منهـم بالتوحُّــدِ رابحُ
أخوهم أخــو الذئب الخبيثِ يَدلُّه ... على الدمِ ما تُملِى عليــه الروائحُ
وأيدٍ سِــباطٍ⁽¹⁾ وهى بالمنع جَعــدةٌ⁽²⁾ ... تلاطمنى منهـا اللواتى أصافحُ
يضىء على أبصارهم ضوءُ كوكبى ... وموضعُه من مطالِع الفضــل لائحُ
قعدتُ مع الحرمانِ بينَ ظهورهم ... وطائرُ حظّى لو تعيَّفتُ سانحُ
لقد كان لى عن " بابلٍ " وجُدوبها ... مذاهبُ يتــلوها الغِنى ومَنادحُ
تركتُ عبابَ البحــر والبحرُ مُعرِضٌ ... وأمّلتُ ما تَسق الرَّكايا النــوازحُ
ولو نهضتْ بى وثبــةُ الجَدّ زاحمتْ ... على المـاء هذى الآبيـاتُ القــوامحُ
إذًا لسقاها "ناصرُ الدين" ما آستقتْ ... كُبودٌ حِرارٌ أو شِــفاهٌ مَلاوحُ
وقد كانت " الزوراءُ " دارَ إقامةٍ ... ومَنْعَمةٍ فيهـا المُنَى والمَفـارحُ
زمانَ العُــلا محفــوظةٌ فى عِراصِها ... ثِقـالٌ وميزانُ الفضـائلِ راجحُ
فقــد حُوِّلتْ تلك المحاسنُ، وآنتهتْ ... الى غيرها فى الأرض تلك المَنائحُ
وأضحتْ " عمانُ " للمكارمِ رُحلةً⁽³⁾ ... تُراحُ عليهـا المتعبـاتُ الروازحُ
بها المُلكُ طَلْقٌ والمغانِى غَنيَّــةُ الـ ... ـرُّبا ومسـاعى الطالبين مَناجحُ
يضوع ثراهـا بالنــدى فتخالهـا ... رياضـا وكانت قبــلُ وهى ضرائحُ
يدبّرها سَــبطُ اليدينِ، بنـانُه ... لمقفَل أرزاق العبـاد مَفاتحُ

---

(١) سباط: كريمة لينة. (٢) جعدة: شحيحة جامدة. (٣) الرُّحلة بالضم: المكان يقصده الراحل.

صفا جوُّها بعــد الكدور بعــدله ... وطابت حسـاياها(١) الجباتُ(٢) المَـوالحُ

فـا غــيرها فوق البسيطة للعـــلا ... مقَــرٌّ، عـلى أن البلاد فسائحُ

ولا مَلِكٌ إلا وفضــلةُ ربّهـا ... عليــه اذا عُــدَّ الملوكُ الجَحاجحُ

بهمّة محيي الأمّـة آجتمعت لهـا الـ ... ـبدائدُ وآنقادت اليهـا الجـوامحُ

بأروعَ، وسمُ الملكِ فـوق جبينـــه ... ـ اذا آرتابت الأبصارُ ـ أبلجُ واضحُ

اذا نُسِبَ الأملاكُ لم يَخش خجلةَ الـ ... ـدعاوى ولم تدخل عليـــه القوادحُ

من النفَـر الغـــرّ الذين ببأسهم ... ونعمائهـــم تُلقَى الخطوبُ الفوادحُ

اذا ما دجت عشواءُ أمرٍ فأمرُهــم ... ونَيرُهُـــمُ شـــهبٌ لهـا ومَصابحُ

لهـــم قصباتُ السبق فى كلّ دولة ... هـــم السرُّ(٣) منهـا والعتاقُ الصرائحُ

ينالون أقصَى ما آبتغوه بأذرع ... مَخاصرُها(٤) صُمُّ القنا والصـفائحُ

أصولُ عـــلًا منصورةٌ بفـــروعها ... اذا غاب مُمسٍ منهـــمُ هبَّ صابحُ

ورَبَّ "يمينُ الدولة" المجدَ بعـدهم ... كما ربَّت الروضَ الغيـوثُ السوافحُ

جرى جريَهـــم ثم آستتمّ بسبقه(٥) ... وكم وقفتْ دون الجِـــذاع القوارحُ

همــامٌ مع الإصرار مُصطلِمٌ(٦) لمن ... عدَى ومع الإقـرار بالذنب صـافحُ

تســنَّم أعوادَ الســـرير محجَّبٌ ... لواحظُه شرقا وغــربا طــوارحُ

يُراصِدُ مجرَى الأرض رجْعاتُ طَرفه ... كما ركبَ المَــرباةَ أزرقُ لامحُ(٧)

ألا أيّهـا الغادى ليحملَ حاجتى ... لعلّك إن بُلِّغتَ بالنُّجح رائحُ

أعد فى مقـــرّ العـــزّ عنى تحيّـــةً ... يُذكِّى النســيمَ طيبُها المتفاوحُ

(٩٠)

---

(١) الحسايا جمع حَسِيَّة وهى كل ما يُحتَسَى، وفى الأصل "حشاياها" وهو تحريف . (٢) فى الأصل "الجنات" وهو تحريف أيضا . (٣) السر : اللُّبّ : (٤) المخاصر جمع مِخصرة وهى ما يأخذه الملك بيده يشير به اذا خاطب . (٥) فى الأصل "بسيفه" وهو تحريف . (٦) مصطلم : مستأصل . (٧) الأزرق اللامح : البازى .

وقل : عبدُك المشتاقُ لا عهدُه عفا ... ولا وجدُه — إن نُقِّلَ الوجدُ — نازحُ
ومن لم يُخَيَّبْ قطّ عالى ظنونِه ... لديك ولم تُخْــدِجْ (١) مناه اللواقحُ
وأغنيتَــه عمّن سواك فلم يَبُلّ ... جفا مانــعٌ أو بَرّ بالرفــد مانحُ
قَليبٌ، قريبٌ لى "ببغــداد" ماؤها ... ومنبعُها شحــطَ النــوى متنازحُ
لهـا كلّ عامٍ من سماحـك ناهزٌ (٢) ... ومن عهدك الوافى رِشاءٌ وماتحُ
اذا ما آستدرَّ الشكرُ سلسالَ صَوبِهـا ... وجاءك عنى تمتريهـا المــدائحُ
أتتنى وبطنُ البحر ظهــرُ مطيِّهـا ... فــروّتْ غليلى والسفينُ النواضحُ
وما زادها التنقيصُ إلا غَــزارةً ... وإلا صــفاءً طولَ ما أنا نازحُ
تبُلُّ ثرى أرضى وجســمِىَ وادعٌ ... وتُثمــرُ لِأَبنِى وهو ساعٍ مُكادحُ
كلانا سُقِى من عفوِها وزُلالهـا ... وإن حبســتنى عُقْلتى (٣) وهــو بارحُ
فللهِ مولًى منــك ما لِىَ عنــده ... ومَتجــرُ من يُدلِى بجاهِىَ رابحُ
وها هـــو قد كرّت اليــك رجاءَهُ ... سوائرُ حاجٍ طــيرُهنّ سوانحُ
فأمرَك — زاد اللهُ أمرَك بسطةً — ... بمـا عَوّدت تلك السجايا السحائحُ
أَعِنْ جهدَه وآعرف له خَوض زاخرٍ ... يهـــزُّ الضلوعَ موجُــه المتناطحُ
ولم أســتزدْ نُعماك إلا ضرورةً ... وقد تُســتزادُ المزنُ وهى دوالحُ
بما ثَقّلَتْ ظهرى الخطوبُ وضاعفتْ ... تكاليفَ عيشى وآنتحتنى الجــوائحُ
وما بُثَّ من زُغبٍ حَوالَىَّ كالقطا ... تَنَزّى الشّــرارِ أعجلتهـا المَقادحُ
أمسّح منهـم كلَّ عِطفٍ أسفتُ إذ ... أتانى وقـــد بُيِّضنَ منّى المَســائحُ
نجــوتُ على عصرِ الشبيبةِ منهُــمُ ... وأرهقــنى المقــدارُ إذ أنا قارحُ

---

(١) يقال : أخدجت الدابة : جاءت بولد ناقص الخَلْق . (٢) الناهز : الذى يضرب بالدلو فى البئر لتمتلئ . (٣) العُقْلة : ما يُعْقَلُ به كالقيد أو العِقال، وفى الأصل " عَقَلَتى " .

فدتك ملوكٌ ذكرُ مجدِك بينهم ... مثالبُ في أعراضهم وجرائحُ
اذا لُعِنوا صَلَّتْ عليك محافلٌ ... صفاتُك قرآنٌ لها ومَسابحُ (١)
حَمَوا مالهم أن تُنتحَى بنقيصة ... عقائلُه والساريات السرائحُ
ومالُكَ في الآفاق شتَّى موزَّعٌ، ... كرائمُه والباقيات الصوالحُ
سهرتَ ونام الناسُ عمّا رأيتَه ... كأنك للعلياء وحدَك طامحُ
وجاريتَ سيبَ البحرِ ثم فَضَلْتَه ... وهل يستوى البحرانِ عذبٌ ومالحُ؟
أعرنِيَ سمعا لم تزل مطربًا له ... اذا ما تغنّته القوافى الفصائحُ
وأَصغِ لها عذراءَ لولاك لم تُجِب ... خطيبا ولم يظفَر بها الدهرَ ناكحُ
من الباهراتِ لم تُحدِّثْ بمثلها الـ ... نفوسُ ولم تُوصَل اليها القرائحُ
ظهرتُ بها وحدى على حين فترةٍ ... من الشِّعر، برهانى بها اليومَ لائحُ
ومِنْ شرفِ الأشعار أنك سامعٌ ... ومن شرف الإحسان أنِّىَ مادحُ
ومَنْ لِيَ لو أنّى مَثَلْتُ مُشافِها ... أفاوضُها أسماعَكم وأطارحُ
وأن ينهضَ (٢) الجَدُّ العَثورُ بهجرةٍ ... تُعالَجُ أشواقى بها والتَّبارِحُ
ويا ليتما ريح الشَّمال تهبُّ لى، ... فتُطلعَنى منها عليك البوارحُ
وكيف مَطارى والخطوب تحُصُّنى ... وأخذِىَ شَوطى والليالى كوابحُ
وقد كان جُبن القلب يُقعِدُ عنكُمُ ... فقد ساعدَتْه بالنكولِ الجوارحُ
وأقسمتِ الستُّونَ ما لخروقها ... اذا اتسعتْ فى جِلدة المرءِ ناصحُ (٣)
وإنى على أنسى بأهلى وموطنى ... لأَعلمُ أنَّ العيشَ عندك صالحُ

---

(١) فى الأصل "مسابح" وهو تحريف. (٢) فى الأصل "وإن نهض". (٣) الناصح: الخياط.

*
* *

قافيـــة الدال

بعـــد خلو حرف الحـاء

وقال يهنئ نقيب النقباء أبا القاسم بن ممّـا بخلَع وحُملانٍ(١) أُخرجَتْ اليه من الحضرة ويصف العُودَ والجامَ والخِلَعَ

أَرى طَـرفَها أنّ الخضابين واحـدٌ ولكنَّه ما بَهْـرجَ(٢) الشـيبَ ناقدُ

ضَـلالةُ حُبٍّ غادرتنى مزوِّرا عِـذارى وإنى لو أفقتُ لَراشـدُ

يقولون: عُمرُ الشيبِ أطولُ بالفتى، وما سرَّنى أنى مع الشَّـيبِ خالدُ

أماضٍ فغـدَّارٌ زمانٌ أباحـنى حريمَ الهـوى أم حافظٌ لِى فعائدُ؟

ودارَينِ من عالى "الصَّراةِ" سقتهما الـ ـبوارقُ رِبْعِيٌّ(٣) الهوى والرواعـدُ

ألفتُهما والعيشُ أبيضُ ضـاحكٌ بربعهـما والظلُّ أخضرُ باردُ

ونَدمانُ صَبْحى صاحبٌ متسـمّحٌ معى، وضجيعُ الليـل إلفٌ مُساعدُ

وأخرسُ(٤)، مِمَّا سنّت "الفرسُ" ناطقٌ يُهِبُّ رياحا رَوحُه وهـو راكدُ

على صدره بالطُّول سبعٌ ضـعائفٌ تدبِّرها بالعَـرضِ سَبعٌ شـدائدُ

وخمسٌ سكونٌ تحت خمسٍ حَوارِكٍ تُمُـدُّ ثلاثًا يمتطيهنَّ واحـدُ

يشرِّدُ من حلم الفـتى وهو حازمٌ فيرجعُ عنـه فاسـقا وهو عابدُ

وقَوراءُ(٥)، ماءُ الكرم أحمـرُ ذائبٌ عليهـا وماء التـبر أصـفرُ جامدُ

---

(١) الحُملان: ما يُحمَـلُ عليه من الدوابّ فى الهِبَة خاصّة. (٢) بهرج: زيَّف.

(٣) الربعىّ: ما نتج فى أيام الربيـع وهو هنا مجاز. (٤) يكنى عن العود ويصـفه.

(٥) القوراء: الواسعة، ويريد بهـا الكأس.

تُمثِّلُ "بَهْـرامَ الكواكبِ"(١) قائمـا ... بها حيثُ "بَهرامُ الأكاسرِ" قاعدُ
أميرانِ، يُخفِي قائمَ السيفِ قابضٌ ... عليـه، ويُبـدى دُرّةَ التاجِ عاقدُ
تَبِينُ وحبّاتُ المـزاجِ نوازلٌ ... وتَخـفَى وحبّاتُ الحَبابِ صواعدُ
مَصالحُ عيشٍ والفتى من خلالها ... اذا لاحظ الأعقابَ فهى مَفاسدُ
ودنيا، لسانُ الذمّ فيها محكَّمٌ ... ولكنها عند "الحسين" مَحامدُ
اليكم بنى الحاجاتِ إنِّىَ رائدٌ ... لِيُحبَسَ جارٍ أو لِيَبرُكَ واخـدُ
أبٌ بكُمُ بَـرٌّ وأنتم مَعَقَّةٌ ... أخٌ لكُمُ دِنيّا وأنـتم أباعِدُ
حبيبٌ اليـه ما غنمتم كأنه ... اذا جادَ مرفودٌ بما هو رافـدُ
أناةٌ(٢) ومن تحت القطوبِ تبسُّمٌ ... أوانًا وفى عقب الأناةِ مكايدُ
محاسنُ لا ينفـكّ ينشُرُ حامـدٌ ... لها بعضَ ما يَطوِى على الغلّ حاسدُ
ولما جلاكَ المُلكُ فى ثوبِ جسمه ... تراءت على قدر العروس المَجاسدُ
أثبتُ بها عذراء ما آفتضَّ مثلَها ... سوى ربِّها، ما كلُّ عذراءَ ناهـدُ
"بهائيّة" تُعزَى لأشرفِ نسبةٍ ... لتيأسَ منها كلُّ نفسٍ تـراودُ
لها أرَجٌ للعـزِّ باقٍ وإنها ... على عزِّ من تُهـدَى اليه لَشاهـدُ
على منكب الفخر آستقرّت ولم تكن ... تُلاقيـك(٣) لو لم تدرِ أنّك ماجـدُ
أبانَ بها ما عنده لك، إنما ... تُحلَّى لإكرامِ السـيوفِ المَغامدُ
فزاد "بهاءَ الدولةِ" اللهُ بسطةً ... على أىِّ عِلقٍ(٤) منـك أضحى يزايدُ
لئن كان سيفا مرهَفَ الحـدّ إنه ... لَيَعـلمُ عِلمَ الحـقّ أنك ساعـدُ
أتانِىَ ليلا — قرَّ عينا — مبشِّرى ... فأيقظنى وَهْنًا وإنى لَراقـدُ

(١) بهرام الكواكب: المرّيخ، قال حبيب بن أوس:

له كبرياءُ المشترِى وسعودُه ❊ وسَوْرةُ بَهرامٍ وظَرفُ عُطارد

(٢) فى الأصل "أناك". (٣) فى الأصل "تلقّيك". (٤) العلق: الشىء النفيس.

وقمتُ، فكفٌّ يشكر الدهرَ كاتبٌ[1] ثناكَ، وخدٌّ يشكر اللهَ ساجِـدُ
وناديتُ فانثالتْ معانٍ كأنّ ما تنظِّمه منها القوافى فرائدُ
وتنقَدْن لى ما سِرنَ ظهرَ مدائحى اليك وهنَّ عن سواك حوائدُ
وما كنّ مع طول القيام صواديا ليَسْرَحنَ إلا حيث تصفو المواردُ
ولست كمن يُعطِى الأسامِى نوالَهُ اذا جاد تقليدا وتُلْغَى القصائدُ
وما الشِّعرُ إلا ما أقامت بيوتُه وسارت فأضحى[2] قاطنا وهو شاردُ
وما هو إلا فى رقابٍ — اذا فشا به الحفظُ — أغلالٌ وأخرى قلائدُ

* * *

وقال يمدحه و ينتجّزه وعدا طال مطله به

أقامتْ على قلبي كفيلا من العهدِ يذكّرنى بالقربِ فى دولة البعدِ
فقولا لواشيها ـ وإن كان صادقا ـ : وفائى لها أحظَى ولو غدرتْ عندى
خليلَىَّ، ما للريح هبّت مريضةً هل آجتدتِ البُخّالَ أم حمَلتْ وجدى؟
ضمنتُ من الداءين ما لا تُقِلُّه على طرحها الشمُّ الهضابُ من الصَّلدِ
حنينٌ، ولكن مَن لِشملِي بجامعٍ؟ ومدُّ يدٍ، لكن مَنِ الرَّجُلُ المُجدِى؟
فلا حُبَّ بل لا حظَّ نالك حظُّه[3] قد آشترك الأحبابُ والحظ فى الصدِّ
وسَمَّى زمانى طولَ صبرى تجلُّدا عدمتك، ما أبقيتَ بعدِىَ للجَلْدِ؟
كما ذمَّ مَنْ قبلى ذممتُك عالما بأنك موقوفٌ على الذمِّ من بعدى
ولكن تجاوَزْ لى بصَرفك ماجدا اليه اذا جارتْ صروفُك أَستعدى
اذا « الصاحبَ » آستنجدتُه فوجدتُه فَرُغْنِيَ فيمن غيره شئتَ بالفقدِ

(١) كفّ مؤنثة وتذكيرها هنا يراد به العضو . (٢) رجحنا هذه الكلمة لسقوطها فى الأصل .
(٣) الحظ الأولى بمعنى الجد والثانية بمعنى النصيب .

وإن مرّ فى الأحباب عيشٌ بغيره — فحسبي بعلم الله فى ذاك والحمدِ

وما أعرفُ الممدوحَ لم يَجزِنى به — اذا قلتُ خيرا ، إنّ ذلك بالضدِّ

أحقُّهمُ عندى بما قمتُ مثنيا — أعدّده مَنْ فات إحسانُه عَدّى

فإن تكن الأيّام أجدبن مرتعى — لديه وكدّرن الزلالة من وِردى

أقولُ لآمالى — وأخشى قنوطَها — ركوبُكِ ظهرَ الصبر أدنَى الى الرشدِ

تُطار فلولا وجهُ سعدِك لم يكن — سِراجُك فى الظلماء نجمَ "بنى سعدِ"

"أبا القاسم" امنحنى سمعتَ استماعةً — وقِفْ بى من استبطاء حظّى على حدِّ

سخوتُ بشعرى قبلَ مدحك لاقيا — بسَبط(١) كلامى كلَّ ذى نائلٍ جعدِ

اذا قلتُ : أين الجودُ؟ أنشد بخله : — محا الدهرُ ربعًا "بالمشقّر"(٢) من "هِندِ"

تعابُ لديه الشمسُ بالنور حُجّةً — على منعه ، والماءُ فى القيظ من بَرْدِ

وفاضت — وهم يُبْس — بحارُك بينهم — فياليت شعرى ما لجودك ما يُعدى !

وقد كان لى فى الشعر عندك دولةٌ — ولكن قليلٌ مُكثُها دولةُ الوَرْدِ

أظلّ وما فى عاشقيك محقّقٌ — سواى ، أقاسى الهجرَ من بينهم وحدى

فلمْ أنت راضٍ لى وللجد وقفةً — تَزاحَمَ دمع اليأس فيها على خدّى

وما غيرُ تأميلى بديكَ تضاؤه — فكم أتقاضاه وأنحتُ من جِلدى

عسى يقف الإنجاز بى عند غايةٍ — تريح فلى حَولٌ أُجرّ على الوعدِ

تساويفُ وفّاها المِطالُ حدودَه — فعجِّل لها الإنجازَ أو جَبهةَ الرَّدِّ

---

(١) السبط نقيض الجعد وقد تقدم تفسيره ، وفى الأصل "بسيط" . (٢) المشقّر : اسم موضع .

* * *

وأنفذ اليه الكافى الأوحد ما جرت به عادته من رسومه ، فكتب اليه يمدحه، ويذكُر تنزُّهه عن النظر فى الوزارة بالرِّىّ ، وٱعتزاله إياها ترفعا عن نزول الحال فيها الى أحد أتباعه، وما بان من عجز الداخل فيها بعده

اذا صاحَ وفدُ السُّحبِ بالريح أو حَدَا ... وراح بهـا ملأَى ثِقالا أو ٱغتـدى

فكان وما باراه من عَبَراتنـا ... نصيبَ مَحَـلٍّ " بالجنـابِ " تأبَّدا [1]

وما كنتُ لولاه ــ ولو تربت يدى ــ ... لأَحمـلَ فى تُربِ لمـاطِرِهِ يدا

خليلىَّ، هذى دارُ " لميـاء " فاحبسا ... معى وٱعجبا إن لم تُميـلا فتُسعدا

نعاتب فيها الدهرَ، لا ! كيف عتبُهُ؟ ... وأخلاقُه إخلاقُ ما كان جَدَّدا

سلاها ــ سقاها ما يُعيـد زمانَهـا ... وعيشا بهـا ما كان أحلى وأرغدا ــ :

عهِـدْنا لديكِ الليـلَ يُقطَعُ أبيضا ... فلِمْ صار فيك الفجرُ يَطلُعُ أَسـودا؟

فأيـن الظبـاء العامراتك بالظُّبى ... ثِنًى وفُـرادى، غافلاتٍ وشُرَّدا؟

وليــلُ ٱختلاط لو تغاضَى صباحُهُ ... لمـا مازت الأيدى القِنـاعَ من الرِّدا

أبعدَ جلاءِ العيـنِ فيك من القذَى ... أرى أثَرا أنَّى تلفتُّ مُرْمِـدا؟

لعمرُ الجـوى فى رُفقتى بِك إنه ... يخامر قَرحانَ الحشا ما تعـوَّدا

وقلتُ: صَدًى، قالوا: الفراتُ الذى ترى ... وهيهات! غيرَ المـاء، ما نُقِع الصدَى

مضى الناسُ ممّن كان يعتـدُّه الفتى ... وما أكثرَ الباقيـن إن هو عـدَّدا

وكانـ بكائى أننى لا أرى الأخَ الـ ... ـودودَ، فمَن لى أن أرى المتـودِّدا!

أمنعطفٌ قلبُ الزمانـ بعاطشٍ ... يرى الأرضَ بحرا لا يرى فيه مَوردا؟

تحمَّل شرقياً مع الركـب شـوقُهُ ... وقد غار شـوقُ العاشقيـن وأنجدا

(١) تأبد : أقفر ولزمته الوحوش .

له بين أثناء الجبال وأهلها مزارُ حبيبٍ دونه طُرُقٌ عِدَا
وما بِيَ إلا أن أرى البدرَ ناطقا "وثهلانَ" شخصا جالسا متوسِّدا
وليثَ الشرى تحت السُّرادق مُلبِدا وبحرَ الندى فوق الأسرَّة مُزبِدا
وأن أدرك العلياءَ شخصا مصوَّرا هناك وألقى العزَّ جسما مجسَّدا
ومن بَلَّغَتْهُ "الأوحدَ الكافيَ" المنى تغزَّلَ مكتفيًا وفاخر أوحدَا
لذاك آشتياقى، ليس أن جازنى له(1) على البعد إحسانٌ ولا فاتنى نَدَى
مواهبُهُ سارت لحالى كثيفةً وشعرىَ مطلوبا وذكرِى مشيَّدا
فمن نِعمةٍ خضراءَ تسبق نِعمةً له، ويدٍ بيضاءَ لاحقةٍ يدا
فتى لم أجد لى غيره فأقول: ما أعمّ عطاءً من فلانٍ وأجودا
أنالَ وفى الأيام لينٌ وأيبستْ فلم ينتقص ذاك النوالَ المعوَّدا
اذا بَلَغَ الزُّوَّارُ بابَك ألقيتْ رحالُ ذليلٍ عزَّ أو حائرٍ هَدَى
وقَلَّ من الآرابِ(2) قُلٌّ(3) ضممتَه وقد جاز فى الآفاق نَهبا مطرَّدا
تُغلَّقُ أبوابُ الملوكِ أمامَهُ ويَرعَى لديها الجهلُ وهى لَقًى سُدَى
تدافعه آدابُها وأكفُّها مدافعةَ السَّرح البعيرَ المعبَّدا(4)
كما شاءها كانت ببعدك دولةٌ جفوتَ، فقد صارت كما شاءها العِدا
فمركبها بعد السكينة نافرٌ ومركبها صعبٌ وكان ممهَّدا
عَدَا الدهرُ فيها إذ نأيت بصرفه وكان آحتشاما منك يمشى مقيَّدا
فإن يك ضَرَّت(5) هجرةٌ بعثَ "أحمدٍ" فقد حطَّ هجرُ "الرِّىّ" رتبةَ "أحمدا"
تعزَّلَ عنها والمقاليدُ عنده ووازرها والكدُّ فيمن تقلَّدا

---

(1) فى الأصل "حازنى". (2) الآراب جمع أرب وفى الأصل "الآداب". (3) القُلّ الذي لا أحد له. (4) المعبَّد: البعير المهنوء بالقطران لجربه. (5) فى الأصل "ضرب".

أيخشى "ابن إبراهيمَ" فَوتَ وِزارةٍ ... وقـد حازها سقفَ السماء وأبعـــدا

ولمـا بدت للعــين وَقْصــاءَ[1] جهمــةً ... وكانت تريك البــدرَ والظبيَ أجيـدا

معنَّسـةَ[2] أفنيتَ عمــرَ شـبابهـا ... فلم يبقَ إلا الشيبُ فيهـا أو الردى

نهضتَ على الإحسان فيهـا ولم تقم ... وعيشـــك إلا وهى تُزعِجُ مَقْــعَدا

تزوجتَهـا أيامَ تُنْكَحُ لــذةً ... وَسرَّحتَ إذ كان النكاحُ تمــرُّدا

وخلَّفتَهـا قاعا يغــرُّ سرابُهـا ... يَدَىْ[3] حافرٍ لم يُسْقَ منهـا سوى الكُدَا[4]

قليـــلِ اطلاعٍ فى العواقب لو درى ... مشَـــقَّةَ ما فى مَصـــدرٍ ما توردا

تَلبَّسهَـا جهـــلا بأنك لم تكن ... لتــنزِعَها لو كنتَ تنزِعُ ســؤددا

تحـــدّثنى عنــك الأمانى حكايةً ... بما أنا لاقٍ منك كالصوتِ والصدَى

وكم زائرٍ منّـا حملتَ اقـــتراحَه ... مضى ساحبـا رِجْلا وآب مقـــوَّدا

ومثـــلىَ لو دونى أتاك بنفســـه ... ذُنابَى[5] وولَّى عنـــك رأسا مســوَّدا

عسى عزمةٌ أشوتْ فثنَّتْ كاتبـا ... يقرطسُ أحيـانا فأمثُـلُ منشـــدا

وقائلةٍ : هـــل يدركُ الحظُّ قاعدًا ؟ ... فقلتُ لها : هل يقطعُ السيفُ مغمَدا !

سيلقَى بهـا "الكافى" عهودا وثيقةً ... لقــد زادها الإســـلامُ حقًّا وأكّدا

رضيتُ ــ وإن جدّ[6] الجدوبُ ــ تعفُّفا ... وعيشـا مع الوجه المصون مبـدّدا

وميـلا بنفسى عن لقـاء معاشرٍ ... أحتُّهــم[7] صخـرا وأعصِرُ جلمـــدا

أرادوا بخـــلٍ أن يُذمّوا فيُعـرَفوا ... خمولا ، كما أعطيتَ أنت لتُحمَدا

أعالج نفسـا منهــم مقشــعِرّةً ... وأنفـا اذا شَمُّــوا المذلةَ أصيـدا

(١) الوقصاء : قصيرة العنق ، وفى الأصل " وقضاء " وهو تحريف . (٢) فى الاصل "معبِّسة أفيك " وهو تحريف . (٣) فى الأصل " بذى " وهو تحريف . (٤) يقال : أكدى الحافر اذا حفر فبلغ الكدا وهى الصخور فلا يمكنه أن يحفر . (٥) الذُّنابى : الذَّنَب . (٦) بالأصل "جرّ" . (٧) حتّ : فرك وقشر .

هو المنقذى من شِرْك قومى و باعثى على الرشد أن أُصفِى هواى "محمدا" (١)
وتارك بيتِ النار (٢) يبكى شرارُهُ علىَّ دمًا أن صار بيتِىَ مسجدا
عليك بها وَصَّالةً رحِمَ الندى اذا آشتمل الشعرُ العقوقَ أو آرتدى
هجرنا لها اللفظَ المقلقَلَ قربُهُ الى السمع والمعنى العَوانَ المردَّدا
يُخالُ بها الراوى اذا قام منشدا بما ملك الإطراب قام مغرِّدا
لكم "آلَ ابراهيم" تُهدِى مدائحا وذمًّا الى أعدائكم وتهدُّدا
اذا عزَّ مُلكٌ أن يدوم لمالكٍ وطال على ذى نعمة أن يُخلَّدا
فلا تعدَم الدنيا الوَساعُ مدبِّرا يقوم بها منكم ولا الناسُ سيِّدا

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم يهنّئه بعيد الفطر

أنت على حالتيك محمودُ إن كان بخلٌ لديك أو جودُ
يشوقَ و يرضَى بك الفؤادُ كما الـ طَرْفُ اذا ما رآك مسعودُ
يا غُصُنًا دهرُه الربيعُ فما يفترقُ الماءُ فيه والعودُ
فات بك الحسنُ أن تُحَدَّ وللـ ـبدر بما آنحطّ عنك تحديدُ
قم حدّث الليلَ عن أواخره إن مَقامَ الصبوح مشهودُ
يا ظبيُ ، لو بتَّ فيه عدتَ وقد عَنَّ ظباءٌ "ببابلٍ" غيدُ
أما ترى الفِطرَ صائحا : نورِزُوا حَلَّ حرامٌ وآنحلَّ معقودُ
والبدر يدعو بحاجبٍ حاجبٍ للعيدِ : بشرَى هنالك العيدُ
فاسبق بها الشمسَ أختَها لهبا (٣) بقاؤها فى الزمان تخليدُ
صان اليهودىُّ خِدرَها أن يُفَـ ـضَّ الختمُ أو تؤخذَ المقاليدُ

(١) يريد النبي صلى الله عليه وسلم . (٢) بيت النار : معبد المجوس . (٣) يكنى عن الخمر .

عَدَّ رجالا من قومه، لَهـــمُ ... فى فضلها عنـــده أسانيـــدُ
سنَّ له اللهـــوُ أن يعظّمَها ... فهى له فى الدنانِـــ معبـــودُ
حمـــراءُ، ما فازت الأكُفُّ به ... من لونها فى الخــــدود مردودُ
مِنـــ فمِ إبريقها الى شَفة الـ ... ـكأس عمودُ الصباح ممـــدودُ
دِينٌ من اللهو أنت عن باب إبـ ... ـليسَ متى حُدتَ عنـه مطرودُ
تغـنَّمِ اليـــومَ من سرورك والـ ... ساعةَ، إن الزمانِـــ معـــدودُ
ما دام يدعونك الفـتى مَرَحا ... والغصنُ فينانُ والصِّـــبا رُودُ(١)
غدا بياضٌ، يا قاتـــل الله ما ... تنشقّ عنـه من بيضك السودُ
لا تجمعُ الشَّـيبَ والسرورَ يدٌ ... ولا يـتمُّ الــثراءُ والجـــودُ
لا أخلَفَ المـالَ غيرُ متلفـــه ... إن الغـــنيَّ البخيـــلَ مكدودُ
يا راكبا لم تُلِحْهُ هاجـــرةٌ ... ولا ترامت بشخصـه البيـــدُ،
ولم تَقُـــدْ حظَّـــه مخاطَرةٌ ... تُنضَى اليهـا المهـــريَّةُ القُــودُ،
بين مناه و بينـــه غرضُ الـ ... ـرامى ســـدادٌ منـــه وتعضيدُ،(٢)
قل لابن "عبدالرحيم": عشتَ فما ... يعـــدَمُ فضـلٌ وأنت موجودُ
مَلَّكك المجـــدَ أنّ بابَك مفـ ... ـتوحٌ و بابَ الأرزاقِ مســدودُ
يزدحم الناس فيـــه راجين را ... ضين، وحوضُ الكريم مورودُ
وأن عافيك — والمكلَّفُ مشـ ... ـنوءٌ — مُرادٌ لديـك مودودُ
لا هـو فى الذلّ بالسـؤال ولا ... بالمنِّـــ فيما منتتَ مكدودُ
يختلفُ النـاس من كرامتــه ... عنـدك مَنْ قاصـدٌ ومقصودُ

---

(١) رود أصلها رؤد وقد سهلت الهمزة وهو الغصن أرطبع ما يكون وأرخصـه وهو هنا من المجاز .

(٢) التعضيد : ذهاب السهم شمالا و يمينا .

والبشرُ حتى يقالَ : بارقةٌ / والحلمُ حتى يقالَ : جلمودُ
يُلبسك المدحُ كلَّ ضافيةٍ / لها بطول الإخلاق تجديدُ
دُرُّ المعالى فيها بوصفك منـ / ـظومٌ ووشىُ الألفاظِ منضودُ
تخبرُ منه ما أنت ناقده / وأكثر الإنتقادِ تقليدُ
والشعر، ما لم توجدك آيتُهُ / - إلا القوافى والوزنَ - مفقودُ
يتعبُ فيه الموفَّرون له / وهو مع المُسْهلين موءود
بقيتَ منه لزائراتك بالـ / ـشتاءِ غيدا أكفاؤها الصِّيدُ
كلّ فتاةٍ تحُدُوُّها يومَ تبـ / ـغى الحظّ إمّا أتتك مجدودُ
صديقُها أنتَ، والحسود بها / وبى على القرب منك مفؤودُ[(1)]
فى وجهه البشر حين يسمعها / خوفا وفى قلبه الأخاديدُ
يَطرَبُ منها للشيء يُحزِنه / وأسمُ بكاءِ الحَمامِ تغريدُ
لا آجتاز عيدٌ إلا عليك وإن / أجَزْتَ أن تُمطَلَ المواعيدُ

* * *

وقال وكتب اليه أيضا يهنئه بعيد الفطر سنة تسع وتسعين وثلثمائة

اذا لم يُرْعَ عندكم الودادُ / فسيّانِ القرابةُ والبعادُ
عهودٌ يومَ " رامةَ " دارساتٌ / كما يتناوب الطلَلَ العهادُ
وأيمان تضيعُ بها المعانى / وتحفظها الأناملُ والعِدادُ[(2)]
تطيرُ مع الخيانة كلّ جنبٍ / وحبّاتُ القلوب بها تصادُ
أمعترِضٌ صدودُكِ " أمّ سعدٍ " / ببعض الشرِّ، أم خُلُقٌ وعادُ[(3)]؟

(١) فى الأصل " ولى " . (٢) العداد : العدّ . (٣) عاد جمع عادة .

وعـــذلٌ فيـك أوجعَ نازلٌ بى ... أنا الملسوعُ والعـذلُ العِـداد ُ(١)

وعيبٍ وليس غيرُ الشيب شيئا ... أُذادُ له بعيبٍ أو أُكادُ

وما مـنّى البيـاضُ فتجرِمينى ... به ذنبـا ولا منـكِ الســوادُ

بأيمنِ ملتـقَى المـاءين دارٌ ... لمــرتادِ الهــوى فيهـا مَرادُ

وقفتُ ، ومسعِدون معى عليها ، ... ألا يا دارُ ما فعلتْ "سعادُ" ؟

أقول لهــم أُعَلِّلُ فيك شوقى : ... وشــيكا ينقـعُ الظمأَ الثِّمادُ (٢)

خذوا من يومكم لغــدٍ نصيبا ... من الأطلالِ ، إنّ اليومَ زادُ

توقَّ الحبَّ تأمنْ كلَّ بغضٍ ... فـداؤك من دوائك مســتفادُ

يخــوفنى بمكايده زمانى ... صَــغارَكَ (٣) لا أُحسُّ ولا أُكادُ

وقـــدرته اذا لم يُعطِ بخـــلٌ ... وغايتـــه اذا أعطى نَفـادُ

فقـل لبنيه : لستُ إذًا أخاكم ، ... بعـادٌ بيننا أبـــدا بعـادُ

أعان الله مســكينا رجاكم ... فإنّ رجاءَ مثلِكُمُ جهـادُ

رضـــينا من قبائلـكم ببيتٍ ... عمـادُ المـكرماتِ له عمـادُ

بنى "عبدِ الرحيم" وكلُّ فخـــر ... يفــوت فبآسم نســبتهم يُفـادُ

أعِــدْ ذكرَ التحيّـــة فى أناسٍ ... اذا بدءوا (٤) اليــك يدًا أعادوا

وقم وآخطب بحمدك فى ربوعٍ ... وفــودُ المجــد عنهـا لا تُذادُ

ومبتسمين يُورى الملكُ منهــم ... جباها ، كلُّ واضحـــةٍ زنادُ

رأوا حفظَ النفوسِ اذا آستميحوا ... ـــ وقد بخل الحيا ـــ بخلا ، فجادوا

---

(١) العداد : اهتياج وجع اللديغ ، ويقال عداد اللديغ سبعة أيام ، ويقال له مادام فيها : هو فى عداده . (٢) الثماد : الماء القليل . (٣) صغارك أى هات ضيمك ومذلتك فإنى لا أحس . (٤) فى الأصل "أبدوا" .

فِـدًى للحسنين فتًى عُلاهم — وناشرُها وقد درسوا وبادوا [1]

دعِيٌّ فى السماح وليس منه — متى آعترف الندى بك "يا زيادُ"؟ [2]

دعِ العلياءَ يَسحَبْها عريقٌ — بياضُك يومَ نسبته سوادُ

يطولُ ركابَه إن قام فيها — ويقصُر عن مقلَّده النجادُ [3]

أيا "آبن علىٍّ" آعتقلتك منِّى — يدٌ لم تدرِ قبلك ما العَتادُ

عركتُ يدَ الخطوبِ وفىَّ ضعفٌ — فلِنَّ وهنَّ أعباءٌ شِدادُ

لذلك تُستزاد الشمسُ نورا — وحُبِّيك الذى لا يُستزادُ

وحظُّك من جَنَى فكرى ثناءٌ — يطول، وطُولُه فيك آقتصادُ

اذا الشيءُ المعادُ أملَّ سمعا — تكرَّر وهو طِيبًا يُستعادُ

فما خُطِبَتْ بأبلغَ منه خاءٌ — ولا نُطِقَتْ بأفصحَ منه ضادُ [4]

ألا لا تذكُرُ الدنيا بخيرٍ — فتًى إلا وأنتَ به المرادُ

اذا حاز آمرؤ تأييدَ نجلٍ — أمدَّك من "أبى سعد" مِدادُ

شبيهُك، والعلا منها آكتساب — ومنها — وهو أفضلها — وِلادُ

وكنتَ البدرَ تمَّ فزِيدَ نجما — كما أوفَى بغُرَّته الجوادُ

فعِشْ وآذخرْه للعافين كهفا — وخيرُ ذخيرةِ الجسم الفؤادُ

* * *

وكتب اليه أيضا يهنّئه بعيد الفطر ويتقاضاه حاجةً

أبِالغور تشتاقُ تلك النجودا؟ — رمَيتَ بقلبك مَرمًى بعيدا

وفَيتَ فكيف رأيتَ الوفاءَ — يُذلّ العزيزَ ويُضوِى الجليدا [5]

---

(١) يرى المتمعن أنه آنتقل بخفاة مع التعمية الى غرض آخر ولعله تهكّمٌ . (٢) يشير الى تهكمه الى زياد بن أبيه لأنه مجهول الأب . (٣) النجاد : حمائل السيف . (٤) فى الأصل "صاد". (٥) يضوى : يُضعِف .

أفى كلّ دارٍ تمــرُّ العهــودُ عليك ولم تنس منهـا العهــودا ؟
فــؤادٌ أســيرٌ ولا يفتــدى وجفنٌ قتيـلُ البكا ليس يُودى (١)
ســهرنا " ببابــلَ " للنــائمي ن عمّـا نقاسى " بنجدٍ " رقــودا
من العربيّـات شمسٌ تعــودُ بأحرارِ " فارسَ " مثلى عبيــدا
اذا قــومُها آفتخــروا بالوفا ءِ والجود ظَلّتْ ترى البخلَ جودا
ولو أنهــم يحفظون الجوا رَ رَدُّوا علىّ فــؤادا طــريدا
نعم جَمَــعَ الله يا من هَــوِيتُ وصَدٌّ، عليك الهوى والصــدودا
رنَتْ عينُــه ورأت مَقتَــلى ففــوّقها ورمانى ســديدا
قــلوبُ الغــوانى حديدٌ يقــالُ وقلبــك نارٌ تذيبُ الحــديدا
سأجرى مع النـاس فى شوطهم فَعـالا بغيضـا وقــولا وديدا
أغَرّ بِبِشْــرِ أخى فى اللقـا ءِ لو تبــعَ الغيثُ تلك الرعــودا
ويُعجبنى المـاء فى وجهــه وفى قلبــه الغِــلُّ يُذكِى وَقودا
مُريبون أوســعُهم حجّــةً وعذرا معى مَن يكون الحســودا
وَحادِ (٢) فلستَ ترى المســتري حَ فى الناس من لا تراه الوحيدا
وحازت سجايا آبن " عبد الرحيم " ثنـاءً كسؤدده لن يبيــدا
ومدحا اذا مات مجــدُ الرجا ل أعطى الذى سار فيــه الخلودا
تمهّدَ من " فارسٍ " ذِروةً تُحَطُّ " المجــرّة " عنهـا صعودا
مكانةَ لا تســتفزّ العيــو بُ فخــرا ولا يغمِزُ اللؤمُ عودا
تشــابهَ عِــرقٌ وأغصــانُهُ كما بدئَ المجــدُ فيهــم أُعيــدا
تُعَــدّ الكواكبُ منهــم بنينَ وعُدّ الأهاضيبَ منهــم جدودا

---

(١) يودَى : تُدفَع دِيتُه . (٢) وَحادِ : كن وحيدا .

سَعَدتُ بحبّك لو أننى ... لحظّىَ منك رُزِقتُ السعودا
إلامَ توانٍ يُميتُ الوفاءَ ... وعندى ضمانٌ يَحُلُّ العقودا ؟
ونقصُ آهتمامٍ أَرَى مُكْرَهًا ... بجودك من أجله مستزيدا
أَمَا آن للعادة المرتضاةِ من رحبِ صدرِك لى أن تعودا ؟
ولو لم يكن ماءُ وجهى يذوبُ ... بها ثمنا لم يَرُعْنِى جمودا
أمانٍ صدرنَ بطانًا وعدنَ ... خمائصَ ممّا رَعَيْن الوعودا
الى الله محتسبا(١) عنده ... بعثتُ هوًى مات فيكم شهيدا
على ذاك ما قصُرتْ دولة ... فطاولْ زمانَك بيضًا وسُودا
ولا تبرحنّ بشعرى عليك ... عرائسُ يُجْلَيْنَ هِيفًا وغِيدا
تَخَالُ اليمانىّ حاك البرودَ ... اذا أنا قصّدت منها القصيدا
ولى كلّ عيدٍ بها وقفةٌ ... أناشدُ عطفَك فيها نشيدا
تهانٍ يغصُّ التقاضى بها، ... فهل أنا لا أتقاضاك عيدا؟

⁂

وكتب الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب يهنّئه بعيد الفطر

أنا اليومَ ممّا تعهدين بعيدُ ... تُريدينَ منى والعَلاءُ يريدُ
طوَى رَسَنِى عن قبضة الحبّ خالعا ... قُواه، وقِدمًا كنتُ حيث يقودُ
هوًى — وليالى اللهو بيضٌ — وهِبْتُهُ ... اليها، وأيّام الكريهة سودُ
وهِيفٌ رقاقٌ موضعِ الهَيْفِ(٢) فُتْنَنِى ... وهنّ جسومٌ حلوةٌ وقدودُ
دعينى وخُلْقًا من سِنِىّ آستفدته ... عزيزا فمعدودُ السنين مفيدُ

---

(١) فى الأصل "مستحسبا".

(٢) الهيف: ضمور البطن ورقة الخاصرة وهو أهيف وهى هيفاء وجمعهما هِيفٌ.

ولا تحسبيني صِبْغَ لونين في الهــوى … أتوبُ وتبـــدو فرصـــةٌ فأعودُ

ولا كامنا في الحيّ أنظـــرُ سِربَهُ … على خدعة الأشراكِ كيف أصيدُ

وحصّ غرابي يا آبنــة القومِ أجدلٌ (١) … بصـــيرٌ بأوكار الشبابِ صَـــيودُ

أراكِ تَرَيْني ناقصا ونقيصـــتى … ليـالٍ وأيامٌ عــليّ تزيـــدُ

لكلِّ جـــديدٍ باعترافِكِ لذّةٌ … فما لكِ عفتِ الشيبَ وهو جـديدُ

تأخّرتِ بالصمصامِ وهو مصمّم … وخالفتِ رأىَ الرمح وهو ســديدُ

متى ضنّتِ (٢) الدنيـا عليّ فأبصرت … لسانيَ فيهـا بالســؤالِ يجـودُ

اذا كنتَ حرّا فاجتنبْ شهواتِهـا … فإن بنيهـا للزمانـ عبيـــدُ

وبِنْ في عيون النـاس منهــم مباعدا … اذا اشتبهوا وآســلم وأنت وحيـــدُ

وقل بلسان الحــظّ، إن خطيبَهُ … بليغٌ ومَن أعيا عليـــه بليـــدُ:

اذا شئت أن تلقَ الأنام معظّما … فلا تلقَهم إلا وأنت ســعيدُ

ورُبَّ نجيبٍ "كابن أيّوب" واحدٍ … تراه مع الحـالاتِ حيث تريدُ

صديقٍ، وما يُغنِي صديقُك لم يُطقْ … ثقيـــلا ولم يقرُب عليه بعيـــدُ؟

أَعُدُّ سجـايا الأكرميـــن وتنقضى … وأمُّ سجـاياه الكرامِ ولودُ

اذا قمتُ أتلوهنّ، قالت لِيَ العُلا: … أَعِدْ، والحديثُ المستحبُّ يعـودُ

وصدّق وصفى — والمحبُّ بمعـرِضٍ … من الريْبِ — آياتٌ عليـــه شهودُ

يدٌ في النـدى ماءٌ، وقلب اذا آلتوتْ … عليـــه حبـالُ المشكلات حـديدُ

ومخضوبة الأطرافِ لم تُصِبْ عاشقا … عميـدا، وكم أودَى بهنّ عميـدُ

قواطع أوصالِ البـــلاد ســـوائر … وما ثار عنـ أخفافهنّ صـــعيدُ

اذا نارُ حربٍ أُضرِمتْ أو مكيدةٌ … فهنّ لهـا وما آحــترقن وَقـــودُ

(١) الأجدل: الصقر. (٢) في الأصل "مضى".

وعلّمه أن يصنع المجد مَنبِتٌ عريقٌ وبيتٌ في السماء قعيدُ

وحامون بالرأى الجميع جِماهُمُ ووَفْرهُمُ عند الحقوق شريدُ

مطاعيمُ أرواحِ الشتاء، (١) اذا طفت سواجرُ (٢) فى أبياتهم وركودُ

قيامٌ الى أضيافهم وعليهمُ ولكنّهم عند الملوك قُعودُ

سخا بِهمُ أنّ السخاء شجاعةٌ وشجّعهم أنّ الشجاعةَ جودُ

وُقيتَ من الحسّاد فيك فكلّ من يَرَى ودَّك الباقى علىَّ حسودُ

يودّون ما أصفيتنى من مودّةٍ وما أَصطفِى من شكرها وأُجيدُ

لبعضهمُ من بعضهم متخلَّصٌ وتأبَى غلولٌ بينهم وحقودُ

وعذراء مما آستنجبَ الفكرُ وآرتضَى معقَّلة فى الخِدرِ وهى شرودُ

نجومُ سجاياك الصِّباحُ اذا سرت قلائدُ فى أعناقها وعقودُ

اذا يومُ عيدٍ زفّها قام ناصبا لتجهيزِ أُخرى مثلِها لك عيدُ

لها بعدما يفنَى الزمانُ وأهلُه بقاءٌ على أحسابكم وخلودُ

* * *

وقال يمدح العمدة ذا النباهتين آبن الصاحب ذى السياستين أبى محمد بن مكرم ويهنّئه، وقد خلع عليه خلعةً مشرقةَ الجمال والجلال، وأضيف الى ألقابه عزّ الجيوش ويصف الخِلَعَ والحُملان

إمّا تقومون كذا أو فآقعدوا ما كلّ من رام السماءَ يَصعدُ

نامَ على الهُونِ الذليلُ ودرَى جفنُ العزيزِ لِمَ بات يَسهَدُ

(١) يشير بذلك الى الذين يقال لهم: مطاعيم الريح فى العرب، زعم آبن الأعرابىّ: أنهم أربعة أحدهم عمّ أبى محجن الثّقفىّ ولم يسمّ الباقين، وقال أبو الندى: هم كنانة بن عبد ياليل الثقفى عمّ أبى محجن، ولبيد ابن ربيعة وأبوه كانوا اذا هبت الصبا أطعموا الناس وخصوا الصبا لأنها لا تهب إلا فى جدب، وفى المثل "أقرى من مطاعيم الريح". (٢) السواجر السيول تملأ كل شىء.

أخفُّكم سعيا الى ســودَدِه … أحقُّكم بأن يقالَ : ســيِّدُ
عن تعبٍ أوردَ ساقٌ أوّلا … ومَســحَتْ غرَّةَ سَبَّاقٍ يدُ
لو شرُفَ الإنسان وهو وادعٌ(١) … لقطعَ الصمصامُ وهــو مغمَدُ
هيهات أبصرتَ العلاءَ وعشَوا … عنــه فضلُّوا سُبلَه وتَجِــدُ
يا عمــدةَ الملكِ وأىُّ شرفٍ … طالَ ولم ترفعــه منكم عَمَــدُ؟
لله هــذا اليومُ يوما أنجــز الـ … ـدهــرُ به ماكان فيه يَعِــدُ
لما طَلعتَ البدرَ من ثَنيَّــةٍ … تُجــلَى بها عينٌ وعينٌ ترمَدُ
من شَفَقِ الشمسِ يُسَدَّى ثوبُها … وتُلحِمُ(٢) الجــوزاءَ أو تُعَــمَّدُ
دقَّ وجلَّ فهــو إن لامستَهُ … سَبْطٌ وإن مارستَه مُجعَّــدُ
متــوَّجا عمــامــةً وإنما … عمــامةُ الفــارس تاجٌ يُعقدُ
ممتطيا أتلــعَ(٣) لو حبســتَهُ … تحتــك قيل : فَدَنٌ(٤) مشيَّدُ
مناقــلا بأربعٍ كأنَّما … يلاطم الجليــدَ منها جَلْمَــدُ
وقَّــرها خوفُك فهــو مطلَقٌ … ينقُلُها كأنّه مقيَّــدُ
خَفَّ بطبعِ عِتقِــه وآده(٥) … ثِقَــلُ الحُــلَى فمشيُه تأوُّدُ(٦)
مقــلَّدا مهنّــدا ما ضمَّــه … قبلَك إلا خافــه مقــلَّدُ
أبيضُ(٧) لا يعطيك عهدا مثــلُه … اذا أخــوك حالَ عمّا تَعهَدُ
اذا ادرعتَ فى الدجى فقَبَسٌ … وإن توسّــدتَ الثرى فعضُــدُ
ما اعتدتَ كسبَ العزِّ إلا معَهُ، … والمــرء مَشَّاءٌ وما يُعَــوَّدُ

(١) الوادع : الساكن المستقر، وفى الأصــل "داوع" . (٢) فى الأصــل "يحلم" .
(٣) الأتلع : الطويل الجيد، ويريد به الفرس . (٤) الفدن : القصر العظيم . (٥) آده : أثقله . (٦) التأود : الانحناء والانعطاف . (٧) الأبيض : السيف .

ما زال ” فخر المُلك “ فى أمثالها يرشُـدُ فى آرائه ويسـعدُ
فكيف لا وأنت من فـؤاده عزًّا وعينيـه المكانُ الأسودُ
ولو ركبتُ أرحلا لكان لى فيـك بُراقٌ بالمـنى مزوَّدُ(١)
أنت الذى جمعتَـنى من معشرٍ شملُ العـلاء بينهـم مبـدَّدُ
كأننى آخـذُ ما أعطيهُـمُ من مِـدَحى اذا نطقتُ أُنشِـدُ
أبحتَـنِي مجـدَك إذ أرحتـنى ممّن أذمُّ منهُـمُ وأحمَـدُ

٠٠٠

(٩٨)

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى عيد الفطر

ليتك لمّـا لم تكن مُسـعِدا أو مصـلحا لم تكن المفسـدا
كنتُ كثيرا بك فيما يَرَى ظنِّى، فكثَّرتَ عـديدَ العـدا
وشى وقـد قدَّمتَـهُ رائدا، لا تبعث الظلمـة مسـترشِدا
يسومنى الغدرَ بعهد ” اللِّوى “ ما حقُّ من يغـدِرُ أن يَعهَدا
غيرى أبو الألوانِ فى حبِّـه يشكو الهوى اليومَ ويسـلو غدا
أصبو الى ” طَيْبةَ “ من ” بابلٍ “ ما أقـربَ الشوقَ وما أبعـدا
يا فارسَ ” الغيداء “ يبغى ” مِنًى “ بلِّغْ — بلغتَ الرشأَ الأغيـدا —:
يا حبذا الذكرى وإن أسـهرتْ بعـدك والدمعُ وإن أرمَـدا
لا تأخـذِ النَّفـرَ بتفريقنـا فـربّمـا عاد لنـا موعِـدا
” بالغور “ دارٌ و” بنجدٍ “ هوًى يا لهفَ من غار لمن أنجـدا
ما كان سَلمِى يـوم فارقتكم يا ” سَلْمَ “ منّى حاملا أجلدا
سجيّـةٌ فى الصـبر عوَّدتُها قلـبيَ والقلبُ وما عُـوِّدا

(١) فى الأصل ” ومَزْيَدٌ “ ولعله تحريف .

لم تُدنِنى الأيامُ من عدلها ... قــطّ فالق الجَـورَ مستبعَدا
وإنما يُنكِرُ من عَيشـــهِ ... أنكدَهُ مَنْ عرَفَ الأرغـدا
حـوادثٌ أعجبُ من كرِّها ... أن أتشكّاها وأن أحسَـــدا
ليتَ بنى الدنيـا التى لا ترَى ... لى نســبا منهـا ولا مَــولدا
كفَّتهمُ عنِّى أو ليتهُـــمْ ... كانوا جميعا "للحسين" الفدى
للقمرِ الفـــردِ وهـــل مالكٌ ... فى الأفقِ غيرُ البدرِ أن يُفرَدا
لا يَحسَبُ الطيِّبَ مِن ماله ... ما لم يكن معـــترضا للجَــدَا
وكان أغنَى حسبا عنـــدهمْ ... من لم يزل أفقـــرَ منهـــم يدا
والأبيض الرأيِ اذا ما شكا ... خابطُ ليـــلٍ رَأيَهُ الأسـوَدا
وفارس القَـــولةِ لم يَســـتقِمْ ... فى ظهـــرها الفارسُ إلا آرتدى (١)
وسالك الخطبِ وقـــد أظلمتْ ... مَحجَّـــةٌ بالنجـــم لا تُهتَـدَى
ما شِـــيمَ منكم صـارمٌ مغمَدٌ ... إلا وأمضى منـــه (٢) ما جُـرِّدا
ولا قَضَى اللهُ عـــلى سـيِّد ... قضـاءَهُ إلا آجتبَى سـيِّدا
إن بدأوا تمّ أو نقصُـــوا ... أنعمَ أو حطُّوا عُـــلّا شـيِّدا
كأنه أُرضِعَ ثـــدىَ النُّهى ... أو شاب من حُنكتِه أمردا
لا عاقَ أنـــوارَك يا بدرَهُـــمْ ... ما ينقُصُ البـــدرَ اذا زُيِّدا
ولا أغبَّتكم (٣) عـــلى عادِها ... ـ ما أفطر الصـائمُ أو عيَّدا ـ ،
بواكرٌ من مِـــدَحى تقتفِى ... فى صونهـا آثارَكم فى النـــدى

(١) ارتدى : تقلّد سيفه ولعل معناه أنه يقضى بقوله ما يقضيه غيره بسيفه ؛ أو لعله محرف عن
وفارس الجولةِ لم يستقمْ ... فى ظهرها الفارسُ إلا ردَى
ومعنى ردى : سقط . (٢) فى الأصل "فيه" . (٣) أغبتكم : تركتكم .

تجلو على الألباب أحسابكم بواديًا فى حليها عُوّدا
تبقَ على الدهر وساعَ الخطا فى جوّها الأرضَ طوالَ المدى
يزيدها ترديدُها جِدّةً ويُخلِقُ القولُ اذا رُدِّدا

* * *

ولما وصلت القصيدة العينيّة الى أبى الحسن محمد بن الحسن الهمانى، تفقّده بهديّة جميلة زائدة على قدر عمله وتمكّنه، وكتب اليه كتابا منصفا يستوفى معانىَ الاعتذار والتشوق، فأخر الجوابَ عنه الى أن ألحقه بهذه القصيدة، واتفق نفوذُها الى الكوفة فى آخر شهر رمضان يهنّئه بالعيد

لا تَلمَسُ الشمسَ يدُ فما يَرُدُّ الحسَدُ؟
ما لمُريدِ حسنِها إلا الأسى والكمَدُ
يَفنَى نزولا ولها علاؤها والخُلُدُ
أرى نفوسا ضَلّةً تَنشُدُ ما لا تَجِدُ
تحسَب بالكسب العلا ءَ والعلاءُ مُولَدُ
أفضَحُها مفنَّدُ لو سدّ غيظا فَنَدُ
وكلّ قلبٍ قُرحة يشِفُّ عنه الجسدُ
أبرُدُه بعَذلى او أن نارا تَبرُدُ
هيهات من دوائها وداؤها "محمّدُ"
فات على أطماعه حمى العيون الفرقدُ
شَوّقها لحاقَهُ جَهلُ الحظوظ المسعِدُ
ونِعَمٌ نابتةٌ[1] مع الربيع جُدُدُ

(١) فى الأصل "نابته".

حـــدَّثهـا أضغاثَهـا[١] هذا السرابُ المُوقَـدُ
والصبحُ فى تكذيبهـا إن بلغوه الموعـدُ
يا حاسـدى "محمّد" لا تطلبوه وآحسُـدوا
شريعـةٌ مـوروده لو أصدَرتْ مَنْ يَرِدُ
متكمْ جـدودُكـم أنّ السبيلَ جَدَدُ[٢]
تنكّبوا فإنمـا على الطريق الأسـدُ
أغيـدُ لا يُنجِى الرقا بَ من يديه الجَيَدُ[٣]
أوفَى عـلى مَرقَبِـه لكفّه ما يرصُـدُ
أزبُّ[٤] ما مِن قِـرّةٍ[٥] خِيطت عليـه اللِّبَدُ[٦]
اذا غـدا لسفَرٍ أقسـمَ لا يُـزَوَّدُ
النـاجياتُ عنـده وذيّـةٌ[٧] ونَقَـدُ
قد قلتُ لمّا أجمعوا وأنت عنهـم مفردُ
تخبِـطُ عشواؤهُمُ : ما فعـل المُقَـوِّدُ[٨]؟
البـدرُ فى أمثالهـا حنادسا يُفتقَـدُ
ضاع بياضُ ناركـم والليلُ بعـدُ أسْودُ
أكرمُكم أحقُّكم بأن يقالَ : سـيِّدُ.
دلَّ عـلى آياته فمـا لنـا نُقـلِّدُ

---

(١) الأضغاث جمع ضِغث وهو ما آختلط من الخبر والأمر فلا تعرف حقيقته . (٢) الجَدَد : الأرض الغليظة المستوية . (٣) الجَيَـد : طول الجيد وحسنه . (٤) الأزبّ : الكثير الشعر على وجهه . (٥) القرّة : البرد . (٦) اللبد جمع لِبْـدة وهى كل شـعر أو صوف متلبّد . (٧) الوذيّة : الحقيرة . (٨) المقوِّد : الذى يقود الدابّة .

وناقضُ الشِّكَّةِ مضـ ـموف الحشا مُعوَّدُ (٢) (١)
صمَّ القنا الصِّلابِ من خَــوَرِهِ تَقَصُّــدُ (٣)
يطــولهــا شـــوارعا وهـو لَقًى موسَّــدُ
إذ الكمالُ كلُّه فى جسـد يجـــدَّدُ
ما تَــلِدِ الأرضُ كذا والأرضُ بعـــدُ تلِدُ
قل لبـنى الآراب تُجـ ـفَى والمــنى تُشرَّدُ (٤)
والحاج يُلــقَى دونهـ ـنّ الَّحِــزُ المُزيِّدُ : (٥)
الكوفةَ الكوفةَ يا مفـــوّر يا منجـــدُ
ما النــاس إلا رجـلٌ والأرض إلا بــلدُ
مَن راكبٌ مُربِعــةً تمَّ عليهــا العَـــددُ ؟ (٦)
موضوعةَ الرحـــل تُدَ سّ حَكَمَتُها وتَــرِدُ (٧)
يَمُــدُّ قيــد الرمح ظـ ـلّا قَصــرُها المشــيَّدُ
تحمـــله مُخفَّقـــةٌ ولو علاها " أُحُــدُ "
تَخـدّ فى الصخر ملا طِمٍ عليهــا تَخِـــدُ (٨)
عَجْلَى اذا ما الساق صا دت ما تُثيرُ العَضُـــدُ
لم يدر لحـــظٌ ضابطٌ ما رجلُهــا وما اليــدُ
. بلّغ — بلغتَ راشــدا تسرى ، ويحدو مُرشدُ — :

(١) الشكّة : السلاح . (٢) المعوّد : المسن من قولهم عوّد البعير أى صار عَوْدا .
(٣) تقصد : تكسر قصَدا أى قطعا . (٤) فى الأصل " الآداب " . (٥) الحز المزيّد :
البخيل الذى يزيّد ماله أى يُنميه . (٦) المربعة : من ذوات الخفّ التى دخلت فى السنة السابعة .
(٧) الحكمُ وضع الحَكَمَة فى فم الدابّة وهى ما أحاط بحنكى الدابّة من لجامها وفيها العذاران . (٨) ملاطم ،
جمع مَلطم وهو الخد وفى الأصل " ملاطيم " .

شـــوقا يقضُّ نبلُهُ الـ (١) ـأضـــلاعَ وهى زَرَدُ
دام عـــلى حصاة قلـ ـبى ويذوب الجلمــدُ
أفنى الوَقـودُ كبـدى فهـــل يحسّ الموقـدُ
كم يُسعِد الصبرُ تُرَى؟ بعـــدك خان المسعدُ
على مَن الفضلُ ــ وقد فارقتَـــه ــ يعتمدُ؟
يا طولَ ذمّى للنوى، هـل من لقاءٍ يُحمَـــدُ؟
متى؟ فقد طال المدى، لكلّ شيء أمـــدُ
يا باعثَ النعمى التى آياتُهـا لا تُجحَـــدُ
لو كُتِمتْ تطلَّعتْ من حسن حالى تَشهدُ
كانت سَـــدادَ رحْلةٍ أصيب فيها المقصِـدُ
رممتَ منها ثُلَمًا (٢) ما خلتُهـا تُســدّدُ
علّك من مطلٍ بالـ شـكر عليهـا تَجحـدُ
ما كان تقصيرا، فهـل يقتصـر المجتهـــدُ؟
لكنّهـا عارفـــةٌ من الثناء أزيـدُ
أفســدنى إفراطُها، بعضُ العطاء يُفسـدُ
والجود ما أسرفَ والـ إمسـاك فيـه أجودُ
والآن رثّتْ مُسْكةٌ (٣) فاسمـع لهـا أجـدِّدُ.
تأتيك بشرى ما تسو د أبـــدا وتسـعَدُ
وما تصوم مُرضِـــيًا بقـاك أو تُعيِّـدُ

(١) يقضّ : يدقّ، وفى الأصل "يفضّ". (٢) الثلم جمع ثُلمة وهى فُرجة المكسور والمهدوم.
(٣) المُسكة : ما يُتمسّك به.

سنينَ لا يضبطهـ ـنّ فى الحساب عَـــدَدُ
إن عاقنى دهرٌ أقو مُ أبـــدا ويُقـــعِدُ
عن المثول اليوم ما بين يديك أُنشِـــدُ
فربّمــا قمتُ غـــدًا، إنّ أخا اليــومِ غــدُ

* * *

(١٠٠)

قال وقد رثى الشريف الرضىّ رضوان الله عليه بالقصيدة الميميّة، وشقّت على جماعةٍ ممّن كان يحسدُ الرضىَّ بالفضل فى حياته أن يُرثَى بمثلها فى وفاته، ونسبه قومٌ الى السرف فيما آدعى له وانفسه من الحاق به وشدّة الأنس معه، حبًّا لأن تضاف بعضُ المحاسن اليهم، وطعنوا فى غرضـه من الإقرار بالتوحيد، وتكلّموا فى ذاك، وكان فيهم مَن رثاه بمـا ظاهرُه التأسّى، وباطنـه الشماتة، بشِـعرٍ لا يسرُّ سامعا، ولا يملك فَهما، فأسفَ لمكان قصوره عمّا كان يجب أن يقـدر على قوله، وعمل هذه القصيدةَ يرثيه، ويلوّح بذكرهم، ويزيد فى غيظهم

أقــــريشُ، لا لفمٍ أراكِ ولا يدٍ فتوا كلى، غاض النَدَى وخلا النَّدِى (١)
خولستِ، فآلتفتى بأوقصٍ (٢)، وآسئلى من بزَّ ظهرَكِ، وآنظرى من أرمدِ (٣)
وهى الذُّحولُ (٤) فلستِ رائدَ حاجةٍ تُقضَى بمطـــرورٍ (٥) ولا بمهنّـــدِ
خلّاكِ ذو الحسبين أنقاضًا (٦) متى تُجـذَبْ على حبـــل المذلّة تَنقَـدِ
قَمَــرُ الدُّنا أضحت سماؤكِ بعده أرضـا تداسُ بحائرٍ وبمهتـــدى
فاذا تشـادقت الخصـومُ فلجلجى واذا تصـادمت الكماةُ فعـــرِّدى

(١) يقال توا كل القوم : آتكل بعضهم على بعض، والندىّ : النادى. (٢) الأوقص : العنق القصير. (٣) الأرمد : الذى به رمد. (٤) الذحول جمع ذحل وهو الثأر أو العداوة والحقد. (٥) المطرور : المحدّد ويريد به سنان الرمح. (٦) الأنقاض جمع نِقْض وهو المهزول من السير ناقة كان أو جملا.

يا ناشدَ الحسناتِ طوِّف فالياً (١) … عنها وعاد كأنه لم يَنشُدِ
اهبِطْ الى "مُضَرٍ" فسلْ "حَمراءَها" : … مَن صاح "بالبطحاء": يا نارُ اخمدى ؟
بَكَرَ النعىُّ فقال : أُردِىَ خيرُها ، … إن كان يصدُقُ "فالرضىُّ" هو الرَّدِى (٢)
عادت أراكةُ " هاشمٍ " من بعده … خَوَرا لفأس الحاطبِ المتوقِّدِ
فُجعتْ بمعجزِ آيةٍ مشهودةٍ … ولربَّ آياتٍ لها لم تُشهَدِ
كانت اذا هى فى الإمامةِ نوزعتْ … ثم ادعت بك حقَّها لم تُجحَدِ
رَضِىَ الموافقُ والمخالفُ رغبةً … بك واقتدى الغاوى برأى المرشِدِ
ما أحرزت قصباتِها وتراهنتْ … إلا ظهرتَ بفضلةٍ من سؤدُدِ
تبِعتكَ عاقدةً عليك أمورَها … وعُرَى تميمِكَ (٣) بعدُ لمّا تُعقَدِ
ورآكَ طفلا شِيبُها وكهولُها … فتزحزحوا لك عن مكان السيِّدِ
أنفقتَ عمرَك ضائعا فى حفظها … وعققت عيشَك فى صلاح المفسدِ
كالنار للسارى الهدايةُ والقِرَى … من ضوئها ودخانُها للمُوقِدِ
مَن راكبٌ يسع الهمومَ فؤادُهُ … وتُناط منه بقارحٍ متعوِّدِ ؟
ألف التطوّح (٤) فهو ما هددته … يفرى فيافى البيدِ غيرَ مهدَّدِ
يطوى المياهَ على الظما وكأنه … عنها يَضِلُّ ، وإنّه لّمهتدى
صُلبُ الحصاة يثورُ (٥) غيرَ مودِّعٍ … عن أهله ويسير غير مزوَّدِ
عُدِلتْ جَوِيَّتُهُ (٦) على ابنِ مفازةٍ … مستقرِبٍ أَمَمَ (٧) الطريق الأبعدِ
يجرى على أثرِ الدِّرابِ (٨) كأنه … يمشى على صَرحٍ بهنّ مُمَرَّدِ (٩)

(١) فاليا : باحثا . (٢) الرَّدِى : الهالك . (٣) التميم : جمع تميمة وهى خرزات تنظم فى السير ثم يعقد فى عنق الصبى اتقاءً من العين . (٤) فى الأصل " التطرح " . (٥) فى الأصل " ينور " . (٦) الجوية : الأرض غير الموافقة . (٧) الأمم : القرب . (٨) الدراب جمع دَرْب وهو المضيق فى الجبل وفى الأصل : " الضراب " . (٩) الممرّد : المطوّل المملّس .

يغشى الوهادَ بمثلها من مَهبِطٍ ... ورُبَا الهضابِ بمثلها من مَصعَدِ

قَرِّبْ، قُرِبتَ من التلاع فإنها ... "أمّ المناسك" مثلُها لم يُقصَدِ

دأبا به حتى تُريحَ "بيثربٍ" ... فتنيخَه نِقْضًا(١) بباب المسجدِ

واحثُ التراب على شحوبك حاسرا ... وانزِلْ فعزِّ "محمدًا" "بمحمّدِ"

وقل: انطوى حتّى كأنك لم تلدْ ... منه الهدى وكأنّه لم يولَدِ

نزلت بأمّتك المضاعة فى أبناك الـ ... ـمفقودِ بنتُ العَنقفيرِ المُؤيِدِ(٢)

طرقَتْه تأخذُ ما اصطفتْه ولا تَرِى(٣) ... مكرا وتقتُل من نَحَتْه ولا تَدِى

نشكو اليك وَقود جاحمها وإن ... كانت تخصّك بالمُلِظِّ(٤) المكمِدِ

بكت السماءُ له وودّت أنها ... فقدت غزالتَها ولمّا يُفقدِ

(١٠١)

والأرضُ وابن الحاج سُدّتْ سبْلُهُ ... والمجدُ ضيم فما له من مُنجِدِ

وبكاك يومُك إذ جرتْ أخبارُهُ ... تَرَحا وسُمِّىَ بالعبوس الأنكدِ

صبغتْ وفاتُك فيه أبيضَ فجره ... يا للعيون من الصباح الأسودِ

إن تُمسِ بعد تزاحمِ الغاشين مهـ ... ـجورا بمَطرحَةِ الغريبِ المُفرَدِ

فالدهرُ ألأمُ ما علمتَ وأهلُه ... من أن تروحَ عشيرَهم أو تغتدى

ولئن غُمِزت من الزمان بليِّنٍ ... عن عَجْمِ مثلك أو عُضِضت بأدردِ

فالسيفُ يأخذُ حُكمَهُ من مِغفرٍ(٥) ... وطُلًى(٦) ويأخذُ منه سِنُّ المِبرَدِ

لو كان يعقِلُ لم تنلْك له يدٌ ... لكن أصابك منه مجنونُ اليدِ

قد كان لى بطريف مجدك سلوةٌ ... عن سالفِ من مجدِ قومك مُتلَدِ

---

(١) النِّقض: المهزول من السير ناقة كان أو جملا. (٢) العنقفير المؤيد: الداهية الشديدة.

(٣) ولا ترى: ولا تظهر نارها أى أنها تطرق فى الظلام. (٤) الملظّ: الملازم، ويريد به الحزن.

(٥) المغفر: خوذة من الزرد تق الرأس. (٦) الطلى: الأعناق.

فكأنكم — ومدًى بعيدٌ بينكم — يومَ ٱفتقدتُكَ زُلتُمُ عن مَوعِــــد
يا مشكلا أمَّ الفضـائلِ (١) مـ ورثا يُتمًـا بنـاتِ (٢) القاطناتِ الشُّـرُّدِ (٣)
خلقتَهنَّ بمـا رضينك ناظما ما بيـن كلِّ مُرَجَّزٍ ومُقَصَّـدِ
فُتِحتْ بهنّ ـ وقد عدمتُكَ ناقدا ـ أفـواهُ زائفـةِ (٤) اللُّهى لم تُنقَـدِ
ورُثيتَ حتّى لو فَرقتَ ممـيِّزا راثيك مـن هاجيك لم تَستَبعِدِ
غادرتنى فيهـم بمـا أبغضتَهُ أدعو البيوعَ الى متاعٍ مُكسَدِ
أشكو ٱنفـراد الواحدِ السارى بلا أُنسٍ و إن أحرزتُ سَبقَ الأوحدِ
واذا حفِظتُك باكيا ومؤبِّنـا عابوا عليك تفجُّعى وتـلَدُّدى (٥)
أحسنتُ فيك فساءهم تقصـيرُهم، ذَنْبُ المصيبِ الى المغـيرِ المُعضِدِ (٦)
كانوا الصـديقَ رددتَهم لى حُسَّدًا صلَّى الإلهُ على مكثِّرِ حُسَّدى
يغـترُّ فيك الشامتون وإنه يومٌ هُمُ رهنٌ عليـه الى غـدِ
وسيسبرونى كيف قطعُ مُجـرَّدى إن كانَ حَزَّ ولم يُعمِّقْ مُغمَدى
وتُثـيرِ (٧) عارمـةُ الرياحِ سحائبى من مُبرِقٍ فى فضلِ وصفك مُرعِدِ
فتقتْ بذكرِكَ فأرها فتفاوحت نعما تأرَّجُ لى بطيبِ المـولدِ
تزداد طولا ما ٱسـترحت فإننى أرثيك بعـدُ وحُرقتى لم تَـبرُدِ
ماء الأسى متصبب (٨) لى لم يَنِضْ فى صحنِ خدٍّ بالبكاء مُخَـدَّدِ
لو قـد رأيتَ مع الدموع جدوبَهُ ـ فرطَ الزفيرِ ـ عجبتَ للراوى الصَّدِى

(١) أمّ الفضائل : العلم . (٢) يشير الى قصائد المرثى التى نظمها . (٣) فى الأصل "التنود" . (٤) فى الأصل "رائقة" . (٥) التلدد : التحيّر . (٦) المغير المعضد : السهم يذهب فى الفور شمالا و يمينا . (٧) فى الأصل "تُسير" وفى القرآن الكريم "هو الذى يُرسل الرياح فتُثير سحابا" . (٨) فى الأصل "متسبب" .

لا غـــيَّرتك جَنائبٌ (١) تحت البــلى ... وكساك طِيبُ البيت طيبَ المَلحدِ
وقَرُبتَ، لا تبعُــدْ، و إن علالةً ... للنفس زورا قولتي لا تبعُــدِ

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم يهنّئه بالنيروز و بعيد الفطر الذى اتفق معه، و بسلامته، وكان ورد قادما، ويذكر رسم خلعة شتويّة أخّرها عنه

حاشاك من عاريةٍ تُرَدُّ ... إبيضّ ذاك الشَّعَرُ المسودُّ
أشرفَ بازىٌّ على غرابه ... حتى ذوَى الغصنُ ولان الجَعْدُ
أتعبنى بخاضبٍ مُصـــدِّدٍ ... لو كان من هُجُــومه يُصَــدُّ
وثالمٍ بلقطـــه ثَنِيَّــةً ... معروفةً من يومها تُسَــدُّ
يصبغ ســـوداءَ ودون أخذه ... بيضــاءُ تَخفَى تارة وتَبـــدو
أخلقَ جاهى فى ذوات الخُمْر (٢) مذ ... لِيثَ (٣) خمــارٌ لِىَ مُســـتَجَدُّ
قلنَ (٤) — وقد عتبتُ فى وثائق ... نقضنها (٥) — : ما غادةٌ وعهدُ
ناقَى بك الشيبُ بِطالاتِ الصِّبا ... الليــلُ هزلٌ والنهــارُ جِدُّ
فقلتُ : نصلٌ لا يُذَمُّ عِتقُهُ، ... قلنَ : فأيـنَ المـاءُ والفِرِندُ ؟
كانَ قناةً فغـــدا حنيّةً ... ظهرُك، ما القضيبُ إلا القَدُّ
سائل "بنى سعدٍ"، وأىّ مأثمٍ ... لم يتقلّدْ منك ظلمــا "سعدُ" ؟
أهندُ قالت : ملَّنى، وحلَفتْ؟ ... تحلّلى حالفــةً يا "هنـدُ"
أمِنْكِ بين أضلعى جنايةٌ ... أعجبْ بهـا نارا خباها (٦) زَنْدُ !

(١) جنائب جمع جنوب وهى ريح تقابل الشمال . (٢) الخمر جمع خمار وهو مثل النقاب .
(٣) ليث : لُفَّ . (٤) فى الأصــل " قلتْ " . (٥) فى الأصل " نقضتَها " .
(٦) خباها لغةٌ فى خَبأها .

وعدُك لِمْ أُخْلِفَ[1] يومَ "بابلٍ"؟ | بل كان سحرا وآسمُــهُ لى وعدُ
خصرُكِ ضعفا واللسانُ مَلَقًا | دقًّا عليك أن يصحّ عَقدُ
ضاع الهوى ضياعَ من يحفظُه | ومات مع أهـــل الوفاء الودُّ
أَنْجُ ربيحَ العِرضِ وآقعدْ بَحجرةٍ[2] | منفردا، إن الحسامَ فردُ
كم مســتريحٍ فى ظلالِ نعمةٍ | وأنت فى تأميــله تَكُدُّ
طالك بالمال ولو أريتَــهُ | صَــونا رآك مَعَهُ تُعَــدُّ
ملكتُ نفسى مذ هجرتُ طمعى | اليأسُ حُرٌّ والرجاءُ عبـــدُ
ولو علمتُ رغبــةً تسوق لى | نفعا لخفتُ أن يَضُرَّ الزهدُ
جرَّبتُ أخـــلاقَ الرجال فإذا | بسَمِحِها مع السؤال نَكْدُ
ورمتُ أيديهــم بكلِّ رُقيــةٍ | تلين والأيدى معى تَشْــتَدُّ
لم يعيِنى فضـــلٌ أداريهم به | وإنما أعيا علىّ الجَـــدُّ
ما كان مَن شَعْشَعَ لى سرابَهُ | غَرَّ فمِى وقلتُ : ماءٌ عِــدُّ
فى الناس مَنْ معروفُهُ فى عُنُقى | غُلٌّ ، وفيهــم مَن جَداه عِقدُ
مثلُ "الحسينِ" إن طلبتُ غايةً | فاتت، وهل مِثْـــلٌ له أو ندٌّ ؟
فات الرجالَ أن ينالوا مجـــدَه | مشمِّرٌ للمجـــدِ مســتعِدُّ
غَلَّسَ فى إثر العـــلا وأشمسوا | لجاء قبـــلا والنجومُ بَعــدُ
ومن بنى "عبد الرحيم" قمرٌ | كلُّ لياليه تمــامٌ ســعدُ
ما نطفةُ المزنِ صفت طاهرةً | أطيبُ ممّــا ضمَّ منـــه البُرْدُ
لاينُهُ لا تُلفِ القضيبَ عاسيًا[3] | وأصعُبْ يزاحمْك ثقيلا "أُحْدُ"

(١) فى الأصل "خاف" . (٢) بجرة : ناحية . (٣) عاسيا : يابسا .

من المحامين على أحسابهم ... بمالهم، فالفقرُ فيهم مَجْدُ

لا يتمنَّون على حظوظهم ... أن يَجِدُوا دنيا اذا لم يُجْدُوا

سخوا ولم تَبْنِ عليهم "طيّءٌ" ... وفصُحوا ولم تلدهم "نَجْدُ"

كانوا الخيارَ وفَرَعْتَ زائدا، ... والنارُ تعلو وأبوها الزَّندُ!

يا مؤنسي بقربه سلْ وحشتي ... بعدَك : ما جرّ عليَّ البُعْدُ!

أكلَّ يومٍ للفراق فيكمُ ... تعمُّدٌ(١) يسوءنى أو قصدُ؟

ما بين أن يَجبُرُنى(٢) لقاؤكم ... حتى النوى فنعمةٌ وجُهدُ

وكيف لا وأنتمُ فى نُوَبى ... يدٌ وظَهرٌ وفمٌ وعَضُدُ

ريشُ جَناحى بكمُ مُضاعَفٌ ... وحبلُ باعى منكمُ ممتدُّ

كم تحملون كُلَفى ثقيلةً ... كأنَّ حَملى ليس منه بُدُّ

مبتسمين والثرى معبّسٌ ... بيضَ الوجوه والخطوبُ رُبْدُ

قد فَضَلَتْنِى سَرَفا ألطافُكم ... فحسبكم! لكلِّ شيءٍ حَدُّ

أبقُوا علىّ إنما إبقاؤكم ... ذُخرٌ ليومِ حاجتى مُعَدُّ

شِيبُكمُ والنُّصَفاءُ منكمُ ... والغُرُّ من شبابكم والمُرْدُ

فى نجوةٍ أيدى الخطوب دونها ... بُترٌ(٣) وأجفانُ الليالى رُمْدُ

أراك فيها كلَّ يومٍ لابسا ... ثوبا من النَّعماء يستجدُّ

يزورك الشِّعرُ به فى مَعرِضٍ ... منشِدهُ يُحسبُ طِيبًا يشدو

وربما أذكُرُ، ما أنساكَ من ... رسمى اتفاقٌ ساءنى لا عَمْدُ

سيفُكَ فى الأعداء لِمْ خلَّفتَهُ ... مجرَّدًا ليس عليه غِمدُ؟

---

(١) فى الأصل "تعمّةٌ". (٢) يجبرنى : يسرنى، وفى الأصل "يجبرنى". (٣) بُترٌ جمع بتراء أى مقطوعة، وفى الأصل "تَرِرا".

وكيف طِبتَ أن يُرى فريسةً نفسًا وأيامُ الشتاء أشدُ
يحتشِمُ النيروزُ من إطلاله (١) والمهرجانُ يقتضيك بعدُ

* * *

واتفقتْ للأستاذ الجليل أبى طالب محمد بن أيوبَ سَفرةٌ الى سُرَّ مَنْ رأى وما يجاورها من البلاد لهفوةٍ لحقت الجَنَبَةَ (٢) التى يتعلّق بها، ومات أخوه وهو غائبٌ، ولحقته قُصودٌ من الزمان شُغِلَ عن التوجّع له فيها فكتب اليه

خليلُكَ مَن صفا لك فى البعادِ وجارُك مَن أذمَّ على الودادِ
وحظُّك من صديقك أن تراه عدوًّا فى هواك لمن تعادى
وربَّ أخٍ قَصِيِّ العِرق فيه سلوٌّ عن أخيك من الوِلادِ
فلا تغرُرْكَ ألسنةٌ رطابٌ بطائنهنَّ أكبادٌ صَوادى
وعِش إمّا قرينَ أخٍ وفىٍّ أمينِ الغيبِ أو عيشَ الوحادِ
فإنى بعدَ تجربتى لأمرى أنستُ ولا أغشُّك بانفرادى
تريدُ خلائقُ الأيامِ مكرا لتُغضِبنى (٣) على خُلُقٍ وعادى
وتغمزنى الخطوبُ تظنُّ أنى ألينُ على عرائكها الشِّدادِ
وما «شهلانُ» تشرف قُنّتاه بأحملَ للنوائب من فؤادى
تغرَّبُ فى تقلُّبها الليالى علىَّ بكلِّ طارقةٍ نآدِ (٤)
اذا قلتُ: اكتفت منى وكفَّتْ نزتْ بالداء ثائرة العِدادِ
رعَى سِمَنُ الحوادثِ فى هُزالى كأنَّ صلاحَهن على فسادى
فيوما فى الذخيرة من صديقٍ ويوما فى الذخيرة من تِلادى

---

(١) الإطلال: إهدار الدم. (٢) الجنبة: الناحية. (٣) فى الأصل: " لتعصينى ".
(٤) النآد: الداهية.

يذمُّ النومَ دون الحرص قومٌ ... وقلتُ لرقدتي عنه : حَمادِ (١)

وما كان الغنَى إلا يسيرا ... لو آن الرزقَ يبعثه آجتهادى

وضاحكةٍ الى شَعرٍ غريبٍ ... شُكِمتُ به فأسلس من قيادى

تَعُدُّ سِنِيَّ تَعجَبُ من بياضى ... وأعجبُ منه ـ لوعلمتْ ـ سوادى !

أمانٍ كلَّ يومٍ فى آنتقاصٍ ... يساوقُهنَّ همٌّ فى آزديادِ

وفُرقةُ صاحبٍ قَلِقِ المطايا ... به قَلَقُ المدامعِ والوسادِ

تُخفِّضُ بعدَه الأيامُ صوتى ... على لَسَنِي (٢) وتَخفِضُ من عمادى

وتُخمِدُ عن ضيوف الأنس نارى ... وكنتُ بقربه وارى الزنادِ

أقيمُ ولم أقمْ عنه لِمَسْلٍ ... ويرحَلُ لم يَمِرْ منّى بزادِ

كأنّا إذ خُلقنا للتصافى ... خُلقنا للقطيعة والبعادِ

أرى قلبى يطيش اذا المطايا ... الى الرابين ياسَرهنَّ حادِى

ولم أحسب "دُجَيلا" (٣) من مياهى ... ولا أنّ "المَطيرةَ" (٤) من بلادى

ولا أنى أبيت دعاى يحدو ... الى "تَكريتَ" (٥) سارِيةَ الغوادى

ومن صُعَداء أنفاسى شِرار ... تمرُّ مع الجَنوب بها تنادى :

أأحبابى أثار البينَ بينى ... وبينكُمُ مساخَطةُ الأعادى

سقت أخلاقُكم (٦) عهدى لديكم ... فهنَّ به أبرُّ من العِهادِ

ورُدَّ علىَّ عندكُمُ زمانٌ ... مَجُودُ الروضِ مشكورُ المَرادِ

أصابت طيبَ عيشى فيه عينى ... فقد جازيتُها هجرَ الرقادِ

---

(١) يقال حَمادِ له كقَطامِ بمعنى حمدًا له وشكرًا . (٢) اللَّسَنُ : الفصاحة . (٣) دجيل : اسم نهير . (٤) المطيرة : اسم قرية من نواحى سامراء وكانت من متنزهات بغداد وسامراء . (٥) تكريت : اسم موضع . (٦) فى الأصل "أخلاقكم".

فلا تحسب ـ وظنُّك فىّ خيرا ـ بقاىَ ـ وأنت ناءٍ ـ من مُرادى
ولا أنّى يسُرُّ ســوادَ عينى بما عُوِّضتُ من هـــذا السوادِ
وكيف وما تَلَفَّ المجـدَ دارٌ نأتك، ولا يَضُمُّ الفضـلَ نادى
فإن أصبرْ ـ ولم أصبر رُجوعا الى جَـــلدٍ ولم أحمل بآدِ(١) ـ،
فقـــد تُحنَى الضلوعُ على سَقامٍ وقد تُغضَى الجفونُ على سهادِ
وكنتُ ، وبيننا إن طال مِيلٌ و إما عرضُ "دجلةَ" وهى وادى ،
اذا راوحتُ دارَك لجَّ شـــوقٌ فلم يُقنِعه إلا أن أُغادى
فكيف و بيننـا للأرض فَرْجٌ يماطِل طُـــولَه عَنَقُ(٢) الجيـادِ !
ومعترِضُ " الجزيرة " والحوافى من " القاطول(٣) " تلمع والبوادى
وُفودٌ من مطايا المـاءِ(٤) ســودٌ ، روادفُها تطول على الهـــوادى
اذا كَنّ الليـالى مقمـــراتٍ فراكبُهنّ يخبـــطُ فى الدَّآدى(٥)
لهنَّ من الرياح الهـــوجِ حادٍ ومن خُلُجِ(٦) الميـاه العوجِ هادِى
اذا قمصت على الأمواج خِيلتْ على الأحشاء تقمِصُ أو فؤادى
فهل لى أن أراك وأن تراني وهل من عُدَّتى هى أو عَتـادى ؟
سأنتظر الزمانَ لهـا و يـــوما يطيل يدَ الصديق على المعـادى
ظمئنا بعـــدكم أسفا وشـــوقا كما جِيـــدتْ(٧) بكم يُبْسُ البلادِ
لعل "محمدا" ذكـرتْه نُعمَى ترانى ناسيا فيـه آعتقـادى

---

(١) الآد : القوة ، وفى الأصـل " نآدِ " . (٢) العنق : ضرب من ضروب السـير .
(٣) القاطول : اسم نهر مقطوع من دجلة حفره هارون الرشيد و بنى على فوهته قصرا وسماه " أبا الجند " لكثرة ما كان يسق من الأرضين وجعله لأرزاق جنـده . (٤) مطايا المـاء : السفن .
(٥) الدآدى جمع دأداة وهى آخر ليال الشهر المظلمة وقد تقـدّمت . (٦) خلج جمـع خليج .
(٧) جيدت : أصابها مطرٌ جَوْدٌ .

وعلّ الله يجبرُ بالتداني ... كسيرةَ قانطٍ، حسْبُ التمادي

وأقربُ ما رجوتُ الأمرَ فيه ... على الله آعتمادُك وآعتمادي

فلا تعدَم ـ ولا يعدَمْك ـ خلّا ... متى ما تعْدُدُهُ عنك العوادي

يُزرْك كرائماً متكفِّلاتٍ ... بجمع الأُنسِ قيل له : بَدادِ (١)

نواحبَ (٢) فى التعازى والتشاكى ... حبائبَ للتهانى والتبادى

طوالعَ فى سوادِ الهم بيضاً ... طلوعَ المكرماتِ أو الأيادى

اذا جرّتْ ذلاذلها " بجوّ " ... تضوّعَ حاضرٌ منه وبادى

لها فعلُ الدروع عليك صوناً ... وفى الأعداء أفعالُ الصِّعادِ

ربَتْ يا "آلَ أيوبٍ" وأثّتْ (٣) ... رُباى بكم على السَّنَةِ الجمادِ

فهل رجلٌ يدُلُّ اذا عدِمتم ... على رجلٍ وفىّ أو جوادِ

ومَن أخذَ المحاسنَ عن سواكم ... كمن أخذَ المناسبَ عن "زيادِ"

* * *

وكتب الى الأستاذ الجليل أبى سعد محمد بن الصاحب الأجلّ أبى القاسم آبن عبد الرحيم يهنّئه فى النيروز وهى أوّل ما عمل فيه

سلمتِ ـ وما الديارُ بسالماتٍ ـ ... على عنَت البلى يا دارَ "هندِ"

ولا برِحتْ مفوَّفةُ الغوادى ... تُصيب رباكِ من خطَإٍ وعمدِ

بموقِظةِ (٤) الثرى والتربُ هادٍ ... ومُجديةِ الحيا والعامُ مُكدى

على أنى متى مطرَتْكِ عينى ... ففضلٌ كُما سقاكِ الغيثُ بعدى

أميلُ اليك يجذبنى فؤادى ... وغيرُكِ ما آستقام السيرُ قصدى

---

(١) بدادِ كقطام بمعنى تبدَّدْ . (٢) فى الأصل "نوائب" . (٣) اثّت : كثر نباتها والتفّ .
(٤) يريد " هادئ " بمعنى ساكن .

وأُشفق أن تبدِّلك المطايا ... بوطأتها كأنّ ثراكِ خدّى
أرى بك ما أراه فمستعيرٌ ... حشاى وواجدٌ بالبين وجدى
وليتك إذ نحلتِ نحولَ جسمى ... بقيتِ على النحول بقاءَ عهدى
وما أهلوكِ يومَ خلوتِ منهم ... بأوّلِ غدرةٍ للدهر عندى
سلى الأيام ما فعلت بأنسى ... وعيشٍ لى على "البيضاء" رغدِ ،
وفى الأحداج عن رشإٍ حبيبٍ ... على لونيه من صلةٍ وصدِّ
يماطلُ ثم يُنجِزُ كلَّ دَيْنٍ ... ولم ينجز "بذى العلمين" وعدى
تبسّم "بالبراق" وصاب غيث ... فلو مُلِكَ الفداءُ لكنتُ أفدى ،
ثناياه وفاه ولا أغالى ... بما فى المزن من برقٍ وبَرْدِ
ألا مَن عائدٌ ببياض يومٍ ... لعينى بين "أحناء" و"صمدِ" ؟
وعينٍ "بالطُّوَيلع" بارزاتٍ ... على قَسَماتهن حياءُ "نجدِ" ؟
نظرنَ — فما غزالتُه؟ — بلحظٍ ... ومِسْنَ — فما أراكتُه ؟ — بقدِّ
وبلهاء الصِّبا تبغى سِقاطى ... اذا حلّتها هزّلتْ بجِدّى
تَعدُّ سنىَّ تعجَبُ من وقارى ... ولم يجتزْ مراحَ العمر عَدّى
فما للشَّيْب شدَّ علىّ ركضا ... فطوّح بى ولم أبلغ أشُدِّى !

* * *

يعيّرنى ولم أره شآنى(١) ، ... تنبه حظّه بخمولِ جَدّى
ووَدَّ على غضارة(٢) حُلّتيه ... مكانَ الرقع من أسمال بُردى
وما ورقُ الغنى المنفوضُ عنّى ... بعُمرٍ من حُسام المجدِ غِمدى
حملتُ — وليس عن جَلَدٍ بقلبى — ... حُمولَةَ واسع الجنبين جَلْدِ

---

(١) شآنى : سبقنى . (٢) الغضارة : النضارة ، وفى الأصل "غضاضة" .

تبادهني النـوائب مستغرّا فأدفعها بعـزمة مسـتعدّ
يزلّ الخوفُ عن سكَّات قلبي زليلَ الماءِ عن صفحاتِ جِلدي
دع الدنيا ترِفّ على بنيها وتُجلِبْ بالجفاء عليّ وحدي
وفرْ(١) أموالَهم تنمو وتزكو فليس كنوزُها ثمنا لحمدي
لعلّ حوائل الآمال فيهم تُطرّقُ من " أبي سعدٍ " بسعدِ
فتى عقدتْ تمائمُه فطيما على أُكرومةٍ ووفاءِ عقدِ
وربّته على خُلُق المعالي غرائزُ من أبٍ عالٍ وجَدِّ
فما مجّت له أذُنٌ سؤالا ولا سمحتْ له شفةٌ بردِّ
اذا اخضرّت بنانُ أبٍ كريم فصبغتُها الى الأبناء تُعدي
تطاولَ للكمال فلم يفُتْه على قُربِ الولاد مكانُ بُعدِ
وتمَّ فعلّق الأبصارَ بدرا ولم يَعلَق له شَعرٌ بخدِّ
رآه أبوه — وابن الليث شبل — لشِدّةِ نُفرةٍ وهو ابن مهدِ
فقال لحاسديه : شقيتُم بي وهذا ابني به تشقَونَ بعدي
جَرى ولداتِه فمضى وكدّوا لو انّ الريحَ مُدرَكةٌ بكدّ
اذا سبروه عن عوصاءَ أدلَى بها فنجا على غرَرِ التحدّي
دَعُوا دَرَجَ الفضائل مزلِقاتٍ لماضٍ بالفضائلِ مستبِدِّ
وما حسدُ النجومِ على المعالي — ولو ذابَ الحسا حسدا — بمُجدي
" أبا سعدٍ " ولو عثروا بعيبٍ مشوا فيه بحقٍّ أو تعدّي
وقد تسرى العيوبُ على التصافي فكيفَ بها على حَنَقٍ وحِقدِ
ولكن فتّهم فنجوتَ منهم نجاءَ اللحن بالخصمِ الألدّ

(١) فر : صن أو كثّر .

وملّكك الفخارُ فلم تنازَع بقُلٍّ فى الندى ولا بحَشْد
أبٌ لك يُلجِمُ العلياءَ طولا وخالٌ فى عِراصِ المجد يُسدِى
ولم يعدِلْ أبا لك "يَعرُبيًّا" زميلٌ مثلُ خالك فى "معَدّ"
جزيتُك عن وفائك لى ثناءً يودّ أخى مكانَك فيه عندى
ولولا الودُّ عزّ عليك مدحى ولولا الفضلُ عزّ عليك ودّى
بنى "عبد الرحيم" بكم تعالت يدى وورى على الظلماء زَندى
وإن أودَى "بنيسابور"(١) قومى لجَدُّكُمُ من الأملاك جدّى
وأصدقُ ما محضتُ القومَ مدحى اذا ما كان مجدُ القوم مجدى
تُفاعِينى(٢) لتُردِيَنى الليالى فأذكرُكم فتنهَشُنى بدُرْد
وأزحَمُ فيكمُ نكباتِ دهرى بعصبةِ "غالبٍ" وبنى "الأشدّ"
لذلك، ماحبوتكُمُ صفايا ذخائرُ خيرُ ما أحبو وأُهدى
طوالعُ من حجابِ القلب، عفوى بهنّ يُبَذُّ غايةَ كلِّ جُهد
تجوبُ الأرض تقطعُ كلَّ يوم مدَى عامين للسارى المُجِدّ
يَرِينَ(٣) وبعدُ لم يُرَيْنَ حسنا كأنّ سطورَهن وُشوعُ بُرْد
اذا روّت رجالَكُمُ كُهولا سأرنَ(٤) لصبيةٍ منكم ومُرد
ولولاكم لما ظفرت بكفء يُسَرُّ ولا سعت قدما لرشد
ولكن زفّها الأحرارُ منكم فما أشقيت حرّتها بعبد
فَضَلتم سؤددا وفضَلتُ قولا فكلٌّ فى مداه بغير نِدّ
بكم خُتم الندَى وبِىَ القوافى بقيتم وحدكم وبقيتُ وحدى

---

(١) فى الأصل "بنوسابور". (٢) تفاعينى: تداهمنى كالأفعى. (٣) يرين: يضئن من ورى الزند يرى. (٤) سأرن: أبقين من السؤر وهو البقية من الماء.

***

وكتب الى أبى الحسين أحمد بن عبد الله ، الكاتب وهو أحد الرؤساء المشهورين ، وقد آنحدر الى واسط مستدعًى للنظر ، يتشوق أيامَ آجتماعه ، ويستوحشُ لبعده ، ويذكُر ما يرجوه له من آستقامة الأمر ، ويهنّئه بعيد الفطر سنة آثنتى عشرة وأربعمائة

تَعُدْنَ ليالينا عُـوَّدا	على العهد من "بُرقَتَىْ ثَهمَدا" ؟
وهل خبرُ الطيفِ من بعـدهم	اذا طاب يصـدُقُك المَوعِدا ؟
وياصاحبِى ، أين وجهُ الصباح ؟	وأين غدٌ ؟ صِفْ لعينى غدا
أسدُّوا مَسارحَ ليـل "العرا	ق" أم صبغوا بِجُـرَه أَسودا
وخلفَ الضـلوعِ زفـيرٌ أبَى	وقد بَرَدَ الليـلُ أن يبرُدا
خليـلىَّ ، لى حاجـةٌ ما أخفَّ	"برامةَ" لو حَمَلتْ مُسـعِدا
أريـدُ لِتكتمَ وآبن الأرا	ك يفضحُها كلّما غـرَّدا
و"بالرمل" سـارقةُ المقلتيـ	ن تَكحُل أجفانَها المِـروَدا
اذا هُصِرتْ هُصرتْ بانـةً	وإن سئلتْ سئلتْ جَلمدا
أُحبّ وإن أخصبَ الحاضرون	ببادية الرمل أن أخـلُدا
وأهـوى الظباءَ لأمّ البنينَ	بمـا تُشـبهُ الرشأَ الأغيـدا
وعِيناً يردنَ لصابِ(١) "الغوير"	بأنقـعَ من مائه للصـدَى
فليت ــ وشَيْبى بحامِ(٢) العذارِ ــ	زمانَ "الغضا" عاد لى أمردا
ويا قلبُ قبلَك ضـلَّ القلو	بُ لو كنت أملك أن تُنشَدا

(١) لصاب جمع لِصْب وهو مضيق الوادى ، و يقال : "أعذب من ماء اللصاب" . (٢) حام آبن نوح وهو أبو السودان وذكرُه هنا كناية عن السواد .

أرى كبدى قُسِمتْ شُقَّتين — مع الشوق غَوَّر أو أنجـــدا
" فبالنَّعف " ضائعـــةٌ شُعبةٌ — وأخرى " بَيسانَ " ما أبعـــدا !
وما خلتُ لى " واسطا " عُقْلَة(١) — تعـــلِّم نــومِىَ أن يَشرُدا
ولا أننى أستنشمّ الجَنــو — بَ أطيبَ ريحِىَ أو بَـــردَّا
وأطـــرحُ منحـدِرا ناظرى — لهـا أبتـــغى رفدَها المُصعِدا
وأحمَـــدُ من نشرها أنه — اذا هبَّ مَثَّل لى " أحمـدا "
ولا كنتُ قبلَكِ فى حاجـةٍ — لتحمِلَ عُنْــقى لريح يـدا
أسالَكَ " دجــلةَ " تَجرى به — محايِدةٌ مــوجَهـا المُـــزبِدا ،
صُهابيَّـــةُ اللـون قاريّةٌ — تخـالف صبغتُهـا المـــولدا
تَحِنّ وما سمعتْ فى الظلا — م غـــيرَ غناء النَّـواتى(٢) حُـــدا
لهـا رَسَنٌ فى يمين الشِّمال — اذا ضـــل قائفُ(٣) أرضٍ هَدَى
تحمَّلْ — سلمتَ على المهلكاتِ — وساقَ لك اللهُ أن تَرشُـدا — ،
رسائلَ عنّى تُقيـــم الجُمُـــوحَ — وتســـتعطف العُنُقَ الأصيـدا
أجيرانَنـا أمسِ جار الفـــرا — قُ بيني وبينكُمُ واعتـــدى
جفا المضجعَ السَّبْطَ جنبي لكم — مُحافَظَـــةً ونـــفَى المَــرقَدا
وأوحشـــتُمُ ربعَ أُنسى فعاد — يُهـــدِّم بانيـــهِ ما شَـــيَّدا
وفاجأنى بينُكُمْ بغتـــةً — ولم أكُ للبين مســـتعِدا
ففى جَسدى — ليس فى جُبَّتى — — نوافـــذُ ما ســـلَّ أو سَـــدَّدا
تمنتك عيـــنى وقلبي يَـــراك — بشوقِىَ — حاشاك أن تُفقَدا —

---

(١) فى الأصل " عقله " . (٢) النواتىّ جمع نوتىّ وهو الملاّح . (٣) القائف : الذى يعرف الأثر .

كأنى سُرعــةَ ما فُتّــنى عدمتُك من قبلِ أن تُوجَدا

لئن نازعتْنى يدُ الملك فيــك فــلم أستطع بدفاعٍ يــداء

لحظٌّ عساه - وإن ساءنى - يكون بمـا ســرّنى أعــوَدا

دعوك لتعــدِلَ مَيْــلَ الزمانِ ويُصــلحَ رأيُك ما أفســدا

يسومون كفَّك سَبْرَ الجــراح وقد أخذتْ فى العظام المُـدَى

سيُبصر مســتقرِبا من دعا ك موضعَ تفــريطِه مُبعَــدا

ويعلم كيف آنجفالُ[1] الخطوب اذا سُلَّ منــك الذى أُغمِدا

وإن كان منكبُه منجِبا درى أىَّ صَمصامةٍ قُــلِّدا

وقبلك لو أثلثَ الفــرقدين خابطُ عشوائهــم ما آهتدى

ولمــا رأوك أمام الرعيــلِ ألقوا الى عُنقِــك المِقوَدا

وأدنَوا لحمــل المهــمّات منك بَــزلاءَ[2] عجْــلزةً[3] جلْعَــدا[4]

اذا ثقُــلَ الحِمــلُ قامت به وإن ظَلعتْ نهضَتْ أجــلدا

تكون لراكبها - ما آســتقام دون خِطار الفيافى - فِدَى

وتُضحى على الخِمْس لا تستريبُ عجــرفةً أن ترى المَــوردا

تُطيعُ اللسانَ فإن عوسرتْ أثاروا بهــا الأسَــدَ المُلْبِــدا

اذا ما الفتى لم تجِــدْ نفسُــه بهمّتهــا فى العــلا مَصْــعَدا،

ســوى غلَطِ الحــظِّ أو أن يُعَــدّ فى قومــه نَسَــبا قُعــدُدا[5]،

فلله أنت آبنُ نفسٍ سمتْ لغايتهــا قبــلَ أن تُولَدا

اذا خُــيِّرَ آختار إحــدَى آثنتين إمّا العَــلاء وإما الرَّدى

---

(١) الآنجفال : الهروب بسرعة . (٢) البزلاء : الناقة المسنة . (٣) العجلزة : الناقة الشديدة . (٤) الجلعد من الإبل : الصُّلب الشديد . (٥) القعدد : البعيد الآباء من الجد الأعلى .

كأنى أراك وقـد زاحموا بك الشمسَ إذ عزلوا الفَـرقدا
وخاطوا النجومَ قميصا عليـك (١) ولاثوا السحابَ مكانَ الرِّدا
وصانوك عن خرقٍ فى الحلى فخلّوا طلًى خيلك العَســجدا
وان أخلَق الدهرُ ألقابَهـم بما كثر منهـا وما ردّدا ،
رضُـوا بآختيارىَ أن أصـطفى لك اللّقَبَ الصـادقَ المفْـرَدا
فكنّيتُ نفسَك : أمَّ العــلاء وسمّيتُ كفّك : قطرَ النّدى
وهل سمعوا فى آختلاف اللغات بلجّــة بحــرٍ تُســمّى يدا !
مُنًى فيـك بأتْ يدى منـذُ شِمْـ ـتُ عارضَـها المُـبرقَ المُرعِـدا
فَتَمَّ فـراغُ عهودى فقـد أمِنْتُك من قبـلِ أن تَعهَدا
فــلا ترمِينَّ بحـقّى ورا ء ظهــرِ النسيئة مُلقًى سُـدى
ولا يَشــغَلَنَّكَ عِزُّ الــوُلا ة عن حُرُماتى وبعـدُ المَدَى
فليس الوفىُّ المُراعى القــريبَ ولكنّه من رَعَى الأبعــدا
تحلّيتُ طَعمةَ عيشى المــريـ ـر يـومَ لقيتُك مســترغِدا
وأيقنتُ أن زمانى يصـ ـير عبــدِىَ مذ صرتَ لى سيّدا
وأصبح من كان يقوَى عَلَىَّ وغايتُه فىَّ أن يَحسُــدا
وقد كنتُ أصعبَ من أن أصا دَ رأسا وأعوزَ أن أوجَــدا
اذا آستام ودّىَ أو مدحـتى فـتًى رام أخنسَ (٢) مســتطرِدا
يفالتُ قَطْعـا حبـالَ القنيص يَرَى كلَّ موطنــه مَشــرَدا
فآنســتنى بمــديح الرجال وذلّلتَــنى لقبــول الجَــدا

---

(١) فى الأصـل " وخاطرا " . (٢) الأخنس : الأسد ، وفى الأصل " أخيس " .

ولو راض خلقَــك لؤمَ الزمان لعلَّمَــه المجــدَ والســؤددا

فما أمكنَ القــولُ فاسمع أُزِرْك قــرافِيَ بادئــةً عُــوَّدا

قواضِيَ حــقِّ النــدَى والودا دِ مثــنًى تؤمك أو مُوحَــدا

اذا أكلَ الدهــرُ أعواضَها[1] من المال عمَّــرَها سَرمدا

لو آسـطاع سـامعُ أبياتهـا اذا قام راوٍ بهـا منشِــدا،

لصــيَّرَ أبيـاتَهـا سُـبحةً ومثَّــلَ قِرطاسَــها مَسجِدا

مهنِّئَةً أبـدا من علاك بمـا استأنفَ الحظُّ أو جــدَّدا

وبالصوم والعيـدِ حـتى تكو نَ آخرَ من صـام أوعيَّــدا

وحــتى تُرَى واحـدا باقيـا كما كنتَ فى دهرِنا أوحدا

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم، وهو مقيم بواسط فى النيروز، يجزيه على عادة الإتحاف ويتشوّقه، وقد آتفق ذلك فى عشر عيد النحر

أخلقَ الدهــرُ لِمَّتِى وأجــدّا شــعَراتٍ أرينَنى الأمرَ جِــدَّا

لم يــزلْ بى واشى الليـالى الى سمـ ـع معير الشــباب حتى آســتردّا

صِـبغةٌ كانت الحياةَ فما أفـ ـرُقُ أودَى دهرِى بهـا أو أردَى

يا بياضَ المشــيب بِعْــنِى بأيّا مـك ليــلا نضــوتَه مســوَدَّا

يا لهـا ســرحةً تَصاوَحُ تَنُــو مًا[3] وعهــدى بهـا تَفاوَحُ رَندا

لم أقــل قبلهـا لســوداءَ : عطفًا وآقــترابا، ولا لبيضــاءَ : بُعدا

عــدّتِ الأربعون سنِّــى تمامى وهى حلّت عُرَاىَ عَقــدا فعقدا

---

(١) أعواض جمع عِوَض وهو الخلف والبدل. (٢) فى الأصل "لى". (٣) التنوم واحدته تنومة وهي شجرة يضرب لون ورقها الى السواد.

بانَ نَقْصِى بأنْ كَلَتُ وأحسســ ست بضُعفى لمّا بلغتُ الأشُــدّا
رجعتْ عــنّىَ العيونُ كما تر جعُ عن حاجب الغزالة رُمْدا
ليت بيتا "بالخَيْف" أمسِ آستضفنا ه قَــرانًا ولو غَــراما ووَجْــدا
وسـقاةً عــلى القليب آحتسابا عوّضــونا اللّى شِــفاءً وبَــرْدا
راح صحبى بفــوزة الحجّ يحـــدو ن، وعَنسى باسم البخيلة تُحدَى
ولحاظى مقيّــداتٌ "بســليع" فكأنّى أضللتُ فيــه المَجْــدا
ربَّ ليلٍ بين "المُحصَّب" و"الخَيْـ ـف" لبســناه للخلاعــةِ بُــرْدا
وخيامٍ بَســفح "أُحْدٍ" على الأقـ ـمار تُبْنَى، فحَىَّ يا رب "أُحْدًا"
لا عــدا الرَّوْحُ فى "تِهامةَ" أنفًا سًّا اذا آستُروِحتْ تمنّيتُ "نجدا"
وأعانَ الرقادُ حَــيْرةَ طَــرفٍ لم يجِــدْ فى الطّلاب يقظانَ رُشْدا
نِمتُ أرجو "هنــدا" فكلّ مثالٍ خَيَّلَتْ لِى الأحلامُ إلّا "هنــدا"
عَجبــا لى ولابتغائى مَــودّا تِ ليــالٍ طباعُهــا لِىَ أعــدًا(١)
نطَقَتْ فى نفوســها وتعفَّفـ ـتُ، فمــا وُدُّ من يَرَى بك صدّا
أجلبتْ(٢) جِلدتى عريكةُ دهرى فــرمَى بى وقام أملَسَ جِلْدا
كلّ يــومٍ أقــولُ : ذمًّا لعيشى فاذا فاتنى غــدًّا قلتُ : حَمْــدا
زفراتٌ عــلى الزمانِ اذا آستبـ ـردتُ منها تنفُّسا زدنَ وَقْــدا
يا لَحَظّى الأعمَى أما يتلــقّ قائدا يبتــغى الثــوابَ فيهْــدَى!
يا زمانَ النفاقِ مالك زاد الله بيــنى وبينَ أهلك بُعــدا
مَن عذيرى من صحبة الناس ما أخـ ـفرَها ذمّــةً وأخبثَ عهــدا
كم أخٍ حائم مــعى واصــلٍ لى فاذا خَلَّفتْ بــه الحالُ صــدّا

(١) يريد أعداء . (٢) أجلبت : تركت عليها جُلبَة وهى القشرة التى تعلو الجرح .

وصديقٍ سَبْطٍ وأيّامه وُسْطَى فلمّا انتهتْ تقلّصَ جَعْدا
ليتَه غيرَ منصِفٍ لِيَ إسعادا على الدهر منصفٌ لِيَ وُدّا
واذا لم تَجِدْ من الصبر بُدًّا فتعزَّلْ وَجِدْ من الناس بُدّا
يدفع اللهُ لى ويحمى عن "الصاحِبِ" فَردا كما وَفَى لِيَ فَردا
أَجِنَتْ[1] أوجهُ الرجالِ فما أنكَرتُ من بِشرِ وجهِه العذبِ وِرْدا
كيفما خالَفتْ عِطاشُ أمانيِّنا اليه كان النميرَ العِدّا[2]
مَلّكَ الجودُ أمرَه فحديث المال عن راحتيه : أعطَى وأجدَى
زد بحاجا اذا سألتَ وإلحاحا عليه يزِدْك صبرا ورِفْدا
لا تَرَى — والمياهُ تُعطى وتُكدِي — حافرًا قطّ فى ثراه أكدَى[3]
كلما عرَّضَتْ له رغبةُ الدنيا توانى عنها عَفافا وزُهدا
كثَّر الناسُ مالَها ، واقتناها سِيَرا تَشرف الحديثَ وحَمْدا
لحقتْه بغاية المجد نفسٌ لم تحدّد فضلا فتبلغ حدّا
عدّت الفقر فى المكارم مُلكا وفناءَ الأيّام فى العزّ خُلدا
وأبٌ حطّ فى السماء ولو شاء تخطّى مكانَها وتعدَّى
من بهاليلَ أنبتوا ريشةَ الأرضِ وربّوا عِظامَها والجِلْدا
أرضعتْها أيديهمُ دِرّةَ الخصبِ فروّت تِلاعَها والوُهْدا
بين "جَمٍّ"[4] منهمُ و"سابورَ"[5] أقيالٌ[6] يعدّون مَولد الدهر عَدّا
لهمُ حاضرُ الممالك إن فاخر قومٌ منها بقفرٍ ومَبدَى[7]

---

(١) أجنت : صارت آجنة أى متكدرة متغيرة . (٢) النمير العد : الزاكى الكثير .
(٣) أكدى من قولهم : أكدى الحافر أى بلغ الكدا وهى الأرض الصلبة وقد تقدم . (٤) جَمّ : اسم أحد ملوك الطبقة الأولى من الفرس وتاريخه من أعجب التواريخ وفى الأصل "خم" . (٥) سابور : اسم أحد الأكاسرة . (٦) أقيال جمع قيل وهو الملك من ملوك حمير . (٧) المبدى : البادية .

أخـذوا عُذرةَ الزمانِ وسدُّوا ... فُرَجَ الغيلِ(١) يقنصون الأُسْدا

سـيرُ العـدلِ فى مآثرهم تُرْ ... وَى وحسنُ التـدبير عنهم يؤدَّى

واذا آغبرّتِ السنونَ وأبدَى ... شَعثُ الأرض وجهَها المُربَدّا

طـردوا الأَزْلَ(٢) بالـثراء وقاموا ... أثرَ المحلِ يخلُفون الأَنْدا(٣)

تُوِّجوا مُضغةً، وساد كهولَ الـ ... ـناس أبناؤهم شبابا ومُردا

عـدَّد الدهرُ سـيدًا سـيدًا منـ ... ـهم وعدَّ "الحسينَ" جَدًّا بجَدّا

حَبَسَ النـاسَ أن يُجاروك فى السؤ ... دُدِ تعريجُهم وسَيْرُك قَصدا

ووقَى المُلكَ زَلّةَ الرأى أن صر ... تَ بتـدبير أمرِه مستبِدّا

لك يومٌ عنـه مِراسٌ مع الحر ... بِ يردُّ السوابقَ الشُّعْرَ(٤) جُردا

تركبُ الدهرَ فيـه ظَهرا الى النصـ ... ـرِ وتستصحبُ الليالىَ جُندا

وجـدالٌ يوما ترَى منك فيـه ... فِقَرُ الوافـدين خَصْما ألدّا

كلّ عَوصاءَ يسبِق الكَلِمُ الهدَّ ... ارُ فى شوطها الجوادَ النَّهْدا(٥)

أنا ذاك الحـرُّ الذى صيَّرتْه ... لك أخلاقُك السواحرُ عبدا

مُعلَّقٌ من هواك كفّى بحبلٍ ... لم يزده البعادُ إلا عَقْدا

ملَكَ الشوقُ أمرَ قلبى عليه ... مذ غدا البينُ بيننا ممتدّا

أشتكى البعدَ وهو ظلمٌ ولولا ... لذّةُ القربِ ما أَلِمتُ البُعدا

ليت من يحمِلُ الضعيفَ على الأخـ ... ـطارِ ألقَى رَحلى اليك وأدَّى

فترَوّت عينى ولو ساعةً منـ ... ـك، فإنى من بعدها لا أَصْدَى

وعلى النأىِ فالقوافى تحيّا ... تُك منّى تسرى مَراحا ومَغْدَى

(١٠٩)

---

(١) الغيل : عرين الاسد . (٢) الأزل : الضيق والقحط . (٣) يريد الأنداء جمع ندى .

(٤) الشُّعر جمع أشعر وهو ضد الأجرد . (٥) النّهد : الفرس الحسن .

كلّ عذراء تفضَح الشمسَ فى الصبـ ـح وتُـورِى فى فحمة الليـل زَندا
لم تُدنَّس باللمس جسما ولم تَصـ ـبُغْ لها غَضّـةُ اللواحـظِ خدّا
أَرِجاتُ الأعطافِ مُهـدّى جَناها لك يهـدى الى الربيع الوَرْدا
فتلقَّ السـلامَ والشوقَ منهـا ذاك يُشْكَى وذا يطيبُ فيُهـدَى
وأَحْبُ جيـدَ النيروز منها بطوقيـ ـن وفصّـل لليلة العيـدِ عِقْـدا
وتسـلَّمْ من الحوادث ما كـ ـرّ على عَقْبِـه الزمانُ وردّا
ما أُبالى اذا وجـدتُك مَنْ تَفـ ـقِدُ عيني — لا أبصرتُ لك فَقدَا —

* * *

وكتب الى ربيب النّعمة أبى المعمّر بن الموفّق يهنّئه بعيد الفطر

اذا قُطمتْ قـرارةُ كلِّ وادى فدَرَّتْ "باللوى" حلَمُ(١) الغوادى
ومرّت تهتـدى بالريح فيـه مطايا الغيثِ مثقَـلةَ الهوادى
ففُتِّحتِ الرُّبا خـدّا وسُـدَّت بشكر المزن أفـواهُ الوهـادِ
أناديـه وتَنشُـدُه المغـانى ولكن لا حياةَ لمن تُنـادى
وما أرَبى الى سُقيا ربـوعٍ لهـا من مقلتى سارٍ وغادى
حملتُ يَدَ السـحاب الجَوْن(٢) فيها واسـتُ معوّدا حمـلَ الأيادى
ولو بكت السماءُ لها وجفـنى تيقَّنتِ البخيلَ من الجـوادِ
ضَممتُ "بمَسْقَطِ العَلَمينِ" صحبي وقد صـاح الكَلالُ بهم : بَدادِ
على أرَجِ الـثرى لمـا ضَـللنا تضوَّعَ منـه فى الأنفاس هادى

---

(١) حلم جمع حلمة وهى التؤلول فى وسط الثدى يُمتص منه الحليب وهى هنا مجاز. (٢) الجون: الأسود.

وقد سـقط السُّرى والنجم هاوٍ عيون الركب فى حـطّ الرقادِ (١)

نَدامَى صبوةٍ دارتْ عليهـم بأيدى العيس أكوابُ السهادِ

اذا شربوا السُّرى آقترحوا عليه صفيرَ حمامةٍ وغِناءَ حادِى

ولما عزّ ماءُ الرَّكب فيهم وقفتُ أُحَلِّ من عينى مَزادى

تحوم وقد تقلّصتِ الأداوَى (٢) على أجفانِىَ الأبُلَ الصوادى

أجدَّكَ هل ترى بذيول "سلمى" نَضارةَ حاضرٍ وخيامَ بادِى ؟

خرقن لكلّ عينٍ فى سواد ال خدورِ خَصاصةً (٣) مثلَ السوادِ

وما أتبعتُ ظُعْنَ الحىِّ طـرفى لأغنمَ نظـرةً فتكونَ زادى

ولكنّى بعثتُ بلحظ عيـنى وراءَ الركب يسألُ عن فؤادى

وفى نُوّامِ هـذا الليـل شمسٌ وَفَى سهرى لها وجفَا وسادى

اذا ذُكرتْ نزتْ كبدى اليها هبوبَ الداء نُبِّـهَ بالعِـدادِ

عجبتُ يَضيمنى زمـنى وأرضَى ويحصُدنى ولم أبلغْ حَصادى

وتُفنِـقُ مسرفاتٍ من شبابى لياليه الصِّـعابُ بلا آقتصادِ

وعهـدى بالتشابُهِ والتنافى يجرّان التصادقَ والتّعادى

فما بالُ الليالى وهى سُـودٌ يُزالُ (٤) بها البياضُ من السـوادِ

توقّى الناس إن الداءَ يُعـدى وإن قرُبوا فحظُّك فى البِعادِ

---

(١) هكذا بالأصل ولعله

وقد سَمَطَ السُّرى والنجم هاوٍ عيونَ الركب فى خيط الرقادِ

وسَمَطَ بمعنى علّقَ ، وهذا يقرب من قوله فى قصيدة أخرى

والحىّ إمّا خائفٌ أو حاضرٌ خيطُ الكرى فى جفنه قد آنعقدْ

(٢) الأداوَى جمع إداوة وهى وعاء صغير من جلد يُتّخذ للماء ، وفى الأصل " الأوادى " .

(٣) الخصاصة : كلّ خرق فى باب أو برقع أونحوه . (٤) يشير بذلك الى الشيب .

ولا يغـــرُرْك ذو مَلَقٍ يغطّى أذاه وجمـــرُهُ تحتَ الرَّمادِ

كلا أخـويك ذو رَحِـمٍ ولكن أخوك أخوك فى النُّوبِ الشِّدادِ

عذيرىَ من صـديقِ الوجهِ يَحنِى أضالعَـــه عـــلى قَلبٍ مُضادِى (١)

لوى يدَه عـــلى حَبـــلٍ لعُنْقِ وقال : آضمُمْ يديك على ودادى

تمنّى — وهو يَنقُصُنى — تَمامى، وأينَ الزِّبْرِقانُ (٢) من الدآدى ؟

(١١٠)

ومجتمعين يرتفـــدون عيبي فلا يَزِنُ آجتماعُهـــم آنفـــرادى

اذا آنتسبوا لفضـــلٍ لم يزيدوا على نسبِ "آبن حرب" من "زِيادِ"

أُلامُ على عُزوفِ النفسِ ظلمـا وما لومى عـــلى خُلُـقٍ وعادى

ويخـدعنى البخيـلُ يريـد ذمّى وهــل عنــد الهشيمة من مَرادِ

كفانى "آلُ إسماعيلَ" إنى بلغتُ بهـم من الدنيـا مُرادى

وأنّ " محمدا " دارَى نفـارى فلانَ له وأسلسَ مِن قيـادى

رقَى خُلُقٍ بأخـــلاقٍ كرامٍ ألانت من عرائـكه الشِّـدادِ

وكنتُ أذمُّ شرَّ النـاس قِـــدْما وعيبَهُــمُ فصـحّ على آنتقـادى

وكم خابطتُ عشـــواءَ الأمانى وكاذَبنى على الظنّ آرتيـادى

فلمّـا أن سللتُ على الدياجى "ربيبَ النعمة" آستذكَى زِنادى

وأنبضَ من يديه لى غديرا وقـــد أعيـا فى مَصِّ الثِّمادِ

جلا لى غُرّةً رَوِيتْ جمـالا أُسَرُّ بها ووجهُ البـــدرِ صـادى

تفـاديهـا السماءُ بنـــيِّرَيْهـا فتعـــرِفُ حظَّهـا فيما تُفـادى

---

(١) فى الأصل "مصاد" . (٢) الزبرقان : القمر ليلة تمامه ، والدآدى من تفسيرها .

من الوافيـن أحلاما وصبرا ... اذا الحُلّى هفت " بحلومِ عادِ "(١)

بني البيض الخفـافِ توارثوها ... مع الأحساب والخيـلِ الوِرادِ

تَضاحَكُ فى أكفّهـم العطايا ... وتكلحُ عنهُـمُ يوم الجـلادِ

مطاعيمٌ اذا النكباءُ قَـرّت ... وجَبَّ القحطُ أسنمةَ البـلادِ

لهم أيدٍ اذا سُـئلوا سِـباطٌ(٢) ... موَصّـلةٌ بأسـيافٍ جِعـادِ

اذا كلَّت من الضّرب المواضى ... أعانوها بأفئـدةٍ حِـدادِ

طوَوا سلَفَ الفخارِ فـلم تُوَصّمْ ... طوارِفُهـم بمعـروفِ التـلادِ

اذا الأحسابُ طاطاتِ آستشاطوا ... عـلى متمـرّد الشرُفاتِ عادى

يعُـدُّ المجـدُ واحدَهم بألفٍ ... من النجباء فى قِيَم البـلادِ

اذا وَلدوا فـتًى سعت المعـالى ... تَبـاشَـرُ بينهـا بالازديادِ

نموْك أغرَّ من ملكٍ أغرٍّ ... جـوادا بالكرائم من جـوادِ

أخا طَعمينْ : حُلْوُك للُـوالى ... بلا منٍّ، ومُرُّك للعادى

اذا لم يختضبْ لك غربُ سيفٍ ... دما خضَّبتَ سـيفا بالمِـدادِ

فأنتَ اذا ركبتَ شهابُ حربٍ ... وأنت اذا جلست شهابُ نادى

اذا رجع الحسيبُ الى نخِـارٍ ... قـديم أو حديثٍ مسـتفادِ

لحسبك " بالموفّق " من نخـارٍ ... وبيتِ " الباهليّـةِ " من عَتـادِ

ومن يُسـنِدْ الى طرفيك مجـدا ... يَبِتْ من جانبيـه فى مِهـادِ

فِـداؤك داثرُ الأبيـات يأوى ... الى وقصـاءَ لاطئـةِ(٣) العمادِ

---

(١) حلوم عاد : يريد بها " أحلام عاد " والعرب تضرب المثل بها لما تتصوّره من عظم خَلقها وتزعم أن أحلامها على مقادير أجسامها . (٢) تقـدّم تفسيرها وفى الأصـل " بساط " .

(٣) اللاطئة : اللاصقة بالأرض .

يتـوبُ اذا هفا غَلَطا بجـودٍ ... ولم يتُب اتقاءً للمعـادِ
اذا جاراك فى مِضمارِ فضـلٍ ... عدَتْه عن اللحاق بك العـوادى
اليـك سَرَتْ مطامعُنا فعادت ... مَواقـرَ من ندًى لك مسـتعادِ
يَخِـذْنَ فصائلًا(١) فيـدعنَ وَشْمًا ... لأرجُلهنّ فى الصُّمّ الصِّـلادِ
يقـادحْنَ الحَصَى شَررا كأنّا ... حذوناها مَناسِمَ من زِنادِ
حَملن اليـك من تحف القـوافى ... غرائبَ من مثـانٍ أو وُحادِ
هـدايا تفخر الأسمـاعُ فيهـا ... على الأبصـار أيّامَ التهـادى
مخلَّصـةً من الـكلم المعـنَّى ... بطول الكرِّ والمعنى المُعـادِ
نوافثَ فى عقود السـحر تُمِى ... فصاحتُهـا الى رمـلِ العِقـادِ(٢)
تمنَّى — وهى تُنْظَمُ فيك — أن او ... تكونُ ترائبـا مهجُ الأعادى
تُخالُ العربُ عجـزا عن مـداها ... نبيطَ العُـربِ لم تنطِقْ بضـادِ
لأيّام البشـائر والتهـانى ... بهـا نشرُ الروائح والغـوادى
يجـرِّرُ ذيلَهـا يومٌ شريفٌ ... فيجعلهـا على عيـدٍ مُعـادِ
شواهـدَ أن جدّك فى ارتقاء الـ ... ـسعود وأنّ عمـرَك فى امتـدادِ
كفاها منك عفوُك فى العطاء الـ ... ـجزيل وقد وفَتْ لك باجتهادى
فكيف خلَطْتَنى بسـواى فيما ... أنلتَ وأنت تَشـهدُ بانحادى !
تمـادَى بى جفاؤك ثم جاءت ... مواصَـلةٌ أعقُّ من التمـادى
ألم تك لى من الذَّهب المصـفَّى ... يدٌ بيضـاءُ تُشرِقُ فى الأيادى

---

(١) الفصيل : ولد الناقة اذا فصل عن أمه وأنثاه فصيلة وجمعها فصائل ، وفى الأصل "فضائل" ومعنى البيت : أن مطامعه تسير الى الممدوح وهى فصائل صـغيرة حتى اذا عادت من عنده مثقلات بالندى أثّرت أخفافها فى الجلاميد لشدة وطئها شأن المثقل بالأحمال . (٢) العقاد جمع عَقَد كجبل وجبال وهو الرمل المتعقد المتراكم ويريد به البادية لأنها مهد الفصاحة .

منوِّهــةٌ اذا آنتشرتْ بذكرِى ولائقــةٌ بمجـــدِك وآعتقــادى
رضــائى أن تهــزَّك ريحُ شــوقٍ الى قربِى ويوحشــك آفتقادى
اذا ما لم يكن نيـــلا شريفــا فحســبِى من صِــلاتك بالودادِ

⁂

وكتب الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب يهنّئه بالنيروز

نبهتُهُ فقــام مشــبوحَ العَضُــدْ أغلبُ[1] لو سِــيمَ[2] الهوانَ ما رقَــدْ
فى يده مـــذروبةٌ مَـــزيدةٌ ودرعُــه سابغــةٌ من اللّبَــدْ
اذا غـــدا لم يحتشِمْ هاجرةً وإن سرَى لم يخش من ليلٍ بَرَدْ
إن همّ لم يُحبَسْ على مَشْــورةٍ[3] وإن غَــدَا لســفرٍ لم يســتعِدْ
لكلّ باغى قَنَصٍ طــريدةٌ تنفُــر منـــه وله كلُّ الطَّـــرَدْ
هبَّ بلبَّيك وقـــد دعـــوته مكتفيا بقـــوله : الى الأبَدْ
وخيرُ من ساندَ ظهــرى أســدٌ أو رجلٌ فى صــدره قلبُ أســدْ
وقال : فى لَهَــاةِ أىّ خطــرٍ تقــذِفُ بى وعَرِضٍ ما أىَّ بلدْ ؟
وما الذى رابك؟ قلتُ : حاجةٌ فى أفُقِ المجــدِ، فقام فصَـــعِدْ
يســبِقنى ســـعيا لمــا أريده حــتى لقــد أدرك بى ما لم أردْ
فــردَيْن إلّا صــارمين آعتنقــا وضامرَينْ وردَا أينَ قَــدَدْ[4]
تُضــمِرُ أحشاءُ الدياجى والفــلا منّى ومنـــه جسدين بجســـدْ
كأنّ إثرَيْنــا اذا ما أصـــبحا على الثرى مسحبُ رمحٍ أو مَسَدْ
حــتى بلغتُ مسرحَ العـــزّ به بأوّل الشـــوط وأقرب الأمـــدْ

---

(١) الأغلب : الأسد . (٢) فى الأصل " شم " . (٣) المشْوَرة والمشُورة : الأمر من أشار عليه بكذا . (٤) قدد : اسم ماء والمشهور آستعماله " قُدَيْد " مصغرا .

وربَّ عزمٍ قبلها ركبتُه نفتُ أن أُظلمَ أو أن أُضطهَدْ

وغارةٍ من الكلامِ شنَّها على اللئامِ كلُّ معنًى مطَّرِدْ

شهدتُها مغامرًا وكنت بالـ حضّ عليها غائبًا كمن شهِدْ

ولذةٍ صرفتُ وجهى كرَمًا عنها وفيها رغبةٌ لمن زهَدْ

لم يعتلقنى بأثامٍ(١) حبلُها ولم ينلنى عارُها ولم يَكَدْ

وحَلَّةٍ طرقتُ من أبياتها أمنعَها بابا وأعلاها عَمَدْ

والحىّ إما خالفٌ أو حاضرٌ خَبَطُ الكرى بجفنِه قد انعقَدْ

وليس إلا بالنُّباح حَرَسٌ لهم وإلا مقلةَ النارِ رَصَدْ

فبتُّ أستقرِى الحديثَ وحدَه وغيرُه لولا العفافُ لى مُعَدّْ

ودون إرهابِىَ حدُّ صارمٌ عانقتُه ومِقْوَلٌ منه أحدّْ

وكم " بذاتِ الرمل " من نافرةٍ بغيرِ أشراكِ الشبابِ لم تُصَدْ

أحسنُ من بذلِ هواها منعها ومن وصالِ الغانياتِ ما تَصُدّْ

نومِىَ محفوظٌ اذا ما زرتُها وموضعى إن غبتُ عنه مفتقَدْ

يُعجِبُ قلبِى مطلُها لطول ما يكُرُّ بى المطلُ اليها ويَرُدّْ

لله أحبابٌ وفيتُ لهُمُ بما آستحقُّوا من أسًى ومن كمَدْ

لم يَكفِهم شِقوةُ عينى بعدهم حتى آستعانوا بالدموع والسَّهَدْ

مضوا بجمّات الحياة مَعَهُم وعوَّلوا بشِقْوتى على الثَّمَدْ

صحبتُ قوما بعدهم، حبالُهم سحيلةُ(٢) الفتلِ رخيّات العُقَدْ

وما على مَن كدّهُ حَرُّ الظما اذا رأى الماءَ الأُجاجَ فورَدْ !

يضرِبُ قومٌ فى وجوهِ إبلِى وقد كفاهم أنها عنهم حِيَدْ

---

(١) الأثام : الإثم . (٢) سحيلة الفتل : غير مبرمة الغزل .

لا تُعجِل الكُومَ (١) الى ذيادها ... فهى قِماحٌ عنكُمُ لو لم تُذَد
ما للبخيــل يحامى جانبى ! ... متى رآنى عاكفا على النَّقَد (٢) ؟
يستُرُ عنّى القعبَ داف (٣) حنظلا ... فيه وقد أمرّ فى فىّ الشُّهُد
ما أبصرَ الدهرَ بما أريده ... لو كان فى الحكم علىّ يقتصد
أنزلنى منزلةً بين الغنى ... والفقر لم يخل بها ولم يجد
وشرُّ أقسامك حظٌّ وسَطٌ ... أرعنُ لم تَخْلُ به ولم تَسُد
أغرَى الليالى بِىَ أنّى عارفٌ ... بالسهل من أخلاقهنّ والنَّكَد (٤)
وأننى أقدحُ فى صروفها ... بعزمةٍ تُضىء لى على البُعُد
تُطلعنى على اليقين ظنَّتى ... كأنّ يومى مُخبِرى بسرِّ غد
يا بائعى مرتخِصا بثمنى ... سوف يذُمّ مستعيضٌ ماحِمد
مثلى نُضارا ضنّت الكفُّ به ... لو كان فى الناس بصيرٌ ينتقد
قد فطِنتْ لحظِّها مَطالبى ... وأبصرتْ عينى الضلالَ والرَّشَد
وقد علمتُ أىّ برق أمترى ... مُزنتَه وأىّ بحرٍ أستمدّ
ووسّعتْ أيدى "بنى أيوبَ" لى ... وبشرُهم ملء المنى مالا وودّ
فما أبالى — وهُم الباقون لى — ... مَن ذا فَنِى فى الناس أو مَن ذا نفِد !
ولا أروم الرزقَ من غيرهمُ ... وإنما أطلبُ من حيث أجِد
المانعون بالجوار والحمى ... والناهضون بالعديد والعَدَد
والغامرون المَحْلَ من جودهمُ ... بكلّ كفٍّ ذاب فى عامٍ جَمَد
والضاربون فى اليفاع والذُّرَى ... اذا بيوتُ الذلّ عاذتْ بالوُهُد

(١) الكوم : جمع كَوْماء وهى الناقة الضخمة السنام . (٢) النقد : الأسافل من الناس .
(٣) داف : خلط . (٤) النكد : الشديد الصعب من نكِد عيشه أى اشتدّ وعسر .

تضيء تحت الليل أحسابهم ... لضيفهم إن حاجبُ النار خمدْ
مدّوا الى الحاجات من ألسنهم ... ذوابلا منذ آستقامت لم تَمِدْ (١)
لا نتّقيها هامةٌ بمغفَرٍ ... ولا يداريها عن الجسم الزَّرَدْ
تبهَر في الأسماع كلَّ جائفٍ (٢) ... اذا آستقامت لُحمةُ الجُرح فسدْ
تعرّفوا (٣) بالمجد حتى سافرت ... أخبارُهم بطيبه وهم قُعُدْ
وآختلفوا، لا أخطأتْ بسهمها ... أمنيّةٌ صوبَ نداهم تعتمِدْ
وأفسدوا الدنيا على أبنائها ... فما ترى مثلَهُمُ فيمن تلِدْ
هُمْ ما هُمُ أصلا ! ومن فروعهم ... أبلجُ أريَحِي طارِفًا على التَّلَدْ
وفَى بمجدِ قومِه "محمدٌ" ... فبرَّهم وربَّما عقَّ الولَدْ
وبانَ من بينِهمُ بهمّةٍ ... خَلّةُ كلّ سؤددٍ منها تُسَدّْ
تمّ وبدرُ التمِّ بعدُ ناقصٌ ... وزاد والبحرُ المحيطُ لم يزِدْ
ودبّر الدنيا برأيٍ واحدٍ ... يأنَفُ أن يَشركَه فيها أحدْ
تراه وهو في الجميع واحدا ... والبدرُ في حَفْلِ النجوم منفرِدْ
اذا آستشار لم يزد بصيرةً ... ولا يلوم رأيَه اذا آستبدّْ
حتى لقد أصبح بآتحاده ... يتيمةَ الدهرِ (٤) وبَيضةَ البلدْ (٥)
قام فنال المكرماتِ متعَبا، ... وفاز بالراحة مخفوضٌ قعدْ
وخامَ (٦) عن حمل الحقوق معشرٌ ... فلم يرعْه حملُها ولم يؤدْ

(١) تمد : تمل . (٢) الجائف : الذى ينتهى الى الجوف من قولهم : جافه بالطعنة : أى بلغ بها جوفه، وفى الأصل "حايف". (٣) تعرّفوا : تطيّبوا . (٤) يتيمة الدهر : الدرة الثمينة لا نظير لها . (٥) بيضة البلد : هى بيضة النعام وقد تجيء مرة فى موضع المدح وتارة فى موضع الذم، فاذا مُدِحَ بها الرجل أريد أنه واحد البلد الذى يُجتمَع اليه ويُقبَلُ قولُه وأنه فردٌ ليس مثله أحد فى شرفه، واذا ذُمّ بها أريد أنه منفرد لاناصرله بمنزلةِ بيضةٍ قام عنها الظليمُ وتركها لاخير فيها ولامنفعة .
(٦) خام : نكص وجبن، وفى الأصل "حام" .

واو درى النائمُ أىَّ قَـدَمٍ	يُحرزها الساهر لأشتاق السَّهَدْ
وربّما برّح بالعين الكرى	وكانت الراحـة داءً للجسـدْ
تسلّمتْ من القذى أخلاقُهُ	والماءُ يَقـذَى بالسِّقاء والزَّبَدْ
وٱنتظم القلوبَ سِلكُ ودّه	فما يَرَى من لا يُحبّ و يودّْ
لا رفَقَ الغيظُ بقلبٍ محفَظٍ (١)	عليك إن لم يقل الشِّعرَ ٱعتقدْ
جاراك يرجو أن يكون لاحقا،	سومُ السَّحوقِ (٢) فات أن يُجنَى بيدْ
ينقاد للذِّلّة طوعَ نسبٍ	حيرانَ فى الأحساب أعمى لم يُقَدْ
يدين بالبخل اذا سِيلَ فإن	أخطأ يوما بنوالٍ لم يَعُدْ
مدّ بحبلٍ شرّه فانفصمت	أسبابُه وأنت بالخير تُمَدْ
فكلّما جاز مدًى جاوزته	مقاربا للمجد من حيث بَعُدْ
بك ٱعتلقتُ ويدِى وحشيّةٌ	وضمّ أنسى شمله وهو بَدَدْ
وٱرتاض منّى لك خُلُقٌ قامصٌ	لم يدر قبلُ ما العطاءُ والصَّفَدْ (٣)
ملكتَ قلبى شغفا فما وَفَى	بقدرِ وجدى بك صبرى والجلَدْ
حتّى حوانى أوّلا فأوّلا	وواحدٌ أوّلُ ألفٍ فى العددْ
كم أيكةٍ أنبتَها جودُك لى	تُربُ ثراها طيّبٌ والماءُ عِدْ
وكلما صوّح منها غُصُنٌ	عاد بها جودُك غضّاتٍ جُدَدْ
قد ملأتْ أوعيتى ثمارُها	فقَدْك (٤) إن ردّ عُبابَ (٥) السيلِ قَدْ
لم تبقَ فىَّ خَلّةٌ تسدُّها	وإنما الخَلّةُ بالمال تُسَدّْ

---

(١) محفظ : مغضب . (٢) السحوق : النخلة الطويلة . (٣) الصفد : الوثاق والصفد أيضا بمعنى العطاء . (٤) قدك : حسبك . (٥) العباب : معظم السيل وٱرتفاعه وكثرته ، وفى الأصل "عنان" ، ومعنى البيت : فحسبك إن كانت لفظة حسب (قد) ترد عباب السيل .

لى فيك من كلّ فقيـــدٍ خَلَفٌ فابقَ فما يضرُّنى مَنْ أفتقدْ

اذا السِّــنانُ سَلِمتْ طـــريرةً عُلْيــاهُ(١) فلتمضِ الأنابيبُ قِصَدْ(٢)

وٱضرب بسهمٍ فى العــلاء فائزٍ من يدِ عُمَــرٍ فائزٍ لا يُقتَصَـــدْ

تُنْفَضُ عنك الحادثاتُ شُــعَبا حيثُ التهانى حافلاتٌ تحتشــدْ

كلّ صباحٍ شمسُ إقبالك فى فُتوقـــهِ مفتنـــةٌ شمسَ الأبدْ

جذلانَ بينــ مادحٍ وحاســدٍ فوجباتُ المدح يوجبن الحسدْ

✧

وقال وكتب بها الى الوزير أبى القاسم الحسين بن علىّ المغربىّ، وقد غاب عن بغداد أنِفًا من النظر، ذاهبا مع الحمِيّة يستوحش له، ويذكر مكان الاستضرار ببعده، ويتفاءل له بسرعة العودة، وأنفذها اليه فى سنة خمس عشرة وأربعمائة

خاطرْ بها إمّا ردًى أو مُرادْ ورِدْ لها أين وجدتَ المَرادْ

ولا تُماطِلْها بحاجاتها معـــلِّلا أظماءَها بالثِّمادْ

باعِدْ عزيزا بينــ أســـفارها فعـــزّةُ النجم السُّرى والبعادْ

للهِ رامٍ بلُبانا تِـــهِ طولَ الليالى وعروضَ البلادْ

يُقــدِمُ إما مبلغا نفسَـــه معـــذرةً أو بالغا ما أرادْ

يحفِـــزُه الضَّـــيمُ فتنبو به مضاجعُ الغيـدِ ولينُـ المِهادْ

اذا أحسَّ الهُونَ صاحتْ به نخوتُه، أو طارَ، أو قيلَ : كادْ

يَعجُمُ منـــه الدهرُ إن رابهُ جَلْدَ العصا صُلبَ حصاةِ الفؤادْ

سمتْ به الهمّةُ حـــتى نجا منفردا من بين هـــذا السوادْ

---

(١) فى الأصل "غرباه"، ومعنى البيت اذا سلم أعلا السنان محددا فانتكسر الأنابيب وهو على سبيل المثل للبيت الذى قبله . (٢) قصد جمع قِصْدة وهى الكسرة .

مولِّيـا آخِـــرَ حاجاتـــهِ ... خزائمَ العِيس ولُجْـــمَ الجيـادْ
أقسمَ مهما اكتحلتْ عينُـه ... بمثـــلِهِ لا اكتحلتْ بالرقادْ
وبات مغمورَ العـــلا شـاكرا ... ميســـورَه، يقنَعُ بالاقتصـادْ
يرضَى من الحظّ بمـا جاءه ... عفوا، وما الحظّ سوى الاجتهادْ
ينـام للضـــيم على ظهــــره ... مُراوَحَ الخـــدّ وثيرَ الوسـادِ
إن راءه من يومـــه رائعٌ ... قال : عُدُوٌّ(١)، فرَسُ الذلّ عادْ
ما أكثرَ المُنحِى على مجـــده ... لُبُلغـــةٍ تُزجَى ورزقٍ يُفـادْ
ومؤثرَ المـالِ على عرضـــهِ ... مجتهـدا ينقُصُ من حيث زادْ
عَــدِّ عن الدنيـا وأبنائهـا ... وبـــعْ مودّاتهـــم بالبعـادْ
ما هـــذه الدهمـاءُ(٢) إلا دَبًى(٣) ... ينشُرُه فى الأرض حُبُّ الفسادْ(٤)
إلّا فـــتًى يأنف من عيشـــةٍ ... لغـــيره فيهـا عليـــه اعتدادْ
ودولةٍ تخطُبُ راياتُهـا ... باسم ســـواه فى رءوس الصِّعادْ
مثل "أبى القاسم" غيران يسـ ... ـتفيد من عزّته ما استفادْ
يجـــود بالنفس كما جاد أو ... يسود بالواجب من حيث سادْ
هيهات ! قامت معجزاتُ العلا ... فيـــه وبانت آية الإنفـــرادْ
لا تـلدُ الأرضُ له من أخٍ، ... أعقَمها من بعـدِ طولِ الوِلادْ
شـاد به اللهُ بُنَى(٥) مجـــدِهِ ... راسـيةً، واللهُ ما شـاء شـادْ
بانَ من النـاس فمـا عابه ... شىءٌ سوى تشـبيهه بالعبـادْ
أبلجُ فى كلّ دُجَى فحمةٍ ... عمياءَ لا يقـــدَحُ فيهـا الزنادْ

(١) العُدوّ : العدوان . (٢) الدهماء : الجماعة من الناس . (٣) الدبى : الجراد الصغير .
(٤) فى الأصل "السفاد" . (٥) بنى جمع بُنية وهى ما بنيته ، وفى الأصل "بنا" .

يصيبُ بالأوّل من ظنّـــه ... فليس يُســـتثنَى ولا يُستعادْ

تهفـو قُـوَى الحلم، وغضباتُه ... تأوِى الى مستحصِفاتٍ (١) شِدادْ

أرهفَ من آرائه ذُبَّلا ... تروِدُ للطعن أمامَ الطرادْ

وقاد للأعـــداء رقّاصـــةً (٢) ... تعزِفُ — لولا يدُه — أن تُقادْ

معـــرَّقاتٍ (٣) كان أُمّاتُهـا ... ربائطا ما بين أبياتِ "عادْ"

يشكُمُها إن خلعتْ لُجْمَها ... ما جرّ من فضـلِ نواصى الأعادْ

خضَّبهـا الطعنُ بمـاء الطُّلَى ... فشُهْبُهـا (٤) فى شَـعَراتِ الوِرادْ (٥)

يحـالفُ الصبرَ عليهـا فتًى ... ما بـــدأ الكرّة إلا أعادْ

يبـذُلُ فى حفظ العلا مهجةً ... تكبُرُ أن تَفـديَها نفسُ فادْ

يَرَى طلابَ العـــزّ أو بَــرْدَهُ ... فى حرّ ما يَشرَبُ يومَ الجِـلادْ

شجـاعـــةٌ سبّبهـا جــــودُه، ... إن الفتى يشجُع من حيث جادْ

يا راكـبَ الدهمـاء (٦) لم يحفِها ... ســـيرٌ ولا حنّتْ لتغريدِ حادْ

حـــدّدها الطالى فمـا عابهـا ... عـلى بياضِ الجسم لُبْسُ الحِدادْ

لا تلتوى من ظمأ والثرى ... مُكْـــدٍ وأكبادُ المطايا صَوادْ

يَحفِـزها من مثـله سائقٌ ... يَضِـلُّ خِرّيتُ الفـلا وهو هادْ

راكبُها وهو على ظهرها ... موطَّأُ الجنبِ قليـــلُ السهادْ

يَكرعُ فى صافٍ قليـلِ القـذى ... عَذبٍ ويرعَى أبدا بطنَ وادْ

بلّغ — بلغتَ الخيرَ — خيرَ آمرئٍ ... شُدَّتْ عليـه حَبَوات البـوادْ

---

(١) مستحصفات : مجدولات محكمات . (٢) يريد بقوله رقاصـة : الخيل كثيرة الرقص وهو ضرب من الخبب . (٣) معرّقات تمتدّ عروقها أى أصولها ، وفى الأصل "معرفات". (٤) الشهب : البيض . (٥) الوراد : الحمر . (٦) الدهماء : الناقة الشديدة .

قل للوزير: ٱعترقَتْ[1] بعـــدكم ... عظمى نيوبُ الأزَماتِ الحِدادْ
وٱرتجع البخـــلُ وأبنــاؤه ... ما أَسارتْ عندِىَ كفُّ الجوادْ
غاض النـــدَى بعـــدك يا بحرَهُ ... وبانَ مذ بِنتَ بفضـــلِ السّدادْ
وٱغبرّ جوٌّ كنتَ خضرتَهُ ... فشمَطتْ فيـــه الرُّبَا والوِهادْ
دِينٌ من العـــدل عفا رسمُه ... شَرَعتَهُ للنـــاس بعـــدَ ٱرتدادْ
وسُنّةٌ فى المجـــد قد قُوِّضتْ ... أقمتَ من أطنابهـــا والعِمادْ
ومهملٌ من كلِمٍ نادرٍ ... نفَقْتَهُ[2] مدحُك بعـــدَ الكسادْ
عاد يُـــوَفَّى أجرَهُ كاملا ... عندك حيًّا قبـــلَ يوم المَعـــادْ
عَرَفْتَهُ والنـــاسُ مِن حاسدٍ ... أو جاهـــلٍ بالقولِ والإنتقادْ
أوحشتَ بالبعد فلا أُوحِشتْ ... منـــك مغانى الكرم المستفادْ
وشُلَّ[3] سَرْحُ الأمرِ من قبضة الـ ... ـراعى فأمسَى هَجمــةً[4] لا تذادْ
معطَّلَ المجلسِ والمنـــبرِ الـ ... ـمركوبِ عارى السرجِ رِخوَ البِدادْ[5]
تعـلَّقَ الممســـكُ أطرافَـــه ... منـــه برُســـغَىْ قاطعٍ لا يصـــادْ
كأنمـــا صـــاحَ غرابُ النوى: ... بدادِ فيـــه بعـــدَ جميعٍ بدادْ
قد أســـفَ الرأسُ على تاجه ... وأنكرَ العاتقُ[6] فقْـــدَ النّجادْ[7]
ووجهُ "بغـــدادَ" على حسنه ... أسفعُ[8] مكسوفٌ عليـــه ٱربدادْ[9]
كانت حريمـــا بك ممنوعـــةَ الـ ... ـظهر فعـــادت وهى دارُ الجهادْ
فى كلِّ بيتٍ من أذى عَوْلةٌ ... تُبْـــدَا ومن خوفٍ أنينٌ يُعـــادْ

---

(١) اعترقت: نزعت ما عليه من لحم. (٢) نفقه: روّجه. (٣) فى الأصل "سلّ".
(٤) الهجمة: من الإبل ما بين السبعين الى المائة أو الى دونها. (٥) البداد: بطانة تحشى وتوضع على الدابة وقاية لظهرها. (٦) العاتق: موضع نجاد السيف من الكتف. (٧) النجاد: حمائل السيف. (٨) الأسفع: الشاحب المتغير اللون مما يقاسى من المشاقّ. (٩) الأربداد: التغير.

وكيف لا يُنكَرُ عهدُ الحمى يفوتُه العامُ بصوبِ العِهادْ !
يا مبدئَ الإحسان فينا أعدْ فالبدر إن مرّ مع الشهرِ عادْ
قم فأثِرْها عزمةً لم تنمْ ضُعفا ولم تنقُصْ لغير آزديادْ
عاجلْ بها جَدْعَ أنوفٍ طغتْ وأرؤسٍ قد أينعتْ للحَصادْ
يحسبها الأعداء قد أُخمِدتْ وإنما جمرُك تحتَ الرَّمادْ
لا تأخذِ الدهرَ بزلّاته وسَعْهُ بالعفو وبالإعتمادْ
ولا تُكشِّفْ عن صدورٍ خبتْ أضغانُها من قاتلٍ أو مُضادْ
فكلّما تُبصره صالحا فإنما يصلُح بعد الفسادْ
أنا الذى ردّ زمانى يدى من بعد شدّى بكم وآعتضادْ
وطمِعتْ فىّ ذئابُ العدا حتى حلا مضغٌ لها وآزدرادْ
وفُتّ فى حالى وفى عيشتى بطلبى ظِلَّكُمُ وآفتقادْ
لا نَسِىَ اللهُ لكم والعلا ما زدتُمُ فى عُدّتى أو عَتادْ
ونعمةً أثقلتُمُ كاهلى بحملها وهى يدٌ من أيادْ
كم ناخسٍ ظهرى على شكركم وحاسدٍ فى مدحكم أو مُعادْ
ومنكرٍ حفظى لكم يرتمى مَقاتلى من خطإٍ وآعتمادْ
وليس للخابطِ إلا العَشا منّى وللخارطِ إلا القَتادْ
وناشطاتٍ أبدا نحوكم من عُقَلِ الفكر لِيانِ المَقادْ
سوافرٍ عن غُرَرٍ وُضَّحٍ ينصَعُ منهنّ سوادُ المِدادْ
يَخلِطنَ فرضَ الحقّ فى مدحكم بخالص الحبّ وصفوِ الودادْ
حافظةً فيكم عهودَ الندَى حفظَ الرُّبَا عهدَ السوارى الغوادْ
وقلّما يرعى أياديكُمُ فى القرب مَنْ لم يَرْعَها فى البعادْ

(١١٥)

* * *

وقال وقد بلغــه تشوُّقُ الأمير الأجلّ نور الدولة أبى الأغرّ دُبَيْس بن علىّ بن مَزْيَد الى ما يسمعه من شعره، وٱقتراحه أن يُخصّ بشىء يجمَعُ فيــه بين أن يحفظه وبين أن يكون مديحا له، وتوسّط بعضُ كتّابه فى هذا، فكتب اليه يمدحه، ويذكر بعضَ أعدائه ممّن نجمَ عليه فى جُمادى الأولى من سنة ستّ عشرة وأربعمائة

أمِنْ «أسماءَ» والمسرى بعيدُ ... خيالٌ كلّمــا بخلَتْ يجودُ؟

طوَى طيَّ البرودِ عِراضَ «نجدٍ» ... وزار كما تأرّجتِ الــبرودُ

يشقُّ الليــلَ والأعداءَ فردا ... شجاعا وهو يذعَرُه الوليـــدُ

مواقِدَ «عامرٍ» و«مروح» «طيٍّ» ... وما قطعت برملتها «زرودُ»

له ما للبــدورِ من الدياجى ... فأرّقَــنى وأصحــابى هُجــودُ

فقمتُ له أطوِّقــه عنــاقا ... يدا ضعُفتْ وباعثُها شــديدُ

يدُ القنّاصِ تخفُــقُ أين مُدّتْ ... حِبالتُــه فتَضبِطُ ما تصيــدُ

فيا لكِ سُحــرةً سُرقتْ لو آنى ... غدًا فيهــا يــتمّ لِىَ الجُحــودُ!

وكيفَ وتُربُ «بابلَ» سَلْخَ شهرٍ ... وأرْدانى (١) بريّاها شُــهودُ!

أَمَا ومشعشعين «بذاتِ عِرقٍ» ... صِلًا (٢) يَقْرِى «العراقَ» له عمودُ،

ورامِ سهمَ عينيــه «بسَلْعٍ» ... و«بالزوراء» يقتُلُ مَن يريدُ،

لَمَــا وقَتِ الصوارمُ والعوالى ... بمــا جنتِ المحاجرُ والقــدودُ

وكم يأوِى «المشقَّرَ» من غزالٍ ... تحاذر من كِناسَتِه الأسودُ

تُقلِّمُ حولَه الأظفــارَ عَنْزٌ ... ويُهتَمُ دونَه الأنيــابَ جيــدُ

وأبيضَ من نجوم «بنى هلالٍ» ... وجوهُ العيش بعــد نواه سودُ

(١) الأردان جمع رُدنٍ وهو الكمّ. (٢) الصلا: الوَقود.

هوِيتُ له الذى يهواه حتّى حلا إعراضُه لى والصدودُ
نفضن الحبَّ أسمالا وعندى لهنّ على القلى حُبٌّ جديدُ
ورُحنَ وقد سفكنَ دمًا حراما تصيح به الأناملُ والخدودُ
أما تنهاك عن عيدِ(١) التصابى مواضٍ من شبابك لا تعودُ ؟
وقادحةٌ لها فى كلّ يومٍ ذبولٌ من نشاطك أو خمودُ
طوالع فى عذارك لا الأحاظى قَسَمْنَ طلوعَهنّ ولا السعودُ
وقالوا : حلّمتْكَ ، فقلت شوقا : متى مبدى الخلاعةِ لى بعيدُ ؟
يَجُرُّ عَلَىَّ أبيضُها نحولا وكنت بجاه أَسْوَدِها أسودُ
ولم أر كالبياض مذمَّمًا فى مواطنَ وهو فى أخرى حميدُ
فتلحاه العوارضُ والمَفَالِى وترضاه الترائبُ والنهودُ
عدمتُ مكارم الأيّام ، مَنْ ذا الشـقىُّ بها ومَنْ فيها السعيدُ ؟
مع الفضل الخصاصةُ والتمنّى وحولَ العجزِ تزدحم الجدودُ
تُقامُ على الفقير وما جناها اذا وجبتْ على المثرِى الحدودُ
وما لك من أخٍ فى الدهر إلا أخوك طريفُ مالِك والتليدُ
مَخَضْتُ الناسَ مختبرا فكلٌّ بكىءٌ(٢) دون زُبدته زهيدُ
هُمُ حولى مع النُّعمَى قيامٌ وهم عنّى مع الجُلَّى قعودُ
توقّ تحيةَ ابن العمِّ يوما فربَّ فمٍ بقُبلته يكيدُ
ولا تخدعْك مسحةُ ظهرِ أفعى فتحتَ لثاتِه نابٌ حديدُ
وأغلبُ ما أتاك الشرُّ ممّن تذبّ الشرَّ عنه أو تذودُ
وحولك من قبيلك من تكون الـ(٣) ـقليلَ به وإن كثر العديدُ

(١) العيد : ما يعتادك من هم أو مرض أو نحوه . (٢) البكىء : الناقة لا تدرّ .

(٣) فى الأصل " يكون " .

مُـــداجٍ أو مُبادٍ أو حسودٌ ... وشرُّهمُ على النِّعمِ الحســودُ

ومولًى عرشُــه بك مشمخرٌّ ... بطول الحفر يهــدِمُ ما تشيدُ

نصحْتُ لمارقٍ من "آل عوف" ... لو انَّ النصحَ يبلغ ما أريدُ

وقلتُ له : قناتَك لا تدعهـا ... تُوصَّمْ بالعــقوق ولا تميــدُ

وبيتَــك لا تبدّلْ فيــه غدرا ... فإنّ عليــك ما يجني النُّـدودُ (١)

ولا تعبَثْ بعــزِّ "مَزيَديٍّ" ... لتنقُصَـــه وأنت به تزيدُ

هم آلتحموك ممــروقا (٢) وضمُّوا ... عزيزَــك وهو متحسٌ طريدُ

ومــدّوا ضَبْعَك المغمورَ حتى ... سمــا بك بعــد مهبطِه صعودُ

الى نادٍ تفــوه به وتغشَى ... وسامرةٍ يُشَبُّ لهـا وَقــودُ

عُنُوا بثراك وآغترسوك حتّى ... بسقتَ على العِضاهِ وأنت عودُ

وربُّوا نعــمةً لك لا يغطّى ... عليهـا الستـرَ غَمطُك والجُحودُ

فمـا غَــنِيَ المبصَّرُ وهو باغٍ ... بمـا تُجدِى المَشُورةُ أو تُفيــدُ

وقام يقــودُها سُوقًا (٣) عجــافًا ... أعزُّ من القيام بهـا القــعودُ

يَلوثُ جبينَــه منهـا بعـارٍ ... تبيــد المخــزياتُ ولا يبيــدُ

فكيف وأنت طير البغى فيها ... جرت لك بالتى عنهـا تحيــدُ

نزلتَ لهـا بدار الهُــون جارا ... لأقــوامٍ تُضـامُ وهــم شهودُ

صديقَ العجزِ أسلمك الأداني ... بجُرمك وآســترابَ بك البعيدُ

تَقاذَفُــك المهامهُ والفيـافى ... وتُنكــرك التهـائمُ والنُّجودُ

فمـا لك لا وَألتَ (٤) وأنتَ حُرٌّ ... يُجيرك من عشيرتك العبيدُ

---

(١) الندود : النفور والشرود . (٢) ممروقا : منزوعا ما عليك من لحم . (٣) سوق جمع ساق . (٤) يقال : وأل فلانا : آتخذه موئلا .

وأنت الجارَ لا حيٌّ عزيزٌ بأسرته ولا ميْتٌ فقيدُ

ولو بأبي الأغرّ صرخت فاتتْ عليك فضولُ رأفته تعودُ

إذن لأثرتَ عاطفةً وحِلماً تموتُ له الضغائنُ والحُقودُ

وكان الصفحُ أبردَ فى حشاه اذا آلتهبتْ من الحَنَقِ الكُبودُ (١)

وعاد أبرَّ بالأنساب منكم وبالقربَى لو آنك تستعيدُ

نتجتَ من المنى بطنا عقيما نمى بك والمنى أمٌّ ولودُ

أتنشُدُ ما أضلَّ الحزمُ منها ؟ أطِلْ أسفا فليس لها وجودُ !

وتوعدُه وذلك ذلُّ جارٍ، متى آجتمع المذلةُ والوعيدُ ؟

تريدون الرءوسَ وقد خُلِقتم ذُنابَى لا آنتفاعَ بأن تريدوا

ويأبى اللهُ إلا "مَزْيَدِيًّا" على "أسَدٍ" يؤمَّرُ أو يسودُ

فدعْها للذى جفَلَتْ اليه وسلْه العفوَ فهو به يجودُ

دَعُوا قوما يخاصم فى علاهم رقابَكمُ المواثقُ والعهودُ

بأىّ سلاحكم قارعتموهم أبَى الماضى الشبا ونبا الحديدُ

وإنّ سيوفَكم لتكون فيهم مَكاوىَ لا تَنِشُّ لها الجلودُ (٢)

ففخرا يا "خُزَيمُ" فكلُّ فخرٍ الى أنواركم أعمى بليدُ

لكم نار القِرى وندَى العشايا وفرسانُ الصباح وَعَوْا فَنُودوا (٣)

وأنديةٌ وألسنةٌ هُبوبٌ اذا آنتُضيتْ وأحلامٌ رُكودُ (٤)

ومنكم كلُّ ولّاجٍ خروجٍ وذو حَزْمَيْن صدّارٌ وَرودُ

•وقُرٌ ما أقلّ السرجَ ثَبْتٌ اذا مالت من الرَّهَجِ اللُّبودُ

(١) الكبود جمع كبد . (٢) تنش : تصوت . (٣) فى الأصل "فتودوا" .

(٤) فى الأصل "انتضبت" .

اذا "مُضَرٌ" تَطَامَنَ كلُّ بيتٍ لهـا وعلا بربوتهـا الصـعيدُ ،

وكانت جمرةَ الناسِ، ٱحتبيتم وفيكم عزُّ ســورتهـا العتيدُ

بَنَى لَكُمُ "أبو المظفارِ" مجدا على موت الزمانِ له خلودُ

وقدّمكم على الناس ٱضطرارا مقاماتٌ وأيامٌ شُـــهودُ

إجارةُ "حاتمٍ"(١) ودمٌ شريقٌ به لَبّاتُ "حُجْرٍ"(٢) والوريدُ

وطعنـةُ "حاتم" وطَرٌ قديمٌ قضى "مَروانُ" فيها ما يريدُ

وصاحتْ باسم صامتَ نفسُ حرٍّ "ربيعُ المقترين"(٣) بهـا يجودُ

و"صخرٌ" ذابَ "صخرُ"(٤) على قناكم ولان لكم به الحجر الشـــديدُ

ويومُ "عُتَيْبةٍ" عَلَمٌ عريضٌ تَبَاشـــره المواسمُ والوفـــودُ

كـرائمُ من دماء بارداتٍ لديكم لا دِيَاتٍ ولا مَقيـــدُ

وإنّ "ببابلٍ" منـكم لبحــرا لو آنّ البحرَ جاد كما يجودُ

اذا الوادى جرى مِلحا أُجاجا ترقـرق ماؤه العـذبُ البَرودُ

فتيُّ السنّ مكتهلٌ حجـاهُ طريفُ الملك سؤدُده تليـدُ

اذا ٱشتبهتْ كواكبهم طلوعا "فنور الدولة" القمرُ الوحيدُ

أناف به وقـــدّمه عليكم أبٌ كَرَمٌ(٥) أناف به الجـــدودُ

أغرُّ قَسِيمُهُ(٦) السيفُ المحلَّى ومسحبُ ذيله الروضُ المجودُ

يعود اذا تغـرّب فى العطـايا ويُقلع فى الهَنَاتِ فلا يعـودُ

---

(١) يشير الى حاتم الطائى حين أجاره عمرو بن أوس . (٢) يشير الى حجر بن عمرو الكندىّ يوم ذبحته بنو أسد . (٣) يشير الى جدّ لبيد بن ربيعة وكانت العرب يسمونه "ربيع المقترين" لسخائه وقد قتله بنوأسد ، وفى قول : إن قاتله "صامت بن الأفقم" المذكور فى صدر هذا البيت . (٤) يشير الى صخر بن عمرو بن الشريد يوم طعنه ربيعة بن ثور الأسدىّ ؛ ولهذه الإشارات قصص طويلة ولعل وجه الفخار بهـا أن ممدوح مهيار يمتّ بالنسب الى بنى أسد الذين منهم كل من مر ذكرهم . (٥) كرم : كريم . (٦) القسيم : النظير .

بليـلُ الريقِ من كَلِمٍ سـديد ... يقـوم بنصره رمحٌ سـديدُ
تراغتْ حـول قُبّتـه بِكارٌ ... شـفار الجازرين لهـا قُتـودُ
تراه الخيلُ أفرسَ من تمطّتْ ... به والجيشُ أشجعَ من يقـودُ
ويَغـنَى ثم يُفقِرُ راحتيـه ... مقالُ المـادحين : الفقرُ جودُ
مَن الغـادى ينقِّلُه حِصانٌ ... مفدَّى السبق أو عَنْسٌ وَخُودُ
اذا ركبَ الطريقَ، وفَى بشرطى ... أخٌ منـه على أربى عقيـدُ
اذا بلّغتُ عن "إِنسانَ"(١) ينزو ... وراء ضلوعـه قلبٌ عميـدُ
يرى المرعى الخصيبَ يصدّ عنه ... ويظمأُ وهو يمكنه الوُرودُ
فقـل لأمير هذا الحيِّ عنى : ... أيُجمَعُ لى بك الأملُ البـديدُ ؟
أحِـنُّ الى لقـائك والليالى ... عـلىّ مـع العوائق لى جُنـودُ
وتجـذبنى نوازعُ موقظاتٌ ... اليـك وراءها قَـدَرٌ رقُودُ
وكم وعَدتْ بك الآمالُ نفسى ... ويقضى الدهر أن تُلْوَى الوُعودُ
فهـل من عطفـةٍ بالود؟ إنى ... على شحط النـوى خِلّ ودودُ
محبٌّ بالصفاتِ ولم أشاهِـدْ ... كأنى من نجيِّكُمُ شهيدُ
وكم مَلِكٍ سـواكم مذ نحوى ... يديه فقصَّر البـاعُ المـديدُ
ومعصوبٍ بذكرِى أو بشِعرِى ... أحوِّل عنـه شعرى أو أحيـدُ
أحاذر أن تَبـذَّلَنى أكفٌّ ... سوائمُ صـانَنى عنهـا الغُمودُ
لعـلّ علاكُمُ وندى يديكم ... سيُنهِضُنى بمُثقِـلةٍ تؤودُ
ومُجتمِعٍ عليهـا القـولُ، أنّى ... بهـا والقولُ مشـترك فريدُ
من الغُرِّ الغرائبِ لم يَعِبْهـا الـ ... كلامُ الوغـدُ والمعـنى الرديدُ

(١) إنسان : اسم ماء .

نوادر تلقــط الأسماعُ منهــا عن الأفواه ما نَثَرَ النشـــيدُ
تَســير بوصفكم وتُقيــم فيكم خوالدَ فهى قاطنـــةٌ شرودُ
وليس يَضُرُّ راجيكم لِرِفــدِ تَلوُّمُهُ [اذا](١) قصَــدَ القصــيدُ

* * *

(١١٨) وقال وكتب بهــا فى النيروز الى أبى الحسن جابر يهنّئه وينتصره على قوم كان يستضرّ بمعاملتهم فى معيشةٍ له

جَـــمَّ لهــا الوادى وعزَّ الذائدُ وطاب ما حــدَّثَ عنهــا الرائدُ
نخلُهــا راتعـــةٌ مجـــرورةٌ وراءهــا الأرسانُ والمَقاودُ
يُخلِفُ ما آستُسلِفَ من جِرّاتهــا كَهلٌ(٢) أثيثٌ ومَعينٌ باردُ
حيثُ المغـــيرُ لا ينالُ فرصـــةً منهــا ولا يطمعُ فيهــا الطاردُ
تذبُّ عنهــا من سِماتِ ربّها صـــوارمٌ ليس لهــا مَغامدُ
اذا بدت فى عُنُـــقٍ أو حارِكٍ فهى عليهــا أعينٌ رواصـــدُ
ونَمْ فقـــد حرَّمَها هـــذا الحمى وضمَّها وهى دُخانٌ شاردُ
وأعجـزَ النــاسَ جميعا رَعْيُهــا فاليـــومَ يرعاها جميعا واحـــدُ
أَرْوَعُ لا يغلِبُـــه المكرُ ولا تـــدِبُّ فى حريمــه المَكايدُ
أعارها عينا فكانت عُـــوذَةً لهــا وشيطانُ الزمان ماردُ
أفرشَها "كافى الكفاةِ" أمنَـــهُ فالظلُّ سَكْبٌ والنســـيمُ باردُ
دانَ بتاج الحضرةِ الدهرُ لهــا وحلَّ حبـــلَ الذلِّ عنهــا العاقدُ
وصـــدَّقَتْ أن الربيعَ بعـــدَهــا بـــوارقٌ من يده رواعـــدُ
غاصتْ غصونُ المجد تحتَ مائها فأورقَ الذاوِى وقام المــائدُ

---

(١) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل . (٢) الكهل : النبت تم طوله وظهر نوره .

وضحِكَ القاطبُ من وجه الثرى … وسالَ وادى المكْرُماتِ الجامدُ
وبشَّر الفضلُ بقايا أهلِهِ : … لا تقنطوا ، فى الناسِ بعدُ ماجدُ
نقلُ لأبناء الطِّلاب والمنى … والحاج ضاقتْ بهم المَقاصدُ ،
يتاجرون المجدَ فتخيسُ(١) فى … أيديهم البضائعُ الكواسدُ :
تضمُّكم حَنوتُه(٢) وأنتمُ … عِزُونَ(٣) فى الآفاق أو بدائدُ
زَمَّ الأمورَ فلوَى أعناقَها … ساعٍ الى الغايات وهو قاعدُ
ودبَّر الدنيا على عِلّاتها … فصَلَحَتْ والدهرُ دهرٌ فاسدُ
ماضٍ له من عزمه مجرَّدٌ … يذُبُّ من جهلِ الزمانِ غامدُ
يرَى بوجهِ اليوم صدرَ غدِهِ … تُعطيه ما فى المَصدرِ الموارِدُ
لا يأخذ التدبيرَ إلا مِن علٍ … فالناسُ يَحطُّونَ وهو صاعدُ
رأى آنتهاءَ مجدِهِ مبتدَأً … لَمّا أعانَ الكفَّ منه الساعدُ
أسهرَهُ حبُّ العلا منفرِدا … وهو على ظنِّ العيونِ راقدُ
جَدَّ وقارا والزمانُ هازلٌ … وجادَ عفوا والسحابُ جامدُ
ولاحَ فى المُلك شِهابا فورَى … زنادُهُ والمُلكُ نجمٌ خامدُ
منتصِرا بنفسه لنفسه … كالليث يشرَى(٤) ما لَهُ مساعدُ
لا يَملكُ الحفظَ عليه أمرَهُ … ولا تُفرِّى حلمَه الشدائدُ
يُنهضه الكمالُ من أثقالِهِ … بأوسُقٍ تلفِظها الجلامدُ
مدَّ على الدولةِ من جناحه … ما مدَّ عطفا لبنيه الوالدُ
حتى آستقامتْ وهى بلهاءُ الخطا … عمياءُ ما بينَ يديها قائدُ

---

(١) تخيس : تكسد . (٢) الحنوة : العطفة . (٣) عزون جمع عِزَة وهى العصبة المجتمعة من الناس ، وفى الأصل "عزين" . (٤) يشرى : يتقدم و يلج .

كم قــدَمٍ قبلَك قــد زَلَّتْ بهــا ... ضُعفا وكــفٍّ لم يُطعها الساعدُ
وضابِطٍ لم يُغنِــهِ – لمّــا طغتْ ... أدواؤُها – التجريبُ والعــوائدُ
يَحرُسها وليس من حُمــاتِهــا ... مثــلُ الشَّــغا[1] ينقُصُ وهو زائدُ
جاءت على الفَــتْرةِ منــه آيةٌ ... معجِزةٌ قامت بهــا الشواهــدُ
مَوهِبــةٌ فاجئــةٌ لم تُحتَسَبْ ... ولم تســوِّفْه بهــا المَواعــدُ
كنتَ خبيئا ترقُبُ الأيامَ فى ... إظهــارِه الميقاتَ أو تراصــدُ
كالنارِ فى الزّند تكون شَرَرا ... بالأمس وهو اليومَ جمــرٌ واقدُ
فأبرزَتْــك للعيونِ كوكبا ... يَزهَرُ لم تَجــرِ به العــوائدُ
يَفــديك محظوظون وجهُ عجزِهم ... بِغَلَطِ النّعمة فيهــم شاهــدُ
قــد سَرَق الدهرُ لهــم ســيادةً ... ليس لهــا من المَساعى عاضدُ
تَنافَرُ الأقلامُ عن أيمــانهــم ... وتَقشَــعِرُّ منهــم الوســائدُ
لم يَنظِموا المجــدَ كما نَظَمتَــه ... ولا حلَتْ عنــدهم المحامــدُ
ولا أعان طارفا من حظّهم ... مجــدُ أبٍ مثــلِ أبيــك تالدُ
وخيرُ من شاد الفخارَ رافعٌ ... أُســرتَه لمَــا بَنَى قواعِــدُ
وبعضُ علياءِ الفــتى مَكاسبٌ ... بنفســه وبعضُــها مَوالدُ
وليهنِــكَ الأمرُ الذى ذلَّ به ... لك العــزيزُ وأقــرّ الجاحــدُ
ولانَ فى يديك منــهُ مرِسٌ[2] ... مُــلاوِذٌ مَن رامَــهُ مُحــايدُ
يَنقُصُ من قــدرِك وهو فاضلٌ ... على وســيعاتِ الأمانى زائدُ
ومُشرِفاتٌ فُضُــلٌ لِبستَهــا ... تَزلُقُ عنهــا المُقَــلُ الحــدائدُ
كلِبــدةِ الليثِ سَطَا وحسنُهــا ... كالوشيِ تُكساهُ الدُّمَى الخــرائدُ

(١) الشغا : الزائد من الأسنان . (٢) المرس : الشديد المراس .

لو كانت الأفلاكُ أجسادا لمَا كان لها من مثلها مجاسدُ
باطنة وظاهر جمالُها فالحسنُ منها غائبٌ وشاهدُ
تسحَبها فى الأرض ولفخرها مَعالقٌ فى الجو أو مَعاقدُ
وكالسماء عِمّةٌ صِبغَتُها قد جاءها من الزمان وافدُ
مقدودةٌ منها ، ومن نجومها فى طَرَفَيْها سائرٌ وراكدُ
إن لم تكن تاجا فقد أكسبها نورُك ما لم يكسُ تاجا عاقدُ
وضاربٌ الى "الوجيه" عِرْقُه (١) بأربع تَشَقَّ بها الأوابدُ (٢)
من اللواتى نَصَرتْ آباءَها فى السبق أمهاتُها الردائدُ
وصَبَحتْها (٣) بالصريف (٤) عُلَبٌ (٥) قبلَ عِيالِ ربها الولائدُ
خاضَ الظلامَ فاهتدى بغُرّةٍ كوكبُها لمقلتيه قائدُ
يجاذبُ الريحَ على الأرض ومن قلائدِ الأفقِ له قلائدُ
حلْيٌ من التبرِ اذا خفَّ بها أثقلَ فهو تحتها مُجاهدُ
ينصاعُ "كالمرّيخ" فى التهابه وأنت فوق ظهره "عُطاردُ"
غرائبٌ من الحِباء (٦) جُمعتْ بها لك الفوارِكُ الشواردُ
تبرَّعَ المَلْكُ بها مبتدئا وكلُّ بادٍ بالجميل عائدُ
قد كنتُ عيَّفتُ لك الطيرَ بها مستيقِظا والحظُّ بعدُ هاجدُ
وبَرَقَتْ لى فى المنى سيوفُها من قبلِ أن تُبرزها المَغامدُ
عِلْما بما عندَك من أَداتها وأنها سيفٌ وأنت ساعدُ

---

(١) الوجيه : اسم فرس . (٢) الأوابد : جمع آبدة وهى الوحش . (٣) صبحتها : سقتها الصَّبوح وهو اللبن يحلب بالغداة . (٤) الصريف : اللبن ساعةَ يُحلَبُ ، وفى الأصل "الصرير" . (٥) العُلَب جمع عُلبة وهى قَدَح ضخمٌ من جلدٍ أو خشب يُحلب فيه . (٦) الحِباء : العطاء ، وفى الأصل "الحياء" .

فلم يَخُـــنِّى فارسُ الظنّ ولا … غرّتْنِى المَخَـايِلُ الشواهـــدُ

وبعـــدُ ، لى فيك رجاءٌ ناظرٌ … الى السماء وحســابٌ زائـــدُ

حتى يُشَـــقّ للزمان رمسُـهُ … وأنت باقٍ والعـــلاءُ خالدُ

بك آستقاد الفضـــلُ ودماؤه … مطـــلولةٌ وعزٌّ وهو كاســـدُ

نصرتَهُ والنـاسُ إمّا جاهـــلٌ … بحقّـــه أو عارفٌ مُعـاندُ

ورِشْتَ من أبنـائه أجنحةً … طار حَصيصا ريشُـهُ البـــدائدُ

تُعطِى وأنت مُعـــدِمٌ وإنمـا … يُعطِى أخوك البحـــرُ وهو واجدُ

زرعتَ عنـــدى نعمـــةً سالفةً … أنت لهـــذا الشكر منهـا حاصدُ

عَطفا على ذكرى ووصفا فخـــرُهُ … باقٍ علىّ والزمانُ بائدُ

ونَظَـــرا بَدأْتَنى برأيـــه … او أنّ باديه الىّ عائـــدُ

لكن أردتَ الخـــيرَ لى ودونه … حوائلٌ من زمنى حـــواشدُ

فهـــل لأرضِى لك أن تَبُلّهـا … على الجُـدوب سُحُبُك الجـــوائدُ ؟

غَرَسْتُ منك بالولاء والهـــوى … غرْسا فـماذا أنا منـــه حاصدُ

أُنظرْ، فقد قدَرتَ ، فى مَظْلَمَـةٍ … كنتَ على إنصافها تعاهـــدُ

وآقضِ ديونَ المجـد فيها وآرعَ لى … ما تقتضى الأواصرُ التـــوالدُ

ولا تكن — حاشاك — من معاشِرٍ … تخـــذُلُ أقـــوالهَم العقـائدُ

كانوا يدى وريحُهـــم راكدةٌ … وأسرتى والحظُّ عنهـم عاصـد (١)

فحين هبّت عاصفا رياحُهـــم … قـــلّ الوفىُّ ونأى المسـاعدُ

غَنّيتُ أنْ أسكرَنى جفـاؤهم … وفى غِنـائى لهُـــمُ عَرابـــدُ

وبُخـــلاء لا تُهـــنّا نعمـــةٌ … هُمُ اليهـا السُّبْلُ والمَقاصـــدُ

(١٢٠)

---

(١) العاصد : الملتوى المنحرف .

أذا كَرُمتَ لؤمــوا سَفارَةً ... وإن قَرُبتَ فَهُــمُ أباعــدُ
تُغـالِقُ الأرزاقَ أيمـانُهُــمُ ... تَضجُّ من مطلِهِــم المَواعــدُ
لا يُرتَجى حُكمُ القـريض بينهـم ... ولا يُخاف اللَّغــوُ والعَـرابدُ
وكيف أبغى فى النَّبيطِ منهُــمُ ... والعُجمِ أن تنفعَنى القصـائدُ
تلافَ بالفضـل الوسيعِ ما جَنَى ... مُسلِمُهـم عــلىّ والمُعاهــدُ
حاشاك يشـقَ واحدٌ بفضــلِهِ ... على زمانٍ أنتَ فيــه واحــدُ
قد طال صونى سمعَك المشغولَ عن ... بثّـك ما ألقى وما أكابدُ
وتَقَبتْ(١) جســمى وقلبى صابرٌ ... من زمنى نيــوبُهُ الحــدائدُ
ولم يدعْ تحت الخطوب فَضْـلةً ... فىّ تدبُّ نحــوها الأوابدُ(٢)
وأعوزَ المُقـامُ أن أسْطيعَهُ ... وسُـدِّدَتْ عن سيرىَ المَقاصـدُ
أيقتُـلُ الزمانُ مثـلى هَـدَرا ... وأنت ثأرى والزمانُ عامدُ؟
أنت بفضـلى شاهدٌ فـلا أمتْ ... هَزْلًا وتضييعـا وأنت شاهـدُ
أعدْ ــ مع الإثقالِ ــ نحوى نظرةً ... تَنعشُــنى لحـاظُهـا الروائدُ
لعلّها يا خيرَ مَن يُدعَى لهـا ... تَصلُحُ شيئـا هـذه المفاسـدُ
وآبتغْ بهـا الشكرَ فعنـدى عوَضٌ ... تَضْمَنُـهُ(٣) القـواطنُ الشـواردُ
كلَّ مطـاعٍ أمرُها مسـلَّطٌ ... فى الشـعر مُلقاة لهـا المَقـالدُ
سائرة تنشرها الركبانُ أو ... عامرة بذكـرها المَشـاهدُ
ترَى الكلامَ عَجُــزًا وطَرَفًا ... وكلُّهـا وسائــطٌ فرائــدُ
اذا رأتْ عِرض كريمٍ عاطـلا ... فهى له العــقودُ والقــلائدُ

---

(١) نقبت : جعلت به نَقْبًا أى خَرقا . (٢) الأوابد : غرائب الكلام و يريد بها القصائد .

(٣) فى الأصل " تضمه " .

تحمِـلُ من وصفك ما يحمِـلُهُ ... عن روضة الحَزْنِ النسيمُ البـاردُ

طالعـــة بهـا التهانى أنجمـا ... ما كـرَّ نوروزٌ وعيـدٌ عائدُ

يفنى بنـــو الدنيـا وأنت مَعَها ... باقٍ على مرِّ الزمانِ خالدُ

تَبـقَى عليك والذى تأخـــذُه ... من الجـــزاءِ مضمحِلٌّ بائـــدُ

مَحامِدٌ يحسُــدُك النـاسُ لهـا ... والنـاسُ إما حامدٌ أو حاســـدُ

***

وقال يصف دَواةً

وخرقاءَ مُعــرِقةٍ فى الضــلا ... ل شاقك فى القَصد إرشادُها

اذا سُقيتْ فما أُطعِمَتْ ... مرنَّقـــة، ماؤها زادُها

وإن رَشَفَتْ ريقَها ألسُنٌ ... وقاءَتْ ففى القىءِ أكبادُها

تَقطَّع منهـا فـلا تَرعوِى ... وتُعـدَى بها وهى عُـوّادُها

ترى زوجَهـا أبدا فوقهـا ... ومن غيرِه جاء أولادُها

***

وقال يمدح أهل البيت

بكى النـارَ سَـتْرًا على المَوْقِـدِ ... وغار يغـالطُ فى المُنجِـــدِ

أحبَّ وصانَ فورَّى هوًى ... أضـلَّ، وخاف فلم يَنْشُـــد؟

بعيـد الإصاخة عن عاذلٍ ... غنىُّ التفـــرّدِ عن مُســـعِدِ

حمولٌ على القلب وهو الضعيفُ ... صبورٌ عن المـاء وهو الصَّدِى

وقورٌ وما الخُـرقُ من حازِمٍ ... مـتى ما يَرُحْ شيبُه يغتـدى

ويا قلبُ إن قادك الغانيـاتُ ... فكم رسَنٍ فيك لم ينقـــدِ

أفقْ فكأنى بهـا قــد أُمِرَّ ... بأفواهها العـذْبُ من مَوْردي

وسُـوِّدَ ما ٱبيضَّ من ودّها … بمـا بيّض الدهرُ من أسـودى
وما الشيبُ أولُ غـدرِ الزمان … يَلِى من عوائده العـوَّدِ
لحَـا اللهُ حظّى كما لا يجـودُ … بمـا أستحقّ وكم أجتـدى
وكم أتعلّلُ عيشَ السقيم … أذمُّ يومى وأرجُو غـدى

(٢١)

لئن نام دهرِىَ دون المُـنَى … وأصـبح عن نَيلهـا مُقعِـدى
ولم أك أحمَــدُ أفعـالَه … فلى أُسـوةٌ بنى "أحمـدِ"
بخـير الورى و بنى خـيرِهم … اذا وَلَدُ الخـيرِ لم يُـولَدِ
وأكـرمِ حىّ على الأرض قام … ومَيْتٍ توسّـد فى مَلحَـدِ
و بيتٍ تَقاصَرُ عنـه البيوتُ … وطال عَلِيًّا على الفرقَـدِ
تحـومُ الملائكُ من حـولهِ … ويُصـبحُ للوَحْىِ دارَ النَّـدى
ألا سَلْ "قريشا" ولُمْ منهـمُ … مَن آسـتوجبَ اللومَ أو فنِّـدِ
وقل : ما لكم بعد طول الضلا … ل لم تشكروا نعمة المرشـدِ؟
أتاكم على فَـترةٍ فآسـتقام … بـكم جائرين عن المَقصـدِ
وولّى حميـدا الى ربّــه … ومَن سَنَّ ما سـنّهُ يُحمَـدِ
وقد جعـلَ الأمرَ من بعـده … "لحيـدَرَ" بالخـبر المُسـنَدَ
وسمَّـاه مـولًى بإقـرارِ مَنْ … لو آتبَـعَ الحـقَّ لم يَجْحَدِ
فملتم بها ــ حسدَ الفضل ــ عنه … ومن يكُ خيرَ الورى يُحسَـدِ
وقلـتم : بذاك قضى الأجتماعُ … ألا إنمـا الحـقُّ للفـرِدَ
يعزُّ على "هاشمٍ" و"النبىِّ" … تلاعُبُ "تَيْمٍ" بها أو "عَدِى"
وإرثُ "عـلىٍّ" لأولاده … اذا آيـةُ الإرثِ لم تُفسَـد
فمن قاعدٍ منهُـمُ خائف … ومن ثائرٍ قامَ لم يُسـعَدِ

تَســلّط بغيـا أكفُّ النفا ق منهـم على ســـيِّدٍ ســـيِّد
وما صُرِفوا عن مقام الصـلاةِ ولا عُنِّفوا فى بَنِى[1] المســجِد
أبوهم وأمهُـمُ مَـن علمـ ـتَ فانقُض مَفـاخِرَهم أو زِدِ
أرى الدِّينَ من بعدِ يوم "الحسين" عليــلًا له الموتُ بالمَرصــدِ
وما الشِّركُ لله من قبــله اذا أنت قستَ بمســتبعَدِ
وما آل "حربٍ" جَنَوا إنمـا أعادوا الضـلال على من بُدِى
سيعلم مَن "فاطمٌ" خصمُهُ بأىّ نكالٍ غــدًا يرتدى
وَمَنْ ساءَ "أحمدَ" يا سِبطَهُ فبـاءَ بقتلك، ماذا يـدى؟
فـداؤك نفسى ومَنْ لى بذا ك لو أن مولًى بعبدٍ فُـدِى
ولَيتَ دمى ماسَقَ الأرضَ منك يقوتُ الرَّدَى وأكون الرَّدِى
وليتَ سَبقتُ فكنتُ الشهيدَ أمامَك يا صاحبَ المَشهَدِ
عسى الدهرُ يَشفِى غدًا من عدا ك قلبَ مَغيظٍ بهـم مُكمَدِ
عسى سطوةُ الحقّ تعلو المُحـالَ عسى يُغلَبُ النقصُ بالسـؤدُدِ
وقــد فعَـلَ اللهُ لكننى أرى كبِدى بعـدُ لم تبرُدِ
بســمعى لقائمِكم دعوةٌ يُلبِّى لهـا كلُّ مســتنجِدِ
أنا العبــدُ وَالاكُمُ عَقــدُهُ اذا القــولُ بالقلبِ لم يُعقَدِ
وفيــكم ودادى ودِينى معًـا وإن كان فى "فارسٍ" مولدى
خَصَمْتُ ضلالى بكم فاهتديتُ واولاكُمُ لم أكن أهتــدى
وجردتمــونى وقــد كنتُ فى يد الشِّرك كالصـارم المغمَــدِ
ولا زال شِـعرِىَ من نائحٍ[2] يُنَقَّــل فيكم الى مُنشِــدِ
وما فاتنى نصرُكم باللسان اذا فاتنى نصرُكم باليــدِ

---

(١) بُنَى جمع بُنْيَة . (٢) فى الأصل "فى" .

وقال وكتب بها الى الأجلّ العميد أبى منصور بن المزرّع فى رجب سنة تسع وأربعمائة، وقد أحسن له السّفارة، ووفى بكثير من الشرط فى المودّة

حـرِّم عليها نُزُهاتِ الوادى ... وولِّها جوانبَ البلادِ

وغنِّها إنْ طرِبَتْ لصافرٍ ... آذانُها برَجَّ الجلادِ

وآسبِقْ بها الى العلا شوطَ الصِّبا ... لعلّها تُعَدُّ فى الجيادِ

(١٢٢)

قد لفظتْكَ هاجدا وقاعدا ... مَكاسرُ البيتِ وتَجُرُ النادى[1]

كم التمادى تطلب العفوَ به ؟ ... قد بلغَ الجهدَ بك التمادى

لا بد إن عفت تخاليطَ القذَى ... أن تُخلَطَ الأرجُلُ بالهوادى

ما العزُّ بين الحُجُراتِ كامنا ... ولا الغنَى فى الطُّنُبِ والعِمادِ

تفسّحى يا نفسُ أو تطوّحى ... إمّا الردى أو دَرَكُ المُرادِ

إن النفوس فآعلمى إن حُمِلتْ ... مسجونةٌ فى هذه الأجسادِ

خيرٌ من الزاد الوبيرِ والأذى ... أنْ أنفُضَ الأرضَ بغير زادِ

قد ملّنى حتّى أخى وأنكرتْ ... كلابُ بيتى فى الدجى سَوادى

كم أحملُ الناسَ على عِلّاتهم، ... قد جُلِبَ الظهرُ وجُبَّ الهادى[2]

فى كل دارٍ ناعقٌ يخبِطُ فى ... جنبيّ وهو خاطبٌ ودادى

وحالمٌ لى فاذا آستسعدتُه ... فى يوم رَوعٍ مال بالرقاد

يُعجبُه قربى لغير حاجةٍ ... فإن عرَتْ طارَ مع البعادِ

اذا عدمتُ عُدَدى ضحكتُ من ... تبجُّحى بكثرةِ الأعدادِ

أُنسا على ما خَيّلَتْ وخلَبتْ ... بروقُها بوحشةِ آنفرادى

---

(١) تجُر جمع تَجْرة وهى الناحية . (٢) جلب : ظهرت به الجلبة وهى القشرة تعلو الجرح .

ما أنا — والحزمُ معى — بآمنٍ شريحتى[1] صــدرى على فؤادى
قد شمِتَ النُّقصانُ بالفضـلِ وقد تَسلَّط العجــزُ على السَّــدادِ
فاجفُ الوُصولَ واهجُ من مدحتَهُ فربّمـا تُصـلِحُ بالفسـادِ
ولا تخــلْ ودَّ "العميد" منحةً سيقتْ بقصـدٍ أو عن اعتيادِ
لكنّها جوهرةٌ يتيمــةٌ تقــذفها البــحارُ فى الآحادِ
جاءت بها — والوالداتُ عُقْمٌ — مُقْبِـلةٌ غريبــةُ الولادِ
خلَّ له النـاسَ وبِهِـم غانيـا به عــلى كثرتهم وفادِ
وحكِّمِ المجــدَ التليــدَ فيهمُ وفيــه واسألْ ألسنَ الرُّوّادِ
بالأقربينَ الحاضرين منهُـمُ ما غاب من ذاك البعيدُ النـادى
وحبّذا بين بيوتِ "أسَــدٍ" بيتٌ اذا ضــلَّ الضيوفُ هادى
أتلعُ طال كرمًا ما حــولَه تشــرُّفَ الربوِ[2] عــلى الوِهادِ
مُوضَحــةٌ عــلى ثلاثٍ[3] نارُهُ إن سَرِفوا[4] النيرانَ فى الرَّمادِ
بيتٌ وسيعُ البـابِ مبلولُ الثرى ممهّــدُ المجلسِ رَخصُ الزادِ
إنْ قوّضَ البيوتَ أصلٌ حائرٌ طُنِّبَ بالآباءِ والأجــدادِ
تُرفَعُ عن "محمدٍ" سُجوفُهُ جــوانبَ الظلمـاءِ عن زنادِ
أبلجَ يُورِى فى الدجى جبينُـه على خبــوِ الكوكبِ الوقّادِ
ساد وما حُلَّتْ عُرَى تميمــه بالأطيبَيْن : النفسِ والميـلادِ
وجاد حتّى صاحت المزنُ به : أكرمتَ يا مُبخِّلَ الأجــوادِ
من غِلمةٍ تحاشـدوا على النـدَى تحاشُــدَ الإبْلِ على الأورادِ

---

(١) الشريحة : كلّ سمين من اللحم ممتد . (٢) الربو : الرابيــة وهى ما آرتفع من الأرض .
(٣) يريد بالثلاث : الأثافىّ جمع أثفيّة وهى الحجر توضع عليه القدر . (٤) سرفوا : أغفلوا .

ودبَّروا المجـــدَ فسدُّوا ما وَلُوا ســـدَّ السيوف ثُغَـــرَ الأغمـادِ
مشَوا على الدارِس من طُرْق العلا ، ويَقتفِى الرائحُ إثرَ الغـادِى
يعتقبون دَرَجا ذروتَهـا تعاقُبَ العـــقودِ فى الصِّعادِ
مَثنَى ووُحـــدانًا الى أن أحدقوا بهـالةِ البـــدرِ عـلى ميعـادِ
للكَلِم المعتـاصِ من سلطانهم عليـــه ما للجحفل المنقـادِ
فهـم قلوبُ الخيـل مثـلُ ما هُمُ إن خَطَبـــوا ألسنةُ الأعـــوادِ
هل راكبٌ ؟ وضَمِنَتْ حاجتَـــهُ غضبَى القِماصِ سَمحةُ القِيـادِ ؟
مُطلَقَـــةُ البـاعِ ، اذا تقيَّـدتْ من الكَلالِ الشُّـوقُ بالأعضـادِ ،
تدرُّ قبـل البوِّ أو تَطرَبُ من مَراحها قبـــل غِنـاء الحادى ،
لا يُتهِمُ الليـــلُ عليهـا بَحــرَهُ ولا يَخـافُ عدوةَ العـــوادى ،
لها من الحوِّ العريضِ ما اشتهتْ ، همُّك فى السرعةِ والإبعـادِ ،
تَصدُقُها — واللَّحَظاتُ كُذُبٌ — عينـا قُطامِىٍّ[1] عـلى مِرصادِ :
بلِّغ — وفى عتابك الخيرُ — إذَن تحيـــةً من كَلِفِ الفـــؤادِ
ينفُثُ فيهـا شجـوَه كما اشتفى الـ ـمدنَف بالشكوى الى العُـــوّادِ
قُلْ لعميـدِ الحىّ بين "بابلٍ" و"الطَّفِّ" جادت ربعَك الغوادى
ما اعتضتُ أو نمتُ على البين فلا بقَـــلِقٍ بتُّ ولا سهـادى
أشرقَنى الشـــوقُ اليك ظامئـا بالعـذب من أحبابِىَ البِرادِ
ما زارنى طيفُ حبيبٍ هاجرٍ إلا اعترضتُ فثنَى وسـادى
ولا نَسمتُ البـانَ تفليـه الصَّبا إلا تضـــوّعتَك من أبرادى

(١) القطامىّ : الصقر أو الحديد البصر الرافع رأسه الى الصيد .

والبـــدرُ يحكيك فيشقَ ناظرى … حتى كأنّ بيضَـــه دآدى (١)

فهـــل عـــلى ماء اللقـاءِ بِلّةٌ … يُروَى بها هـذا النزاعُ الصـادى ؟

مالك لا تسمحُ بالقـربِ كما … تســـمحُ بالمـالِ وبالإرفادِ ؟

أنت جـوادٌ والنـوى مَبخَـلَةٌ … ما أعجبَ البخلَ من الجـوادِ !

ملّكــتَنى بالودّ والرفـدِ معا، … والرفـــدُ من جوالبِ الودادِ

وقاد عُنْقى لك خُلْقٌ سايسُ ال … حبل على صُـــعوبة آنقيـادى

حملتُ منك اليدَ بعـدَ أختِهـا … بكاهلٍ لا يحمِـــل الأيادى

ولم يكن قبـــلَك من مآربى … لمسُ يدِ المُجـــدى ولا من عادى

مَواقفا أعطيتَ فيهـا مسرفا … والبحـرُ يعطينى على آقتصـاد

فـا أذمّ الحـظَّ إلا قمتَ لى … بمنـــةٍ تكسبه أحمـادى (٢)

ولا أنادى النـاسَ إلا خِلتَنى … إياك من بينهِـمُ أنادى

ولم تكن تَحْـلَبَىّ برقـــهُ … لا للحيـا آعتنّ (٣) ولا الإرشادِ

يجلبُ مدحى بلسانٍ ذائبٍ … مـــع النفـاق ويدٍ جَمـــادِ

ماعرَفَتْ فيه الندى «طىٌّ» ولا … أغنـاه شـيخُ البيتِ فى « إيادِ »

يدخُلُ فى مجدِ الكرام زائدا … غبينـــةَ الأنسـابِ فى « زيادِ »

تسلّطَ البخـــلُ على جَنـابِهِ … تسلُّطَ الخُلْفِ عـلى الميعـادِ

لَتعلَمَـــنّى شاكرا مجتهـــدا … إن هو كافا (٤) عفـوك آجتهـادى

بكلّ مغبـــوطٍ بهـا سامعُها … كثيرة الأحبـابِ والحسّـادِ

مصمّت لهـا النـــدىّ، واسع … نصيبهـا الضـخمَ فمُ الإنشـادِ

---

(١) بيضه أى لياليه البيض والدآدى، تقدّم شرحها . (٢) أحماد جمع حمد . (٣) اعتنّ : ظهر وآعترض . (٤) يريد «كافأ» .

غريبـــة حتى كأنْ ما طُبِعَتْ — من طِيبِ هذا الكَلِمِ المُعتـادِ
ترفعُها عنايتى عن كُلْفة الـ — ـلفـــظِ ومعنى الغـارة المُعـادِ
تغشـاك إما بالتهـانى بالعـــلا — أو التهـادى بُكـرةَ الأعيـادِ

* * *

قال وكتب بهـا الى الأمير أبى الذواد المفرِّج بن علىّ بن مَزْيَد أخى نور الدولة دُبَيْس ، يمدحه ويصف ملاقاته للأسـد وظفره به ، وقد أطال سؤاله فى ذلك ، وأنفذها فى شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وأربعمائة

بعينيك يومَ البينِ غَبِّى ومَشهَدى — وذلُّ مَقـامى فى الخليط ومقعَدى
وقولى ـ وقد صاحوا بها يُعجِلونها ـ : — نَشَدتكُمُ فى طارقٍ لم يزوَّدِ
أناخ بكم مستسقيا بعضَ ليلةٍ — ولم يدرِ أن الموتَ منها ضحى الغد
أتحمون عن عضّ الضراغم جارَكم — ويقتُلُنى منكم غزالٌ ولا يدى ؟ (١)
ومازلتُ أبكى كيفَ حُلّت "بحاجرٍ" — قُوَى جَلَدى حتى تداعَى تجلُّدى
وعنّفنى "سعدٌ" على فرط ما رأى — فقلتُ : أتعنيفٌ ولم تكُ مسعدى ؟
أسفتُ لحلمٍ كان لى يومَ "بارقٍ" — فأخرجه جهلُ الصبـابة من يدى
وما ذاك إلا أن عجِلتُ بنظـرةٍ — قَتلتُ بهـا نفسى ولم أتعمّـدِ
تحرّشْ بأحقاف (٢) "اللوى" عُمْرَ ساعة — ولولا مكانُ الريب ، قلتُ لك : آزدد
وقل صاحبٌ لى ضلَّ "بالرمل" قلبُهُ — لعلّك أن يلقاك هادٍ فتهتـدى
وسلِّمْ على ماءٍ به بَرْدُ غُلّتى — وظلِّ أراكٍ كان للوصل مَوعدى
وقل لحَمـام "البانتين" مهنّئا : — تغنَّ خليًّا من غرامى وغرِّدِ
أعنـدكُمُ يا قاتلينَ بقيّـةٌ — على مهجةٍ إن لم تمتْ فكأن قدِ ؟

(١) لايدى : لايدفع الدية . (٢) أحقاف جمع حِقْف وهو ما آعوجّ من الرمل وآستطال .

ويا أهل "نجد" كيف بالغور عندكم ... بقـاءُ تهامىٍّ يهـيم بمُنجـد؟

ملكتم عزيزا رقّـــه فتعطّفوا ... على مُنكِرٍ للذلّ لم يتعوّد

أغدرا وفيكم ذمّـةٌ عربيّـــةٌ ... وبخلا ومنكم يستفادُ ندى اليـدِ؟

فليت وجوهَ الحيّ أعدتْ قلوبَهُ ... ففجّرَ لى ماءً بهـا كلُّ جلمـدِ

وليتكمُ جيرانُ "عوفٍ" تلقّنوا ... خلالَ الندى والجودِ من "آل مَزيَدِ"

من الضيّقِ الأعذارِ والواسعى القِرَى ... اذا ما "جُمادى" قال لليلة: آبردِى

ولفَّ على خيشومِهِ الكلبُ مُقعيا ... يرى الموتَ إلا ما آستغاث بموقد

وشـدّ يديه حالبُ الضَّرعِ غامرا ... على مُصفرٍ(1) قد مسّه الجدبُ مثمِدِ(2)

وباتَ غلامُ الحيّ يُسنِد ظهرَه ... من النَّضـدِ(3) الواهى الى غيرِ مُسنِد

هنالك يأوِى طارقُ الليـل منهمُ ... الى كلِّ رطْبٍ مُثمِرِ النبتِ مُزبِدِ(4)

كريم القِرى والوجهِ ملءِ جفانِهِ ... رحيبِ الرواقِ مُنعِمِ العيش مُرفِدِ

قليـل على الكُومِ الصـفايا حنوُّهُ ... اذا السيفُ ردّاهنّ للساقِ واليـدِ

كشـلِ "أبى الذوّادِ" لا متعلِّلٍ ... اذا سُئل الجـدوَى ولا بمُنكِّدِ

فتًى، بيتُـهُ للطارقين، وسيفُهُ ... لهـامِ العـدا، والمـالُ للمتزوِّدِ

ويوماه إما لآصطباحِ سُـلافةٍ ... تُصـفَّقُ أو داعى صـياحٍ ملدَّدِ

وَفَى بشروطِ المُلْك وهو آبنُ مَهدِهِ ... وسُـوِّدَ فى خيط التميم المعـقَّدِ

وجادَ على العلّاتِ والعـامُ أشهبٌ ... بأحمرَ من خيرِ الرحالِ وأسودِ

ولم تحتبسه عن مساعى شيوخه ... سِـنُوه التى حَلَّتـه حِليَـةَ أمردِ

أناف بجَـدَّيه وأسـندَ ظهرَهُ ... الى جبلين من "عفيفٍ" و"مَزْيَدِ"

---

(1) المصفر: المفتقر. (2) المثمد: القليـل الماء. (3) النضـد: السرير.

(4) المزبد: المتور، وفى الأصل "مزيد".

له فى ملوك الشرقِ والغربِ منهمُ ... نجومُ السماءِ من ثريًّا وفرقدِ
أيارا كبَ الوجناءِ يخبط ليــلَه ... على الرزق لم يقصِد ضلالًا لمَقصِدِ،
ترامت به الآفاقُ ينشُــدُ حظَّه ... فلم يُعطِه التوفيقُ صفحةَ مُرشِــدِ،
أنخها تُفــرِّجْ همَّها "بمفرِّجٍ" ... وطلِّقْ شقاءَ العيش من بعدُ وآسعدِ
وَرِدْ جمَّــةَ الجودِ التى ما تكدَّرتْ ... بمَنٍّ ورِدْ ظلَّ المنى المورقِ النَّدِى
وبِتْ فى أمانٍ أن يسـوءَك ظالمٌ ... علَتْ يدُهُ أو أن تُراعَ بمعتــدى
حَماك "أبو الذوَّادِ" مالكُ أمرِهِ ... على كلِّ حامٍ منهُــمُ ومــذوَّدِ
أخو الحرب إمّا مُخمِدٌ يومَ أُوقِدتْ ... وإمّا شَــبوبٌ نارَها غيرُ مُخمِــدِ
له الخطوةُ الأولى اذا السيفُ قصَّرتْ ... به ظبتاه فهو يوصــل باليــدِ
اذا آبتدر الغاراتِ كان سهامُها ... له من قتيلٍ أو أســيرٍ مصفَّدِ
خفيفٌ أمامَ الخيلِ رسغُ جوادِهِ ... اذا الخوفُ أقعَى بالحصانِ المعرِّدِ
ولما كفى الأقرانَ فى الرَّوعِ وآرتوتْ ... صوارمُــهُ من حاسرٍ ومسرَّدِ (١)،
تعرَّضَ للأُسدِ الغِضابِ فلم يدعْ ... طريقا لذى شبلين منهـا ومُفرَدِ
حماها الفريسُ أن تُطيفَ بأرضه ... وشرَّدَها عن غابهـا كلَّ مَشرَدِ
وهانتْ فصارتْ مُضغةً لسلاحه ... ممزَّقةً فى صَـعدَةٍ أو مُهنَّــدِ
ويومَ لقيتَ الأدرعَ الجهمَ (٢) واحدا ... جرى مُلبِدٌ يشــتدُّ فى إثرِ مُلبِــدِ
نَصبتَ له لم تسـتعن بمؤازرٍ ... عليـه ولم تُنصَر بكثرةِ مُسعدِ
وقفتَ وقد طاش الرجالُ بموقفٍ ... متى تُمثَّــلْه الفرائصُ تُرعَــدِ

---

(١) الحاسر: من لا مِغفَرَ له ولا درع، والمسرد: لابس السَّرْدِ وهو الدرع. (٢) الأدرع الجهم: الهجين العابس.

فأوْجَرْتَهُ(١) نجـــلاءَ أبقتْ بجنبِه فُتوقا اذا ما رُقِّعتْ لم تُسَـــدَّدِ
تَحـــدَّرُ منها لَبَّتَـاه وصـــدرُهُ على ساعدٍ رِخوٍ وساقٍ مقيَّـدِ
فلم تُغنِـهِ إذ خان وثبـةُ غاشِمٍ ولم ينتقذه منك إقعاءُ مُرصِـدِ
رأى الموتَ فى كفَّيكَ رأْىَ ضرورةٍ فأوردَ منـــه نفسَه شرَّ مَوْرِدِ
وأحرزتَهـا ذكرا يخصُّـك فخرُهُ تَناقَلُه الأفواهُ فى كلِّ مَشـــهَدِ
جمعتَ الغريبينْ : الشجاعةَ والنَّدى وما كلُّ مُرْدٍ للكُماةِ بمُرفِـــدِ
وقمتَ بإحكام الســـيادةِ ناظِما عُراها فما فاتتك حُلَّةُ ســـيِّدِ
أتانى من الأنبـاء أنك مغـرمٌ بفضلِ مديحى عارفٌ بتوحُّدى
حبيبٌ اليك أن تُزَفَّ عرائسى عليك تَهادَى بين شـادٍ ومُنشِدِ
متى ما تَجِـدْ لى عنـد غيرك غادةً مخـــدَّرةً تَغبِطْ عليهـا وتَحسُدِ
فقلتُ : كريمٌ هزّه طيبُ أصله وواحدُ قومٍ شاقه مـدحُ أوحدِ
وليس عجيبا مثلُها عنـــد مثلِهِ اذا هبَّ يقظانا لهـا بين رُقَّدِ
فأرســلتُها تُلقِى اليـك عنانَهـا وغـــيرُك أعيتْـــه فلم تتقـــوَّدِ
لها فارسٌ من وصفِ مجدك دائسٌ بأرساغِها ما بين طَودٍ وفدفـدِ
يرى كلَّ شىء فانيـا ورداؤه على عُنْقٍ باقٍ فى الزمان مخـــلَّدِ
متى تَجزِها الحسنَى بحقّ ابتـدائها تَزُرْكَ بعينٍ تملأُ الســـمعَ عُوَّدِ
فوفِّرْ على عجـزِ البُعول صَـداقَها وعرِّسْ بها أمَّ البنيـــن وأولدِ
وصُنْها وكَرِّمْ نُزْلَهـا إنّ بيتَهـا كبيتِك فى أُفْقِ السماء المشـــيَّدِ
وكن "كعلىٍّ" أوفكن لى "كثابتٍ" وفاءً وإعطاءً وإنْ شئتَ فازددِ

(١) أوجرته : طعنته ، وفى الأصل " أوخزته .

وقال وكتب بها الى الأجلّ عميد الرؤساء أبي طالب محمّد بن أيّوب يمدحه ويهنّئه بالمهرجان الواقع فى شعبان سنة ثمان عشرة وأربعمائة

أمنها — على أنّ المزارَ بعيدُ — خيالٌ سَرَى والساهرون هُجودُ؟
طوى "بارقا" طيَّ"الشجاع"و"بارقٌ" خِطارٌ يفلُّ القلبَ وهو حديدُ
يجوبُ الدجى الوحشيَّ والبيدَ وحدَهُ فكيفَ وكسرُ البيتِ عندك بِيدُ!
نعم! تُحمِّلُ الأشواقُ والعيسُ ظُلَّعٌ ويَمشِي الهوى والناقلاتُ قُعودُ
وتتّسع البلوى فيمضِي مصمِّمًا جبانٌ عن الظلِّ الخفوقِ يحيدُ
من المبلغي؟ والصدقُ قصدُ حديثِه وفى القول غاوٍ نقلُهُ ورشيدُ،
عن الرمل "بالبيضاءِ": هل هِيلَ بعدنا وبانِ "الغضا": هل يستوى ويميدُ؟
وهل ظبياتٌ بين "جَوٍّ" و"لعلعٍ" تمرُّ على وادى "الغضا" وتعودُ؟
سوانحُ للرامين، تَصطادُ مثلَها وحوشُ الفلا، وهى الرماةَ تَصيدُ
ويوم "النقا" خالفنَ منّا فعاذلٌ خلِيٌّ ومعذولُ الغرامِ عميدُ
سفكْنَ دمًا حرًّا وأهونُ هالكٍ دمٌ حكمتْ عينٌ عليه وجِيدُ
حملن الهوى منّي على ضُعف كاهلٍ وهَى، وتقولُ الحاملاتُ: جليدُ
تطلعتِ الأشرافَ[(1)] عيني ريادةً لقلبي سَفاها والعيونُ ترودُ
وما علمتْ أنّ البدورَ "برامةٍ" وجوهٌ ولا أنّ الغصونَ قدودُ
وقالوا: غدًا ميقات فُرقةِ بينِنا فقاتُ "لسعدٍ": إنه لوعيدُ
غدًا نعلنُ الشكوى، فهل أنت واقفٌ تسائلُ حادى الركبِ: أين يريدُ؟
وهل تملك الإبقاءَ أو تجحد الهوى ووجهُك قاضٍ والدموعُ شهودُ

(١) الأشراف جمع شَرَف وهو: ما شَرُف وآرتفع من الأرض .

وقد كنتُ أبكى والفـــراقُ دعَا به (١) دلالٌ أدارِى عطفَــه وصـــدودُ

فـــا أنا من بَينٍ رجاءُ إيابِهِ وعـــودٌ تُقَضَّى دونه وعهـــودُ (٢)

هل السابق الغضبانُ يملكُ أمرَه ؟ فـــا كلّ سير اليعملاتِ (٣) وخيدُ !

رويدا بأخفــافِ المطىّ فإنمــا تداسُ جبــاهٌ تحتهــا وخـــدودُ

عذيرى من الآمال أمّا ذراعهــا فرحبٌ وأمّا نَيْلُهــا فزهيـــدُ

يُرينك أنّ النجمَ حيثُ تحطُّــه وأنّ زمامَ الليث حيث تقـــودُ

ودون حصاة "الرملِ" إن رُمتها يدٌ دفوعٌ، وسهمٌ للزمانِ ســديدُ

سقَى الناسَ كأسَ الغدرِ ساقٍ مُعدَّلٌ متى يُبْـدِ قبـلَ السكر فهو معيـــدُ

فمستـــبردٌ يهـــنَى بأوّلِ شَربةٍ ومستـكثرٌ يثـــنى له ويزيدُ

ونَحّى "آبنَ أيّوبٍ" فاصبح صاحيًا وفاءٌ عريقٌ فى الوفاءِ تليـــدُ

فلو لم يُبرِّزْ يومَ كلِّ فضيــلةٍ كفَى أنه يومَ الحِفـاظِ وحيدُ

حـــوانى وأيّام الزمانِ أراقمٌ وهَبهَبَ عنّى والخطوبُ أســـودُ

ولبَّى دعائى والصـــدَى (٤) لا يُجيبنى بيقظتِــهِ والسامعونَ رُقـــودُ

وأنهضَنى بالدهرِ حتى دفعتُـــه وجانبُــــه وعْرٌ علىّ شـــديدُ

وقد قعدتْ بى نُصرةُ اليدِ أختَهـا وقُلِّصَ عنى الظـــلُّ وهو مديدُ

تكفَّلَ لى بالعيشِ حتى رعيتُــهُ على وخَـــمِ الأيّام وهو رغيـــدُ

وأطلقَ من ساقَىَّ حتى أناف بى على أَرَبِى والحـادثاتُ قُيـــودُ

فــا راعنى من عقّنى وهو واصـلٌ ولا ضرّنى من غابَ وهو شهيدُ

(١) فى الأصل "دعابةٌ". (٢) فى الأصل "عهود". (٣) اليعملات جمع يعملة وهى الناقة النجيبة المطبوعة على العمل. (٤) الصدى: رجوع الصوت وترديده.

من القوم مدلولٌ على المجدِ واصلٌ ... اذا ضلَّ عن طُرْقِ العلاء بليدُ
عتيقُ نجارِ الوجهِ أصيدُ صرَّحتْ ... به عن صفاياها غَطارِفُ صِيدُ
كرامٌ تُضيءُ المشكلاتُ برأيهم ... ويُنظَمُ شملُ المجدِ وهو بديدُ
يَسُودُ فتاهم فى خيوطِ تميمهِ ... ويشأى[1] كهولَ الناسِ وهو وليدُ
إذا نزلوا بالأرضِ غبراءَ جعدةً ... أماهَ[2] حصًا فيها وطابَ صعيدُ
كأنَّ نصوعَ الروض حين تسحبَّتْ ... مآزرُ منهم فوقَها وبُرودُ
سخا بهمُ أنَّ السخاءَ شجاعةٌ ... وشجَّعهم أنَّ الشجاعةَ جودُ
لهم بابنهم ما للسحابةِ أقلعتْ ... من الروض يومَ الدَّجْنِ وهو صَخود[3]
وماغابَ عن دارِ العلا شخصُ هالكٍ ... مضَى وبنوه الصالحون شُهودُ
"أبا طالبٍ" لايُخلف الفخرُ دوحةً ... وأنتَ لها فرعٌ وبيتُك عُودُ
بَغَى الناسُ أدنَى ما بلغتَ فطُيِّرتْ ... رياحُك عَصفًا والبُغاةُ رُكودُ
وشالَ بكَ القِدحُ المعلَّى وحطَّهم ... وليس لهاوٍ بالطباعِ صعودُ
فلو كلَّمتْك الشمسُ، قالتْ: لحقتَ بى ... علاءً وإشراقا، فأينَ تريدُ؟
أقرَّ لك الأعداءُ بالفضلِ عَنوةً، ... ومعترِفٌ من لم يسَعْهُ جُحود
وكيف يُمارِى فى الصباحِ معاندٌ ... وقد فلَقَ الخضراءَ منه عمودُ؟
تسمَّعْ من الحسادِ وصفَك وآغتبطْ ... فأعجبُ فضلٍ ما رواه نديدُ
وإن نَكَلوا شيئا فإن فصاحتى ... وراءك كَرٌّ فى الكلام عتيدُ
وبين يدَىْ نُعماك منّى حميّةٌ ... لها مَدَدٌ من نفسها وجُنودُ
اذا راعتْ حربًا رأيت كماتَها ... تلاوَذُ من أطرافها وتحيدُ

---

(١) يشأى : يسبق . (٢) أماه : كثر ماؤه . (٣) الصَّخود : الشديد الحر .

أذودُ بها عن سَرحِ عِرضك كلّما ... تطلّعَ فيــه للفريسـةِ سِيدُ (١)

اذا نَشَطتْ من عُقلةِ الفكرِ أرسلتْ ... بهـا طَلِقاتٍ وثُبهنّ شُـــرودُ

مطايا لأبكار الكلام اذا مشى ... على حَسَكِ (٢) السّـعدانِ (٣) منـه رديدُ

نطقتُ بها الإعجازَ فالمؤمنون لى ... على دِينهـا بين الجنـانِ خُلودُ

ويحسـدنى قومٌ عليهـا وحظُّها ... شـقىٌّ وحظّ المقرفاتِ سـعيدُ

تمنّوا على إخصابهم جدبَ عيشِها ... وأنّهـمُ خُصُّـوا بهـا وأُفيـدوا

ولم أحسبِ البـلوى عليها مُزاحِمٌ ... ولا أنّ ضنكَ العيش فيـه حسودُ

لها النسبُ الحرُّ الصريحُ اذا طغت ... عليك إماءٌ غـــيرها وعبيـدُ

يزورك منها — والنساءُ فوارِكٌ — ... كواعبُ تُصْـفِيك المودّةَ غِيـدُ

لهنّ جـــديدٌ من نوالك كلّمـا ... أتى طالعـا يومٌ بهنّ جـديدُ

فـفى كلّ يومٍ مهـرجانٌ مقـلَّدٌ ... بهنّ ونـيروزٌ لديك وعيـــدُ

* * *

وقال يمدحه أيضا وكتب بها اليه فى المهرجان الواقع فى سنة عشرين وأربعمائة وفيها نبذة من المعاتبة

تمنّاها بجهلِ الظنِّ "سعدُ" ... وما هى من مطايا الظنِّ بعـدُ

وخالَ ظهورَها قُعُـــدا لِيانا ... فرحّلَ وهى مُزلِقـــةٌ تكُدُّ

وراوحَها القِعابَ (٤) ليعتشيهـا (٥) ... فضرعٌ زلَّ أو خِلفٌ يَنِـدُّ

---

(١) السِّيد : الذئب . (٢) الحسك : الشوك . (٣) السّعدان نباتٌ من أفضل مراعى الغنم له شوك ، وفى المثل "مرعًى ولا كالسّعدان" . (٤) القعاب جمع قَعْب وهو القدَح الضخم يُحلب فيه ، وفى الأصل "العتاب" وهو تحريف . (٥) فى الأصل "لتفتشيها" ولم نعثر لها على تفسير يتفق ومعنى البيت .

براثنُ أوسَقتْهُ دما صبيبا … وفى قومٍ لها أَقِطٌ وزُبدُ (١)
لعلّك "سعدُ" غرّك أن تراها … على الجِرّاتِ تأكلُ أو تَرُدُّ (٢)
وأنّ العام أخلفها لجاءتْ … حبائلَ فى حبائلها تُمَدُّ
مفلّلةً على الأعطانِ فوضَى، (٣) … هبِبتَ تظنُّ أنّ الفَلّ طردُ (٤)
وما يُدريكَ من يَحمِى حماها … ويحضُرُ (٥) ذائدا عنها ويبدو (٦)
وإنّ وراءها لقَنًا تلظَّى … وأسيافًا وألسنةً تُحَدُّ
ومنتقَصَ الطبائع إن أُخيفت، … لَشَدُّ الأُسْدِ أهونُ ما يَشُدُّ
اذا صاح الإباءُ به تنزّى … يُطيع الغيظَ أغلبُ مستبِدُّ
ومشحوذا! من الكَلِم المصفّى … به الأعراضُ تُفرَى أو تُقَدُّ
اذا عصبَ اللَّهاةَ الريقُ فاضت … دوافقُ منه واديها مُمَدُّ
تحاشَدُ "يعربٌ" إن قال: نصرا … وتغضَبُ بالطباع له "معدُّ"
فما لك — لا أبا لك — تتّقيها … وفيها السيفُ والخصمُ الألدُّ
طغَى بك أنْ ونَتْ عنك القوافى … وخافَ فُتورِها دأبٌ وَوخْدُ
لئن دَرِدَتْ فلا يَغرُرْك منها … أراقمُ يزدرِدنَ وهنّ دُردُ
وإن نأت البلادُ برافديها … فقومٌ آخرون لها ورِفْدُ
ولم يَقعُدْ عن المعروف جُنْدٌ … من الكرماء إلا قام جُندُ
وكم من حاضرٍ دانٍ كفانى … رجالا لَفّهُمْ سَفَرٌ وبُعدُ
ولم أعدَمْ نوالَهُمُ ولكن … وجوهٌ بعدَها ألمٌ ووجدُ

---

(١) الأقط: الجبن المتخذ من اللبن الحامض. (٢) الجرة: ما يفيض به البعير فيأكله ثانية. (٣) مفللة: مهزومة. (٤) الفلّ: الانهزام. (٥) يحضر: أقام بالحضر.

(٦) يبدو: ينزل البادية.

سقى الله "ابنَ أيوبٍ" سماءً ... تروح سحابُهـا ملأى وتغدو

وإلا ماءُ خــديه حيـاءً ... وإلا خــلّةٌ منـــه ووِدُّ

وأىّ خلالِه كرمًا سقاه ... كَفَى وسقَى نميرٌ منـه عِدُّ

أخوك فلا تغيّره الليالى ... اذا لم يُرعَ عند أخيك عهدُ

ومولاك الذى لا الغلُّ(١) يسرى ... به ظَهْرًا ولا الأضغانُ(٢) تحـدو

تَضَيّفَهُ وأنت طريدُ ليـلٍ ... رمى بك فيـه إقتارٌ وجهدُ،

وقد ألقت بكلكلها "جُمادَى"(٣) ... لخيط سمائها حلٌّ وعَقْـدُ،

وهبّتْ من رياح "الشامِ" صِرٌّ(٤) ... عسوفٌ(٥) لم تَرضها قطّ "نجدُ"،

وأبوابُ البيوت مقـرّناتٌ(٦) ... فــلا نارٌ ولا زادٌ معَــدُّ،

تجِدْ وجهًا يضيء لك الدياجى ... كأنّ جبينَه فى الليـل زَندُ

وكَفًّا تهرُبُ الأزَماتُ منها ... تَرَقرقُ سَبْطَةً والعامُ جَعدُ

وبِتْ وقِـراك مَيسَرةٌ وبِشْرٌ ... وزادُك نُخبَـةٌ وثراك مَهدُ،

تمـامَ الليلِ واغدُ بصالحات ... من الأخلاق إن تَرَكتْك تغدو

شمائلُ أصلُها حَسَبٌ وخِـيرٌ(٧) ... وزهرةُ فعلِها كرمٌ ومجـدُ

تقلّبـها أبًا فأبًا مـؤدٌّ ... كما أخَذَ الغـلا إرثا يُرَدُّ

تَنِمُّ به اذا حُسِبَ المساعى ... عن الآباءِ عِـدّةُ ما يُعَـدُّ

تفرَّدَ بالمحاسن فى زمانٍ ... تنكَّرَ أن يقـالَ : البدرُ فردُ

---

(١) فى الأصل "الغيل". (٢) فى الأصل "الأظعان"، وقد رجحنا كلمتى "الغل والأضغان" ليستقيم معنى البيت، ومعناه : أن مولاك من لا يتخذ الحقــد ظهرا يركبه ولا يحدوه الضغن فينساق أمامه لاقتراف الشرّ والأذى . (٣) يقال للشتاء عند العرب : جمادى . (٤) الصرّ : الريح الشديدة الصوت والبرد (٥) العسوف : التى تمر فلا يثنيها شىء . (٦) مقرّنات : مشدودة بالحبال كناية عن إحكام إغلاقها ، وفى الأصل "مقرمات" . (٧) الخير : الشرف والأصل .

وجاراه عـلى غَرَرٍ رجالٌ ... لهم شـدٌّ وليس لهم أشُـدُّ

فقصّر كلُّ منتفخٍ هجينٍ ... ومرَّ أقبُّ(١) يطوِى الشوطَ نهدُ(٢)

ثقيـلٌ والحلومُ مشعشعاتٌ ... نصيعُ العِرض والأعراضُ رُبْدُ

ملكتُ به المنى وعلى الليالى ... ديونٌ بعدُ لى فيـه ووعدُ

وكان نوالُ أقـوامٍ ضمانا ... أسوِّفه وجودُ يديه نَقْـدُ

أحـدُّ بنصره نابىَّ حـتّى ... فرَسْتُ به الخطوبَ وهنَّ أُسْدُ

وعاد أشلَّ كفُّ الدهر عنّى ... بأنك(٣) لى به سـيفٌ وزندُ

فلا يعدَمْك معتمرٌ(٤) غريبٌ ... له بك أسوة(٥) : صَبْرٌ وحَشْدُ

ولا يَفقِدْك مـنّى مستضىءٌ ... بهَدْيِك فى الظلام وأنتَ رُشْدُ

وردَّ عليك رائحـةً ثنـائى ... عزائبُ(٦) مثلُها لك يُسـتَرَدُّ

خمائصَ أو يَجِدنَ اليك مرعًى ... خوامسَ(٧) أو لهنَّ نداك وِرْدُ

حواملَ من نتاج الجود ملءَ الـ ... ـجيوب فمـالهُـا شكرٌ وحمدُ

من الكلم الذى إن كان حدٌّ ... لغاياتِ الفصاحة فهو حـدُّ

سبقتُ به المَقاولَ(٨) مستريحا ... ففتُّهمُ وقد نَصِـبوا وكدُّوا

تكُرُّ عليـك واحدةً ومَثـنًى ... بهنّ وفودُها ما قام "أُحُدُ"

ليوم المهرجان وكان عُطْلًا ... وشاحٌ من فرائدها وعِقْـدُ

سلبتُ الناس زينتَهـا ضنينا ... بهـا وبرودُها لك تَستجدُّ

وأعتقَنى من الحِرص آقتناعى ... بما تُولِى، ومَولى الحرص عبدُ

---

(١) الأقبّ : الفرس الدقيق الخصر الضامر البطن . (٢) النهد : الفرس الحسن الجميل .

(٣) فى الأصل "بآية" . (٤) المعتمر : الزائر والقاصد للشىء . (٥) الأسوة : ما يتأسى به الحزين . (٦) العزائب : الإبل تبعد عن المرعى ، وفى الأصل "غرائب" .

(٧) الخوامس : الإبل ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع . (٨) المقاول جمع مِقول وهو الفصيح المبين .

وقال يهنئ كمالَ الملك أبا المعالى بن أيّوب بالمهرجان ، ويستوحش لبعد غيبته، وأنفذها اليه

أمكنَتِ العاذلَ من قِيادِها فانــتزع الرحمةَ من فؤادِها
ولوّنت أخــلاقَها فقــد غدا بيــاضُها يشِـفُّ عن ســوادِها
والغانيـاتُ عَطفةٌ وصدْفَـةٌ (١) يُجـنَى لك الحنظلُ من شِهادِها (٢)
لا يملأُ الراقـدُ من أحــلامِهِ إلا كما يملك من ودادِها
أعلقُ ما كنت بهـا طمَاعَةً أنصـلُ ما تكونُ من إسـعادِها
مــتى تُكلَّفْ من وفاء شيـمةً تعــدْ الى شيمتهـا وعادِهـا
آهِ عـلى الرقّـةِ فى خـدودها لو أنهـا تسـرى الى فـؤادِها
" بالبـان " لى دَينٌ على ماطلةٍ يميس غصنُ البـان فى أبرادِها
سلّطتِ الوجـدَ على جوانحى تسـلُّطَ الخُلفِ عـلى ميعادِها
يا طَـرَبًا لنفحــةٍ " نجـديةٍ " أعدِلُ حرَّ القلبِ باسـتبرادِها
وما الصَّـبا ريحىَ لـولا أنهـا اذا جرت هبَّتْ عـلى بـلادها
قل لمُحِيضِ العيسِ (٣) أغباسَ (٤) السُّرَى تأكلُ عَرضَ البيـدِ فى إسآدِها (٥)
موائرا ترى السَّـلامَ (٦) رمَضًـا (٧) بينَ سُلاماها (٨) الى أعضادِها
ذُبالُهـا تحت الدجى عيونُهـا لا تستشـير النجمَ فى رَشادِها
تبغِى النـدَى وأين من مُرادِه طىُّ الفــلا وأين من مُرادِها

(١) الصدفة : الإعراض والصد ، وفى الأصل "صرفة" . (٢) الشِّهاد جمع شَهْد وهو عسل النحل . (٣) العيس : الكرام من الإبل . (٤) أغباس جمع غَبَس وهو ظلام الليل ، وفى الأصل "أعناس" . (٥) الإسآد : السير طول الليل . (٦) السـلام : شجر . (٧) الرمض : حرقة الحر . (٨) السُّلامى : عظم فى فِرْسِن البعير أو عظام صغار طول إصبع أو أقلّ فى اليد والرجل .

عِنــدَكَ روضٌ وسحابٌ مغــدِقٌ … إن صدقَتْ عينُك فى آرتيادِها

أيدى بنى "عبدِ الرحيم" أبحــرٌ … أعــذبَهــا اللهُ عــلى وُرّادِهــا

أيدٍ تَساوَى الجودُ فيهــا فآكتفَى … أن يسألَ المُعْتامُ(١) عن أجوادِها

ســلالةٌ من طينةٍ واحــدةٍ … مجموعُهــا يوجَــدُ فى آحادِها

آرمِ بهــم على الليــالى تَنتصِــفْ … بهِـمْ على ضعفِك من شِدادِها

وشِمْهُــمُ على الخطوب تَنتضِــلْ(٢) … بيضَ "السُّرَيْجيّاتِ(٣)" من أغمادِها

أُنظرْ اليهــم فى سمــاواتِ العلا … مرفوعــةً منهــم على عِمــادِها،

ترَ النجومَ الزُّهرَ من وجوههــم … ثابتــةَ الســعودِ فى أوتادِها

لهــم سَناها ثمّ ما ضرّهُــمُ … نقصانُ ما يَكثُرُ من أعدادِهــا

أسرةُ مجــدٍ شــهِدَ الفضلُ لهــا … عُقِّبَ عنهــا بعــلا أشــهادِها

حســبُك من آياتهــا دلالةً … أن "كمالَ الملك" من أولادِها

حَيٍّ وقــرِّبْ غُرّةً أبيّــةً … كان النــوى يألَمُ من بعادِها

ما سكنَتْ أرضٌ الى حضــورِها … إلا بكتْ أخرى عــلى آفتقادِها

تــودُّ حبّــاتُ القــلوب أنهــا … — ما سافَرتْ — تكون من أرفادِها

عاد الى الدولة ظــلُّ عزّهــا … وقــرّت الأرواحُ فى أجســادِها

وآمتلأتْ من شُهبِها أفلاكُها … وضُمّت الغيــلُ عــلى آســادِها

يخطبُهــا قومٌ وفى حِبالكم … نكاحُها وهــم بنــو سِــفادِها

يا عجــزَ من يطمعُ فى قنيصِها … والليثُ جثّامٌ عــلى مِرصــادِها

أنت لهــا بعــدَ أبيــك ثُغــرةٌ … غيرُك لا يكون من سِــدادِها

---

(١) المعتام : المختار . (٢) تنتضل : تجرّد . (٣) السريجيات : السيوف المنسوبة الى قين آسمه سريج .

وجهُـك فى ظلمائهـا سراجُهـا   وكـفُّك الذائبُ فى جَمـادِها
صدعتَ بالفضـلِ وكنتَ معجِزا   تُطيعُك النفــوسُ باجتهـادِها
وأذعنتْ طـائعـةً مختـارةً   بميلهـا إليـك وآنقيـادِها
إن ضلَّت الآراءُ باجتماعها   كفتْك آراؤك بانفــرادِها
أو عُبِـدَتْ أموالُ قـومٍ، شَرُفَتْ   نفسُـكَ أن تكون من عُبَّـادِها
كفتْكَ كسبَ العــزِّ نفسٌ حرةٌ   أحرزتِ العــزَّةَ من ميـــلادِها
وقدّمتك — فاجتُبيتَ سيِّدًا —   أرومــةٌ طرفُك من تلادِها

(١٢٩)

تُعـــدى معـاليها الى أبنـائها   على زمان "هودِها" و"عادِها"
لكم قُــدامَى الأرضِ أو سُـلافُها   كنتم رُبًا والنـاسُ فى وهادِها
وجمّـــةُ الملك تجِـــمُّ لكُمُ   ما طاب وآســتَغزَرَ من أورادِها
اذا نطقتم ســكتَ النـاسُ لكم   على قُوَى الأنفـاسِ وآمتـــدادِها
كـأنمـا ألســنُكم لهـاذمٌ[1]   على القنـا تُشرَع فى صِـعادِها
ميمـــونةُ النُّقبـــة[2] أين وُجِّهتْ   حَلَّتِ المزنُ عُرى مزادِها
وإن سُـــئلتم لم تَرَوا أموالَكم   ناميـــةً إلا عـلى نفـادِها
هَنَـا المعالى منـــك يا خيرَ أبٍ   يُكنَى بهـا جمعُـك من بدادِها
ذاك، وسلْ مذ غبتَ عن نفسى وعن   ضراعـــةٍ لم تكُ فى آعتيـادِها
ونَبــوَةِ الأعينِ عـنِّى فيكُمُ   كأنى صُــيِّرتُ من سُهادِها
أنَّحتُ نفسى بل قعدتُ نُجْــرةً[3]   مزمَّـــلا بالذلّ فى بِجادِها[4]
مخفِّضا قـــولى متى قيــل : صَهِ   خشعتُ بينَ هاتهـا وصادِها

---

(١) اللهاذم جمع لَهذَم وهو السنان . (٢) النقبة : الوجه . (٣) نجرة : ناحيـة .
(٤) البجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب .

بينَ رجال كَنَتْ فضائلى عنهمْ كُمون النار فى زنادِها
لم أرجُهُم وليتنى لم أخشَهم، قلوبُهم تئنُّ من أحقادِها
تسلُقنى باللوم فيكم ألسنٌ أقوالُها تصغُر فى آعتقادِها
فكيفَ – معْ قناعتى – ظنُّك بى هل كان إلا المصَّ من ثمادِها
خلَّفتنى جوهرةً ضائعةً بقلّةِ الخبرةِ من نُقّادِها
لا حظَّ لى أرجوه عند غيركم من عُدّةِ الدنيا ولا عَتادِها
تسكُنُ أحشائى الى حِفاظكم سكونَ أجفانى الى رقادِها
أنتم لنفسى فى الحياة وبكم أنتظر العَونَ على مَعادِها
فأين كان صبرُكم على النوى من عَركها الصبرَ ومن جهادِها
وهل – وقد أمرضها بعادكم – كنتم بعَطفِ الذِّكْر من عُوّادِها؟
بلى! لقد واصلَها ما بلَّها من عَون أيديكم ومن إرفادِها
وقمتُمُ على النوى بلفتةٍ من نصرها شيئا ومن إنجادِها
فاغتنموا الآنَ تلافِى نَقصِها فى سَعةِ الأيّام وآزديادِها
وعند نعماك لها إنْ قُضِيتْ دَينٌ عليه جُملةُ آعتمادِها
مؤجَّلا قبل النوى وبعدَها من طارف الرسوم أو تِلادِها
فوكِّل الجودَ على نفسك فى قضائها ومُرْهُ بافتقادِها
وآعلم بأن الحالَ فى تسويفها تَضيقُ حتى الوعد فى إبعادها
وآسلم لها وآسع بها سواءًا(١) بعفوها منك وباجتهادها
لك الطويلُ الشوطِ من خيولها فليس ترضَى لك باقتصادِها
لها بطونُ الأرض بل ظهورُها تصوّبَتْ أو هى فى إصعادِها

---

(١) هذه الكلمة وردت بالأصل هكذا "سوا".

رَجْلَى ولا يعلَقُها ركْبُ الفلا بإبلِ البيدِ ولا جيادِها
تَسترقِصُ الأسماعَ أو تخالنَى أستخلفُ "الغريضَ"(١) فى إنشادِها
كأنّها على الطروس أنجمٌ لألأتِ الخضراء(٢) بأتقادِها
يكاد أن يبيضّ من نُصوعها ما سوَّد الكاتبُ من مدادِها
تنفَّسُ الأيّامُ عن صوابِها فى وصف نُعماكم وفى رشادِها
ما دمتُمُ حَلْيا لمهرجانها فينا وتيجانا على أعيادِها

⁂

وقال وكتب بها الى ناصر الدين بن مُكرَم يشكر ما تقدّم من إنعامه، ويتنجّزه الكريم من عاداته، وأنفذها اليه بعمان

هل تحت ليلك "بالغضا" من رائد يقتاف آثارَ الصباحِ الشاردِ؟
هيهات تلك نَشيدةٌ مطلولةٌ عند الغرام على المحبّ الناشدِ
وكفاك عجزا من شجىٍّ ساهرٍ يرجُو الرِّفادةَ(٣) من خلىٍّ راقدِ
يا إخوةَ الرجلِ الغنىِّ أصابَ ما يبغِى وأعداءَ المُقِلِّ الفاقدِ
صاحبتُ بعدكم النجومَ فكلُّكم إلبٌ(٤) علىّ وكلهنّ مساعدى
فاذا ركدن فمن تحيّرُ أدمعى واذا خفقن فمن نُبُوّ وسائدى
دُلُّوا علىَّ النومَ، إن طريقَهُ مسدودةٌ بعواذلى وعوائدى
وعلى الثنيّةِ "باللوى" متطلّعٌ طِلْعِى بمَرباة الرقيب الراصدِ
يَقِظٌ اذا خاف الرقيبَ تخطّأتْ عيناه عن قلبٍ مُريدٍ عامدِ

---

(١) الغريض: هو مغنّ آسمه عبد الملك وكنيته أبو زيد ولُقّب بالغريض لأنه طرىُّ الوجه غضُّ الشباب، والغريض لغةً الأبيضُ الطرىّ من كلّ شئ. (٢) الخضراء: السماء. (٣) الرفادة: المعونة. (٤) الإلب: القوم يجتمعون على عداوة إنسان.

متجاهــلٌ ما حالُ قلبي بعــده … جهــلَ العلـيم وغائبٌ كالشـاهدِ

والى جنـوب "البـانِ" كلّ مُضرّةٍ … بالبـان بين موائسٍ ومـوائدِ

يمشين مشى مَها "الجواءِ" تخلَّلتْ … عنهنّ غيطانَ النقـا المتقـاودِ (١)

متقـلداتٍ بالعيونِ صـلائفًا … وطُلًى ولم يحْلِنَ ثِقـلَ قـلائدِ

نافثنهنّ السـحرَ يوم "سويقـةٍ" … فاذا مَكايدهنّ فـوق مَكايدى

كنتُ القنيصَ بما نصبتُ ولم أخلْ … أنّ الحبالةَ عُقـلةٌ للصـائدِ

أنكرتُ حلمى يومَ "بُرقةِ عاقلٍ" … وعرفتُـه يوم اللقـاءِ "بغامدِ"

وجعلتُ سمعى من نبال عواذلى … غرضَ الغـرورِ لكلّ سهم قاصـدِ

القلبُ قلبُكَ فامضِ حيث مضى الهوى … بك من مضِـلٍّ سعيُهُ أو راشـدِ

ما دام يدعـوك الحسانُ فتًى وما … دام الذوائبُ فى قِـرابِ الغامـدِ

فوراء يومك من صِـباك ضُحَى غدٍ … وغدٌ يسوءُك منـه صـدقُ الواعدِ

ولقـد سريتَ بليـلهِ وبصبحه … فَخْمًا وفى لهَبِ البيـاض الواقـدِ

فاذا المشـيبُ مع الإضاءة حـيرةٌ … واذا الشـبابُ أخو المضلّ الواجدِ

ومطيّـةٍ للهـوِ عزّ فَقـارُها … وصليفُهـا (٢) عن راكبٍ أو قائـدِ

ممـا احتمى من رحله بِقِماصـهِ … ومن الخشـاش بأنفـه المتصـايدِ

أعيا على ركب الصِّـبا أن يظفروا … بمَغـالقٍ من غَرْزِها (٣) ومَعاقـدِ

قد رُضْتُهـا فـركبتُ منهـا طَيّعًا … ينصاعُ بين مَراسـنى ومَقاودى

وأخٍ رفعتُ له بحىَّ عـلى السُّـرى … والنجمُ يسـبحُ فى غـديرٍ راكـدِ

فوعَى فهبَّ يحُـلُّ خيـطَ جفونِهِ … بالكُرهِ من كفِّ النُّعاس العـاقدِ

غيرانَ قام على الخطار مسـاعدا … نصرَ الحسـامِ رفـدتَهُ بالسـاعدِ

(١) المتقاود : المستوى . (٢) الصليف : عرض العنق . (٣) الغرز : ركاب الرحل .

حتى رجمتُ الليـلَ منـه بكوكبٍ ... فتقَ الدجَى وأضاء وجهَ مَقاصـدى
فردَيْنِ سَومَ الفـرقدين تمـايلا ... مسـتأمنَيْن على طريق واحـدِ
ومحجّبٍ تدع الفـرائصَ هيبـةً ... أبوابُه من خافـقٍ أو راعـدِ
تتسـابقُ الجَبَهاتُ دون سريرِه ... للفوزِ بين معـفّرٍ أو سـاجدِ
لا تطمعُ الأقدارُ فى آسـتنزاله ... بضـعائف منهـا ولا بجـلائدِ
أذِنَتْ عليـه وسـائلى وترفّعتْ ... أسـتارُه لمَقاصـدى وقصـائدى
وبعثتُ غُرَّ قلائدى ففتحنَ لى ... أبـوابَه فكأنهنّ مَقـالدى
"كِهانَ" أو مَلِك "عُمانَ" دارُهُ ... دانى النوالِ على المَـدى المتباعِدِ
رانٍ علىّ عـلى آرتفـاع سمـائه ... بَرٌّ بوفـدِ مـدائحى ومَحامـدى
بعثتْ بصـيرتُه نَفَاقَ(١) عنـدَهُ ... والشـعرُ يُبْضَعُ فى أوانٍ كاسـدِ
وقضَى عـلى أنى الوحيـدُ بعلمـه ... فكفَى بذلك أنه من شـاهدى
سـبق المـلوكَ فبـذّهم متمهلا ... جاروا ومرّ على الطـريق القاصـدِ
ومضَى عـلى غُـلَوائه متسـنِّما(٢) ... لم تَرتفِقْ(٣) مَسـعاتُه بمُعاضـدِ
طيّانَ(٤) لم يقضِ البوازلَ قبـلَه ... جَـذَعٌ ولم يُطِلِ القيامَ بقـاعـدِ
نَسَبَ السماءَ، يريد أين فخارُها ... منـه، فباهلَهـا بفخـرٍ زائدِ
وسمـا يمـاجـدُ قومَه بنجومهـا ... فثَـنَى ولم يظفَـرْ بنجمٍ ماجـدِ
غرسَ المعالىَ "مُكرَّمٌ" فى تربهـا ... فجنت حـلاوةَ كلّ عيشٍ باردِ
حَجْرًا عـلى الأقـدارِ فيما نفّـذتْ ... أحكامَها من صـادرٍ أو واردِ
لن تعـدَم الآفاقُ نجما طالعـا ... منهـا ينـور إثر نجـمٍ خامـدِ

---

(١) النفاق : الرواج . (٢) فى الأصل "متبسم" . (٣) ترتفق : تستعن .
(٤) الطيان : الطاوى وهو الجائع .

فالسيفُ منهم فى يمين المنتضِى كالسيف منهم فى يمين الغامدِ

هم ما هُمُ ! وتفرّقت آياتُهم فى المجد ثم تجمّعتْ فى واحدِ

أحيت لهم أيامُ محيى الأمّة الـ ـمعالي وهبّتْ بالرّقود الهاجد

وتسنّمتْ دَرَجَ السماء بذكرهم أيامُ آثارٍ لهم ومَشاهد

وإلى "يمين الدولة" آفتقرت يدٌ فى الملك لم تُعضَدْ سواه بعاضد

نظمَ السياسةَ مالكٌ أطرافَها لم تستعِنْ عَزَماتُه بمُرافِد

وأقامَ ميلَ الدولتين مؤدِّبٌ بثقافه خَطَلَ الزمانِ المائد

سبقَ الرجالَ بسعيه وبقومه والمجدُ بين مكاسبٍ ومَوالد

جَرت البحارُ فما وفت بيمينه فكأنّ ذائبَها يُمَدُّ بجامد

ضنّتْ بجوهرها وما فى حِرْزِها من مُنفساتِ ذخائرٍ وفوائد

فاستخرجتْها كفُّه وسيوفُه فسخَتْ بها لمؤمِّلٍ ولرافد

نامَ الرعاةُ عن البلادِ وأهلِها عجزا وعيناه شِهابًا واقد

وحَمَى جوانبَ سَرحِه متنصِّفٌ للشاء من ذئب الغضا المستاسِد

واذا الأسودُ شممن ريحَ عرينه كانت صوارمُه عِصيَّ الذائد

ما بين "سَرَبْزَةٍ"(١) الى ما يَستقِي " وادى الأُبُلَّةِ " هابطا من صاعدِ

يقظانُ يضرب وهو غيرُ مبارزٍ عزما ويطعن وهو غير مُطارِد

كفٌّ له تَحمِي وسيفٌ يُنتضَى ولحاظُ راعٍ للرعيّةِ راصد

واذا بغَى باغٍ فباتَ يرومُه باتت صوارمُه بغيرِ مَغامد

ومطوّحٍ ركِبَ الخطارَ فردَّه أعمى تحيّرَ ماله من قائد

كفَّ الرَّعاعَ وجاء يطلبُ حاجةً عسراءَ فى كفِّ الهمامِ اللابد(٢)

---

(١) سربزة : جزيرة فى أرض الهند يجلب منها الكافور . (٢) فى الأصل " اللائد ".

يَرمى الكواكبَ وهى ســـعدٌ كلُّها … بمناحسٍ من جَــدّه ومَناكدِ
جُنّتْ به الأطماعُ فاستُغوِى بهـا … يصبو الى شيطانهـا المتمـاردِ
خُبّرتُهُ يبغِى "عُمانَ" وأهلَها … فعرفت مَصـدَره بجهـل الواردِ
لم يُنجِـه والمـوتُ فى حَيزومِـه(١) … ما ضمّ من حَفْـلٍ له ومَحاشـدِ
جمحَتْ به غرّارةٌ من حَينـه … قذفتـه فى لَهَواتِ صِـلٍّ زاردِ(٢)
نُسِفَتْ بأطراف الرماح جنـودُهُ … طَوحَ السنابلِ(٣) عن شفارِ الحاصـدِ
من راكبٍ — وفؤادُه من صخرةٍ — … جَـوفاءَ(٤) أمَّ فواقـرٍ وأوابدِ؟(٥)
حدباءَ تسـلك من عثار طريقهـا … حُـدْبًا ذواتِ نواقصٍ وزوائـدِ
فتظـلّ طورا فى عنانِ سمائها … صُعُدًا وطورا فى الحضيض الهامـدِ
تختبُّ قامصـةً ولم تطأ الـثرى … وتظـلُّ لا فى سبسبٍ وفدافـدِ
يظمَا بهـا الركبانُ وهى سـوابحٌ … فى غامـرٍ تيّارُه مـتراكـدِ
شـنعاءَ لو طَرَقَ الخيالُ بمثلهـا … عينِى لمـا أطبقتُ مقـلةَ راقدِ
بلِّغْ — وليتَ رسائـلى تقتصّهـا … شفتى وغائبِيَ المؤخَّر شاهـدى —
أو ليت قلبِى كان قلبَك أصمعًا(٦) … فى أضـلعٍ صُمِّ العظـامِ أجالدِ
فأخوضَ بحـرا من حميمٍ آجنٍ … يُفضِى الى البحـرِ الزُّلالِ البـاردِ
قل إن وصلتَ "لناصر الدين" آستمع … فِقَـرًا تُجمِّعُ كلَّ أنسٍ شاردِ
يا خيرَ من حمَلتْ ظهورُ صواهلٍ … فى المُلك أو ضمَّتْ صـدور وسائدِ
وتعصَّبَتْ بالنـور فوق جبينـه … عَـذَبُ(٧) اللواء تحفُّ تاجَ العاقـدِ
أنا عبـدُ نعمتك التى شُكِرَتْ اذا … ما نعمـةٌ نيطت بآخرَ جاحـدِ

(١) الحيزوم: وسط الصدر. (٢) زارد: اسم فاعل من زرد الشيء: بلعه. (٣) فى الأصل "السـنابك". (٤) يريد بالجوفاء السفينة. (٥) الفواقر والأوابد: الدواهى.
(٦) الأصمع: الذكىّ. (٧) العذب جمع عذبة وهى خرقة تلف على رأس الرمح.

أغنيتنى عن كلّ مذمومِ الجَدا ... ألقاه مضطَرًّا بوجهٍ حامدِ
ونفضتَ عن ظَهرِى بفضلك ثِقلَ ما ... أوعيتُ من نُوبٍ علىّ شدائدِ
كان الزمانُ يُسِرُّ لى ضِغْنا فقد ... أصلحتَ لى قلبَ الزمان الفاسدِ
وحفظتَ فىّ تكرُّما وتفضُّلا ... ما أذكَرتْكَ قدائمى وتلائدى
ذِمَمٌ لو اَعتصَمَ العُداةُ بمثلها ... عقدوا بهنّ لديك خيرَ مَعاقدِ
ومن الذى يُرعَى سواك لنازحٍ ... عن لحظه نائى المحلّ مُباعدِ
متناقِصِ الخطواتِ عنك ذكرتَهُ ... فى سَكرةِ المُلْكِ العظيمِ الزائدِ
أوليتَنى فى اَبنى ونفسى خيرَ ما ... أوليتَ فى ولدٍ شفاعةَ والدِ
فلذاك كرٌّ على مشقّة طُرقِهِ ... وكررتُ أطلبُ من نداك عوائدى
تُعطى المنى ونعود نسألُ[1] ثانيا ... فتعود حبًّا للسماح العائدِ
وتموتُ حاجتنا وينفَدُ فقرُنا ... وسؤالنا ونداك ليس بنافدِ
فاحكم بسنَّتك التى شَرَعَ الندى ... لك شرعَها حُكمَ القديرِ الواحدِ
كَفِّلْ علاك بحاجتى واكفف يدى ... عن كلّ جَعد الكفّ جَعد الساعدِ
فالناسُ غيرَك من تضيق مجَالتى ... فيه وتُقتل بالمِطالِ مَواعدى
صنْ عنهُمُ شَفَتى ودعنى واحدا ... فى الدهر أشربُ من قَليبٍ واحدِ
حاشا لمجدك أن تُسدَّدَ خَلَّتى ... بمُشارِكٍ لك فىّ أو بمساعدِ
وآنصِتْ لها غُررًا لمدحك وحده ... يُنظمنَ بين قلائدٍ وفرائدِ
من كلّ مخلوعٍ لصادقِ حسنها ... فيها عذارُ العابدين لعابدِ
عذراءَ مفضوضٍ لديك ختامُها ، ... ما كلُّ عذراءٍ تُزَفُّ بناهدِ
تجلو عليك بيوتُها ما أُنشِدت ... حوراءَ ذات وشائحٍ وقلائدِ

(١٣٢)

(١) فى الأصل " وتعود سال " .

كعقيلة الحيّ الحُـــلوي تمشّت الـ ... ـخُيَلاءَ بين وصائفٍ وولائـــدِ
مما سبقتُ بخاطرى أمّاتِها ... وحويتُـــهُ برقاىَ أو بمكايدى
خضعَ الكلامُ لمعجِـــزى فى نظمِها ... فعنا لهـا من راكعٍ أو ساجـــدِ
قد آمنَ الشـــعراءُ بعـــد فسوقهم ... بدلائلى فى فضلهـا وشـــواهدى
وأطاع كلُّ منافق إن سَـــره ... أو ساءه وأقـــرَّ كلُّ معانـــدِ
فاعطفْ لمهديها وحامـــلِ تربِها ... وآجمـــلْ له حقَّ السفير الرائـــدِ
وآردُدْهُ عن عَجَـــلٍ كما عوَّدتَه ... برواجعٍ من نعمتيك ردائـــدِ
وآشـــدُدْ يدًا بالخافقين مملــكا ... عنقيهـــما من أتْهُـــمٍ ونجائـــدِ
فى دولةٍ أختِ الســـعودِ وعـــزّةٍ ... أمِّ النجـــوم وعمـــرِ ملكٍ خالدِ

***

وقال وكتب بها الى الوزير كمال الملك أبى المعالى

تَهوَى — وأنت مُحلَّأٌ (١) مصدودُ — ... ماءَ "النَّقيب"، وإنه مورودُ
ويُقِرّ عينَك — والوصالُ مصوَّحٌ — ... غصنٌ يرِفُّ على الحمى ويميـــدُ
واذا رغبتَ الى السحاب فحاجةٌ ... لك مايصوب على "الغضا" ويجودُ
ما ذاك إلا أن عهـدَك لم يحُـلْ ... أفما لحيٍّ فى "النخيـــل" عهودُ ؟
ومن الشقاوة حافظٌ متجنّبٌ ... يقضى عليـــه غادرٌ مـــودودُ
قَسَمًا — ولم أُقسمْ بسكّانِ الحمَى ... عن رِيبـــةٍ لكنه تأكيدُ —
لهُمُ — وإن مَنَعوا — مكانُ مَطالبى ... وهُمُ — وإن كرِهوا — الذين أريدُ
أتنسَّمُ الأرواحَ وهى رواكدٌ ... منهم وتُجـــدِبُ أرضُهم فأرودُ
وأكذِّبُ الواشى الىّ بغـــدرهم ... وعلى الحـــديثِ دلائلٌ وشُهودُ

(١) المحلأ : الممنوع عن الماء .

فهم الصديقُ ولا مودةَ عندهم | وهم الأقاربُ والمزارُ بعيدُ
و" بأيمنِ العلمين " من أبياتهم | ظبيٌ يُصادُ الظبيُ وهو يَصيدُ
لاهٍ اذا جمع الرجالُ حلومَهم | حل العزائمَ خصرُهُ المعقودُ
يَرمِي القلوبَ وما دمٌ بعطوّحٍ | ما لم تُرِقه مقلةٌ أو جيدُ
وعدَ الوفاءَ وليس منه فغرّنى | ومن السرابِ اذا اغتررتَ وعودُ
أعنو له وأنا العزيزُ بنفسه | وألينُ عمدا والفؤادُ جليدُ
واذا عزفتُ فتُبتُ من دِين الهوى | جذبَ الغرامُ بمقوَدى فأعودُ
ولقد أحنّ الى " زرودَ " وطينتي | من غير ما فُطرتْ عليه " زرودُ "
ويشوقُنى عَجَفُ(١) " الحجازِ "، وقد ضفا(٢) | رِيفُ(٣) " العراق " وظلُّه الممدودُ
ويُطَرِّبُ الشادى فلا يهتزّنى | وينالُ منّى السائقُ الغرّيدُ
ما ذاك إلّا أنّ أقمارَ الحمى | أفلاكُهنّ اذا طلعنَ البيدُ
طفِق العذولُ ـ وما ارتفدتُ برأيه | فيهن ـ يُبدئُ ناصحا ويعيدُ
فأنا الذى صدعَ الهوى فى أضلعى | ما لا يَلُمُّ العذلُ والتفنيدُ
ياصاحِ، هل لك من خليلٍ مؤثرٍ | راضٍ بأن يشقى وأنت سعيدُ؟
متقاقلٍ حتّى تقَرَّ، وربّما | بَقّى رقادَك ساهرٌ مجهودُ
يَلِقَ القواذعَ(٤) أو يقيك لسانُه الـ | مشهورُ فيك وعزمُه المشدودُ
كذُبالةِ(٥) المصباحِ أنت بضوئها | فى الليلة الظلماء وهى وَقودُ
من دونِ عِرضك نثْلةٌ(٦) منضوضة(٧) | منه وإن لم يقضِها(٨) " داودُ "

(١) العجف : ذهاب السمن وهو هنا كناية عن الجدب . (٢) ضفا : فاض وسبغ .
(٣) الريف : ما أخصب من الأرض وكثر زرعه . (٤) القواذع جمع قاذعة وهى الهجر والشتيمة .
(٥) الذبالة : الفتيلة . (٦) النثلة : الدرع الواسعة وفى الأصل " شَلَّة " . (٧) فى الأصل مفضوضة . (٨) داود هو داود النبي عليه السلام وكان مشهورا بعمل الدروع و إحكامها .

قــلَّ الثّقاتُ فإن عَلِقتَ بواحــدٍ ... فاشدد يديك عليه فهو وحيـــدُ
لا يُبعِــد اللهُ الألى حفظ العلا ... بيتٌ لهم حولَ النجوم مَشِـــيدُ
واذا اقشعرّ(١) العامُ أغدقَ من ندَى ... أيديهـــم الوادى ورَفَّ العـــودُ
واذا سرى نقصُ القبائل أقبلتْ ... تَنمِى المكارمُ فيهُـــمُ وتـــزيدُ
لا يعــدَمُ الجودَ الغريبُ ومنهُـمُ ... شخصٌ على وجــه الثرى موجودُ
بيتٌ ، بنو عبـدِ الرحيم طُنـوبُهُ ... وأبوهُـــمُ ســاقٌ له وعمـــودُ
تطغى رياحُ البِرِّ فيـــه عواصـفا ... ولهـا بأثنـاء(٢) البيوت ركـودُ
مِن حولِه غُررٌ لهم(٣) وضّاحةٌ ... تبيضّ منهنّ الليالى الســودُ
واذا أناخ به الوفــودُ رأيتهـــم ... ـكرماء قياما والوفودُ قعــودُ
فاذا أردتَ طُـــروقَهُ لملمّـــةٍ ... " فأبو المعالى " بابُهُ المقصـــودُ
جاراهُـــمُ فأراك غائبَ أمسهم ... — رؤيا الزيادة — يومُهُ المشهودُ
ومضَى يُريدُ النجمَ حـــتى جازه ... شوطا، فقال النجمُ : أين تريدُ؟
شرَفُ " كمالُ المُلك " فى أطرافه ... حامٍ عن الحسب الكريم يذودُ
فصَّـــحَ(٤) البوازلَ وهو قارحُ عامه ... وأجابَ داعى الشَّيبِ وهو وليدُ
يقظانُ يقدَح فى الخطوب بعزمةٍ ... تَسرى به وبنـــو الطريق هُجــودُ
عَشِقَ العلا وسعَى فأدرك وصلَها ... متروِّحا وحســودُه مكدودُ
ووفَى بأشراطِ الكفايةِ داخلا ... من بابهـا ورِتاجُها(٥) مســدودُ
عبِقٌ بأرواح السـيادة عِطفُـــه ... فكأنه فى حِجـــرها مولودُ
او طاول الغُمْرُ(٦) المغفَّلُ خُلقَـــه ... شيئا تعلّمَ منـــه كيفَ يسودُ

(١) اقشعرَّ : لم يُصِبْ ريّا . (٢) فى الأصل " بأبيات " . (٣) فى الأصل " له " .
(٤) فَصّح : من قولهم : فصّحه الصبحُ بمعنى بان له وغلبه ضوءُه . (٥) الرتاج : الباب العظيم .
(٦) الغمر : الجاهل الأبله .

هَشٌّ لصــدر اليــوم إمَّا مالُه ... فيــه وإمّا قــربُه المنقــودُ

لا قبلَ نائله اذا سُئل النــدى ... وعدٌ ولا قبــل اللقاءِ وعيــدُ

واذا الخلالُ الصالحاتُ تكاملتْ ... فهى الشــجاعةُ أو أخوها الجودُ

أفنَى الثراءَ عــلى الثناءِ وعلمُــهُ ... أنّ الفَناءَ مــع الثنـاء خُلودُ

ولربّمـا بُـلِى البخيــلُ بموقِفٍ ... يُخــزيه فيــه مالُهُ المعبـودُ

لك من خلائقــه اذا مارستَه ... جنبانِ ذا سهلٌ وذاك شــديدُ

فمع الحفيظــة قســوةٌ وفظاظةٌ ... حــتى كأنّ فـؤادَه جُلمودُ

ومــع المــودّة هِزّةٌ وتعطّفٌ ... فتقول : غصنُ البانة الأُملودُ

يا أُسْرَةَ المجــدِ التى لم تنتبــهْ ... عن مثلها الأيامُ وهى رُقــودُ

كُفِىَ الزمانُ العَينَ فى أعيانكم، ... إن الزمانَ عليكُمُ محســودُ

لولاكُمُ نُسِىَ الثناءُ ولم يكن ... فى النـاس لا رِفــدٌ ولا مرفودُ

ولكان قُلُّ الفضــلِ أو ميسورُهُ ... يفــنَى فَناءَ كثيرِه ويَبيــدُ

بكُمُ رددتُ يدَ الزمانِ، وباعُهُ ... متــوسِّعٌ بمَســاءتى ممــدودُ

وحَملتُ مضعوفا ثقائلَ خطبِــه ... وهى التى تُوهِى القُــوَى وتؤودُ

وخالطتمونى بالنفوس فمن يقعْ ... جُنُبًا(١) فإنى منكُمُ معــدودُ

واذا تلوّنَ معشرٌ بتلوُّنِ الـ ... ـدُّنيـا فعهــدِى فيكم المعهودُ

وعُنيتَ أنت بخَلّتى فسَــددتَهـا ... ونظمتَهـا بالجــودِ وهى بديدُ

واذا تقاعدَ صـاحبٌ عن نُصرتى ... فالنصرُ حظّى منــكَ والتأييــدُ

فلأجزينَّــك خيرَ ما جازَى امرؤٌ ... وجَــدَ المقال فقالَ وهو مُجيــدُ

ممـا يُخـالُ قــوافيا ومعانيـا ... بالســمع وهــو حَبائرٌ وبُرودُ

---

(١) جُنُبًا : بعيدا غريبا .

ويكون زادَ السَّفرِ[1] فى ليل الطَّوى ويقادُ تتبعــه المهارى القُــودُ
من كلّ مخلوعٍ عِذارُ محبِّها فيها ومعــذورٍ بها المعمودُ
وكأنها بين الشفاهِ قصائدًا فــوق النحــورِ قلائدٌ وعقــودُ
عذراء تحسُدها — اذا أنصفتَها أوقاتَها منك — الكعابُ الرودُ
يحثّها شــوقا لك النــيروزُ أو يأتى فيُطلِعَها عليـك العيــدُ
لك من بشائرها الخلودُ ودولةٌ تمضى بها الأيّامُ ثم تعــودُ
ما أحسبُ الدنيا تطيب وأمرُها إلّا الى تدبيركم مردودُ
فبقيتم والحاسـدون علاكُمُ، لا خـيرَ فيما ليس فيــه حسودُ

* * *

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى عيد النحر يهنّئه، ويعرِّض بذكر بعضِ من جهِلَ قضاءَ حقِّه، ولم يُجازِ خدمتَه عند السلاطين

أنشُدُ[2] من عهد "ليلَى" غيرَ موجودِ وأقتضيها مُعارا غـيرَ مردودِ
رِضًا "بليلَى" على ما كان من خُلُقٍ جَعْــدٍ ونَيــلٍ كثيرِ المنّ معــدودِ
من العــزيزات[3] أنسابًا وأخبيةً فى صفوةِ البيتِ حلّتْ صفوةَ البيــدِ
محبُّها قــد قضى فى كلّ معــركةٍ[4] قصيّةٍ عن بلاغِ الأينُــقِ القُــودِ
تُقَــلُّ من غيرِ ذُلٍّ عنــد أُسرتِها بين القبابِ المنيعاتِ الأباديدِ[5]
كم ليــلةٍ قد أرتنى حشوَها قمــرا وجوهُها البيضُ فى أبياتِها السُّــودِ

---

(١) السفر: المسافرون. (٢) دخل على هــذه الكلمة الزحاف المطوىّ وهو حذف الرابع الساكن وقد ورد كثيرا فى الشعر ومنه لمهيار أيضا فى نفس هذه القصيدة قوله

* أملس لا عرضه الوافى بمنتقص *

(٣) فى الأصل "العريرات". (٤) لعله يريد كلّ معركة من معارك الحب التى لا تخوض غمارها النوق لبعدها عن المعارك الحقيقية. (٥) الأباديد: المتفرقة.

من كلِّ هيفاءَ إلا الرِّدفَ تحسبهُ غصنا من البان معقودا بجُلمودِ

ما مستقيماتها للريح مائلةٌ لكن براهينُ عِزٍّ لى المواعيدُ

لُثْنَ العناقيدَ(١) فوقَ الخُمْرِ(٢) وآختلفت شِفاهُهنَّ على ماءِ العناقيدِ(٣)

ورُحن يَرمِين بالألحاظ مقتنصًا فما تصيَّدنَ إلا أنفُسَ الصِّيدِ

يا ليلَ(٤)، لو كان داءٌ تقتُلين به داويتِه كان داءً غيرَ مقصود

اليأسُ أروحُ لى والصبرُ أرفقُ بى من نومِ ليلِكِ عن همّى وتسهيدى

ما ماء "دِجلةَ" ممزوجا بغدركُمُ وإن شفَى باردًا عندى بموروِدِ

ولا صَبَا أرضِكم هبَّت تروّحنى وفاءَ وعدٍ لكم بالمطلِ مكدودِ

حسبي! سَمَحتُ بأخلاقى فما ظفِرت فى الناس إلا بأخلاقٍ مَناكيدِ

وصاحبٍ لينُ أيّامِى وشِدّتُها فَرقٌ له بين تقريبي وتبعيدى

يمشى آبنَ دأيةَ(٥) فى ظلِّ الرجاءِ معى وفى النوائبِ يعدو عدوةَ السِّيدِ(٦)

وواسعِ الدار عالى النارِ يُوهمنى خِصبَ القِرَى بين مبثوثٍ ومنضود

يهوَى الأناشيدَ أن يَكذِبن سُمعَتَه ولا يَهشُّ لأعواضِ الأناشيدِ

أغشاه غِشيانَ مجلوبٍ يُغَرُّ بما رأى وأُصرَف عنه صَرفَ مطرودِ

يجودُ مِلءَ يدى بالوعد يمطُلُه والمطلُ من غير عُسرٍ آفةُ الجودِ

فَدَى الرجالُ ـ وإن ضنّوا وإن سمحوا ـ فتًى يهونُ عليه كلُّ موجودِ

لا يحسب المالَ إلا ما أفاد به ثناءَ محتسبٍ أو ذِكرَ محمودِ

كم جَرَّبَ المدحُ أملاكا وجرَّبه فصبَّ ماءً وحَثّوا من جلاميدِ

أملسُ لا عِرضُه الوافى بمنتقِصٍ يوما ولا مالُه الواقى بمعبودِ

---

(١) يريد بالعناقيد الغدائر. (٢) الخمر جمع خِمار وهو شبه النقاب. (٣) يريد بماء العناقيد الخمْر. (٤) يريد يا ليلى. (٥) ابن دأية: الغراب. (٦) السيد: الذئب.

مَن سائلٌ بالكرام السابقـــين مَضَوا ... وخلّفـوا الذِّكرَ من إرثٍ وتخليـــدِ؟
هذا " الحسينُ " فخذ عينًا ودعْ خبرًا ... من الروايات عنهـــم والأسانيـــدِ
من ساكنى الأرضِ قبلَ الماءِ من قِدمٍ ... وعامريها وما ذَلّت لتشـــييدِ
كم حاملٍ منهُــمُ فضلًا، حمائلُهُ ... تُحَـلُّ عن عاتق بالتـاج معـــقودِ
لم يبرحوا أجبُـــلَ الدنيا وأبحرَها ... أصلين من شاهقٍ منهـا وممـــدودِ
وحسّنوا فى الندى أخلاقَ حلمهمُ، ... إنّ الندى فى النُّهى(١) كالمـاء فى العودِ
يا آل " عبدِ الرحيم " آختار صُحبتَكم ... تأنُّـــقٌ فى آختياراتى وتجـــويدى
أُحِبُّكم وتُحبّـــونى وما لَـــكُمُ ... فضـــلٌ ورُبَّ ودودٍ غـيرُ مودودِ
قرابةٌ بيننا فى " فارسٍ " وَصـفتْ ... عنّى وعنكم طهاراتِ المواليـــدِ
لا زال مـدحى مـــيراثا يقابلـكم ... عـنّى اذا الشـعرُ فى آذانكم نُودى
بكلِّ حســناء لو أحفشـتُها(٢) برزتْ ... للخـاطبين بروزَ الغـادةِ الرُّودِ(٣)
من نسج فكرى تردّ العارَ دونكُـمُ ... ردَّ السهام نبتْ عن نسج " داودِ "
ما أنبتتْ لِىَ تَجْـراءُ الرجاء بكم ... خِصبـا وما كرَّ دهرٌ عـودةَ العيـدِ
وما تبـاحُ المُـدَى مشـحوذةً أبدا ... صبيحةَ النحـرِ(٤) من نحرٍ ومن جيـدِ

(١٣٥)

* * *

وقال وكتب بها الى الوزير أبى المعالى يهنئه بالنيروز

أنذرتْنى أُمُّ " سعدٍ " أنّ " سعدا " ... دونهـا ينهَـــدُ(٥) لى بالشّرّ نَهْـدَا
غَيرةً أن تسمعَ الشَّربَ تُغنّى ... بآسمها فى الشّعر والأظعانَ تُحدَى

---

(١) فى الأصل "اللُّهى" جمع لهوة وهى أجزل العطايا أو لعلها " اللَّها " جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق من سقف الفم، وكلاهما لايتفق ومعنى البيت. (٢) أحفشتها : ألزمتها الحِفْش وهو البيت الصغير من الشَّعَر. (٣) الرود : الشابة الحسنة الناعمة، وفى الأصل" الفيد". (٤) يريد بصبيحة النحر عيد الأضحى و بالثانية أعلى الصدر. (٥) ينهد : يسرع.

قلت : يا للحبِّ من ظبيٍ رخيم صـدتُه فاهتجتُ ذؤبانا[1] وأُسْـدا

ما علـى قومِـكِ أن صـار لهـم أحـدُ الأحرار من أجلكِ عبـدا !

وعلى ذى نظـرةٍ غائـرةٍ بعثتْ سُقها الى القلب تَعـدّى !

قَتلتْ حين أصابت خطأً ، وقِصاصُ القتـلِ للقاتِل عمـدا

أتُـرانى طائعًا أضـرمتُها حُرَقًا تأكلُ أضـلاعى ووجدا !

سبّبتْ لى فيك أضغانَ العـدا نظرةٌ أرسلتُها تطلبُ ودّا

وعلى ما صفحوا أو نقموا ما أرى لى منكِ يا " ظبيةُ " بُدّا

أَجتلى البـدرَ فلا أنساكِ وجها وأرى الغصنَ فلا أسـلاكِ قدّا

فاذا هبّتْ صَبا أرضكمُ حمَلتْ تُربَ " الغضا " بانا ورَندا

لامَ فى " نجدٍ " وما آستنصحتُه بابلىٌّ لا أراه الله " نجـدا " !

لو تصـدّى رشأُ " السّفح " له لم يلُم فيـه ولو جارَ وصـدّا

يصـلُ الحولُ على العهـد وما أنكرَ التذكارُ من قلبىَ عهـدا

أفيروَى عندكم ذو غُـلّةٍ عـدِمَ الظَّلْمَ[2] فـا يشربُ بَرْدا ؟

رُدَّ لى يوما على " كاظمـةٍ " إن قضى الله لأمرٍ فات ردّا

وحمانى من زمانٍ خابط أبدا فى عَطَنى شـلّا وطردا

كلّما أبصر لى تامكةً[3] كدّها أو ردّها عظما وجِـلدا

يصـطفى الأكرمَ فالأكرمَ من نُخَبى أنفسَ ما كنتُ مُعِـدّا

كلّما شُـدّتْ بظهرى هجمـةٌ[4] ركب الشرُّ لها ركضا وشـدّا

واقعـا فى كلّ مَن كثّرنى بيـدٍ خرقاءَ أو أصبحتُ فردا

---

(١) ذؤبان جمع ذئب . (٢) الظلم : ماء الأسنان وبريقها . (٣) التامكة . الناقة العظيمة السنام (٤) الهجمة : من الإبل ما بين السبعين الى المائة فاذا بلغت المائة فهى هُنَيْدة .

أُكلَةَ الصُّعلوكِ، لا أُسنِدُ ظهرا في الملمّاتِ ولا أَشتَدُّ عَضْدا
غاب أنصاري فمن شاء آتقاني حذَر الإثمِ ومن شاء تعدَّى
شَقِيَتْ من بعدهم نفسي وهم أيّ برجٍ نزلوه كان سعدا
قل لأملاكٍ نأى عنّي بهم ناقلُ الأقمار قُربا ثُمَّ بُعدا :
يا سيوفي يوم لا أملِك عزًّا وعيوني يوم لا أُورَد عِدًّا
وشبابي إن دنوتم كان غضًّا وإذا رحتم مع البين آستُرِدًّا
عجبا لي كيف أبقى بعدكم غير أن قد خُلِقَ الإنسان جَلْدا !
غلبَ الشوقُ فما أحمِلُ صبرا وجفا الناسُ فما أسألُ رِفدا
أنا من أغراسكم فانتصروا لي قبل أن تهشِمَني الأيامُ حصدا
يا رسولي، ومتى تَبلُغْ فقل خيرَ ما حُمِّل مأمونٌ فأدَّى :
يا "كمالَ الملك" يا أكرمَ من يمّمَتْه ظُعُنُ الآمالِ تُحدَى
يا شهابا كلّما قال العدا : كاد يخبو، زاده الرحمنُ وقدا
يا حساما كلّما ثلّمه الضـ ـربُ راق العينَ إرهافا وحَدًّا
ما براك الله إلا آيةً فتن الناسَ بها غيًّا ورُشدا
وثَبَاتُ الليثِ إن أُنكِر في شَدّةٍ كان مع الأخرى أشدّا
كلّما عاند فيها حاسدٌ ظهرتْ باهرةً من يتحدّى
ولكم أنشرتَ إعجازا بها من فعالٍ طُوِيتْ لحدا فلحدا
وبخيلٍ خاملٍ أعديتَه كرما نال به الحمدَ ومجدا
وزليقٍ منتهَى شاهقةٍ حيثُ لا يصعَد إلا من تردَّى
طَأْمَنَ[1] الجوُّ لها وآنحدرت قُلَل الأجبال حتى كنّ وُهْدا

---

(١) طأمنَ : آنخفض .

حَرَصَ الكوكبُ أن يطلُعَها ... فهوَى عنها وما سدّ مَسَدّا

وإذا الكيدُ مشَى يَسْمُتُها[1] ... طامعًا عاد وقد خاب وأكدى

خفَّ من خطوك فيها ناهضٌ ... لم يسرْ فى التيه إلا سار قصدا

يأخذ المجلسَ من ذِروتِها ... مالكا تدبيرَها حَلًّا وعَقْدا

طرتَ فيها والعدا واقعةٌ ... تأكل الأيدى[2] لها غيظا وحِقدا

يُلعَنُ الناسُ على عجزهمُ ... وتُحيّا بالمساعى وتُفَدّى

فَرّعَت للمجد منكم دوحةٌ ... كنتَ من أنضرها عُودا وأندَى

تربةٌ بورك فى صَلصالها ... أنجبَتكم والدا طاب ووُلْدا

طينةٌ — أعجِبْ بها — مجبولةٌ ... أخرجتْ سَلْمى وثَهْلانَ وأُحْدا[3]

يا عيونَ الدهرِ ، لا زالتْ بكم ... قَذِياتٍ أعينُ الحسّاد رُمدا

وتقاضَى الملكُ عنكم بسيوفٍ ... منذ سُلَّتْ لم تكن تشتاقُ غمدا

كلّما سُوند منكم بأخيه ... صارمٌ يَمَّمَ أمضَى وأحَدّا

وبَقِيتم لبقايا كرمٍ ... بكُمُ يُلْحَمُ فى الناس ويُسدَى

لم تكن لولاكُمُ أرماقُها ... أثرا يَخفَى ولا عينا تَبدَّى

يا نجومى، لا يَرُعْنِى منكمُ ... غائرٌ باخٍ[4] ولا حَيدانُ نَدَّا

نَوِّروا لى واسرجوا فى طُرُقٍ ... أقطع الأرضَ بكم جَمْزًا[5] ووَخْدا

أجمع الحصباء فى مدحكمُ ... بلسانى وأعدُّ الرمل عَدّا

وكما أرغمتُ من قبلُ بكم ... آنُفًا[6] آبيةً أجدعُ بَعْدا

---

(١) يسمتها : يقصدها ، وفى الأصل "يسمنها" . (٢) قوله " تأكل الأيدى" كناية عن عضّهم أيديَهم من الغيظ . (٣) أحد وما قبله أسماء جبال . (٤) فى الأصل : " غابر" ؛ وباخ : خمد وانطفأ . (٥) الجمز : الإسراع فى العَدْو . (٦) آنُف جمع أنْف .

أبـــدا أنصُبُ نفسى دونكم ... عَلَما فـــرْدا وخَصّاما ألدّا
غـير أنى منـك يا بحـرَ النـدى ... أشتكى حظّى فقد خاب وأكدَى
عادةٌ تُمنَـعُ أو تُقطَع بتّـا ... وحقـوقٌ وَجبتْ تُهمَلُ جِـدّا
ووعـــودٌ يجمحُ المطـــلُ بهـا ... أن يرَى ميقاتُهـا عنـــدك حدّا
بعـد أن قد كنتَ أحفاهم(١) وفاءً ... لى وأوفاهم لمـا أسلفتَ عهـدا
حاش للسُّـحبِ التى عُوِّدتُهـا ... منك أن يَروَى بها الناسُ وأصدَى
نفثـةٌ من مذكِرٍ لم يألُ فى الـ ... ـصبرِ للحاجـــةِ والأوطارِ جهـــدا
بعث النـــيروزُ يستعجلكم ... سائلا فى الوعد أن يُجعـلَ نقـدا
وهْوَ اليومُ الذى من بعـــده ... ســـوف تُفنون مدى الأيام مدّا
فاقبـــلوه شافعـا وآرضـــوا به ... زائرا عـنِّىَ بالشـــعرِ ووفـــدا
أنتمُ أكـرمُ من يُهدَى له ، ... والقوافى خـــيرُ ما يُجبَى(٢) ويُهدَى

* * *

وقال يمدح عميد الرؤساء أبا طالب ويهنّئه بالنيروز

صدّتْ "بنعمانَ" على طول الصدَى ... دعها فليس كلُّ ماءٍ موردا
لحاجـــةٍ أمسّ من حاجاتها ... تخطّاتْ أرزاقَهـا تعمُّـــدا
ترى وفى شـــروعها ضـــراعةٌ ... حرارةً عـلى الكبودِ أبردا
عادةُ عزٍّ جَـذَبَتْ بخَطْمِهـا(٣) ... وكلُّ ذى عزٍّ وما تعـوّدا
لا حَمَلَتْ ظهورُها إن حَمَلَتْ ... رِجْـــلا على الضيم تقَـــرُّ أو يدا
إن لم يلقَهـا جانبٌ مقاربٌ ... فآرمِ بها الجنبَ العريضَ الأبعـدا

---

(١) فى الأصل "أخفاهم". (٢) فى الأصل "يجبى". (٣) الخطم: مقدّم أنف الدّابة وفمها.

خاطرْ وَلو أردى انخطارُ ، إنه | لا يأمن الذلَّةَ مَن خاف الردَى
لا يُحرزُ الغايةَ إلا بائعٌ | بغلظةِ العيش الرقيقَ الرَّغَدا
يَطوى الفلا لا يستضيفُ مؤنسا | والليلَ لا يسأل بها مرشدا
اذا رأى مَطعمةً خافضةً | عوَّذَ بالله ومالَ الحَيَدا
يُعطِى جِذابَ الشهواتِ عُنُقًا | شمساءَ (١) لا تَعرف إلا الصَّيَدا (٢)
تمارسُ الأيّامُ منه كلّما | حارنَ أو لجّ غلاما نَكِدا
يعزِفُ (٣) إلا عن فُكاهاتِ الهوى | وقد رأى فيه الحبيبَ المسعِدا
أقسمَ بالعفّةِ : لا تيّمهُ | ظبيٌ رنا أو غُصُنٌ تأوّدا
ولا قَرَى (٤) صَبابةً فؤادَه | إلا السلوَّ حاضرا والجَلَدا
شأنَك يا بنَ الصَّبَواتِ فالتمسْ | غيرى أخاً ، لستُ لهنَّ وَلَدا
مولاك من لا يخلُق الشوقُ له | وجدا ولا طولُ البعاد كمدا
كأنما يَشهدُ من عَفافه | على المشيبِ يافعًا وأمردا
موقَّرا متّعظا ، شبابُه | كأنما كان مَشيبا أسودا
تحسبه نزاهةً وكرمًا | ومجدَ نفسٍ " بابن أيوبَ " اقتدَى
فِدَى عميدِ الرؤساء مُصفِرٌ (٥) | لو طاب لا يصلُح إلا للفِدَى
يرضَى بما ساق اليه غَلَطُ الـ | ـحظّ ولم يسعَ له مجتهدا
يعجَبُ من جهالةِ الأيّام فى | وِجدانه ما لم يكن لينشُدا
تحسبه جاء يريد غيره | فضلَّ عن طريقِه وما اهتدى
وحاسدٍ ، فخارُه معْ نقصِه | فى الناس أن عادى العلا وحسَدا

(١) الشمساء : الممتنعة الأبيّة . (٢) الصَّيَد : رفع الراس كبرا وزهوا . (٣) فى الأصل "يعرف" . (٤) قرى : أضاف . (٥) المصفر : المفتقر .

تُلهِبُ نارُ الغـــيظ فى ضلوعـــه ... جمـــراً يقول حـــرُّها : لا بَرَدا
زال(١) بنصرِ مجـــدِهِ غيرانَ ما ... نازَلَ إلا ظافـــرا مؤيَّـــدا
مدّ الى أخـــذِ العـــلا فنالهـــا ... يدا تبـــوّعُ ساعـــدا وعَضُـــدا
تَقضى له الأقلامُ من حاجاتهـــا ... ما آستقضت الذابلَ والمهنَّـــدا
ما زال يرقَى فى سماواتِ العـــلا ... بروجَها الأســـدَ ثمّ الأســـعدا
مصاعـــدا نجومَهـــا حتى اذا ... تطاولتْ خلْقَهـــا وصـــعِدا
رأى المعـــالى بالمســـاعى تُقتضَى ... والشرَفَ المحرَزَ من كسبِ الندَى
فصاعبَ الأُســـودَ فى أغيالهـــا ... صرامـــةً وجاودَ الغيثَ جَـــدَا
وكلّمـــا قيـــل له : قِفْ تسترِحْ ... جزتَ المدَى ، قال : وهل نلتُ المدَى ؟
ناهضَ ثِقلَ الدولتين فكفى الـ ... ـمُلكَ الطريفَ ما كفاه المتـلَدا
وكان للأمرين منـــه جُنَّـــةً ... مسرودةً وصـــارما مجـــرّدا
فاغترسَ "القـــادرُ(٢)" يـــومَ نصرِه ... وآستثمرَ "القـــائمُ بالأمر(٣)" غـــدا
قام بأمرٍ جامـــعٍ صـــلاحَهُ ... فضـــمّه بنفســـه منفـــردا
فلستُ أدرى أَلِوَحيٍ هابط ... أم آختيـــارا لقَّبـــاهُ الأوحـــدا ؟
وزارةٌ وفَّـــرها لدَســـتِهِ ... أنَّ أباه قبلُ فيـــه آستندا
دبّرها مستبصرا فلم يكن ... مفوَّضا فيهـــا ولا مقـــلَّدا
يُســـنِد عن آبائه أخبـــارَها ... صادقةً اذا آتهمتَ المُســـنِدا
وأعتقُ النـــاس بهـــا من لم يزل ... مكرَّرا فى بيتهـــا مردَّدا
يا من مخضتُ النـــاسَ فاستخلصتُه ... بعـــدَ آجترادى فاليـــا منتقـــدا

---

(١) زال : نهض . (٢) إشارة الى الخليفة القادر بالله . (٣) إشارة الى الخليفة القائم بأمر الله .

والبازلُ العَوْدُ وقد نبذتُهم بَكِيَّةً[1] معرورةً[2] أو نَقَدا
ذلّلتَ أيامىَ وآستقربتَ لى غُلُبَّةً[3] وقاعها المستبعدا[4]
هوّنتَ عندى الصعبَ من صروفها نخلتُ أفعاها الوَثُوبَ مَسَدا
أعديتَها بحفظك العهدَ فقد صارت صديقا بعد أن كانت عِدا
ولم تضيّع حُرَمًا أحكمها قديمُ حقّ فيكُمُ وأكّدا
أنتَ كما كنتَ أخًا مُخالِلًا بحيثُ قد زدتَ فصرتَ سيّدا
فاسمعْ أقايضْك بها قواطنا سوائرا معقّلاتٍ شُرَّدا
عوالقا بكلِّ سمعٍ صَلِفٍ يلفِظُ أن يَقبلَ إلّا الأجودا
ممّا قهرتُ بفعلتُ وعره مُدَيَّنا[5] وحرّه مستعبَدا
مَطارِبا اذا آحتبى الراوى لها شككتَ هل غنَّى بها أم أنشدا!
تُخالُ أرجازا من آستقصارها وقد أطال شاعرٌ وقصّدا
يَمضى الفتى الموسومُ فى نخارها صفحا وتُبقِى عِرضَه مخلّدا
تحمِلُ أيّامَ التهانى تُحَفًا منها اليك بادئاتٍ عُوّدا
ما دامت الغبراءُ أو ما حَمَلَتْ مدحوّةً من الجبال وَتِدا
سنينَ تطويهنّ حيًّا سالما مُنَوِّرزا فى العزّ أو معيِّدا
لا الشعرُ تَبلَى أبدا رسومُهُ فيك ولا تُعدَمُ أنت سَنَدا

---

(١) البَكِيَّة : الناقة أو الشاة قلّ لبنها ، وفى الأصل " بلية ". (٢) المعرورة : التى أصابها العُرُّ وهو الجرَبُ . (٣) غُلُبَّة : قهرا ، وفى الأصل " غَلِيَّة ". (٤) فى الأصل " المستبدا ".

(٥) مديَّنا : مملَّكا مذلَّلا .

وقال يمدح كمال الملك أبا المعالى ويهنئه بالمهرجان

(١٤٨)

رَدَّ عليهـا النـومَ بعـد ما شَرَدْ	إشرافُها على شَرافٍ[1] من "أُحُدْ"
وضمَّهـا منشورةً مجـرى الصَّبا	وعَطَنَ الدارِ وطينـةَ البـلَدْ
فعطَفَتْ كلَّ صليفٍ ناشزٍ	على الحشاشِ وعلى لينِ المَسَدْ
يقودها الحادى الى حاجتـه	وهمُّها أخرى اليهـا لم تُقَـدْ
وإنما تيمَّهـا "بحاجـرٍ"	أيامُهـا "بحاجرٍ" لو تُستَرَدْ
وصالحاتٌ من ليـالٍ أخلقت[2]	عهـودُها وهى مع الذِّكرى جُدُدْ
يادين من أهل "الغضا" سقامُها	ووجدُها بمـدَّعٍ ما لم يجِـدْ
وحفظُهـا عهـدَ ملولٍ ماطلٍ	يذكر ما آسترعَى وينسَى ما عَهِـدْ
وكم على "وادى الغضا" من كبِدٍ	يحكم فيهـا بسوى العـدل الكَمَدْ
ومن فـؤادٍ بدَدٍ تلفِظُـه	ولائذُ الحىّ مع الحصـا البَدَدْ
وصارمٍ ما شَـقِىَ القَيْنُ به	مذ سـلَّه غُنجُ اللحاظِ ما غُمِـدْ
ومن غزالٍ لا يُقِـلُّ رِدفُـه	ضعفا وفى حبـاله عُنُقُ أَسَـدْ
وقامـةٍ لو لم يكن لشكلها	فعلُ القنـاة لم تمـلْ ولم تمِـدْ
بانات وادٍ مـذ حَمَتْ شجـراءَهُ	رماحُ "قيس" ما آختُلِى[3] ولا عُضِدْ[4]
تلاوذُ الريحُ بكلّ مرهفٍ	غصنٍ اذا قام وحقْفٍ إن قعـدْ
حبائب "بالخيف" فى مَلاعبٍ	هنَّ النعيمُ وهى جنّـاتُ الخُـلُدْ
سقتْ دمـوعى حَرُّها ومِلحُها	عيشا بهـا بالأمس طاب وبَرَدْ

---

(١) الشَّراف: اسم موضع. (٢) فى الأصل "أخلفت". (٣) ما آختُلى: لم يُقطع مابه من خَلًى وهو الرطبُ من النبات. (٤) ماعضد: ماقطع نباته بالمِعضد وهو آلة تستعمل فى قطع الشجر.

لو كان لى على الزمان إِمْرَةٌ	بطاعــةٍ قلتُ : أعــدْها لى أعِدْ
يا راكبا ، تدوسُ للرزقِ به	حرَّ الثرى(١) والليــلَ وجنــاءُ أُجُدْ
ترى الطريقَ عَرضَــهُ وطُولَه	لقُطبهــا بيــن ذراعٍ وعَضُدْ
تطوى السُّرى طىَّ الرياح لا تُرَى	سائلةً : أين المَدَى وما الأمَــدْ
كأنّهــا من خِفّــةٍ من مسّها الـ	ـأرضَ على أربَعِهــا لا تعتَمِدْ
تطلب نُجْحَ حاجها يجْهَــد من	أقسمَ لا يطلُبُ إلا ما يَجِــدْ :
ارجِعْ وراءَ فاســترِحْ وأَعفها	ما كلُّ حظٍّ لك منــه أن تَكُدّْ
مَطـرَحُ عينيكَ غِـنًى مقترِف(٢)	كفى بنى الحاجاتِ شُقّاتِ البُعُدْ
بجانب "الزوراء" قصرٌ قصدُهُ	بحرٌ اذا أعطى الغِنَى لم يقتصِــدْ
أيدى بنى "عبد الرحيم" مدُّه الـ	ـدّ ائمُ والبحــرُ يَغيضُ ويَمُــدّْ
قــد أفعمــوه وأباحوا وِردَه	مخــلَّدا عَذْبا فمن شاء وَرَدْ
قــومٌ اذا لم تَلْقَ منهــم واحدا	وإن لقِيتَ النــاسَ لم تَلْقَ أحدْ
صانوا حمى أعراضِهم، ومالَهم(٣)	وذِيّةٌ(٤) عـلى الطريق تُنتقَــدْ
وعَقَدوا لكلّ جارٍ ذمّــةً	وذمّــةُ المــال بهــم لا تنعقدْ
هم دبّروا الأرضَ فلم يُعيِهــمُ	بثقلهــا تدبيرُها ولم يَــؤُدْ
ملوكُها اليــومَ وآباؤهُمُ	ملوكُها وما عـلى الأرض وَتَدْ
تمطّقوا(٥) الســؤدُدَ فى مهــودهم	من حَلَمِ ما أرضعتْ من لم يَسُــدْ

---

(١) فى الأصل "جدّ الثرى" ، والوجناء الأجد : الناقة القوية الموثّقة الخَلْق . (٢) المقترف : المكتسب . (٣) المــال عنــد أهــل البادية النَّعَم يذكر و يؤنث ، يقال : هو المــال وهى المــال .

(٤) وذيّة : حقيرة مبتذلة وفى الحديث « أمن أجل دنيا دنيّة وشهوة وذيّة » وفى الأصل "ودية" .

(٥) تمطقوا : تذوّقوا .

وطوّحوا وهم جِذاعٌ فُصُـــلٌ (١) … بالقارح البـازل والقَرْم (٢) الأشَـــدّ

وكلّمـا نازعهـــم منـازعٌ … سـلّمَ مختـارا لهم أو مضطَهَدْ

ولا ومَنْ قاد الصِّعابَ لهمُ … وأوجدوا الفضلَ بهم وقد فُقِـــدْ ،

وأظهـرَ الآيةَ فى آشتباههـــم … بأسا وجودا وعنـاءً وجَـــلَدْ ،

ما تَـــلِدُ الأرضُ ولو تحفّلتْ … مثلَ "كمالِ الملكِ"، والأرضُ تَلِدْ

رعَى بنى الدنيـا على آختلافهـــم … منفـــردا بمـا رعاه مستبِدّْ

لا مستشيرٌ يُبصر الشـــورى له … رأيا ولا متنصحٌ فرتَفِـــدْ

وَحْدَةُ ذى اللِّبـدةِ، لا يُفقـــره … غَنـاؤه بنفســـه الى العَـــدَدْ

تُحرِّم النـــومَ المبـاحَ عينُـــه … إزاء كلِّ خَلّةٍ حتى تُسَـــدْ

لا مُغْلَقُ (٣) الرأيِ ولا مضطربُ الـ … أحشاءِ تحت حادثٍ من الزُّؤُدْ (٤)

اذا أصاب فرصـــةً لعزمـــه … صمَّمَ لا يســـوّفُ اليومَ بغَـــدْ

مبـارَكُ النظرةِ، مَن أبصره … مصطبحا بوجهـــه فقد سَـــعَدْ

لو صيغت الأيامُ من أخلاقـــه … لم يعترضْها كَدَرٌ ولا نَكَدْ

لم يُسمِه الملكُ "الكمالَ" أو رأى … عن عفوه نقصانَ كلِّ مجتهِدْ

ولا أرادتـــه العـــلا أباً لهـا … إلا وقـــد أفلحَ منهـا ما وَلَدْ

أقرّ بالفضـــل له حاســـدُه … ولو رأى وجـــهَ الجحـــود لجَحَدْ

أفقره الجـــودُ وإن أغنـاه أن … ساد به، ولم يَسُـــدْ مَن لم يَجُـــدْ

فلا يزلْ عـلى الزمـان منكمُ … مسلَّطٌ يَفـــرِى الأمورَ ويقُـــدّْ

ولا تَبـــدَّلْ بســـواكم دولةٌ … أنتم عـلى أرجائهـا سِترٌ يُمَـــدْ

---

(١) فُصُل جمع فصيل وهو ما فُصِلَ عن الرضاع، وفى الأصل "فضل" . (٢) القرم: الفحل .
(٣) فى الأصل "معلق" . (٤) الزؤد: الفَزَع .

ولا رأى سريُرها وسرجُها مِن غيركم مَن يمتطى ويقتعدْ
وكنتَ أنت باقيا مساوِقا بعمره وعزِّه شمسَ الأبَدْ
تَسبِي العطايا لك كلَّ حُرَّةٍ لولا نداك لم تكن لتُعتَبَدْ
بنتِ الخدور فى الصدور رضَعتْ ثدىَ النُّهى ونشأتْ من الكَبِدْ
لم تُمتَهنْ بلفظةٍ يلفِظُها من شرِّها السمعُ ولا معنًى يُرَدّْ
يَرقِى بها ودَّ القلوب ساحرٌ ما شاء بالنفثةِ حلَّ وعقدْ
كل لسانٍ شَوىً مشرِكٌ وهو لكم فى شعره فردٌ صمدْ
ما دار — مذ دار الكلامُ — ناطقٌ بمثلها ولا جرتْ فى الصحْف يدْ
تغشاك منها كلَّ يومٍ تحفةٌ نخبةُ ما قال الخبيرُ أو نقدْ
رآك دون الناس أولى بالذى بالغ فيه من ثناء واجتهدْ
ما نافقتْك مِدحةٌ ولم يَقلْ فيك غلوَّ الشعرِ إلا ما اعتقدْ

وقال فى سرير

قام برِجْلٍ ومشى على يدِ ممتريا للرزقِ من سيبِ يدِ
أهيفُ وهو فى السِّمانِ معرِقٌ وواحدٌ وهو كثيرُ العَددِ
يمدُّه حبلٌ ضعيفٌ فتلُه حتّى يعودَ مُحكما ذا جَلَدِ
يُشِتُّ شملا كلّما فرّقه ألّفَ منه بين شملٍ بددِ
تُبصِر من عِظامه وجِلدِه اذا اكتسى الُجّبينَ فوق المسجد

وقال فى رمّانة حمراء

ما أمّ أولادٍ كثيرٍ فى العـــددْ(١) تُروى رِضاعا وهى بِكرٌ لم تلدْ ؟

تبسِمُ عن عَذب الرُّضابِ باردِ لولا دمٌ يصـــبُغه قلت : بَرَدْ(٢)

أعجِبْ به ماءً زُلالا شَبِما(٣) تجمَعُـــه فى أُهُبٍ(٤) نارٌ تقِـــدْ !

يا حسنَهـــا مجموعةَ الشملِ ويا أضعافَ ما تَحسُنُ والشملُ بددْ

وقال فى الغزَل

" بالخَيف " مُخطَفَةُ الحشا(٥) تهوَى الغصونُ لها القدودا

أخذَ الغـــزالُ نِفـــارَها وأعارها عَينـــا وجِيـــدا

أَلِفتْ مِطـــال عِداتِهـــا(٦) يا ليتهـــا تعـــدُ الصدودا

نثرتْ مـــدامعِىَ الفـــريـدَ(٧) لنظمِ مَضحكِها(٨) الفريدا

قد كانـــ رثَّ(٩) هواى فابـــتسمتْ فرِدّتُه جـــديدا

وقال فى غرض من أغراضه

أعانقُ غصنَ البانِ منها تعِلَّةً فأُنكره مسًّا وأعرفُه قـــدّا

وأعدِلُ لثمَ الأُقحوانِ بثغرها فأُرزقُه برقا وأُحرَمُـــه بَرْدا

فللهِ مَن لم أستعِض عنه غائبا ولم أرَ منـــه ظالمـــا أبدا بُدّا

---

(١) إشارة الى ما بالرمّانة من كثرة الحَبّ . (٢) إشارة الى حلاوتها ولونها . (٣) الشبم : البـارد . (٤) أُهُب جمع إهاب وهو الجلد . (٥) مخطفة الحشا كناية عن نحول الخصر . (٦) عدات جمع عدة وهى الوعد . (٧) الفريد : الدرّ المنظوم . (٨) مضحكها : مبسمها . (٩) رثّ : بَلِىَ .

قافيـــة الـــراء

(٤٠)

وقال فى غرض وهى أول قوله

بدين الهوى إن صحّ عَقدُك فى الهوى أعن مَلَلٍ(١) فى الهجر أم كاشحٍ أغرَى؟

ألا قلّما يقضى من الحبّ حاجةً مُعنًّى بنفسٍ عُلِّقتْ حاجـةً أخرَى

حلفتُ لئن كان الجفاء لغَـدرةٍ لقد أبصرتْ عيناىَ من عينكِ الغدْرا

أقول لطيفٍ منكِ وَسّدتُ خدَّه يمينِىَ لمّا جلَّ عن يدىَ اليسرَى:

نحولى الذى عاينتَ من هجر ليلةٍ فما ظنُّها بالجسم لو هَجَرتْ عشرا

وقال فى مثله

ترنّمتْ ترنُّم الأسيرِ وَرْقاءُ فوقَ ورَقٍ نضيرِ

تنطِقُ عن قلبٍ لها مكسورِ كأنها تُخبِرُ عن ضميرى

لُبِّيكِ يا حزينةَ الصفيرِ إن آستجرتِ فبمستجيرِ

مثلِكِ فى تبلُّدِ المهجورِ قَصَّ جَناحى زمنى فطيرى

لكِ الخيارُ أنجِدى أو غورى وحيثما صار هواكِ صيرى

وإن أردتِ الأمنَ أن تجورى فيمّمى " بغدادَ " ثمّ سِيرى

أو حَوِّمى(٢) بربعها المعمورِ مذ غاب فيه قمرى بالنورِ

عسى تقولين لأهل الحُورِ: وَا وَحْشتِى بعدكِ للسرورِ

(١) فى الأصل " ملك " . (٢) فى الأصل " أو حوى " .

وقال يُعزّى الشريفَيْن السيّدَيْن الرضىّ والمرتَضَى ٱبنى الطاهر أبى أحمد الموسوىّ عن خالهما أبى الحسين بن الناصر العَلَوىّ، وكان تُوُفّىَ فجأة

خُدَعُ الزمانِ مــودّةٌ من ثائرٍ ومُــنَى الحيـاةِ وتيرةٌ(١) من غادرِ
نغــترّ بالباقين منّـا، والذى فَرَسَ(٢) المقــدَّمَ رابضٌ للغـابرِ
واذا ذوَى من دَوحــةٍ غصنٌ فيا سَرْعانَ ما يُــودِى(٣) بآخَرَ ناضرِ
يا عاشقَ الدنيـا، النجاءَ فإنّهـا إن ساعدتْ وصلَتْ بنيّــة هاجرِ
لا تَخْــدَعنْك بالسرابِ فـلم تدع ظنًّا يُرجّم فيــه وجهُ السـافرِ
واردد لحاظَك عن زخارفها تُفُزْ، إنّ البــلاءَ موكَّلٌ بالنـاظرِ
خَذَلَ المحــدِّثَ نفسَــه بوفائها تصريحُها بالغدرِ فى "ٱبن الناصر"
مشت المنونُ اليـه غيرَ محصَّنِ(٤) الـ ـجَنَباتِ وٱغتالته غــيرَ محاذرِ
ولو ٱنتحتْــه لأنذرتْه وإنمـا شبُّ الفجيعــةَ أن أصيبَ بعاثرِ
صَرعتْه مســبِلةَ الكِمامِ(٥) وإنمـا يقع التحفُّظ من ذِراعَىْ حاسرِ(٦)
لم يُحمِــهِ البيتُ المطنَّبُ بالكوا كبِ والمعمَّــدُ بالهلالِ الزاهرِ
والنسبةُ العليـاءُ إن هى شَجَّـرتْ زلِقتْ معارجُها بكــلِّ مُفاخرِ
وعصـائبٌ مضريّةٌ قرشــيّةٌ خُلقــوا لحفظِ وشائجٍ(٧) وأواصرِ(٨)
يترا كضون الى تنجُّــزِ ثأرِهم ولو آنه عنــد الغمام السائرِ
من كلّ أبلجَ منكِباه لواؤه بضفيرتَيْــه السمهريّةَ ضافرِ

(١) الوتيرة : التريّث والإبطاء وفى الأصل "وثيرة". (٢) فَرَس بمعنى ٱفترس، والغابر : الحاضر. (٣) فى الأصل "يولى". (٤) فى الأصل "محض". (٥) الكمام جمع كم. (٦) الحاسر : المكشوف الذراعين. (٧) الوشائج جمع وشيجة وهى المشتبكة المتصلة. (٨) الأواصر جمع آصرة وهى العطف من قرابة أو رحم أو صهر.

بَرْدُ النسيم اذا تربَّع عنده — حَرُّ الهجير اذا عرا في "ناجرِ"
أَنِسٌ بأسبابِ الطلابِ كأنّه — ولو آمتطى النكباءَ(١) غيرُ مُخاطرِ
كلّا ولا أغنتْه عفّةُ نفسه — عن عاجلٍ يُرضِى سواه حاضرِ
ولقاؤه شهواتِه ببصيرةٍ — معصومةٍ عنها وذيلٍ طاهرِ
نرجو لصالحنا تطاوُلَ عمره، — تعبٌ رجاءُ ولادةٍ من عاقرِ
لو خُلِّد آبنُ البَرِّ أو أمِنَ الردَى — لعفافه لم يولَد آبنُ الفاجرِ
أو كان يَسلم بالشجاعة ربُّها — لم تَطوِ مقبورا حَفيرةُ قابرِ
بالكُرهِ فارق سيف "عمرٍو"(٢) كفّه — وتقلّصت عن رمحه يدُ "عامرِ"(٣)
سقت الغيوثُ "أبا الحسين" ثَراكما — سقت "الحسينَ" أباك عينُ الزائرِ
ومن الغرام وفيه ماءٌ هامعٌ — منه دُعاىَ له بماءٍ قاطرِ
أبكيك لا ما تستحقُّ، وجهدُ ما — تَسعُ الصبابةُ أن تسيلَ محاجرى
وأُشارِكُ النُّوّاحَ فيك بأنّني — أرثيك فالتأبين(٤) نوحُ الشاعرِ
وأمَا وبدرَىْ "هاشمٍ" ولَدَيْكَ ما — مبقيهما ذكرا له بالداثرِ

(١) النكباء: الريح آنحرفت عن مهبّ الرياح. (٢) يشير الى عمرو بن معد يكرب وهو من شجعان العرب المشهورين بالبأس فى الجاهلية وقد أدرك الإسلام فأسلم ثم آرتدّ بعد وفاة النبيّ ثم أسلم وقد سأله عمر آبن الخطاب عن الحرب فقال: مرّةُ المذاق، اذا قلّصتْ عن ساق، من صبر فيها عُرف، ومن ضَعُف عنها تلف؛ وسأله عن السيف فقال: ثمّ قارعَتْك أمّك عن الثُّكل. (٣) يشير الى عامر بن مالك وهو أيضا من شجعان العرب المعدودين وكان يُسَمَّى "مُلاعب الأسنّة" وسُمّي بذلك لقول أوس آبن حَجَر:

ولاعبَ أطرافَ الأسنّةِ "عامر" — فراحَ له حظُّ الكتيبة أجمعُ

(٤) هذه الكلمة غير موجودة فى الأصل وقد طاف بنا خاطر ونحن نصحح هذا البيت لابأس من إيراده وهو:

وأُشارِكُ النُّوّاحَ فيك بأنّني — فى الشعر فالتأبينُ نَوحُ الشاعرِ

إن لا يكونا نسـلَ ظهرِكَ فالذى نشراه بابنِ الظّهر ليس بناشرِ (١)

وإذا الفتى ضَعُفتْ مؤازرةُ ٱبنـه فى الأمر فابنُ الأختِ خيرُ مؤازرِ

أبواك وٱبنـاك الفخارُ بأسرِهِ والمجــدُ يورَثُ كابرا عن كابرِ

لا تحسبَنّ الموتَ راع حماهـا فالسارقُ المغتـالُ غــيرُ القاهرِ

أقسمتُ لو لِحَقاك قبـلَ وصولِه ما كانَ بينهما عليـك بقادرِ

مَنْ مُبلِـغٌ حَيًّا يُجمِّعُ عِزَّه (٢) غَرِبَى حُسامِ بنى "الحسين" الباترِ ،

صـبرا، وإن فُرِكَ العــزاءُ (٣) فإنّه كنزُ الثوابِ ذخيرةٌ للصـابرِ

هو حُكمُ عــدلٍ لا يُردُّ وكان ما يَهِنُ (٤) القلوبَ لو ٱنه من جائرِ

حفِظَ العـلا لكما مشيِّدُ عرشِها بكما فلا معمــورَ بعـــد العـامرِ

واذا جَرَتْ ريحُ الحوادثِ عاصفا فلتنحرِفْ عن ذا الخضمِّ الزاخرِ

وكَفَى حســودَكما الشقيَّ علاجُهُ غيظُ الهجينِ من العتيقِ الضامرِ

لا غرَّنى منـــه السكوتُ فإنه خوفَ العقابِ سكينةٌ فى نافرِ

* * *

وٱتخذ بعضُ أصدقائه من أولاد الرؤساء الكُتّابِ فى داره بيتا للخَيش (٥) فى وسطه بركة مثمَّنةٌ، قد نُصِبتْ فيها صَومعةٌ للحركات مُربَّعةٌ، لها أربعُ منائرَ مجوَّفةٌ فى جوانبها الأربعــة ، يتوسَّطُها عمودٌ عالٍ فى صورة الأسطوانة ، ينزل اليه المـاءُ من حَوضٍ

(١) ناشر بمعنى منشور، وهذا البيت ورد فى الأصل هكذا

إن لا يكونا نسل ظهرك فالذى نشراك يابن الظهـر ليس بناشر

(٢) هذا الصدر ورد فى الأصل هكذا

* من مبلغ حيلى يجمع غره *

(٣) فرك : كُرِهَ . (٤) فى الأصل "جابر" . (٥) قوله : للخيش أى لمروحة الخيش وهى نسيج كشراع السفينة ، يعلّقها أهلُ العراق فى سقف البيت مبلولةً بالمـاء، و يعملون لها حبلا يجذبونها به فيهبُّ منها نسيمٌ عليلٌ يُذهب أذَى الحرّ .

مُشرِف مرفوع بناؤه على سماء البيت ، مصوّب اليه بالحركات ، حتى اذا آستقرّ الماءُ فى قرارِ البركة فاضَ منه ثمّ من الأربعةِ الجوانبِ فيضا يعلو حتى يكادَ بفضلِ قوّته يلحَقُ بسقف البيتِ ، وقد عُملتْ لها تماثيلُ من الصُّفْرِ[1] يُسمّى كلُّ واحدٍ منها باسمٍ ، فتؤخذُ آلتُها فتركَّبُ على ذلك العمود الأوسط ، ثم تُدارُ بحركةٍ من الحركاتِ فترُشُّ الماءَ على سائر من يحويه البيتُ أو يقاربُهُ ؛ فمن التماثيل صورةٌ تُسمَّى "الخَرْكَاة"[2] ، اذا نُصبتْ وأديرتْ تَشَكَّلَ الماءُ عليها بشكلِ "الخَرْكاة" وبقىَ معلَّقا لا يغيضُ ولا يسيلُ حتى تُقطعَ حركتُها ، ويوضع عليها من جوانبها الشموعُ اللّطافُ المسرَّجةُ ، فتدور فيها من غير أن تطفئها ؛ ومنهنّ صورة تُسمَّى "العَروس" يُجعلُ لها ذلك العمودُ كالكرسيِّ ، فتدور راقصةً عليه ، وتُوصِّلُ فى دورانها الماءَ الى رأسها بيدها ؛ ومنهنّ صورةٌ تُسمَّى "الجَمَل" على هيئته ، اذا نُصبتْ سارت مسيرَهُ بالماءِ المحرِّكِ لها ، ومنهنّ صورة سَمَّوها "الطَّنبَلَنْب"[3] فى هيئةِ رجلٍ ناشبٍ ، اذا نُصبتْ وأريد بعضُ حاضرى البيتِ بالبلَلِ ، صوّبَ سهمهُ ذلك اليه فأصابه ، فكيفما هرول لينجُوَ منه كان الماءُ تابعا له ما دام فى عَرْصَةِ البيتِ ، ثم يخرج الماءُ من هذه البركة الى بُستانٍ فى صحن الدارِ متناهٍ فى الحُسْنِ ، فيه صنوفُ النخلِ والسَّرْوِ وغيرِ ذلك من الشجرِ وأنواع الرياحين والزَّهرِ ، ما يروق مثله ! وهواءُ هذا البيت مجلوبٌ من "بادَهَنج"[4] قد شُيِّد على سطحه مفتوحِ الجناحيْن لمهبِّ الجَنوبِ والشَّمالِ ، فدخل

(١٤٢)

---

(١) الصُّفْر : النحاس . (٢) الخركاة [كما ورد فى محيط المحيط] بالفارسية القبة التركية ويقال فى تعريبها : خَرْقَاهَة ، وقد وردت فى شعر مهيار بالهمزة كما سيجىء . (٣) الناشب الذى يحمل النُّشَّابَ وهى السهام . (٤) البادهنج : المَنْفَذُ الذى تجىء منه الريحُ ، وسماه بعضُهم "راووق النسيم" وقد قال فيه أبو الحسن الأنصارىّ

ونفحة "بادهنج" أسكرتنا	وجدتُ لروحها بَرْدَ النعيمِ
صفا بَرْىُ الهوا فيه رقيقا	فسمَّيناه "راووقَ النسيمِ"

مهيارُ رحمه الله على هذا الصديقِ ذات ليلةٍ، فسأله التعريجَ الى هــذا البيتِ والنظرَ الى عجائبه ففعل، ولمــا نُصبتْ التماثيلُ وجاءت النوبةُ الى المعروف "بالطنبلنب" رُكّبَ نحوهُ وصُوّبَ إليه فبلَّ ثيابَه، وكان فعلُه فى قلّة نفع الفرارِ منه على ماقدّمناه؛ فعند ذلك سئل ذِكرَ البيتِ وما حواه ووصفَ الدارِ والبســتانِ والبركةِ والبادهنج، فقال واصفا الحال بمــا يزيد حلاوةً، ويروق موضعُ الإصابة فيــه عند مُشاهــدةِ الموضع، وممازحا للرّجُلِ بغرامة ما بلّه من ثيابه

نديمى وما الناسُ إلا السُّكارَى أدِرْها ودعنى غــدًا والخُمــارا
من العجــزِ تركُ الفتى عاجلًا يَسُــرُّ لأمرٍ يُخافُ آنتظارا
وعَطِّلْ كؤوسَــك إلا الكبيرَ تجدْ للصــغيرِ أُناسا صِــغارا
وقــرِّبْ فــتًى مائةٍ (١) أو يزيـ ـدُ قد أُكمِلَ الشيبَ إلا الوقارا
تُسِــرُّ المَســرّةَ أحشــاؤه ويُــبْرِزُ للعينِ طِينا وَقَارا
لصونٍ ســواه رأيتُ الغــلا مَ ينفُضُ عن كِتفَيْه (٢) الغُبــارا
وذى مِــبزلٍ (٣) كزنادِ المكــبِّ يَقــدَحُ بالبَزْلِ منــه شرارا (٤)
فسلَّ مِنَ النــارِ فى وجهه لســانا، فأمسك فاهُ حِــذارا
وخادعَهُ عن خَلوقيّــةٍ (٥) تُذوِّبُ فى كأسها الجُلّنــارا
جَنَتْ فقرَ شُرّابهــا المسلمين وأغنت "بِغُمَّى" (٦) اليهودَ التّجارا
عَقَرْنا البُــدورَ (٧) لهم فى المهو رِ حــتى جلوها علينا عُقارا
يطوف بهــا عاطِــلُ المِعصَمينِ يُلبِســهُ الجامُ منهــا سِوارا

---

(١) يريد بفتى مائة : الدنّ . (٢) فى الأصل "كفَّيه" . (٣) المبزل : الحديدة التى يفتح بها الدنّ . (٤) قال القاموس : شِرار ككتّاب واحدته شرارة بكسر الشين وورد بهذا الضبط أيضا فى محيط المحيط وفى أقرب الموارد، وقال المرتضى : الصواب أنه كسحاب وهو ما تطاير من النار .
(٥) خلوقية : نسبةٌ الى الخلوق وهو نوعٌ من الطِّيب . (٦) غُمَّى : قرية من نواحى بغداد .
(٧) البدور جمع بَدْرة وهى الكيس يسع عشرة آلاف درهم .

(١٤٣)

شفيقٌ على الحبِّ من غيره ... اذا قلت: ما أحسن البدر غارا
ولا ومُقبَّلِهِ ما فَرَقْتُ ... أريقتُه الخمرُ أم ما أدارا
هنيئا لِلَهْوِيَ أنِّى خلعـ ... ـتُ حلمِى له وتركتُ الوقارا
وصرتُ فتى غَبَقاتِ(١) الملوك ... عشِيًّا، أخا النشواتِ ٱبتكارا
ودادِىَ والدهرُ ما دامَ [دامَ](٢) ... وشعرِىَ والنجمُ ما سارَ سارا
وفيحاءَ من دورهم(٣) زرتُها ... وأخلِقْ بها جَنَّةً أن تُزارا
تلجلَجَ فى وصفها المحدِّثون ... وحُدِّثَ "رِضوانُ" عنها لحارا
تعرَّبَ قاسمُها عادلا ... بخطٍّ وتحسبه العينُ جارا
صُحُونا طِوالا كما تقتضى ... شجاعتُنا وخصونا قِصارا
وشَقَّ لبستانها عن ثرًى ... اذا طلَعَ النبتُ فيه أنارا
وقد بثَّ(٤) فى ظلِّ شجرانِهِ ... عيونَ الأذى رِقبَةً(٥) وٱستتارا
تخفَّرَ(٦) منها بمسلوبةٍ ... سوى ورَقٍ أُلحِفَتْه(٧) إزارا
من الهيف حين يجورُ النسيمُ ... على غصنها لا تُطيق ٱنتصارا
نحولٌ عَرَضْتُ له بالسِّمانِ ... وصُفرَى تجنَّبْتُ منها ٱحمرارا
ومنشورةٍ سَتَرَتْ نفسَها ... نخاطت قميصا ولاثت خمارا
وعزَّتْ فصانت سوى ساقها ... وما إن أباحته إلا ٱضطرارا
تُشمِّر عنه جلابيبَها ... لعادته أن يخوضَ الغمارا
فكادت تُواريه ضنًّا به ... ومن حسنها أنّه لا يُوارَى

(١) غبقات جمع غَبْقة وهى شُرب العشىّ .
(٢) هذه الكلمة غير موجودة فى الأصل و يقتضيها السياق .
(٣) فى الأصل : " دونهم " .
(٤) فى الأصل " بات " ولا نظنها تؤدى المعنى .
(٥) فى الأصل " فيه " وهو تحريف .
(٦) تخفَّر : ٱستجار ، وفى الأصل " تحوّر " .
(٧) فى الأصل " ألحقته " .

تُشكّكُني وهى طـوع الريا	ح تَتْبَعُها يَمْنَـــةً أو يَسـارا
أتدنـــو لتُســعفَنى بالجنـا	ق فى مثلهـا أم تصدُّ آزورارا ؟
وتجلو عليـك بنـاتِ الفسيل (١)	اذا كَستِ السَّـعَفاتُ الثمـارا
غـــدائرُ غيـــدٍ يُضفِّرْنَهـا	وتأبى عليهنّ إلا آنتشارا
جلبنا له المـاء (٢) من شـاهقٍ	جزانا بحسْبِ الصعود آنحدارا
وما سال حـتى أسلنـا اللُّجينَ	ولا عَزّ حـتى أهنّا النُّضـارا
اذا ما تحـلّق مسـتعليـا	تَعلّقَ بالطبـع يبـغِى الفِـرارا
فثَـــوَّرَ نَحْسـا اذا ما نطقنَ	بأخبارِهِ خِلتَ نقعا مُثارا
اذا جادهنّ ثدى جُـدْنَهُ	وإن فـرّ طِرْنَ إليه نِفارا
هوِينَ الأمانةَ حـتى آجتهـد	نَ ليقضينَهُ ماءَه المسـتعارا
تَروسُ (٣) عليهنّ فى وسْطِهِنّ كُبرَى	تعـولُ بنـاتا صِـغارا
برزنَ يُخيِّلْنَ للناظرين	صوامعَ من حولهـا أو مَنـارا
اذا سـدّدتْ لطعانٍ قَنًا (٤)	حذفْنَ اليهـا نُصولا طِـرارا
حوتْهنّ معجـزةُ الآيتيْنِ	تجـودُ الحيـا وتُمـــدُّ البحارا
فمن بينِ خَرْكاةَ مضروبةٍ	على تلعـــةٍ حَمَلتْهـا آغـترارا
تَـــولّى مَجَاريَهـا فوقهـا	من المـاء سمحٌ كريمٌ نِجـارا
اذا ما أُديــرَ لهـا مرّةً	لتُعجِبَ جادت فدارتْ مرارا
لهـا آيةٌ لم تكـن قبلَهـا	ولكن ظَهَرنا عليهـا آقتـدارا
ترى ظلّهـا جامـــدًا مائعا	ويَحمِـلُ ضدّيـن ماءً ونارا

(١) الفسيل جمع فسيلة وهى الصـغيرة من النخل ويريد بنات الفسيل النخل . (٢) الضمير فى "له" عائد الى البستان فى قوله * وشقّ لبستانها عن ثرى *
(٣) تَروسُ : تتبختر . (٤) فى الأصل "قنى" .

ومثلِ العروسِ "عروسٌ"(١) تُديمُ ... يداها على منكبيْها النِّثارا
اذا ما جَلَوها أبتْ حِشمةً ... بكرسيِّها أن تُطيق القَرارا
طلبنا لها الكُفءَ من قومها ... فعزَّ وكان سوى الكُفء عارا
فعدنا نُزَّرُ(٢) عليها الشُّجوفَ ... فترضَى بها عفّةً واختفارا(٣)
وكالظبيِ يُظلَمُ باسم الجمال ... فيطغَى إباءً ويُغضِى اغتفارا
ويُزبِدُ فوه لُغاما(٤) اذا ... تفرّق عن شَفتَيْه استطارا
يسير رَوِيًّا(٥) اذا ما اغتدت ... كبودُ المطايا عِطاشا حِرارا
ولولا الذى فَعلَ "الطَّنْبَلَنْبُ" ... لقد أنجدَ المدحُ فيه وغارا
ولكنّه خافرٌ للذما ... مِ جاورتُهُ فأساءَ الجِوارا
بغانى فلم أنجُ مع نَهْضَتى ... ورحبِ خِطَائِى(٦) منه فِرارا
رمانى فأصمَى بسهمٍ له ... يدور مع المتّقِى كيفَ دارا
اذا هو فَوَّقَهُ للثيا ... بِ ألقَى جروحا تُضِلُّ السِّبارا
فأردَى ردائِى وجاءت اليـ ... ـك دُرَّاعتى(٧) تبتغى منكَ ثارا
قتيلى لديكَ فلا تذهبنْ ... عليكَ دماءُ ثيابى جُبارا(٨)
وبيتٍ اذا الدهرُ ضامَ الشتاءَ ... تعوَّذَ منه به فاستجارا
صحِبتُ(٩) الخريفَ به فى المصيف ... وذكّرنى الليلُ فيه النّهارا

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ويقتضيها السياق لقوله فى النثر الذى تقدّم وصفا لما قيلت بسببه هذه القصيدة : "ومنهن صورة تسمّى العروس" . (٢) فى الأصل "نزيها" . (٣) فى الأصل "واحتقارا" . (٤) اللغام : زبد أفواه الإبل . (٥) فى الأصل "عويا" . (٦) الخطاء جمع خطوة ، وقد ورد فى الأصل هكذا "ورحت خطاى" . (٧) الدّرّاعة : جُبّة من صوف . .
(٨) هذا البيت ورد فى الأصل هكذا

فلى مدلك فلا تذهبن * عليك وما ساى حبارا

(٩) فى الأصل "صبحتُ" .

وأهـــدى الهواءَ له ناشـــرٌ جناحين لو حمّلاه لطارا
تنصّتَ للـــريح مستفهما بأذنين لا يحملان السِّرارا
اذا عَـــبرتْ مطلَقاتُ الريا ح يسلُكنه ظِلْنَ فيه أسارى
فتلفِظُ منها السُّمومُ[1] الشرارَ ويُلقِى الينا النسيمُ الجِبارا[2]
غرائبُ روَّضتَ يا ٱبن الكرام برأيك منها الشُّموسَ النَّوارا[3]
وباهلتَ بالأرض فيها السما ءَ فٱعترفت خجلا وٱنحصارا
وقبّحتَ فى جنب تحسينها[4] بأعين أربابهن الديارا
فلو"صاحبُ السّدِّ"[5] لاحت له تبيّن فيما بناه العَوارا
وقيستْ "لكسرى" بإيوانه قَلاهُ ولم يُعطِ عنها ٱصطبارا
أرتــك بدائعها هِمّــةٌ تُهينُ عليك العظيمَ ٱحتقارا
وفضْــلُ مُحلِّيك[6] يومَ الرِّها نِ مَنْ لا يبذُّ[7] ومَنْ لا يُجارَى
فأُقسِمُ بالله لو أنصـفو ك قِسْما وردّوا الىَّ الخِيارا
لما كنتُ أرضَى لك الخافقيْ ن مُلكا ولا جَنّةَ الخلد دارا

✦✦✦

وأنفذ اليه أبو القاسم سعدُ بن الكافى الأوحد هدّيةً مقترنةً بهديّةٍ من أبيه ،وكتابا يعتذرُ فيه من التقصير عمّا فى نفسه من قضاء حقّه، فكتب اليه

بُلِّغتْ صبرا فقالت : ما الخبرْ قلتُ : قلبٌ سِيمَ ذُلًّا فنفَرْ
لا تعـودى فى هَوًى ظالمــةً ربّما عاذ بحِلمٍ فانتصرْ

(١) السُّموم جمع سَمٍّ وهو الثقب . (٢) الجِبار : الأثر . (٣) الشموس النوار : الممتنعة النافرة . (٤) فى الأصل "تحصيلها" ولو راعينا التحريف لعلها تكون تحصينها . (٥) فى الأصل "اليد" . (٦) فى الأصل هكذا "وفصل محلك" . (٧) فى الأصل "ينذ" .

نظرةٌ أعرضتُ عنها أعقبتْ ... غضبا آذنَ للقلب النظرْ

أرهفتْ سيفيْن فى أجفانها ... كلَّ مَنْ غرًّا يبتْ علَى غَرَرْ(1)

أقسمتْ مَن جَرحاه لا براء(2) ... يا طبيبي متْ ودائى فى الحَوَرْ

أرسلتْ ليلةَ صدّتْ طيفَها ... ناظرا أين رقادى من سَهَرْ

قال : حيّانى ، فقالت : نائما ... طرفُه؟ قال : نعم ، قالت : غدَرْ

يا هَوَى حسناءَ! ما شئتَ لها ... من فؤادى ، غيرَ ذلٍّ وخَوَرْ

رُبَّ يومٍ باهلتْنى بالصِّبا ... وصَغارٌ عندها حظُّ الكِبَرْ

وتنكّبتُ(3) مُدِلًّا وفْرةً(4) ... نَشَرَ العنبرَ عنها مَنْ ضَفَرْ

فرأت شَيْبا فقالت : غُيِّرتْ ... قلتُ : ما كلُّ شبابٍ فى الشَّعَرْ

غُيِّرت بيضاءَ فى سودائها ... قلتُ : مهلا! آيةُ الليلِ القمرْ

ما لغزلانٍ تصافينى الهوى ... ما آستطاعتْ وأجازيها(5) الكَدَرْ

أنِستْ إذ يئستْ من قَنَصى ... فآستوى ما قرَّ منها ونفَرْ

وهل "الزَّوراء" إلا وطنٌ ... يخدعُ الشوقَ وفى أخرى الوطَرْ؟

يا ندامايَ بها النِّسيانُ لى ... ولكم منِّى حِفاظى والذِّكَرْ

كلَّ يومٍ أنا أبكى منكُمُ ... صاحبا بالأمس بقَّانى ومَرّْ

إنّ فى "الرَّىِّ" و"سعدٍ" عِوضًا ... كلّما قايستُ طابَ وكَثُرْ

سوف أنجو راكبا إحسانَهُ ... كلُّ مركوبٍ سوى ذاك خَطَرْ

ساريا أجنُبُ كُبْرَى هِممى ... أطلبُ المرعَى لها حيثُ المطَرْ

خاب من رام المعالِى حاضرا ... والأمانِى فى كَفالاتِ السَّفَرْ

---

(1) هكذا بالأصل ، وعلى هذه الصورة يكون قد دخل على هذا الشطر "الكفُّ" وهو واقعٌ فى كلمة "عَلَى" والكفُّ حذفُ السابع الساكن وهو عيبٌ . (2) يريد لا برأ . (3) تنكّبتُ : ألقيتُ على منكِبى وهو مجتمع رأس الكتف والعضد . (4) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس .

(5) فى الأصل "وإجارتها" .

ما الغِنَى والمجدُ إن زرتَ فتًى ... ذا تناهٍ وهــو ناءٍ لم يُزَرْ؟

لا تباعِـــدْهُ الليالى إنّه ... أملٌ بين "جُمادَى" و"صفرْ"

بأبى الساقى وبالغيثِ صدًى ... والفتى الحلوَ الجنَى والشَّهدُ مُرْ

علّمتْ أعــداؤه أمــوالَه ... لَمَمًا(١) يمنعها(٢) أن تَســتقِرْ

يافعٌ مكتهلٌ من حلمــه ... للصِّبا السنُّ وللرأىِ(٣) الكِبَرْ

يا أبا "القاسِم"(٤) صابتْ(٥) نِعمةٌ ... لك لم يعــدُ بها الغيثُ الزَّهَرْ

لم أزلْ أصــبرُ علما أنه ... أبدا يُعقِبُ خيرا من صَبَرْ

ناظــرا عادَكُمُ(٦) فى مثلها ... جَنَّــةٌ لى من عذابٍ منتظَرْ

كان جُرحا جائفا(٧) فٱندملتْ ... قرحــةٌ منــه وكَسرٌ فجُــبِرْ

يا ملوكَ "الرّىِّ" هــل داركم الـ ... ـأرضُ طُرًّا أم تعولون البَشَرْ؟

وَسِعَ النــاسَ جميعا جــودُكم ... فٱستوى من غابَ عنكم وحَضَرْ

واصلَتْ شاعرَهم نُعمَى لكم ... لم تدعْ مفحَمَهم حتّى شَــعَرْ

حلِّ(٨) يا "سعدَ العلا" بَهماءَها(٩) ... مِن قَبولٍ بحُجولٍ وغُرَرْ

وٱجلُ لى أُخرَى على الكافى متى ٱحْـ ... ـتشمتْ منــه حياءً وخَفَرْ

عرفَتْ مَنَّكَ فيما قبلَها ... فأتتْ واثقــةً تقفــو الأثَرْ

حاجــةٌ تمّتْ ووافَى حظُّها ... حين نبَّهتُ لها منك "عُمَرْ"(١٠)

---

(١) اللم : الجنون . (٢) فى الأصل " تمنعها " . (٣) فى الأصل " والرأى " .

(٤) فى الأصل هكذا " ياباقسم " . (٥) صابت : مطرت . (٦) عاد جمع عادة .

(٧) جائفا : بالغا الجوف . (٨) فى الأصل "خلّ" . (٩) البهماء : السوداء .

(١٠) لعلّه يشير بذلك الى قول بشار بن برد مادحا عُمَر بن العلاء :

اذا دهمتك عظامُ الأمور * فنبِّهْ لها عُمَــرا ثمّ نَمْ

وفى رواية : اذا أيقظتك حروبُ العدا * فنبِّــهْ لها عُمَــرا ثمّ نَمْ

وكان فخرُ الملك ليلةَ أنشدَه القصيدةَ اللاميّة التى أوّلها

* أروم الوفاءَ الصعبَ بالطلبِ السهلِ *

خلع عليه خلعةً نفيسةً، وأتحفه ببعض ما فى مجلسه من التحايا والألطاف، ثم وصل فخرُ الملك الى حضرة أمير المؤمنين القادر بالله رِضوانُ الله عليه مستخرِجا خلعةً ولواءً للملك سلطان الدولة، فقُدِّم وأُكرِمَ وبلغَ من التمييز الى غايةٍ لم يُدركها أحدٌ من نظرائه، ونُوِّه باسمه فى الخطاب والتلقيب، وقُلِّد سيفا مُحلًّى بذهبٍ تشريفا له، فقال يَذكُرُ ذلك، ويهنّئه بمكان المِنحةِ، ويَذكُر ما أتاه اليه، ويشكره عليه، ويسأل مُعاوَدة الرسم فيه، وأنشدها فى يوم المهرجان

فَكاكُك أيّها القلبُ الأسيرُ	غدًا، لو قال حادى الركبِ: سِيرُوا
عسى الأظعانُ تُطلِعُ إن أثاروا	هلالًا كان تكفُره الخدورُ
وإن أخذوك أنتَ وخلّفونى	فسِرْ معَهم فذاك لهم يَسيرُ
تَعلّقْهم عساهم أن يُذِمُّوا[1]	عليك من الصبابة أو يُجيروا
لِمَن شَدَنيّةٌ[2] سبقتْ عِجالًا	فما تدرى أتقصِدُ أم[3] تجورُ؟
يخوض الليلَ سائقُها أنيسا	بآيةِ: لاحَ بين يديه نورُ
وكيف يَخاف تيهَ الليلِ رَكْبٌ	تَطلَّعُ من هوادجه البدورُ
يناجزُ فى الوَداعِ معاتباتٍ	لمنَّ كبودُنا وانا الزفيرُ
أكنتَ معى بعينٍ أم بقلبٍ	"برامةَ" والعيونُ إلىَّ صُورُ[4]؟

(١) أن يذموا عليك: أن يأخذوا عليك الذمة. (٢) الشدنيّة: الناقة المنسوبة الى موضع باليمن أو الى فحل من كرام الإبل. (٣) فى الأصل "أو". (٤) صور: مائلة.

غداةَ أقولُ — وآبتهجتْ جِبـاهٌ[1] عطفنَ علىّ وآبتسمت ثغورُ — :

أمَا من قُبلةٍ فى الله؟ قالوا : متى حَلَّتْ لشاربهـا الخمـــورُ؟

وقارَكَ وآلتفتْ تَرَهُنّ بيضًا ، كَبِرتَ ! فقلتُ : مِسكينُ الكبيرُ

ألا يا صـاحبىَّ تمليّـانى ، أطاعَ إِبائىَ[2] وآعتـدلَ النُّفـــورُ

أرى كبدى وقد بَردتْ قليلا ، أمات الهمُّ أم عاش السرورُ؟

أم الأيامُ خافتـنى لأنّى "بفخر الملك" منهـا أستجيرُ؟

ذرانى ، عاد إمــلاحى ــيرًا ويُقعِمُ بعـد ما نضبَ[3] الغـديرُ

طغَى أمـلى وطال قصيرُ باعى ويَنْمِى الشىءُ أوّلُه حقـــيرُ

ولا تتعجّبا من خِصب رَبْعى فَرَبعى بعضُ ما جاد الوزيرُ

ولكن بإيماهُ[4] عن لسـانى فإنّى حين أعجِــزُ أستشيرُ

ظهـــورُك آيةٌ لله صحّتْ بهــا الأديانُ وآشتفت الصدورُ

وزالت شُبهةُ المرتابِ[5] فى أن تُكشِّفَ عن ضمائرها القبـــورُ

رآك وميّتُ الآمال حىٌّ بجودك والنـدَى الأعمى بصـيرُ

فآمنَ "بالمسيح" وآيتيه وأنْ نشأتْ من الطّين الطُّيـورُ

وأيقنَ أن "موسى" شقَّ بحرا بأن شُقّت بكفّيك البحـــورُ[6]

ولمّـا أن أتيتَ على فتـــورٍ وبابُ ضــلالة الأمم الفتـــورُ[7] ،

وأبصرَ قبلك الماضين مَرّوا ولمّـا تنتظمْ بهم الأمـــورُ ،

(١٤٦)

---

(١) فى الأصـل "حياة" . (٢) يريد إبائى . (٣) فى الأصـل "نضت" .

(٤) فى الأصل "بانماه" . (٥) فى الأصل "المرتات" . (٦) يشير بذلك الى قوله تعالى (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى) . (٧) يشير بذلك الى قوله تعالى (فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ) .

صبا "لمحمّدٍ" وأطاع فيه — وقال : الرُّسْلُ خيرهم الأخيرُ
أقول بمعجزاتك لا غُلُوًّا — وكاتمُ نعمةِ المعطِى كَفورُ
إذا الأسماء أُلزمتِ المعانى — فأنت الحقُّ والوزراءُ زورُ
رأيناهم وكلُّهُمُ شُكولٌ — مُصلِّيهم(١) لسابقهم نظيرُ
بِكَ انتصر الملوكُ [وأنتَ](٢) فيما — دَعَوْكَ لنصره نِعمَ النصيرُ
فأنت الليلةُ القمراءُ بانت — على الأخَواتِ واليومُ المطيرُ
حميتَ كبيرَهم إذ حُمَّ وقتٌ — تحوطُ به وقد كَبِرَ الكبيرُ(٣)
وماتت دولةٌ فأقمتَ أخرَى — فلا موتٌ عصاكَ ولا نشورُ
وباشرتَ الخلافةَ فاطمأنَّتْ — على أمرٍ ومطلبُه عسيرُ
ويومَ(٤) العهدِ والوافى قليلٌ — أطاعكَ منبراها والسريرُ
ألينَ عليك مُعجَمُها المُعاصِى — وخَفَّ إليك مجلسُها الوقورُ
درَى "الفِهرِىُّ" حين أسفَّ قومٌ — وطِرتَ بأىِّ قادمةٍ تطيرُ
رآك بهَدْيِهِ لجزاكَ خيرا — وقد يتفرَّسُ الرجلُ البصيرُ
وأعطاكَ التى نشرتْ(٥) قديما — وإن هى أُغليتْ فيها المهورُ
وأفرشكَ الكرامةَ لم يدُسْها — جبانٌ(٦) فى الملوك ولا جسورُ
مقالا فى اصطفائك واعتقادا — يُحيلُ على اللسان به الضميرُ
وقلَّد سيفَه بيدَيْه سيفا — طويلٌ نجادِه عنه قصيرُ
حساما كان "للمنصور" حِصنا — ولم يك للمدينة بعدُ سورُ

(١) المُصَلِّى : الجواد يأتى فى الحلبة ثانيا . (٢) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل فرجّحناها ليستقيم بها المعنى والوزن . (٣) كبر : أسنَّ وهرم وقد ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

حميت كبيرهم أو حمّ وقتٌ — تحوط أو كبر الكبيرُ

(٤) هذه الكلمة فى الأصل "يو" . (٥) فى الأصل "نشرت" . (٦) فى الأصل "جنان".

وصاحَبَ بعـده الخلفاءُ تِرْبا … رفيقا حين يجلسُ أو يثورُ
تـذلُّ له المنابرُ يرتقيها … وتألفُـه المناكبُ والجحورُ
وما كفؤٌ له لولاك كفؤا … ولكنّ الذّكورَ لها الذّكورُ
أميرُ المؤمنينَ يقول : خذْهُ … فإنّـك فى تقلُّده الأميرُ
ولو عقلتْ "عُقَيْلُ" شاورتنى … فكنتُ برأيِ ناصحها أشيرُ
فرِرتِ مكانَ لم تجِدى ثباتا ، … ويقتُلُ ذِكرَهُ البطلُ الفرورُ
إذنْ فتزحزحى عن دارِ مُلْكٍ … لغيرِك ضرعُها ولكِ الدّرورُ
أغرّكِ "بالجزيرةِ" ما أغرنا ! … نظارِ(١) فقربَ ما ارتجع المغيرُ
فلا تتوهّمى بالشرّ لينا … فقد يتألّقُ النّصلُ الطريرُ
تخطّتْها ـ وإن وسِعتْكَ ـ مرعًى … فكم دارٍ تُبيرُ(٢) كما تُميرُ(٣)
ويقطَعُ عُضوَه المرءُ اضطرارا … وإن ألِفتْ منابتَها الشّعورُ
سمعتَ بشائرَ الظفَرِ استمعْ لى … أُعِدْ خبرًا وأنت به خبيرُ
أنا المولى صنعتَ اليه نُعمَى … أخى فيها حسودٌ أو غيورُ
جذبتَ من القُنوعِ بها ذراعى … فطارت دون أخمَصِىَ النسورُ
نفائسُ لم ينلْهنّ اقتراحُ الـ … ـمُنَى فيما تُسَدِّى أو تُنيرُ(٤)
بَرَدْتَ على الزمان بها فؤادى … وكان عليه مِرجلُه يفورُ
وها هى نالت الأيّامُ منها … بجِدّ ، أخلقَ الظّلَّ الدّثورُ
يزورُ المهرجانُ برسمِ قومٍ … ولى رسمٌ يشوقُ ولا يزورُ
وقوم يكرمون على الأسامِى … فتُرخَى الحُجْبُ عنهم والستورُ

---

(١) نظار كقطام بمعنى انتظرى . (٢) تُبير : تُهلك . (٣) تُمير : تُطعم .
(٤) تُنير : تُلحم .

(١٤٧)

يقولُ الشعرُ ـ إن حضَروا وغبنا ـ ... فدى الغُيَّاب ما قال الحُضورُ (١)

يكرِّرُ غابرٌ ما قال ماضٍ (٢) ... وقِدْمًا أخلقَ المعنَى الكُرُورُ

وأحلَى القوسِ أسلمُهُ منالا ... فما هذى الشقاشِقُ والهديرُ

تَطَبَّعتِ القرائحُ وآطمأنَّتْ ... فَلِمْ يتكفتونك يا صبورُ

بهذا الحكمُ حين تحالباها (٣) ... نقائضَ (٤) حاز زُبدتَها "جريرُ"

***

وآتصلتْ من مجد المعالى مؤيّد الملك رحمه الله مقاماتٌ فى وصفه، وأفعالٌ جميلةٌ فى الثناء عليه، ومعاضدةٌ على بعض الناس ممن آعتمد أذيَّتَه، وعنايةٌ حاضرةٌ وغائبةٌ بشئونه يُؤثَرُ بعضُها من مثله ويُكبَر، وما زال مؤثِرا على قديم الوقت لأن يخصّه بشىء من شعرٍ، موافقا لما يبعثه على ذلك، فقال يشكره ويهنّئه بعيد الفطر، ويُعرِّض بذكر الرجُل الذى آذاه، وأعانه عليه

ينام على الغدر من لا يَغارُ ... ولا يُظلَمَ الحرُّ فيه آنتصارُ

علَىَّ لعينِى آختيارُ الحبيبِ ... وإن خاننى فإلىَّ الخِيارُ

ملكتُ فؤادى على "بابلٍ" ... وعقَّ أخاه الفؤادُ المُعارُ

وفيمن سمحتُ به للحُمو ... ل أبيضُ ليلٍ سُراه نهارُ

اذا شكرتْ حُقْبُهُ (٥) خصرَه ... تظلَّمَ من مِعصَميْه السِّوارُ

---

(١) فى الأصل "قدا". (٢) الغابر: الحاضر والماضى وهو من الأضداد والمراد به هنا الحاضر. (٣) يريد: بهذا كان الحكم. ويريد بالتثنية فى "تحالباها" جريرا والفرزدق وكلاهما من كبار الشعراء فى دولة بنى أمية وكانا يتهاجيان وقد وُضع فى أهاجيهما كتابٌ آسمه "نقائض جرير والفرزدق". (٤) النقائض جمع نقيضة وهى أن يقول شاعر شعرا فينقض عليه شاعر آخر حتى يجىء بغير ما قال، فيقال هذه القصيدة نقيضة تلك التى قالها فلان ومنه "كتاب نقائض جرير والفرزدق" المارّ ذكره ، وفى الأصل "نقائص". (٥) الحقب جمع حقاب وهو شىء تشدّه المرأة على وسطها وتعلّق به الحلى.

وبدرٌ وما عُــدَّ من شهره ... ســوى هجـره والتجنّى سِــرارُ
تطلّــعَ يُتبِعُــنى مقلتيــ ... ــه مختمرا من حُلاه الخِمارُ
وكنتُ الحليمَ وفى مثلها ... تخِفُّ الحلومُ ويهفـو الوقارُ
أُحبُّ الجفاءَ عــلى عــزّةٍ ... ولا أحمل الوصلَ والوصــلُ عارُ
قَضيتَ وتهوَى، ويرضَى الفتى ... بطيفٍ يزور وربعٍ يُــزارُ
وهبَّتْ تــلوم عــلى عفّــتى ... وتحــذر لو قد كفاها الحِذارُ
تقول : القناعــةُ موتُ الفتى ... اذا أُلِفتْ والحيــاةُ اليســارُ
وما الناسُ — لو أنصفتنى الحسا ... بَ — والأرضُ إلا صديقٌ ودارُ
وما آرتبتُ حتى رأيتُ اليمي ... نَ تُعقَد فى الحقِّ عنها اليســارُ
وتَطمعُ بالشــعر لى فى الغنى، ... متى نَصــح الطمعَ المستشــارُ؟
ولم تدرِ أنّ المساعى الطوا ... لَ آفتُهن الحظوظُ القِصــارُ
وما علمُ طبِّــك من علّتى ... وصــبرىَ والكرْمُ الإصطبارُ
اذا لم يُبيِّن[(١)] أَسًى أو أُسًى[(٢)] ... فكيف يَبِيــنُ غــنًى وآفتقارُ
خَــبَرتُ رجالا فما سرّنى ... عــلى الودّ ما كشفَ الإختبارُ[(٣)]
ولمّــا غلِقتُ برهن الوفاء ... لهم تركونى " بنجدٍ " وغاروا
فلا يُبعِــد اللهُ مِن ظلمهــم ... أخلّاءَ حَصُّــوا جَناحى وطاروا
وجرَّبتُ حظّى بمــدح الملوك ... مِرارا وكلّ جناهــا مُرارُ[(٤)]
وكم من مُقامٍ توقّــرتُ فيـ ... ـه طاروا له فرحا وآســتطاروا

(١) يبيّنْ : يبنْ، من قولهم : بيَّنَ الصبحُ لذى عينين بمعنى بان. (٢) الأسى بالفتح : الحزن، والأُسى بالضم جمع أُسوة وهو ما يتعزّى به الحزينُ. (٣) فى الأصل " الأختيار ". (٤) المرار : شجر مُرٌّ اذا أ كلته الإبل قلَصت شفاهُها .

وخفَّتْ مسامعُ هنَّ الجبالُ ‏ ‏ وجفَّتْ أناملُ هنَّ البحارُ
وأُخرَى ولم يأتنى نفعُها ‏ ‏ ويا ليت لم يأتِ منها ضِرارُ
اذا ما دعوتُ "زعيمَ الكفا ‏ ‏ ة" أدركنى الماءُ والحطبُ نارُ
وقام لها ناهضَ المنكبيْن ‏ ‏ يُقلِّصُ عن قدميْه الإزارُ
اذا خاض نَقْعىْ حِمًى أو حِجًا ‏ ‏ تفرَّج عن حاجبيْه الغبارُ
كريمٌ تبرَّعَ بالنصر لى ‏ ‏ وبالخيلِ من دون نصرى آنتشارُ
أَبَى أن أضامَ وردَّ الفِرارَ(١) ‏ ‏ علىّ وأقصى سلاحى الفِرارُ
بلا قَدَمٍ نتقاضاه لى ‏ ‏ فتُرعَى له ذمّةٌ أو ذِمارُ
بلى! فى التجانس حقٌّ جناه ‏ ‏ علىّ، وجارُك بالجنس جارُ
عجِبتُ لباغىٍّ أن أسترَقَّ ‏ ‏ "وكسرَى" أَبِى ولسانى "نزارُ"
أرادَ لنقصٍ به بذلّهُ ‏ ‏ وربحى فى بيع عِرضى خَسارُ
أمانٍ(٢) أصابت له فى سواى ‏ ‏ وخابت مساعى والأمانى قِمارُ
دمُ الفضلِ ثارَ بهِ أن يُطَلَّ ‏ ‏ فتًى لا ينام وللمجدِ ثارُ
قؤولٌ اذا الألسنُ المطلَقا ‏ ‏ تُ قيَّدها حَصَرٌ وآنكسارُ
يُرَى فَوْرُهُ واصفًا غَوْرَهُ ‏ ‏ وهل يصفُ النارَ إلا الشَّرارُ
كفى الدولتين عناءُ "الحسيـ ‏ ‏ ـن" مَن يُستشارُ ومَن يُستجارُ
وقُلِّبتا واليه مصيـ ‏ ‏ ـرُ أمريْهما وعليه المَدارُ
وقمتَ ودونَ المَقام الحميدِ ‏ ‏ مزالقُ يصعُبُ فيها القَرارُ
وقبلكَ قد جرَّبوا وآجتَنَوا ‏ ‏ وبعدَك وانتصحوا وآستشاروا
وحلُّوا بسيماك مَن جِدُّو ‏ ‏ ه لو قُطِعتْ بالحُلِيِّ الشِّفارُ

(١٤٨)

(١) فى الأصل "القزار" . (٢) فى الأصل "آما إن" .

فـــذاك مُدِلٌّ عـــلى عجـــزه يُـــؤمَّرُ وهـــو عِيالٌ يُمارُ
طريرُ العِيانِ صدىٌّ اللسانِ خُطّا لفظِـهِ خطأٌ أو عِثارُ
اذا نشر الكِبرُ أعطافَـــه طوت بشره الغَـــرَماتُ(١) الصِّغارُ
لثـــوب الرياســـةِ ضيقٌ عليـ ـه معْ وُسْـعِ أثـوابِه وآنشمارُ
غريبٌ اذا أنت فيهـا آنتسبـ ـتَ أدلَى به نسبٌ مســـتعارُ
جزتك عن المُلك يومَ الجـزاء وعن نخـره يومَ يُجزَى الفخارُ،
غوادٍ من الحمـدِ والإعترافِ غوارفُ من كلِّ عذبٍ غِزارُ
تجـــودك(٢) نَعماءَ تزكو النفـو سُ(٣) فيهـا وتَغـــنَى عليهـا الديارُ
وعـــنّى ســـوائرُ إما تحـــطُّ الرّ واةُ وقاطنـــةٌ حيث ســاروا
عـذَارَى يُحـلَّى لهنّ الجمالُ ويُخلَعُ فى حبّهنّ العـــذارُ
يُخيِّـلُ ما نشرَتْ من علاك عيابا(٤) مـــتى نشرتْهـا التِّجارُ
اذا حَـــبَّرتْ أمهاتُ القـــريـ ـض أخبـارَها وبنـــوه الكبارُ،
تمنَّـــوا بجهـدِهـــمُ عفـــوَها على ما سَبَوا غيرَهـــم أو أغاروا
يُقِـــرُّ لمجـــدك إكثارُهـا بما(٥) سلَفتْ أنّه الإقتصـارُ
فإن شفَع العبـــدُ فى مذنبٍ نجت وجروحُ الأمانى جُبـارُ(٦)
وإن بلَغ الشكرُ حـقَّ آمرئٍ فغايتُهـا معَـــك الإنتصـارُ

---

(١) الغرمات جمع غرمة وهى المرة من الغَرْم . (٢) فى الأصل "يجودك" . (٣) فى الأصل "النوس" . (٤) عياب جمع عيبة وهى ما توضع فيها الثياب . (٥) فى الأصل "ما" .
(٦) جبار : هدر وفى الأصـل "حبار" وهو تحريف .

وبلغهُ عن أبي منصور بن ما سرجيس عتابٌ جميلٌ، وذكرٌ طيّبٌ، وتشوّقٌ شديدٌ، وتشوّفٌ الى الوقوف على شيء من شعره، فراسله يسأل ذلك دفعاتٍ، ويخطبُ ودّه، ويرغبُ اليه في غِشيانِه، فاحبّ أن يكونَ أولُ ما يفسح به المودّةَ أمرا يخصّه، فكتب اليه هـذه القصيدةَ، وأنفذها يوم فِصح النصارَى بعد الخجل وتكرّر الرغبة

شواردُ حـظٍّ لا يَقِـرُّ نَفُورُها	ورِبقـةُ هـمٍّ لا يُفـكُّ أسيرُها
وصحبـةُ أيّام تُعَـدُّ حظوظُها	قِصـارا اذا عُدّتْ طِوالا شهورُها
ونزعٌ بأطماعٍ ضِـعافٍ تمـدُّها	أمانيُّ لم يَقبَـلْ يمينا مُعـيرُها
أمرُّ عـلى عَميائها أسـتدلُّها	وآوِى الى بَلهائهـا أستشـيرُها
بوارقُ ما للعين إلا وميضُـها	ولا للثرى العطشانِ إلا غُرورُها
تعجّبُ من صبري وعندي خَلوبُها	ومُصعقُها وعنـد غـيري مَطيرُها
أجِـدَّك لم يأنس فمي بشـديِّهـا	فأسـئلُ عن أخلافها ما دُرورُها
وجاذبتهـا ثم آستمرّ ضرورةً	مَريري على ما سـاءنى ومَريرُها (١)
كأنّى اذا لم أقضِ منهـا لُبـانةً	وقـد نضَبتْ أوطارُها ونُذورُها،
وأنّى تراني أغسـلُ الدمَ موجَعا	أو العـارَ فأعلم ثَمَّ أني عقـيرُها
عطاءٌ عـلى التقتير إلا غـديرةً	تزاحَمَ حول الأربعين قَتيرُها (٢)
غرابيبُ (٣) من لون الشبيبةِ وُقَّعٌ	أسـفَّ (٤) من الأيّام بازٍ يُطيرُها

(١) المرير: الحبل اذا أحكم فتله وآشتد ويقال: استمرّ مريره أى آستحكم عزمه . (٢) القتير: الشيب أو أوّل ما يظهر منه . (٣) غرابيب: سود، وهو وصف لموصوف محذوف يراد به الغربان على جرى عادة العرب في تشبيه الشيب . (٤) أسفّ: دنا في طيرانه من الارض حتى كادت رجلاه تصيبانها .

(١٤٩)

تُقَسِّى القلوبَ بعدها وحشةٌ لها ... كأنّ قلوبَ الغانيات وُكورُها

تُرِى بوجوهٍ أنها بجمالها ... تصيدُ وما الأشراكُ إلا شعورُها

أجاور فى شيبى عيونا قويّةً ... على جزَلِ الشَّيبِ المغالطِ حُورُها

وكلّ بياضٍ فضلةٌ لا يليقُها ... اذا لم يكن إلا السواد يَضيرُها

سلا جمراتِ البين بى : كيف دُستُها ... يوقَّدُ بالأنفاس تحتى سعيرُها

حملتُ بقلبى منهمُ وهو حبّةٌ ... ومن عِيسهم ما لا تُقِلُّ ظهورُها

تلفتُّ بالأظعانِ رَفعا ومَهبِطا ... تعوّجُ لى أو تستقيمُ سطورُها

بعشواءَ من فرطِ البكاء كأنما ... تواعدَ نارُ الحىِّ بَيْنًا ونورُها (١)

وفيمن نكرتُ الحلمَ من جزَعٍ له ... صبورُ مقاماتِ الوداع شكورُها

اذا ألجمتنى قولةٌ فصُحتُ (٢) له ... وأقتلُ ألفاظِ الإناثِ ذُكورُها

يدير كئوسا مُرّةً من لحاظه ... وفى فيه أُخرَى حُلوةٌ لا يُديرُها

من العربيّاتِ الكرائمِ درّةٌ ... تُخاض اليها من "تميم" بحورُها

تلوم أمشاعى فى القناعة جالسا ... فهل ثورةٌ تُرضِى المَعالى أثورُها ؟

وأوحدنى كما ترينَ وعفّ بى ... فسادُ مودّاتٍ أرَى وفجورُها

وأبناءُ عَلّاتٍ (٣) أخوها غنيُّها الـ ... ـمريحُ ومولاها الهجينُ فقيرُها

وجوهٌ يصفّيها النفاقُ وتحتها ... بطائنُ من غِشٍّ يشفُّ (٤) كُدورُها

أضمّ القوافى لى تنىءُ عليهمُ ... وليس وراء الخدر إلا نُفورُها

وأوحشها ممّن تُقلّدُ أنه ... سواءٌ حصاها عنده وشذورُها

وأن قياما بالفِناء لذودها ... أعزُّ اذا لم يَرعَ خِصبا مسيرُها

---

(١) مرجع الضمير فيه قوله عشواء فى أول البيت. (٢) فى الأصل "فضحت". (٣) أبناء العَلّات هم بنو أمهات شتى وأب واحد، الواحد: عَلّة. (٤) فى الأصل "يسف".

أفى نُصرة الأعرابِ من حسدٍ لها؟ ومنهم بواديها ومنهم حُضورُها !
وفى قومها من " فارسٍ " للسانها عدوٌّ، فسل فى "قيصر" مَن نصيرُها
لنعلِّ غلامًا أدَّبَ الملكُ رأيَهُ تئطُّ(١) به أرحامُها فيُجيرُها
وما ضرَّ فى غير "الكُفاةِ" ارتخاصُها(٢) اذا ما غلَت عند "ابن عيسى" مهورُها
اذا ما دعتْ أفضى اليه افتراعُها فكان فتاها مَن أبوه وزيرُها
سعى للمعالى سعيَها وهو يافعٌ وأكبرُها من ساد وهو صغيرُها
وهِيبَ وما طَرَّتْ خميلةُ وجهه وأولَى النصولِ أن يُهابَ طريرُها
أراك وما أسديتَ بعدُ صنيعةً يقول الرضا عنها ويَشهَدُ زُورُها
تخالَفُ أقوالٌ عليك اتفاقُها وتكثُرُ أوصافٌ اليك مصيرُها
لقد نفر النادى أبٌ عدَلَ ابنَه اذا خاف نجلاتِ الرجالِ نفورُها
وفى شطَطِ الآمالِ فيك لنفسه وأكثرُ آمالِ النفوس غُرورُها
لمدَّ على العلياء منك فنالها يدًا يذرعُ(٣) الرمحَ الطويلَ قصيرُها
لكم وفضةُ(٤) الآراءِ تبتدهونها(٥) فتُصمِى(٦) اذا الآراءُ أشوَى(٧) فطيرُها(٨)
وما وهنتْ فيها تُقلِّبُ دولةٌ وأنتم لها إلا وفيكم(٩) جُبورُها(١٠)
لقد علمتْ كيف اطرادُ نظامها ليالِىَ إذ تُلقَى اليكم أمورُها
اذا ذُكرتْ أسماؤكم هشَّ تاجُها لأيامه منكم وحنَّ سريرُها

---

(١) تئط : ترق وتحن . (٢) فى الأصل "تحاصها" . (٣) يذرع : يقيس بالذراع، وفى الأصل "يدرع". (٤) الوفضة : المرّة من الوفض وهو العدو والإسراع . (٥) تبتدهونها : تقولونها على البديهة . (٦) تصمى : تصيب المقتل . (٧) أشوى : أصاب شواه لا مقتله . (٨) الفطير : الرأى الذى يبدو من غير تروّ ومنه " إياك والرأىَ الفطير" . (٩) فى الأصل " الافيكم" . (١٠) الجبور : جبر العظم .

حلفتُ بما تحى الحسير أحلّه ‏ ‏ ويوقدُ مما قَــلّدتْهُ ضُـفورُها[(١)]،

رَعَوها الربيعَ فالربيعَ وعطّنـــوا[(٢)] ‏ ‏ عليها الى أن ضاق عنهـا سيورُها[(٣)]،

تَســاقُ الشهورَ والليـالى هــديّةً ‏ ‏ الى ساعةٍ تُوفَى " بجَمْعٍ " أُجورُها ،

"ببطحاء" لو ما أنبتَ الدمُ روضةً ‏ ‏ لروّضَ من جارى طُلاها[(٤)] صخورُها ،

لقد سرّ سمعى ما آستطاع مخـبِّرى ‏ ‏ بودِّك ، والأخبـارُ تَزُرُّ سرورُها

سلاما ووصفـا وآشتياقا بغَيبـةٍ[(٥)] ‏ ‏ ذكتْ لوعتى منهـا وشبَّ زفيرُها

فإنّك للآداب والـــودُّ خاطبٌ ‏ ‏ بشـيرُ العلا فيما خَطبتَ بشـيرُها

فقل : كيف تنبو روضةٌ غاضَ برهةً ‏ ‏ جدَا المـاءِ عنها ثم فاضَ غديرُها؟

محاسنُ أيقظتَ العلا فى طلابهـا ‏ ‏ فقـد[(٦)] نام هاديهـا وقام ضريرُها

فليتك — إن كان المبلّغ صادقا — ‏ ‏ أجابك عفـوا سهلُهـا وعسيرُها

فتحتَ لك الأبوابَ عنها وقد أبَى ‏ ‏ زمانًا حفيظـاها[(٧)] وحُصّنَ سُورُها

لئن كانت "الزبّاء"[(٨)] عِزًّا ومنَعـةً ‏ ‏ فأنت لها من غير جَدْعٍ "قصيرُها"

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصـل هكذا : والظاهر من السياق أنه يريد أن يُقسِمَ بالبُدْن التى تُهـدَى وقد حاولنا تصحيحه وتصحيفه على وجوه شتى فلم نوفّق الى ما يرضى الذوق الأدبىّ فأثبتناه كما هو حرصا على أمانة النقـل . (٢) عطّنوا : اتخذوا لهـا العطَنَ وهو المناخ . (٣) سيورها : جلودها . (٤) الطُّلَى : الأعناق . (٥) فى الأصل هكذا "بعسه" ومنه بدلا من منها . (٦) فى الأصل "فقل" . (٧) حفيظاها : حارساها . (٨) الزباء : ملكة الجزيرة وكان "جذيمة الأبرش" قد وترها بقتل أبيها فغررته وأرته أنها تريد الزواج به فلما قدم عليها قتلته وكان "قصير" من أهل الرأى والحجا عند "جذيمة" ومن ثقاته فذهب الى "عمرو بن عدىّ" وطلب منه أن يثأر لخاله من "الزبّاء" وآحتال على ذلك "قصير" بأن جدع أنفه وخرج كأنه هارب من "عمرو بن عدىّ" حتى قدم عليها ، فلما سألته عن سبب جدع أنفـه قال لهـا : زعم "عمرو بن عدىّ" أنى غرّرتُ خالَه وغششتُه ومالأتُك على قتله فصدّقته وأكرمته ، وما زال بها حتى هيّأ "لعمرو" الفرصة فسار اليها برجاله فلمـا رأته وعلمت أنها لا محالة هالكة مصّت خاتمـا فى يدها به سُمٌّ وقالت : بيدى لا بيد عمرو ؛ وقصتها طويلة .

(١٥٠)

ولولا الودادُ ما بَرزنَ سواجما ... وقد برَزتْ بالغانيات خدورُها
ولا عاقها في عَرضِها(١) لمعاشر ... معارفَها تجْهمُ البصائرُ عورُها
اذا آتسعتْ أيمانُها لعطيّة ... وراجعت الأخلاقَ ضاقت صدورُها
ولكنّها نفسٌ يطاعُ صديقُها ... على حُكمها فيها ويُعصَى(٢) أميرُها
تَمَلُّ بها لا طيبَ نشرٍ يفوتها ... اذا لومستْ ولا جمالَ يبورُها
أزورُ بها دُورَ الملوك طليعةً ... تـرود لِيَ الأخلاقَ ثم أزورها
وفَسَّحَ لها في زينة الفِصْحِ(٣) موضعا ... تقوم به، تُتلَى عليك عُشورُها
ونَسْلُ وأبوك العزُّ ما حنَّ فاقدٌ ... وقام على السّبع الطِّباقِ مديرُها
وأوفَى بها شُعثٌ لكم يُدرسونها ... "مزاميرَ" يستوفي اللُّحونَ "زَبورُها"
مُكبّين للأذقانِ يحتضنونها ... يصانُ عن الصفح العنيف سُفورُها
تفوتكمُ بالسمعِ، والعينُ ما رأتْ ... ودلَّ على ما في القلوب نذيرُها
فأُقسمُ لو قُضّتْ(٤) ضلوعيَ بعدها ... لما آلتأمتْ إلا عليكم فُطورُها(٥)

* * *

وكتب اليه مؤيّد السلطان ذو المجد بن زين الكُفاة بن الصاحب الأوحد ذي السياستين أبي محمد بن مُكرم وهو مؤمَّرٌ على عُمانَ وأعمالِ البحر، يذكر أيّامَ مصاحبته إيّاه في الصِّبا، ويتشوّقُ قربَهُ، ويصفُ آستيحاشَه لمكانه، ويحثّه على زيارته، ويرغّبه في فوائد الإلمام به، ومنافع غشيانِه، فأجابه عن كتابه نثرا بما آشتمَلَ على وصف العذر في التأخر والآرتفاع لسلوك البحر، وقَرَنَ الكتابَ بهذه القصيدةِ يمدحه، ويعرّض بذكر إنسانٍ عتَبَهُ على المودّة، وقصده بالأذيّة من أهله، ويذمُّ اليه بعضَ من ببغداد من مدبّري الأمور، ويصف السفينةَ البحريّةَ وأنفذها اليه

(١) في الأصل "تعرضها". (٢) في الأصل "ويعض". (٣) في الأصل هكذا "رتبة الفسح". (٤) في الأصل "فضت". (٥) فطور جمع فَطْر وهو الشّقّ.

بين "النقا" "فثنية الجزع" سمـــراء ترقب بالقنا السُّمرِ
رصفتْ قلائدها بما سفكتْ من فيض دمع أو دم هَـــدْرِ
ماشئت من حبِّ القلوب أوالـ أجفان فى بيض وفى حُمــرِ
نَزلتْ "منًى" أولى ثلاث "منًى" فقضت نجـيزة ليلة النَّفْـرِ
وجلتْ لأربع عشرة قمـــرا والشهـرُ ما أوفى عـلى العَشْرِ
ترمى الجمـارَ وبين أضلعنـا غرضٌ لهـا ترميـه بالجمـــرِ
من لى على عَطْلى بغـانيـةٍ شبّتْ وشِبْتُ وعمرُها عُمرى
لم تنــوِ فى قَسَمٍ تحِلَّتَـــهُ إلا اذا حلفتْ على الهَجــرِ
قالت وليمت فى ضنا جسدى: طَــرْفى علىّ إسقامه عُذرى
واستُسقيتْ لظماى ريقتَهـا فاستشهدتْ بالآى فى الخمـرِ
وتقــول للعــذّالِ مُغضَبةً: شيَّبتُـه من حيثُ لا يدرى
قبَّلتُ عصيـانًا عوارضـه عمدا فأعدى شَعرهُ ثغـرى

+ + +

وأخٍ مع السرّاء من عُـــدَدى وعلىّ فى الضـرَّاء والشـــرّ
تطوى حشـاه عـلى تبسّمِهِ أضلاعَ مُشرجةٍ(١) على الغِمــرِ(٢)
مولاى والأحداثُ مغمَــدةٌ فاذا انتُضِينَ فَرَى كما تَفْـرى
تَعِبٌ بحفظ هَنـاتِ مَيسَرتى حتى يعـــدِّدَهـا على العُسرِ
الدهرُ ألينُ منـــه لى كنفـا لو كان يتركنى مـع الدهرِ
ومنمِّم المعــروف يخــدعنى إيمـاضُ واضحتيـــه بالبِشرِ
سكَنَ اليفاعَ(٣) وشبّ مَوقِــدَه نارا يغُــرُّبهـا ولا يَقْـــرى
ذى فطنــةٍ فى الشكر راغبــةٍ وغبـاوةٍ بجواب الشكـرِ

(١) مشرجة : مضمومة . (٢) الغِمر : الحقد والغل . (٣) اليفاع : نقيض الحضيض .

فاذا مدحتُ مدحتُ ماطرةً ... واذا عصرتُ عصرتُ من صخرِ

لا طاب نفسًا بالنـوالِ ولا ... محْضَ المودةَ زُبدةَ الصّـدرِ

وأرادنى من غـير ثروته ... أن أستكين لذلّة الفقـرِ

يجو بعـرضى أن يضـام له ... عَرْضُ الفلاةِ(١) وغضبةُ الحُـرِّ

وتنجُّـزُ الأيّام ما وعـدتْ ... فى مثـله وعواقبُ الصـبرِ

"ومؤيّد السلطان" عاليـةً ... يَدُه بتأبيـدى وفى نصرى

لو شئتُ فُتُّ سُرَى النجوم به ... وخَفيتُ(٢) عن ألحاظها الزُّهرِ

ولبلّغتْنِى المجـدَ سابحـةٌ ... بالظّهرِ ليست من بنى الظهرِ(٣)

ترتاح للضّحضاح(٤) خائضـةً ... [وتكُدُّ](٥) بالمتعـمّق الغَمـرِ

تجـرى الرياح على مشيئتهـا(٦) ... فتُخالُ طائرةً بمـا تجـرى

واذا شراعاها لهـا نُشِـرَا ... خفقَتْ بقادِمتيْن من نَسْرِ(٧)

فى جانبٍ لينٌ يُدَفِّعُهـا ... وخِطـارُها فى جانبٍ وَعْرِ

يحـدو المطىَّ الزاجرون له ... وتسـاقُ بالتهليـل والذِّكْرِ

من لى بقلبٍ فوقها ذَكَـرٍ ... مُصْغٍ لعـذلى تابعٍ أمرى

قالوا : الشجاعـةَ ! إنّه غَرَرٌ ... متقاربُ الميقاتِ والقـدْرِ

(١٥١)

---

(١) فى الأصل "الفلاء" . (٢) فى الأصل "حفيت" . (٣) يريد وصف السفينة بأنها تسبح بظهرها وهو جرمُها الذى فى الماء وأنها ليست من الإبل ذوات الظهر (٤) الضحضاح : الماء القريب القعر . (٥) هذه الكلمة غير موجودة بالأصـل فرجّحناها لاتزان البيت أولا ولإتمام المعنى بها ثانيا . (٦) فى الأصل "مشيتها" . (٧) فى الأصل "نشر" وفيه نظر الى قول مسلم بن الوليد فى وصف السفينة

اذا أقبلت راعت بقُنّة قَرْهبٍ * وإن أدبرتْ راقت بقادمتَىْ نَسرِ

قوله : بقنـة قرهب أى برأس ثور وحشىّ مسنّ ، ويراد بقوادم النسر المقاذيف .

يومان فى لُجٍّ فإن فَضُــلا بزيادةٍ فبليــلة العِــبرِ (١)

هيهــات منّى ساحلٌ يَبَسٌ والبحرُ يُفضى بى الى البحــرِ

القصــدُ والمقصودُ من شَبَهٌ فى الجــود أو حدٌّ من الغَـزْرِ (٢)

ما أَنَّ (٣) إلا أنَّ ذا أجِنٌ مِلحٌ وذاك زلالةُ القَطْــرِ

جارَى الملوكَ فبــذَّهم ملك سبق القــوارحَ فى سِنِى مُهُــرِ

وأَرَى بنى الستين عجــزَهُمُ فى الرأى وهو ٱبنُ ٱثنَتَىْ عَشْرِ

لا طارفُ النعماءِ مــنزعجٌ فيهــا ولا مستحدثُ الفخــرِ

من وارثى العلياء ما ٱغتصبوا مجــدا ولا ملكوه بالقهـــرِ

أرباب بيتِ مكارمٍ عقــدوا أطنــابَه بأوائــل الدهرِ

ضربوا على الدُّوَل ٱستهــامُهُمُ (٤) وتقاسمـــوا بالنَّهْى والأمرِ

فى كلّ أفقٍ منهُــمُ عَــلَمٌ مَرعَى العفاةِ وسَــدَّةُ الثَّغْــرِ

أبناء "مُكْــرَمَ" وهى مَعرِفةٌ نصروا ٱسمهــا بإهانة الوفــرِ

قَطَنــوا (٥) وسار عطاؤهم شَبَهــا بالبحــر قامَ ومُلْكُهُ (٦) يســرى

فى كلّ دارٍ من مواهبهـــم أثرُ الحيــا فى البــلدة القفــرِ

وملكتَ ياذا المجــد غايتَهم ما للبِهــامِ (٧) فضــيلة الغُــرِّ

زيَّدتَهـــم شرفا وبعضُهُــم لأبيه مثــلُ الواوِ فى "عمرو"

ســدُّوا بك الغاراتِ منفردا فملأتَ صفَّ الجحفــلِ المَجْرِ (٨)

ودجا ظــلامُ الرأى بينَهُــمُ فوضَحتَ فيــه بطلعةِ الفجــرِ

---

(١) العبر : الساحل والحافة . (٢) الغزر : كثرة الدَّرّ . (٣) ما أنّ : ما هاج وما ثار حتى أشبه صوته الأنين ويريد البحر. (٤) الأستهام : الاقتراع. (٥) فى الأصل " فطنوا ". (٦) يُمْلكه مثلثة : ماؤه وفى الأصل "ملكنه" . (٧) البهام : السود . (٨) الجحفل المجر : الجيش الكثير .

وأبوك يومَ "البصرةِ" اعترفت ... قِمَمُ العــدا لسيوفه النُّــكرِ
ألقى عصًا من عزمةٍ بَــتَرَتْ(١) ... آياتُهـا حدَّ الظُّبَا البُــتْرِ(٢)
لقفَتْ على "الكَرجىِّ" ما أفكتْ ... كفَّاه من كيدٍ ومن مكرِ
فمضى يخــيِّرُ نفسَــه خَوَرا ... ذلَّين من قتــلٍ ومن أسرِ
يجــدُ الفِـرارَ أحبَّ عاجلةً ... لو كُفَّ غربُ الموتِ بالفَرِّ
ورأت "عُمانُ" وأهلُها بك ما ... أغنى الفقيرَ وآمَنَ المــثرى
صارت بجودك وهى موحشةٌ ... أُنسَ الوفودِ وقِبــلةَ السَّفْرِ
يفــديك مبتهجٌ بنعمتــه ... أسيانُ(٣) فى المعروف والــبِرِّ
ألهــاه طيبُ المـالِ يُحــرِزُهُ ... عن طِيبِ ما أحرزتَ من ذِكرِ
يبغى عِثارَك وهو فى تعبٍ ... كالليــل طالبُ عثرةِ البدرِ
قد قلتُ لمـا عقَّ: دع مِدَحى ... زينُ "الكفاةِ" أبرُّ بالشِّــعرِ
أُتركْ مقاماتِ العــلاءِ له ... متأخرا فالصــدرُ للصــدرِ
يا نازحا ورجاءُ نعمتــهِ ... منِّى مكانَ السَّحْرِ(٤) والنَّحرِ
هل أنت قاضٍ فىَّ نذرَك لى؟ ... فلقــد قضت فيك المنى نذرى
أيّامَ لى وحدى الوفاءُ وكــلّ ... النـاس من نَكْثٍ ومن غَدرِ
وأرى نداك اليــومَ فى نفرٍ ... لم يُشرَكوا فى ذلك العصرِ
أُردد يدى ملأى وحاش لمن ... يعتامُ جــودَك من يدٍ صِفْرِ
واعطف علىَّ كما(٥) صددتَ أذُقْ ... طعميك من حُلوٍ ومن مُرِّ
والبسْ من النعماء سابغــةً ... لا تَدَّريهـا(٦) أسهمُ الدهــرِ

(١) بترت: قطعت. (٢) البتر جمع أبتر وهو القاطع من السيوف. (٣) الأسيان: الحزين.
(٤) السحر: الرئة. (٥) فى الأصل "بما". (٦) لا تدريها: لا تجعلها غرضا لها.

تَعمَى النـــوائبُ عن تأمُّلِهـا ... وتُطيلُ فيهـا نَومـــةَ السُّكرِ

مهما تَعُـــدْ[١] خَلَقًا بِجِدَّتِهـا ... تـــزداد بالتقليبِ والنشـــرِ

وآسمـــعْ أُزُرْكَ بكلِّ مالئةٍ ... عينَ الضجيعِ خريدةٍ بِكْرِ

نَسْجُ القريحـــةِ ثوبُ زينتها ... وحُلِيُّهـا من صـــنعةِ الفكرِ

من سحرِ "بابلَ" نفثُ عُقدَتِها[٢] ... سارٍ و"بابلُ" منبِتُ السِّحرِ

وكأنمـا سـاقَ التِّجارُ بهـا ... لك من "صُحَارَ"[٣] لطيمةَ العطرِ

تُمسى لهـا الآذانُ آذنـــةً ... ولو آنهنّ حُجِبـنَ بالوَقْـــرِ[٤]

حتى أراكَ وأحصاكَ معـا ... قُرطانِ "للعَيُّوقِ"[٥] و"النَّسرِ"

هذى الهَـــدِىُّ[٦] على جَلْوَتِهـا ... وعليكم الإنصـافُ فى المَهـــرِ

* * *

وكتب الى الأستاذ أبى طالب بن أيّوب فى النيروز

لعـــلَّ لهـا مع النَّسرينِ[٧] سِـــرًّا ... فدعهـا طائراتٍ أن تَمُـــرّا

ركائبُ واثقينَ من الأمانى ... وأظهُـــرِها بمـا قلتُـــه خُبْرا

تـــلوح خواطفـا فتظُنُّ أمرًا ... بهـا فى الســـيرِ وهى تُريد أمرا

ســـواءٌ عنـــد أعينهـا سِرارا[٨] ... قطعنَ الشهرَ أو سايرن بـــدرا

ولولا أن يخضن مع الدرارِى ... سوادَ الليـــلِ لم يُخْلَقنَ[٩] حُمْـــرا

يُحَطُّ المَيْسُ[١٠] منهـا عن جُنـــوبٍ ... محلَّقَـــةٍ وكُنَّ رحلنَ شُـــعْرا[١١]

---

(١) فى الأصل "بعد" . (٢) فى الأصل "نفت" . (٣) صُحار: قصبةُ عمان وهى بلد مشهور بخيراته وطيب هوائه وكثرة أسواقه؛ واللطيمة : العِيرُ تحمل الطايب . (٤) الوقر : الصمم . (٥) العيوق والنسر : اسما كوكبين . (٦) فى الأصـــل "هادى" ، والهـــدىّ : العروس . (٧) النسران : كوكبان يقال لأحدهما : النسر الواقع وللآخر النسر الطائر . (٨) السرار : ليالى آخر الشهر . (٩) فى الأصل "يحلقن" . (١٠) الميس : الرحل . (١١) شُعْرا جمع شَعْراء وهى الكثيرة الشعر على بدنها .

اذا أرسلنَ فى الحاجات خَطْبًا[(١)] ... حَبَوْنَكَ ثيبًا منها وبِكرا
يَكُنَّ الى فَوارِكها[(٢)] شفيعًا ... يُقَرُّ نِفارَها ويكُنَّ مَهْرا
ووراءَ العزّ نطلبُهُ فإما ... وصلنا أو بلغنا فيه عُذرا
وماء تُحبَسُ[(٣)] الأنفاسُ منه ... وتُستشرَى[(٤)] به اللّهَوَاتُ حَرّا
وردت مع القطا الكُدرىّ منه ... أَجُونًا[(٥)] من بقايا الصَّيف كَدْرا[(٦)]
أُسيغُ شرابهُ المكروهَ حلوا ... اذا قايستُه بالذلّ مُرّا
وبيتِ قِرًى تشرَّف ساكنوه ... يَفاعا يَقسِرون العيشَ قَسْرا
نزلتُ به وفيه غِنًى لقوم ... وسرتُ بجودهم وتركتُ فَقرا
وكالمُهَراتِ فى قَتَباتِ حىٍّ ... حَكَيْنَ رماحَه خَطَرنَ سُمرا
يُردن الخيرَ إلا أنَّ قولا ... يُظِنُّ المستريبَ بهنَّ شَرّا
خلوتُ بنومهنَّ فلم أوسِّدْ ... يدى جنبًا ولا جنبىَّ نُكْرا
ورحتُ وقد ملأتُ الودَّ عينًا ... بما أودعتُها وملأتُ صدرا
وقافيةٍ على الراوى بَجُوجٍ ... خدعتُ نِفارَها حتى استقرّا
تموتُ بموتِ قائلها القوافى ... وتبقَى لى وللممدوح ذِكْرا
فَصُحتُ "ليعرُبٍ" فيها كأنّى ... عَجُمتُ "ببابلٍ" فنفثتُ سِحْرا
طلبتُ لها من الفتيان فَذًّا[(٧)] ... يكون لعقدها المنظومِ نَحْرا
فلم يَعْدُ "آبنَ أيّوبَ" آختيارى ... وقد عمَّقتُ فى ذا الناسِ سَبْرا

---

(١) خطابا : مخطوبة . (٢) الفوارك جمع فاركة وهى المبغضة زوجها . (٣) فى الأصل "يحبس" . (٤) تستشرى : تُفسَد بما يصيبها ، من قولهم : استشرَى البعيرُ عرًّا أى فسد جلده بما أصابه من الجرب . (٥) الأجون : الماء المتغير . (٦) الكدر : الذى فيه كدرة مثل أكدر وكَدِر . (٧) فى الاصل "قدا" .

وما طـــوّفت فى الآفاق إلا	وجـــدتُك أنتَ أينَ طلبتُ حُرّا
جنَبتُ بك الهـــوى كهلا كأنى	جنبتُ يدى الشبابَ المسبكَرّا (١)
وعلّقتُ المـــودّةَ منك كفّى	على زلِقٍ متينِ الفتـــلِ شَزْرا (٢)
دعوتُك والحـــوادثُ ذاهباتٌ	بسَرحٍ (٣) تصـــوّنى طردا وطَـــرّا
وقد طَلَقتْ بنـاتُ الصـــبرِ منّى	كأنى لم أكن للصّـــبرِ صِهرا
فكنتَ أخى هوًى وأَبى حُنُـوًّا	ونفسى نُصـــرةً وبُنىَّ بِـــرّا
حملتَ حمـالةَ الأيّامِ عـنّى	قُلُوصا (٤) فكّنى منهـا وكَـرّا
مغارمُ أشكَلَتْ، أقضَيْتَ حتّى الـ	ـمودّةِ أم قضَيْتَ بهنّ نَذْرا ؟
أشرتُ الى يديك فصُبتَ (٥) عفـوّا	وقد أتعبتَ أيدى المزنِ غَفْـــرا
ولـمـا تلّمتْ منّى الليـالى	أريتُك خَـــلّةً فسددتَ عَشْرا
مَكارمُ لم تُسـابَق فى مــداها	وقد حرَصَتْ عليهـا الريحُ حَضْرا
وأخـــلاقٌ صفتْ من كلِّ غِشٍّ	سكِرتُ بهـا وما عوطيتُ خمـــرا
ملكتَ حسابَها إرثا حـــلالا	فصرنَ لديك حقًّا مســـتَقرّا
أبًا فأبًا من الأعـــلام فيها	نعـــدّهمُ اليك هـــلمَّ جـــرّا
لَعَمْرُ الحاســـديك، وهـل يُبَقّ	لهم حَسَـــدُ الكمالِ عليك عَمْـــرا؟
لقـــد ليموا بمـا نقمـــوا وإنى	لأوسعُهم بمـا حســـدوك عُذرا
أقِلْنى العجـــزَ إن قصّرتُ وصفا	لِـما أوليتَ أو قصّرتُ شكرا
فإنّ علىّ جَهْـــدَ الفكرِ قـــولا	وليس علىَّ عنـــد الغيثِ قَطْـــرا

(١) المسبكر : التامّ المعتدل . (٢) الشزر : فتل الحبـل عن اليسار وهو أحكم لفتله . (٣) السرح : المـال السائم ، و فى الأصل "بشرح" . (٤) القلوص : الوثب . (٥) صبت من صاب المطر يصوب بمعنى انصبّ ونزل ، و فى الأصل " قضيت " .

على أنّ القــوافى الغُــرَّ عنى ... كوافلُ بالذى أرضَى وسَرَّا
تروح عليك أو تغـدو التهـانى ... بهنّ حـوافلَ الأخـلافِ غُزْرا
اذا مَطَرَتْ ترى الأحسابَ بيضا ... بمـا يُثنِينَ والأعراضَ خُضْرا
كأنّ لطيمـةً منهـا أُبيحَتْ ... ببابك ، فارتدعْ[1] ما شئتَ عِطـرا
تمـدّ الدهرَ نيروزا وعيـدا ... وصـوما راجعا أبدا وفِطـرا
فتصحَبُـه بأنفذَ منـه أمرا ... على الدنيـا وأطولَ فيـه عُمرا

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى النيروز

هل عند ريح الصَّبا من "رامةٍ" خبرُ ... أم طاب أن صاب روضاتِ اللّوى المطرُ؟
علامةٌ لك من "أمّ الوليد" أتت ... تعـلو الرياحُ بهـا والمزن تنحـدرُ
كأنّ ما هبَّ عِطـريّاً مجاسِـدُها[2] ... منفوضـةً وكأنّ البـارقَ الأُشُرُ[3]
هـوًى ترامت به الأيّام تُبعِـدُه ... وقرّبتْـه لك الآياتُ والذِّكَرُ
ونازلٌ "باللوى" يسليك صـورتَه ... تيهُ الطريق وينسيك اسمَـهُ الحذَرُ
سرى الى الشرق مشتاقا وما فُقِـدتْ ... عينٌ له "بلوى خبتٍ"[4] ولا أثرُ
يُجشِّمُ البـدرَ أن يشقَى برؤيتـه ... ويلبَسُ الليـلَ زوّارا فيعتكرُ
ما استوطن البيـدَ لولا أنه رشأٌ ... وما امتطى الليـلَ لولا أنه قمـرُ
يا منّـةً للكرى لولا حلاوتُهـا ... ما ذُمَّ — وهو وفاءٌ فى الهوى — السهرُ
مدّ الظلامُ بهـا قبـلَ الصباح يدا ... بيضاءَ بانَ بهـا من أمسـه السحَرُ

---

(١) يقال : ارتدع بالطيب بمعنى تضمّخ .
(٢) المجاسد جمع مجسد وهو القميص يلى الجسدَ .
(٣) الأُشُر : حدّة ورقّة فى أطراف الأسنان .
(٤) لوى خبت : اسم موضع ، وفى الأصل "خبث" وهو تحريف .

فى الضـاربين على "البَلْقـاءِ" باديةً ... يَسبِي لهـا الحرَّ من أبنائه الحَضَرُ

تُصبِي الأحاديثُ عنهـا وهى نازحـةٌ ... والسـمعُ يعلَق ما لا يعلَق البصرُ

سمراءُ غارتْ عليهـا — وهى تُشبِهها (١) ... فى القدّ واللون — تحميها القنا السُّمُرُ

تَلينُ خَلْقًا و يجفـو خُلْقُها فكأنْ ... فى جسمِها المـاءِ (٢) أُلْقِي قلبُهـا الحجـرُ

"سعديّة" تدّعى أنْ الوفاءَ لهـا ... من صُلب "حاجبَ" حبلٌ ليس ينبتر (٣)

فـا لها وفـؤادى فى خِفارتها ... والشـوقُ يرعاه ظلمـا ليس ينتصرُ

لوشاء بعـدُ جِوارِى وهو مطّـرِحٌ ... من شاء، قال: "التميميّون" قد غدروا

ما أنكرتْ "أمُّ خير" وهى معرضة؟ ... أغيرَ أنْ لوّنتْ من لِمّتِى الغِـيَرُ؟!

وَفَى الصِّبَا للهـوَى إذ (٤) كان حالفه ... لا يُخلِقُ الحبُّ حتى يُخلِقَ الشَّـعَرُ

أرى المنى بعـدُ تُملِي لى بسـوالفَها ... وفى المشيب الذى آستقبلتُ مزدجَرُ

أشتاق حاجاتِىَ الأولَى وتجـذبنى ... الى آتبـاع النُّهى حاجاتِىَ الأُخَـرُ

ما أشرفَ الحـلمَ لولا ثِقل محمِـلِهِ ... وأجمـلَ الصمتَ لولا قولهم: حَصَرُ

وما أعزّ الفـتى فى ظلِّ عفّتِـهِ ... لو شُـوورِ الحزمُ أو لو صحّت الفِكَرُ

ما لكَ (٥) فى الحِرص إلا فضـلُ ذلّته ... والرزقُ يفعل فيـه ما آشتهى القـدَرُ

خُلْقانِ فى هـذه الدنيـا مُعاسِرةٌ ... ما طولِبتْ، وبها إن تورِكت يُسُرُ

قنعتُ منهـا بمـا بلّ الصـدَى كِبَرًا ... من همّتى ظنَّ قـومٌ أنه صِـغَرُ

أسوِّفُ العيشَ حسنَ الظنّ أجبُرُه ... على فسادٍ وجَـبْرُ الظنِّ منكسرُ

مرقِّعا بالمُنَى أرجـو غدا فغـدا ... تأتى الحظوظُ وحظّى بعـدُ منتظَرُ

رضًا بنفسِيَ أو ودٌّ آمرئٍ ثِقـةٍ ... أغنَى به، وغنىُّ المـالِ مفتقِـرُ

(١) فى الأصل "تشب". (٢) يريد فى جسمها الذى هو كالماء. (٣) ينبتر: ينقطع، وفى الأصل "ينتشر". (٤) فى الأصل "إن". (٥) دخل الطىّ على هذه الكلمة وهو حذف الرابع الساكن وقد كرر كثيرا فى هذه القصيدة.

وإن مدحتُ ففخـــرٌ (١) لا أعابُ به ... ولا يكذِّبُ إخبارى به الخُــبُرُ

اذا غلوتُ بقـــولٍ فيـــه لم ترنى ... الى المـــروءة فيما قلتُ أعتـــذرُ

حدِّثْ بفضلِ بنى "عبدِ الرحيم" وما ... طابوا على قِـــدَمِ الدنيا وما كثُروا

وآستشهد الصُّحُفَ الأولى بمـا نقلت (٢) ... عنهـــم وما قصَّت الآثارُ والسِّـــيَرُ

المكتفيـــن اذا غابوا بشُهرتهـــم ... عن الشهادة والكافين ما حضَروا

أبنـاء ذِروة هـــذا الملكِ قد فرَعوا ... سَنامَه يطلبون النجمَ ما آنحـــدروا

تملَّكوا قَـــرَبَ (٣) الدنيـا وشِرعتَهـا ... لا يَردُ النـاسُ إلا كلَّ ما صـــدَروا

لا تستخفُّهـــم الأحداثُ إن طرقت ... عن الحُلومِ ولا يُطغيهـــم البطَـــرُ

اذا بـــلوتَ تُقـاهم أو بصـائرَهم ... فى نعمةٍ شَكَروا أو نكبةٍ صبَروا

تكلَّموا وأَرَمَّ (٤) النـاطقون لهـــم ... لا يؤمَرون ولا يُعصَوْن إن أَمَروا

يُدعَون فى السنواتِ الشُّهبِ (٥) جامدةً ... فيفعلون بهـا ما يفعـــلُ المطـــرُ

غاض الفُراتُ وضنَّ المزنُ وآنبعثتْ ... فى المـــزنِ تُعصَرُ أيديهـــم فتنعصرُ

لو ركَّبوا فى أعاليهـــم أناملَهـــم ... [يوم] (٦) الوغَى خُضِّرتْ أطرافُها الحُمُرُ

إن كنتَ فيمن طواه البينُ ممـــترياً ... منهـــم فعنـــدك من منشورهم خَبَرُ

هذا "الحسينُ" حياةٌ خُلِّدتْ لهـــمُ ... ليسوا بأوّل موتَى بابنهـــم نُشِروا

صَـــلَّى (٧) فزادت على السُّبّاق حَلبتُـــه ... محـــلِّقُ العُرفِ جارٍ خطـــوُه حُضُرُ (٨)

كالسهـــم أَحرزَ ذكرا يومَ تُرســـله ... لم يُعطِـه أبواه القـــوسُ والـــوتَرُ

عُصـارة فضَلتْ فى الطِّيب طينتَهـا ... والخمـــرُ أطيبُ شيء منـــه يُعتصَرُ

---

(١) فى الأصل "لخز". (٢) فى الأصل "انقلبت". (٣) القرب: طلب الماء ليلا.

(٤) أرمّ: سكت. (٥) الشهب: البيض، و يكنى بالبياض عن الجدب والقحط. (٦) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل. (٧) صلّى الجوادُ اذا جاء بعد الذى جلّى. (٨) الحضُر: آرتفاع الفرس فى عَدْوه وقد ضُمّت الضاد للضرورة الشعريّة.

لا يعدَم "الصاحبَ" ابنُ الليل قوّسهُ ... طـــولُ السُّرَى وتَنَقَّى(١) عظمَه السَّفرُ
فــوَّزَ فى البيـــدِ لا ظـــلٌّ يَفىء له ... ظُهــرًا ولا يتّقيه من ندًى سَحَـــرُ
تَرمِى به غرضَ الأخطــارِ حاجتُه ... يحـــلو له الِملحُ أو يصفو له الكَدِرُ
يُحسُّ أو يـــتراءى(٢) كلَّ مُخلِفَـــةٍ(٣) ... لا سمعَ يَصـــدُقُه فيهـا ولا نظـــرُ
يرَى سماوتَه(٤) فى المـاءِ يُنكِـرُها ... من طول ما آختلفتْ فى عينه الصُّوَرُ
حتى اذا ملَّت الأقـــدارُ شِقــوتَه ... وحان من سعيه أن يُدرِكَ الظفـــرُ
آنَسَ من جوده نارا مبشـــرةً ... بـــبَرْدِ عيشته من حيثُ تستعـــرُ
بجَـاء يقتاتُها حتى أصاب قِـــرًى ... يأخذُ منــه آشتطاطَ النفسِ أو يذَرُ
بينـا تكونُ البـــدورُ الطائفاتُ به ... ولائذا وتُذَكَّى للقِـــرَى البِـــدَرُ(٥)
فلا خلا منــه ربعُ الفضـــلِ يعمُره(٦) ... بالمـال يُقسَمُ والأقـــوالِ تُدَّخَرُ
وبَيْضـــةُ الملكِ يحميها فما كَرَبتْ(٧) ... مـــذ قام يَشعَبُها بالرأى تنفطِـــرُ
تيمّنوا بآسمــه حتى لقـــد وثقـوا ... لو سار فى غير جيشٍ أنهـــم نُصِروا
طلقُ النقيبـــةِ لم يعقِـــل سعايته(٨) ... عن مطلبٍ "رجبٌ" يُخشَى ولا "صَفَرُ"
غَرَّرَ فى العـــزِّ حتى نال غايتَـــهُ ... وجانبُ العزِّ مركـــوبٌ له الغَرَرُ
لو عِيبَ ما عابه شىءٌ يُزَنُّ(٩) به ... من النقيصـةِ إلا أنه بشـــرُ
حلا له الحمـــدُ حتى ما لَه ثمـــنٌ ... يغـــلو عليــه وحتى مالُهُ هَـــدَرُ

(١) تنقّى: استخرج النِّقْىَ وهو المخّ. (٢) يتراءى بمعنى يرى، وفى الأصل "تنزأ". (٣) المخلفة: السحابة تُطمِعُ فى النزول ثم تَنكُصُ عنه. (٤) سماوته: شخصه. (٥) يريد ذوات البدر جمع بَدرة وهى جلد السخلة. (٦) فى الأصل "يعموه". (٧) كربت: يقال كرب يفعل أى كاد يفعل وهو من أفعال المقاربة ويكثر تجريد خبرها من أن ويقلّ آقترانه بها والمشهور فيها فتح الراء وتُقِيل كسرُها. (٨) فى الأصل "سعادته". (٩) يزنّ به: يظنّ به أو يتّهم به.

لو وَهَبَ المــرءُ يوما نفسَــهُ سَرَفا … لم يَهَبِ النفسَ إلا وهو مختصِــرُ

عَجِمتُ أيّامَ دهرى صــعبةً بكُمُ … فسالمتْــنى وفى أيّامهــا خَــوَرُ

وكان لى عنــدَ حظّى قبــلَ ودِّكُمُ … ثأرٌ فقمتُ بكم كالسيف أثّــئِرُ (١)

فلمّا تَبيَّنْتُكُمُ عــنِّى وبى أبــدا … غرائبٌ وهى فى أوطانهــا فِقَــرُ (٢)

تسرى مراكبَ للأحساب، تَعرِضُها … على العيونِ شِياتٌ (٣) كلُّهــا غُرَرُ

اذا تحــلَّتْ فمعنــاها قــلائدُها الـ … ـضــار أو لفظُها أقــراطُها (٤) الدُّرَرُ

ممّا ولَدتُ وإن خالفتُ منصِبَهــا … "كِسرَى" أبى وأبوها نِسبةً "مُضَرُ"

تسرُّكم وتســوء الحاســدين لكم … ونفعُ قــومٍ لقــومٍ غــيرِهم ضَرَرُ

فى كلِّ يومٍ جديدِ العهــد مبتــكرٍ … تســوقُهــا لكم الرَّوْحاتُ والبُــكَرُ

لهــا بأحسابهــا طُــولٌ وما قطَعتْ … سَــيْرا وفيهــا عن آستحقاقكم قِصَرُ

وقــد سمعتم ســواها قابلــين له … فكيف يحــلو لجانى النحلةِ (٥) الصَّــبِرُ

وإنْ تشابهتِ الألفاظُ وآتفقتْ … فرُمّةُ (٦) الحبــلِ شــكلا حيّــةٌ ذَكَرُ

* * *

وقال فى غرض له

ياليــلةً ما رأتهــا أعينُ الغِــيَرِ … لم ينجُ لى قبلَهــا صفــوٌ من الكَدَرِ

كأنهــا ســاهمتنى فى السرور بمــا … أولت فطالت، وعمرُ الليل فى القِصَرِ

يئست من صبحها حتى آلتفتُّ الى … وجهِ العِشاء أعزِّيه عن الســَّحَرِ

كم يوم سُخْطٍ صفا لى منه ليلُ رضًا … حتى وهبتُ ذُنوبَ الشمسِ للقمــرِ

---

(١) أثّئر : أُدرك ثأرى، وأصله أثتئر قُلبت التاءُ ثاءً . (٢) فِقَر جمع فقرة وهى العَلَمُ من جبل، ويريد بذلك أن قصائده أعلامٌ فى مواطنها . (٣) شيات جمع شية وهى العلامة . (٤) فى الأصل "قراطها" . (٥) فى الأصل "النخلة" . (٦) الرمة : القطعةُ من حبل بال .

وكتب الى حضرة مؤيّد الملك أبي عليّ الرخّجيّ في المهرجان وهو بواسط، يمدحه وقد آستبطأ خدمته، وأنكر تأخّرها عنـه، ويذكر وقوفَ أمره في أشياءَ أنعم بترتيبها من معيشته خلفاءُ له، وتولّى إنشادَ هذه القصيدة أبو طالب بن أيّوب

تَغــرَّبْ فبـالدار الحبيبـةِ دارُ ... وفُــكَّ المطـايا فالْمُنـاخُ إِسـارُ

ولا تسأل الأقـــدارَ عمّـا تجـرُّه ... مخـافةَ هُــلْكٍ والســـلامــةُ عارُ

اذا لم يَسَعْها الأمنُ في عُقـر دارِها ... نخاطِرْ بها، إنّ العــلاءَ خِطارُ

أرى إبلي تَعصِي الحُــداةَ كأنمـا ... بــوازلُها تحتَ الحبـالِ بِكارُ

تَقامصُ من مسّ الهوان جُنوبُهـا ... كأنّ الأذى طــردٌ لهـا وعَوارُ

تَحَسَّى(1) القذَى المنزورَ من ماءِ أهلِها ... وتأبَى النمـــيرَ العِـــدَّ وهْو(2) بحـارُ

ومـــذ علِمتْ أن الخَشاشَـةَ(3) ذِلّةٌ ... ففي خَطْمها مِن أن تُخَشَّ نِفارُ

لغـــيرِي قِـــرَى ألبانِهـا ولحومِها ... ولاقِحَـــةٌ(4) من أُدْمِهـا(5) وحُــوارُ(6)

متى دبَّ ماءُ الضيم فيهـا فلم تُعـَدْ ... مطىٌّ قفـار الأرض وهي قِفـارُ

وإن لم تُناضِلْ من عقودِ نُسوعِهـا(7) ... نصــولٌ نَعَى سيبَ اللِّصابِ(8) تَبـارُ(9)

ظِرَابُ(10) الغضا من تحت أخفافها سَفًا(11) ... يطيشُ وأحقافُ "الغويرِ" حِفارُ

(1) تحسّى محــذوفة التـاء الأولى بمعنى تشرب، وفي الأصــل "تحاشى" ولا تتفق والمعنى.

(2) في الأصل: "وهي". (3) الخَشاشةُ: العود يوضع في أنف البعير. (4) اللاقحة: الناقة تقبل اللقاح، وفي الأصــل "لاحقة". (5) الأدم جمع أدماء وهي التي في لونهـا سمرة.

(6) الحُوار: ولد الناقة من حين يوضع الى أن يُفطم. (7) نسوع جمع نِسع وهو سيرٌ أو حبلٌ من أدَم تشدّ به الرِّحال. (8) اللِّصاب جمع لِصْب وهو مضيق الوادي، ويقال: "أعذب من ماء اللصاب".

(9) التَّبار: الهلاك. (10) ظِراب جمع ظَرِب وهو ما نتأ من الحجارة وحُدَّ طَرَفُه، وفي الأصــل "طراب". (11) السفا: التراب الذي تَسفيه الريح.

كأنّ السياطَ يقتلِعنَ اذا هــوت سَــفائنَ منهـا ، والسرابُ بِحـارُ
مُقامى على "الزَّوراء" وهى حبيبــةٌ مع الظُّلم غَبْنٌ للعُــلا وخَسارُ
وكم حَلّةٍ مجفــوّةٍ ولهـا الهــوى وأخرى لهـا البغضــاءُ وهْى تُزارُ
وفى غيرها المجـــدُ الذى كان مَرّةً لهـا شرفٌ فى قُــربه وفخـارُ
اذا حمَلتْ أرضٌ ترابَ مــذلّةٍ فليس عليهـا للكـريم قَــرارُ
وكم عزمةٍ مرتاضةٍ قــد ركبتُهـا نفضتُ بهـا الحاجاتِ وهْى غمارُ
وذى سِـــنَةٍ جمَّعتُ بالنوم عينَــه وأجفانُه عَطْفًـا عليــه طَــوَارُ (١)
صَحَا لى وقد ناديتُ من سَكرةِ الكرى وقــد دار فى عينيْـه منــه عُقارُ
تنجَّزتُ أقصَى جوده وهــو كارهٌ ولم يك للــولَى عــلىّ خِيـارُ
وليلٍ أضافَ الصبحَ تحت جَناحه وحُصّ فــلم يرفعْهُ عنــه مَطـارُ
هجمتُ عليـــه قادحا ببصــيرتى دُجاهُ، وليــلُ الزِّبرِقانِ (٢) نَهـارُ
ومُشترِفٍ (٣) من العفـافِ أطلعتُــهُ (٤) وقــد نام واشٍ واستقام نوارُ (٥)
فــلَم يتَــوَصَّمْنى وساد عــلوتُه بعيبٍ ولم يَنْهَــدْ عــلىّ إزارُ
وقافيةٍ أسهلتُ مجــرَى طريقهـا لهـا فى حُلوقِ القائلين عِثـارُ
نُضـار من القــول الذى لم يُرَدْ به لُجَــينٌ ولم يوجد عليــه نُضـارُ
اذا ما آستبقْن الحسنَ يُبسطْن عن فمى شَردْنَ فــلم يُعــلَقْ لهن غُبـارُ (٦)
يعـــيّرنى قــومٌ خلوّ مَعـاطنى وفيهـم رُغاءٌ (٧) ما آشتهَــوا ونُعـارُ (٨)

---

(١) الطَّوار: ما كان على حَدّ الشيء أو بحذائه. (٢) الزبرقان: البدر. (٣) المشترَف: المكان يشرف عليه. (٤) أطلعته: طلعته وعلمته. (٥) النَّوار: النفورُ من الرِّيبة.
(٦) فى الأصل "غمار" ولعلها "عِصار" وهو أيضا الغبار الشديد. (٧) الرغاء: تصويت الإبل، وفى الأصل "دعاء". (٨) النعار: الصياح والتصويت بالخيشوم، وفى الأصل هكذا "نعار".

ولا عيبَ أن أهزلتُ وحدى وأسمَنوا ... اذا أنا أنجـدتُ العــلاءَ وغاروا
ولستَ ترى الأجسامَ وهى ضئيلةٌ ... نواحــلُ إلا والنفــوسُ كِبارُ
خفِيتُ ونُورى كامنٌ فى قَناعتى ... وما كلُّ ما غَــمَّ الهــلالَ سِرارُ
وكيف أذود النومَ أخشى خَصاصةً ... ولى من كلاءاتِ الوزيرِ جِــوارُ
ونعماه ، إن دهرى أغار حُمــاتَه ... على الحُرّ من مسّ الهـوانِ، تَغـارُ
اذا ضمِنى "مــؤيّد الملك" مانعــا ... فما لدمِ الأيّام عنــدىَ ثارُ
نُكولى اذا أمسكتُ أطرافَ حبله ... قُــوّى وآفتقارى فى ذَراه يَســارُ
سقى اللهُ ماءَ النصر كفًّـا بنانُهــا(١) ... غصــونٌ لهـا دُرُّ البحار ثِمـارُ
وحيّـا على رغم الكواكب غُرّةً(٢) ... أسِـــرَّتُهـا للمعتفين مَنــارُ
ترى الرزق شَفّافا وراء آبتسامِها ... كما شَفَّ عن لَمْـع البروق قِطـارُ(٣)
وزاد آنبسـاطا فى الممالك راحةً ... يمـــينُ الحيـا إن جاودتْه يَســارُ
من القــوم لو(٤) طار الفخارُ بمعشرٍ ... الى غايةٍ فــوق السماء لطــاروا
بَنِى الملكِ ، والدنيـا بمـاءِ شبابهـا ... وأيّامُهـا زُغْبٌ(٥) تــدبُّ صِغارُ
خيـامٌ على أطنـابها "رُنجيــةٌ" ... لهـا فى سمـاوات الفخار ديارُ
وزيريةٌ جَدًّا بجَــدًّا يمُــدُّها ... على المجــدِ عرقٌ ضاربٌ ونجـارُ
يُراحُ عليهـا بالعشىّ لَبــونُهـا(٦) ... اذا رُوِّحتْ على البيوتِ عِشـارُ(٧)
وشَقّ دُجُنّـاتِ الخطــوبِ برأيه ... بصــيرٌ له سرُّ الغيــوبِ جِهـارُ

(١) فى الأصل " بنانها " . (٢) فى الأصـل " الكواعب " وليست بوجيهه ولعلها محرفة كما رجّحنا . (٣) طار جمع قَطر وهو المطر . (٤) فى الأصل "إن" . (٥) زغب جمع أزغب وهو الفرخ نبت ريشه الخفيف . (٦) اللبون : غزيرة اللبن . (٧) عِشار جمع عُشَراء وهى الناقة مضى على حملها عشرة أشهر ، وعُشراء وعِشار كنُفساء ونِفاس ولا ثالث لهما .

اذا رَدَّ فى أعطافه لحظاتِه تشعشعَ سِربالٌ له وصِدارُ (١)

قريبُ الجَنَى حُلوٌ لأيدى عفاتِه وأشوسُ بين العاقرين مُرارُ

اذا ما بدا للعين راقت بشاشةٌ عليه وراعت هيبةٌ ووقارُ

فيُطمِعُ فيه ثغرُهُ حين يُجتدَى ويؤيِسُ منه الأنفُ حين يَغارُ

له اللهُ (٢) من مُلك حميت سريرَه وغايتُهُ للطامعين وجارُ (٣)

وقد نام عنه الدافعون وكُشِّفتْ خَبَاياه للأبصارِ وهى عَوارُ (٤)

مددتَ بباعيْه فلم يُرَ معصمٌ له بارزًا إلا وأنتَ سِوارُ

وغَرَّ بِك الأعداءَ خُلْقٌ مسامحٌ لهم وخلالٌ أن رضيتَ خِيارُ

وما علموا أنَّ النصولَ شوارعٌ على عَلَقِ (٥) الأكبادِ وهى طِرارُ

فإنَّ رقابَ الأُسْدِ دون عراكها مصارعُ للآجالِ وهى قِصارُ

وقد جرَّبوا عزميك والجودُ ساكنٌ على السِّلم والنقعُ الأغمُّ (٦) مُثارُ

وكم لك من يومٍ يُخيِّمُ (٧) شجاعُهُ ولا يَعصِمُ المهزومَ منه فِرارُ (٨)

تَناكَرَ عنه المدْعون فلم يكن سوى آسمك للأبطالِ فيه شِعارُ

وقفتَ له والمرهفاتُ كأنها دَبَى (٩) فوق بَيْضِ (١٠) الدارعين مُطارُ

ولو أنَّ حدَّ السيفِ خانك دونه وَفَى لك جَدٌّ لم يَعقْه عِثارُ

أسِلْ (١١) مُزنَتَيْ كفَّيْك يَغرقْ بها العدا وسِمْ (١٢) بآسمك الأعداءَ فاسمُك نارُ

(١) الصدار : قميص صغير يلى الجسد . (٢) فى الأصل "لك الله" ولعله تحريف .
(٣) الوجار : الجحر . (٤) العوار : العيب . (٥) العلق : الدم الغليظ الشديد الحمرة ، وفى الأصل "غلق" . (٦) الأغم : المظلم ، وفى الأصل "الأعتم" . (٧) يخيم : يجبن وينكص ، وفى الأصل هكذا "نخيم" . (٨) فى الأصل "قرار" . (٩) الدبى : الجراد .
(١٠) بيض جمع بَيضة وهى الخُوذة من الحديد توضع على الرأس . (١١) فى الأصل "أسا" .
(١٢) سم : فعل أمر من وسم بمعنى كوى ومنه الميسم وهو الحديدة التى يُكوَى بها ، وفى الأصل "شم" .

ولا تَلْقَ يــومَ الرَّوعِ إلا مُصالتا ... بجَــدِّك إن كلّت ظُبًا وشِــفارُ
فإنّ لجُرحِ الســيف لا بــدَّ ثائرا ... (١)[له] وجراحات الجدود (٢) جُبــارُ
قضى اللهُ فى حُسَّادِ ملكك أنهــم ... وَقودٌ وأنّ الغيــظَ منك شرارُ
فألسنُهم غيظًا بواردُ (٣) رَطْبةٌ (٤) ... وأكبادُهم خلفَ الضلوع حِرارُ
تناهَوْا (٥) حِـذارا أن يُعَلَّ حديثُهم ... فما بين كلِّ اثنين فيك سِرارُ
ولاموا نجومَ السعدِ جهلا وإنما ... تدورُ لك الأفلاكُ حيث تُدارُ
تُواقِفُ أقدامَ الأســودِ كأنما ... جَنابُك عزًّا أن يُرامَ مُغَارُ
وتَخجَلُ من دفع الحقــوقِ كأنما ... لثامُك من فــرط الحياء خِمارُ
أجبْ دعوةً ياســيّد الوزراء لم ... تُجبْها قريبًا إذ دعتْك مِرارُ
تناديك عن شوق، مواقدُ نارِها (٦) ... فــؤادى، وأنفاسى الحِرارُ أُوارُ (٧)
أُدارِيه خوفَ الشامتين، وظاهرى ... قِياسٌ (٨) لما فى باطنى وعِيارُ
الى كم يُقِلُّ البعدُ ظهرى وكم يُرى (٩) ... لجنبى على جمــر الفراق قَــرارُ
كأنى حِبالَ البعــدِ بينى وبينكم ... يُقَــدُّ أديمى أو حشايَ تُعارُ
وليتَ الزمانَ المطــربى باقترابكم ... كما زال سُكْرٌ منــه زال خُمارُ
يكاد نزاعى نحوكم أن يطــيرَ بى ... وهــل لقصيصٍ فى السماءِ مطارُ
وأُطمِعَ قــومٌ بعدكم فى تهضُّمى ... فشــنُّوا على أحسابكم وأغاروا

(١) هذه الكلمة ليست فى الأصل. (٢) فى الأصل "الحدود". (٣ ، ٤) هاتان الكلمتان وردتا بالأصل هكذا " بوارد طبه ". (٥) هذه الكلمة وردت فى الأصل هكذا " ساهوا " وقد صحفناها الى تناهوا وتياهوا فوجدنا الأولى أحقَّ بتأدية المعنى ومعناها نهى بعضهم بعضا. (٦) فى الأصل هكذا " مواقد نار ". (٧) الأوار: حر النار. (٨) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

* أداريه خوف الشامتين بظاهرين * الخ

(٩) فى الأصل " ترى ".

ولم يعلموا مقـــدارَ عَطفةِ جودكم ... عليَّ فـــلى نقصٌ بهـــم وضِرارُ
اذا حبسوا المـاءَ الذى سُقتموهُ لى ... فمن أيـن تُســقَى سَرحتى وثِمارُ
وقد علمـــوا أن لا آرتجاعَ لنَيلكم ... ولا الثوبُ ممـا تلبَسون(١) مُعـارُ
عسى اللهُ أن يقتـادَ لى بإيابكـم ... فيُدرِكَ من باغى آنتقاصِىَ ثارُ

(١٥٧)

بكلِّ عزيزٍ بذلُهـا عنـد قومها ... لهـا مَنصِبٌ مَعْ حُسنِها ونجِـارُ
اذا خطَـرتْ بين الرُّواةِ حسبتَهم ... يمانينَ فيها يحمِـلون عِطـارُ
تنِمُّ بمـا فيها كأنَّ طروسَها ... لطائمُ أهدتْهـا اليـك "صُحَـارُ"(٢)
تَضوَّعُ رَندًا "فارسيًّا" لجنسها ... "وللعُرْبِ" فيهـا حَنوةٌ(٣) وعَرارُ(٤)
اذا جُلِيَتْ عَطْـلَى(٥) عليك لحَلْيِهـا ... عُـلاك وحُسنُ الإستمـاعِ نِثارُ
على المهرجان وسمـةٌ من جمالها ... "عَرُوبةُ"(٦) منهـا فاصلٌ وشِيارُ(٧)
لئن قَصَّر المقــدارُ خَطوِىَ عنكمُ ... فـلى غايةٌ فى بعثها وقُصـارُ(٨)

* * *

وقال وقد جَرَتْ نَبوةٌ للصاحب أبى القاسم بن عبـد الرحيم بالحضرة ونُفورٌ مع سلطانه فى خطاب، فاقتضت آعتزالَه عما كان اليه ولزومَ بيته، ثم عاد أمرُه الى أحسن ما كان عليـه(٩) رتبةً وآرتقاءً وتمكّنا من الحضرة وآنبساطا، وأفيضت المكارمُ عليه، وضُوعِف الإحسان اليه، وكتب بهـا اليه يُعلِمه بمـا تجدّد، ويذكر التهنئةَ وذِكرَ الحالِ، ويحثّه على إبانة مسرّته بمـا كان يقول فيها، وأنفذها الى واسط

(١) فى الأصل "يلبسون". (٢) صُحار: قصبةُ عُمَان وهى مدينة ليس على بحر الصين أجلّ منها وهى عامرة ومشهورة بطيب هوائهـا وخيراتها وأسواقها. (٣) الحنوة: نباتٌ طيّب الريح. (٤) العرار: النرجس البرىّ أو هو بهارٌ ناعمٌ أصـفرُ طيبُ النّكهة. (٥) عطلَى: غير متحلية. (٦) عروبة: اسم ليوم الجمعة تعريب "أُرُبَا" النبطية أو "عَرو بَتَا" السّريانيّة. (٧) شِيار: اسم ليوم السبت، ولعله أراد تشبيه قصائده بيوم الجمعة والسبت لجلال مقامهما عنـد المسلمين وبعض أهل الكتاب. (٨) القُصار: الغاية. (٩) فى الأصل "اليه".

هل تَقبـــلون إنابةَ الدهرِ أم تُنصِتون له الى عُـــذرِ
أم تَعرفون لقُربِ رَجعتِـــهِ ما كان همَّ بـــه من الغـــدرِ (١)
فلقـــد أتاكم يستظلُّ بكم (٢) من حَرِّ سخطكُمُ ويَســـتذرى (٣)
متنصِّــلا من هفوةٍ، يدُهُ كادت تَشَـــلُّ (٤) بها وما يدرى
خزيانَ يُقسِمُ: لا سـعَى أبدا للمجـــد فى وَهْنٍ ولا عَقْـــرِ
وَسْمُ الندامـــةِ فوق جَبهتـــه ويداه بالإقـــرارِ فى أسرِ
يَلقَ الجراحـــةَ بالدواملِ (٥) من إقلاعِـــه والكَسْرَ بالجَـبْرِ
فآستعملوا البُقيـا التى فُطِرتْ فيها حلومُكُمُ من الصخرِ
وآســـتعبدوه بعفوكم فلكم بالجود من عبـــدٍ لكم حُرِّ
وأنا الزعيمُ لكم بعُهـــدتِه (٦) ووفائِه وشفيعُهُ شِـــعرى
قد كان غمرا لم يجـــد خورا وأظافرا خدشت ولم تفـــرِ
ونوافـــذًا حرِشت (٧) فما انفيت حَرِجًا (٨) ولا متقبِّضَ الصَّـــدرِ
أُذُنٌ تمجُّ الهُجْـــرَ تسمعه ولسانُ صِـــدقٍ حاضرُ النَّصرِ
طرفٌ أشمُّ من الرجال أَبَى فى الضيمِ أن يُعزَى الى صَـــبْرِ
ومـــودّةٌ كَمَلتْ فعـــوّرها (٩) نَبْذٌ من الإعراض والهَجْرِ
عتْبٌ تخلَّص فى تراجمـــه من عثرة الفحشاءِ والهُجْـــرِ
لم يحترِش ضَغَنًـا (١٠) ولا حُنِيتْ عُوجُ الضـــلوع له على غِمْـــرِ
مَـــدَّ الوشاةُ له رقابَهُـــمُ يتطلعون عواقبَ المكـــرِ

(١) فى الأصل "العذر". (٢) فى الأصل "يستطيل". (٣) يستذرى: يستظل ويلتجى.
(٤) فى الأصل "كانت تسل". (٥) الدوامل جمع داملة وهى ما تُبرئ الجرح. (٦) العهدة: الرجعة الى الإصلاح. (٧) حرشت: خدشت. (٨) الحرجُ: الضيِّق وفى الأصل "برحا".
(٩) عوّرها: جعل بها عوارا. (١٠) لم يحترش: لم يجمع، وفى الأصل "تحترس".

يرمون بالأبصار رائــدةً　　أنّى تصُــوبُ سحابةُ الشرِّ
ظنّوا اليــدَ اليمنى اذا بطَشتْ　　قعــدتْ بيسراها عن النصرِ
والنيّران و إن همـا آختلفـا　　فالشمسُ لا تُرتابُ بالبــدرِ
يا خاب سعيُ مرقّشين (١) مشَوا　　بالغشّ بين المـاء والخمرِ
ومسوّلين نفوسَهم حسدا　　أن القِطارَ تُظنُّ كالبحــرِ
خبطوا من التمـــويه فى ظُلَمٍ　　أســـفرن عن مُستبْهَمٍ وعِرِ
لا يســتقرُّ به الدليـــلُ على　　قصٍّ ولا يحنــو على السَّفْرِ
قـــد عانقوا فيـــه رحالَهُمُ　　من قائفٍ أثَرًا ومســـتقرِى (٢)
يَغلى الهجيرُ بهـم اذا آنغمسوا　　فى الآل غَلْىَ المـاءِ فى القِــدرِ
نجواهُمُ فيــه اذا آشتوَروا :　　يا ليتَ لم نركبْكَ من ظَهْرِ
قد طَأمنَتْ فقَعوا لها وضَعوا الـ　　ـجَبَهاتِ موجةَ ذلك العِــبْرِ
وأفاقت الأيّام وآعترفت　　بمكانِ جَهلتها على السُّكْرِ
فتساندوا أسفا الى صَــدَفٍ (٣)　　هاوٍ على مُمطــولةِ القَــعرِ
ملســاءَ لا تجد الاكفُّ بهـا　　عَلَقًا (٤) بأنمــلةٍ ولا ظُفــرِ
عَضّوا (٥) الحصا إن لان من كمَدٍ　　لضروسكم وآمشُوا على الجمــرِ
الله أحسنُ للعـــلا نظــرا　　وأبرُّ بالمعــروفِ والــبِرِّ
وأشــدُّ ضَنًّا (٦) بالمحاسن أن　　يُقوِينَ من عَيْنٍ ومن أثْرِ (٧)
أو أن تُعطَّلَ (٨) بالذى زعمـــوا　　سُنَنُ الهــدَى ومواسمُ الشكرِ

(١) مرقّشين : مزوّرين . (٢) القائف والمستقرى : المتتبع الأثر وغيره . (٣) فى الأصل ''صدق''. (٤) العلق : مصدر بمعنى التعلق . (٥) فى الأصل : ''غضّوا''. (٦) فى الأصل ''صبا'' . (٧) يريد ''أثَر'' وسكنت الثاء للضرورة . (٨) فى الأصل '' تعطلى'' .

والمُلكُ يعـلم أىّ[1] سيفٍ وغًى   يَمضى وسهمِ رميَّـة يَبرى
وترى الرجالَ وفوتَ[2] بينِهِـمُ   مثلَ البِهـامِ[3] تُقاس بالغُـرِّ[4]
فيُعَدُّ للجُـلَّى أتمُّهُـمُ   باعا وأحفظُهم قُـوَى أَسْرِ[5]
وأخفُّهم فى صدر موكبه   سَرْجا وأثقلُهم على الصـدرِ
ورأوا ظلامَ الأمر منذُ خبـا   عنهـم سراجُ النُّهى والأمرِ
قبضوا الذراعَ الرَّحبَ واعتقدوا   أنّ السماءَ تُقاسُ بالفِـترِ
واستصغروا عفوَ اللبيب فما استغنَوا بجهـل الغافل الغَمْرِ
حتى اذا أبَّتْ[6] حلومُهُـمُ   فرًّا طليعـةَ رأيهـم تَسرى ،
عادوا وقـد خَفَّ البُغاثُ بهم   يستطعمون مخالبَ النَّسرِ
فاقـلْ عِثارَهمُ فإنهـمُ   رجعوا اليك رجـوعَ مضطَرِّ
واحملْ — كما عوَّدتَ — ثقلَهمُ   وانهض لهم بالنفع والضرِّ
وأعـدْ مناكبهم كما ألِفتْ   بك من ثياب العزّ والفخـرِ
وتَمـلَّ ما أُلبِستَ من نِعَمٍ   تكسو الزمانَ بهـا ولا تعرى
هذى ثمـارُ الحِلمِ مُجلَبَـةً[7]   فتهنَّها ونتيجـة الصَّـبْرِ
وعواقب الحسنى ، وواحدة الـ   ـحسنات عنـد الله بالعَشْرِ[8]
قد كايلوك بقـدر وُسعهمُ   من رفع منزلةٍ ومن قـدرِ
فاقنع ولا تُخجِلْ مَكارمَهـم   بظـلالِ عالٍ مالُهُ يَجـرِى[9]
ومتى ترمْ ما تستحقُّ فقـد   كلَّفتَهُمْ ما ليس فى الدهرِ

---

(١) فى الأصل "أن" . (٢) فى الاصل "وقوت" . (٣) البهام : السود .
(٤) الغر جمع أغرّ أو غرّاء ، وفى الأصـل "الغر" . (٥) الأسر : شـدّة الخلق .
(٦) أبّت : تهيّأت للسير وتجهزت ، وفى الأصل "أنت" . (٧) مجلبة : مجموعة . (٨) يشير الى قوله تعالى (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) . (٩) فى الأصل "تجرى" .

شمخَتْ بأنفك عِزّةٌ قَعَسَتْ (١) أن تستقادَ بمِخطَمِ القَسرِ (٢)
ضَمّاءُ من "عبد الرحيم" لها عِرقٌ يمُدُّ إلى "مَنُوجَهْرِ" (٣)
دَرَجَ القرونُ وبيتُ مَفخَرِها عالى العِمادِ مخلَّدُ الذِّكرِ
طابت أحاديثُ (٤) الملوكِ ولا كالعَرْفِ من آبائك الغُرِّ
الناضلين بكل صائبةٍ فى الرأى ضافيةٍ (٥) على النَّفْرِ (٦)
سيّارةٍ فى الأرض سنّتُها بالعدل سيرَ الأنجم الزُّهْرِ (٧)
والباسطين لمنع جانبهم بُوعا تطولُ على القنا السُّمرِ
وإذا الكماة دُعُوا فصدُّهُمُ حَيْنٌ يُغالَطُ عنه بالوَقْرِ
شدُّوا الفِجاجَ الى صريخِهِمُ (٨) يتكاثرون تكاثُرَ القَطْرِ
لهم الجفانُ البيضُ ضاحكةً تحت الليالى الكُلَّحِ الغُبْرِ
يتنازعون على الحديث، بها يَقْوَى مقِلُّهُمُ على المُثرى
كرماء معترفُون إن طرقَتْ أمُّ السنينَ بحادثٍ نُكْرِ
صبروا على البؤسى تعمُّهُمُ فكأنّهم أثرَوْا من الفقرِ
أنشرتَهم بعد الدُّثور كما ولدوك بعد الطىِّ والنشرِ
بك أورقت للجد دوحتُهُ واهتزّ فى أفنانه الخُضْرِ
وأضاء للأقوال مسلكُها فمضى النجاحُ بركبها يَسرى
حلفَ السماحُ عليك: لا وَصَلَ الـ ـأسبابَ بين يديك بالوفْرِ

---

(١) قعست : علت وعزّت . (٢) المخطم : حبل يقتاد به البعير و يثنى على خطمه أى أنفه .
(٣) منوجهر : أحد ملوك الفرس . (٤) فى الأصل "أحادث" . (٥) ضافية : سابغة تقوم مقام الدرع ، وفى الأصل "صافية" . (٦) النفر : القوم ينفرون معك و يتذافرون فى القتال . (٧) فى الأصل "بالعدّ" . (٨) فى الأصل "ضريحهم" .

ومن العجائب أن تطيعك فى ... قبض يدٍ هى جدولٌ يجــرى (١)
أنا ذلك المــولى المقيمُ على ... صدقِ الهوى وسلامةِ الصدرِ
محفوظةٌ عنــدى ودائعكم ... فى الودّ حفظَ نفائسِ الذخر
خَــلَّى الأقاربُ عنكمُ ويدى ... معصومةٌ بكمُ الى الحشــرِ
لا نبــوةُ الدنيـا تغــيّرنى ... عنكم ولا متغــيّرُ الأمرِ
ناديكمُ ظِــلِّى ودولتُكم ... عِزّى وعمرُ سعودِكم عمــرى
جاهرتُ فيكم بالعــداوةِ مَنْ ... تُخشَى العــداوةُ منه فى السرّ
ولقيتُ قــوما دونكم كرهوا ... أيامَكم بقــواصم الظهــرِ
كم قــولةٍ جرَّعتُ قائلَهـا ... غُصصا بتكذيبٍ له مُرِّ
وحملتُ أخرَى خفتُ صاحبَها ... أطوِى الجناحَ له على الكَسْرِ
حتى تَسرَّى الخطبُ وآنفرجتْ ... كُرَبُ الدجى بتبلُّج الفجــرِ
فالان يانفسى لهـا آنفسحى ... جَذَلا وياعينى لهـا قَــرِّى
وآنهض بجهدك يالسانِىَ فى الـ ... بُشرَى لهـا وتَصَفَّ يافكرى
وآبعث ضوارعَ عنك نائبــةً (٢) ... إن أخّرتْك عــوائقُ الدهرِ
ولَاجَةً، تطأُ الصــدورَ بهـا ... كَلِــمٌ توسّعُ ضيّق العُــذرِ
نفّـاثةَ العُقَــداتِ تحسبُهـا ... هبَطتْ الى "هاروتَ" بالسحرِ
وكأنمـا نَفَضَ التجارُ بهـا ... بين البيوت حقائبَ العطــرِ
يَشْقَى بهـا المتحرِّشــون (٣) كما ... تشقَى يدُ المشتـارِ (٤) بالدَّبْــرِ (٥)
فاستقبـلوا غُرَرا مُوَحَّــدةً ... سبقتْ لكم من واحدِ العصرِ

---

(١) فى الأصل "قض". (٢) ضوارع : مبتهلات، وفى الأصــل "صوادع".
(٣) المتحرشون : المتعرضون، وقد وردت هــذه الكلمة فى الأصــل هكذا "المحوسون".
(٤) المشتار : جانى العسل. (٥) الدبر : جماعة النحل.

وتمسّكوا منّى بجوهرة الـ ـغوّاص وآحُوا معـدن التبرِ
واقضوا نذورَ الشّعر فِىّ فقد قضَّيْتُ فيكم شاكرا نذْرى

✦
✦ ✦

وقال وكتب بها إلى أبى المعالى فى النيروز

اذا رُفعتْ من "شَرافَ" الخدورُ فصبرَك إن قلتَ : إنى صبورُ
ستعلمُ كيف يُطَـلُّ القتيـ ـلُ بعد النوى ويُذَلُّ الأسيرُ
فإن كنتَ منتصرا فاستقدْ بثأرك والعيسُ عَجْلَى تثورُ
وإلّا فَلِنْ جانبا للفراقِ فما كنتَ أوّلَ جَلْدٍ يخورُ
ألا تُسعدانى بعينيْكما وما كنتُ قبل الهوى أستعيرُ
فقد حار لحظِىَ بين آثنتين : هوًى منجدٍ وخليطٍ يغورُ
ترى العينُ ما لا يراه الفؤادُ فيقصدُ قلبى وطرفى يجورُ[(١)]
وقفتُ وقد فاتنى بالحُمو لِ غضبانُ ليلٍ سراه قصيرُ
عنيفٌ اذا ساقَ لم يلتفتْ لساقٍ تَطيحُ ومُخٍّ يَريرُ[(٢)]
كفاه مع العيس حسنَ النشاط حنينِىَ فى إثرها والزفيرُ
ولما تعيَّفتُ فآستعجمت مَيامنُ كانت بخيرٍ تطيرُ
ولم ادرِ والشكُّ يَنفِى اليَقينَ[(٣)] إلى أىِّ شِقَّىَّ طريقٍ أصيرُ
تَنَبَّهَ، من هاجعاتِ الرياحِ فدلَّ عليكم، نَسيمٌ عطيرُ
وخاطَفَ عينَىَّ برقٌ تُشا مُ فى حافتيْه الطُّلَى والنحورُ
وفى الظُّعْن مشتبِهاتُ[(٤)] الجَما لِ تَشقَى بأعجازهنّ الصدورُ

(١) فى الأصل "يحور" . (٢) يرير : يذوب . (٣) فى الأصل "يلق" .
(٤) فى الأصل "مشبهات" والبيت بها لا يتّزن .

حملنَ الى قتلنـا فى الجفون … سـيوفا حمائلهن الشعورُ
وقُـــلِّدنَ دُرًّا تحـــدَّثْنَ عنه … كأنّ قـــلائدَهنَّ النحـــورُ
بكيتُ دَمًا يوم "سفحِ الغويرِ" … وذاكَ لهم ـ وهو جهدى ـ يسيرُ
ومن عجبِ الحبّ قَطْرُ الدما … ءِ من مقلتى وفؤادى العقـــيرُ
وليـــلٍ تعلَّقَ فيـــه الصباحُ … فمـا يستَسِرُّ وما يستنـــيرُ
يعـــود بأوّلِ نِصفيْـــه لى … اذا قلتُ : كاد وجاء الأخـــيرُ
كأنّ ســـنا الفجر حيرانَ فيـ … ـه أعمَى تقاعدَ عنه بصـــيرُ
نســـيرُ به ونحطُّ الركابُ(١) … وغيهبُـــه جانحٌ لا يســـيرُ
كأنّ الـــثريّا على جنحه … يدى من مَقام الهوى تستجيرُ(٢)
سريتُ أشاورُ فيـــه النجومَ … ومالِىَ بالصبح فيها بشـــيرُ
إلى حاجةٍ فى العـــلا همّتى … إليهـا تطول وحظّى قصـــيرُ
وهـــل ينفعُ الرمحَ ، مالم يُنَطْ … بكفٍّ تُطاعِنُ ، نصـــلٌ طريرُ
عَذيرِىَ من وجه دهرى الوَقاح … وأين مـــن المتجنّى عَـــذيرُ
ومن غَـــدرِ(٣) أيّامه العادياتِ … على ما أذمَّتْ عليـــه تُغـــيرُ(٤)
ألم يكفِهـا أنّ غصنَ الصِّبا … ذوَى وآســـتردَّ الشبابَ المعيرُ
ولو نظـــرَتْ حسَنا لم تَمِـــلْ … علىَّ ومالِىَ فيهـا نظـــيرُ
وموَلًى اذا أنا قلتُ : آحتكم … تفاحشَ يحبِسنى(٥) أو يجـــورُ(٦)
رمانى وقال: آحترِسْ من سواىَ … ليشعَبَ قلبِىَ منه الفُطـــورُ

(١) فى الأصل "يسير به و يحطّ الركاب" .
(٢) معناه أن أنجم الثريا تشبه يده حين يرفعها مستعيذا من الحبّ .
(٣) فى الأصل "عذر" .
(٤) فى الأصل "تعير" .
(٥) فى الأصل محسنى .
(٦) فى الأصل "يحور" .

ألم يأتِـه أنّـه لا يُجَسُّ (١) غَورى ولا يطَّبيني الغـؤور (٢)

وأن حِمَى "هِبـةِ الله" لى من الضيم لو رام ضيمى مجيرُ

ومن يعتصمْ بمعالى "أبى الـ ـمعالى" يبِتْ كوكبا لا يغورُ

يبِتْ للغـزالةِ من دونه ذراعٌ قصـيرٌ وطرفٌ حسيرُ

حَمَى سَرحَ ســودَدِه أن يرا عَ أشوسُ دون حِماه هصورُ

وقام بنُصـرة إحسانه فتًى لا يُخـذَّلُ وهو النصيرُ

طليقُ المحيا اذا ياسـروه وجَهـمٌ اذا حاربوه عسـيرُ

له خُلُقـانِ من المـاء ذا كَ ملحٌ وهذا فُـراتٌ نميرُ

وطعانِ إن طَمِعَ الحلْوفيـ ـه قام يدافعُ عنـه المـريرُ

اذا انْتُهِكتْ للعـلا حُرمـةٌ تمـرَ منـه أبىٌّ غيـورُ

وإن جئتَ محتلبا كفَّـه سق من أوامك ضرعٌ دَرورُ

وفَى بالسيادة لَدْنَ القضيبِ (٣) ولم تتعاقبْ عليـه العصورُ

ورُشِّح عاتقُـه للنِّجاد ولم تُـلْقَ أحرازُه والسـيورُ

حمولٌ قـويمٌ قنـاةِ الفَقـارِ (٤) اذا ركعتْ للخطوبِ الظهورُ

رحيبُ الأضالـع ثَبْتٌ اذا تنفَّس من ضِيقهن الصَّجورُ

غـنىٌّ بأولِ آرائـه اذا ما آستبـدَّ فما يستشـيرُ

سمـاتُ آبنِ عشرين فى وجهِه وفى حلمـه عشَراتٌ كثيرُ

كريمٌ تفـرَّع من أكرميـ ـنَ، كَوْرُ (٥) نجـارِهمُ لا يحـورُ (٦)

---

(١) فى الأصل "يحس" . (٢) الغؤور : الدخول فى الشىء . (٣) لدن القضيب : كناية عن غضارته وصغر سنه . (٤) قناة الفَقار : كناية عن العمود الفقرىّ . (٥) الكَوْر : الزيادة .

(٦) لا يحور : لا ينقُص ، ومنه الحديث " نعوذ بالله من الحَوْرِ بعد الكَوْر" ، وفى الأصل " لا يغور" .

وُسُومُهُمُ فى جباهِ الدهـــو ر بالعـــزّ تبقَ وتفنَى الدهورُ
اذا مات منهـــم فتًى فآبنُـــه حيـاةٌ لسؤدُده أو نشـــورُ
بنَى البيتَ لا ترتقى الفاحشاتُ اليـهِ ولو حملتْهـا النُّســـورُ
رفيـعُ العمادِ تـــرى بيتَـــه مكانَ آبتنى منكِبيْـه "ثَبيرُ"(١)
تَزالَقُ عنـــه لحـاظُ العيونِ فترجعُ عن أفْقـهِ وهْى زُورُ(٢)
ولو لم يكـنْ فى العلوِّ السماءَ لمـا طلَعتْ منه هذى البدورُ
لنـــيرانهـــم فى مُتونِ اليَفاعِ لحـاظٌ الى طارق الليل صُورُ(٣)
مواقـــدُ تُضرَمُ بالمنـــدلىّ(٤) وتُنحـــرُ من حولهنّ البُـــدورُ
عُلًا شادَها مجدُ "عبد الرحيم" على خُطّةٍ خطّها "أرْدَشِيرُ"
فروعٌ لهـــمْ قَـلَمُ المُلك من أصـولٍ لهـــم تاجُهُ والسريرُ
فـــداكم شقىٌّ بنُعماكُـمُ تلَمّ عَجْـــزا وأنتم سُـــفورُ
له حين يبطُشُ باعٌ أشـــلُّ من دونكـم وجَنـاحٌ كسيرُ
ضعيفٌ جناحِ الحشا بائحُ الـلسان بمـا ضمّ منه الضميـــرُ
يغيض بأذرعكـم فـــترُه وكيف ينـالُ الطويلَ القصيرُ
تدورُ عليـــه رَحَى غيظـــهِ بكم وعليكم تدورُ الأمـــورُ
على صـــدره حسَدٌ أن غَدَتْ بأوجهكم(٥) تستنيرُ الصـــدورُ
لكم كلّ يـــوم بمـا ساءه بشـــيرٌ ومنكم اليـــه نذيرُ

---

(١) ثبير : اسم جبل، وفى الأصل "تبير" وهو تحريف. (٢) زور : جمع زوراء وهى المائلة فى عوج وفى الأصل "صور". (٣) صور، مائلات. (٤) المندلىّ : العود أو هو المنسوب الى مَنْدَل وهى بلدة بالهنـد. (٥) فى الأصل "بأوجهك"

فللسيف والسَّرج منكم فتًى أميرٌ وللدَّست منكم وزيرُ
وليس له غيرَ عضّ البنان وذمِّ الزمان عليكم ظهيرُ
بكم وضَحتْ سبُل المكرُماتِ وبات سِراجُ الأمانى يُنيرُ
ومالتْ الىَّ رقابُ المديـ ـح تُصحِبُ(١) وهى عَواصٍ(٢) نُفُورُ
وكان جبانا لسانُ السؤالِ فأصبح وهو جرىءٌ جسورُ

ملكتم نواصِىَ هذا الكلام فليس بهنَّ سواكم يطورُ(٣)
لذاك وأنتم فحولُ الرجا ل يهواكم الشعرُ والشعر زِيرُ(٤)
وهَبْتُ لسانى وقلبى لكم فيوما ودادٌ ويوما شُكورُ
وأصبحتُ منكم فمن رامنى سواكم فذاك مَرامٌ عسيرُ
لك الخيرُ، إنى فتًى منك شِمتُ نداك فأسبَلَ نوءٌ غزيرُ
وجوهرة، لم تلِدْ مثلَها على طول غوصِىَ فيها البحورُ
وربَّ ندًى لك مستملَحٌ صغيرُك عندِىَ فيه كبيرُ
يطيبُ فأبصرتَ منه مكانَ رضاى وغيرُك عنه صبورُ
لئن قمتَ فيه بشرط الوفاء على فَوْرةٍ لم يعقها فتورُ،
فما كان أوّلَ ما يعجزو ن عنه وأنت عليه قديرُ
وكم أملٍ لى حَصيصٍ(٥) وثقتُ بأنّ جناحك فيه يطيرُ
وعندىَ من أمّهات الجزاءِ وَلودٌ وأمُّ القوافى نَزورُ
تزورك فى كلّ يومٍ أغرَّ بحقّ من المدح ما فيه زُورُ

---

(١) تصحب: تذلّ وتنقاد. (٢) فى الأصل "عواض". (٣) يطور: يحيط.
(٤) الزير: الرجل الغزِلُ الذى يحبّ مجالسة النساءِ ومحادثتهن. (٥) الحصيص: القليل الشعر، وفى الأصل "حضيض".

أوانسُ، جـــودُك من كفئها ... إذا أبرزتْها اليك الخـــدورُ
وأمـــدحُ قوما ولكننى ... اليك بمـا قلتُ فيهـــم أُشيرُ

* * *

وكتب اليه فى النيروز

لِمَن الطُّلولُ تراقصتْ؟ (١) ... نَجْـوَى حشاك قِفارُها !
قفـــرٌ نبـا بك ودُّها ... وتعلَّقتـــك ديارُها
إن كنتَ أعينَهـا عدمـ ... ـتَ فهـــذه آثارُها
دِمَنٌ كسـحبة الأز ... رة مُســحَلا إمرارُها
ماتت حقائقُهـا وخُـ ... ـلِّدَ زُورها ومُعـارُها
وآمتدَّ ليـــلُ السافيا ... تِ بجـــوِّها ونَهـارُها
عندى لها إن أجدبتْ ... وَكَّافـــةٌ تمتـارُها
أنِستْ بإسبال الدمو ... ع كأنهـا أشـــفارُها
ونعم بكيت ، فهل تبـ ... ـلَّـك سائلا أخبـارُها ؟
واهًا لها من حاجةٍ ... لو قُضِّيَتْ أوطـارُها
يا دارُ تُرْبُكِ والهجـ ... ـيرُ وأضلعى وأُوارُها
حفظا " برملةَ " إن ألـ ... ـطَّ (٢) بذمـــةِ غـــدَّارُها
لا ضاع ما بينى وبيـ ... ـنك عهـدُها وذِمارُها
خلَتِ الليـالى من بدو ... رِكِ تِمُّهـا وسِرارُها
حتى كأنّ معيشـــةً ... لم يحـــلُ فيك مُرارُها
ومآربا بربابِك ما آسـ ... ـترخت لنـا أستارُها

---

(١) تراقصتْ : ظهرت كأنها ترقص مع بعضها البعض لفعل السراب بها إذ يبِينُ طللا ويُخفى آخَر وهو من قولهم : ترقّصت المفازة أى آرتفعت وآنخفضت من فعل السراب بها . (٢) ألطّ : جحد وأنكر .

إذ كلُّ ذى هَدفين فيـ ـلك كاسُها وصُوارُها (١)
ومسائحِ الأيام بقـ ـلٌ أخضرٌ وعِذارها (٢)
وجهيرة فى الحسن تُكـ ـتَمُ فى الهوى أسرارُها
كثرت ضرائرها وقـ ـلّ بذلك آستضرارُها (٣)
بلهاء يرتبِطُ الحليـ ـمَ من الرجال إسارُها
خبثت أحاديث الوشا ةِ بها وطاب إزارُها
خُلِقَتْ معطَّرةً نَخُـ ـبَّ كاسدا عطّارُها
وتذكّرتْ ألفاظُها فثَنَى اللئامَ خمارُها
يا صاحبي، والعينُ تغـ ـنَمُ أو يُظَنَّ غُرارُها (٤)
والليلة الطولى يُخَـ ـوَّضُ بالجفون غمارُها
طرقتْ "زميلةُ" تجتلى ظلَمَ "اللّوى" أنوارُها
وعلى الرحال مُمَلْمَلو نَ وسادُهم أكوارُها (٥)
فى ليله لم ينثُ غـ ـيرَ حديثها سُمّارُها (٦)
عجبا لها نُفِضتْ إلى سحيقةٍ أقطارُها (٧)
"بأغوطتين" جبالُها و"ببطن وجرة" دارُها
باتت تعاطينى "بنحـ ـلة" نحلةٌ أشتارُها (٨) (٩)

(١) الصوار : القطيع من البقر . (٢) المسائح جمع مسيحة وهى ما بين الصدغين إلى الجبهة ، وفى الأصل "مسابح" . (٣) فى الأصل "كبرت" وهو تحريف يعينه قوله "قلّ" . (٤) الغرار : الإثم والجناية . (٥) مململون : متقلبون . (٦) ينثُ : يُذِعْ ، وقد ورد هذا الصدر فى الأصل هكذا * فى ليلة لم غير * الخ (٧) فى الأصل "سجيفة" .

(٨) نحلة : اسم قرية بينها و بين بعلبك ثلاثة أميال ، وفيها يقول المتنبي

ما مقامى بدار "نحلة" إلا * كمقام المسيح بين اليهود

(٩) أشتارها : أجنيها وفى الأصل "أستارها" .

وتبسّمت عن بَرقـــة عسلُ الرُّضابِ قِطارُها
جمـــدَ الحيــا بَرَدًا(١) بها وجرَتْ يذوبُ عُقارها
لم يألُ ناظمُ عِقـــدِها نَصحا ولا خَمّـارُها
طرقَتْ بسهلٍ والمسـا لكُ صــعبةٌ أخطارُها
حَلَبَ البكيّـة ثم جَـــدَّ من الصباحِ نِفارُها
فاذا يدى لم تعتـــلِقْ بســوى المنَى أظفارُها
ولقـــد رفعتُ طلائحا جُرْدُ(٢) البطون قِصارُها
ضاقت مباركها وجا لت فوقَها أســتارُها
"نجدا" تُغَرِّبُ، والهوَى "بمحجَـــرٍ" أمارُها
وعلى الربيئــة أشعثٌ صَدٌّ عليــه غُبـارُها
ذو شَمْـلةٍ سَمَـلٍ(٣) يُحا لُطُ جــلدَهُ أطمارُها
طابتْ [له] "صحراءُ(٤) صا رةَ(٥)" أثْلُهـا وعَرارُها
يرعى قلائصَ تُنتــقَى وحصَى(٦) "الأُبَيرقِ" دارُها
إن ما طلتـــه بغُزْرِها(٧) نهضت بهِ أعيـارُها(٨)
نظــر الربيعَ بجُهّـــدِ لبقـــوله(٩) أوتارُهـا
يا راعىَ البَكَراتَ(١٠) ما "نجدٌ" وما أخبـارُها؟
أوقِدْ بذى السَّمُراتِ(١١) لى فقـــد آستنمَّ منـارُها

---

(١) فى الأصل "بردانا" وهو تحريف . (٢) فى الأصل "حرر" . (٣) سمل : بالية .
(٤) ليست موجودة بالأصل و يقتضيها المعنى والوزن . (٥) صارة : اسم جبل فى ديار بنى أسد .
(٦) فى الأصــل "حصى" بغير واو . (٧) الغزر : النياق ذوات الدَّر . (٨) أعيار جمع عَيْر وهو الحمار . (٩) بالأصل "لبعوله" . (١٠) البكرات جمع بكرة وهى الفتيّة من الإبل .
(١١) ذى السمرات : ناحية من نواحى العقيق . والسَّمُرلغة : العضاه .

ولو أنها بضلوعِىَ الـ	ـعوجاءِ تُذكى نارُها
إن ينتقِضْ كرُّ الخطو	بِ قُواى وآستمرارُها ،
ويردّنى نقدُ العيو	نِ تصادفَتْ أبصارُها ،
وتقومُ لى بيدَىْ مشيـ	ـبِ مَفارِق أعذارُها ، (١)
فلربَّ نَضرةِ (٢) عيشةٍ	لى صفوُها ونُضارُها
وعَزيبةٍ (٣) من لذّةٍ	راحتْ علىَّ عِشارُها
وقضيّةٍ فى الحبّ لم	يُملَلْ علىَّ خِيارُها
وصقيلةِ الأنيابِ (٤) تُشـ	ـرَبُ حُلوةً أسآرُها
تقع الأمانى دون ما	تَثنِى به أسحارُها (٥)
بانت (٦) وذِكرى طيِّبا	دونَ الفراشِ شِعارُها
عرَّجتُ عنها مُعرِضا	وقد آستقام مَزارُها
وسلافةٍ كدمِ الغزا	لِ تُخال مِسكًا فارُها
ممّا أعانَ عليه "طِيـ	ـبةَ بابلٍ" أنهارُها
غالَى بها السابونَ وآنـ	ـتقدَ (٧) البُدورَ (٨) تِجارُها
فى بيتِ نَصرانيّةٍ	باسم "المسيح" عِيارُها (٩)

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

ويقوم لى بيدى بشيب مفارق أعذارها

(٢) فى الأصل "نفارة" . (٣) هذه الكلمة بالأصل هكذا "وعرسة" . (٤) فى الأصل "الأنبات" . (٥) أسحار جمع سَحْر وهو الرئة ويراد بها الصدر . (٦) فى الأصل "بانت" .

(٧) فى الأصل "واقتعد" . (٨) البدور جمع بَدْرة وهى جلد السخلة يسع عشرة آلاف درهم .

(٩) العيار : ما جُعل نظاما للشىء يقاس به ويسوّى ويقدَّر، وفى الأصل "عبار" .

وَكَتِ[1] القِرافَ[2] بحجرِها ... وِوكاؤُها زُنّارهـا
ما كستْ كفَّ مديرِها ... وعلى هواى مَـــدارُها
لمـا حلَتْ رشَفاتُهـا ... لم تحـــلُ لى أوزارُها
وســـواىَ واثِبُ[3] لذّةٍ ... تفـــنَى ويبـــقَ عارُها
ما للرجال تروم أشـ ... ـواطِى الطِّوالَ قِصارُها
أحفيتُ[4] رُسْغَ جيادها ... وتنـــوءُ بى أعيارُها[5]
ســل ناخســا إبلى بأ ى ... ـىّ تدنُّس عَـــوارُها
وحِمى بنى "عبد الرحيـ ... ـم" يحوطُها وجوارُها
فاذا ذراهم بُزْلُهـا ... مرحـــولة وبِكارُها
أهونْ بباغى ضيمِها[6] ... يوما وهـــم أنصارُها
والهضبةُ الملساءُ تمـ ... ـنعُ أن يداسَ خَبارُها[7]
والدوحـةُ العيناءُ[8] تحـ ... ـلو للجُناة ثِمـارُهـا
ما بات يُفقِرها الندَى ... إلا "وثمَّ"[9] يَسـارُهـا
لولا تُـقَى سُـــؤّالهـا ... لاستُهوِنَتْ أعمـارُها
حلمـاء والكلِمُ القـوا ... ذِعُ[10] مُغضِبٌ عـوّارُها

(١) وكت كأوكت بمعنى شـدّت بالوكاء فم القربة ، والوكاء : رباط القربة ، وفى الأصـل هكذا " رسـ " . (٢) فى الأصل " الفراق " ولما كانت هذه الكلمة لا تؤدّى معنى اضطررنا الى تحويرها فلم نجد ما يحكيها فى حروفها إلا " القراف " وهى أوعية من جلود واحدها قَرْفٌ وإلا " الغراف " وهو المكيال العظيم الضخم ، وكلاهما يؤدّى معنًى لا بأس به فى السياق . (٣) فى الأصل " وأبث " .
(٤) فى الأصل " أخفيت " . (٥) فى الأصل هكذا " وطوى " . (٦) فى الأصل " ضمها " .
(٧) الخبار : ما لان من الأرض . (٨) العيناء : الخضراء . (٩) فى الأصل " وتمّ " .
(١٠) القوادع : الكلمات التى فيها فحش وشتيمة .

ومغامرون إذا الكما ... ةُ تواكلتْ أغمارُها
عُرُبُ(١) الأكفّ نمتهمُ ... من "فارس" أحرارُها
سالت أناملهم وشا ... لت(٢) أنفسٌ ونجارُها
بِفَنَاكَ(٣) آفاقُ المعا ... لى منهمُ وبحارُها
طاروا بمجدهمُ وقدْ ... مر بالنجوم مَطارُها
ركبَ الصعابَ من آبنهم ... ركّاضُها مِغوارُها
وحَمَى حقيقةَ مجدهم ... سَلِسُ القناةِ مُمارُها(٤)
لاتستباحُ مصونةٌ ... "وأبو المعالى" جارُها
يقظانُ أسهرَه اذا ... ذَكَرَ العيوبَ حِذارُها
قَلِقُ العزيمةِ إن حَمِى(٥) ... صِغَرَ النفوسِ قرارُها
حمّالُ ألويةِ السيا ... دةِ ثَبْتُها صَبَّارُها
سبقَ الكهولَ وسِنُّه ... ما آستُذْرِعتْ أشبارُها(٦)
وجَرَى فقدّمه على ... أقرانه إقرارُها
عجِبوا ـــ وقد لفَّ الجيا ... دَ الى المدى مِضمارُها ـــ ،
أنّ القوارحَ أُخِّرتْ ... وتقدّمتْ أمهارُها
لا تعجبنّ فإنّه ... أمضى النصولِ طِرارُها!
أعلى الكواكبِ فى المنا ... زلِ والعيونِ صِغارُها
هى دوحةُ المجدِ التى ... لا يُخلِفُ آستثمارُها

(١) فى الأصل "غرب" . (٢) شالت : ارتفعت ، وفى الأصل "سالت" .
(٣) فى الأصل "بفال" . (٤) الممار : المتردّد فى المطعون . (٥) فى الأصل "حكى" .
(٦) فى الأصل "أستارها" .

غدت الرياسةُ مِعصما فيهـا وأنتَ سِـــوارُها

هى خيرُ أهلِ زمانِهـا بيتـا وأنتَ خِيـارُها

إن السماء اذا ســـرتْ معـــدودةٌ أنوارُهـا

كثُرَتْ كواكبهـا وليـ ـسَ كثيرةٌ أقمـارُها (١)

بك عمّ وَدْقُ سحابِهـا جـــودا وتمّ (٢) نخارُهـا

وتشبّثتْ (٣) غيظـا بأعـ ـناقِ العـــداة شفارُها

قادحتهـا (٤) بمحاسـن ما أصلدتْ (٥) أيسارُها (٦)

وخـلائقٍ مَلَكَ الهوى لك باقيـا سَحّارُهـا (٧)

شقّتْ قلوبَ الحاسدين وما يُشَـــقّ غُبارُهـا

كم من يدٍ لك كالغما م وكالسحابِ غِزارُها

تُرْوَى بهـا حالى ويُد رَكُ من زمانى ثارُها

وحصينةٍ من حسن رأ يك لا يُقَصّ صِدارُها

تضـــفُو علىّ ذيولُهـا وتضـــمّنى أزرارُهـا

ولطيفـــةٍ باتت وقـد حفّى النـــدى آثارُها

أعيتْ إصابتُهـا وإنْ لم يُعيِـــنى إكثارُهـا

والأنطياتُ جمالُها الـ ـمشكورُ لا أقـــدارُها

فِفداك مُعْطٍ يبذُلُ الـ ـنُّعمَى ولا يختارُهـا

---

(١) فى الأصل هكذا

كبرت كواكبها وليـــس كبيرة أقمـارها

وهو تحريف يدلّ عليه البيت الذى قبله . (٢) فى الأصل "ثم" . (٣) وتشبثت : تعلقت ، وفى الأصل هكذا "وسست عنقا" . (٤) فى الأصل "فادحتها" . (٥) ما أصلدت : "ما صلبت" . (٦) الأيسار جمع ياسِرٍ أو يَسَرٍ وهو السهل اللّيّن . (٧) فى الأصل "سحّارها" .

ووقتك ريبَ الدهر أيـ ـدِ عُرفُهـا إنكارُها
دينـارُ جودِكِ أو ودا دك لى ولا قِنطارُهـا
وٱستأنفت لك عُونهـا ما أسـلفَتْ أبكارُها
تطوِى البـلاد ولم تَرِمْ(١) فقطينُهـا سُـفَّارُهـا
من كلّ طائرةِ الشُّـعا ع اذا ٱستطار شَرارُها
تصِـلُ الكبيرَ ولا يخا ف مـلالةً زَوّارُهـا
عذراء يُخلَع فى هـوا ك مع العـفاف عِذارُها
فى أىّ بيتٍ شئتَ منـ ـها قلتَ : ذا سيَّارُها
سعتِ القوافى خلفَهـا وعنَا لهـا جبّارُهـا
لو ما تقـدّم عصرُهـا وتردّدتْ أدوارُهـا
ودّتْ فحـولُ الجاهلـ ـيّةِ أنّهـا أشـعارُهـا
لو أُنصِفَتْ فوق الطّرو سِ لأُذهِبتْ(٢) أعشارُها
فى كلّ يـومٍ هـديّةٍ مستحسَـنٌ تكرارُها
يُروَى لكم بفم التهـا نئ صفوُها وخيـارُها

وقال فى غرض له

يالنـوازِى كـبدٍ هاجها "بالبان" من "خنساءَ" تذكارُ
عاد لهـا من بعـد إقلاعها دينٌ من الحبّ و إصرارُ
يا قـوم، لى من أسرتى قاتلٌ مَنْ لقتيـلٍ ما له ثارُ؟

(١) تَرِمْ : تفارق : (٢) لأُذهِبت : لذُهِّبت .

زورة لم تكن بخطّ[1] بنانى في كتابِ الآمال إلا سطرا

سَرَقتها لِيَ الحظوظُ "وخَنسا ءُ" آستلابا من الزمان وطَرّا[2]

وأبيها ما حفظَها الدهرَ أنكر تُ ولكن أنكرتُ بعدَ المَسَرى

جشّمتْها الأشواقُ فى ساعة شُ قّة ما تخبطُ السحائبُ شهرا

فرحَةٌ طار لى غرابا بها اللي لُ وطارت عنّى مع الصبح نَسرا

ارتجعها يا دهرُ لا زلتَ تستر جعُ لؤما[3] ما كنتَ أعطيتَ نَزْرا

وتعلّمْ أنّى بمكرك لا أحـ ـفِلُ ممّا ألفتُ منك المكرا

أنكرَ الغدرَ مرّةً منك قلبى ثمّ صارت سجيّةً فاستمَرّا

لا حَمى اللهُ حازما غرّه منـ ـك سرابٌ شعشعتَه فاغترّا[4]

كُلّ بنابَيْك ملءَ جنبيك لحمى[5] وتخذّلْ عنّى متى قلتُ : نصرا

قلَّ صبرى على آقتنائِيَ للجد وأمّا عنك الغداة فصبرا

أنت ذاك الذى أمتّ شبابى عَبطةً[6] وهو ما تَملّى العمرا

ورددتَ العيونَ عنّى وقد كنـ ـتُ لها الكحلَ حائصاتٍ[7] خُزْرا[8]

صار عِهنًا تحتَ المراحل ينقا دُ وقد كان عاصىَ النّبتِ شَعْرا

ومشيتَ الضَّراءَ[9] كيدا لأحبا بى فريعُوا فى الأرض شَلًّا[10] ونفْرا[11]

صُدِعُوا مطرحَ الزُّجاج تَشظّى وتداعَوْا عطَّ[12] الأديمِ[13] تفرّى[14]

(١) فى الأصل "يكن بخط". (٢) الطر : السوق الشديد. (٣) فى الأصل "لوما". (٤) فى الأصل "فاعتمرا". (٥) فى الأصل "تحمى". (٦) عبطة : نحرا من غير علّة، وفى الأصل "غبطة". (٧) حائصات : حائدات ما ثلات، وفى الأصل "خائضات". (٨) خزرا جمع خزراء، وهى العين بها صغر وضيق. (٩) الضراء : الأستخفاء، من قولهم للرجل يختل صاحبه : هو يدب له الضَّراء ويمشى له الخَمَر. (١٠) الشلّ : الطرد، وفى الأصل "سلا". (١١) النفر : النفور. (١٢) العطّ : الشقّ. (١٣) الأديم : الجلد. (١٤) تفرّى : انشقّ.

أرى دَمِى يقطُـــرُ من أنمـلِ شـفارُها مُؤقٌ (١) وأشـــفارُ (٢)
ظَبْىٌ رخيمٌ، لفظــهُ ناسكٌ وطرفُـــه الفـاتكُ عيّـارُ (٣)
ضَعُفتُ تحت الغمز من عاجمٍ يصرَعُ لبّى وهـــو خَـــوّارُ
أصبحتُ عبـدا بآختيارى له "وفارسٌ" قومى أحـــرارُ
ياموتُ نفسى لك إذ أعرضتْ "خنساءُ" أو شطّت بها الدارُ
خوّفنى بالنـارِ فى وصلهـــا قـــومٌ وفى هجـــرانها النـارُ

✦ ✦ ✦

وكتب الى صـــديق له من الكُتّاب يشكره على موقفٍ وقفه فى حاجةٍ له رضىَ سعيَه فيها، ويتألّم لفقد جماعةٍ من إخوانه، ويهنّئه بالمهرجان

حيِّهـا أوجُهًا على "السّفحِ" غُرًّا وقِبابا بِيضـا ونُوقا حُمـــرا
ورماحا دون الحبائب يهـــززْ نَ ويحْطَمنَ فى الكتائبِ كسرا
وسراحينَ (٤) كالحصونِ جيـادا تملأ الحُـــزْمَ (٥) مُهرةً أو مُهْـــرا
يتمارحنَ فى الحبـالِ فينقضْـ نَ فتيلا (٦) منهـا ويقطعنَ شَزْرا (٧)
وقِرَى بعضُـــه الوصالُ اذا أمـ ـسى طها جَفنـــةً وزجْرَ قِـدْرا
آهِ للشـــوقِ (٨) ما تأوّهتُ منـــه لليـالٍ "بالسفح" لوعُدْنَ أخرى
كنّ دُهمـا من الدآدى وقد كُنّ بتلك الوجـــوه دُرعًا (٩) وقُمْـــرا (١٠)

---

(١) مؤق جمع مأق وهو مجرى الدمع من العين أو طرفها مما يلى الأنف . (٢) أشفار جمع شَفْر وهو أصل منبِت الشعر فى حرف الجفن . (٣) العيّار : الذى يخلّى نفسَه وهواها لا يروّعها ولا يزجرها . (٤) السراحين : الذئاب واحدها سرحان وتشبّه بها الخيـل فى سُرعة العـدْو . (٥) الحُزْم جمع حِزام . (٦) فى الأصل "فينقصن" . (٧) الشزر : فتل الحبل عن اليسار وهو أشدّ لفتله . (٨) فى الأصل "الشوق" . (٩) الدرع جمع الدرعاء وهى الليلة يطلع قمرها عند الصبح . (١٠) القمر جمع قمراء وهى الليلة المقمرة .

حيثُ لا تظفَـــرُ الوشاةُ بأسرا ــ رِ ى اذا ما الصــباحُ أعلنَ سِرَّا
فاذا ما العـــذولُ قال : عِقـابًا ــ فى ذنوبى، قال الصِّبا : بل غَفْرا
أجتنيهـا رَيْحـانةَ العيشِ خضرا ــ ءَ وتُمسى فيهـا المُــنَى لِىَ خُضْرا
يا مَغانِى "الحِمى" سُقيتِ ،وما يـ ــ ـغْنى الغيثُ أن يجــودَكِ قَفْرا
أىُّ عين أصابتِ الدارَ؟ أقذَى ــ اللهُ بعـــدى أجفانَهـا وأضرًّا
عَرِيَتْ من ظبائها [الآنساتِ ال ــ بِيض] وآعتاضتِ الظِّبـاءَ العُفْرا [1]
لا تراها تُطـــيلُ بعد النوى غصـ ــ ـنًا ولا جـــوُّها يُتِمُّ بـدرا [2]
غيرَ حُمٍّ [3] من القطا جاثماتٍ ــ كَنَّ جُونًا [4] فعدنَ بالرَّهْجِ [5] كُدْرا [6]
وبقـايا مواقِفٍ تصـــفُ الجو ــ دَ أباديدَ [7] فى يدِ الريحِ يُذْرَى [8]
قَلِّبـــوا ذلك الرَّمادَ تُصيبوا ــ فيـــه قلبى إن لم تُصيبوا الجمـــرا
ما لدهرى قضَى الفــراقَ عليها ! ــ عـــذَّبَ اللهُ بالفـــراقِ الدهرا
أُنظرا لى ــ وقبلُ كنت بصيرا ــ ــ يا خليلىَّ بين "جوّ" و"بُصْرَى" [9]
أوميضٌ سَرَى فشـقَّ قميصَ الـ ــ ـليلِ أم [ذاك] [10] طيفُ "سُعْدَى" تَسَرَّى ؟
زار وهْنا ــ لا يُصغِرِ اللهُ ممشا ــ هُ ــ وحَيَّـا فـــزاده الله بِرَّا
بشَّرتنى مقـــدِّماتٌ بـــه يحـ ــ ـمِلُ فيهـا ذيلُ النسيمِ العِطـــرا
وآعتنقنا وليس همِّى سوى مسـ ــ ـألةِ الليـلِ أن يُميتَ الفجرا

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

عريت من ظبائها الأ نُ ــس وآعتاضت الظباء العفرا

وقد آحتفظنا بمعناه حين آضطررنا الى آتزانه . (٢) فى الأصل " نذرا " . (٣) حمّ جمع حَمّاء وهى السوداء . (٤) جونا : بيضا . (٥) الرهج : الغبار . (٦) كدر جمع كدراء وهى التى بها غبرة . (٧) أباديد : متفرقا : يذرى : يبدّد، وفى الأصل " نذرا " . (٨) جو : اسم لناحية اليمامة . (٩) بصرى : من قرى بغداد قرب عكبرا، وفى الأصل " بين جو بصرى " .
(١٠) هذه الكلمة ليست فى الأصل .

قَسمتْهم يــدُ الشتاتِ فشطرا للتنائى وللنــوائبِ شطــرا
فكأنّ الأرضَ الحَولَ أبتْ أن يجــدوا (١) فوقَها لرِجلٍ مَقَــرّا
خولسوا من يدى غصونا رطيبا تِ وغابوا عنّى كواكبَ زُهْرا
أقتضيهــم مطالَ الإيابِ وقــد وفّى الفــراقُ الوشيكُ فيهــم نَذْرا
صحِبَ اللهُ راكبين الى العـ ـزّ طريقًــا من المخافةِ وَعْرا
سمعــوا هَتفةَ الخُمــول فطاروا يأخذون الأرزاقَ بالسيف قهـرا
شربوا الموتَ فى الكريهــة حُلوًا خوفَ يومٍ أن يشربوا الضيمَ مُرّا
طَرَحوا حاجَهـــم وراءَ متــونِ الـ ـخيلِ ركضا والسمهريّةِ (٢) جَرّا (٣)
كلُّ عجــلانَ خَطْوُه لأخيــه : العَــلاءَ العــلاءَ إن كنتَ حُرّا
يمــلأون الحُبَــا جُلوسًــا فإن ثا روا ملأتَ الفضاءَ (٤) بِيضا وسُمْرا
واذا آســتُصرخوا لعضّــةِ عامٍ ركبوا الجودَ يطــردون الفقـــرا
لا يبالى الجــيرانُ ما أطاقوا الأيـ ـمانَ (٥) أن تُمسكَ السماءُ القِطــرا
إخوتى من بنى الوفاء ورهطى يومَ أغزو الملوكَ من آلِ "كسرى"
غادرونى فــردا ومرّوا مع الأ يّام، والحظُّ بعدَهم أن أمُرّا
أتشكّى القــذَى بمُقْــلةٍ حيرا نَ عليهــم الى ضُــلوعٍ حَرّى
ليتَ شِعرى بمَــن أُعوَّضُ عنكم يومَ آبى ضيمًــا وأدفعُ عُســرا؟
فســدَ الناسُ بعدكم فآستوى فى الـ ـعيش مَن سرّنى نفاقا وضَرّا
ونجا بى – ما شئتُ – يأسِىَ منهم، نال خيرا من ظنّ بالنــاس شرّا
وبلى! قــد أنادنى الدهرُ خلّا لَمّ شَــعثى وشَــدّ منّىَ أزْرا

(١) فى الأصل "تجدوا" . (٢) السمهريّة : الرماح . (٣) فى الأصل "حرّا" .
(٤) فى الأصل "الفضل" . (٥) الأيمان جمع اليمين من الأيدى . وفى الأصل "ما أطلقوا أيمان" .

واحــــدا أعلقتْ يدى غلطةُ الأ ـيـ ـام منـــه حبـــلَ الوفاءِ المُمَــرّا (١)
أَلمعيًّـا رأى بعـيـنِ آبنِ ليـــلٍ (٢) خافيًـا من محاسنى مستسِـــرّا (٣)
فاقتنـانى تغنُّما وآفــتراطا وآستبـانى قـــولا لطيفـا وبِرّا
وتحـــرّى تفضُّلا أن يرى الفضـ (٤) ـلَ مضاعا، والحرُّ من يتحرّى
صدَقتْ فى "أبى طريفٍ" ميامـ ـنُ ظنونى وقـــد تعيّفن زَجْرا
وتجلّت غشـاوةُ الدهرِ عن قلـ ـبى وفكّتْ عنّى الليـالى الحَجْـــرا
وأتانى يتـــوبُ من ذنبـه الدهـ ـرُ آحتشـاما له وكان مُصـــرّا
ألحقَتْنى به غـريبـا من الآ مال قُـربَى تُعَـــدُّ صِنْوا وصِهرا
فتحـــنّى لهـا ورقّ عليهـا ورأى الدهرَ عقَّ فيهـا فــبرّا
وصَــــلَ الــودَّ لى بآخيّـة (٥) الجا ه فكانا (٦) عُجـالةً (٧) لى وذُخـــرا
وأتاه صـــوتى فنبّـــه منـــه "عُمَرًا" حين نبَّهَ الناسُ "عَمْرا"
شيمةٌ منك يابن "باسلَ" فى السؤ دَدِ لم تُعتَسَـــفْ عليهـا قَسرا
وعـروقٌ زَكَى ثراهنّ فى المجـ ـدِ فأرعَى نبـاتُهن وأثــــرى
طاب مَجْنـاكَ فآهتصرتُك وَرْدا لـــيِّنَ الغصنِ وآعتصرتُك خَمــرا
كان نصرى عليـك دَيْنا فمـا كنـ ـتَ بغـــير القضاء منــه لتَـــبْرا (٨)
نَدبتْـــك العُـــلا له فتجـــرّدْ تَ حسـاما فيه وقمتَ هِزَبرا (٩)

(١) المُمَرّ : الحبل المفتول فتلا شديدا . (٢) ابن ليل : تقوله العرب لصاحب الغارات وللذى يسير الليل ولا يهوله لقوته وجسارته ، قال الراجز

ما ذا يريبُ الليل من أهواله ※ إنى أنا آبن الليل وآبن خاله

وله معان كثيرة غير ما ذكرناه لا تناسب السياق .

(٣) مستسرا : متواريا . (٤) فى الأصل "برى" . (٥) الآخية : المروءة ومن معانيها أيضا : الحرمة والذمة . (٦) يريد بهذه التثنية : الود والجاه . (٧) العجالة : ما يتزوده الراكب مما لا يتعبه أكله وهو هنا مجاز . (٨) يريد لتبرأ . (٩) الهزبر : الأسد .

مِـلّةٌ فى الـــوفاء ضيّعها النا ... سُ وأحييتَها سَناءً[1] ونخـرا[2]

ولسانٌ فى الحـــمد كان عقيما ... قبـــلُ أولدتَهُ ثناءً وشُكرا

فتأهّبْ لوافــداتِ القـــوافى ... يحتملنَ الدُّجى وما كُنَّ سَفْـرا

ضاربات فى الأرض طولا وعرضا ... وهى لم تــلقَ جانبا مغـبرّا

حاملاتٍ لحُـــرّ عرضك من بحـ ... ـرِ ضمـــيرى ملءَ الحقائب دُرّا

كلّ غراءَ تجتليها عـلى شــــ ... ـطك فى الحسن ثيّباً أو بِكرا

لم أكلّفك أن تســوقَ مع الرغـ ... ـبة فيها سوى المودةِ مَهـرا

وبحقٍّ لم ينشرح لك صـــدرى ... بـــديح حتى ملأت الصدرا

ورآك الشّعرُ العـــزيزُ على غيـ ... ـرك كُنئًا فلانَ شيئا وقَــرّا

كم عظيمٍ أبَى عليــه وجبّا ... رٍ ثنَى عنـــه جيـدَه وأمرّا

فتهنّ آنقيادَه لك وآعـــلمْ ... أىّ طِرفٍ جعلتَه[3] لك ظَهــرا

وآلبس المهـــرجانَ حُـلّةَ عزّ ... استَ من لُبسها مدى الدهر تعرَى

طاعنا فى الســنين تطوى عليـ ... ـنّ [طوال][4] السنين عصرا فعصرا

وآعلُ حـتى أراكَ أشرفَ كعبًا ... من مكان السُّهى وأنبَـهَ ذِكرا

* * *

وقال وقد بلغه عن الرئيس أبى القاسم هبةِ الله بن علىّ بن ماكولا ذكرٌ جميلٌ، وتقريظٌ لشعره، وتشوّقٌ الى رؤيته، وكان مقيما بالبَطيحة، يتقلّدها وواسطَ حَرْبا وخراجا، وكتب بها اليه

"بالغَور" ما شاء المطايا والمطـرْ ... بَقــلٌ ثخــينٌ ونمــيرٌ منهمـرْ

وســرحةٌ ضـاحكةٌ وبانةٌ ... غنّى الربيعُ شأنَها قبــلَ السَّحَرْ

---

(١) السناء: الرفعة والعلو، وفى الأصل "شناء". (٢) فى الأصل "بخرا". (٣) فى الأصل "جلعته". (٤) هذه الكلمة ليست فى الاصل.

وَأَثُرْمٍن ظاعنـــينَ أَجهـــدوا   من عيشهم على "الأُثَيلات" الأَثَرْ

فَـــراخ من حبالهـا وخلّهـا   تأخـــذُ من هـــذا اللُّبَاخِ (١) وتَذَرْ

كم المنى تُرعَى لها وكم تُـرَى   يُمسك من أرماقها رجعُ الجِـــرَرْ (٢)

أمَا تُجَـــمُّ (٣) لمساقــطٍ لها   يطرحُهنّ بالفـــلا طـــول السفَرْ

اللهَ فيها (٤) إنها طُـــرُق العـــلا   وعُـــدَّةُ المـــرء لخـــيرٍ ولشـــرّ

ظهـو رُها العـــزُّ وفى بطـــونها   كنزٌ لليـــل الطارقـــين مـــدَّخَرْ

نعـــم لقـــد طاولها مِطالُنا   وحان أن يُعقِبَها الصـــبرُ الظفَرْ

"فالغورَ" يا راكبها (٥) "الغورَ" إذنْ   إنْ صـــدق الرائدُ (٦) فى هـــذا الخبرْ

لسًّا (٧) وخضما (٨) أو يعـــودَ تامكا   الغاربُ التامِك (٩) والجنْب المُعَـــرّ

وإن حنتْ "للحمى" وروضِه   "فبالغضا" ماءٌ وروضاتٌ أُخَرْ (١٠)

هل "نجـــدُ" إلا منزلٌ مفـــارَقٌ   ووطنٌ فى غـــيره يُقضى الوطَـــرْ

وحاجةٌ كامنـــةٌ بين الحشا   والصـــدر إن ينبِضْ لها البرقُ تُثِرْ

يادِينَ قلبى من صَبًا نجـــديّةٍ   تجـــرى بأنفاس العِشاءِ والسَّحَرْ

اذا نَسِيتُ أو تناسيتُ جَنَتْ   عـــلىَّ "بالغور" جنـاياتُ الذِّكَرْ

---

(١) اللباخ بضم أوّله : شجر عظيم معروف باللبخ . (٢) الجرر جمع جرّة وهى ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه . (٣) تجم : تُترك ولا تُركَب لتقوى . (٤) الله فيها بمعنى اتقوا الله فيها . (٥) فى الأصل " يا راكبنا " . (٦) الرائد : الرسول الذى يرسله القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه ، ومنـــه قولهم : " الرائد لا يكذب أهله " . (٧) اللسّ ، أن تأخذ الدابة الكلأ بطرف لسانها . (٨) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس . (٩) التامك الأولى : بمعنى الناقة العظيمة السنام ، والتامك الثانية بمعنى السنام والغارب هنا بمعنى الغائر أو الذاهب ، والجنب المعر : الذى أصابه العر وهو الجرب ؛ فيكون معنى البيت أنّ الذى ذهب سنامه لهزاله والذى أصابه العرّ من طول السفر اذا وصل الى الغور أكب على اللس والخضم لكثرة المرعى به فيعود عظيم السنام بعد هزاله (١٠) فى الأصل " أحر " .

آهِ لتلك الأوجهِ البيض على ... "رامةَ" فى تلك القُبَيْبات الحُمُرْ

يـنزو بجنبىَّ متى غُنِّى بها ... قلبٌ متى ما شربَ الذكرى سَكِرْ (١)

كنّا وكانت والليالى رطبةٌ ... بوصلنا والدهرُ مقبولُ الغِيَرْ

أيام لا تُدفع فى صدرى يدٌ ... ولا يُطاع بى أميرٌ إن أمَرْ

وعاطفُ العيونِ لى وشافعى ... ذنبى اليها اليومَ من هذا الشَّعَرْ (٢)

وَثَمَّا رجعتُ مهملا غفلاتِه ... اذا البهامُ نصَّعتهنَّ الغُرَرْ (٣)

ما خيلَ (٤) فى أن الدرارىّ (٥) قبله ... يُنكرها سارى الظلام المعتكِرْ

قالوا : تجمّلتَ (٦) بها غديرةً ... مَردَعةً عن الخنا ومَزدَجَرْ

رُدُّوا سفاهى وخذوا وقارَها ... بَيْعَ الرضا، وندَما لمن خَسِرْ

رحتُ بها بين البيوتِ أزْوراً (٧) ... مواريا شخصىَ من غيرِ خَفَرْ

أحملُ منها بقلةً ذاويةً ... بالعيش كانت أمسِ ريحانَ العُمُرْ

ياقَصُرتْ يدُ الزمان شدَّما ... تطول فى ثَلْمى وفى نقضِ المِرَرْ (٨)

عَصًا شظايا ومشيبٌ عَنَتٌ ... ومنزلٌ نابٍ وأحبابٌ غُدُرْ

وصاحبٌ كالداء إن أبديتُه ... عوَّرَ وهو قاتلٌ اذا أُسِرّ (٩)

أحمله حملَ الشَّغا (١٠) نقيصةً ... وقلّةً ما زاد ألّاً (١١) وكثُرْ

يُبرزه النفاقُ لى فى حُلّةٍ ... حبيرةٍ من تحتها جِلدُ نَمِرْ

(١) فى الأصل "شكر". (٢) يشير بذلك الى سواد شعره وهو فتىّ. (٣) نصّعتهن: جعلتهن نواصع، وفى الأصل "تضعتهن". (٤) فى الأصل "حيل". (٥) فى الأصل "التشاكى" ولا معنى لها هنا مطلقا وهو من تشويه النسخ، وقد رجحنا كلمة "الدرارى" لأن الشاعر يريد تشبيه ما ابيضّ من شعره بالنجوم فى الظلام الدامس، وكثيرا ما طرق هو وغيره من الشعراء هذا المعنى. (٦) فى الأصل "تحملت". (٧) الأزور: المائل، وفى الأصل "أزوزا". (٨) المرر جمع مِرّة وهى طاقة الحبل. (٩) فى الأصل "سر". (١٠) الشغا: الزيادة فى الأسنان. (١١) الألّ: صفاء وبريقا.

مبتسمٌ والشــرُّ فى جـــلاقِـــهِ ... خَفْ كيف شئت أرقـا اذا كشَرْ

لأنفضنَّ النـاسَ عن ظهـرى كما ... قَطّرَ(١) بالراكبِ مجـلوبٌ عُقِـرْ

فَرْدًا شِـعارى لا مساسَ بينهـم ... منفردَ الليثِ وإن شئتَ القمـرْ

نفسى حبيـبى وأخى تقنُّـعى ... وربّمـا طـرّقَتِ الدنيـا بحُـرّْ

إن يكُ يأسٌ فعسى غائبــةٌ ... تَظهرُ، والنارُ كمينٌ فى الحجـرْ

قــد بشّــرتنى بكـريم هَبّـةٌ ... بمثلهـا ريحُ الجَنــوبِ لم تَـثُرْ

تقـول لى بصوتهـا الأعـلى ضُحًى ... وبالنسيمِ فى الدُّجى الحـلوِ العَطِرْ:

إنَّ فَـتًى "مَيسانَ" دون دارِه ... [قد] بَقِيَ(٢) المجـدُ وحيدا وغَـبَرْ

يعرفُ ما قــد أنكر الناسُ من الـ ... ـفضــلِ ويُحيِى فى العلا ما قد دَثَرْ

وأنه ـــ جرى بخيرٍ ذكــرُهُ ـــ ... حنّ وقــد عُرِّض باسمى وذُكِرْ

وعَلِقَتْ بقلبــه ناشــطةٌ ... مرّت عليــه من بُنَيّاتِ الفكَرْ(٣)

فمن هـــو الراكبُ ملسـاءَ القَـرا(٤) ... مُصْمَتةَ الظهـرِ ببطنٍ منقعِرْ(٥)؟

رفّعَ ذُناباها وخفّضَ صـدرَها ... مُشرِفــةَ الحاركِ(٦) وقَصـاءَ(٧) القَصَرْ(٨)

تحــدو بهـا أربعــةٌ خاطفــةٌ ... تُحى عليهـا أربعٌ منهـا أُخَـرْ(٩)

اذا المطـايا خِفنَ إظلاءَ السُّرى ... فربُّهـا من شَرَقٍ على حــذَرْ

يعــدُّ أبــراجَ السماء عَنَقًـا ... فى مثلهـا تصــعُّدا ومنحــدَرْ

يرفعُ عنهـا حدَبَ الموج اذا اسـ ... ـتنّتْ(١٠) صناعُ الرِّجْلِ(١١) فى خوضِ الغمَرْ

---

(١) قطّر: ألقى، وفى الأصل "فطر". (٢) ليست بالأصل. (٣) بنيّات الفكر: الخواطر. (٤) القرا: الظهر. (٥) يشير بذلك الى السفينة. (٦) الحارك: أعلى الكاهل. (٧) الوقصاء: القصيرة وهو وصف خاص بالعنق. (٨) القصر: أصل العنق اذا غلظت. (٩) يشير بذلك الى المجاديف. (١٠) استنّت: اضطربت. (١١) صناع الرجل: الحاذق فى العمل برجله ويقابلها "صناع اليد"، وفى الأصل "صناع الرخل".

لو لم يلاطفها عـلى آعتسافه بخُـدعةٍ من اللّيان لم تسِرْ:
اسـلَمْ وسِرْ وايس إلا سالما مَن راح فى حاجةٍ مثلى أو بَكَرْ
قُلْ "لأبى القاسم" : يا أكرمَ مَنْ طُوِى اليـه دَرْجُ أرضٍ أو نُشِرْ
وخـيرَ من مُوطِلَ جفنٌ بكَرى فى مدحـه فلم يضِعْ فيـه السَّهرْ
وآبنَ الذى قيل : إذا ولّى عن الـ ـدنيـا تولَّتْ بعـده على الأثَـرْ
وآستشرفَ الملوكُ من عطائه والخلفـاءُ ما آسـتعزَّ وآحتقـرْ
ومَنْ تكونُ "الكَرَجُ"(١) الدنيـا بأن أُوطنَها "وعِجْـلُ"(٢) سادات البَشَرْ
لو لم يكن إلا "آبنُ عيسى"(٣) لكُمُ فخـرا كفى ملء لسـان المفتخِرْ
ساقِى العـوالى من دمٍ ما رَوِيَتْ وعاقِرُ البُـدْنِ وعاقِرُ البِـدَرْ
ناصبتم الشمسَ بحـدِّ سيفه ودسْتُمُ بسـعيه حدَّ القمـرْ
وصارت الشمسُ تُسمِّيكم بـه أنجادَ "عدنانَ" وأجوادَ "مُضَرْ"
مضى وبقّى سـؤرة(٤) المجـد لكم ملآى(٥) اذا ما شرب الناس السُّؤَرْ
لكرماءَ آلتقموا(٦) طريقَـهَ وألقوا بينهُـمُ تلك السِّـيَرْ
وشـغَلوا مكانَهُ من بَعـده كالشمس سدَّ جوّها الشُّهبُ الزهُرْ

---

(١) الكرج : مدينة بين همذان وأصبهان وأول من مصّرها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلىّ وجعلها وطنه وكان قائدا فى عهد المعتصم كريما ممّدحا مشهورا بالسماحة والشجاعة وله مكان فى الشعر والغناء وهو الذى قال فيه علىّ بن جبلة

إنما الدنيـا أبو دلف * بين مغـزاه ومحتضره
فاذا ولّى أبو دلف * ولّت الدنيـا على أثره

والى هذه الصفات يشير مهيار فى الأبيات التالية كما أشار الى هذين البيتين فى قوله .

وآبن الذى قيل : اذا ولّى عن الـ * ـدنيـا تولت بعـده على الأثر

(٢) عجل : اسم قبيلة . (٣) ابن عيسى : أبو دلف المـار ذكره . (٤) السؤرة : البقيّة .

(٥) فى الأصل "ملى" . (٦) التقموا طريقه : نهجوا مناهجه .

زكيّة طينتهم، حديدة ... شو كتهم، طاب حصاهم وكثر

لا يمشّون الضَّراء (١) غيلةً ... بجارهم ولا يدبّون الخمر (٢)

كلُّ غلام ذاهبٌ بنفسه ... مع العلاء إن بدا (٣) وإن حضر

إمّا زعيمُ فيلقٍ يطرحهم ... في لهوات الظلم حتى ينتصر،

مغامرٌ مسلّطٌ بسيفه ... على الردى منتصفٌ من القدر،

أو تاركٌ لفضله من دينه ... ما عزّ من سلطانه وما قهر

عفّ عن الدنيا وقد تزخرفت ... ممكنةً وعافها وقد قدر

(١٦٧) محكّمٌ في الناس يقضي بينهم ... بمحكم الآي ومنصوص السّور

فكلّكم إمّا ابن عزٍّ حاضرٍ ... بسبقه (٤) أو ابن عزٍّ مدّخر

وحسبكم شهادةً "لقاسمٍ" ... مجدُ "أبي القاسم" عينًا بأثر

حدّث عنه مثلَ ما تحدّثت ... عن كرم الأغصان حلواءُ الثمر

مواهبٌ في "هبة الله" لكم ... أوفى بها على مناكم وأبرّ

يا مسلفي تبرّعًا من ودّه ... سلافةَ الخمر ووسميَّ (٥) المطر

ومنزلي من شرفات رأيه ... مكانَ يحطّ السهى ويحدر

لبّيك قد أسمعتني وإن يغب ... سمعي عنك ففؤادي (٦) قد حضر

عوائدٌ من الكرام تاد لي ... منّتهن بعلاك ونشر

كم فيّ من جرحٍ قد التحمته ... بها ومن كسرٍ عصبت بجبر

ملكت رقّي وهواي فاحتكم ... ملك اليمين لم أهب ولم أعز

لثمتُ ما خطّت يدُ الكاتب من ... وصفك لي لثمَ المطيفين الحجر

---

(١) الضراء : الاستخفاء . (٢) الخمر : الخفية ، يقال : "هو يدبّ له الضراء ويمشي له الخمر" لمن يختل صاحبه . (٣) بدا وحضر : أقام في البادية أو في الحضر . (٤) في الأصل "بسيفه" . (٥) الوسميّ : أول مطر الربيع أو مطر أول الربيع . (٦) في الأصل : "ففوادي" .

وقلتُ : يا كامنَ شوقٍ ثُرْ، ويا قلبىَ إمَّا واقعاً كنتَ فَطِرْ
ويا ظمائى هذه شريعةٌ يدعو اليها الواردين من صَدَرْ
فلو علِقتُ بجناحِ نهضةٍ حوَّمَ بى عليك سعىٌ مبتدَرْ
ولرأيتَ معَ فرط حشمتى وجهى عليك طالعا قبلَ خَبَرْ
لكنَّها عزيمةٌ معقولةٌ(١) تئنُّ من ضغط الخطوبِ والغِيَرْ
وهمةٌ عاليةٌ يحطُّها أسْرُ القضاء لا يفكُّ من أَسَرْ
وربَّما تلتفتُ الأيَّام عن لحاجها أو يُقلِعُ الدهرُ المُصِرّ
وإن أُقِمْ فسائراتٌ شُرَّدٌ يَزُرن عنّى أبدا من لم أَزُرْ
قواطعٌ(٢) اذا الجيادُ حَبَسَتْ اليك أمراسَ(٣) الجبالِ والعُذَرْ(٤)
كلُّ ركوبٍ رأسَها الى المدى لم تزجُرِ الطيرَ ولمَّا تستثِرْ
نهارُها مختلطٌ بليلها ترمِى العشيّاتُ بها على البُكَرْ
تحمِلُ من مدحكمُ بضائعا يعيى الغبينَ فى سواها من تَجَرْ(٥)
كأنَّما حلَّ "اليمانون" بها عِطارَ "دارين" وأفواقَ "هَجَرْ"
لم يمضِ من قبلى فمٌ لأُذنٍ بمثلِهِنَّ مُوعَبًا ولم يَطِرْ
سلَّمها لحولُ هذا الشعر لى ضرورةً، ما سلَّموها عن خِيَرْ
شُهْدٌ لمن أحبَّكم وأقِطٌ(٦) وفى أعاديكم سِمامٌ وصَبِرْ
لتعلموا أن قد أصاب طَوْلَكم(٧) مَن عرفَ النعمةَ فيه فشكَرْ

---

(١) معقولة : محبوسة مشدودة بالعقال . (٢) قواطع : تقطع البلاد وتجتازها كالطيور القواطع . (٣) أمراس جمع مَرَس (جمع مَرَسة) وهى الحبل . (٤) العذر جمع عذار وهو اللجام . (٥) تجر : باع واشترى ، وفى الأصل "نحر" . (٦) الأقط : شىء يتخذ من اللبن المخيض ، يطبخ حتى يمصل . (٧) الطول : العطاء .

*
* *

وقال يرثى الصاحب أبا القاسم بن عبد الرحيم ، وقد قتل محبوسا بعد طول الأسر في قرية على شاطئ الفرات من أعمال هيت (١)

مَنْ حاكمٌ وخصوميَ الأقـــدارُ؟ كثُر العـــدوُّ وقلّت الأنصـارُ !
أشْجَى من الدنيا بحبِّ مقلِّبٍ وجهين ، عُرفُ وفائه إنكارُ
ســـوْمَ الدعيِّ اذا تضرَّع ردُّه للؤم عرقُ الهُجنـــةِ (٢) النّعّارُ (٣)
واذا وَفَى لمنـاىَ يـــومٌ حاضرٌ فأجارَ أســـلمنى غدٌ غــــدّارُ
أفصخرةٌ يا دهرُ هــذا القلبُ أم هو للهمـــوم الساريات قرارُ؟
فى كلِّ يـــومٍ للنوائبِ شـــلّةٌ (٤) من جانبٍ وللهمـــومِ غِوارُ (٥)
ومصائبٌ متحكّماتٌ ليس لى معهنَّ فى بيع النفـــوس خِيارُ
تُمْحِي فأحملُها ثِقـالا مُكرَهـا وكأننى بتجـــلّدى مختـارُ
جُرحٌ على جُـــرحٍ ولكن جائفٌ (٦) ضـــلَّ الفتائلُ (٧) فيـه والمسبارُ (٨)
بَخرتْ عمائقُه العـروقَ وغادرتْ قَصَبَ (٩) العظامِ وهنَّ مُخٌّ رارُ (١٠)
فاغمـــزْ قناتى يا زمانُ فإنّه ذاك المماكسُ طائعٌ خـــوّارُ
كُشِفَتْ لنَبْلك غامضاتُ مَقاتلى وترفّعتْ عن صَفحتِي الأستـارُ .
وأَكلتُ لا خَلَفٌ يردُّ ســـلامتى ذلًّا ولا يحمى حمـاىَ جِـــوارُ

---

(١) هيت : بلدة على الفرات من نواحى بغداد . (٢) الهجنة : عدم الإعراق . (٣) النّعار : المصوّت . (٤) الشلّة : المرة من الشلّ وهو الطرد ، يقال : فلان يشلُّهم بالسيف أى يطردهم ويكسعهم ، وفى الأصل "سلة" . (٥) الغِوار : الغارة . (٦) الجائف : الطعن أو الداء بلغ الجوف ، وفى الأصل "خارف" . (٧) الفتائل جمع فتيلة وهى الخرقة تفتل وتزاتُ ، وفى الأصل "القبائل" . (٨) المسبار : الآلة يجسّ بها الجرح . (٩) فى الأصل "قصب" . (١٠) الرار : الذائب .

ذهب الذى كانت تجاملنى له الد نيا وتسقط دونى الأخطارُ

ويُردّ فارسةَ الخطوبِ نواصلاً(١) منّى مخالبُهنّ والأظفارُ

من يشترينى بالنفائس مُغليًا بعدَ "الحسينِ" ومَنْ علىَّ يغارُ؟

ويُظلّنى واليومُ أغبرُ مشمسٌ(٢) أتجلّلُ النكباتِ وهى أوارُ

أم من يضُمّ بدائدَ الآمال لى ويُقلّ عنى بآسمه الإقتارُ(٣)

وإذا آقشعرّتْ(٤) أرضىَ آستصرختُه فإذا لجينٌ تُربُها ونُضارُ

المِخذمُ(٥) البتّارُ أُسقِطَ من يدى والغيثُ أقلَعَ عنىَ المِدرارُ

والصاحب آنتُزِعَتْ قوادمُ أسرتى منهُ وهِيضَ جَناحُها الطيّارُ

فاليوم لا أبتِ الصَّغارَ ولا آعترتْ إلا عبيدًا "فارسُ" الأحرارُ

وتطأطأتْ ذلًّا فطالت ما آشتهتْ شرفا عليها "يَعرُبٌ" "ونزارُ"

كنّا وإن كَرُمتْ نفاخرُها [به](٦) فالآنَ ما بعدَ "الحسين" نخارُ

لا خفتُ بعدُ ولا رجوتُ وقد ثوى فى التُّرب منه النافعُ الضرّارُ

سائلْ بهذا الذَّودِ(٧) يرغو(٨) بكرُه(٩) فى الحىّ : أين المُقرمُ(١٠) الهدّارُ

ومتى أخلّ أبو الشبول بغيله فتناهقتْ من حوله الأعيارُ

يا مُدرَجا فردا تُسدّى(١١) فوقه بالقاع أرديةُ الثرى وتُنارُ(١٢)

---

(١) فى الأصل "فارسه" . (٢) ورد هذا الصدر فى الأصل هكذا

* ويظل من واليوم مشمس أغبر *

وتصحيحه بما رجّحناه لا يخفى على أهل الأدب واللغة . (٣) الإقتار : قلّة المال والآفتقار .

(٤) اقشعرّت : أجدبت . (٥) المخذم : السيف . (٦) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل .

(٧) الذود : من الإبل ما بين الثلاثة الى التسعة وهو واحد وجمع كالفُلك . (٨) فى الأصل "يرغوا" .

(٩) البكر : الفتىّ من الإبل . (١٠) المقرم : الفحل يترك عن الركوب والعمل للفحلة .

(١١) تسدّى : يجعل لها سَدًى وهو ما مُدّ من خيوط الثوب بخلاف لُحمته . (١٢) تنار : يجعل لها نير وهو آجتماع الخيوط بخلاف السدى ، وفى الأصل "تثار" .

مُلقّى وراءَ نسـيَّةٍ ومَضـلَّةٍ تُخفِي ضريحَك والقبـورُ تُزارُ
أذللتَ قلـبى للأسى وتركتنى أتبرَّدُ الزفـراتِ وهى حِرارُ
وحطمتَ آمالى فهنّ ضعائفٌ وقَصَرتَ من همى فهنّ صِغـارُ
أنا من شِفار القاتليك متى ٱلتقتْ من مقلَـتىَّ مع الكرى الأشفارُ
أو قاتُ معتاضا بجارٍ مثـله جارٌ ولا بالدار بعـدك دارُ
ومتى صحبتُ العيشَ بعدك باردا والنـاسُ صاروا بى الى ما صاروا
نبـذوا عهودَك آنفـا وتقسَّموا رُمَّتَا بحبـل الخُلف وهو مُغـارُ
ظنُّوا بفقـدِك أن يَلُمُّوا شَعْثَها يا رُبَّ نقضٍ جَـرَّه الإمرارُ
ورجَوْا بهُلكك أن يخلّد ملكُهم فاذا سلامتُهـم بذاك بَـوارُ
فعلامَ لم تُشْكَمْ (١) وقـد فغرتْ لهم فلجاءُ (٢) يُنكِرنا بهـا الفـرّارُ
وتفجَّرتْ بالشرّ بعـدك والأذى جنباتُهـا وتداعت الأقطـارُ (٣)
حذروا السجالَ (٤) يخابطون قَليبَها (٥) والحبـلُ (٦) واهٍ والجَبَـا (٧) منهارُ
ودّوا لو آنك حاضرٌ فكفيتَهـا لمـا تـولّى أمرَها الأغمـارُ
ورعَى النـدامةَ حيث لم يشبع بها غاوٍ رماك وآخرون أشاروا
ولَّى يفِـرُّ ولم يعفُها سُـبَّةً تَسرِى وليس من الحِمامِ فرارُ
سرِدانَ ما ٱستعروا بجمـرةِ بغيهم ولربَّ باغٍ غـرَّه الأنصـارُ
طرحوا الفرات الى الفرات فمادرى مُلقـوك أيُّهمـا له التيّـارُ (٨)

---

(١) تشكم : توضع فيها الشكيمة وهى حديدة اللجام . (٢) الفلجاء : المتباعدة ما بين الأسنان ويريد بها هنا الوزارة من باب المجاز . (٣) الأقطار جمع قطر وهو الجانب . (٤) السِّجال جمع سَجْل وهو الدَّلو . (٥) القليب : البئر (٦) فى الأصل " والحال " . (٧) الجبا : نثيلة البئر وهي التراب الذى حولها تراه من بعيد ، وفى الأصل " الحيا " . (٨) فى الأصل " البتار " .

وتعاظموا أن يَقبُروك ومن رأى ... ليثا يُخَطُّ [له الثرى](١) مِحفارُ(٢)

"وأبى العلا" ما كنتُ أعلم قبلَها ... أنّ البحورَ قبورُهنّ بحارُ

ذلًّا لبيض الهند بعدك شدّ ما ... غدَرتْ ولا سَلِمَ القنا الخطّارُ

ما كان أنكلهنّ عنك لو آنه ... عند السلاح حفيظةٌ وذِمارُ

قتلوك محصورا غريبا لا ترَى ... مولًى يُعِزُّ ولا بجنبك جارُ

من خلْفِ ضيِّقةِ السماء بهيمةٍ ... يَنزو بقلبك بابُها الصَّرّارُ

حفروا الزبى(٣) لك فارتديت وإنما ... سلطانُ ليث الغابة الإصحارُ(٤)

هلا وفيك الى وثوبٍ نهضةٌ ... ولديك مُتَقَّدٌ(٥) وعندك زأرٌ(٦)

وخطاك واسعةُ المَدى تحت الظُّبا ... لا الخيطُ يحبسها ولا المِسمارُ(٧)

أعزِزْ علىّ بأن تصابَ غنيمةً ... فى القِدِّ(٨) يجمعُ ساعديك إسارُ

فى حيث لا يُروَى على عاداته ... بيديك نَصلٌ حائمٌ وغِرارُ(٩)

وبمصرعٍ لك لم تشاجر دونه ... فوق الأكفِّ صوارمٌ وشِفارُ

والخيل صائمة على أشطانها ... قَرحَى(١٠) تَقامَصُ خلفَها الأمهارُ

بشِياتِها لم يُختَضَبْ بدمٍ لها ... عُرفٌ ولم يُبلَلْ عليك عِذارُ

أو أن يكون الجوُّ بعدك ساكنا ... واليومُ أبيضُ ما عليه غبارُ

ووراء ثأرك غِلمةٌ لسيوفهم ... فى الرَّوع من مهج العدا ما اختاروا

يتهافتون على المنون كأنّهم ... حِرصًا فَراشٌ والمنيّةُ نارُ

---

(١) هاتان الكلمتان ليستا فى الأصل . (٢) المحفار : الآلة يحفر بها . (٣) الزبى جمع زبية وهى الحفرة ، وفى الأصل "الربى" . (٤) الإصحار : البروز للصحراء . (٥) المتقد : السمة ، وفى الأصل "منتقد" . (٦) يريد زأر فسهّلت الهمزة . (٧) يشير بذلك الى القيد كما يدلّ عليه البيت التالى . (٨) القدّ : سير من جلد يقيّد به الأسير . (٩) الغرار : حدّ الرمح والسهم والسيف . (١٠) فى الأصل "مرحى" .

حلماءُ فى الحُلّ فإن هم أُغضِبوا ... طاشوا لحَنّت فيهم الأوتارُ (١)

لو صحتَ تُسمعهم وصوتُك فى الثرى ... لحصوا عليك وفى السماء لطاروا

خذلوك مضطّرين فيك وجمجموا ... من بعد ما فَصُحت بك الأخبارُ

وتناذروا أن ينـدبوك تقيّـةً (٢) ... فالحزنُ بينهُـمُ عليك سِرارُ

إن يُمسكوا فيضَ الدموع فربّما ... فاضت عيونٌ فى الصدور غِزارُ

أو يجلسوا نظـرا ليوم تشاورِ ... فالريثُ أحزمُ ما أرابَ بِـدارُ

ولربّما نام الطّـلوبُ بثأره ... لغـدٍ ولكن لا ينام الثارُ

وقد آشتفى بعد البسوس "مهلهل" ... زمنا وما نَسِىَ الدّمَ "المـتزارُ"

وعلى "الطّفوْف" دمُ أطيلَ مِطالُه ... حتى تقاضَى دَيْنـه "المختارُ" (٣)

لا بدّ من يـومٍ مريضٍ جوُّه ... للخيلِ فيـه بالرءوس عِثارُ

متورِّدِ الطرفين يكفرُ شمسَـهُ ... دَجْنٌ له عَـلَقُ الكماةِ قِطارُ

تَصـلاه باسمك آخذين بحقّهـم ... عُصَبٌ لهم "عبدُ الرحيم" شِعارُ

فهنـاك يعـلم قاتلوك بأنه ... ما عُـقَّ مَن أبنـاؤه أبرارُ

ويرى عدوُّك — والبقاءُ لغيره — ... أنّ البقـاءَ وإن أطيـلَ مُعـارُ

وإن آشتفَى وحَلَا بفيه غدرُهُ ... أنّ آعتقابَ حلاوتيـه مُرارُ

ولقـد يُنْسـاك (٤) المجتنى بمكان ما ... عجِلتْ يداه ويُـلدغُ المشتـارُ

ولّى بها شـنعاء تذهبُ نفسُـهُ ... فيها ويبـقَى لومُها والعـارُ

---

(١) لحنت : فصوّتت ، والأوتار جمع وتَر وهو شرعة القوس ومعلَّقها . (٢) تقيّة : اتقاء وخوفا . (٣) الطفوف : يراد به الطفّ وهو موضع قرب الكوفة قُتل به الإمامُ الحسين رضى الله عنه والمختارُ هو آبن عبيد الثقفيّ وقد قام بأخذ الثأر من قَتَـلة الحسين فدعا الناس الى محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنه المعروف بابن الحنفيّة . (٤) فى الأصل "يشال" .

درستْ بك السُّنن الحميدةُ وآغتدى ... تفْـــقدُ المكارم وهو منك ضِمـارُ [1]

هل سائلٌ بك بعـدها أو قائلٌ ؟ ... هيهات لا خَـبرٌ ولا آستخبارُ !

حتى كأنك لم تقُـدْ ملمـومةً [2] ... يُومَى اليـك أمامَها ويُشـارُ

خرسـاءَ إلا ما تكلَّم صارمٌ ... فى قَوْنَسٍ [3] أو طَنَّ عنـه فقَـارُ

تهفـو عليك عُقابُها [4] ويضمُّها ... منشـورةً لفنائك التَّكرارُ

وكأنَّ رأيك لم يلُحْ قَبَسًا اذا ... عَميتْ عشايا الرأى والأسحارُ

واذا خِلاط الأمرِ سُـدَّ طريقُه ... فلديك واضحــةٌ له وقــرارُ

وكأنّ بابَك لم يكن لعُفـاته ... حَرَمًا يُجـير ولا حمًى يُمتـارُ

يأوى اليـه المستنون [5] ويلتـقى ... بفِنـائه السُّفَّارُ والحُضَّـارُ

وتبيت تَلْغَـطُ من وصائلِ ناقةٍ ... عُشَراءَ عنـدك بُرْمةٌ [6] أعشـارُ

تُصفِى كرائمَها الضيوفَ وتكتفى ... فيما يليك بما آنتـقى [7] الجزّارُ

وكأنّ كفّك لم تَبِنْ فى ظهرها ... قُبَـلُ الملوكِ وتشـهدُ الآثارُ

ويخفّ بين بنانهـا إن حُمِّلَتْ ... ضـبطُ الحسامِ ويثقلُ الدينـارُ

بالكره منـك وبالمَسـاءة رَوَّحَت ... لسوى العُقور على البيوت عِشـارُ

وتراجعتْ وخـدودُها ملطومةٌ ... بُزْلٌ لقصـدك وُجِّهَتْ وبِكارُ

وغفلتَ لم تسأل ـولستَ بغافلٍ ـ [8] ... أنَّى تنكّب بابَك الزُّوّارُ

وتسلّبتْ من فارسٍ أو راكبٍ ... تلك السروجُ اليـك والأكوارُ

(١) الضمار : الوعد المسوف . (٢) الملمومة : الكتيبة . (٣) القونس : مقدم الرأس أو العظم الناتئ بين الأذنين . (٤) العقاب : الراية وكانت راية النبيّ صلى الله عليه وسلم تسمى "العقاب" . (٥) المستنون : المجدبون . (٦) البرمة : القِدر . (٧) انتق : استخرج النِّقى وهو مخ العظام . (٧) فى الأصل هكذا

* وعقلت لم تسأل ولست بعاقل *

ومـتى أرمَّ(١) المادحون وأكسدتْ ... من بعـد ما نفقتْ بك الأشعـارُ

أو أن أقولَ فلا تصيخ لقـولتى ... لو كنتَ متروكا وما تختـارُ(٢)

وترى الزمانَ يَضيمنى(٣) فيفوتنى ... من راحتيك حميَّـةٌ وغيـارُ(٤)

قد كنتَ حصنا من وَرايَ وكان لى ... بك من أمامى جُنَّةٌ وصِـدارُ

أيامَ شـيبى تحت ظلِّك نضرةٌ(٥) ... وصِبًا وليـلِى فى ذَراك نهـارُ

وعلىَّ من نُعمَى يديك طلاوةٌ ... أمشى وتَتْبعنى لهـا الأبصارُ

قد كنتُ أحسبُ أن بأسَك هضبةٌ ... لا يسـتطيع رُقِيَّها المِقـدارُ

وأقولُ(٦) أنَّ لسقف بيتك فى العلا ... عَمَـدًا حبالُ الموت عنـه قصارُ

وإخالُ جودَك نَثْـلةً دون الردى ... حصـداءَ تمنع فَرْجَها الأزرارُ(٧)

فاذا الشجاعةُ والسماحـةُ مَتجَرٌ ... تزكو بـه الأعمـالُ والأعمارُ

غـدرا من الأيام تُفْتِـقُ(٨) شمسُها ... والأرضِ تورقُ فوقَها الأشجـارُ

ومذلَّة فى السُّحبِ وهى صواحب ... ليديك تَنزِل بعـدك الأمطارُ

كم قـد تعلَّتِ المنى بك ، تارةً ... أمنٌ وطورا خِيفـةٌ وحِذارُ

وتخالفتْ فيك الرُّواةُ فسرّنى ... وتلونت بحـديثك الأخبـارُ

ولقـد ظننتُ بهـا وراءَ لثامها ... خـيرًا فكشَّفَ قُبحَها(٩) الإسـفارُ(١٠)

إن تفتقدْ عينى مِثالَك فى العـلا ... فبنوك من عَينِ العـلا آثارُ

---

(١) أرمّ : سكت . (٢) فى الأصـل "مختار" . (٣) فى الأصـل "يضمّنى" .

(٤) الغيار : الغيرة من الحميّة والأنفة ، وفى الأصل "عثار" . (٥) فى الأصل "نصرة" .

(٦) أقول هنا بمعنى أظنّ . (٧) فى الأصل "الإزار" . (٨) يقال : أفتق قرن الشمس بمعنى أصاب فتقا من السحاب فبدا منه . (٩) فى الأصل "فتحها" . (١٠) فى الأصل "الأشفار" .

سدُّوا مكانَك والشموسُ اذا هوتْ ... ـملأت مَطارحَ نورِها الأقمارُ
طِبْ في الثرى نفسًا فكلٌّ منهُـمُ ... ثَمَّ اقتراحُك فيه والإيثارُ
هم، أنفسا تُدوِى (١) عداك وألسنا، ... ـن جمرتيك سلائطٌ وشَرارُ
كانوا السَّراةَ وقد عدِمتَ وبعضُهم ... لأبيه إن طرَقَ الحِمامُ عَوارُ
متلاحقين الى العلاء كأنّهم ... مُجرَوْنَ يجمعُ بينهم مِضمارُ
الوفدُ وفدُك طائفٌ ببيوتهم ... والحاملُ العبقاتِ والسُّمّارُ
تُتلَى عليهم فيك كلُّ فضيلةٍ ... للبيتِ فيها النشرُ والتَّذكارُ
أيدٍ طُبعنَ على السماح وأوجهٌ ... في عتقها من دوحتيك نِجارُ
هم ما هُمُ! ويزينُ مجدَ أبيهمُ ... خالٌ لزَنْدِ المجدِ منه سِوارُ
ما غِبتَ عنهم وهو شاهدُ أمرِهم ... لك منه فيهم كافلٌ وظِوارُ
فليبقَ وليبقوا له ما طبّق الـ ... ـآفاقَ طِيبُ ثنائك السيّارُ
واذا العزاءُ أتى فذَلَّ لهم به ... فيك العزيزُ وأسهلَ المِعسارُ
ولقد أُسلّيهم (٢) وفي عِظتي لهم ... جَزَعٌ ورَجْعُ كلاميَ استعبارُ
ساهمتُهم عِبءَ المصابِ وكلُّنا ... تحت التجمُّل حاملٌ صبّارُ
لا تبعُدَنّ بِلًى، فقد فات البلى ... بك أن يُظَنَّ تقاربٌ ومَزارُ
وسقاك إن عطِش القليبُ وماؤه ... متبجِّسٌ (٣) وقَرارُه خَرّارُ (٤)

---

(١) تدوى : تُمرض . (٢) في الأصل "أسليهم" . (٣) متبجّس : متفجّر، وفي الأصل "متنحس" . (٤) خرّار : له خرير وهو صوت الماء، وفي الأصل "جزّار" .

متهـــدِّلُ الأطرافِ يَمسَحُ بالثرى ... ممـا تراكَـمَ ذيـــلُهُ الجَـــرَّارُ

صَخِبُ الرُّعودِ تَهيـــجُ فى جَنباتِهِ ... للعـاصفـاتِ جَراجِرٌ(١) وخُـــوارُ

فجَـــرى يجلِّلُ بالحيـا حِيطـانَهُ ... حتى الجـــداولُ تحتهـا أنهـارُ

يَسقِى بأعذب ماسَقَى حيث ٱلتقتْ ... فِلقُ الصفيحِ عليــكَ والأحجـارُ

حتى يُظَنَّ ثراكَ نَشــوانا به ... دارت عليـه من السحابِ عُقارُ

ويضوعَ منك بطيبِ مافى ضمنه ... فكأنّ ضارجَ تُربه عطّـارُ

ونزلتَ حيث تُحَطُّ أملاكُ العـلا ... شـــوقا اليـــك وتُرفَعُ الأوزارُ

تم الجـــزء الأوّل

ويليه الجزء الثـانى ، أوّله قصيدة مطلعها

رعَتْ بين "حاجَرَ" والنعفِ "شهرا" ... جَمـــيمًا(١) وعبَّتْ(٢) شآبيبَ غُـــزْرَا

(١) الجراجر : الأصوات . (٢) الجميم : النبات الكثير . (٣) عبّت : شربت وجرعت ، وفى الأصل " غبّت " .

إصــــلاح خطأ

وقعت فى هذا الجزء أغلاطٌ قليلة نرجو تصحيحَها فى صُحُفِها وهى :

صحيفة	سطر	خطــأ	صــــواب
١	١١	وقَذاءُ	وقَذاةُ
٢٧	١٢	المزاح	المِراح
٢٧	٢٠	(٤) الجُرُبُ جمع أجرب	(٤) الجَرِبُ : الأجربُ
٢٨	٢٢	(٩) الأُهَبُ جمع أُهبة وهى العدّة	(٩) الأُهُبُ جمع إهاب وهو الجلد
٣٠	٦	كاثُرُوا	كاثَرُوا
٤٤	١٥	الزُّنجِىَّ	الزَّنْجِىّ
٤٥	٢١	حجراتهم	حجزاتهم
٤٧	٧	رافدتْ	رادفتْ
٤٧	٩	تُدْمَل	تَدْمَل
٤٧	١٦	شبهُهُ الأيّامَ	شبهةَ الأيّامِ
٤٨	٢	حُسنَها	خمْسَها
٤٨	١٠	رأَمتْ أبواءَها	رُئِمتْ أبواؤُها
٤٩	٩	محداجُها،	مخداجُها
٥٠	١٧	دُبو بها	دَبو بها
٥٠	٢٢	(٩) تزمّ : تصوّتُ	(٩) تُرِمُّ : تَسكتُ
٨٨	٨	أبى الحسين	أبى الحسن
١٥٥	٢٠	(٣) الحرّة : الحجارة السود	(٣) الحَرَّة : الأرض ذات الحجارة السود
١٥٧	٢١	(٦) لأذَمّتْ : لأعيت	(٦) لأرمَّتْ : لسكتتْ
١٧٥	١٧	وُرقاء	وَرقاء

(مطبعة الدار ٩٢/١٩٢٤/٣٠٠٠)

دار الكتب المصرية

القسم الأدبى

ديوان مهيار الديلمى

الجزء الثانى

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٥ هـ — ١٩٢٦ م

فهرس

قوافى الجزء الثانى من ديوان مهيار

(ملحوظة) ليس للشاعر قواف من حروف الزاى والشين والظاء والغين .

*

الجزء الثاني

من ديوان مهيار

صحّحنا هـذا الجزء بالطريقة التى صحّحنا بها الجزء الأوّل ، وهو لا يقلّ عناءً فى تصحيحه عن سابقه ، ويتبيّن ذلك من التصويبات الموضوعة فى أواخر الصحف ومن الأمثلة التى آخترناها للدلالة على مبلغ ما فى هذا الجزء من تحريف ، ونقلنا صفحتين فتوغرافيّتين لتكونا نموذجا لباقى الصفحات ، إحداهما صفحة (٢١٦) التى طُمست أوائلُ أبياتها طمسا تامًّا أو بقى من كلماتها أواخر حروفها ، فأوجدنا أخرى غيرها تتفق مع سياق البيت ومع ما بقى من حروفها الأخيرة ووضعناها بين هـذه العـلامة [ ]

وقد توسّعنا فى الشرح بقدر ما يحتمله المقام ، عملا بإشارة كثيرين من ذوى الرأى والعلم والأدب ، وفى مقدّمتهم حضرة صاحب العزة "محمد أسعد برّاده بك" مدير دار الكتب المصرية شاكرين له تعهّده إيّانا بإرشاده وسداد رأيه ما

أحمد نسيم

بدار الكتب المصرية

*

أمثـــلة

من كلماتٍ محـرّفة

صحيفة	سطر	
		الأصل : أمنتك يا " قران " وربّ يوم حذرت لو آنه نفع الحــذارُ
٦	١٠	صوابه : أمنتك يا " فراق " وربّ يوم حذرت لو آنه نفع الحــذارُ

\+ + +

صحيفة	سطر	
		الأصل : ترى " الـــووق " الزاكيا ت من شـفافات الثمـرْ
١٤	٨	صوابه : ترى " العـــروق " الزاكيا ت من شـفافات الثمـرْ

\+ + +

صحيفة	سطر	
		الأصل : يأوى الى " بديعــة " من عزمه تطلعه قبـل الورود الصــدّرا
٢٧	١٤	صوابه : يأوى الى " بديهــة " من عزمه تطلعه قبـل الورود الصــدَرا

\+ + +

صحيفة	سطر	
		الأصل : والأمر فيكم؛ لا يطاع " لفى " زُورٌ ولا يراقب آسمٌ مفــتَرَى
٣٢	٢	صوابه : والأمر فيكم؛ لا يطاع "لقبٌ" زُورٌ ولا يراقب آسمٌ مفــتَرَى

\+ + +

صحيفة	سطر	
		الأصل : ولكن تطالَلْ بعين النصـيح لعـلّك " مشــتفر " تنظـرُ
٣٣	١١	صوابه : ولكن تطالَلْ بعين النصـيح لعـلّك " مستشرفا " تنظـرُ

\+ + +

صحيفة	سطر	
		الأصل : " فتحلِم " فى ربوعك أو تسدّى خمائلَ تأسر الطـرفَ الطليقا
٣٥٦	٩	صوابه : " فتُلِحِم " فى ربوعك أو تسدّى خمائلَ تأسر الطـرفَ الطليقا

أمثـــلة

من أبياتٍ سقط بعضُ ألفاظها

صحيفة	سطر		
		الأصل : فإن تقتنوها بالجميل ...... لكم	حصونا على الأحساب من أنفَس الذخرِ
٢٥	٥	صوابه : فإن تقتنوها بالجميل [بنت] لكم	حصونا على الأحساب من أنفَس الذخرِ

\+ + +

صحيفة	سطر		
		الأصل : ودونها من أسلاتِ عامرٍ	جمـــرة ... ... لا تبوخ نارُها
٨٨	٣	صوابه : ودونها من أسلاتِ عامرٍ	جمـــرة [حربٍ] لا تبوخ نارُها

\+ + +

صحيفة	سطر		
		الأصل : وَحفٌّ اذا ماغربت ...... يدًا	فارقـــةٍ أدردَ أسنانَ المشُــطْ
١٥٩	٨	صوابه : وَحفٌّ اذا ماغربت [فيه] يدًا	فارقـــةٍ أدردَ أسنانَ المشُــطْ

\+ + +

صحيفة	سطر		
		الأصل : والمـــالُ أهون أن تُضيعَ لحفظه	إن كنت حرًّا ماءَ ... ...
٢٦٩	١٤	صوابه : والمـــالُ أهون أن تُضيعَ لحفظه	إن كنت حرًّا ماءَ [وجهٍ يُنزَفُ]

\+ + +

صحيفة	سطر		
		الأصل : ورَى أكبادَها بالقاع	جـــوائمُ ما ٱستتمّ لهنّ خَلقُ
٣٥٧	١٣	صوابه : ورَى أكبادَها بالقاع [زُغبٌ]	جـــوائمُ ما ٱستتمّ لهنّ خَلقُ

(ملحوظة) نعيد هنا ما قلناه فى الجزء الأوّل : "وٱضطررنا الى زيادة طائفة أخرى من الكلمات التى نقصتها الأبيات لتحلّ محلّ المفقود، وراعينا فى ذلك ما يرمى اليه الشاعر، غير جازمين بأنها هى بعينها ، إذ قد تختلف هـــذه الكلمات فيما لو وجدت نسخة أخرى، ولكنّا زدناها لتعطى صورة تكميليّة فحسب لهذه الابيات فى ٱتزانها ومعناها" .

أمثـــلة

من كلماتٍ أُهملتْ أو أُعجمتْ خطأً

صحيفة	سطر		
		الأصل : رِباطا لشـملهمُ أن "يشـدّ"	ودعمـا لسقفهمُ أن يخِـرّا
٤	١٥	صوابه : رِباطا لشـملهمُ أن "يشِـذّ"	ودعمـا لسقفهمُ أن يخِـرّا

* * *

صحيفة	سطر		
		الأصل : " وإنمـا " علاقـــــة	بيـن الغـــرام والعُمُـــرْ
١٢	٥	صوابه : " وأيّمـا " علاقـــــة	بيـن الغـــرام والعُمُـــرْ

* * *

صحيفة	سطر		
		الأصل : وإما أن "تجيبَ" فلست فيهـا	بأوّل طالبٍ حُرِمَ اللُّحـوقا
٣٥٤	٦	صوابه : وإما أن "تخيبَ" فلست فيهـا	بأوّل طالبٍ حُرِمَ اللُّحـوقا

* * *

صحيفة	سطر		
		الأصل : وجادك كسب جودك من "ثيابى"	مواقرَ ترجِع الذاوى وريقـا
٣٥٦	٧	صوابه : وجادك كسب جودك من "ثنائى"	مواقرَ ترجِع الذاوى وريقـا

* * *

صحيفة	سطر		
		الأصل : و"سلّت" كفَّ خطبٍ كان منها	لرتق علائكم وهنٍ وفتقُ
٣٥٩	١١	صوابه : و"شلّت" كفَّ خطبٍ كان منها	لرتق علائكم وهنٍ وفتقُ

* * *

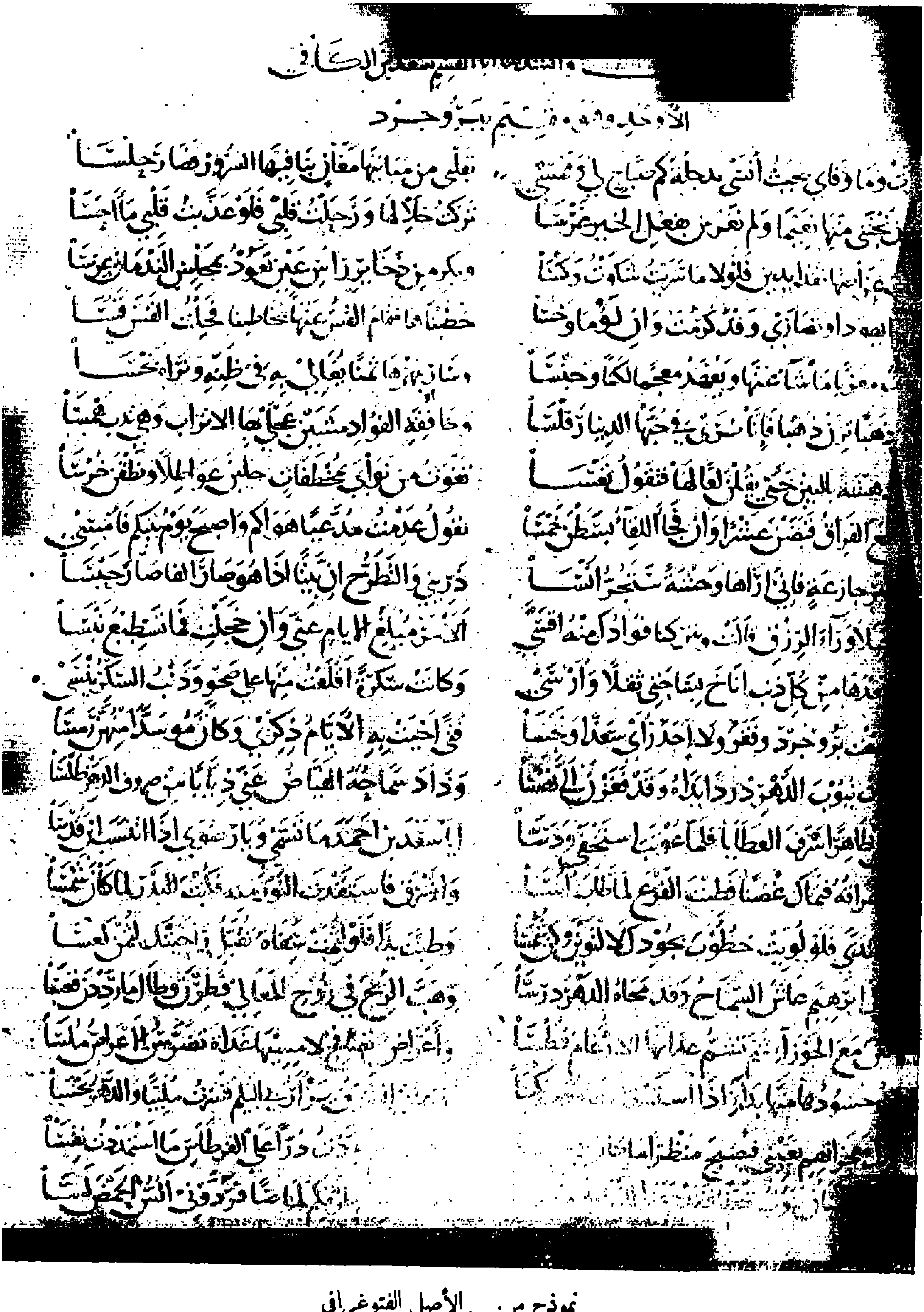
صحيفة	سطر		
		الأصل : تخـال صـبغ " النِّفسِ " فى	ســنانه صـبغَ العَـلَقْ
٣٦٤	٧	صوابه : تخـال صـبغ " النِّقسِ " فى	ســنانه صـبغَ العَـلَقْ

اســـتدراك

وقع فى صحيفة ١٣٣ سطر ٢ (يرشح) والصواب (يرسخ) وفى صحيفة ١٩١ سطر ١٦ (يومُ) والصواب (يومَ) وفى الصحيفة عينها سطر ١٧ (حقوقا) والصواب (خفوقا) .

وفى صحيفة ٣١٠ سطر ١٦ (البناء) والصواب (الثناء) [وفى الأصل «الينا»] .

*



نموذج من الأصل الفوتوغرافي

[صفحة (٢١٦) يقابلها صفحة (١٢٨ — ١٣١) من هذه الطبعة]



واين زها بصانتن كهه وبصا نرى وجه الغنى فيه مشرقا
وقد أفسد الناس المقال فلا ترى لكثرهم من يرتضي المحال محققا

ابن العبد عالمين زجا فاعطيا امانا من الاخوان فيك وموثقا
فعادت بذاك لذة العيش مصبحا وراوح بعد اسنة اللين معنقا

واعط وخاعمر الزمان محكما وضح وعبد جارا ومشرقا
فلو كانت الايام تنطق افصحت بما فيك من حسن الثنا ونطقا

وكتب اليه

نموذج آخر من الأصل الفتوغرافى

[صفحة (٢٨٤) يقابلها صفحة (٣١٠ — ٣١٤) من هذه الطبعة]

*

بسم الله الرحمن الرحيم

الجـــزء الثانى من ديوان مهيـار

تتمـــة قافية الراء

وقال وكتب بها الى أبى سعد بن عبد الرحيم وقد عاد من الحجّ

رَعَتْ بين "حاجرَ"(1) "والنّعفِ" شهرا ‏ ‏ جَمِيما(2) وعبّتْ(3) شآبيبَ(4) غُـزْرا(5)

مِـراحًا(6) محلّـلةً عُقْـلُها(7) ‏ ‏ ترى الخصبَ أوسعَ من أن تُجِـرّا(8)

مكرمةً عن عِصِىّ الرُّعاةِ ‏ ‏ فإن كان لا بدَّ ردعٌ فـزجرا

ولا ظُعُنٌ(9) ثَمّ مرحـولةٌ ‏ ‏ تجـرُّ الجنوبَ(10) ولا ضيفَ يُقْرى

الى أن غدا الهضبةَ ابنُ اللّبو(11) ‏ ‏ ن ــ فيما ترى العينُ ــ والنابُ قصرا

فكان على ذاك شمُّ السّفا(12) ‏ ‏ ولسُّ(13) الهشيم(14) وإن كان مُرّا

---

(1) حاجر والنعف : اسما موضعين . (2) الجميم : النبت الكثير أو هو ما غطى الأرض .

(3) عبت : شربت ، وفى الأصل "غبيت" . (4) شآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر .

(5) غزرا : غزيرة . (6) مراحا : فرحى ، وفى الأصل "مزاحا" . (7) العقل جمع عقال وهو ما تعقل به الدابة . (8) تجترا : تأتى بالجرة وهى أن يُخرج البعير ما فى بطنه ليمضغه ثم يأكله ثانية . (9) الظعن جمع ظَعُون وهو البعيرُ يُحتَمل و يُحمَّل عليه . (10) فى الأصل "الحبوب" . (11) ابن اللبون : ولد الناقة اذا كان فى العام الثانى واستكمله وقيل اذا دخل فى الثالث .

(12) السفا : التراب . (13) اللس : تناول الكلأ بمقدم فم الدابة أو بطرف لسانها .

(14) الهشيم : النبت اليابس المتكسر .

(١٧١)

ومــاءٍ[١] تَعــرمضُ[٢] أوشــالُهُ[٣] … "ببابــلَ" أشهَى اليهـا وأمْرا
بــلادٌ منــابتُ أوبارهــا … عليهـا ربَتْ يوم تُنزَى[٤] وتُذْرَى
وأفــلاؤهـا[٥] ومسـاقيطُها[٦] … تَقـامَصُ فيهـا قَلوصـا[٧] وبَكْرا[٨]
وتُحمَى بأرماحِ فـرسانِهـا … اذا شُلَّت[٩] الإبلُ طـردا وطَـرّا
وفيهـا الكواعبُ والمحصَـنا … تُ من مقتنيها عَـوانا[١٠] وبِكرا[١١]
نجـومُ قبيـلٍ اذا ما طلعن … أغرنَ النجومَ وإن كنَّ زُهْرا
وكلّ ثقيـلةِ حَمـلِ الإزار … خفيفـةِ ما ضمَّ عُنقا وخَصْرا
ترى الغصنَ تحسبه فى النسيم … أخاها وإن كُسِيَتْ يوم يعرَى
أمنهـا — وإن نام ليلُ الوشاة … وعاد المَواقدُ فى الليل حُمْـرا —
— ومرّ يصوّبُ سرحُ النجوم — : … خيـالٌ ألمَّ ولا حينَ مَسرَى؟
ألمَّ بمعتنـقٍ سـاعـديه … يطارح منهـا الأمانىَّ ذِكـرا
فمـا رابه من صـعيد "الغويـ … ـر" إلا تحوّلُه الليـلَ عِطْـرا
ولمـا أضـاء الذى حـوله … تطلّع يحسَب "ظمياءَ" بـدرا
فلله "بابــلُ" نفّـاثـةً … وإن ضرّت الحلم سحرا وخمـرا
عـلى أنهـا مـنزلٌ لا يكا … د يحمِـل فى غالب الأمر حُـرّا
ومزلقــةٌ بالفــتى لا تكون … لذى حاجةٍ وابنِ فضـلٍ مَقَرّا
الى كم أطامنُ عُنقـى بهـا … خُمـولا وأعرُكُ جنبىّ فقـرا

(١) فى الأصل "وما" . (٢) تعرمض : تطحلب . (٣) أوشال جمع وشل وهو الماء القليل . (٤) تنزى : تُنزَف . (٥) أفلاء جمع فلو وهو الجحش أو المهر والمراد بها هنا أولاد النوق . (٦) مساقيط جمع مسقوط وهو الولد يسقط من بطن أمّه . (٧) القلوص : الشابة من الإبل . (٨) البكر : الفتىّ من الإبل . (٩) شُلّت : طُرِدت . (١٠) العوان : المسنة أو النصف من النساء . (١١) البكر : العذراء .

وأتبعُ إلفى، وحزمى يقول : وراءك فى غير ذا المصر مصرا (١)
كفى الناس لؤما بمثلى يضيـ ـع فيهم ويطلبُ منهم مَفَرّا
فَلِمْ يغمز الدهرُ حملا علىّ ، ما لك أبعدك الله دهرا!
أمن أجل أنى بفضلى وسعـ ـتُ أهلك توسعنى منك شرّا؟
وما زلتُ أحفِل بالغدرِ منك وأنكر جورَك حتى آستمرّا
ولو قد وفت " لعميد الكفا ةِ " أيامُه لم أنل منك غدرا
إذن لوقتنىَ حصداؤُه منه (٢) تُطير سهامَك ثلْما وكسرا
وكنتُ أعزَّ حِمًى أن أضامَ وأمنعَ فى حَرَم الأمن ظهرا
وردَّك عنّى ولا الطود فَلَّ بكفيك منّى ولا الليثُ فرّى (٣)
عوائد ما أسلفتْنى يداه على نائباتك غوثا ونصرا
لئن كنتَ أسحلتَ (٤) فى كفه من العهد حبلا فتيلا مُمَرّا (٥)،
وأصبحتَ تنهَدُ (٦) بغيا اليه بشهباءَ بيّتّها (٧) أمس مكرا،
فلم تُنجِ (٨) إلا على المكرماتِ ولا هِضتَ (٩) إلا السماحَ المبرّا،
لغادر جهلُك قلبَ العلا خفوقا بها وحشى المجدِ حَرّى
ضممتَ عليه جَناحَ العُقوق فرُحتَ بها قد تأبطتَ شرّا
فسل عنه كيدَك يا دهرُ : كيف ثناك ثباتا وأعياك صبرا!
وكيف حشدتَ له وآرتقيتَ فلم تستطع طودَه (١٠) المشمخِرّا!

---

(١) المصر : المدينة . (٢) الحصداء : الدرع الضيقة الحلق المحكمة . (٣) فرى : قطع وشقّ . (٤) أسحلت : جعلته سحيلا أى مفتولا فتلا واحدا ضعيفا . (٥) الممرّ : المحكم الفتل . (٦) تنهد : تقصد . (٧) الشهباء : الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح . (٨) فى الأصل " تنخ " . (٩) هضت : كسرت . (١٠) الطود المشمخر : الجبل العالى .

وَفَى ناهضـا بك حــتى رددتَ صروفَــك عنــه رَذايا[١] وحَسرى[٢]

وما كنتَ ـ والأَسَدُ الوَرْدُ[٣] أنتَ ـ لتُعــلِقَ بالحــرِّ نابا وظُفْــرا

ولكنّهــا دولةٌ أعرضتْ ودنيــا تَنَقّــلُ مَرًّا ومَرًّا[٤]

هو الحظّ يَعقِل من حيث جُـ ـنّ والمـالُ يرجعُ من حيث مَرّا

وخيرُ بنيــك الذى إن نقصـ ـتَ من حاله آزداد مجدا ونخــرا

وما كَثّرَ المــرءُ خــيرا له من الحمدِ والحسبِ العِـدِّ ذُخرا

اذا ســلم العرضُ عرضُ الكريم وعزّ فــلا وفَــرَ اللهُ وَفْــرا[٥]

لعــلّ مُجعجِعَها[٦] أن يطيــلَ لهـا فى الأزمّــةِ[٧] سحبا وجرّا

ويتركهـا وســواءَ الطــريق تسـاقُ الى غايتيهـا وتُجــرَى

فتأتى ويا قربَهـا من مُـنًى يقول لهـا الدهر : صفحا وغَفْرا

مبينا بمـا قــد جـنى تائبـا اليــك بسـالفِ ما قــد أصرّا

تــرى للنــدامةِ فى صفحتيـ ـه ســطرا مبينا وللذلّ ســطرا

لعــمرى لئن صوّحتْ[٨] دوحةٌ[٩] لقــد أعقبت غُصُنًا منــك نَضْرا

وسيعَ الظلالِ[١٠] عــلى قومــه شهيَّ الجــنَى[١١] ناعمـا مسبَكِرًا[١٢]

رِباطا لشــملِهِمُ أن يشــذّ[١٣] ودَعْمـا[١٤] لسقفِهِمُ أن يَخِــرّا

بك آنتظم العقدُ من بعــد ما تهـاوَى فعطّلَ جيــدا ونحــرَا

---

(١) الرذايا : النوق المهزولة الضعيفة وهى هنا مجاز، وفى الأصل "ردايا" . (٢) الحسرى : التى أعيت من السير وكلّت وتعبت . (٣) الورد : من صفات الأسد وهو الأحمر الضارب الى الصفرة . (٤) مرّا ومرّا : تارة وتارة . (٥) الوفر : المـال . (٦) المجعجع : مبرّك البعير ومنيخه . (٧) الأزمّة جمع زمام وهو ما تقاد به الدابة . (٨) صوّحت : يبست وجفّت . (٩) الدوحة : الشجرة العظيمة . (١٠) فى الأصل " الطلال " . (١١) الجنى : ما يُجنَى من الشجر ما دام غضًّا . (١٢) مسبكرّا : ممتدّا . (١٣) فى الأصل "يشدّ" . (١٤) الدعم : التقوية .

ضممتَ قواصيَهم بعد ما ... تعاطَوْا عصا البين صَدْعا وقَسْرا[1]

وكنتَ لهم كأبيك الكريم ... حُنُوَّ الرءوم[2] وعَطفًا وبِرًّا

فلم يهوِ طودٌ وأنتَ الكثيب[3] ... ولا مات "زيدٌ" اذا كنت "عَمْرا"

أطافوا بناديك وآستحلبوك ... فأحسنتَ حَوْطا وأغزرتَ دَرًّا

وما ضرّهم أنهم يعدَمو ... ن غيثا وقد وجَدُوا منك أثرى

مَخايلُ كنتُ توسّمتُها ... قديما وعيَّفتُها فيك زَجْرا

وأيقنَ صدرِىَ أنّى أراك ... لأهلك وجها وللناس صَدْرا

بما كنتَ أبعدَهم هِمّةً ... وأمتنَهم فى الملمّات أَسْرا[4]

وأضيقَهم عُذْرةً فى السؤال ... وأوسعَهم ليلةَ القُرِّ[5] قِدْرا

وأجلَى اذا الشُّبهاتُ آختلط ... ن رأيا وأمضَى لسانا وأجرَى

أمور اذا آجتمعتْ للفتى ... أراد به اللّهُ فى العزِّ أمرا

سُدِ اليومَ أبناءَ "عبد الرحيم" ... فأنت غدًا سيّدُ الناس طُرًّا

وثقْ ببشائرَ تُملَى علىَّ ... فما كَذَبتْ لِىَ فى الخير بُشرى

أنا آبنُ الوفاءِ الذى تعلمو ... ن لم أنوِ نَكْثا ولم أطوِ غِمْرا[6]

قسيمُكُمُ إذ أساء الزمانُ ... كما كان قاسمَكم حين سَرًّا،

حُلِيًّا على عَطَل المهرجا ... ن يُعصَبنَ تاجا ويُرصَفنَ شَذْرا[7]

فإن تك وقتا أخلّتْ بكم ... فربَّ آنقطاعٍ وما كان هَجْرا

ولولا تلاعبُ أيدى النوى ... بكم ما أَغَبَّتْ[8] ثناءً وشُكرا

(١) القسر: الإكراه على الأمر. (٢) الرءوم: التى تحنو وتعطف على ولدها. (٣) الكثيب: التلّ من الرمل. (٤) الأسر: القوة. (٥) القر: البرد. (٦) الغمر: الحقد. (٧) الشذر: اللؤلؤ الصغير. (٨) ما أغبت: ما آنقطعت.

وقال يمدح الكافىَ الخطيرَ شرفَ المعالى أبا عبد الله القَنَانىّ(١) ، ويهنّئه بالمهرجان ، ويشكره على جميل أسلفه إيّاه

متى رُفعتْ لهـا «بالغور»(٢) نارُ ... وقرّ «بذى الأراكِ» بهـا قرارُ ،
فكلُّ دمٍ أراق السـيرُ فيهـا ... بحكم السـير مطلولٌ جُبارُ(٣)
فهـل بالطالعين بنـا الثنايا(٤) ... أنـوقٌ(٥) ليـلُ نظـرتهِ نهـارُ
لعلّك أنْ ترى عيناك قبـلى ... مواقـدَ والزفـيرُ لهـا شَـرارُ
وبعضُ المصطلين وإنْ نآنى(٦) ... وأوحـدنى أخو ثقـةٍ وجارُ
يزيدُ عـواذلى عنـه ٱلتفاتى ... بآية شطَّ أو بَعُـدَ المـزارُ
وما عَصْبُ النـوى عينى عليـه ... بأوّل ما طـوى القمرَ السّـرارُ
أمتُـك يا فـراقُ(٧) وربَّ يومٍ ... حـذرتُ لو ٱنه نفع الحـذارُ
أخذتَ فلم تدع شـيئا عليـه ... يُخـاف أسًى ولا يُرجى ٱصطبارُ.
حبيبٌ خنتَنى فيـه ودارٌ ... وللنّـاسُ الأحبـةُ والديارُ
أمرتجعٌ — ويا نَفْسى عليـه(٨) — ... «برامة» ذلك العيشُ المُمـارُ
وثـوبُ شبيبةٍ ما فاض حـتّى ... تقلّص منـه وٱنشـمر الإزارُ
لكلّ سليبةٍ بدلٌ ، وفـوتٌ ... لمـا سُـلبَ المسائحُ(٩) والعـذارُ

---

(١) القنانىّ : نسبة الى قَنَان وهو جبل بأعلى نجد ، أو ٱسم جبل به ماء يسمى العسيلة وهو لبنى أسد .
(٢) الغور وذو الأراك : اسما موضعين . (٣) الجبار : الهدر . (٤) الثنايا جمع ثنية وهى العقبة أو الطريق فى الجبل . (٥) الأنوق : العقاب ، ويضرب المثل بحدّة بصرها فيقال " أبصر من عقاب " . وفى مثل آخر " هو أعز من بيض الأنوق " يضرب لمـا عز نيله ، وفى الأصـل " أبرق " .
(٦) نآنى : بعُدَ عنّى ، وفى الأصل " نأى " . (٧) فى الأصل " يافران " . (٨) ويا نفسى عليه : يمنى ويالهف نفسى . (٩) المسائح جمع مسيحة وهى شعر جانبى الرأس .

ظلامٌ هبّ فيه وليتها لم ... تلُحْ هذى الأدلّة والمَنارُ

وربَّ سميرِ ليلٍ ودّ ألّا ... يُضيءَ (١) على جوانبه النهارُ

ألا يا صاحبَيّ حُرَقِي نجاءً، ... يفوتكما بى اليومَ الوقارُ

خُذاني حيث لا النظرُ استراقٌ ... لِريبتهِ (٢) ولا النجوى سِرارُ

وزُمّا بالمطامع أنفَ غيرى ... فبى عنها — وإن خدعَتْ — نفارُ

كفَى بالحرص عيبا أنّ أولَى ... جداه مُنًى وغايتُه (٣) انتظارُ

وما أنسى بآمالٍ طِوالٍ ... تُناوِلهنّ (٤) أيّامٌ قِصارُ!

يقول المرءُ ما يهوَى ويرجُو ... ويفعلُ فعلَه الفَلَكُ المُدارُ

وإن ظمِئت ركابٌ أو أُجيعتْ ... فأفرَعَ (٥) شَعرَها الوبَرُ المطارُ

فخيرٌ من مراعيها بذلٍّ ... عِضاضٌ (٦) بالحناجر (٧) واجترارُ (٨)

وإلا فابغيا "شرفَ المعالى" ... بها إن كان للظُّلم انسفارُ

وضُمّا "بالخطير" غريبتيها (٩) ... فثَمّ العزُّ يَمنَعُ والجِوارُ

وماءٌ فاضلٌ عنها وبَقلٌ ... تَبزّلُ (١٠) فى كمائمه البِكارُ (١١)

رِدَا المجدَ التليدَ بها وعُوذا ... بأغلبَ (١٢) حبلُ ذمّته مُغارُ (١٣)

بحرٍ نَدًى يفيضُ وبدرِ نادٍ ... وإن رُغِم البدورُ أو البحارُ

جَوادٌ لا يزلُّ به عِثارٌ ... وجارٍ لا يُشَقُّ له غبارُ

تمنّى الناسُ أصغرَ همّتَيه ... ففاتت دونها الهممُ الكبارُ

---

(١) فى الأصل "يصيب" . (٢) هذه الكلمة وردت فى الأصل هكذا "لرسه" .
(٣) فى الأصل "وغايق" . (٤) فى الأصل "تناوئهن" . (٥) أفرع : أدمى، والمراد أدمى منابت شعرها . (٦) العضاض : العضّ . (٧) فى الأصل "الخفاجر" .
(٨) الاجترار: أن يُخرج البعير ما فى بطنه الى فمه ليأكله ثانيةً . (٩) الغريبة : التى بعدت عن وطنها . وفى الأصل "عرتيها" . (١٠) تبزّل تصير بُزّلا، والبازل من الإبل : المسنّ . (١١) البكار جمع بكرة وهى الفتية من الإبل . (١٢) الأغلب : الأسد . (١٣) المغار : المفتول أشد الفتل .

(١٧٣)

وطار بـــه فأنعـــله الـــثريّا فـــؤادٌ لا يطـــير به الحِـــذارُ
ونفسٌ حـــرّةٌ لا يزدهيهـا حُـــلَى الدنيـا وزخرفُهـا المُعـارُ
يبيت الحقُّ أصـــدقَ حاجتِهـا وكسبُ العزّ أطيبَ ما يُمـارُ
اذا آلتفتت الى الدنيـا عيونٌ فلفتتُهـا إباءٌ وآحتقـارُ
من الوافين أحلاما وعهدا اذا هفَت الحُبَـا ووهى الذمارُ
كرامٌ لا يرون العُسرَ فقـــرا وفى العـــرض الغـــنى والإفتقارُ
اذا عزّوا بأرض أوْطَنـــوها وإن ضِيموا(١) بهـا ركبوا فسـاروا
كُفُوا بدلالة "الكافى" عليهـم بحـرص ما آدعى لهـم الفخارُ
مضـــوا سلَفا وجاء يزيد مجـــدا كما أوفى على السُّـحب القِطارُ(٢)
توحّدَ من بنى الدنيـا رَكوبٌ صـــعائبَهـا اذا كُرِه الخِطارُ(٣)
سعى لِحَوَى الكمالَ وهـــم قعودٌ وأنجـــدَ يطلب الدنيـا وغاروا
وأشرفُ شيمـــةٍ ظَلَفٌ(٤) وأمرٌ يطاعُ وعفـــةٌ معـها آقتـــدارُ
وعفٌّ فبـات يحلبهنّ مَذقا(٥) وأخلافُ(٦) الزمان له غِزارُ
حميتَ الملكَ مقتبلا وكهلا يَخـاف من الدنيّة أو يغـارُ
ولم تُدخِـــلْ غريبـا خارجيًّـا له بســـواه نهضٌ وآنتصارُ
وقوّمتَ الأمورَ وهنّ ميـــلٌ(٧) لهـا من كفّ جابرها آنكسارُ
وكلّ دعىٍّ فضـــلٍ مســـتطِبٌّ(٨) له بالعجـــز شغلٌ وآعتـــذارُ

---

(١) فى الأصل "صموا" . (٢) القطار جمع قَطر وهو المطر . (٣) الخطار : المخاطرة .
(٤) الظلف : الترفع عن الدنايا . (٥) المذق : اللبن الممزوج بالماء . (٦) أخلاف جمع خِلْف وهو حلمة ضرع الناقة . (٧) ميل جمع أميل وميلاء . (٨) المستطبّ : الذى يستوصف الدواء لدائه .

وسِعتَ الناسَ إحسانا وعَطفا كأنك رأفــةً بهِــمُ ظــؤارُ (١)
وصرتَ حُــلَى الملوك وأىّ كفٍّ لهــم مُدّت فأنت لها ســوارُ
تشــير بك العلا نصحا عليهـــم اذا ما خان رأىٌ مستشــارُ
بك آنتصرتْ يدى وعَلّا لسـانى وصمّم (٢) ناظــرى وبــه آزورارُ (٣)
وكنتُ أطيعُ مضطرًّا زمانى فأصبح لى على الزمن الخيــارُ
برَعيك فِىَّ حقّ الفضـــلِ صحّت قنــاةٌ كلُّهــا وضــمٌ وعارُ
وجُدتَ فعدتُ بعدجُفوفِ عُودى وفى أغصان أيكتِىَ آخضرارُ
عرفتَ توحُّدى فغــرستَ منّى غصــونا ذا الثناءُ لهــا ثِمــارُ
محاسنُ لا يــراها فِىَّ إلا بصـــيرٌ كيف يَنْتَقِــدُ النُّضــارُ
ورَدتُ نداك عَــذبا لم يُكدَّرْ له حــوضٌ ولم تُــنزَف غِمــارُ (٤)
عــلى الإعســار تعطينى كثيرا ويُعطِى النــاسُ ما بلَغَ اليَســارُ
ومن آياتِ جودك أن غَنِينــا به وإلى القليـــلِ بك آفتقــارُ
فعِش يبلُغْــك ما تجزِى القوافى وما يُســدَّى (٥) بهنّ وما يُنــارُ (٦)
بكلِّ غريبـــةِ المعـــنَى عَلوقٍ (٧) اذا قــرّتْ فليس لهــا نفــارُ
تســير بعرضــك المجلوِّ فيهــا مســيرَ الشــمس مُهلَتُهــا بِدارُ (٨)
لهــا فى الجوّ رافعــةً صُــعودٌ وفى مَهوَى الرياح لهــا آنحــدارُ
كأنّ فتيقَ (٩) منشـــرها "يَمــانٍ" تنفّس فى حقائبــه العِطارُ

---

(١) الظؤار : جمع ظِئْر وهو الذى يعطف على ولده ويطلق على الأمّ والأب . (٢) صمّم : مضى لا يلوى على شىء . (٣) الأزورار : الميل والأعوجاج . (٤) تنزف : تفنى وتنضب، والغمار جمع غمر وهو الماء الكثير . (٥) يسدى : يُجعَلُ له سَدًى وهو ما مدّ من خيوطه بخلاف لحمته . (٦) ينار : يلحم . (٧) العلوق : المرأة لا تحب غير زوجها . (٨) البدار : الإسراع . (٩) الفتيق : المنتشر الرائحة .

يسوق المهرجانُ اليك منها عرائسَ والنشيدُ لها نِثارُ
مبشِّرةً بأن الله عينٌ (١) عليك من الردى الجارى وجارُ (٢)
وأنك خالد لا الليلُ يُفني مداك من البقاءِ ولا النهارُ

*

وقال يمدح أبا المعالى عبد الرحيم فى النيروز

ما ليلتى على "أُقُرْ" (٣) إلا البكاءُ والسهرْ
بتُّ أظنّ الصبحَ بالـ ـعادة مما ينسفرْ
أرقبُ من نجومها زوالَ أمرٍ مستقِرّْ
رواكدٌ كأنما أفلاكهنّ لم تدُرْ
وكلّما قلت : آنطوى (٤) شطرٌ من الليل آنتشرْ
أسألها (٥) أين الكرى أينَ النهارُ المنتظَرْ
وكلُّ شيء عندَها إلا الرقادَ والسَّحَرْ
من مخبرى؟ فما أرى هل دام ليلٌ فاستمرّْ!
وغابت الشمسُ نعم فكيف خُلِّد القمرْ
أين الأُلى طرَّحهم مَطارحَ البين الحذَرْ
غابوا وما غابت لهم دارٌ ولا جَدَّ سَفَرْ
لكن عيون الكاشحيـ ـن الشُّزْرُ (٦) منها والخُزْرُ (٧)،
مابرِحتْ لانظَرتْ تمنعنا حتى النظَرْ

---

(١) العين : الحارس والحفيظ . (٢) الجار : الناصر . (٣) أُقُر : اسم واد بين الكوفة والبصرة . (٤) فى الأصل "أنظرى". (٥) فى الأصل "أسا". (٦) الشزر جمع شزراء وهى الحمراء من العيون كعين الأسد والغضبان . (٧) الخزر جمع خزراء وهى العين الضيقة .

تطلّعوا نارَ الجوى | في القلب كيف تستعرْ
وما الذى تبعثه | على الجوانح الذِّكَرْ
وأيّ نارٍ للفؤا | د فيهمُ عند البصرْ
غنّى "بهيفاءَ" الرّفا | قُ والكئوسُ لم تدُرْ
فكلّ صاحٍ انتشى | وكلّ نشوانَ سكِرْ
كأنما قلبي لها | في صدر كلّ من حضرْ
فظلتُ أبكى مثلما | أشربُ أدمعا حُمُرْ
كأنّ ماءَ قدحى | من بين جفنىَّ[1] عُصِرْ
قال الرسولُ : عتبتْ | "هيفاءُ"، قلت : ما الخبرْ
قال : تقول : ملّنا | قلت : الملولُ من غدَرْ
لا والذى لو شاء أن | يُنصِفنى[2] منها قَدَرْ
ما خُدِعتْ بغيرها | عينى على حُسن الصورْ
بَلَى ولا أُنكرهُ | وليس بالأمر النُّكُرْ
لقد رأيتُ البان من | "ذى العلَمين والسَّمُرْ"[3]
تضربه ريحُ الصَّبا | فيستوى ويناطِرْ[4]
فلتُ تشبيها بها | آخُذُ ضمًّا وأذَرْ
فإن رأت ذلك ذنـ | ـبا ، إننى لمعتذِرْ
يا يومَ دبَّ بيننا | أمرُ الفراق، ما أمرّْ!
ما كنتَ فى الأيامِ إلّا عارضا يَنطُفُ[5] شرّْ

---

(١) فى الأصل "جفنى" . (٢) فى الأصل "يصفنى" . (٣) ذو العلمين : اسم موضع فى اليمن والسمر : اسم موضع من نواحى العقيق والسَّمُر لغةً شجرٌ من العضاه وليس فى العضاه خشبٌ أجودُ منه . (٤) يناطر : ينثنى . (٥) ينطف : يسيل و يقطر .

قد عيَّفتك الطيرُ [لى](١) لكنّ قلبي ما زجَرْ
ولائم مُـــدّتْ له حبائلُ اللـــوم بخـــرْ
رأى هَناتٍ فنهى غـــيرَ مطاع وأمرْ
قال، فردَّ صاغرا، : أغزَلٌ مـــع الكِبَرْ؟
وأيُّما(٢) عَلاقـــةٍ بيـن الغرامِ والعُمُرْ
وأين إطـــرابُ النفو س مع أصابيغ الشَّعَرْ
رب شـــبابٍ ليـــلُهُ يصـــبح تنعاه الأُزُرْ(٣)
وشَيبِ رأسٍ ذنبُـــه فى الحُظُوات مغتفَـــرْ
حلفتُ بالشُّعثِ(٤) الوفو د زُمَرا عـــلى زُمَرْ(٥)،
يَرَون ظَلْمًا(٦) باردا بلـــثْم(٧) ذلك الحجـــرْ،
ومن دعا ومن ســـعى وآستنّ سبعا وجَمَـــرْ(٨)،
وسَوْقهم مثـلَ الحصو نِ مُرّدت(٩) إلا المَـــدرْ(١٠)،
توامكا(١١) ممطـــورةً أعشابُهـــا وقتَ المطرْ،
جاءوا بهـــا مجتهـــدين تُفتَـــلى(١٢) وتُختَـــبرْ(١٣)،
لكلِّ مُهْـــدٍ نسكَهُ أنفسَ ماليْـــه نَحَـــرْ،

---

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٢) فى الأصل "وإنما" . (٣) الأزر جمع إزار وهى المرأة، ومعناه رب شـــباب يبيضّ سواد شـــعره فتنعاه النســـاء . (٤) الشعث جمع أشعث وهو المغـــبر اللون المتلبد الشـــعر، ويريد بهم الحجاج . (٥) زمر جمع زمرة وهى الجماعة من الناس .
(٦) الظلم : ماء الأسنان . (٧) فى الأصل "يلثم"، ويريد بالحجر : الحجر الأسود بالكعبة .
(٨) جمر : رمى بالجمار . (٩) مرّدت : طوّلت وملّست . (١٠) المدر : الطين .
(١١) توامك جمع تامك وهى الناقة العظيمة الســـنام . (١٢) تفتلى : تُجتُّ بتـــدبّر وتمعن .
(١٣) فى الأصل "تجتهد" .

أن بنى "عبد الرحيـ	ـم" نِعْمَ كنزُ المُدَّخرْ
وخير من سُدَّت به	يومَ المُلِمَّاتِ(١) الثُّغَر(٢)
المطعمون الهَبْرَ(٣) وال	عامَ عبوسٌ مقشعِرّ(٤)
وصبيةُ الحيّ تُـدا	رى الإبلَ عن فضل الجُزُرْ(٥)
والريحُ لا تـلوى بأكـ	ـسار(٦) البيوت والجُدُرْ(٧)
وتحسب الفائز منـ	ـها مُلقِمَ البطنِ الحجرْ
والمانعين الجار لو	زُحزِح عنهم لم يُجَرْ
حتى يعزّ فيهم	عزَّ "تميمٍ" فى "مضرْ"
من بعد ما صاح به الـ	ـموتُ: آستمت فلا وزرْ(٨)
والواهبون بُسِطَ الر	زقُ عليهم أو قُدِرْ
لا يحسبون معطيا	أعطى اذا لم يفتقرْ
لهم حياض الجود وال	ـسوددِ(٩) فَعْماً(١٠) وغزَرْ(١١)
تُحْلَى(١٢) لهم جِمَاتُها(١٣)	وبعدُ للناس السُّؤَرْ(١٤)
أبناءُ مجدٍ نقلو	ه أثرا بعد أثرْ
روايةً يُسندها(١٥)	باقيهُمُ عمّن غَبَرْ

(١) الملمات جمع ملمة وهى النازلة الشديدة . (٢) الثغر جمع ثغرة وهى الطريق والمسلك، ويراد بها هنا الحاجات . (٣) الهبر جمع هبرة وهى القطعة الكبيرة من اللحم، وفى الأصل "البهر" . (٤) مقشعر: مجدب . (٥) الجزر جمع جزور وهى الناقة التى تنحر . (٦) أكسار جمع كِسْر وهو جانب البيت . (٧) الجدر جمع جدار . (٨) الوزر: الملجأ والمعتصم . (٩) فى الأصل "السود" . (١٠) فعما: امتلاء . (١١) الغزر: الكثرة والأصل فيه سكون الزاى . (١٢) فى الأصل "تحلى" . (١٣) جمات جمع جمة وهى ما اجتمع من الماء . (١٤) السؤر جمع سؤرة وهى البقية . (١٥) أسندها: عزاها وأخبر بها مسندة .

يُنْصَرُ عنهـا القولُ بالـ ـفعلِ فيسلم الخبَرْ
طابوا حيــاةً مثلمـا طابوا عِظاما وحُفَـرْ
تساهموا أُفق العــلا تساهُمَ الشهبِ الزُّهُرْ
كأنهم فى أوجــه الـ ـدنيا البهيمات (١) غُـرَرْ
فانتظموا نظمَ القنـا إلا الوصومَ والخـوَرْ
من "هبـة الله" الى "سابورَ" فخرٌ مستمِرّْ
قِسْ خبرى عنهـم الى "أبى المعـالى" واعتبِرْ
تر العـروقَ (٢) الزاكيا تِ من شُفافاتِ (٣) الثمـرْ
المشـترى الحمدَ الربيـ ـحَ لا يبـالى ما خسِرْ
والطَّلْقُ (٤) حـتى ما تبيـ ـن عُسرةٌ من اليُسُرْ
تكرع (٥) من أخلاقه فى سلسلٍ (٦) عذبِ الغُدُرْ (٧)
لم يُبقِ راووقُ (٨) الصبا قـذًى به ولا كدَرْ
ثمّ خلّتْ أربعيـ ـن عشرةٌ من العُمُرْ
وفاتَ أحلامَ الكهو ل وهو فى سن الغمِرْ (٩)
وأبصـر اليومَ غدا فلم يَرِدْ إلا صــدرْ
لاضـامه الخوفُ ولا أطغاه فى الأمن البَطَرْ
عـلى نــداه باعث من نفســه لا يُقتسَرْ (١٠)

(١) البهيات : السود . (٢) فى الأصل "الورق" . (٣) الشفافات جمع شُفافة وهى البقيّة .
(٤) الطلق : الضاحك المشرق . (٥) تكرع : تشرب بفيك من غير كفّ ولا إناء . (٦) السلسل : الماء الصافى . (٧) الغدر جمع غدير وهو النهر . (٨) الراووق : المصفاة . (٩) الغمر : من لم يجرب الأمور وهو هنا مجاز للصغر، وفى الأصل "العمر" . (١٠) لا يُقتسر : لا يُغصب .

اذا أحسَّ فـــترةً (١) لجّ (٢) عليهـا ونفـــرْ

لا يُخلفُ الظنَّ ولا يَلقَ الحقوقَ بالعُـــذُرْ (٣)

علقتُ من ودّك بالـ ـمُستحصِفِ (٤) المَثنى المِرَرْ (٥)

أملَس لا تسـحله (٦) بالغـدر كفُّ المنتسِرْ

وكنتَ [من] (٧) حيثَ اقترحـ ـتَ وأبى قـومٌ أُخَرْ،

تُعطى على الخِفَّـة (٨) ما يُعطُون والضَّرعُ (٩) دِرِرْ (١٠)

والخيرُ من مالك لى وإنْ وَفَى وإن كَثُرْ

محبـة ما فَــوَّزتْ (١١) نفسىَ منهـا فى غَرَرْ (١٢)

فـا أطــيرُ بأخٍ محلِّقـا ما لم تِطِـرْ

ولا يُـتَزّى (١٣) كبِدِى اذا وصلتَ مَن هَجَـرْ

فابق على وغْرِ (١٤) الحسو د نجوةً (١٥) من الغِـيَرْ

ترعاك عينُ الله لى من شرّ أعينِ البشرْ

ما ذيَّل النـيروزُ فى ثوبِ الرياض وخَطَرْ

وكرَّ عامٌ مقبـلٌ وآبـق الى أن لا يَكُرّْ

---

(١) الفترة : المدّة بين زمانين . (٢) لجّ : ألحّ . (٣) العذر : الأعتذار . (٤) المستحصف : المستحكم . (٥) المررجمع مِرّة وهى طاقة الحبل . (٦) يسحله : يفتله، والمنتسر : الناقض . (٧) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٨) الخفة : رقة الحال . (٩) الضرع : مدرّ اللبن من ذوات الخف أو الشاء والغنم كالخلف للناقة والثدى للمرأة . (١٠) دررجمع دِرّة وهى ما يَدِرّ من اللبن والمراد والضرع ذو درر، كقول الشاعر :

سـلام الإله وريحانه ورحمتـه وسماء درِرْ

أى سماء ذات درر . (١١) فوزت : ركبت المفازة . (١٢) الغرر : الخطار . (١٣) يتزى : يجعلها تنزو بمعنى تثب، وفى الأصل "تنزّى" . (١٤) الوغر : الحقد . (١٥) النجوة : ما ارتفع من الأرض .

وأسمع لها تُهدِى الى الـ ـعرضِ الغنى وهى فُقُر (١)

تضوع فى الناس بهـا نوافِجٌ (٢) لُسْنُ (٣) السُّرَرْ (٤)

سَــلَّمتِ الريحُ لهـا شــرطَ الرواح والبُكَرْ (٥)

كما تمطَّت (٦) بالخـزا مى لك أرواحُ السحَرْ (٧)

فهى بحكم معــقولةٌ (٨) وهى شرودٌ لا تقَــرّْ

اذا بنـاتُ شـاعرٍ أُنِّثن (٩) أوكُنَّ عُقُــرْ (١٠)

فكلُّ بنتٍ ولَدتْ فى مدحكم مــنّى ذَكَرْ

ترى حسودى حاضرا يُنشِــدُ وهو يحتضِرْ

تعجيــله عن نفســه سابقــةٌ أمرَ القــدَرْ

يُصــغِى لهـا ودُّه لو كان من قبلُ وَقِــرْ (١١)

* * *

وكتب الى الرئيس أبى طالب محمد بن أيّوب يهنّئه بالنيروز، و يلوِّحُ بذكر هفوةٍ جرت، وأسفرت، و يرجو (١٢) زوالَهـا

تُمــدُّ بالآذانِ والمنـاخرِ (١٣) "لحاجرٍ" ومَن لها "بحاجرِ"؟

ثغرُها منـــه أحاديثُ الصَّبا ولامعاتٌ فى السحابِ الباكرِ

---

(١) يريد بفقر : فقيرات . (٢) نوافج جمع نافجة وهى وعاء المسك . (٣) لسن جمع لسناء وهى الفصيحة المبينة . (٤) السرر جمع سرّة وهى هنا بمعنى وسط ما يسرّ فيه المسك ومعنى البيت : أن سرر هذه النوافج تنم رائحتها على ما فيها فهى من أجل ذلك فصيحات مبينات . (٥) البكر : الغدوّ . (٦) تمطت : مدّت . (٧) الخزامى : نبت طيب الرائحة . (٨) معقولة : مربوطة بالعقال . (٩) أنثن : كن إناثا . (١٠) يريد بعقر : عواقر لا يلدن . (١١) وقر : صمّ وذهب سمعه كله . (١٢) فى الأصل "وتوجّه" . (١٣) المناخر جمع منخر وهو ثقب الأنف .

وأعينٌ موكَّلاتٌ "بالحمى" من مستقيم اللحظ أو مُخازرِ (١)
تودّ لو أنّ ثراه عوضٌ من دمعها يُستافُ (٢) بالمحاجرِ (٣)
أرضٌ بها السابغ (٤) من ربيعها وشوقُها المكنونُ فى الضمائرِ
مَشاربٌ تُحُوّ تحتَ سُوقِها وعُشُبٌ يضفو على المَشافرِ (٥)
وحيثُ دبّت وربَتْ (٦) فصالُها (٧) وبَرَكَتْ تفحصُ بالكراكرِ (٨)،
وأَمِنَتْ سارِبةٌ سروحُها (٩) شَلَّةَ (١٠) كلِّ طاردٍ مُغاوِرِ (١١)،
تمنعُها سيوفُ "بكرٍ" (١٢) أن ترى بؤسا (١٣) وتحميها رماحُ "عامرِ" (١٤)
فهل لها وهل لمن تحلُّه من عائفٍ (١٥) "بحاجرٍ" أو زاجرِ (١٦)؟
سارت يمينا والغرامُ شأمةٌ (١٧) ياسِرْ بها (١٨) "يابنَ رَواحٍ" ياسرِ
فإنّها من حبّها "نجدا" ترى بكُثُبِ (١٩) "الغور" شِفارَ (٢٠) الجازِرِ (٢١)
"وبالحمى" أفئدةٌ من شجوها خاليةٌ سالمةُ الضمائرِ
وأعينٌ تحسبها قريرةً نائمةً عن أعينٍ سواهرِ

---

(١) المخازر : من يقبض جفنه ليحدّد النظر . (٢) يستاف : يُشمّ . (٣) المحاجر جمع محجر وهو ما دار بالعين . (٤) فى الأصل هكذا "السابع" وهى مما يحتمل تصحيفه الى "سابغ" بمعنى ضاف و"سائغ" فرجّحنا الأولى لما يقتضيه السياق . (٥) المشافر جمع مشفر وهو للبعير كالشفة للإنسان والجحفلة للفرس . (٦) ربت : نشأت . (٧) فصال جمع فصيل وهو من الإبل ما فُصل عن أمه . (٨) الكراكر جمع كِرْكِرة وهى صدر كل ذى خفّ . (٩) سروح جمع سَرْح وهو المال السائم ، وفى الأصل "سروج" . (١٠) الشلة : الطرد ، وفى الأصل "سلة" . (١١) المغاور : المغير على الشيء . (١٢) بكر : اسم قبيلة . (١٣) فى الأصل "نوسا" . (١٤) عامر : اسم قبيلة . (١٥) العائف : المتكهّن بالطير . (١٦) الزاجر : المتطيّر الذى يزجر الطير لعدم تفاؤله به . (١٧) الشأمة : ضدّ اليمنة . (١٨) ياسر بها : خذ بها ناحية اليسار . (١٩) كثب جمع كثيب وهو التل من الرمل . (٢٠) شفار جمع شفرة وهى السكين العظيمة العريضة . (٢١) الجازر : الجزار وفى الأصل "الحازر" .

يرمين كلَّ ساهرٍ بمزعجٍ — وكلَّ مجبورِ الحشا بكاسرِ
كفلَّهنَّ السُّقمُ بقلوبنا — فكلُّ قلبٍ فى ضمانِ ناظرِ
يا ليت شعرى والمنى تعلَّةٌ! — هل "بمنًى" لعهدنا من ذاكرِ ؟
أم هل على بعد النوى الى التى — لها الهوى من راكبٍ مخاطرِ ؟
لعلَّه يحمل من سلامنا — نخبةَ زادِ الرجلِ المسافرِ
ألوكةً (١) خفقت ومن ورائها — بلابِلٌ (٢) تُعقَرُ بالأباعرِ (٣)
اذا رأيتَ الشمسَ فى أترابها (٤) — فاحبس وقُلْ عنّىَ غيرَ صاغرِ :
اللهَ يا ذات اللَّمىَ (٥) فى أدمعٍ — فوائرٍ وأدمعٍ فواترِ
وفى عهودٍ كُتْبُها مبلولةٌ — وهى لديك فى النسىِّ الداثرِ
فإنّ من دينِكمُ فى "يعربٍ" — أن تأنفوا من الذمام الفاجرِ
وفى الضيوفِ الغرباءِ عندكم — قلبٌ يضامُ ماله من ناصرِ
فقرِّبوا صحبتَه واحتفظوا (٦) — فيه بحقِّ البائع المهاجرِ
إما قِرَى النادى الكريم، أو فر — دٌ وه على أربابه بالخاطرِ
أ كلّ كفٍّ ظفِرت لئيمةٌ — وكلُّ عقدٍ فى بنانِ غادرِ!
من لك بالناس ولا ناسٌ همُ — إلا كلامُ المُحرِجِ (٧) المكاشرِ (٨)
نفسَك صُنْ ليس أخوك غيرَها — فقالل الناسَ ولا تكاثرِ (٩)
واعلم بأنّ عزَّها قُنوعُها — برزقها (١٠) الميسورِ فى المَعاسرِ

---

(١) الألوكة : الرسالة . (٢) البلابل : الأشجان ووساوس الصدور . (٣) الأباعر جمع بعير . (٤) الأتراب جمع تِرب وهو من ولد معك وأكثر استعماله فى المؤنث . (٥) اللمى : السواد فى الشفة . (٦) فى الأصل "واحفظوا" . (٧) المحرج : الذى يُحرِج غيره . (٨) المكاشر: الذى يبدى أسنانه حقدا . (٩) فى الأصل "أو كاثر" . (١٠) فى الأصل "برزقها" .

وإن وصلتَ أو سألتَ فأخًا ... صحّ على التجريب والمخابرِ
أخًا ترى لوجهه قبلَ الجدا ... أسِرّةً(١) تلقاك بالبشائرِ
مثلَ "ابن أيّوبَ"(٢) وأين مثلُه ... مُثِّلَ للأشباهِ والنظائرِ
من طينة المجد التي فروعُها ... تُنبيك عن طهارة العناصرِ
الطيّبين أنفسًا باقيةً ... وأرمُسًا(٣) في ظُلَم الحفائرِ
يدلّك(٤) المجدُ على الأوائل الـ ... ماضين منهم بعلا الأواخرِ
داسوا ثرى المجد القديم ومشَوا ... خَطْرًا(٥) على خدّ الزمان الغابرِ(٦)
وأنطقوا بالخُرسِ من أقلامهم ... ألسنةَ الدسوتِ والمنابرِ(٧)
كلّ كريم لاسمه في مجدها ... ما لأسانيد الحديث السائرِ
ولابنه من بعده ما يرث الـ ... شّبولُ في الغاب عن القَساوِرِ(٨)
شهادةٌ صدّقَها "محمدٌ" ... صِدقَ الربى(٩) عن الغمام الماطرِ
قامَ فأدّى(١٠) ثم مرّ زائدا، ... تجاوزَ الذراعِ شبرَ الشابرِ
قضَى له قاضي السماح والندَى ... يومَ تحورُ(١١) حجّةُ المفاخرِ
قضيّةٌ شُقِّقت(١٢) على الهضبة من ... رضوى(١٣) وأزرت بالفُرات الزاخرِ
رأى الكمالَ حِلّةً(١٤) فاحتلّها ... وربعُها مقوٍ(١٥) بغيرِ عامرِ

---

(١) أسرة جمع سِرار وهي خطوط الجبهة . (٢) في الأصل " ابن " . (٣) أرمس جمع رمس وهو القبر . (٤) في الأصل "بذلك" . (٥) الخطر : التبختر . (٦) في الأصل "الغائر" . (٧) في الأصل " المنابر" . (٨) القساور جمع قسور وهو الأسد . (٩) الربى جمع ربوة وهي ما ارتفع عن الأرض . (١٠) في الأصل " فؤادى " . (١١) تحور : تحدر كأنها رجعت في موضعها أي تُرَدّ ؛ ويجوز فيها التصحيف الى " تخور " بمعنى تضعف وتهن . (١٢) في الأصل " سفت " . (١٣) رضوى : اسم جبل . (١٤) الحلة : المحلة . (١٥) مقو : خال من السكان .

وبهضَ الفضــلُ له فى مَزلَقٍ (١) مُسَنَّمٍ (٢) يُكسِّرُ بالعوابرِ (٣)

جرى ففاتَ والعلا من خلفِهِ تقول: قاصِرٌ من خطاك قاصِرِ

حـتّى أرانا العجزُ فى قولِهِمُ : طالبُ شأوِ المجـدِ غيرُ ظافرِ

لله أنتَ من جمالٍ ظاهرٍ وَخُلُقٍ صافِى الغـديرِ طاهرِ

وعدّةٍ ليـوم لا يُغنى أخا الـ حاجة إلا أنفَسُ الذخائرِ

عهـدٌ كَلْموم (٤) الصـفاةِ (٥) مُتعِبٌ جانبُهـا لن يُبتغَى لفاطـرِ (٦)

وخُلَّةٌ [لا] يهتدِى (٧) لنَقْضِهـا عـلى الزمانِ ناقضُ المرائرِ (٨)

أحرزَ من كنتَ وراءَ ظهـرِهِ حِصْنا له من جولة الدوائرِ

يحسـدك النـاسُ وأىّ عاجزٍ لم تُدوِهِ (٩) شـقاوةٌ (١٠) بقـادرِ

وإنّى معْ بُغضِ (١١) كلِّ حاســد أقضى لحسّادك بالمَعـاذرِ

يَفـديك كلُّ ساكتٍ مُداجٍ (١٢) بغـلّةٍ وبائحٍ مُظاهــرِ

وشـامتٍ إن رُفِعت لعينــه صيفيّةٌ (١٣) من السـحاب العابرِ ،

جهامــةٌ (١٤) يفتحُ فاه نحــوَها يحسبها جهلا من المواطرِ

يسرّه العاجلُ من أظلالهـا وهى غـدًا مهتوكةُ الستائرِ

---

(١) المزلق : المكان يزلق فيه لوعورته . (٢) مسنم : مرتفع كأنما له سنام . (٣) العوابر جمع عابرة . (٤) الملموم : المجتمع المدوّر المضموم . (٥) الصفاة : الحجر الصلد الضخم لا ينبت ، ومنه "فلان لا تنـدى صفاته" أى بخيل ممسك لا يسمح بشىء . (٦) الفاطر : اسم فاعل من فطر الشىء أى شقه . (٧) هذه الكلمة ليست بالأصـل . (٨) مرائر جمع مريرة وهى الحبل أحكم فتله . (٩) تدوه : تمرضه ، وفى الأصل هكذا "دوه" . (١٠) فى الأصل "سقاوة" . (١١) فى الأصل "بعض" . (١٢) المداج : الموافق . (١٣) الصيفية : السحابة تظهر فى الصيف لاماء فيها . (١٤) الجهامة : السحابة البيضاء لا تحمل ماء .

وربّما عادت بذي حَواصِبٍ (١) | عليه واَجتاحت (٢) وذي صَراصِرِ (٣)
كمن جنى (٤) البـغيُ على أمثاله | من غامطٍ نعماءَكم وكافـرِ
وأنتمُ في معـزِلٍ من شرِّها | وجانبٍ من النجاءِ وافـرِ
عـوائدٌ لله فيكم ضَمِنَتْ | لَمَّ الشتيتِ (٥) وجُبورَ (٦) الكاسـرِ
كم مثلها قد غَلِط الدهرُ بها | ثُمّتَ لاذَ منكُمُ بغافـرِ
دَجَتْ ولكن أقشعتْ عن أنفسٍ | سواكنٍ وأعينٍ قرائرِ
وكم تعيَّفتُ (٧) لكم سُفورَها | من قبل أن يبرُزَ وجهُ السافرِ
فَلم تُكَذِّبْ فيكُمُ زاجرَتي | قـطُّ ولا خُيِّبَ يُمْنُ طائري
فانتظِروها ويدي رهنٌ بها | فربّما كانت كرجعِ النـاظرِ
بك آستجابَ الدهرُ لي ودعوتي | تجولُ (٨) منه حولَ سمعٍ واقرِ
وأبصرَ الحظُّ (٩) الطريقَ فاهتدَى | الى وهـو أبـلهُ البصـائرِ
حصَّنتَ وجهي وحقَنتَ ماءَه | فليس مـذ حقنتَه بقاطـرِ (١٠)
ولم تدَعْ لي منذ أَولَدتَ المنى | مَشقّةً الى لقـاحِ العـاقرِ
كم أربٍ كنتَ اليـه سببي (١١) | فتلتَـه بمُحصَـدِ (١٢) المـرائرِ (١٣)
وخَـلّةٍ (١٤) أعضلني (١٥) شـفاؤها | شفيتني من دائها المخامرِ (١٦)

(١) حواصب جمع حاصب وهي الريح الشديدة تحمل التراب والحصباء . (٢) اجتاحت : أهلكت وآستأصلت . (٣) الصراصر جمع صرصر وهي الريح الشديدة الهبوب أو هي البرد الشديد . (٤) في الأصل "حتى" . (٥) الشتيت : المتفرق . (٦) الجبور : إصلاح كسر العظام . (٧) تعيفت : تكهنت ، ويشير هنا الى الوزارة وتمنيه إسنادها الى الممدوح . (٨) في الأصل "تحول" . (٩) في الأصل "وأبطر" . (١٠) في الأصل "وبقاطر" . (١١) السبب : الحبل . (١٢) المحصد : المفتول فتلا محكما . (١٣) المرائر جمع مريرة وهي ما طال ولطف وآشتد من الحبال . (١٤) الخلة : الحاجة . (١٥) أعضلني : أعياني . (١٦) المخامر : الذي خالط الجوف .

ملَّكْتَنى مِلكَ الوفاءِ بيـــدٍ تطلبُ بعضى فتحوزُ سائرى (١)

فصار يُرضينى بما ترضاه لى منذ عرفتُ نافعى من ضائرى (٢)

فلا تُخِف فيك الليالى جانبى بقاصِـدِ السهمِ ولا بغائرِ (٣) (٤)

ولا يزلْ عزُّك لى ذخـيرةً لأوّلٍ مِن عيشـتى وآخرِ (٥)

مالاحَ صبحٌ بضُحىً (٦) أضاء [لى] (٧) وشوّقَ الوارد (٨) رِىُّ (٩) الصادرِ

وحسر (١٠) النيروزُ من قناعه طلعتَه (١١) على الربيع الناضـرِ

وزاركم يرفُل فى وشائعٍ (١٢) من حُلَلِ الروضِ وفى حَبائرِ (١٣)

بكلِّ عـذراءَ لها فى خِدرِها صرامـةٌ ما للهصورِ (١٤) الخادرِ

حاطمةٌ تُحى عـلى مَعاشرِ وتُحفـةٍ تُهدَى الى مَعاشرِ

إقذاعُها (١٥) على عِداكم ولكم منها يدُ الراضى ولفظُ الشاكرِ

تَطـرَبُ للحادى اذا غنّى بها فيكم وتستقصرُ ليلَ السامرِ

كانهـم لم يسمعوا من قبلكم فى ماجـدٍ مقالةً من شاعرِ

* * *

وكتب الى الأمير أبى الذوّاد المفـرِّج بن علىّ بن مَزْيَد ، ويخاطبُ فى آخرها كاتبَه أبا نصر بن عَبْدَر الكوهىّ ، وكان هو الذى آستغواه لمدح صاحبه ، وأنفذها مع رسوله اليه

(١) فى الأصل "فتجوز" . (٢) فى الأصل "صايرى" . (٣) القاصد : المستوى نحو الرمية . (٤) الغائر : الداخل فى الجوف . (٥) فى الأصل "الأول" . (٦) الضحى : إشراق الشمس ، وفى الأصل "بدجى" ولعله تحريف . (٧) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٨) فى الأصل "الورد" . (٩) فى الأصل "ذى" . (١٠) حسر : كشف . (١١) فى الأصل "طليعة" . (١٢) الوشائع جمع وشيعة وهى طريقة البرد وتوشيته . (١٣) الحبائر جمع حبيرة وهى الثوب الموشّى ، وفى الأصـل "جبائر" . (١٤) الهصور الخادر : الأسـد فى خدره . (١٥) الإقذاع : الشتيمة والهجاء ، وفى الأصل "قذاعها" .

ألا يا خليلى المجتبَى من "خُزَيمة"   هل انتَ أمينٌ إن أمنتَ على سِرّى؟

وهــل أنت عنى إن أمنتَ مبلّغٌ   ألوكةَ(١) عتبٍ ضاق عن حملها صدرى؟

نشَـدتُك بالشُّعثِ الدوافعِ(٢) من "مِنًى"   خلاطا كما خُبّرتَ عن ليـلة القَــدرِ

وبالأسـود الملثومِ(٣) قـد ضغطوا به   جنوبَهُــمُ والمَشعَرينِ(٤) وبالحِجْرِ(٥)

أكنتَ بسـمعى أو أظنُّك سامعا   بأعجب من أبيـات قومك فى أمرى

يُغـارُ على الأمـوال فى كلِّ جِـلَّةٍ   وفتيانُ "عَوْف"(٦) قد أغاروا على شعرى

سـلائبُ لى منهـوبةٌ فى رحالهم   ينادين(٧) بالخيبات(٨) من حَلَقِ الأسرِ

مَطـارحُ للركبان يقتسـمونها   تناقلُهـا الأفـواهُ مصرا الى مصرِ

يغنِّى بهـا الحادى، ويشـدو لشَرْبهم(٩)   بها المطرب الشادى، ويُثنى بها المطرى

كرائمُ قـد أهـديتهنّ تـبرُّعا   لكلّ فـتًى لم يَرْعَ لى حُرمـةَ الصِّهرِ

هُمُ خطبـوها راغبين وسـوّدوا(١٠)   عليهـا نفيساتٍ من البـذلِ والوفرِ

وكانت على قـومٍ ملوكٍ سـواهُمُ   تكون مع الجـوزاء او عُنُقِ النسرِ(١١)

ممنَّعـةً أن تُسـتباحَ بِخُـدعةٍ   ووعـدٍ بروقٍ(١٢) أو تُسـاقَ على قسرِ

فلمـا غدت مجنـوبةً فى حبـالهم   تواصَـوْا عليهـا بالخيانة والغـدرِ

---

(١) الألوكة : الرسالة . (٢) يريد بالشعث الدوافع : النوق التى تهدى للبيت . (٣) الأسود الملثوم : الحجر الأسود بالكعبة . (٤) المشعرين : الصفا والمروة . (٥) الحجر : حطيم مكة . (٦) اسم لكثيرين أشهرهم عوف بن محلّم بن ذهل ، وقد قيـل فيه "لا حرّ بوادى عوف" وهو مثـل قاله عمرو بن هنـد حين طلب مروان القرظ من عوف وكان قد أجاره فأبى أن يسلمه ؛ ومعناه أنه يقهر من حلّ بواديه وكلّ من فيه كالعبيد لطاعتهم إياه ؛ وقيل : إنمـا قيل ذلك فى عوف لأنه كان يقتل الأسرى ، ولعل مهيار يشير الى ذلك فى البيت الذى يلى هذا البيت . (٧) فى الأصل "ينادون" وهى لا تتفق والسياق للتأمل . (٨) الخيبات جمع خيبة . (٩) الشرب جمع شارب . (١٠) سوّدوا : جعلوا لها السيادة ، وفى الأصل "وسوا" . (١١) الجوزاء والنسر : نجمان . (١٢) فى الأصل "ووعدوق" وقد رجحنا كلمة بروق لأنها أحيانا لا تكون صادقة ، ومن ذلك البرق الخلب .

كأنهــمُ شَــلُّوا(١) بهــا سرحَ(٢) مهمِــلٍ ... نفاه الرعاةُ بين " بابلَ " " والعَــقْرِ(٣) "

فعرِّجْ عليهـــم ثم قل " لمفــترج " : ... أترغبُ فى مدحى وتزهــدُ فى شكرى؟

أترضَى بأن أضـــوَى(٤) وكفُّك مخصبٌ ... عشيبٌ وأطوَى(٥) من يديك على النحرِ(٦)

وتُظــلمَ(٧) آمالى عليــك ومطلبى ... ووجهُك من تحت اللثام أخو البدرِ

وقــد سارت الأخبارُ أنك خـــيرهم ... قِرًى [يوم يبكى](٨) الضيفُ من عضّة القرِّ(٩)

وأعقرُهم للــبُزْلِ(١٠) والعـامُ أشهبٌ(١١) ... وأوسعُهم خَطًّـا لأُثْفيــةِ(١٢) القِدْرِ

تجـــود فتعطى فى الغنى قُـــدرةَ الغنى ... وتجـــبُرُ أكسارَ الفقير على الفَـــقرِ

فمـا بالُ بِكـرٍ حُرّةٍ بعثَتْ بهـا ... اليك القـــوافى من عَـوانٍ(١٣) ومن بِكرِ(١٤)،

شُغفتَ(١٥) بهـا ثم انصرفتَ مــلالةً ... بوجهك فيهـا عن جزائى وعن ذكرى

وأمهرتمـــوها وارتجعتم صـــداقَها ... فهـــل تستحلّون النكاح بلا مَهــرِ

فأين السماحُ " المَــزْيَدِىُّ " وما ابتنى ... أبوكم وبقّ من علاءٍ ومن فخـــر

وما لم تزالوا تُنفقون على العـــلا ... وتُعطُـــون من مالٍ ومن نَعمٍ(١٦) دَثْرِ(١٧)

---

(١) شلوا : طردوا، وفى الأصل "سلوا". (٢) السرح : المال السام. (٣) العقر : اسم موضع يقال له عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة، وقد روى أن الحسين رضى الله عنه لما انتهى الى كربلاء وأحاطت به خيل عبيد الله بن زياد، قال : ما اسم تلك القرية ؟ — وأشار الى العقر — فقيـل له : اسمها العقر، فقال : نعوذ بالله من العقر؛ ثم قال : ما اسم هــذه الأرض التى نحن فيها ؟ فقيل له : اسمها كربلاء، قال : أرض كرب وبلاء ! ! وأراد الخروج منها فمنع حتى كان ما كان .

(٤) أضوى : أهزل وأدق . (٥) أطوى : أجوع . (٦) النحر : ما ينحـر ويجزر .

(٧) فى الأصـل " وتلطم " . (٨) هاتان الكلمتان وردتا بالأصل هكذا : " يوسلى " .

(٩) القر : البرد . (١٠) البزل جمع بزلاء ، وهى الناقة المسنة . (١١) الأشهب : المجدب الذى لا خضرة فيه . (١٢) الأثفية : حجارة توضع عليها القدر . (١٣) العوان : المسنة .

(١٤) البكر : العذراء . (١٥) فى الأصل "شفعت" . (١٦) النعم : الإبل أو الجمال خاصة .

(١٧) الدثر : الكثير، يطلق على الواحد وغيره فيقال : مال دَثْرٌ ومالان دَثْرٌ وأموالٌ دَثْرٌ .

أعيــذُكُمُ من أن يقــالَ عليكُمُ : ثوى مَعَــه(١) جودُ الجماعةِ فى القــبرِ
وحاشاكُمُ من أن تَخيس(٢) بضــائعى لديكم بمــا تَمِي البضائعُ للتَّجْــرِ(٣)
وقــد ملأتْ فيكم أوابِدىَ المــلا وسارت حُداءَ العيس أو طُعَمَ السَّــفْرِ(٤)
وعنــدِىَ فيكم ما يسوء عــداكُمُ ويُبقِى لكــم ما سَرَّكم آخرَ الدهرِ
فإن تقتنوها بالجميــل [بَنَتْ](٥) لكم حصونا على الأحساب من أنفَس الذُّخرِ
وإن تَغصِبوها تُمسِ فى غير حيِّكم تَشكَّى اضطرارا أو تَكلَّمُ عن عُــذرِ
أيا نجمَ " عوفٍ " يا " مفرِّج " كربِها أما آن لى أن يَخجلَ المطلُ من صبرى
حملتُ التقــاضى عنكُمُ مُهــلةً لكم فأنظرتكم فى العسرِ فاقضــوا مع اليسرِ
وقــل يا رسولى مبلغــا سُــفراءَهم جميعا وخُصَّ " العبدِىَّ أبا نصرٍ " :
أفى الحقّ أن سوَّمتُ(٦) بينى و بينكم خيــولَ الأمانى ثمّ تقعدُ عن نصرى ؟
وأغريتَــنى حتى اذا ما ولجتُهــا تأخّرتَ عنّى والعقابُ على المُغــرى
أما تذكر العهــدَ الذى كان بيننــا ! بلى نتناساه وأنتَ عــلى ذِكــرِ
تنامون عن حقّى وتُلغون مــدحتى وأنتم حملتم ثِقلَ ذاك على ظهــرى
فقم يا " أبا نصرٍ " قيــامَ(٧) ابن حرّةٍ بنصرِ صــديقٍ أنت أوقعتَــهُ حُرّ
وعِد برســولى يحمــل الغُرمَ وافــرا وفز بثنائى فهــو أسنَى من الوفرِ
وقل للأمير ابن الأميرِ نصــيحةً : تربَّصْ بخيرى واحترِس من أذى شرّى

---

(١) الضمير فى "معه" عائد الى قوله "أبوكم" فيا مرّ . (٢) تخيس : تكسد . (٣) التجر جمع تاجر . (٤) طُعَم جمع طُعمة وهى المأكلة والرزق ، والسفر : المسافرون . (٥) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٦) سوّمتُ : أرسلتُ . (٧) فى الأصل " فنام " .

وكتب للوزير أبى سـعد ، وقد بعد مستوحشا من بغـداد الى تكريت ، يتألم لبعـده، ويذكر شوقه اليه، ويتفـاءل بسرعة العود الى الأمر، ويذكر اضطرابَ التدبيرات بعده، ويشكو أحد الولاة ممن كان الوزير أمرَهُ بحمـل شيء اليه فخالف أمرَه وأخّره ، ويهنّئه بالعيد والمهرجان

هَوَّنَ فى الليـــل عليها الغَـــرَرا (١)	أنّ العُـــلا مقيَّـــداتٌ بالسُّرى
فركِّبَتْ بسُـــوقها (٢) رءوسَها	حتى تخيَّلنا الجحـــولَ (٣) الغُـــرَرا (٤)
تحسبهـا عَجْـرفةً (٥) ووَرَهًا (٦)	فيما ترى خابِطــةً ليستْ ترَى
تنضى (٧) النهارَ شَمْـــلةً (٨) جونيَّـــةً (٩)	وتَلبَسُ الليــلَ رِداءً أخضــرا (١٠)
ترى بمـا تُجهِض (١١) من سِخالها (١٢)	لحمـاً مَضيعًا (١٣) ودماءً هَـــدَرا
علَّمهـا النـــومُ عــلى رِباطِها	ذليــلةٌ أن تَســتطيبَ السهَرا
كلُّ ابنِ ذات أربعٍ تحسبه	ذاتَ جَناحين اذا تَمطَّـــرا (١٤)
ينتشر الأرضَ فــلا يَردَعُـــه	كيف طواها عَنَقًا (١٥) أو حُضُـــرا (١٦)
يرى الظـــلامَ بشهابَىْ قابسٍ (١٧)	لا يســـتميحان النجومَ خَـــبَرًا

---

(١) الغَرَر : التعريض للهلكة . (٢) سوق جمع ساق . (٣) الجحول جمع جَحْل وهو البياض فى القوائم . (٤) الغُرَر جمــع غُرّة وهى البياض فى الجبهـــة . (٥) العجرفة : قلة المبـالاة فى سرعة العَــدْو . (٦) الوره : الخُرق فى الســير كالعجرفة . (٧) تنضى : تنزع وتخلع . (٨) الشملة : كسا. مخمل دون القطيفة يُشتَمَلُ به . (٩) جونية : بيضاء . (١٠) أخضر : أســود ، يقـال : اخضرّ الليــل بمعنى اسودّ . (١١) تجهض : تُلقِى . (١٢) السِّخال جمع سَخل وهو ولد الشاة وهنـا بمعنى ولد الناقة . (١٣) المضيع : المضوع، والمراد أنه ممتهن . (١٤) تمطّر : أسرع فى هُوُيِّه . (١٥) العَنَق : السـير الفسيح الواسع . (١٦) الحضر : العدْو، والأصــل فيه سكون الضاد . (١٧) شهابى قابس : كناية عن العينين .

تَكارَهَا شمسَ الضحى وأقسما ... على الدجى لا يَصحَبان القمرا

إن غاب شخصُ مقلتيه أبصرتْ ... أذناه ، هل خُبِّرتَ سَمْعا بَصَرا ؟

يُلهِبُ قرعُ السوطِ منه مِرجلا (١) ... يجيشُ صدرا ويجيشُ منخرا

يُعطِى الشكيمَ (٢) ساءه أو سَرَّه ... لَحْيًا (٣) أبيًّا أو عِذارا أصعرا (٤)

يَظْمَأَ فلا يَشرعُ (٥) مسبوقا على ... صافيةٍ ولو تكونُ الكوثرا

عاف البقايا أنه مُنتِجُ (٦) ... فى معشر لا يشربون السُّؤرا (٧)

يأنف من ماء الرُّكِيِّ (٨) أنه ... فى الأرض أو تَسقِى السماءُ المطرا

كالنجم فى نهاره وليله ... إما ارتفاعا سار أو منحدِرا

ذلك دأبُ ربِّه ودأبُهُ ... ما آستقدما فشاورا التأخُّرا

اذا أصابا وطَرًا من العلا ... فذاك ، أو فيبلغان العُذُرا

لله مفطورٌ على سُودَدِه ... اذا رأى العجزَ غِمارًا (٩) شمَّرا (١٠)

يصرِفُ عن بيت الهوان وجهَهُ ... وإن ضَفتْ (١١) أفياؤُهُ وخِضرا (١٢)

يريه صدرَ اليوم ما فى غدِهِ ... رأىٌ اذا الرأىُ أصرَّ أبصرا

يأوى الى بديهةٍ (١٣) من عزمه ... تُطلِعُه قبلَ الورود الصَّدَرا

تنصره الوثبةُ فى أوانها ... اذا الهُوَيْنَى (١٤) خانت المنتظَرا

---

(١) فى الأصل " مرحلا " . (٢) الشكيم جمع شكيمة وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس .
(٣) اللحى : عظم الحنك . (٤) الأصعر : الذى يُميل خدَّه كِبرا وتهاونا بالناس .
(٥) لا يشرع : لا يرد شريعة الماء . (٦) منتج : متوالد . (٧) السؤر جمع سؤرة وهى البقية . (٨) الركى جمع ركية وهى البئر ذات الماء . (٩) الغمار جمع غمر وهو الماء الكثير .
(١٠) شمر : مر جادّا أو مختالا وفى الأصل " سمرا " . (١١) ضفت أفياؤه : سبغت ظلاله وآمتدت . (١٢) خضر : صار أخضر وفى الأصل هكذا : * وان ضفت أفناؤه وحقرا *
(١٣) فى الأصل " بديعة " . (١٤) الهوينى : التؤدة .

لا يعــلُق الأعــداء فى آتباعه	بعينـه فيُعظِمون الاثرا
وكلُّ من قصّر عن عُـدُوِّه (١)	أعظمـه ضرورةً لا خِـيَرا (٢)
كالليث يُقـلَى وهو يُطرَى أو كما	نافق أعـداءٌ وزيرَ الوُزَرا
قادحَهـم (٣) ففـازهم أروعُ (٤) ما	قامَر فى العليـاء الّا قَمَـرا (٥)
مقلَّبٌ جانبَـه (٦) وحظُّـه	من السـعود سَفَرا أو حَضَرا
تواصت الأقـدار أن تمضى على	تدبـيره جاريـةً كما جرى
وغيرُهُ ــ والنقصُ حظُّ غيرِه ــ	إن أحمَـد الآراءَ ذمَّ القـدَرا
عضَّ العـدا أظافرا من بعـده	تـدْمَى ولم تُرزق عليـه الظفَرا
ولم يكن من "شرفِ الدين" لمن	ينـدمُ إلا أن يَعضَّ الحجـرا
ولا لدارٍ فاتهـا ودولةٍ	منـه سوى أن أقويا (٧) وأقفـرا
أبصـرها بلهـاءَ جاهليَّـةً	ذاتَ فُسوقٍ (٨) لا تخاف النُّـذُرا (٩)
مجنـونةَ الوداد إما عاهـدتْ	لم يك إلا الغـدرَ والتغـيُّرا
أشهى خليلَيْها اليهـا خُـلَّةً (١٠)	من كان أدنى همّـةً وأحقرا
تكيلُ بالجـور اذا ناصفَهـا	وتنبُـذ العُرفَ تراه منكرا
نافـرةً من ذى اليمينين اذا	قـوّدها (١١) حتى تُطيـعَ الأبترا (١٢)
فـردَّها بالعتب ردَّ ناقـدٍ	غالط فيهـا النفسَ حتى آستبصرا
ألقَى عـلى غاربِهـا (١٣) حبالَها	من بعـد ما متّعها وأمهـرا

(١) العُدُوّ : الوثوب . (٢) فى الأصل "خبرا" . (٣) قادحهم : لعب معهم بالقداح (٤) الأروع : الشهم الذكى . (٥) قمر : غلب وكسب ما قامر عليه . (٦) فى الأصل "حليه" . (٧) أقوى : خلا من ساكنيه . (٨) فى الأصل "نسوق" . (٩) النذر جمع نذير، ويشير بهذا البيت وما بعده الى الوزارة . (١٠) الخلة : الصـداقة والود . (١١) قودها : قادها . (١٢) الأبتر : المقطوع . (١٣) الغارب : أعلى الكاهل .

على أوانَ شُــوِّهَتْ وعُنِّسَتْ (١) وسُلبتْ جمالَهـا والخَفَــرا (٢)
تناحـلوها شَرَهًـا وزاحمــوا عَجْــزًا شــفيرَ (٣) جُرْفِها (٤) المُهوَّرا (٥)
فطَــرَّفوا منهـا بشــلوٍ (٦) ميِّتٍ وأكثروا فيــه الجـــدالَ والمِرا (٧)
مَرَّ وولاهـــم رَذايا (٨) سَرحِهــا (٩) يدبِّرون منـــه أمرًا مــدْبِرا
ياليت شعــرَ الملكِ مَن عذيرُهُ بعـــدَكَ مما جرَّ عجــزُ السُّفَرا !
ودولة أســلَمهـا عميــدُهـا كيف يُظَنُّ كسرُها أن يُجبــرا
وهــل لهـا أن تستوى قائمــةً ما لم تجــدك الناعِمَ (١٠) المقــدِّرا ؟
وكيف يُرجَى عنــد ذؤبانِ (١١) الغضا فى الغيل (١٢) أن تحمى حمى أُسْدِ الشرى (١٣)
خطَــوتَها مستقدما أمامَهـا لمـا رأيتَ خَطوَها إلى وَرَا
نجاك منهـا أنْ تُرَى مُهتَصرا بغمرةٍ (١٤) — حاشاك — أو مُقتَسَرا ،
يدٌ علت عن أن تكون فــوقها يدٌ ، ونفسٌ لا تُطيعُ الأُمَرا
ونخــوةٌ سيمــاءُ (١٥) فارســيَّةٍ شمَّاءَ (١٦) لا تُعطى الخِـــزامَ (١٧) منخـرا (١٨)

---

(١) عُنِّست : تُركت بلا زواج حتى كبرت . (٢) الخفر : الحياء . (٣) الشفير : ناحية كلِّ حدّ . (٤) الجرف : الجانب الذى يؤكل من الأرض ، كل ساعة يسقط جزء منــه . (٥) المهوّر : المنهار. (٦) الشلو : العضو . (٧) المراء : الجدل والشك . (٨) الرذايا جمع رذيّة وهى الناقة المهزولة . (٩) السرح : المال السائم . (١٠) الناعم المقدِّر : ذو النعمة الذى يتروّى و يفكّر فى تسوية أمره ، أو ذو النعمة الذى يقدِّر الأمور والأحكام تقديرا ، والمقدِّر أيضا بمعنى العالم بالشىء. ومنــه قوله تعـالى (إلا آمرأته قدَّرنا إنها لمن الغابرين) بمعنى علمنا انهـا لمَن الغابرين .
(١١) ذؤبان جمع ذئب . (١٢) الغيل : بيت الأسد . (١٣) الشرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثــل . (١٤) الغمرة : الشــدة والمهلك ، وفى الاصــل "بعمره" .
(١٥) السيماء : الهيئة ، وفى الأصل " شماء" ولا تتفق والسياق . (١٦) شمـاء : عالية .
(١٧) الخزام : حلقة من شعر توضع فى وترة أنف البعير يشد فيها الزمام . (١٨) المنخر : ثقب الأنف .

أفدتّها(١) كفايةً جامعةً منها وظلاًّ فوقها منتشرا

فهى اذا ذُكِرتَ مع خُطّابها تقول : كلُّ الصيدِ فى جوفِ الفَرا(٢)

غدا تَلَظّى تشتكى أوامَها الى الفراتِ وهى تُسقَى الكَدِرا

واضعةٌ جبينها(٣) لِمَنسِم(٤) الذُّلّ وخدَّيها جميعا للثرى

قد غَمَزَ الأغمارُ فى صعدتها(٥) فهى تداعَى خَطَلا وخَوَرا

حتى تلوذَ تستغيث ربَّها منك وترجو ذنبَها أن يُغفَرا

ويأخذ الدهر بناصيتها سَوْقا فيأتيك بها معتذرا

قد أدّبَتْهُ لكُمُ جهلاتُهُ فيكم وأَنْ جَرَّبَ(٦) قوما أُخَرا

جَرْيًا على العادةِ فى آستصراخِهِ بعفوكم اذا هفا أو عثرا

فاستقبلوا منها مَرِيرا قد حلا لمجتنيكم وسقيا قد بَرَا

أصلحتُمُ ببعدكم فسادَها والجرحُ لا يَدْمَلُ حتى يُسْبَرا

وكلُّ محبوب اذا الوصلُ طغى يوما به فطُنُّهُ أن يُهْجَرا

وزارةٌ كم قد قَدَحتُ زَندَها فيكم وكم قمتُ بها مبشِّرا

فلم تُكَذِّبْ قطّ لى عائفةٌ فيها ولا خُيِّبَ فألٌ زجرا

قد ثبتَ المعجزُ لى فى صدقها من طول ما صحَّ وما تكرّرا

---

(١) فى الأصل " أفسدتها " . (٢) كل الصيد فى جوف الفرا : مثل يضرب لمن يفضل على أقرانه ، والفرا : الحمار الوحشىّ ، وأصل هذا المثل : أن ثلاثة نفر خرجوا متصيّدين فآصطاد أحدهم أرنبا والثانى ظبيا والثالث حمارا ، فآستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبى بما نالا وتطاولا عليه ، فقال لهما صاحب الحمار : كل الصيد فى جوف الفرا ، أى هذا الذى رُزِقتُ وظفرتُ به يشتمل على ما عندكما ؛ لأنه ليس أعظم من الحمار الوحشىّ فيما يصيده الناس . (٣) فى الأصل " جنبها " . (٤) المنسم : الخف وهو من الأبل كالحافر من الخيل . (٥) الصعدة : القناة المستوية ، تنبت كذلك لا تحتاج الى تثقيف . (٦) فى الأصل " جرت " .

كالوحيِ لو أني خُلقتُ مَلَكًا طـــرتُ به لكن خُلقتُ بَشَرا
فانتظـــروها إنمـــا ميعـــادها غدٌ، ويااقـــربَ غدٍ منتظَـــرًا
فعنـــدها يـــبرُدُ(١) حرُّ أضلعٍ يوقد شـــوق بينهن شررا
وعنـــدها يحـــلو بعيني وفمي ما قـــد أمرَّ المـــاءَ عذبًا والكرى
ويَكمَدُ الحـــاســـدُ والشامتُ بي بفـــرطِ ما قـــد أكلانى أشَرا(٢)
كاشـــفنى بعـــدكمُ بغـــلِّهِ(٣) مَن كان يخشى جانبى مستترا
وكـــلُّ جِبْسٍ(٤) يدُه ووجهـــهُ من حَجَـــرٍ يُلقَـــمُ منّى حَجَـــرا
واجَـــهَ بالعصيان فيَّ أمرَكم والدهـــرُ لا يَعصيكُمُ لو أُمِرا
كنتُ له ذريعـــةَ اليـــكُمُ وكنتمُ بالعِلْجِ(٥) مـــنّى أبصـــرا
فجنّبونى عفـــوَكم عنه غـــدًا أكنْ لكم منـــه ولى منتصـــرا
يا عُشبَ أرضي وسماءَ روضـــتي ودارَ أمنى يـــومَ أرعَى الحـــذَرا
ومَن اذا عُرِّىَ من ظلِّهـــمُ ظهرى فقـــد ألقيتُ شِلْوًا(٦) بالعَرا
قـــد أكلَتْنا بعـــدكم فاغرةٌ أنيابُها(٧) قبـــلَ العِضـــاضِ(٨) جَزَرا(٩)
لم يَتَأَسَّ بنتـــاجٍ إذ أتت ضيفٌ ولم تُوقَـــدْ لهـــا نارُ القرى
تَعـــتَرِقُ(١٠) العظمَ كما تَسْـــتَرِطُ الـ لحمَ وجلّت أن تَحُصَّ الوَبَرا(١١)
فنظَـــرًا وإن نأت داركمُ وأرشِـــدوا لمن يقول : نظَـــرا
يا فرحةً يـــومَ أرى رايتَكم تـــلاوذُ الريحَ ، تـــؤمُّ العسكرا

(١) فى الأصل "برد". (٢) الأشر: البطر. (٣) الغلّ: الحقد. (٤) الجبس: الجبان. (٥) العلج: العير أو الحمار الوحشىّ السمين أو الرجل القوىّ من كفّار العجم ولا يراد به إلا الذم على أى معنى. (٦) الشلو: العضو. (٧) فى الأصل "نيابها". (٨) العضاض: العضّ. (٩) الجزَر: اللحم تأكله السباع. (١٠) تعترق: تأخذ ما على العظم من لحم نهشا بأسنانها، وتسترط: تبتلع. (١١) تحصّ الوبرا: تحلق الشعر وتُذهبه وفى الأصل "الورا".

ونشَر أيديكم وأعراضُكُمْ ... "بالزاب"(١) يلقانى وشاطِى "عُكبَرا"(٢)
والأمر فيكم؛ لا يُطاعُ لقبٌ(٣) ... زُورٌ ولا يُراقَبُ اسمٌ مفـترَى
لا غرو إن كَفَيتَها مستوزَرا ... بالأمس أن تكفيَها مؤمَّرا
آملُها وكيفَ لا يأمُلُ أن ... يراك شمسا مَن رآك قمرا
أنا الذى لو سجد النجمُ لكم ... ما كنتُ مرتابا ولا مستنكِرا
ولو مسحتم "زحلا" ببُوعكم(٤) ... رجوتُ بعدُ لعلاكم مَظهَرا
أقذيتُ أبصارَ العدا بمدحكم ... فساوَرونى(٥) أخوصا(٦) وأخزرا(٧)
ولم أراع فيكُمُ تقيَّةً(٨) ... من كَبِدٍ غِيظت وصدرٍ أوغرا(٩)
على سبيلى فى مُوالاتِكُمُ ... أمرّ فردًا لا أخاف الخطَرا
وقاطنات سائرات معكم ... نتبعكم مَحَلَّةً وسَفَرا
تشتاق منكم عامرى أوطانها ... ومَن ثوت فيهم فقضَتْ عُمُرا
لا تعدَمون رسمها مردَّدا ... عليكُمُ وقسمها مُوفَّرا
ماكرَّ يومُ المهرجان وطَرا(١٠) ... وصامَ ذو شهادةٍ وأفطَرا
قلتُ فأغضبت الملوكَ فيكُمُ ... وأنتُمُ بى تُغضبون الشُّعَرا

---

(١) الزاب : اسم نهر بأرض الموصل . (٢) عكبرا : اسم بليدة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ . (٣) فى الأصل "لفى" . (٤) البوع : الباع وهو قدر مدّ اليدين . (٥) ساوروني : واثبونى . (٦) الأحوص : الذى فى مؤخر عينه ضيق . (٧) الأخزر : الذى صغرت عينه وضاقت . (٨) تقية : اتقاء . (٩) أوغر : التهب من الغيظ . (١٠) طرا : أتى من مكان بعيد .

وقال وكتب بها الى الوزير أبى القاسم هبة الله بن علىّ بن ماكولا ، يتشوّقه ويذكّره بعهوده ، وينتجّزه قديمَ ديونه وحقوقَ ما أسلفَ من مديحه ، وأنفذها الى حضرته بعُكْبَرَاء فى ذى القعدة من سنة ستّ وعشرين وأربعمائة

أدمعُك أم عارضٌ ممطرُ ؟ ... أم النفسُ ذائبــة تقطُرُ ؟

دعَوا بالرحيــل فستذهِلٌ ... أضــلّ البكاءُ ومســتعبِرُ

وقالوا : الوداعُ على " رامة " ... فقلت لهم : " رامةٌ " المحشَرُ

وأرساتُ عَينَيّ " بالأنعمَيْنِ "[1] ... لتُبصِرَ لو أنها تُبصــرُ

فما حَمَلَتْ خبرا يُستطا ... بُ إلا الذى كذّبَ المخْبِرُ

وعنّفــنِي منــذرٌ خاليــا ، ... ألفتَ وفُورقتَ يا منــذِرُ

وقالوا : تحمّــلْ ولو ساعةً ... فقلت لهم : مُــدّتى أقصرُ

ولكن تطاَلْ بعينِ النصــيح ... لعلّك مُســتشرِفا[2] تنظــرُ

أجنب "الغضا" يقبلُون الركا ... بَ أم عَرْعَرًا؟ قال: بل عَرْعَرُ[3]

فلا تذكرون لقلــبي السلـ ... ـوّ إن كان ذاك كما يُذكَرُ

سقى اللهُ — ما كُرمتْ مزنةٌ[4] ... وما وَضَعَتْ حاملٌ مُعصِرُ[5] — ،

— وحنّت فَدرَّتْ على أرضها ... سماءٌ تبوح بما تُضمِــرُ — ،

مــلاعبَنا بالحــمى والزما ... نُ أعمَى وليــلُ الصِّبا مقمِــرُ

وعصرُ البِطالةِ [مثلُ][6] الربيع : ... حَيًّا أبيضٌ وثرًى أخضــرُ

(١) الأنعمان : موضع بنجد . (٢) المستشرف : الذى يرفع بصره الى الشىء ينظر اليه باسطا كفه على حاجبه كالمستظل من الشمس ؛ وفى الأصل " مشتفر" . (٣) عرعر : اسم لعدّة مواضع نجديّة . (٤) المزنة : المطرة . (٥) المعصر : الجارية التى بلغت شبابها . (٦) هذه الكلمة ليست فى الأصل .

(١٨١)

"وظبيــةُ" جارٌ اذا شاء زا رَ لا تســتريبُ ولا تحــذَرُ
اذا لذّة اليــوم عنا انطوت وثقنا بأخرى غــدًا تُنشَرُ
وفى الحيّ كلُّ "هلاليَّةٍ" هــلالُ السماء بهــا يكْفُرُ
تذلُّ عــلى عزّها للهــوى وتُســبَي وأنصارُها حُضَّــرُ
تسيل الأســنّةُ من دونها ونحنُ على سرّها نَظهَــرُ
فذاك وهــذا لو آن الزمانَ إناءٌ اذا راق لا يَكدُرُ
تلوّنَ فى صبغ أيامــه تلوُّنَ ما نســجَتْ عبقَــرُ(١)
فيــومٌ تَعرِّفُــهُ غفــلةٌ ويــومٌ تجنُّبُــهُ منكَرُ
يَجِــدُّ ويبــلَى فطورا غريبٌ وطورا يَســدُّ الذى يَعــوِرُ
وحاجةِ نفسٍ ســفيرُ الرجا ء يُورِدُ فيهــا ولا يُصْــدِرُ(٢)
تكونُ شجًى دون أن تنقضى وبابُ القضاءِ بهــا أعسرُ
بَردتُ لسانِيَ أن أشتكى أذاها وصــدرى بهــا يَزْفِرُ
وعهــدٍ رعَيْتُ وذى مَــلّةٍ وصلتُ من الحق ما يَهجُــرُ
أردتُ بقيّتَــهُ فانعطفتُ عليــه وجانبُــه أزورُ
سها فتناسى حقــوق عليـ ـه وهو عــلى سهوه يذْكُرُ
أبالحــق تهــدِمُنى بالجفاء وأقطارُ عِرضك بى تَعْمُــرُ؟
وتشربُ ظلمِيَ مســتعذبا وظلمى مُمِــرٌّ(٣) الجنا مُمْقِــرُ(٤)
سأضربُ عنك صدورَ المطىّ وفى الأرض مَغنًى ومســتمطَرُ

---

(١) عبقر : بلد فى اليمن ينسب اليه الوشى ، ويزعمون أنه مسكون بالجن . (٢) يقال : فلان يُورِد ولا يُصدِرُ أى يأخذ فى الأمر ولا يتمّه . (٣) المر : غير الحلو . (٤) المقر : الحامض .

نوازِعُ تقمحُ[1] وِرْدَ الهـوانِ — فتطمـحُ تُسهلُ[2] أو تُوعِرُ[3]

وأنّ لهـا فى رجالِ الحفاظِ[4] — مَرَادًا الى مثـله تُزجَرُ

وفوق ثنـايا العـلا أعينٌ — يَهشُّ اليهـا ويَسـتبشِرُ

وفى جَوِّ "عجلٍ"[5] اذا أعتمتْ — وضلّتْ نجومُ هُـدًى تَزهَرُ

وأفنيــةٌ[6] تقبِضُ الوافـدين — اذا رُفعتْ بينهـم كبّروا

يَفيءُ[7] لهـم ظلُّهـا بالهجـيرِ — وتأرجُ[8] طِيبًا اذا أسحـروا

متى تَرِدِ المـاءَ "بالزابيين"[9] — وترعَى "صَريفينَ" أو تعـبُرُ،

تَخُضْ فى جَميمٍ يَعُمُّ السَّـنام — وينصفُه العُنُـقُ المسـفِرُ

وتكرعُ منبســطاتِ الرقا — بِ لا يرِدُ النـاسُ أو تَصدُرُ

وللراكبيهـا القِـرَى والحِمى — ورِفـدٌ يطيبُ كما يَكثُرُ

ومعقورةٌ واجبـاتُ[10] الجُنوبِ — صــفايا[11] وفهّاقــةٌ[12] تهـدرُ

فزاحم بهـا الليلَ حتى تكونَ — لهـا الصادعاتُ[13] له الفُجَّـرُ[14]

مواقِرَ[15] بالحاجِ تُبطَنُ[16] حيـ — ـثُ تَطرحُ أثقالَهـا الأظهـرُ

---

(١) تقمح : تأبى أن تشرب . (٢) تسهل : تأتى السهل . (٣) توعر : تأتى الوعر وهو ضد السهل . (٤) الحفاظ : الود . (٥) عجل : اسم قبيلة . (٦) أفنية جمع فناء وهو ساحة أمام البيت . (٧) يفىء : يمتد . (٨) تأرج : تفوح . (٩) الزابيان : نهران بأرض الموصل ، وصَريفين : قريةٌ فى سواد العراق كبيرة غنّاء شجراء قرب عكبراء وأوانا على ضفة نهر دُجَيل . (١٠) واجبات : ساقطات . (١١) الصفايا جمع صفىّ وهى الناقة الغزيرة اللبن . (١٢) الفهّاقة : الممتلئة ، ويراد بها القِدر . (١٣) الصادعات : الحجارة الصلدة . (١٤) الفُجَّر : التى تنفجر منها المياه . (١٥) مواقر : مثقلات . (١٦) تبطن : تضرب تحت بطونها حيث لا يؤلمها الضرب قال الراجز :

* اذا ضَربتَ موقرا فأبطُنْ له *

يقال : بطنه و بطن له كشكره وشكر له ونصحه ونصح له ، وفى الأصل "يطنن" .

فلا يعطفنك عن همّـــة ... هممتَ بهـا بارحٌ يُزْجَـــرُ (١)
فلا الجَـدُّ يدفعـــه أعضبٌ (٢) ... ولا الحـظّ يصرفــه أعورُ
ولا أنتَ رامٍ بهـا جانبـا ... يَشُـــطُّ ولا نِيَّـــةٌ (٣) تَشْـطُرُ (٤)
وعند " أبى القاسم " المكرما ... تُ تنمى وأغصـانُها تُزهِرُ
كريم يَـــرَى أنه بالملا ... م يُقْـــذَعُ أو بالغـنى يُفقَرُ
اذا آســتأثر اللهُ بالمنفسـاتِ ... من المـال فهو بهـا مؤثِرُ
يُهين الحياةَ بحبّ الفنـاءِ ... وكفّاه فى حسب يَغـمُرُ
ويُعطِى عطاءَ "آبن عيسى" آبْنُه ... وما بين بحريْهما أبحـرُ
فهـــذا يجود عـلى فقـــره ... وذاك على جـــوده موســـرُ
ففى الضيم عنــه فؤادٌ أصمّ ... اذا قطَـــر الصخر لا يقطُرُ
وأنفٌ يجيش به منخـــراه ... اذا سُـــدّ فى آخرٍ منخـــرُ
ونفسٌ اذا العيش كان آثنتين ... عُلًا تُقتـنَى وغــنًى يـــؤثَرُ،
مضت فى سبيل الأشقّ الأعزّ ... ولم يُضْنِها الأروحُ الأصغرُ
ويومٍ من الدمِ ســاعاتُه ... قميصُ النهـار بـــه أحمـــرُ
تبطَّنــه خائضـا نقـعهُ ... يُقَلِّص عن ساقه المِـئْزرُ
حميّـــةُ من لا تنـام التِّرا (٥) ... تُ خلفَ حشاه ولا تُهـدرُ
وضوضاء، قطَّـــر (٦) بالمقحَميـ ... ـن ظهـــرُ مطيّتِهـا الأزعرُ (٧)

---

(١) البارح : الطير يوليك مياسره ، والعرب تتطيّر منه . (٢) الأعضب : القصير اليد ، وله معان أخرى لا يقتضيها السياق ، وفى الأصل " أعصب " . (٣) النية : الرحلة البعيـدة . (٤) تشطر : تُبعد . (٥) الترات جمع ترة وهى الثأر . (٦) قطر: ألقى . (٧) الأزعر : القليل الشعر والمتفرقه .

تخلّصها فمُـه فانجـلت ... كما فارق الصدفَ الجوهرُ
فوترٌ(١) مضاعٌ به يستقاد(٢) ... وفضلٌ مذالٌ به يُنصرُ
اذا قال فاعقد خيوطَ التميم(٣) ... عليك فألفاظه تَسْحَرُ
ويا تاركَ الخمرِ لا تأته ... فإنّ خلائقَه تُسكِرُ
يريك بظاهره غادةً ... تزِمّ(٤) حياءً وتستخفرُ(٥)
وفى فهمه لك نضناضةٌ(٦) ... خدورٌ وفى درعه قسورُ(٧)
تعطّر من طيبه المجدُ عنه ... وعن قومه الأطيبُ الأطهرُ
ملوكٌ قديمهُمُ كالحديث ... وبالفرع يُعرَفُ ما العنصُرُ
وما أخلفوا أن يُحلِّى الزما ... نَ منهم أميرٌ ومستوزَرُ
وقاضٍ ينفّذُ أحكامَه ... اذا أمرَ الناسَ لا يؤمَرُ
هُمُ لعشيرتهم كالسما ... ءِ كلُّ الذى تحتها يصغُرُ
لهم كأسُ نَشوتها بالعشىّ ... وخيلُ الصباح اذا استُذعِروا
وفيهم مَرابعُها(٨) والصفىّ(٩) ... والقِدحُ(١٠) إن عُلِّىَ الميسرُ
وما سار من ذكرها فى السماح ... فهم ريَّشوه وهم طيَّروا
مضَوا سلفَ المجد واستعمَروا ... ديارَ العلا سعىَ من أخَّروا
وقد علموا بأبنهم يومَ را ... شَ(١١) أن رمائمَهم تُنشَرُ

---

(١) الوتر : الثأر . (٢) يستقاد : يُنال قودُه أى قصاصه . (٣) التميم جمع تميمة وهى عوذة تعلق على الصغار مخافة العين . (٤) تزم : تتأبَّى . (٥) تستخفر : تستحى أشدّ الحياء . (٦) النضناضة : من الحيات التى اذا نهشت قتلت لساعتها ، و فى الأصل " نضنانة " و يريد بالخدور : المستترة فى خدرها . (٧) القسور : الأسد . (٨) مرابع جمع مرباع وهو ربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية . (٩) الصفىّ : ما يختاره الرئيس لنفسه من الغنيمة قبل تقسيمها . (١٠) القدح : سهم الميسر . (١١) راش : نبت زغَبه بمعنى شب وترعرع .

وما "هبــةُ الله" إلا المدا | مُ من مثـــلِ كَرْمِهِـمُ تُعصَرُ
فلا عَضْمُ سودَدِهـــم بالقنا | يُحَـــلُّ ولا عودُهـــم يُقشَرُ(١)
ومتحِـــلٍ سِمـــةَ الفاضليـ | ـن والفضـلُ من شكله ينفرُ
تقـــلّد فيما ادّعى غـــيره | هوًى وهو فى اللؤم مستبصرُ
رآك كُملتَ فظنّ الكمالَ | لكلّ فـتًى رامَـــهُ يقـــدرُ
ولم يدرِ أنّ الحجا متعِبٌ | ولا أن حبَّ العـــلا مُفقِرُ
حلَتْ نومةُ العجـــزِ فى عينه | فلم يدرِ ما فضـــلُ من يَسهَرُ
لك الخـــيرُ فاسمع فإنّ الحديـ | ـث يقتَصُّ ثمّ له مَنشَـــرُ
يَهبُّ شَرارا ويمشى(٢) [على](٣) الـ | ـسروح(٤) فتُلهَبُ أو تُسـعَرُ
ولا تُرْعِنِى سمعَ خالى الضـــلو | ع ممّـا أُجِنُّ وما أُظهِـــرُ
فغـيرك مَن لا أبالى بمـا | شكوتُ أيســـمعُ أم يُوقَـــرُ(٥)
وغير حياضـــك ما لا أحومُ | عليـــه ولـــو أنه الكوثرُ
إلام تَحَـــرَّمُ شعرى بكم | يضـــيعُ وذمَّتُـــهُ تُخفَـــرُ(٦)
ويُمطَل دَيْنى، ودِين الوفا | ء تاركُه عنـــدكم يَكْفُرُ
وللطل والصـــبر وقتٌ يُحَدّ | فكم تمْطُلون وكم أصـــبرُ
ألم تعلمـــوا أننى ما بقيـ | ـتُ أنظُـــرُكُم ثمّ لا أُنظَـــرُ
أذمُّ زمانى وبى حاجـــةٌ | الى القول شاهـــدُها يحضُرُ
وأرسل من رَسَنِ(٧) الإقتضـاءِ | أوانا أعرِّض أو أذكُـــرُ

---

(١) فى الأصل "يقسر". (٢) فى الأصل "تمى". (٣) هـــذه الكلمة ليست فى الأصل. (٤) السروح: جمع سرح وهو الشجر العظيم الباسق. (٥) يُوقَر: يصمّ ويثقل سمعه. (٦) تخفر: يُنقض عهدُها ويُغدَر بها. (٧) الرسن: الزمام.

فـلا بالشكاية فيما أبو ... حُ أحظى ولا بالذى أستُرُ
وقد كنتُ أشكو وأيامُكم ... جِعادٌ[1] وعامُكُمُ أغبرُ
وأعذرُ والحالُ فيما أرو ... م عن قدر همتكم تقصرُ
فكيف – وقد أمطرتْ أرضُكم ... وأُنعمَ واديكُمُ – أعذرُ!
وأمرُ البلاد ورزقُ العباد ... اليكم وعن مثلكم يصدرُ
قدرتم فمنوا فكم ليلةٍ ... سهرتُ الى الله أن تقدروا
فما فى الحميّة أن يمنع الـ ... ـملىءُ وذو حقه معسِرُ
دعوناكُمُ من وراء التى ... لسانُ البليغ بها يَحصَرُ[2]
وعن خَلةٍ[3] باطنٍ داؤها ... تُجَمَّلُ بالصمت أو تُستَرُ
مكحَّلةٍ[4] خشنٍ مسّها ... الى أكلنا فَمُها يُفغَرُ[5]
يعزّ على المجد والمكرما ... ت أنَّا بأنيابها نُعقَرُ
ونحن من الدهر بل منكُمُ ... بما سدّ خَلّتَنا أجدرُ
شموسٌ "ببغداد" منكم تضىء ... ونحن بأقسامنا نَعثُرُ
"وبالجزع" "فالمنحنى" من "دُجَيلٍ"[6] ... سحابٌ على غيرنا يَهمِرُ
ونحن نظنّ بأيامكم ... كما ظنّ بالثمر المؤبِّرُ[7]
فهل فيكُمُ – وبَلَى فيكُمُ[8] – ... فتى يُصرِخُ[9] الفضلَ أو ينصُرُ؟
فيذكر من حقّنا ما نُسى، ... ومثلُ أواصِرِنا[10] يُذكَرُ

(١) جعاد : شحيحة . (٢) يحصر : يعيَ . (٣) الخلة : الحاجة . (٤) مكحلة : مشتدة فى محلها وجدبها . (٥) يفغر : يُفتح . (٦) دجيل : اسم نهر وما قبله أسماء مواضع . (٧) المؤبر : الذى يصلح الزرع و يتعهده . . (٨) فى الأصل هكذا * فهك فيك و بلى فيكم * (٩) يصرخ : يغيث و يعين ، وفى الأصل "يصرح" بمعنى يبين و يظهر، والأول أرجح لاتفاقه والسياق . (١٠) أواصر جمع آصرة وهى ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر، و فى الأصل " واصرنا " .

* * *

ولما آستقلّ الأمر لوزير الوزراء شرف الدين عميد الدولة أبى سعد بن عبد الرحيم أنشده بالمعسكر

رقّ " لبغداد " القضاءُ والقــدَرْ	وعطف الدهـــرُ عليها وأمر[(١)]
وآمتعض المجد لهـا من طول ما	حاق[(٢)] بها الضيم فثار فانتصـــرْ
وضحك المزن الى ربوعهـا	والعامُ قـد قطّب فيها وكشَرْ
فهى ومن يحمـله ترابُهـا	عازبةٌ راحت ومُنهـاضٌ[(٣)] جَـبِرْ
عاد الحيـا[(٤)] الى الـثرى فَـربَّه[(٥)]	وفَتَق الصبـحُ الظلامَ ففُجِـرْ[(٦)]
ونطقَتْ خُرسُ العـلا فأبصرتْ	عميـاؤها وسمعت وهى وَقِـرْ[(٧)]
فليهنهـا ما أثمــر الصبرُ لهـا	والصبرُ فى إمراره حلو الثمـرْ
قصرك[(٨)] ياخابطــةَ الليــلِ بنـا	لا بدّ لليـل الطويل من سَحَرْ
تنفّسى مبصــرةً وآنفـرجى	فطالمـا غَـمَّ دجاكِ وآعتكرْ
هــذا الوزير وأخوه فاســفرى	قد رُدّت الشمسُ عليك والقمرْ
نجمان ما غابا لســعيٍ ماجــدٍ	فى الأفق إلا طلعا مع الظفَــرْ
وجاريان سـابقٌ بنفســه	[الى][(٩)] المدى ولاحقٌ على الأثرْ
تشابهـا والكفُّ مثـلُ أختهـا	والزَّندُ مثـل الزند مَرْخًا[(١٠)] وعُشَرْ[(١١)]

---

(١) هكذا بالأصل وهى لا تخلو من معنى . (٢) فى الأصل "خاف" . (٣) المنهاض : العظم المكسور . (٤) الحيا : المطر . (٥) ربّه : أصلحه وزاده وأتمّه . (٦) ففجر : فطلع فجره . (٧) الوقر : الصمم من بابى تعب ووعد . (٨) قصرك : جهدك وغايتك وآخر أمرك . (٩) هــذه الكلمة ليست بالأصل . (١٠) المرخ : شجر سريع الورى يُقتدَح به ، وفى الأصل " مرحى " . (١١) العُشَر : شجر فيه حُرّاق مثل القطن لم يَقتدِح الناسُ بأجودَ منه .

متى تَطُلْ من "شرف الدين" يدٌ تجدْ "كمالَ الملك" عن أخرى حَسَر (١)

كلتا اليمينين قياسٌ للعلا ذا ذَرَعَ الأفقَ بها وذا شَبَرْ

من يرِ ذا وِرْداً وذاكَ قَرَباً (٢) (٣) له، يقل: ذا العشبُ من ذاك المطَرْ

دوحةُ مجدٍ صعُبتْ عيدانُها على العدا أن تُختَلى وتُهتصر (٤) (٥)

سقى الندى "عبدُ الرحيم" ساقَها وحاط "أيّوبُ" عليها وحظَرْ (٦)

وحمَلتْ مثقَلةً فأثمرتْ مُذكِرَةً فولدتْ كلَّ ذكَرْ

قومٌ أقاموا الدهرَ وهو عاثرٌ حتى مشى يختالُ عنهم وخَطَرْ

وأدركوا أيامَهم بهيمةً (٧) مُغْفَلَةً (٨) شِياتُها (٩) حُصُّ (١٠) الشَّعَرْ

فاعتلقوا جباهَها وسُوقَها وطلعوا فيها الحجولَ والغُرَرْ

كلّ غلامٍ إن عفا وإن سطا أمِنَ بين الخافقين وذَعَرْ

أروعُ لا تجرى الخطوبُ إن نهى خوفاً ولا يقضي القضاءُ إن أمرْ

نال السماءَ مُدرَجاً في قُمْطِه (١١) وفات كلَّ قارحٍ (١٢) وما اثَّغر (١٣)

لم يأخذِ السؤددَ حظّاً غلطاً ولا العلا مغتصباً أو مقتسِرْ

ما سار في كتيبةٍ إلا حمَى وما امتطى وسادةً إلا وزَرْ

قد صدعَ اللهُ بكم معجزةً في الأرض ليست في محالات البشرْ

فأرشدَ المستبصرين بكمُ لو كان يُغنى القلبُ أو يُغنى البصرْ

---

(١) حسر: كشف. (٢) الورد: الماء المورود. (٣) القرب: سير الليل لورود الغد. (٤) تختلى: يُجزُّ خَلاها وهو الرطب من النبات. (٥) تهتصر: تكسر. (٦) حظر: اتخذ حظيرة. (٧) بهيمة: سوداء أو التي لا شية فيها. (٨) مغفلة: مهملة غير موسومة، وفي الأصل "معقلة". (٩) شيات جمع شية وهي العلامة. (١٠) الحُصّ جمع حصاء وهي المحلوقة الشعر أو التي تناثر شعرها. (١١) قمط جمع قِماط وهو خرقة تلف على الصبيّ في مهده. (١٢) القارح: من الإبل والخيل الذي بلغ آخر سنه. (١٣) اثّغر: نبتت أسنانه.

وأعـــلم المُلكَ المـــدارَ أنـــه بغير قطبٍ منكمُ لا يستقِرْ
وأنه حبـــلٌ وليـــتم فتـــله فكيفما أبرمه الناسُ آنتشـــرْ
أما كفاه — إنْ كفاهُ واعظٌ — بيانُ ما جُرِّبَ (١) منكم وآختبرْ
وكيف لُمَّتْ وهى فى أيديكمُ طيتُـــه وآنحـــلَّ فى أيدٍ أُخَرْ
كم [غارَ من بعد] (٢) الغرورِ مدَّةً بغـيركم، أما يَغارُ من يُغَـــترْ؟
بلى! على ذاك لقـــد بان له فُرقانُ ما بين الرجال فظهـرْ
ونصحته نفسُـــه لنفسِـــهِ فشاورَ الحـــزمَ وأحسنَ النظرْ
فقابـــلوا هفـــوته بحلمكم فمثلُكم — إن كان ذنبٌ — مَن غفرْ
وآســـتدركوا بسعيكم حفيظةً من أمره ما شعّبَ العجزُ وجرّْ
فهـــو الذى درَّ على أيمانكم (٣) قِدْماً له خِلفُ (٤) الصلاح وغَزُرْ
وإن غنيتم لغـــنى أنفسكم عن رغبـــةٍ فهـــو إليكم مفتقِرْ
إن "العراقَ" اليوم أنتم قطبُـــه لولاكمُ مـــدبّرين لم يَدُرْ
قد حُبِستْ عليكمُ سُروجُـــه من غاب من حُماتِكم ومن حضَرْ
أنتم إذا ضِـــيمَ ســـيوفُ نصره وأنـــتمُ ربيعـــه إذا آقشعَرْ (٥)
إذا قربتم ضحكتْ عِراصُـــه (٦) وآبيضَّ وجهُ العدل فيهـا وسفَرْ
وإن نأيتم [كان فى] (٧) آنتظارِكم كأنكم فيـــه الإمامُ المنتظَـــرْ

(١) فى الأصل "جزت" . (٢) هذه الكلمات ليست بالأصل وقد ورد به هذا البيت هكذا :

كم الغـــرور مرّة بغيركم أما يغار من يغتر

(٣) أيمان جمع يمين من الأيدى . (٤) الخلف : حلمة ضرع الناقة . (٥) آقشعر : لم يصب ريّا وفى الأصل "آستقر" (٦) عراص جمع عَرصة وهى ساحة الدار . (٧) فى الأصل "فانه انتظاركم" ولا يستقيم بهما الوزن والمعنى .

فعالجــوا أدواءَه بطبِّكم — قد حُفِر الجرحُ الذى كان عقـــرْ (١)

لم يبـــقَ إلا رمقٌ فابتــــدروا — إمساكه ، والغوثَ إن لم يُبتَـدَرْ

يا قاتلَ الجــدب آنتصرْ وقد بغى (٢) — بعـــدك عامُ المحل فينا وجَـــرْ

كم تُمطَـــر الشهباء عنك بالحيا (٣) ، — قد صرَّحتْ كَحْلُ (٤) وقد صابتْ بقُرْ (٥)

أمـــدد بيمنـاك (٦) على مجـــدٍ عفا — خِصبًا وجدِّدْ رسمَ جُودٍ قـد دثَرْ

وآقدم على السعد الى الصدر الذى — أوحشتَه فانهض بِورْدٍ وصـــدَرْ

وآضفُ على الدولة ظـــلًّا سابغا — تسـحبه يمنيك (٧) هُــدَّابَ الأُزُرْ (٨)

دعْ كَبَدَ (٩) الغيـــظ على أعدائها — ودع لأوليائهــا حَــزَّ (١٠) الأشَرْ (١١)

قـــد أكلتْ أكفُّها (١٢) نواجـــذٌ — يومَ لك الأمرُ آسـتقامَ وآستقرْ

ودَوِيتْ (١٣) بمـا أَشرتَ وطَـــوتْ (١٤) — أفئـــدةً بالســـوء فيك تأتمـــرْ

فتُهـــمُ فربعـــوا (١٥) من ظَلَعٍ (١٦) — على رضًا بادٍ وسخـــطٍ مستسِرّْ (١٧)

(١) حفر : فسد ، من قولهم : حُفر فيه بمعنى فسدت أصول أسنانه . (٢) فى الأصل ”نعى“ .
(٣) فى الأصل ” تمطل “ ، والشهباء : الأرض لا نبات فيها ولا خضرة . (٤) يقال فى المثل : ”صرَّحتْ كَحْل“ وصرّحت بمعنى آنكشفت ، وكحل : السنة الشديدة ومعناه : خلصت السنة من الشدّة والجدب وقيل : كحل اسم للسماء ، يقال : صرّحت كحل اذا لم يكن فى السماء غيم ، وهى معرفة لا تدخلها الألف واللام وتصرف ولا تصرف . (٥) يقال فى المثل ”صابت بقُرّ“ أى نزل الأمر فى قراره فلا يستطاع له تحويل ، وصابت من الصوب وهو النزول ، والقر : القرار؛ يضرب عند الشدّة ويروى ”وقعت بقرّ“ .
(٦) فى الأصل ”يمينيك“ . (٧) الهذاب : الخيوط التى تبق فى طرف الثوب من عرضيه دون حاشيته . (٨) الأزر جمع إزار . (٩) الكبد : الشدّة والمشقة . (١٠) فى الأصل ”بحز“ . (١١) الأشَر : الحدّة والرقة فى أطراف الأسنان ، ويراد به هنا من باب المجاز الرفاهية فى العيش . (١٢) فى الأصل ” أكفتها “ والنواجذ : الأضراس . (١٣) دويت : مرضت . (١٤) طوت : نقيض نشرت . (١٥) فربعوا : فوقفوا وآنتظروا . (١٦) الظلع : غمز فى المشى قريب من العرج وفى المثل ”اربعْ على ظلعك“ أى إنك ضعيف فآنته عمّا لا تطيقه
(١٧) مستسرّ : متوار .

فلا يزل — وأنت حىٌّ خالدٌ — نأيُهُـــم (١) حتى يسدُّون الحُفَرْ
ولا تنـــلْ مُلكَكَ إلا شـــللا يدُ الزمان وتصاريفُ الغِـــيَرْ
أُذكُرْ وصِف : كيف ترى بشائرى فى مجــدكم ، إنّ الكريم مَنْ ذَكَرْ
حــدِّثْ بآياتى وقــلْ بمعجزى وخَبَرِى عن كلِّ غيبٍ مســـتترْ
هـــذا الذى جَرَتْ به عِيافـــتى (٢) لكم وطيرى ذو اليمين إذ زُجِرْ
وكيف لا تصـــدُقُ فيكم نُذُرى (٣) وأنا فى مديحكم أبو النُّـــذُرْ
ومَدَدُ العيشــةِ لى من فضلكم وحظُّكم حظِّى من خَـــيْرٍ وشرّْ
قد عَرَقَ (٤) الزمانُ لحى بعــدكم ببعـــدكم وأحرق العظـــمَ وذَرّْ
ولم يدع لى غمـــزُهُ جارحـــةً إلا وفيهـا غمـــزُ نابٍ وظُفُـــرْ
تنبِـــذنى فى حبّكم نواظـــرٌ وألسنٌ منبَـــذَةَ النِّضوِ (٥) المُعَـــرّْ (٦)
أرجو نداهـــم ضلّةً وعطفَهـــم كما رجت "قحطانُ" ودًّا فى "مُضرْ" (٧)
أرجعُ عن زيارتى فى يُسرهـــم الى محلٍّ عامرٍ من العُســـرْ (٨)
فافتقِـــدوا شِـــلوًا (٩) لكم بقاؤه ومنكُمُ إن فاتَ أو مرَّ يَمُـــرّْ
لســانكم ، وكلُّ من يُنطِقُكم سواه معقولُ (١٠) اللســان أو مُجَـــرّْ (١١)
قــد بلَغَ المفصِـــلَ منى جازرى فالله فى أن يَجُـــزَّ ما جَـــزَرْ

---

(١) وردت بالأصل هكذا "نالهم" . (٢) العيافة : التفاؤل بالطير . (٣) نذر جمع نذير . (٤) عرق : نهش بأسنانه . (٥) النضو : المهزول من الإبل . (٦) المعرّ : الذى أصابه العُرّ وهو الجرب . (٧) يشير الى ما بين القبيلتين من العداء . (٨) العسر بضمتين : الضيق . (٩) الشلو : العضو . (١٠) المعقول : المشدود المربوط بالعقال . (١١) مُجَرّ : مقطوعٌ ممنوعٌ عن الكلام من قولهم : أجرَّ لسانَه : منعه الكلام ، ومنه لعمرو بن معد يكرب :

فلو أنّ قومى أنطقتنى رماحُهم ❊ نطقتُ ولكنّ الرماح أجرَّت

ومعناه أنهم لو قاتلوا وأبلوا لذكرت ذلك ونخرت به ولكنهم قطعوا لسانى بفرارهم وفى الأصل هكذا "مجر".

لم تبق فى بعــدكم بقيّــةٌ … يُرجَى لها رفـدُ غدٍ ويُنتظَــرْ

فا قضــوا ديونَ جودكم فى خَلّتى … فقد قضى شــعرىَ فيكم ما نَذَرْ

* * *

وقال وقد عاد شرف الدين أبو سعد الى تكريت

الليــلُ فالأرضُ لليثِ الشرى (١) … عرّس (٢) يبغى راحةً أو سرى

فتــارةً مفــترِشا غابــةً … وتارةً مفــترسا مُصحِرا (٣)

والظُّفَــر الحلوله إن عفا … عمدا وإن تَيّبَ (٤) أو ظَفّــرا

مرٌّ عــلى هِــزّة أبادِهِ … يكبرُ أن يؤمرَ أو يُــزجَرا

يرَى من العــزّة فى نفســه … ما لم يكن ماحضُ نصحٍ يرَى

أغلبُ (٥) لم يُخلَق ركوبَ المطــا (٦) … سهلا ولم يُقصَر (٧) لخــزمِ البُرى (٨)

فما تريد اليــدُ من مقــودٍ … يرجِعُ عنــه باعُها أبــترا (٩)

لله رامٍ سهــمُه رأيُــهُ … اذا رأى شــاكلةً (١٠) فكّرا

يطيع من عزمتــه مُقــدِما … ما غلّس (١١) النهضــةَ أو بكّرا (١٢)

تنصره الوثبــةُ من أن يُرَى … مستصرِخ الخُلســةِ مستنصِرا

لا تجذبُ (١٣) الأوطان منــه ولا … يخــدعه للضيم طيبُ الكرى

يأنسُ بالنعمةِ ما ساندت … جنبا منيعا وحمًى أعســرا

١٨٥

---

(١) الشرى : اسم مأسدة بجانب الفرات . (٢) عرّس : نزل فى آخر الليل يطلب الاستراحة . (٣) مصحرا : بارزا للصحراء . (٤) تيّب : غرز أنيابه ، وفى الأصل "بيب" ، وظفر : أنشب أظفاره . (٥) الأغلب : الأسد . (٦) المطا : الظهر . (٧) فى الأصل "حزم". (٨) البرى : جمع بُرَة وهى حلقة تجعل فى أنف البعير يربط فيها الزمام . (٩) الأبتر : المقطوع . (١٠) الشاكلة : الخاصرة ، يقال : أصاب شاكلة الرمية أى خاصرتها . (١١) غلّس : دخل فى الغلَس وهو الظلمة . (١٢) بكر : دخل فى البُكرة وهى الغدوة . (١٣) فى الأصل "تجدب" .

فإن مشت فى جوّها ذلةٌ ... رابك مـذعورا ومســـتنفرا
لِـمْ عــلى غَشْــمته فاتكٌ ... هلاّ آرتأى فيها وهلاّ آمترى
وقيـــل لو عُلِّلَ مســـتأمنا ... والداءُ إن موطِلَ يـوماً سَرَى
وكم جَنَى الرَّيثُ(١) عــلى حازمٍ ... فـودّ لو قــدَّمَ ما أخّــرا
يا فارسَ الغــرّاء(٢) يرمِى بهــا ... سهلَ العِنانِ الجانبَ الأوعَرا ،
يــردُّ من غُرّتهـا مُعتِما ... عــلى الدآدى(٣) غَلَسـا مقمرا ،
ينُصّ(٤) من أرساغهـا(٥) والمطـا ... إما جناحا طارَ أو مَنسِــرا(٦) ،
قل "لعميدالدولة" : آفلح بها ... قد ســلَّم الخصمُ وزال المِرَا(٧)
فانظرالى الأعقاب من صدرها ... لا بد للعـتم أن يُفجِــرا(٨)
ركبتَها بـزلاءَ(٩) مخطومـــةً ... تحملُ منك الأَســـدَ القَسْورا(١٠)
ترمِى بدار الذلّ من خلفها ... ظهرا وتبـغِى فى العلا مظهرا
ناجيـــةً(١١) تأخذ من حظّها ... مقبِـــلةً ما تركَتْ مدْبِرا
حتى آستقلّتْ بك بحبوحــةً ... تشـــرُفُ بالبـادية الحُضَّرا
محميّةَ الأرجاء إن هُيِّجت ... زعزعتِ الأبيضَ والأسمــرا
تُذكِـرُك المجدَ بوفد الجـدا ... وســامرَ الليــل ونارَ القِــرى
وغلمـــةٌ حولك من "عامرٍ" ... شرَطّك مـدعوًّا ومســتنصَرا

(١) الريث : التمهل والإبطاء . (٢) الغراء : ذات الغرة . (٣) الدآدئ جمع دأداء وهى الليلة الشـديدة الظلمة . (٤) ينصّ : يستحثّ . (٥) أرساغ جمع رُسغ وهو الموضع المستدقّ بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل ، ومفصل ما بين السـاعد والكفّ والساق والقدم . (٦) المنسر : منقار الطير الجارح . (٧) المراء : الأعتراض فى الجدل . (٨) يفجر : يدخل فى الفجر . (٩) البزلاء : الناقة العظيمة . (١٠) القسور : الأسد القوى . (١١) الناجية : الناقة الشديدة .

تحسَبها إن غضِبتْ جِنَّةً ... وجانبَ "الزاب"(١) بها "عَبقَرا"(٢)

تأمر في ذاك وتنهى بما ... أنفتَ أن يُنهَى وأن يؤمَرا

عدوُّك الآملُ ما لا يرى ... أصبح من بعدك مستوزَرا

دعوة داعٍ لم يجد حظَّهُ ... أشقى له منك ولا أخسرا

قد أنكرتْ بَعدك خُطَّابَها ... فما ترى كُفئا ولا مُهرا

وآبتُذلتْ حتى غدا ظهرُها ... أجلبَ(٣) مما ركِضتْ أدبرا(٤)

بين بنى العاهات منبوذةً ... يزاحم الأعمى بها الأعورا

وآستامها المفلِسُ لما غدتْ ... تباعُ بالفَلْس فلا تشترَى

كانت بكم مغنًى(٥) هوًى آهلا ... فاليومَ أضحت طللا مقفرا

وساقَها سالُبها ظلَّكم ... للذئب يَرعَى سَرحَها(٦) مُصحِرا(٧)

داميةً من ندمٍ كفُّه ... يأكلها الإبهامَ والخنصَرا

ينشُدُ منكم وطرا فاته ... ويسأل الرُّكبانَ مستخبِرا

كعاشقٍ فارقَ أحبابَهُ ... طوعاً وسامَ الليلَ طيفَ الكرى

أين له أين بكم نادما ... معتذرا إلا بأن يُعذَرا !

ما أخلقَ العاثرَ يمشى به ... كسيرُه أن يبتغى مُجْبِرا(٨)

لا يعرف المعروفَ من أمره ... مُعمَّرٌ حتى يرى المنكَرا

يا نعمةً ما صاحبتْ صاحبًا ... وعُقلَةُ النعمة أن تُشكَرا

غدًا يوافيك بأيمانِه ... جاحدُك الغامطُ مستبصِرا

(١) الزاب : نهر بأرض الموصل . (٢) عبقر : اسم بلدة يقال إن الجن يسكنونها .

(٣) الأجلب : ما علته الجُلْبة وهى القشرة تعلو الجرح . (٤) الأدبر : ما أصابته الدَّبرةُ وهى القرحة تحدث من الرحل ونحوه . (٥) فى الأصل "معنى" . (٦) السرح : المال السائم .

(٧) مصحرا : بارزا للصحراء . (٨) فى الأصل "مخبرا" .

بغــدرةٍ يرغبُ فى بســطها ... وزلّةٍ يسأل أن تُغــفرا

فــثَمَّ فاردد قادرا رأيك الـ ... ـشـاردَ وأبرُدْ صــدرَك الموغَرا (١)

وأجرِ من الصـــفح على عادةٍ ... مثلُك مســتولٍ عليهــا جرى

وآلتحم الجُرح فقــد طُوِّحَتْ ... جَنْباه (٢) بالمســبار وآستَنْهرا (٣)

بادرْ بهــا الفوتَ فمــا شِلْوُهــا ... أوّل مَيْتٍ بك قــد أُنْشِــرا

وآركب مطاها (٤) فقد آستخضعتْ ... ذلًّا لأن تُلْجَــم أو تُثْفَرا (٥)

وروِّض البُعــدُ وتأديبُــه ... لك الرقابَ الذلَّ والأظهــرا

غَــرسُ فــتيٍّ أنت أنشأتَهُ ... فــلا تدَعْ غــيرَك مستثمرا (٦)

ما أسَّسَ "القــادرُ" إلا بنَى ... عُلْوا ولا يخــلُقُ إلا فَــرى (٧)

وآسئل مواعيــدِىَ فى مثلهــا ... هل أخلفت أو كذَبتْ مَزجَرا

لو نزل الوحىُ عــلى شــاعرٍ ... قمتُ بشيرا فيكــمُ منــذرا

أو آدعى المعجِزَ من ليس بالـ ... ـنبىّ كنتُ المعجِــزَ المبهرا

كم آيةٍ لى لــو تحفَّظــتُمُ ... بهــا وفالٍ بعــلاكم جرى

يشكر مقروءا ويشــكو اذا ... صح الذى حــدّث أو خبّرا

---

(١) الموغر: الملتهب حقدا. (٢) وردت هكذا فى الأصل. (٣) استنهر: آتسع وجرى، وفى الأصل "اشتهر". (٤) المطا: الظهر. (٥) تُثْفَر: عُمِلَ لها ثَفَرٌ وهو السير الذى فى مؤخر السرج، وفى الأصل هكذا "نفرا". (٦) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا:

عرس فتى أنت إنسانه ❊ فلا ىدع عرك مستىمرا

(٧) يخلق: من قولهم: خلق الأديم يخلقه خلقا بمعنى قدره لما يريده قبل القطع وقاسه ليقطع منه؛ وفرى: قطع وصنع بعد التقدير، قال زهير:

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ ❊ ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

ومعناه: أنك اذا قدرت أمرا قطعتــه وأمضيته وغيرك يقدّر ما لا يقطعه لأنه غير ماضى العزم؛ وقال الحجاج: ما خلقت إلا فريت، وهو بالمعنى المتقدّم.

لا حقُّ مَن قــدّم حقّا به ... يُعطَى ولا فـوزَةُ ما يُشـترَى
وجُلُّ حظى عندكم فيــه ما ... أجـودَ ما قال وما أشــعرا !
تناسيا فى حيث تقضى العلا ... وتوجبُ القدرةُ أن أُذكَرا
كنتم ربيعى وثرى(١) أرضكم ... يلقى الحيا ظمآنَ مستبشرا
فما لربــعى دارسا هامـدا ... مذ صرتم الأنواءَ والأبحــرا ؟ !
اليكم الصرخةُ، لا منكمُ! ... ما أخونَ الحـظَّ وما أجورا
قــد أكلتنى بعــدكم فــترةٌ ... ما أكلت إلا فـتًى مُقْــترا
واستعذبتْ لحمى وإن لم تجـد ... إلا مُمِــرًّا(٢) طعمه مُمقِــرا(٣)
كنتُ على البِلَّةِ من مائكم ... منتفضا من ورقى مُصــفِرا(٤)
فكيف حالى ونوى داركم ... قد منع القطرةَ أن تقطُرا
من لى بصون العمــر فى ظلّه ... سِــنِىَّ أُحصيهنَّ(٥) والأشهرا
ومن لكم غيرى طباق المــلا ... ما راضه فيكم وما سَــيَّرا
حتى لقــد سُمِّى بكم مسرفا ... حيث يُســمَّى مادحا مكثرا
أقسمتُ إن فاتكم الدهر بى ... لَيندمَنْ بَعـدِىَ مَنْ قَصَّرا
يا عُروتى الوثقَ أعــدْ نظرةً ... فى خَــلَّةٍ منبوذةٍ بالعــرا
تلاقَ بالعاجل ميســورَها ... وصُبْ(٦) واو مؤتَشِــلا(٧) مُنزِرا(٨)
واضمن على جودك من أجل ما ... قــد أنعم الوادى وعمّ الثرى(٩)

---

(١) فى الأصل "وترى". (٢) الممر : الذى به مرارة. (٣) الممقر : الحامض أو المر.
(٤) المصفر : المفتقر. (٥) هذه الكلمة فى الأصل هكذا "أحبصهن". (٦) صب :
فعل أمر من صاب المطر بمعنى انصبّ ونزل. (٧) مؤتشلا : جائدا بالوشل وهو القليل من الماء.
(٨) منزرا : مقللا. (٩) الثرى : الخير.

ولا تدعـــنى ودعاء الصّبـا في معشرٍ أشـــقَ(١) بهم مُعسرا
نَبِّـهْ على أنّ آختصاصى بكم يُخرِجُكم بالرّغم منى يَـرا(٢)
وآطلع طلوعَ البـــدر ما ضرّه ســـراره ليـــلةً ما أقمـــرا
وآستخدم النيروزَ وآســعد به مستعملا فى العـــزّ مستعمرا
يومٌ من الأيام لكن رأى له عليها الفضـــلَ والمفخَـرا
كأنه من نخـــوة قُـــلِّد الـ ـتسويدَ عن أمرك أو أُمِّرا
ينسب "كسرى" فإن آختاركم دينا فقـــد وافقكم عنصُـــرا
يُقسم — والصدق قمِنٌ به — بمـا حبا الأرضَ وما نوّرا :
أنك تَبـــقَ مالكا خالدا ما ردّ منـــه الدهر أو كرّرا

⁂

وكتب الى الوزير شرف الدين أبى سـعد وهو مقيم بالبَنْدَنِيجَيْن(٣) يستوحش له ويصف آختلال حاله بفراقه

لو كنتَ تبلوغداة "السفح" أخبارى علمتَ أن ليس ما عَـــيّرتَ(٤) بالعـارِ
شوقٌ الى الوطن المحبوبِ جاذبَ أضـ ـلاعى ودمعٌ جرى من فُرقة الجارِ
ووقفـــةٌ لم أكن فيهـا بأوّل من بان الخليـــطُ فداوى الوجـــدَ بالدارِ
ولمتَ فى الـبرق(٥) زفْراتى فـلو علمتْ عيناكَ من أين ذاك البارقُ السارى
طارتْ شَرارتُه من جوّ "كاظمـةٍ" تحت الدجى بلُبـاناتى وأوطارى

(١) فى الأصل "أسق" . (٢) هكذا فى الأصل رسما وشكلا ولم نفهم معناه ، ولعل صوابه
نبـــه على أن آختصاصى بكم يخرجهـــم بالرغم مـــنى بَرَا
وبَرَاء بمعنى بريئين حذفت همزتها للضرورة ، ويكون معنى البيت : نبه على أن آختصاصى بكم يخرج المعشر الذين أشق بهم برآء بالرغم منى . (٣) البندنيجين : لفظه لفظ التثنية بلدة مشهورة فى طرف النهروان .
(٤) فى الأصل "عيرت العار" . (٥) فى الأصل "الرق" .

من كلِّ مبتسِمٍ عن مثــل وَمْضــتهِ … وذائبٍ ريقُــه فى مزنــه الجارى

وخافقٍ بفــؤادى فى حيًّا [هَطِــلٍ] (١) … خفــوقَ شَعشاعِه من غير إضرارِ

وطائشٍ من لحاظٍ يومَ " ذى سلَمٍ " (٢) … ملكنَ وِردى ولم يملكن إصــدارى

رميتُ أحسَبُ أنّى فى " بنى جُشَمٍ " … فَرُدَّ سهمى ورامى مهجتى " قارى " (٣)

هــل بالديار على لومى ومعــذرتى … عَدْوى (٤) تقامُ على وجدى وتذكارى

أم أنت تعــذُلُ فيما لا تزيد بــه … إلا مــداواةَ حَــرّ النار بالنارِ

تنكَّرتْ أن رأتْ شيبى وقــد حسبت … أيّام عمرى فصــدّت " أمُّ عمّــارِ "

أما ترينى ذَوَى غصــنى وناحلَــنى … ظلٌّ وراب الهوى صبرى وإقصارى

وقُوربتْ (٦) خُطُــواتى من هُنا وهُنا … فبُــدِّلتْ أذرعٌ منهــا بأشــبارِ

مطرَّدا تجتفيــنى العينُــ، راكدةً (٧) … عنــد الملوك رياحى بعــدَ إعصارِ

فما خضعتُ ولكن خاننى زمــنى … ولا ذللتُ ولكن غاب أنصــارى

وقــد أكون وما تُقضَى بلَهنيــةٍ (٨) … إلا بمتعــة آصــالى وأسحــارى

موسّــعا لى رواقُ الأنسِ، قالصةً … عــنّى ذلاذلُ (٩) أبــوابٍ وأســتارِ

مع الوسائد أو فــوق المضاجع إنْ … مُلَّتْ مجالسُ أُلّافٍ وسُمّــارِ

أشرِى المــوداتِ والأموالَ مقــترحا … منهــا الصفايا (١٠) بأخلاق وأشــعارى

أيامَ لى من بنى " عبــد الرحيم " حمًى … راعينَ حقَّ العــلا دانينَ حُضّارِ

مرفرِفين على حــقّ بحفظِهــمُ … رامينَ نحــوى بأسمــاعٍ وأبصارِ

١٨٧

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٢) فى الأصل " لحاظى " . (٣) قارى : نسبة الى القارة وهى قبيلة مشهورة بالرماية ، وفى المثل " أنصف القارة من راماها " . (٤) العدوى : النصرة والمعونة . (٥) فى الأصل " دأب " . (٦) فى الأصل وردت هكذا "قورنت" . (٧) فى الأصل هكذا " نفى " . (٨) البلهنية : رغد العيش . (٩) الذلاذل : ما تدلى من حواشى الثوب . (١٠) الصفايا جمع صفىّ وهى ما يختار من الغنيمة .

فاليـومَ تنبِـــذنى الأبوابُ مطَّـــرَحا نبـــذَ المُعَرَّةِ تحتَ الزِّفتِ والقـارِ

يُمَلُّ مـــدحى ولا يُصــغَى لمعتبَتى ولا يـراقَبُ تخـــويفى وإنـــذارى

يُنقِّصُ الفضـــلُ مِيزاتى[١] ويُصـــغرنى ما كانَ فيـه اذا أُنصفتُ إكبارى

هـذا وهم بعـــدُ يرعونى وإن شحطوا ويلحظونى على بُعـدٍ من الدارِ

عَلِقتُ باسمِهِـــمُ فاســـتبقنى ويفى أنى علقت بحبـــل غيرِ خـــوّارِ

بالأطهـرين ثرًى والأطيبين ندًى والأسمحين عـــلى عُســـرٍ[٢] وإقتـارِ[٣]

والناصرين لمـا قالوا بمـا فعـــلوا والفاتلين عـــلى شزرٍ[٤] وإمرارِ[٥]

لا يعـــدَمُ الجارُ فيهـــم عِزَّ أُسرتِهِ ولا يكون قـــراهم نجـــلةَ الجارِ

ولا يردّون فى صـــدر الحقـــوق اذا توجّهتْ بتسـاويفٍ وأعـــذارِ

يأوى الطـــريدُ اليهـــم غيرَ مهتضَمٍ ويرحل الضيفُ عنهـــم غيرَ مختـارِ

سريتُ منهـــم بشُهبٍ فى دُجَى أمـــلى تضىءُ لى وآهتـــدَى ليـــلى بأقمـارِ

صحبتهـــم والصِّبا ريعانُ فى ورقٍ [فـا][٦] نبوْا[٧] بِىَ حتّى حانَ إصفارى

مقـــرَّبا يُسحِبونى ذيلَ أنعمِهـــم حـــتى ترى النـاسَ يقتافون آثارى

حـــتى لو آنىَ أدعى باسم بعضِهـــمُ لم ينبُ جهرى عن الداعى وإسرارى

حَمَوا شـــبولا حِمى سَرحى وعشتُ الى أن ذبَّ عنّىَ منهـــم ضـــيغمٌ ضارى

قضيت فى "شرف الدين" الذى ضمِنتْ لِىَ المـــنى ووقى[٨] زجرى وأطيـارى[٩]

وحرَّمتْ يـــدُه لحمى على زمـــنى وكنتُ منـــه لأنيابٍ وأظفـارِ

---

(١) ميزاتى جمع ميزة، وفى الأصل "ميزانى". (٢) فى الأصل "عبر". (٣) فى الأصل "إيثار". (٤) و (٥) الشزر: الفتل من اليسار وهو أشد فتل الحبل. والإمرار: الفتل الشديد. (٦) هذه الكلمة ليست بالأصل. (٧) نبوا: تجافوا، وفى الأصل "يبونى". (٨) فى الأصل "ورق". (٩) فى الأصل "اطيارى".

أغرُّ قامت بقــولى فيــه معجزتى ... فى الفضل وآنكشفت بالصدق أخبارى

وسار بآيِىَ ما أرسلتُــه مثــلا ... فى الأرض من كلّ بيتٍ فيــه سيّارِ

مبــارَكٌ تطــرُد اللأْواءَ(١) رؤيتُــهُ ... طردَ الظــلام بزَند الُبلجَــةِ الوارى

وزيرُ مُلكٍ خلَتْ فى عــدل ســيرته ... صحيفــةُ المُلكِ من إثمٍ وأوزارِ

يزيّن الحــقَّ فى عينيه منيتُــهُ(٢) ... عــلى نوازع عِرقٍ فيــه نَعّارِ

شبّت به الدولةُ الشمطــاءُ وآرتجعت ... زمانَهــا بين إعراس وإعــذارِ(٣)

وأقلع الدهرُ عمّــا كان يثلِمُــهُ ... من عرشها بعــد تصميم وإصــرار

طــورا هشــيما تلظّى ثم يرفُــلُ من ... تدبــيرهِ بين جنّاتٍ وأنهــارِ

يذُبُّ عنهــا وقــد ريعت جوانبُهــا ... برأيه المكتسِى أو ســيفه العــارى

تهفُــو مرارا به غَمطــا لنعمتــهِ ... ثم تعــودُ بحلوِ الصــفح غفّــار

فكم تموتُ ويُحييهــا برجعتــه ... وكم تَعُــقُّ أباها الخــالقَ البــارى

شِيمــةُ لؤمٍ لهــا تُنسى اذا قُــرِنتْ ... منــه بشيمةِ حرٍّ وآبنِ أحــرارِ

من طينــةِ المُلك ملمــوما على كرمٍ ... لم تُنتحتْ صخــرةٌ منــه بمنقــارِ

يهتزُّ فخــرا بعــرضٍ لا يُــلِمّ به ... وضْمُ القَنــا وأديمٍ غــيرِ عُــوّارِ(٤)

بين وزيرٍ تغُصّ الصــدرَ جلســتُه ... يختال أو مَلِكٍ فى الفــرس جبّــارِ

تقسّــموا الأرضَ يفتضّون عُــذرتَها ... بعــدلهم بين عُمّــال وعُمّــارِ

ورثتَهم ســؤددا وآزددت بينهُــمُ ... زيادةَ الســيف بين المــاءِ والنــارِ

إن تخلُ من وجهك "الزوراء" مكرَهةً ... فإنّ صــدَّك عنهــا صــدُّ مختارِ

أو يُنتَقَص بعــدَك عنها حسنُها فلهــا ... بقــربِ غــيرِك أثوابٌ من العــارِ

(١) اللأْواء: الشدة. (٢) فى الأصل "منيته". (٣) الإعذار: طعام يتخذ لسرور حادث. وفى الأصل "أنذار". (٤) العوّار: الضعيف.

أمّا الديارُ فقفرٌ والقطينُ بهـا (١) (٢) (٣) ... يــودُّ من قــلَقٍ لو أنـه سارِى (٤) (٥)
قد خضخض السَّجلُ جالَيْها فما يجد الـ ... ـسّاقى ســوى حمأةٍ [ما] بين أحجـارِ
وطار بالرزق عنها أجــدلٌ علِقتْ (٦) ... منــه المنى بحــديدِ الظُّفر عقّـارِ
قامت بأذنابهـا أقدامُهــم وهــوت ... رءوسُها فى هــوى مستهدِمٍ هارِى
فالأرضُ مردودةٌ بالفَلس لو عُرِضَتْ ... والمُلْكُ يغــلو لمبتـاعٍ بدينـارِ
وصاحبُ الأرض ممــلوكٌ يصرِّفُــهُ ... مجعجِــعٌ (٧) بين نهّـاءٍ وأمّارِ
حِلْسُ (٨) العرينـــةِ (٩) خافٍ تحت لِبــدتِهِ ... ويكتسبُ الليثُ مع سـعيٍ وإصحـارِ (١٠)
مــدبِّرٌ لعبت أيــدٍ بدولتــه ... مشــلولةٌ بين إقبـالٍ وإدبارِ
يدعوك معــترفا بالحقّ فيــك وما آسـ ... ـتدناك مثــلُ اعترافٍ بعــدَ إنكارِ
يا جارَهُ أمسِ ! قــد لانت عريكتُهُ ... فاعطف له وارعَ فيــه حُرمةَ الجـارِ
وانهض لها نهضــةَ الشارى (١١) ببطشته الـ ... ـكبرى وحاشا لك التمثيــل بالشارى
قــد أعقم الرأىُ فاســتدرك بقيّتهـا ... منــكَ برأيٍ وَاودِ البطنِ مِذكارِ
فــلم تزل واريًا فى كلِّ مشكلةٍ ... بقَــدحِها جاريا فى كلِّ مِضمارِ
واملِذْ بجــودك أهــواءً موزَّعةً ... حــتى تفيءَ لإذعانٍ وإقــرارِ
واسعَ لمنتظــرٍ آياتِ عَــودِك لم ... يغنم ســوى الصــبر من غمٍّ وإنظـارِ
لا يشتكيك ـ وإن طال الجفـاءُ بهـ ... إلا اليــك بإخفـاءٍ وإظهارِ

---

(١) يقال : خضخض الأرض : قلبها وأثارها . (٢) السجل : الدلو . (٣) الجال : ناحية البئر ، وفى الأصل "حاليا" . (٤) الحمأة : الطينة . (٥) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٦) الأجدل : الصقر . (٧) المجعجع : مبرك الإبل ومنيخها . (٨) حلس : يقال هو حلس بيته اذا لزمه ولم يبرحه . (٩) العرينة : بيت الأسد . (١٠) الإصحار : البروز للصحراء . (١١) الشارى : واحد الشراة وهم الخوارج .

لم يبقَ إلا الذَّما[١] منه وأحسَبهُ ... لليوم أو لغدٍ ميتا[٢] بلا ثارِ

لولا عوائد من نعماك تنشُلنى ... وإن أتت فى قبيلِ الطارق الطارى

تزورنى والنوى بينى وبينكُمُ ... أهلا بها من حفىٍّ بى وزوّارِ

بجدودها مراعاةً فىَّ ظمأً ... لو كان فى البحر لم يُخلَقْ بتيّارِ

لُمُّوا كسورى فما فى الأرض منقبةٌ ... أعلى بصاحبها من جبر أكسارى

اليدُ منكم فلا تُلقوا أشاجعها[٣] ... لقاصمٍ من يدِ العلياء بشّارِ[٤]

وإن أَغِبْ عنكُمُ فالشعر يَذْكُرُنى ... وحسبكم بالقوافى ربَّ إذكارِ

فاستجلها يا "عميد الدولتين" فقد ... وافى بها الشوقُ من عُونٍ[٥] وأبكارِ

عرائسا أنت مولَى الناس خاطبُها ... وبعلُها، وأبوها عفوُ أفكارى

وانظر اليها وما قد أُعطيَتْ شرَفا ... مردَّدًا بين أحماءٍ وأصهارِ

والمهرجان وعيد الفطر قد وَلِيَا ... زفافَها بين صوّاغٍ وعطّارِ

يومان للفُرس أو للعُرب بينهما ... حظُّ السعادة مقسومٌ بمقدارِ

هذا بتاج[٦] أبيه عاصبٌ وعلى ... هذا آختيالُ فتىً بالسيف خطّارِ

تصاحَبا صحبةَ الخِلَّين وآتفقا ... سلْما ولم يذكرا أضغانَ "ذى قارِ"[٧]

فألبسْهما بين عيش ناعمٍ وتُقىً ... وبين صومٍ تزكّيه وإفطارِ

---

(١) الذماء: بقية النفس . (٢) فى الأصل "منا" . (٣) الأشاجع جمع إشجَع وأشجع وهو أصل الإصبع الذى يتصل بعصب ظاهر الكف ، و يقال أيضا : إن الأشاجع عروق ظاهر الكف . (٤) البشار : الذى يقشر البشرة التى ينبت عليها الشعر . (٥) العون جمع عوان وهى النَّصَف فى سنها أو المسنة ويقابلها البكر وهى العذراء الصغيرة . (٦) فى الأصل "نتاج" وهو تحريف ، والعاصب : المعتم بالتاج . (٧) ذو قار : من أيام الحروب التى وقعت بين الفرس والعرب ، وكانت وقعة ذى قار وقد بُعث النبى صلى الله عليه وسلم وخبر أصحابه بها ، فقال : « اليوم أول يوم آنتصفت فيه العرب من العجم وبى نُصروا » .

ما طاف بالبيت ماحِى زَلّةٍ وســعى شُعْثٌ أمامَ "الصفا"(١) أنضاءُ(٢) أسفارِ

تنصّــبوا لهجير الشمس وافترشــوا ليــلَ السُّرَى بين أقتـابٍ وأكوارِ

نضَّــوا(٣) الركابَ بمصرٍ واحــدٍ وهُمُ شــتَّى أباديدُ(٤) آفاقٍ وأمصـارِ

حـتى أهلّوا فلبَّــوا حاسرين الى الـ ـدَّاعى مبـاذلَ(٥) أشـعارٍ(٦) وأبشـارِ(٧)

وما جرى الدمُ فى الوادى وقــد نحروا وسُربِلَ البيتُ من حُجْبٍ وأسـتارِ

مخــلَّد الملك تفضِى كلُّ شارقةٍ الى وفاقٍ لمـا تهــوَى وإيثـارِ

وقال وكتب بها الى أبى الوفاء كامل بن مهدىّ ، وقد سأله إجراءه على العادة فى رسم الشعر فى المهرجان

لمن الظُّعْنُ تهتــدى وتجـورُ؟ سائقٌ منجــدٌ وشوقٌ يغــيرُ!

تُتبِــعُ الخطوَ قاهرا بين أيدي ـها ومن خلفهـا هوًى مقهــورُ

وهى فى طاعــةِ التلفُّتِ حيَّـا تٌ وفى طاعة الجبـالِ ســطورُ

ووراءَ الحُــدوجِ(٨) فى البيــد أروا حُ المقيمينَ فى الديارِ تســيرُ

رفعوها وهى الخــدورُ وراحــوا وهى(٩) ممـا تحوى القلوبَ صــدورُ

يا عقيــدى على الغــرام بليــل قم وفيًّـا ـ وغــيرك المأمورُ ـ

وأعِرْنى ـ إن كان ممّـا يُعارُ ـ الـ ـقلبَ أو كنتَ أنت ممّن يُعيرُ

(١) الشعث : مغبرو الرءوس ويريد بهم الحجاج ، والصفا : من شعائر الحج . (٢) أنضاء جمع نضو وهو المهزول . (٣) نضوا : استحثوا . (٤) أباديد : متفرقون . (٥) المباذل : الثياب التى تبتذل . (٦) أشعار جمع شَعَر . (٧) أبشار جمع بشرة . (٨) حدوج جمع حدج وهو مركب للنساء يشبه الهودج . (٩) فى الأصل "وفى" .

لِىَ وِترٌ(١) بين الركاب وأَوْلَى ... من توليتَ نصرَه الموتورُ
حكمتْ فى دمى فتاةٌ من الحىّ مباحٌ لها الدمُ المحظورُ
غادةٌ بين ظبيةِ البانِ والبا ... نِ اهتزازٌ فى خَلقها(٢) وفتورُ
بهما تَخلِسُ العقولَ وتَرعَى ... فى حِمَى كلِّ مهجة وتُغيرُ
فتى استعصمتْ فعاقلتاها(٣) ... رَشأٌ أحورٌ وغصنٌ نضيرُ
مَن عذيرى منها وأين من القا ... تل يَجنِى ولا يُقادُ عذيرُ
قامرتنى بطَرفها يومَ ذى البا ... ن وراحت ولبِّىَ المقمورُ
دونها من إبائها شيمةُ الغد ... ر ومن قومها القنا المشجورُ
قال عنها الواشون حقًّا فعِفْنا ... وقنِعنا بالطيف والطيفُ زورُ
ومن النَّزح(٤) صادقٌ وهو مذمو ... م لدينا وكاذبٌ مشكورُ
زارنا "بالعراق" زَورةَ ذى الجَنـ ... ـب "وماوانُ" دونه "بَخَفِيرُ"(٥)
يركب الليل قعدةً والليالى ... صَهَواتٌ فُرسانهنّ البدورُ
يقطعُ التيهَ(٦) والجمالُ دليل ... بين عينيه والظلامُ خفيرُ
فاذا مَضجَعى القضيضُ(٧) مهيدٌ(٨) ... واذا ليلِىَ الطويلُ قصيرُ
ما "لظمياء" تنطوى شِرّةُ(٩) العمـ ... ـرِ فيبلَى وحسنها منشورُ؟
وعظَ الشيبُ والحوادثُ فيها ... وفؤادى ذاك المصرُّ الجسورُ
ومشيرٍ وليّتُه صفحةَ الإعـ ... ـراض عنها والحبُّ لا يستشيرُ

(١) الوتر : الثأر . (٢) فى الأصل "خلفها" . (٣) العاقلة : دافع الدية .
(٤) فى الأصل "البرح" . (٥) ماوان وجفير : اسما موضعين أولهما قرية : فى أرض اليمامة باليمن ، وثانيهما لم يبينه يا قوت . (٦) التيه : المفازة يتاه فيها . (٧) القضيض : الخشن .
(٨) مهيد : ممهد . (٩) الشرّة : الحدة والنشاط .

نكِرَ البيضَ والصـــبابةَ بالبيـ ـضِ وأين الصِّــبا وأين النكيرُ
إن ترانى عـــلى يديك خفيفا سلسَ السهم مِقــودى(1) والقتــيرُ(2)
لَيِّنًا(3) تحت غمـــزة الحائلِ(4) الفا طِرِ(5) تماعُ(6) طينــتى وتخــورُ
فبما أكرهُ الحفيــظَ ولا يَطـ ـعم نوما على انتباهى الغيــورُ
غيرءِ؟دى، الملوى، وغيرعصاى، الـ ـملتحِى بالمــلامةِ المقشــورُ(7)
حيث حُكمى فصلُ القضاء على الدهـ ـر وأمرى عـــلى الحسان أمــيرُ
فخذ الآن كيف شئتَ بحبــلى قد كفاك الجــذابَ أنى أســيرُ
يا بنى الدهـــر كم يَصَمّ عن الزجـ ـرِ وكم يكمَهُ السـميعُ البصــيرُ
سَـــقَمٌ ماطلٌ أما آن أن يفـ ـرق شيئا عـــلى الرُّقَى المسـحورُ؟
ملكَ الجـــورُ أمرَكم فالفـــتى الـغـ ـرورُ بالعيش فيكُمُ معـــذورُ
فتساقيتم الفـــراقَ بكأس هى فيكم عـــلى السماء تـــدورُ
كلّ يوم حـــقٌّ مضاعٌ عليـــكم ووفاءٌ لديـــكُمُ مكفـــورُ
يفـــرحُ المنتشى بهـا اليـــومَ أو يد ـتى غـــدا ما يكابد المخمـــورُ
وثنـاءٌ تزكو تجارةُ أعـــرا ضِكُمُ منـــه وهو فيكم يبـــورُ
وجنـاحٌ اذا المـــنى ريّشـــتهُ عاد فيـــكم باليأس وهـــو كسيرُ
وأخٌ وجهــه الحيـا البارد العـــذ بُ ومكنونه الأجاجُ(8) المـــريرُ
عُـــدَّتى منــــه رُتَّةٌ وعـــديدى يـــومَ ألقى العـــدا به مكثورُ

---

(١) المقود : ما يقاد به من حبل ونحوه . (٢) القتير : الشيب أو هو أول ما يظهر منه .
(٣) فى الأصل "إلينا". (٤) الحائل : المتغير اللون، ويريد به الشيب . (٥) الفاطر : يقال : فطر الأجير الطين فهو فاطر أى طيَّن به قبل أن يختمر ويريد بذلك أنه هرم قبل أوانه .
(٦) تماع : تذوب . (٧) فى الأصل "المقسور" . (٨) الأجاج : الماء الملح المتغير .

ومتى هُزَّ للحقوقِ نبا منـ ـهُ صديقٌ يكورُ (١) ثم يحورُ (٢)
وافترقنا وقد سلا الغادرُ الها جرُ منّا وما سلا المهجورُ
او تأسّى "بكاملٍ" كلُّ من يسـ ـأل نَصْفًا (٣) لم تلقَ خَلْقا يحورُ
تلك طُرْقٌ على المسالك عميا ءُ وظهرٌ على العراك عسيرُ
وعناءٌ على النواظر أن يُطـ ـلَبَ للشمس فى السماء نظيرُ (٤)
ترك الناسَ خلفَه سابق النا سِ وقافت (٥) به الصَّبا والدَّبورُ (٦)
وسما للعلا فأشرقَ من أشـ ـرفِ أفلاكها الهلالُ المنيرُ
طالبًا قدرَ نفسه يكفُل السـ ـىَ له النجاحُ والمقدورُ
همّةٌ قارنت قرينا من السعـ ـد فسارت فى الأفق حيث يسيرُ
وعطايا رأت معينا من الشكـ ـر فدامت ، ما كلُّ مُعطًى شَكورُ
ولد الدهرُ منك ـ والدهرُ هِمٌّ (٧) ـ ما تمنّت على الشباب الدهورُ
واستقلّت بنعمة الله جنبا ك وكلٌّ بثقلها مبهورُ
ورأى الناسُ معجزاتِك فاستيـ ـقن من شكَّ واستجاب الكَفورُ
فسماحٌ أعمَى مسحتَ بكفّيـ ـك عليه فارتدَّ وهو بصيرُ
ودفينٌ من الفضائل نادا ك من التُّربِ ميْتُه المقبورُ
مستجيرا من الردى بك فانتا شَ (٨) فأعجِبْ بميّتٍ يستجيرُ
جدتَ عذبَ الندى غزيرا وجودُ الـ ـغيث ملحٌ فى سُحْبِه منزورُ

(١) يكور : يزيد ، وفى الأصل "يكرن" . (٢) يحور : ينقص ، وفى الأصل "يجور" ؛ وفى الحديث « نعوذ بالله من الحور بعد الكور » أى من النقصان بعد الزيادة .
(٣) النصف : الإنصاف . (٤) فى الأصل "يطير" . (٥) قافت به : تبعته واقتفت أثره ، وفى الأصل "قاتت" . (٦) الدبور : الريح الجنوبية . (٧) الهم : الشيخ الهرم .
(٨) فانتاش : فأنقذ من الهلكة .

وتعـــذّرتَ من كثيرك، والبحـ ـرُ وقــد قلّ رفــدُه معــذورُ
فى زمانٍ اذا الرجالُ سخَــوا فيـ ـه فما فــرطُ نيلهم تبــذيرُ
جودُ من لا غدًا يخافُ ولا اليــو م عليــه مســيطِرٌ ومشــيرُ
سائرٌ بالثنــاء وهــو مقــيمٌ وغــنىٌّ بالذكــر وهو فقــيرُ
زاده بالثنـا ولوعا ووجــدا قولُ قومٍ : هــذا هو التــدبيرُ
لك يومانِ فى النــدى شائعٌ با دٍ ومُلْــقً قِرامُــهُ(١) مســتورُ
فعطــاءٌ وربُّــه مشــكورُ وعطــاءٌ وربُّــه مأجــورُ
قــد أريقت إلا لديك المــروءا ت وضاقت إلا عليــك الأمورُ
وتفــردتَ بالمحــاسن فى دهـ ـرٍ بأوصافــه تُشاهُ الدهــورُ
ملكَ العجزُ فيــه ناصــيةَ الفضـ ـلِ فطالت ذُرَى الجبالِ الصخورُ
وتواصى الرجالُ باللــؤم حتى الـ ـمجــد عارٌ والجــودُ ذنبٌ كبيرُ
أقحطتْ أوجــهُ البــلادِ ومن حو لك للخِصبِ روضــةٌ وغــديرُ
فإلى بابك الحــوائجُ تحــدو ولك العِــيرُ فى العــلا والنفــيرُ
عادةٌ من ورائها شافعُ النفـ ـس وأصــلٌ بفرعه منصــورُ
واكتسابٌ أعانه شــرفُ الميـ ـراثِ والمجــدُ أولٌ وأخــيرُ
ويمينًا لَمَنْ تمــدُّ بأعرا قك فى الفخــر أن يســودَ جديرُ
دوحــةٌ من ثمــارها أنت والمَغـ ـرِسُ منها "بَهرامُ" أو "أرد شيرُ"
خير ما تربةٍ عــلى الأرض لم يُشـ ـعَبْ على اللؤم طينُها المفطــورُ
طاب صلصــالُ عِيصِها(٢) وبريّا ها ثرًى ما جــدٌ وماءٌ طهــورُ

(١) القرام : الستر الرقيق . (٢) العيص : الأصل وخير منابت الشجر .

قومُك الغالبون عزًّا وهم قو مى على الأرض وهى ماءٌ يمورُ (١)

ركبوا الدهرَ وهو بعدُ فتيٌّ جَذَعٌ (٢) وهو قارحٌ (٣) مقرورُ (٤)

ملكوا الناس آمرين وما فى الـ ـناس إلا مستعبَدٌ (٥) مأمورُ

كلُّ خوفٍ بهم أمانٌ ومهجو رِ خرابٍ بعدلهم معمورُ

أىّ مجدٍ يضمُّنا وفخارٍ يومَ أنسابُنا اليه تصيرُ

إن يَفُتنا الخطيبُ والمِنبر المنـ ـصوبُ فالتاج حظُّنا والسريرُ

حسْبنا أن تعلَّم الملكُ منّا والسياساتُ فيه والتدبيرُ

وكفيناه أمرَ "رستُمَ" فى الحر ب اذا عُدِّد الرجالُ الذُّكورُ

والذى قد سَقَى من الدمِ "ذو الأكتـ ـاف" (٦) حتى روّى الثرى "سابورُ"

ولدوا منك كوكبا ضوءُه السا رى دليلٌ عليهمُ ونذيرُ

وٱستسلُّوا لفخرهم من لسانى صارما غَربُهُ الكلامُ الغزيرُ

تُحطَمُ الذُّبّلُ الصِّعادُ (٧) ويَسرِى صدأ السيف وهو ماضٍ طريرُ (٨)

فلهذا اذا مدحتُك فى عِـ ـزِّى أسَدِّى (٩) وفى علائى أُنيرُ (١٠)

منك أن تُحسنَ الصَّنيعَ (١١) وأن تر عَى ومنّى التنميقُ والتحبيرُ

وكلانا بحظّه من أخيه جَذِلٌ يومَ كسبه مسرورُ

غير أنى يبقَ قليلُ الذى أعـ ـطى ويفنَى عطاؤك الموفورُ

---

(١) يمور : يموج و يضطرب . (٢) الجذَع : الفتىّ . (٣) القارح : المسنّ .
(٤) المقرور : الساكن الثابت . (٥) فى الأصل "مسبعد" . (٦) ذو الأكتاف : ملك من ملوك الفرس وٱسمه سابور بن هرمز وسمى بذى الأكتاف — فى بعض ما قيل — لخروج قوم من العرب عليه فسار اليهم ونزع أكتافهم . (٧) الذبّل الصعاد : الرماح . (٨) طرير : حادّ .
(٩) أسدّى : أجعل لمدحى سدى وهو خلاف اللحمة . (١٠) أنير : أجعل له نيرا وهو خلاف السدى فى عمل الثوب . (١١) فى الأصل "الضيع" .

كلّ كنزٍ فى الأرض تأكلُه الأر ضُ وكنزى مؤبَّد(١) مذخورُ

وسوى ما أقول جَنْدَلَةٌ تُقـ ـذَفُ فى الماء أو سفاءٌ(٢) يطيرُ

كَلِمٌ أعور المعادن مطرو قٌ ومعنًى مردَّدٌ مطرورُ

سرَقاتٌ خُلْسٌ كما يرد المـ ـذعورُ خوفا أن يصطلى المقرورُ(٣)

ولعمرى إن القريضَ اذا عُـ ـدَّ كثيرٌ وما يَسيرُ يسيرُ

لِىَ وحدى إعجازُه، والدعاوَى طَبَقُ الأرض فيه والتزويرُ

ويُطيقُ(٤) المغمَّرون(٥) الذى أبـ ـدعَ فيه طريقه المسطورُ

غرقوا منه فى بحور الأعاريـ ـض وكيف المنصوب [و](٦) المجرورُ

واليتامَى من دُرِّه فى خليج ضيِّق ليس منه هذى البحورُ

واذا المهرجانُ جاءك يهديـ ـه فقد طاب زائرٌ ومَزورُ

ذاك يومٌ فردٌ وذا كَلِمٌ فصـ ـلٌ(٧) وكلٌّ بفضله مشهورُ

فاقتبِلْ منهما السعودَ وباكِرْ صفوةَ العيش فالمعاشُ البُكورُ

وتَملَّ الزمانَ تجرى على حكـ ـمك قسرا أيامُه والشهورُ

تقع الدائرات دونك حَسْرَى ورحاها على عداك تدورُ

غُصّة الغيظِ حظُّ حاسدك البا غى وحظّاك غِبطةٌ وسرورُ

نام عنك المكلَّفون وليلى ساهرٌ ما لنجمه تغويرُ

نَفَسٌ طال كان لولاك يغنى الـ ـعفوُ منه ويُقنع الميسورُ

فوفاءً "أبا الوفاء" فلم تُقْـ ـضَ ، اذا ما لم تَقْضِ فىَّ ، النذورُ

---

(١) فى الأصل " مؤيد " . (٢) السفاء : التراب . (٣) المقرور : الذى أصابه القر وهو البرد . (٤) فى الأصل " ويَطَّقُ " . (٥) المغمرون : المدفوعون فى الغمر . (٦) هذا الحرف ليس بالأصل . (٧) فى الأصل " فضل " .

كن غيــورا علىّ من أن يلى غيـ ـرك نصرى ، إن الكريمَ غيــورُ
فكثيرُ الجــزاءِ منك قليــلٌ [وقليــلٌ] (١) من آخرين كثير

* * *

وقال وكتب بها الى عميد الرؤساء أبى طالب فى المهرجان

نفَّــرها عن وِردها "بحاجرِ" شــوقٌ يعوقُ المـاءَ فى الحناجرِ
وردّها على الطّــوَى سواغبـا ذلُّ الغــريب وحنينُ الزاجرِ
فطفِقتْ تُقنــعُهـا جِرّاتُهـا (٢) من شِــبَعٍ دانٍ ورِىٍّ حاضرِ
يكسّعها الــترابُ فى أعطافها تساند الأعضـاد (٣) بالكراكرِ (٤)
ذاك عــلى سكونِ من أقلقهـا وأنهـا وافيــةٌ لغـادرِ
مغــرورةُ الأعينِ من أحبابهـا بخالبِ الإيمـاضِ غــيرِ ماطرِ
تقابل المذمــومَ من عهـودهم بكلّ قلبٍ ولسانٍ شاكرِ
وهى بأرماح المــلال والقِــلَى مطرودةٌ منخوســةُ الدوابرِ
تشكو اليهم غدرَهم كما آشتكت عقــيرةٌ الى شــفارِ العاقرِ
قــد وقَروا عنهـا وكانت مدّةً (٥) تُسمِعُ منهــم كلَّ سميعٍ وافــرِ
وكلّمـا ليمــوا عــلى جفائها تواكلوا فيهـا الى المعـاذرِ
فليت شــعرَ جدبها إذ صوّحوا أين الخصيبُ الكثُّ (٦) فى المشافرِ
وهبهــمُ عن الســيول عَجَزوا فأين بالقاطــرِ بعــد القاطرِ؟
كانت لها واســعةً ركابُهــم وكلُّهم فى الحــظّ كِلُّ الخاسرِ

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٢) جرات جمع جرّة وهى أن يعيد البعير ما فى جوفه الى فمه ويأكله ثانية . (٣) الأعضاد جمع عضد وهو الساعد . (٤) الكراكر جمع كِرْكِرَة وهى صدر البعير . (٥) فى الأصل "مرة" . (٦) الكث : الكثيف .

ففـــيم ضاقوا فتناسَـــوا حقَّها والدهرُ يُعطيهـــم بسهمٍ وافـــرِ

كانت وهم فى طيّ أغمـادِهِمُ لم تُتـــبرِّزهم يمينُ شاهرِ

وافـــرةً أقسامُها فما لها لم تُقتضَب من هـــذه المناشرِ

هل ذَخَرتْهم دون من فوق الثرى إلا ليـــومِ النفـــع بالذخائرِ

لوشاوروا مجدَ "ابن أيوبَ" لما فاتتهُـــمُ حزَامـــةُ المشاورِ

إذن لقـــد تعلَّموا ولُقِّنـــوا رعىَ الحقوقِ منـــه والأواصرِ

لله راعٍ منهـــمُ مســـتيقظٌ لم يتظلَّم طولَ ليـــلِ الساهرِ

يرى الصباحَ كلُّ من توقظه الـ ـعليـا وما لليـــله من آخرِ

جـــرى الى غايتـــه فنالهـا مخاطرا، والسبقُ للمخاطـــرِ

ما برِحتْ تبعثُـــه همَّتُـــه فى طلب الجسـائمِ الكبائرِ

حـــتى أناف آخـــذا بحقِّـــه من العـــلا أخذَ العزيزِ القـادرِ

رَدّ "عميدُ الرؤساء" دارسَ الـ ـمجد وأحيا كلَّ فضـــلٍ داثرِ

حلَّق حـــتى اشتط فى سمـائه بحاكمٍ فى نفســـه وآمرِ

وبَعـــدُ، فى الغيب له بقيَّـــةٌ ناطقـــةُ الأنباءِ والبشائرِ

ولم يقصِّر قومُـــه عن ســـودَدٍ يُخـــبَّرُ عن أولهم بالآخرِ

ولا اســـتزلُّوا عن مقامِ شرفٍ توارثـــوه كابرا عن كابرِ

لكنّه زاد بنفسٍ فَضَلَت فضـــلَ يَدِ الذارعِ شبرَ الشابرِ

والشمسُ معْ أن النجومَ قومُها تنسخُهنّ بالضـــياء الباهرِ

وخيرُ من كاثرك الفخرُ [به](١) شـــهادةُ الأنفُسِ للعناصرِ

دـــونَ فى الجود عليـــه فقرَه أنّ المعـالى إخوةُ المَفاقـــرِ

(١) هذه الكلمة ليست بالأصـــل .

(١٩٢)

فالمال منه بين مُفْنٍ واهبٍ ... والناسُ بين مقتنٍ وذاخرِ
ولن تُرى الكفُّ القليلُ وفرُها ... فى الناس إلا لابن عِرضٍ وافرِ
مَن راكبٌ؟ — تحمله وحاجةٌ ... أمُّ الطريق[1] من بناتِ "داعرٍ"[2] —،
ضامرة تركَّبتْ نسبتُها ... شطرين من ضامرةٍ وضامرِ[3]،
يَقطع عنى مطرح العينين لا ... أسومُه مشقَّة المسافر،
من أسهلتْ أو أحزنتْ رحلتُه ... لحظُه حظُّ المجيرِ العابرِ،
بلِّغ على قرب المدَى، وعجَبٌ ... قولىَ : بلِّغ حاضرا عن حاضرِ
نادِ بها "الأوحدَ" : يا أكرمَ مَن ... تُثْنَى عليه عُقَدُ الخناصرِ[4]
لم تسُدِ الناسَ بحظٍّ غالطٍ ... متفقٍ ولا بحكمٍ جائرِ
ولا وزرتَ الخلفاءَ عَرَضا ... بل عن يقينٍ من عليمٍ خابرِ
ما هزَّك "القائمُ" حتى اختبرتْ ... بالحسِّ حدّيك يمينُ "القادرِ"
خليفتان اصطفياك بعد ما ... تنخَّلا سريرةَ الضمائرِ
وجرَّبا قبلَك كلَّ ناكلٍ[5] ... فعرفا فضلَ الجُرازِ[6] الباترِ
لم تكُ كالفاتل فى حباله ... والدِّينُ منه مُسحَلُ[7] المرائرِ[8]
يأكل مالَ الله غيرَ حَرِجِ الصدر بما جرَّ من الجرائرِ
فانعم بما أعطيتَ من رأيهما ... وكاثر المجدَ به وفاخرِ

---

(١) أم الطريق : النعامة وقد استعارها هنا للناقة تشبيها لها بالنعامة فى سرعة عدوها . (٢) داعر : فحل منجب تنسب اليه الداعرية من الإبل، وفى الأصل "ذاعر" . (٣) الضامر : القليل اللحم . (٤) عقد الخناصر : يكنى بهن عن اختيار المتوحد الذى اذا ذكر بمدحة تعين لها دون غيره . (٥) الناكل : الجبان الضعيف . (٦) الجراز الباتر : السيف القاطع . (٧) مسحل : مفتول غير محكم . (٨) المرائر جمع مريرة وهى الحبل الشديد الفتل .

واكتسِ ما ألحفتَ فى ظلّيهمـا … من رُدُنٍ(١) زاكٍ وذيــلٍ طاهرِ

لحسبُ أعــدائك كَبْتا(٢) وكفى … كَبًّا(٣) على الجباهِ والمناخــرِ

إن الذى ماتَ ففــاتَ منهما … بقَّــاك ذُخرا بعــده للغـابرِ

فابق عـــلى ما رغمـــوا مُمَلَّكا … أزِمَّــةَ الدَّســوتِ والمنـابرِ

مادامت "المَروَة" أختًا "للصَّفا" … والبيتُ بين ماســحٍ ودائرِ

واجلس لأيّام التهـانى مالئـا … صــدورَها بالمجــدِ والمآثرِ

تَطلُع منهـا كلَّ يــومٍ شارقٍ … بمهــرجانٍ وبعيــدٍ زائرِ

لك الزكىّ الــبَرُّ من أيّامهـا … وللأعادى كلُّ يومٍ فاجــرِ(٤)

واسمــع أناديك بكلِّ غادةٍ … غريبــةٍ لم تجْــرِ فى الخواطرِ

مؤيســةِ المــرامِ فى باطنِهـا … مُطمِعــةٍ فى نفسها بالظـاهرِ

وهى على كثرةِ من يحبُّها … وحسنها قليــلةُ الضــرائرِ

تســتولد الودادَ والأموالَ من … كلّ عقــيم فى الوِلادِ عاقــرِ

فلستَ تدرى فكرةٌ من شاعرٍ … جاءت بهـا أو نفثــةٌ من ساحرِ !

ملَّكَكَ الــودُّ عزيزَ رقِّهـا … وهى من الكرائمِ الحـــرائرِ

تُفضِل فى وصفك ما تُفضِــلُه … فى الروض أسآرُ(٥) الغمامِ البـاكرِ

لاتشــتكيك ، والملالُ حظُّهـا … منك وأن ريعتْ بهجرِ الهاجرِ

فى سالف الوصل وفى مستأنَف الـ … ـجفـاء بين شاكرٍ وعاذرِ(٦)

واعرف لها اعترافَها إذ أنصفَتْ … واعرف لها فى الجَورِ فضلَ الصابرِ

---

(١) الردن : أصل الكم ، وحركت الدال للضرورة ، وفى الأصل "درن" . (٢) الكبت : الذل والرد بالغيظ . (٣) الكبّ : الصَّرْع . (٤) فى الأصــل "فاخر" . (٥) أسآر جمع سؤر وهو البقية من الماء . (٦) فى الأصل "وغادر" .

وقال يمدح عميد الدولة أبا سعد ويهنئه بالنيروز

لعمـــر الواشياتِ بأمّ "عمرٍو" لقـــد أَغرينَ والتأنيبُ يُغـرى
حســـدنَ مـــودةً فحملن إفكًا وعِبنَ وعائبُ الحسناءِ يَفـــرى (١)
يُردنَ عـــلى الوفاء نُزوعَ خُلْــقٍ وما ساومننى شَطَطا كغـدرى
وهل "هيفاء" إن غدرت وجارت سوى غُصْنٍ من الأرواحِ يَجـرى
وقُلن : تـــلونت لك حين ملّت وليس على الملالة كلُّ هجـــرِ
تُقلِّبها أصابيـــغُ الغـــوانى عـــلى الطعمين من حُـــلوٍ ومُرِّ
وأين من الحفاظِ لها فـــؤادى اذا لم ألــقَ زَلَّتَها بعـــذْرِ
ومن يُصبح هواكَ له أمـــيرا (٢) عليـــك فداره فى كلّ أمرِ
وأبعـــدُ ما ظفـرتَ به حبيبٌ جِراحتُـــه تصحُّ بكلّ سَـــبْرِ
وإنَّ أحبَّـــتى لبنـو زمانى كلا العودين من سِنخٍ (٣) ونَجْـــرِ
فهبنى مبـــدِلًا خِـــلًّا بخِـــلٍّ فهـــل أنا مبـــدلٌ دهرا بدهرِ
سألبس ما كَسـيتَ وربَّ كاسٍ يُزخرفـــك الملابسَ وهو مُعـرى
وأحملهـــم وإيّاه بقـــابٍ يفى بالثِّقل لى إن خان (٤) ظهـرى
ولستُ بواجـــدٍ قلبا صحيحا اذا نُجِلَتْ دفينـــةُ كلِّ صـــدرِ
فـــلا تُعنَّ لائمـــةٌ بعـــذلى ولا تغمـــزْ فما تسـطيعُ كسرى
ولا يَخَفِ الصـــديقُ شَـبا لسانى على عِرْضٍ ولا لَســـعاتِ فكرى
فلا ألقَ بغـــيرِ الصـــبرِ قِـــرنا لعـــلّى أجتنى ثمراتِ صـــبرى
وإن ضَعُفتْ أواصرُ من رجال شـــددتُ بأسرة (٥) الكرماءِ أسرى

(١) يفرى : يختلق ، وفى الأصل "يغرى" . (٢) فى الأصل "أسيرا" ولا نظنها تتفق والسياق .
(٣) السنخ والنجر بمعنى الأصل . (٤) فى الأصل "خاف" . (٥) الأسر : إحكام الخَلْق .

(١٩٣)

وفاءَ من الوزير علىَّ ظِلٌّ | يقينى الضيمَ من حَرٍّ وقُرِّ (١)
وأحجبُ نائباتِ الدهر منه | بخوصٍ (٢) لا تُحصّلنى وشُزْرِ (٣)
تـراني أعينُ الأيام منه | بـوافى الظلِّ أخضرَ مسبكِرِّ (٤)
وكيف يُريبنى وحماه بابى (٥) | وهيبته عن الأبصار سِترى
ودونى من حمايته خميسٌ (٦) | أخو عرضين يُبهِم (٧) كلَّ ثغرِ
تُزمجِرُ فى جوانبه أسودٌ | على ألبادها (٨) أسلاتُ (٩) نصرِ
تُظفِّر باسمه الميمونِ أنَّى | سَرت، حتى الحوادثُ ليس تسرى
نفذتُ برشده فنفضتُ طُرْقى | وصلتُ بجدّه فقضيتُ نذرى
وكيف يضلُّ أو يخشى ابنُ ليلٍ | سطا بمهنّدٍ وسرى ببدرِ
أقول لمنفضين ترحّلوها | مطايا أزمةٍ وركابَ ضُرٍّ ،
تعسّفَ عيشُهم فطوَى عليهم | وأيديهم على سَغَبٍ (١٠) وفقرِ ،
يمنّون الطّوَى ليلا بليلٍ | وتعريسَ السُّرَى فجرا بفجرِ ،
وراءَ الرزق مختبطين ترمى | بهم أصدارُها قفرا بقفرٍ ، :
وراءكمُ ارجعوا فتضيّفوها | بيوتًا لا مجاعةَ وهى تَقْرِى
تصرّفَ باليفاعِ (١١) مطنّبوها (١٢) | مع الكرمين من حَلَبٍ (١٣) ونحرِ

(١) القر : البرد . (٢) خوص جمع خوصاء وهى العين الغائرة . (٣) شزر جمع شزراء وهى الحمراء من العيون كعين الأسد والغضبان . (٤) المسبكر : الممتد . (٥) فى الأصل " نائى " . (٦) الخميس : الجيش العظيم . (٧) يبهم : يغلق . (٨) فى الأصل " أكتاد " وهى لا تتفق والمعنى فنقلناها الى " ألباد " جمع لبد وهو شعر رقبة الأسد ، والى " أكتاد " جمع كتد وهو مجتمع الكتفين وقد رجحنا الأولى . (٩) اسلات جمع أسلة وهى الرمح .
(١٠) السغب : الجوع . (١١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض . (١٢) مطنبوها : موطدوها بالاطناب وهى الحبال . (١٣) الحلب : استخراج اللبن من الضرع ، وفى الأصل "حلت" .

اذا ما احتلّها الطُّــرّاقُ لاحتْ لأيديهــم عِصامة كلّ عســرِ
بنو "عبـد الرحيم" على حُباها (١) بنــو الأبوين من لَسَن ونخــرِ
وإنّ "ببابلٍ" منهــم لطَـودا يضعضع كلّ أرعنَ مشــمخرّ
وبحرا من "بنى ســعدٍ" عميقا بغـير قَــرارةٍ وبغــير قعــرِ
حمى حرم الوزارةِ منــه عاصٍ عــلى الأقــرانِ فى كرٍّ وفــرّ
خضــيب الناب والأظفارِ ممّــا يقُـــدُّ على فريســته ويفرى
اذا ما هيج عنهــا ثارَ منــه الى الهَجهاجِ (٢) عاصــفةٌ بقُــرِّ (٣)
اذا الغاراتُ طُفنَ به كفتــهُ زماجرُ (٤) بين هَمهمةٍ (٥) وهمــرِ (٦)
فــا يمنع يبثّ ما بين نَســرٍ مع العَيوقِ (٧) مجنــوبٍ ونَســر (٨)
كفاها بالسياسة بعــد عجــز وأمّنهــا عــلى حــذَرٍ وذُعــرِ
رَبَى فى حجــرها وتداولتهــا مناكحُ منــه شفعا بعــد وَتر
فمــا نفرت من الغــرباء إلا أوت منــه الى ولدٍ وصــهرِ
وإن تظفــر بعُــذرتهــا رجالٌ حظَــوا بطلاقةِ الزمن الأغرّ،
وأعقبهــم على الأيّام ذكرا فعصرك بالكفايةِ خــيرُ عصر
براك الله ســهما دقّ عمّــا تريش له بنو "ثُعَــلٍ" (٩) وتبرى
اذا الرامى ثُــلاثا أو رُباعا أصاب أصــبت من عَشرٍ بعَشرِ
فِداؤك مغْـلق الجنبين يأوى الى صــدرٍ يضــيقُ بكلّ سرّ

(١) الحبى: العطايا. (٢) الهجهاج: اليوم الكثير الريح الشديد الصوت مما يهب فيه من العواصف. (٣) القرّ: البرد. (٤) الزماجر جمع زمجرة وهى صوت كل شىء، والصخب والصياح. (٥) الهمهمة: دوىّ صوت الرعد، وزئير الاسد. (٦) الهمر: اندفاع السيل. (٧) العيّوق: اسم نجم فى طرف المجرّة الأيمن. (٨) نسر: اسم نجمين أحدهما يقال له النسر الواقع وللآخر النسر الطائر. (٩) ثعل: قبيلة مشهورة بالرماية.

(١٩٤)

اذا ثقلت وُســوق(١) الرأى أقعى(٢) يَحُــكُّ بظهـــره من غير عسرِ
ومعتـــلّ البنانـ على العطـايا يُظِلّ(٣) البخلَ فى عرض التحـرّى
يجود وما عليـــه فضولُ حـــقّ على عُـــدْمٍ ويمنعُ وهـــو مُثرى
ومـــولى وهـــو حرٌّ عبّــدته هباتُـك فى زمانٍ غيرِ حُـــرّ
رعيتَ له أواصـــرَ محـــكماتٍ عاقتنـــك مَعلَق المَـــرِس المُرِّ(٤)
تذكّرها بعهـــدٍ منـــك حىّ وشـكرُ الملك يقتُـلُ كلَّ شُـكرِ
ولكن ما لِشــعرى فى هَنـاتٍ تطارحنى الظُّلامةَ، ليتَ شعرِى !
وما عتبٌ أسمّيـــه التجـــنّى وتنبـــزه(٥) الأعادى بإسم غـــدرِ
أشـــكًّا فى وفائى بعـــد عـــلمٍ وقدْحا فى حفاظى بعـد خُـــبْرٍ
وإعراضا عن الشّـــيَم اللواتى عليها طينتى طُبعتْ وفطـــرى
أأعزفُ عنكمُ أبغى بصـــونى لسـانى مـــع مُعاســـرةٍ وفكرِ
وإنى لا أرى الدنيـا كفاءً لشىء فيـــه منقصةٌ لقـــدرى
وأحمـــلُ ملءَ أضلاعى جراحا ولم أحمـــل لعيبٍ خدشَ ظُفرِ
أبغضا أم لأنّ ســـنىّ مُدّتْ فدام عليكمُ ردّى وكرّى
ولم يملَلْ مديحكمُ لسانى فكيف مللتمُ من طول عمرى
وكيف وزنتمُ بى من عسـاه يودّ بباعـــه لو قاس فـــترى
فهل فى الأرض أفسقُ فى حديث من العازى الىَّ مقامَ شـــرّ
وما أنا من وشايته، وإنّى الـ ـذى رقّاه من خَلٍّ وخمـــرى
مطارٌ لستُ منـــه وليس منّى بعيـــد الشوط فى نفعى وضرّى

---

(١) وسوق جمع وسق وهو الحمل الثقيل. (٢) أقعى: تساند الى ما وراءه. (٣) فى الأصل "يظلّ". (٤) المرس المرّ: الحبل المفتول فتلا شديدا. (٥) تنبزه: تلقبه.

فإن أُنصَف فإنّ يدا تولّتْ — كسورى تهتدى لمكانِ جبرى
وإن أُحرمْ قضاءَ العدل أرجِعْ — الى كُفئين من هجْرٍ وصبرِ
واعلمُ بعدُ أنّك أنت باقٍ — على العهدين من صلتى وبِرّى
وأنك لو رأيتَ التُّرْب(١) فوق — لقمتَ بقُدرة فوليتَ نشرى
تسمَّعْها سمعتَ الخيرَ تُوعِ الـ — فصاحةَ بين مَعتبةٍ وشكرِ
أنلها الودَّ وآجتلِها هنيئاً — ولولا الودُّ لم تقنَع بمهرِ
وغادِ صبيحةَ النيروز منها — بنشطةِ ثيِّبٍ وحياءِ بِكرِ
وطاولْ مدّة الأيام وآسحب — ذيولَ المُلك من بِيضٍ وخُضرِ
الى أن ترجعَ الغبراءُ ماءً — وتمشى الراسياتُ بها وتجرى
أُناوِبُك(٢) المديحَ مدى حياتى — وأُنشدُه أمامك يومَ حشرى

✦ ✦ ✦

وقال يمدح كمال الملك أبا المعالى ويهنئه بالمهرجان

الليلُ بعدَ اليأس أطمعَ ناظرى — فى عطفةِ(٣) السالى ووصل الهاجرِ
غالَطَ الكرى بزيارةٍ لم أرضَها — مخلوسةً جاءت بمكره الزائرِ
هاجَ الرقادُ بها غراما كامنا — فذممته وحمدتُ ليلَ الساهرِ
ما كان إلا لمحةً من بارقٍ — منه تقارُبُ أوّلٍ من آخرِ
ملّتْ فكان الغادرُ الناسى بها — أحظَى لدىَّ(٤) من الوفىّ الذاكرِ
والوصلُ ما بَرّد الغليلَ وشرُّه — ما عاد يوقد فى الغليلِ الفاترِ
هل رفدُ ذاتِ الطوق يوما عائدٌ — بسوى الخديعةِ من سحابٍ عابرِ

---

(١) فى الأصل " الترت " . (٢) هذه الكلمة فى الأصل هكذا بغير نقط " اناو بك " .
(٣) فى الأصل "عطفه" . (٤) فى الأصل " الذى " .

أم عند ليلاتى الطّوالِ " ببابلٍ " من ردّ أيّامى القصارِ " بحاجرِ "

راميتُ من "خنساء" من لا يتّقِى بحشًى تذوب ولا بجفنٍ قاطـــرِ

وصبَرتُ لكن ما صبرَت جَلادةً عنهـا ولم أظفـر بأجرِ الصـابرِ

قدَرتْ على قتل النفوس ضعيفة يا للّرجالِ من الضــعيف القادرِ

من منصفى من ظالمٍ لم أنتصـــر منـه، عـلى أنى كثيرُ الناصـــرِ

عاصيتُ حكم العاذلين وسامنى فأطعتُـــه حكمَ العسوف الجائرِ

ومن البليّـة أن تَنكّرَ عهـدُهُ إذ أنكرتْ قَصَبى بنانُ الضافـــرِ

لم أبك يـوما نَضـــرةً بوصـاله حتى بكيتُ على الشـباب الناضرِ

أعدَى الى شَـعَرى حؤول وفائه بالغـــدر حتى حال لونُ غدائرى

فاليــومَ أوراق لأوّلِ جاردٍ خَوَرا وعيـدانى لأوّلِ كاســـرِ

قدكنتُ أشوسَ (١) لا تَهُزّ خصائلى كفُّ المهجهجِ (٢) بالحسـامِ البـاترِ

آوى الى حِصن الشبابِ يجود لى ما لا يحـوط قبائلى وعشـائرى

فالآن قلبى فى ضـــلوعِ حمـامةٍ حصّاءُ (٣) سرتهـا صـــفيرُ (٤) الصافرِ

لكننى ألقَ الحـــوادثَ من بنى " عبد الرحيم " بباطشٍ وبقاهرِ

هم خـــيرُ ما حملتْ فقامت حرّةٌ حصناءُ (٥) عن كرمٍ وذيلٍ طاهرِ

ولدتهُـــمُ أمّ الفضـائل إخـوةً متشابهيـــن أصاغرا كأكابرِ

كالراح كُلّ بنانهـا منها وإن بان آختـلافُ أباهـــيمٍ وخناصرِ

وتجّلتْ لتجىء بعـــد بمثلهـــم فأبت عـــلى الميلاد بطنُ العاقـــرِ

---

(١) الأشوس : الذى ينظر بمؤخر عينه تكبرا . (٢) المهجهج : الزاجر . (٣) الحصّاء : التى ذهب ريشها . (٤) فى الأصل "ضمير" . (٥) الحصناء : المتزوجة من النساء أو العفيفة ، وفى الأصل "حصباء" .

أبناءُ تيجانِ الأسرّة قوبلوا ... في الفخر بين مرازبٍ(١) وأكاسرِ(٢)

فاذا انتضوها ألسنا عربيّةً ... فسيوفُ أندية وقُضْبُ منابرِ

واذا الروايةُ في السيادة ضُعّفتْ ... نقلوا(٣) الرياسةَ كابرا عن كابرِ(٤)

كانوا الرءوس قديمها وحديثها ... في مؤمنٍ من دهره أو كافرِ

وعلى "كمال الملك" منهم مسحةٌ ... فعليك صورة غائبٍ في حاضرِ

قِفْ في شمائل فخره متفرّسا ... وخذ الخفيّ على قياس الظاهرِ

جمعَ الغرائبَ في السيادة رأيُهُ ... حتى التأمنَ وهنّ غيرُ نظائرِ

ورمى صدورَ الحادثات بعزمةٍ ... فأصابهنّ بقاصدٍ(٥) وبعائرِ

ملأ الوسائد من سُطاهُ وبِشره ... قمرٌ يُناط بصدرِ ليث خادرِ

وورَى له زَنْدَ العواقب رأيه ... فأراه واردُها طريقَ الصادرِ

شدَّ الوزارة منه كفّ فاتلٍ ... من بعد ما انتقضت بكفّ الناسرِ(٦)

وسطت يمينُ أخيه منه بمثلها ... فهُما يمينا قوةٍ وتآزُرِ

كالنيّرين متى تغبْ شمسُ الضحى ... تُخلفْ ببدرٍ في الدُّجُنّة باهرِ

"بأبي المعالي" رِيضَ كلُّ مُحارنٍ ... ونمى الكسيرُ(٧) على عِصابِ(٨) الجابرِ

من كان مقهورَ الرجاءِ مخيّبَ الـ ... ـمسعَى فراجيه شريكُ القاهرِ(٩)

(١) المرازب جمع مرزبان وهو رئيس الفرس . (٢) أكاسر جمع كسرى وهو ملك الفرس .

(٣) في الأصل "نعلوا" . (٤) في الأصل "كابر" . (٥) القاصد : السهم المستوى نحو الرمية ، والعائر : السهم لا يُدرَى من راميه ، و يجوز نقلها الى الغائر : بمعنى السهم الذى يغور فيما يصيبه كقوله في صحيفة ٢٢ سطر ٣

ولا تُخِفْ منك الليالى جانبى ❊ بقاصد السهم ولا بغائر

وآستدرا كا لما فات يجوز نقل هذه أيضا الى عائر . (٦) الناسر : الناقض . (٧) في الأصل "الكبير" . (٨) العصاب : ما يعصب به من منديل ونحوه ، والجابر : من يجبر كسر العظام .

(٩) في الأصل "القام" .

يا من يَسُـــدُّ فروجَ كلِّ ثنيَّـــةٍ فُتِقَتْ ويَكْمِ[(1)] كلَّ خطبٍ فاغرِ

ويُتِمُّ كلَّ نقيصـــةٍ بكماله كالرمح متمـــوما بباعٍ عاشـــرِ

لا تهتدى طُرُقُ الصـــلاح بغيركم والنـاسُ بين مضلّلٍ أو حائرِ

والمُلكُ ما لم تقـــدحوه دُجُنّـــةٌ يقتـافُ سائرها بنجـــم غائرِ[(2)]

فإن اعترتكم هفـوةٌ أو صـــدّكم غضبُ المدِلّ [على][(3)] الغَموطِ الكافرِ ،

ورأيتُمُ نعماءكم وصنيعكم لا فى المُقـرِّ لكم ولا فى الشاكرِ ،

فلكُم غـــدًا أيامُ وصـــلٍ طولُها موفٍ على اليـــوم القصيرِ الهاجرِ

لا غرَّنى هـــذا الصـــدودُ فإنه صـــدُّ المدِلِّ وليس صدَّ الغـادرِ

كانت لكم وغدًا تصير إليكُمُ طوعا بخـــيرِ عواقبٍ ومصـادرِ

ولربَّ معـتزلٍ تعطّل فاغتـــدى سببَ البـــلاء على المولّى الناظرِ

ومقـلَّدٍ أمرا يكون بجيـــده حلى الذبيحـــةِ سُوِّمت للجازرِ

خُـــلِّدتَ للحسناتِ تنـثُرُها[(4)] يدا فيـــدا وينظِمُها لسانُ الشاعرِ

بك ذدتُ عن ظهرى فلم أربَعْ على ظلِعٍ[(5)] ولم أصـــفُقْ بكفِّ الخاسرِ

إما حضرتَ بجُنَّتى أو بنت عن وطنى بجـــودك خيرُ زادِ مسافرِ

ما غاب وجهُك لا يغبْ عن ناظرى إلا ذكرتُك بالهـــلال الزاهرِ

فاذا عـــدمتُ ندَى يديك تعلّلت خَـــلّاتُ[(6)] حالى بالغمام الماطـــرِ

عوضا وهل شىءٌ يحـــلُّ بعائضٍ من بعد وجهك أو نداك الغامرِ

فاذهب على كرمٍ شرعتَ طريقَهُ والنـاسُ فيه على مَـــدَقِّ الحافرِ

واذكر نسايا الشـــعرِ عندك إنهـا لا تنفـعُ الذكرى لغـــيرِ الذاكرِ

---

(١) يكم : يشدّ فاه لئلا يعضّ . (٢) فى الأصل "ثابر" . (٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأصل "تنشرها" وهى غير ملتئمة مع قوله : "وينظمها" على ما لها من معنى . (٥) لم أربع على ظلع : لم آك ضعيفا حتى أنتهى عما لا أطيقه . (٦) خلات جمع خَلّة وهى الحاجة .

وتَلَقَّ يوم المهرجان بأولٍ | من عمرِ عزِّك لا يُراع بآخرِ
يومٌ يمُتُّ اليه طالعُ سعدِهِ | بوشائج (١) فى سعدِهِ وأواصرِ
ويقومُ مفتخرا بأنك وهو من | بيت العلا فيبذُّ كلَّ مفاخرِ
ولعمرُ من نسكَ الحجيجُ لبيته | دأبًا وخاطرَ فيه كلُّ مخاطرِ
لأحقُّ يومٍ أن يكون معظما | يومٌ يضمُّك وهو طينُ الفاطرِ (٢)

* * *

وقال فى الأرض والسماء

وأمٌّ يفوزُ بإعلانها (٣) | بنوها ويُذهَوْنَ من سرِّها
عجوزٌ ولودٌ تعُدُّ البعولَ | كثيرا وكلٌّ أبو عُذرِها (٤)
اذا نحبت طامثا كان ذا | ك أشبهَ فى الحزم من طُهرِها
يطاها بنوها وهم مسلمو | ن حتى تعودَ الى كفرِها
تدبِّرها أختُها فى الرِّضاع | فتمضى الأمورُ على أمرِها
اذا ولدت بطنُها للتمامِ | فتًى شَهَرتْه على ظهرِها
لها الفخر بالذكر والإنتساب | اليها وتبعد عن ذكرِها

* * *

وقال يمدح الملك جلال الدولة فى النيروز

بطرفك ، والمسحورُ يُقسم بالسحرِ | أعمدا رمانى أم أصاب ولا يدرى؟
تعرَّضَ بى فى القانصين مسدَّد الـ | إشارة مدلول السهام على النحرِ
رمى اللحظةَ الأولى ، فقلتُ : مجرِّبٌ | وكرَّرها أخرى ، فأحسستُ بالشرِّ

---

(١) وشائج جمع وشيجة وهى اشتباك القرابة . (٢) يريد بقوله وهو طين الفاطر وهو جديد .

(٣) فى الأصل " إعلانها " . (٤) أبو عذرها : أول من افتضها .

فهل ظنَّ ما قد حرَّم اللهُ من دمى … مباحا له أم نام قـــومٌ على الـــوِتْرِ؟ (١)

"بنجدٍ" ــ "ونجدٌ" دارُ جودٍ وذمّةٍ ــ (٢) … مطالٌ بلا عُسرٍ ومطـــلٌ بلا عُـــذْرِ

وسمـــراءُ ودَّ البـــدرُ لو حال لونُه … الى لونها فى صِـــبغة الأوجه السُّمرِ

خليـــلىّ، هل من وقفـــةٍ وآلتفاتةٍ … الى القبة السوداءِ من جانب "الحِجْرِ"؟

وهل مَن أرانا الحجّ "بالخَيف" عائدٌ … الى مثلهـا أوعدَّها حِجَّـــةَ العمرِ؟

فلله ما أوفى الالاتَ على "مِـــنًى" … لأهل الهوى لو لم تحنْ ليـــلةُ النَّفْرِ (٣)

لقد كنتُ لا أوتى من الصـــبر قبلَها … فهـــل تعلمان اليومَ أين مضى صبرى؟

وكنتُ ألومُ العاشقين ولا أرى … مزيّةً ما بين الوصال الى الهجـــرِ

فأعـــدَى الىّ الحبَّ صحبـــةُ أهله … ولم يدر قلبى أنّ داء الهـــوى يسرى

أيشردُ لـــبّى يا غزالةَ "حاجرٍ" … وأنتِ "بذات البان" مجموعةُ الأمرِ؟

خذى لحظَ عينى فى الغُصوب إضافةً … الى القلب أو ردّى فؤادى الى صدرى

وإلا فظهـــر الهجـــر أوطأُ مركبا … اذا خُنْتِ وآستوطأتِ لى مركبَ الغدرِ

وإنى لجـــلْدُ العـــزم أملك شهوتى … وأعرف أيّامى وأقوى عـــلى سرى

وأحمـــل أثقال الحبيب خفيفـــةً … ولكنّ حمـــلَ الضيم ثقلٌ على ظهرى

ولا يملك المـــولى وفائى بنَكثه … ولا يشـــترى معروفَ ودّىَ بالنُّكرِ

ومن دون ضيمى بسطةُ الأرض والسُّرى … [وخوض] (٤) الدياجى وآمتعاضُ الفتى الحرّ

وإنّىَ من مولى الملـــوك و رأيِهِ … وسلطـــانِهِ بين المجـــرّةِ والنَّسرِ

فلا أنا مغمـــودٌ ولا أنا مُسْـــلَمٌ … وفى ســـيفه عزّى وفى يده نصرى

تعالى "بركن الدين" صوتى وشُيّدتْ … محاســـنُهُ وصفى وسار بها ذكرى

---

(١) الوتر : الثأر . (٢) فى الأصل : "تة" . (٣) ليلة النفر : الليلة التى ينفر فيها الحجاج من منى الى مكة . (٤) هذه الكلمة ليست بالأصل .

وكان إلىَّ الدهرُ بالشرِّ ناظـــرا فغمَّض عـــنِّى جودُهُ ناظرَ الدهرِ

وإن كان هـــذا القولُ قِدماً يطيعنى فقـــد زاد بَسْطًا فى لسانى وفى فكرى

وكنت له نجما فلمـا مدحتـــه كسانى سنا إقبـالِهِ بُلجةَ الفجـــر

اليك مليكَ الأرض ألقت ملوكُها آضـ ـطرارا عنانَ النهيِ فى الأرض والأمر

ودان لك الغُرُّ الميامينُ من « بنى بُويْه » كما دانَ الكواكبُ للبـــدرِ

رأوك فتاهم فى الشجاعة والنـــدى وشيخَهُم المتبوعَ فى الرأيِ والعُمـــرِ

فأعطـــوك طوعًا ما تعـــذَّر منهمُ عـــلى كلِّ باغ بالكراهةِ والقسرِ

نظمتَ لهم عِقدَ العُـــلا وفضَلتَهـم فأصبحتَ وسْطَ العقدِ فى ذلك النحرِ

لكم أوّل الدنيـا القـــديمُ وعنكمُ يكون قيـامُ الأمرِ فى ساعةِ الحشرِ

وما المُلك إلا ما آحتـــبى متمـــدِّحا بأيامكم فيـــه المحجَّلةِ الغُـــرِّ

ولا الدهـــر إلا ما تقلَّب صَرفُـــهُ على ما قســـمتم من يَسارٍ ومن عُسرِ

ولا تطعم الدنيـا بنيها ســوى الذى تشـــيرون من حُلوِ اليـــه ومن مُرِّ

بكم يصبح الدينُ الحنيفىُّ آمنـا اذا بات مخلوعَ الفـــؤاد من الذُّعرِ

وما برحتْ أبيـاتُكم فى آبتنـائِهِ دعائمَ للخَطِّىِّ (١) والقُضُبِ البُـــترِ (٢)

وأنت الذى كنت الذخيرةَ منهُـــمُ قـــديما اذا الرحمنُ بارك فى الذُّخرِ

فلو بَقِىَ الماضون منهـــم تمثَّلوا بملكك فى مُلكٍ وعمرِك فى عمرِ

اذا ما أراد اللهُ إحيـاءَ دولةٍ بغـاك بنـــوها بالحديثةِ والمكرِ

وإن شاءَ فى دهمـاءِ (٣) قـــومٍ إبادةً رماهم بدُهْمٍ (٤) من جيادك أو شُـــقْرِ

ومن مـــلَّ طولَ العمـــرِ والعزَّ قاده لك الحَيْنُ فى حبـلِ الشناءةِ (٥) والغِمرِ (٦)

١٩٧

(١) الخطى : الرمح . (٢) القضب البتر : السيوف القواطع . (٣) الدهماء : العدد الكثير من جماعة الناس (٤) دهم جمع أدهم وهو الأسود فى الخيل . (٥) الشناءة : البغض . (٦) الغمر : الحقد .

قسمتَ بكفّيك المنيّـــةَ والغنى ... للهفانَ يستجدى وغضبانَ يستشرى
فأنتَ اذا شِمتَ الظُّبـا قاتلُ العـــدا ... وأنت اذا شمت النـــدَى قاتلُ الفقرِ
فــلا زال معقودا عطاؤك بالغـــنى ... ولا زال معــقودا لواؤك بالنصرِ
وزارك بالنـــيروز أيمنُ قادمٍ ... سرَى لك فى وفد الرجاء الذى يسرى
جديدا على العـام الجـــديد مؤمَّرا ... كما أمْرك المـاضى على العبـدِ والحرِّ
تُزخرَفُ منه الأرضُ فى حَلْيِ روضها ... بمـا كُسيَتْ من صِبْغ أيّامك الخُضرِ
كأنّ الربيـعَ من صِفاتك يمترى ... وشائعـهُ(١) ومن سجاياك(٢) يَســتقرى
فطاوِلْ به عـــدَّ السنين مفاوتا ... بعمرك مقـــدارَ الإحاطةِ والحصرِ
مـــتى تطوِ مُلكا تنتشرْ لك بعـــدَهُ ... ممـالكُ(٣) لا تَبــلَى على الطىِّ والنشرِ
وحيّـاك منّى بالمـــديح مبشّـــرٌ ... خمـائل لم تنبتْ على سَــبَل القَطرِ
لها مـــدَدٌ من خاطرٍ غـــيرِ ناضبٍ ... ملئٍ إذا كافا الصنيعةَ بالشكرِ
خدمتُــك منهـا بالمحصَّـــنةِ التى ... عليهـا أحامى والمخـــدَّرةِ البِكرِ
فكرّمتنى لـمـا قبلتَ نكاحَهـا ... وزيّدتَ فى فضلى وضاعفتَ من قدرى
وملّكتنى قلبـا كريمـا ولم أكن ... أظنُّ قلوبَ الأســـد تُملك بالشّـعرِ
فقمتُ عـــلى ظلّ من الأنس باردٍ ... ومن هيبـةِ الملك العقيم على الجمـــرِ
ولكنّها قـــد موطلت بمهـــورها ... ولا بدّ فى عَقـد النكاح من المَهـــرِ
وممّـا شجاها أن تضـــلّ وســـيرُها ... مع النجم، أو تَظما على ساحل البحـرِ
وخـــيرُ العطايا ما يُراد به العـــلا ... وما كُلُّ جُـــود باللُّجينِ(٤) وبالتِّــبرِ
وما بىَ إلا أن نسيتَ فراعـــنى ... لتعــلَمَ أنّى من علاك عــلى ذكرِ

---

(١) الوشائع جمع وشيعة وهى الطريقة فى الثوب، وفى الأصل "وسائغه" . (٢) بالأصل "شجاياك" . (٣) فى الأصل "فالك" . (٤) اللجين : الفضة، والتبر : الذهب .

وقال يمدح عميد الدولة أبا سعد فى النيروز ، وهو مقيم بسرّ من رأى وكتب بها اليه

كم النوى ؟ قد جَزِع الصابرُ وقَنَط المهجورُ يا هاجرُ
أأحمدَ البادون فى عيشهم ما ذمّ من بعدهم الحاضرُ؟
أم كان يومُ البين –حاشا كُمُ– أوّلَ شىء ما له آخرُ؟
ما لقلوبٍ جُبلتْ لدنةً يعطفها العاجمُ والكاسرُ!
قستْ على البعد وقد ظُنَّ بالـ ـوفىِّ منها أنّه غادرُ
قد آن للناسين أن يرعووا شيئا ، فما عذرُك يا ذاكرُ؟
أما يهُزُّ الشوقُ عِطفا ولا يجذُب هذا الوطنُ الساحرُ
كم يُمطَلُ الملسوعُ فى الوعد بالـ ـراق وكم ينتظر الناظرُ!
قد صُدِعَ العظمُ وأخلِق متى شُظِّىَ أن لا ينفعَ الجابرُ
لا تتركوا المحصوصَ فى أسركم يخلِفُ ريشا إنه طائرُ
اللهَ يا فاتلَ أمراسها أن يتولّى أمرَها الناسرُ
اقبلْ من الباذل واقنعْ بما يُعطيك من باطنه الظاهرُ
ولا تُكشِّفْ عن خفيّاتِ ما يخفيه عنك الهائب الساتُر
وشاورِ الإقبالَ من قبل ما تشاورُ الرأىَ وتستامرُ
وانهضْ بجدٍّ، فلكم ناهض بالحزمِ والحزمُ به[1] عاثرُ
سعدُك فى أمثالها ضامنٌ أنك فيها الفائزُ الظافرُ
قد أهملَ النوّامُ من سَرحها ما كان يَرعَى طرفُك الساهرُ
وحمَلَتْ بعدَك جهلاتُها وفرّ منها القامصُ النافرُ

(١) فى الأصل " له " .

وأدّبْتها لك غَلْطاتُها ... كم قاصد بَقْصره جائر (1) (2)
فإن لها مجدبة أرضها ... إن لم يُعنها العارضُ الماطرُ (3)
أنت لها أو رجلٌ منكُمُ ... والناسُ أكّالٌ ومستأثِرُ
لا تُسلموها فهى خَطّيّةٌ (4) ... يُدعَى لها "بِسطامُ" (5) أو "عامرُ" (6)
إما هلالٌ منكُمُ واضحٌ ... يسرى لها أو كوكبٌ زاهرُ
يا راكبَ الدهماءِ (7) تمطو (8) به ... فى زافرٍ تيّارُهُ زاخرُ
ملساء تجرى منه فى أملس ... يُروى صداها نقعُهُ الثائرُ
تطوى السُّرى لم يتشذَّبْ لها ... خُفٌّ ولم يَحفَ لها حافرُ
سابقة لا السوطُ هبهابُهُ (9) ... فيه ولا الصوتُ لها زاجرُ
اذا سوافى (10) الريح شقّت على الـ ... ـركبِ سَفَتْها (11) العاصفُ العاصرُ (12)
يزاحم "القاطولَ" (13) من "دجلةٍ" ... رامٍ الى البحرِ بها صائرُ
يرود روضَ الجود حيث آستوى الـ ... ـظلُّ ورفَّ (14) الورَقُ الناضرُ

---

(١) القاصد : العادل أو هو ضد المفرط . (٢) فى الأصل " خائر " . (٣) العارض : السحاب المعترض فى الأفق . (٤) الخطية : الرماح المنسوبة الى " الخطّ " وهى مرفأ السفن بالبحرين ، يقال رماح خطّية على الوصف ورماح الخط على الإضافة . (٥) يشير الى بسطام بن قيس الشيبانى فارس بكر ، ويقال فى المثل " أفرس من بسطام " . (٦) يشير الى عامر بن مالك الشهير بملاعب الأسنة وسمى بذلك لقول أوس بن حجر :

ولاعب أطراف الأسنة عامر ※ فراح له حظ الكتيبة أجمع

(٧) الدهماء : السوداء ، ويشير بذلك الى السفينة لطلائها بالقار (الزفت) . (٨) تمطو : تجدّ فى السير وتسرع . (٩) الهبهاب : الصيّاح . (١٠) السوافى جمع سافية وهى الريح تحمل التراب . (١١) سفتها : حملتها كما تحمل الريح التراب . (١٢) العاصف العاصر : الريح التى تعتصر السحاب . (١٣) القاطول : اسم نهر مقطوع من دجلة فى سامراء ، حفره هارون الرشيد وبنى على فوهته قصرا وسماه " أبا الجند " وجعله لأرزاق جنده لكثرة ما كان يروى من الأراضى . (١٤) فى الأصل " ورق " .

وحيثُ قامَ[1] الماءُ معْ أنّهُ جارٍ وحلَّ القمرُ السائرُ
قُل لوزير الوزراء : التظَى بعدك ذاك الولَهُ الفاترُ
وانتحت الأشواقُ قلبي فما يفوتني القاصدُ والعائرُ[2]
وأكلَتْني كلُّ جوفاءَ لا يُشبِعها الحالبُ والجازرُ
تَسرُطني[3] بَلْعًا وكانت وما يُسيغ لحمى فمُها الفاغرُ
في كلّ يومٍ قَتَبٌ ضاغطٌ يغمزُ نضوًا تحته ضامرُ
أدعو فلانًا وفلانًا له دعاءَ من ليس له ناصرُ
أقمتُ أرعَى جدبَ دارٍ وفي أخرَى ربيعٌ مائحٌ[4] مائرُ[5]
فمَن لظمآنَ "بنجدٍ" وفي "تهامةٍ" صوبُ الحيا القاطرُ
"يا شرفَ الدين" عسى ميِّت الـ ـفضلِ بأن تلحظَه ناشرُ
يا خيرَ من دُلَّت على بابه حائرةٌ يركبُها حائرُ
أظلعها[6] التطوافُ معْ فرط ما ورَّثَها من جَلَدٍ "داعرُ"[7]
بقَّى السُّرَى منها ومنه كما بَقَّى من المأطورةِ[8] الآطرُ
لم يَرَيَا قبلك بيتًا له نادٍ[9] ولا نارًا[10] لها سامرُ
حتى قضى اللهُ لحظّيهما عندك قسمًا كلُّه وافرُ
فخوّلا في عَطَنٍ واسعٍ يذرَعُ فيه الأملُ الشابرُ[11]

(١) قام : جمد . (٢) القاصد : السهم الملتوى نحو الرمية ، والعائر : السهم لا يُدرى من راميه . (٣) تسرطني : تبلعني . (٤) المائح : الساقى آغترافا باليد . (٥) المائر : من يأتى بالميرة . (٦) أظلعها : جعلها تظلع أى تغمز فى مشيها . (٧) داعر : فحل منجب تنسب اليه الإبل الداعرية وفى الأصل "ذاعر" . (٨) المأطورة : التى عُطِفتْ ولُويت كالقوس . (٩) فى الأصل "باد" . (١٠) فى الأصل "ولا نار له" . (١١) فى الأصل " السائر" .

لم يبقَ من فوق الثرى للعـلا غــيرك لا سمــعٌ ولا ناظـــرُ
قــد كانت الأرضُ ولودا فــذ ولِدتَ فهى المقلتُ[(١)] العاقــرُ
وسَـلَّمَ الإجمـاعُ من أهلها أنك فيهـا المعجــزُ البـاهرُ
إن نجمت ناجمـــةٌ بالظُّبـا أبدع فيهـا ســيفُك البـاتــرُ
أو كانت الشـورى غِطاءً على الـ ـبَطىءِ جلّى رأيُكَ الحاضــرُ
وإن أخذتَ الدستَ والصدرَ فالـ ـقضاءُ ناهٍ فيهـمـا آمــرُ
أو وردَ النـاسُ فلم يصـــدروا عجــزا فأنت الواردُ الصـادرُ
وكم أراك اليــومُ ما فى غدٍ ما أنت من أمرِ غـــدٍ حائرُ
إن تُنزَع الدولةُ ما أُلبِستْ منـــك وأنتَ الملبسُ الفاخــرُ،
أو يُكفَر الحـــقُّ ولا بدَّ أن يُحـــرَمَ طيبَ النعمةِ الكافرُ،
فاســئل مَن الناجى اذا بُويعتْ نفسٌ بنفسٍ ومَن الخاســرُ
غدًا يُرَى عنـــد آختلاف القنـا كيف غنـاءُ الدِّرعِ يا حاســرُ[(٢)]
ويعكُفُ النـادمُ مســترجعـا عادةَ ما عــوَّده الغـافــرُ
اللهُ ــ إن تَرضوا وإن تسخطوا ــ قــدَّر وهـــو العـالمُ القـادرُ،
أنَّ العـــلا بحبوحةٌ بيتُهـا الـ ـمشرقُ هـــذا الحسبُ الطاهرُ
ناصَى بهـا "عبدُ الرحيم" السها وبعـــدَه الكـابرُ والكابــرُ
حـتى آنتهى الفخــرُ الى هضبةٍ ليس لمن يصـــعَدها حادرُ
ساهَــمَ فى المجـــد فعــلَّى به مُقـادحٌ ليس له قامــرُ
قـــد فــرضَ اللهُ لتـــدبيره الـ ـأمرَ وهـــذا الفَلكُ الدائرُ

(١) المقلت: التى تأتى بولد واحد ثم تعقم بعده، وفى الأصل "المقلب". (٢) الحاسر: غير الدارع.

فكلّما نَدّ (١) الى غيره ... فهو اليه صاغرا صائرُ
يا ملبسَ النُّعمى التى لم يزل ... علىَّ منها الشاملُ الغامرُ
ومَنبَعِى العذبَ اذا قلّص السَّـ ... ـجلُ (٢) وأكدى (٣) الرجلُ الحافرُ
مضت بطرحى أشهرٌ تسعةٌ ... حاشاك أن يَعقُبَها العاشرُ
هذا وما قصَّر شعرٌ ولا آسـ ... ـتحالَ عن عادته شاكرُ
وما لخلّاتى (٤) سوى جودكم ... خبيئةٌ يذخرها الذاخرُ
قد أقحط الوادى فلا لابنٌ (٥) ... لطارقِ الحىّ ولا تامرُ (٦)
فلا ونَتْ تطرقكم فى النوى ... قتائلٌ أبرمها الضافرُ
زوائرٌ تُهدى لأعراضكم ... ألطفَ ما يحمله الزائرُ
يؤثَرُ عنها خبرٌ صادقٌ ... فى مجدكم أو مَثَلٌ سائرُ
فى كلِّ [نادٍ] (٧) نازحٍ غائبٍ ... لها حديثٌ بكُمُ حاضرُ
تعرِضُ أيّام التهانى بها ... ما تعرِضُ المعشوقةُ العاطرُ
تميس منها بين أيامكم ... خاطرة يتبعها الخاطرُ
لثَّمها التحصينُ عن غيركم ... وهى على أبوابكم سافرُ
شاهدةٌ أنى لكم حافظٌ ... اذا نبا أو نكثَ الغادرُ
ولكلّ الفخرُ لها أننى الـ ... ممدوح فيها وأنا الشاعرُ

---

(١) ندّ : نفر وشرد . (٢) السجل : الدلو العظيمة . (٣) أكدى : بلغ الكدية وهى الأرض الغليظة الصلبة التى يعجز عنها الحافر فلا يمكنه أن يحفرها . (٤) الخلات جمع خلة وهى الحاجة . (٥) اللابن : الكثير اللبن . (٦) التامر : الكثير التمر . (٧) هذه الكلمة فى الأصل هكذا " د " .

وكتب الى الأجلّ عميد الرؤساء أبى طالب بن أيّوب فى النيروز

بلوتُ هــذا الدهــر أطوارَهْ ... عــلىَّ طـورا ومــعى تارَهْ

وبصّــرتْنى كيف أخلاقُــه ... تجـاربٌ كشّفن أخبـارَهْ

فصــرتُ لا أنكــر إحـلاءَهُ ... يــوما ولا أنكــر إمــرارَهْ

لا هو إن شــدّ رأى كاهلى ... رِخــوًا ولا نفسىَ خــوّارَهْ

ولا تصــبّانِىَ من سَــلمِهِ ... زخارفٌ للعين غــرّارَهْ

من عاذرى منــه على أننى ... ضرورةً أقبــلُ أعــذارَهْ

دعه وبتْ منــه عــلى نجـوةٍ ... خائفــةِ الرقبــةِ حــذّارَهْ

وآسلم فمـا تسـلَمُ من جَوْرِهِ ... إلا اذا ما لم تكن جارَهْ

تنقّــلِى يا رُكُبَ(١) العيس بى ... منجــدةً يــوما وغَــوّارَهْ

لا خطر الضــيمُ ببـالِ آمرئٍ ... وأنتِ بالبيــداء خطّـارَهْ

قــد نبتِ البيــداءُ بى جالسـا ... أرجــو الأمانى وهى غــدّارَهْ

أظلِمُ نفسى بين أبنـائها ... والنفسُ لا تُظــلَمَ مختـارَهْ

ويطّبينى(٢) وطَنٌ تــربُهُ ... مســتعبَدٌ يلفِــظ أحــرارَهْ

وكم تُرَى تَســحرنى « بابلٌ » ... « وبابلٌ » بالطبــع سحّارَهْ

إن كنتَ يا قلبِىَ منّى فــلا ... تخــدَعْك منهـا هــذه الشارَه(٣)

أوْلى بمن تحمــله قــدرةً ... فراقُ من تجهــلُ مقــدارَهْ

لا شِمتُ برقَ المُــون فى دُورِكم ... والعزُّ فى « الأبرقِ » « والدّارَهْ »

اللهُ لى منتصــفٌ من أخٍ ... يكيلُنى بالعُــرفِ إنكارَهْ

(١) ركب جمع ركاب . (٢) يطبينى : يزدهينى . (٣) الشارة : الحسن والزينة .

يحمى لسانى أبدا عِرضَه ويبتغى فى عِرضِىَ الغارَهْ
أعِفُّ عن جَمّته[1] مفعَماً تُناهِزُ الوُرّادُ تيّارَهْ
ولا يرانى ناسيا عهدَهُ إن غاض أو كابد إعسارَهْ
فليته صان مكانى كما صان عن البِذلةِ دينارَهْ
لولا بنو "أيوبَ" لولاهُمُ ما وجد المظلومُ أنصارَهْ
قومٌ اذا آستنجدتهم لم أخف سهما ولو ناضلَنى القارَهْ[2]
وبتُّ فيهم حيث لا يؤكل الـ ـجارُ ولا تُنتَهَك الجارَهْ
البيتُ لا ينكِرُ طُرّاقَهُ والليلُ لا يعدَم سُمّارَهْ
والجفناتُ الغُرُّ يُسنِى[3] لها كلُّ غضوبِ الغَلْيِ هدّارَهْ
ترى الجَزورَ العَبْلَ[4] فى قلبها أعشارُهُ تلعنُ جزّارَهْ
إن صَمَّ عنك الناسُ أو غمّضتْ فى الخطب عينٌ وهى نظّارَهْ،
فتحتَ منهم فى مغاليقه أسماعَ ذا الدهرِ وأبصارَهْ
نَموا شهابا من "أبى طالبٍ" خيرا وبثَّ الله أنوارَهْ
والأفُقُ العُلوىّ إن غورتْ شموسُه أطلعَ أقمارَهْ
قَصَّ حديثَ المجد عنهم فتًى يُصدِّقُ السُودَدُ أخبارَه
وبرّزوا سبْقا ولكنّهم لم يُدركوا فى المجد مِضمارَهْ
ناصَى "عميدُ الرؤساء" العلا والناسُ يقتصّون آثارَهْ
وطالت النجمَ به همّةٌ تقضِى من الغايات أوطارَهْ

(١) الجمة : الماء الكثير المجتمع . (٢) القارة : قبيلة مشهورة بالرماية ، وفى المثل "أنصف القارة من راماها" . (٣) يسنى : يرفع . (٤) العبل : الضخم .

أبلــجُ وذ البــدرُ لو صُــيِّرتْ ... لوجهــه عِمّتُــهُ دارَهْ[1]
مَــوَّلَهُ المجــدُ فلم يكترثْ ... إقــلالَه المـالَ وإكثارَهْ
كفّت به القــدرةُ لمـا سطت ... أيدٍ مــع القــدرة جبّارَهْ
سالِمْــهُ وآحــذَرْ صافيا ماءَهُ ... وهِجْــهُ وآحــذَرْ صاليـا نارَهْ
إن نام راعى السَّرحِ فى الأمن لم ... يكحَلْ بطعم النــوم أشفـارَهْ
ولم تكن ثَلَّتُــه[2] نهــزةً ... يُطمِعُ فيهـا الذئبُ أظفـارَهْ
أو شَرَعــوا فى الشرّ عافت له ... نفسٌ بفــعل الخــير أمّارَهْ
كفى "الإمامين" بتــدبيره ... مخـاوفَ الخطبِ وأخطـارَهْ
وآستسبغا من رأيه نَثْـلةً[3] ... ضافيــةَ الأذيالِ جــرّارَهْ
حلّتْ عن المـاضى فعادت يدُ الـ ... ـباقى بهـا تَعــقِدُ أزرارَهْ
قام بأمرِ الله مســتخلفٌ ... كنت لجــرح الدين مِسبـارَهْ
أرهفَ من نصحِك صَمصامةً ... بيضاءَ مثــلَ البــدرِ نَيّـارَهْ
أخرِست الفتنــةُ عن ملكه ... بالأمس والفتنــةُ نعّـارَهْ
وزارة حصّنْتَ أمــوالَه ... فيهـا كما حصّنْتَ أســرارَهْ
فابلــغ به أقصى المــنى مثلمـا ... بلّغَــهُ ســعيُك إيشارَهْ
وآســتخدم الأيّامَ نَقّاعــةً ... تجــرى بمـا شئتَ وضرّارَهْ
لا يرفع الإقبـالُ مســتقبلا ... غِطـاءَه عنــك وأستـارَهْ
يزيرك النــيروزُ فى روضــةٍ ... من مِــدَحى أحسنَ زوّارَهْ
غنّـاء شــقّ الشّــعر نوّارَه ... لهـا وأجرى الفكرُ أخطارَهْ

---

(١) الدارة : الهالة التى تحيط بالبــدر والشمس . (٢) الثـلّة : جماعة الغنم الكثيرة .
(٣) النثلة : الدرع الواسعة المحكمة .

مقيمـــة عنـــدك لكنّها بعَـــرفها فى الأرض سيّـارَهْ
تحققتْ بالكَلِم الفضْـــلِ[(١)] فالـ ـمُلك لهـا والنـاسُ نَظّـارَهْ[(٢)]
تشربُ [من حوضِ][(٣)] المعانى، وما تُفضِـــلُ للـــوارد أسآرَه[(٤)]
وهى مع الإفـــراط فى حبِّـــكم حامِـــلةٌ للهجـــر صــبّارَهْ
تُنسَى وتقصَى غـــير منســـيّة وهى مع الإعـــراض ذكّارَهْ
تحنُّ للجـافى وتحتـال للـ ـمقَصّر المهمِـــلِ أعـــذارَهْ
يُقنِعهـا الإنصاف لو أُنصفَتْ وتطابُ المـالَ وإكثارَهْ
حظُّك منهـا صـــفوُ سلسالها إن رنّقَ[(٥)] المـادحُ أشـــعارَهْ
وإنّ صـــدقى فيـــك أعتـــدّه من كذِبى فى النـاس كفّارَهْ

* * *

وكتب الى وزير الوزراء عميـد الدولة أبى سعد بن عبد الرحيم وهو مقيم بسرّ من رأى، يستوحش لبعده، ويهنئه بالنيروز

(٢٠١)

أولى لهـا أن يَرعوى نفارُها وأن يقـــر بالهوى قـــرارُها
وأن تُرى ميســـورةً خبْطاتُهـا من مَرِح[(٦)] منشـــوطةً أسيارُها
تُرعى وتُروَى ما ضـــفا وما صفا ولِلـــرُّعاة بعـــدَها أسآرُها

---

(١) فى الأصـــل "القضل". (٢) النظّارة : المشاهدون. (٣) هـــذه الكلمة ليست فى الأصـــل. (٤) أسآر جمع سؤر وهو بقية المـاء فى الإناء أو الحوض، وقـــد ورد هـــذا البيت فى الأصل هكذا :

* تشرب المعانى وللوارد ما يفضل أسواره *

ويكون معنى البيت على ما رجّحناه : أن قصـائده تشرب من حوض المعـانى ولمن يرد أسآر هـــذا الحوض ما تتركه وتبقيه، ويشير بذلك الى غيره من الشعراء الذين يردون حوض المعانى فلا يجدون فيه إلا ما أبقاه مما لا خير فيه. (٥) رنّق : كدّر. (٦) المرح : النشاط.

حـــتى تروحَ ضخمـــةً جُنوبُهـــا بخصبها شاكرةً (١) أوبارُها

وكيف لا وماء " سَلع " ماؤها مقـــلوّةٌ و " العلَمان " دارُها

ودونهـــا من أسلاتِ " عامرٍ " جمرةُ [حربٍ] (٢) لا تبـــوخُ نارُها

وذمّـــةٌ مرعيّـــةٌ أسـندَها الى حفاظ " غالبٍ " " نزارُها "

لا شلها (٣) ممّـــا تطـــورُ (٤) همّـــةٌ لطاردٍ فيـــه ولا عـــوّارُها

كأنّها بين بيـــوتِ قومهـــا نواظـــرٌ تمنعهـــا أشـــفارُها

نعم ! سقى الله بيـــوتا " بالحمى " مســـدلةً على الدُّمَى (٥) أستـارُها

وأوجها يشـــفُّ من ألوانها عنصرُها الكريمُ أو نجارُها (٦)

سَـــواهِمًا (٧) ما ضرّها شحـــوبُها (٨) ومن صـــفاتِ حسنها آستمرارُها

لم أر ليـــلا فى الحيـاة أبيضـا إلا بأن تطلُـــعَ لى أقـارُها

كم زورةٍ على " الغضا " تأذَنُ لى فيهـا بيوتٌ لم تصِـــلْ زُوّارُها

وليـــلةٍ سامحـــنى رقيبُهـــا عمـــدا وأخلى (٩) مجلسى سُمّـارُها

فبت أجـــنى ثمر الوصـــل بهـا من شجـــراتٍ حـــلوةٍ ثمـارُها

وخـــلوةٍ كثيرةٍ لذّاتُهـــا قليـــلةٍ على الصِّـــبا أوزارُها

لم يتوصَّمْـــنى بريبٍ ســـرُّها صـــونا ولم يُقـــدَر علىّ عارُها

وأمّ خشفٍ (١٠) طيّبٍ حـــديثُها بين الوشاة طاهرٍ إزارُها

باتت تعاطيـنى على شرط المـــنى نخبـــةَ كأسٍ ريقُهـا عُقارُها

---

(١) يقـال : شكرت الدابة بمعنى سمنت فهى شاكرة . (٢) هذه الكلمة ليست فى الأصل . (٣) شلها : طردها . (٤) تطور : تقرب وتدنو . (٥) فى الأصل "الدنى جمع دنيا" ولعلها محرفة و إن كانت لا تخلو من معنى . (٦) النجار : الأصل . (٧) سواهم : متغيرة فى لونها . (٨) الشحوب : تغير لون الوجه من هزال أو جوع أو سفر . (٩) فى الأصل " وأخلى " . (١٠) الخشف : ولد الظبية .

سَكرى وفى لِثَاتِها خمّارها الـ ـساقى(١) وعَطَّرَى نشرُها عَطّارُها

يعرفنى بين البيوت ليلُها ببِسم يُنكِره نهارُها

الحبّ لا تملكُنى فخشاؤه الـ ـقصوى ولا يُسمعُنى أمّارُها

وطُرُقُ العلياء لا تُعجِزنى سعيا ولا تُوحشنى أخطارُها

وقولةٍ لا تُرتقى هضبتُها ولا تخاض غزرا(٢) غِمارها

عوصاءَ(٣) للألسن عن طريقها [تَعتَعَةٌ(٤)] الزالق أو عثارُها

كنتُ الى الفضل أبا عُذرتها(٥)، وللرجال القالةِ(٦) اعتذارها

قمتُ بها، تمدّنى من خلفها دافعةٌ ما كُسعتْ أعيارُها

كأنى من فضل أيمانِ بنى "عبد الرحيم" واقفا أمتارها

أرسلتُها محكمةً سيّارةً لا لغوها منها ولا عَوَارُها

وكيف لا وإنما آثارُهم قُصّتْ وعنهم رُوِيَتْ أخبارُها

سقى الحيَا ذكرَ ملوكٍ كلّما مات الندى أنشره تَذكارُها

وزاد عِزّا أنفسا تحلّقت فوق السها وما انتهتْ أقدارُها

تزداد حرصا كلّما زادت ندّى ترى المعالى أنّه قُصارُها

وإن قست أيدى الغمام والتوتْ فقيلَ فى يمينها : يسارُها

---

(١) فى الأصل " السانى " . (٢) غزرا : مثلثة . (٣) العوصاء : الكلمة الغريبة أو الصعبة . (٤) فى الأصل " تعتا " والتعتعة : ارتطام الدابة فى الرمل والوحل والخَبار أى وعوثة الرمال ومنه قول الشاعر :

يتعتع فى الخَبارِ اذا علاه * ويعثُرُ فى الطريق المستقيم

ومن ذلك يتضح تصويبُ ما رجّحناه . (٥) يقال : فلان أبو عذرتها بمعنى أوّل من افتضها وقد تُوسّع فى استعماله فصار بمعنى : أوّل من أتى بكلام لم يأت به غيره . (٦) القالة جمع قائل .

فعضَّد الله أكفا سَبْطةً (١) تُفدَى ببوعٍ (٢) غيرها أشبارُها

ما ضرَّ أرضا تستميحُ صوبَها أنَّ السماءَ لَحِزت (٣) أمطارُها

دوحةُ مجدٍ بَسَقتْ غصونُها من حيث طابَ وزكَى قرارُها

شَقَّ لها فى "فارس" إماؤها حُرَّ التراب وهُمُ أحرارُها

مطعِمةٌ مورِقةٌ لا ظلُّها يضوِى (٤) ولا يُغِبُّك (٥) استثمارُها

كلَّ زمانٍ عامِها ربيعُها لا جدبُ شهباء (٦) ولا إعصارُها (٧)

وحسبُها أنّ الوزيرَ فَلَقٌ أبلجُ ممّا قدحتْ أنوارُها

شُجَّرَ منها وهو فى حكم العلا قُطْبٌ على سعوده (٨) مدارُها

ما برِحت يبعثها استعلاؤها على عضاهِ (٩) المجدِ واشتهارُها

كأنها كانت تَرى مذ بدأتْ أنَّ اليه ينتهى فخارُها

وللمعالى فى الفتى إمارةٌ واضحةٌ من قبلها منارُها

الى "عميد الدولة" اشتطَّت بنا موائرٌ (١٠) لا تُقتفَى آثارُها

تنشُر من أخفافها أجنحةً وخيدُها (١١) على الثرى مَطارُها

كلُّ طريقٍ نَفَضَتْ الى العلا فهى وإن تطاولتْ مضمارُها

لا تُتوقَّى شوكةَ الأرض ولو ذابَ على حَرِّ الظِّراب (١٢) رارُها (١٣)

---

(١) سبطة : كريمة سهلة . (٢) فى الأصل "بنوع" . (٣) لحزت : بخلت وشحت .

(٤) يضوى : يدقّ ويهزل . (٥) لا يغبّك : لا يأتيك يوما بعد يوم بل يأتيك كل يوم .

(٦) الشهباء : السنة الشديدة لا خضرة فيها . (٧) فى الاصل "أعطارها" . (٨) فى الأصل "سعود" . (٩) العضاه : كل شجر يعظم وله شوك واحدته عضاهة . (١٠) موائر جمع مائرة وهى المتحركة بسرعة . (١١) الوخيد : سعة الخطو أو رمى البعير بقوائمه كمشى النعام .

(١٢) الظراب جمع ظَرِب وهو ما نتأ من الحجارة وحُدَّ طرفهُ . (١٣) الرار : المخ

(٢٠٢)

تَسفِرُ[(١)] فى الحاجات وهى [عدّة][(٢)] على بلوغ ما ٱبتغى سُفَّارُها

تدلُّها فى الشُّبهاتِ سُرج[(٣)] هنّ على جُرح الفلا مِسبارُها

لا تعرف العذرَ على غضّ السُّرى اذا المطايا عُذرت أبصارُها

تمضى حنايا ذُبَّلا شخوصُها سهامُها تُنقَضُ أو أوتارُها

حتى اذا شرعنَ فى حياضه خالفَ من إيرادها إصدارُها

تلقاه خِفًّا[(٤)] فاذا تروحتْ فكالهضاب فوقها أوقارُها[(٥)]

يصوّت الجودُ بها : ألا كذا عن الملوك فليعُد زُوّارُها

على نداك "شرفَ الدين" ربَتْ فِصالُها[(٦)] وبَزَلَتْ[(٧)] بِكارُها[(٨)]

وعندك الفاسحُ من أعطانها والأمنُ إن أرهقها حِذارُها

موسمُ فضلٍ لا تبورُ سُوقُه ودار عزٍّ لا يذلُّ جارُها

وأعطياتٌ وحلومٌ عجبتْ منها جبالُ الأرض أو بحارُها

قد درّت الدنيا على جهلاتها أنك خيرُ من حوت أقطارُها

الكوكبُ المفردُ من أبنائها إن خُيِّرت لم يَعْدُك ٱختيارُها

تكثّرتْ بواحدٍ منك كما قلّلها من الورَى إكثارُها

وأيقنتْ دولةُ "آلِ باسلٍ" أنك يومَ بطشها جبّارُها

وأن ما تنظمُ من تدبيرها مَريرةٌ[(٩)] لغيرك ٱنتسارُها[(١٠)]

---

(١) تسفر : تتوسط . (٢) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٣) سرج جمع سراج، ويراد بها النجوم، وفى الأصل "سرح" . (٤) خفًّا : خفيفة . (٥) الأوقار جمع وقر وهو الحمل الثقيل . (٦) فصال جمع فصيل وهو ما فصل عن أمه . (٧) بزلت : صارت بازلا أى مسنّة . (٨) بكار جمع بكرة وهى الفتيّة من الإبل . (٩) المريرة : الحبل المفتول . (١٠) انتسارها : نقضها .

اذا قُرُبتَ خافها أعـــداؤهـا ... وإن نأيتَ خافها أنصـارُها

غادرتَها منــذ آعتزلتَ بيتَها ... لهـا نبـوُّ العين وآزورارُها

يـلاثُ(١) قُبحا لا عَفـافا وتـقًى ... عـلى صـفاحِ وجهها خمـارُها(٢)

مطروحــةٌ للضـيم لا يمنعهـا ... قنـا المحامين ولا شِـفارُها

تمــدّ للخطب يدا مقبوضــةً ... لا سيفُها فيهـا ولا سِـوارُها

وآجتمعتْ عــلى تنافى بينهـا الـ ... ـأهواءُ فيـك وآستوتْ أقدارُها

وآعترفتْ لك العـــدا آعترافَنـا ... بالحـقّ إذ لم يُغنهـا إنكـارُها

وآمنتْ أنّــك فينا آيــةٌ ... باقيـــةٌ وحَسُنَ آستبصارُها

ولو رأتْ وجــهَ الجحودِ جَحَدَت ... وإنمـا ضـــرورة إقـــرارُها

يا من به آستحليتُ(٣) طعمَ عيشـتى ... من بعـــد ما قَضّ فى إمرارُها

وردّ أيامى عـــلى إصـــرارهـا ... مُنيبــةٌ(٤) يُخجلنى آعتــذارُها

ومن تحرّمتُ به فــلم يَضِعْ ... ذمامُ آمالى ولا ذِمارُها

فى كلّ يـــومٍ نعمةٌ غريبـــةٌ ... أُوهَبُهـا كأنني أُعارُها

تأتى وما أنصـــبنى تطاوُلٌ ... لهـا ولا عـــذّبنى آنتظارُها

عطّلَيـا من عَطَلى لَبوسُـــها ... وراقعـا من خلَلى نُضـارُها

أقـــربُ ما يكون منّى وصلُهـا ... اذا نأتْ أو بعُـــدتْ ديارُها

فـا يضرُّ حسنَ حظّى منكمُ ... تصاعُدُ العيس ولا آنحـــدارُها

لكنّ شـــوقا حرّه فى أضلعى ... جنايـــةٌ لا يُمـلَكُ آغتفارُها

ولوعـــة اذا تنفّستُ لهـا ... عن كبـــدى حرّقنى أُوارُها(٥)

---

(١) يلاث : يلفّ . (٢) الخمار : ما تغطى به المرأة رأسها . (٣) فى الأصل "استحليت" . (٤) منيبة : راجعة تائبة ، وفى الأصل "مينة" . (٥) الأوار : حر النار .

فهل لهذا الداء من راقيةٍ ... ينفِثُ في عُقدته سَحّارُها

أم هل يكونُ من لطيف برِّكم ... زيارةٌ تُقضَى بكم أوطارُها ؟

وإنها على النوى لآيةٌ ... معجزةٌ ، عندكم آحتقارُها

لا قلّصتْ عنكم ظلالَ مُلككم ... نوائبُ الدهر ولا أقدارُها

ولا أحالَ من قشيب(١) عزِّكم ... مرورُ أيّامٍ ولا تكرارُها

وحالفتكم نعمةٌ صحيحةٌ ... عهودُها ، طويلةٌ أعمارُها .

وخمّرتْ(٢) أوجهَها عن غيركم ... دولةُ دنيا لكُمُ إسفارُها

عمن يُعادى مجدكم زوالُها ... وعندكم برغمه آستقرارُها

وسائرات بالثناء(٣) لا يُرى ... مستعفيا من دأَبٍ سيّارُها

لا تخلُقُ الظلماءُ في بسطتها ... قبضا كأنّ ليلَها نهارُها

تطوى الفيافى لا خفارات لها ... إلا الذى تضمنه أسطارُها

تشتاقها(٤) الأرض وبعدُ لم تصِلْ ... لأنّها تسبِقُها أخبارُها

يخالها النادى اذا آجتازت به ... لطيمةً(٥) مرَّ بها عَطّارُها

تحمّلُ آثاما بمدح غيركم ... حتى تُحَطَّ بكُمُ أوزارُها

تُهدِى لك الأعيادُ منها طُرَفا ... جواهرا تحت فمى بحارُها

مما توحّدتُ به لم تُفترَعْ ... لا عُونها قبلُ ولا أبكارُها

ودّت "تميم" وفحولُ "وائلٍ" ... من قبلها لو أنّها أشعارُها

(٢٠٣)

---

(١) القشيب : الجديد . (٢) خمّرت : غطّت . (٣) فى الأصل "بالشاء" .

(٤) فى الأصل "تستاقها" . (٥) اللطيمة : نافجة المسك .

وقال يمدح الوزير كمال الملك أبا المعالى فى المهرجان

هـل لقتيلٍ على "اللوى" ثائـرْ	أم هل لليل المحبّ من آخرْ؟
أم الفـتَى جائـدٌ بمهجتـه	عـلى بخيـلٍ بقـوله غادرْ[1]
خاطـرَ فى حبّ ظالمٍ لم تجـز	قـطُّ له رحمـةٌ عـلى خاطـرْ
يحسب كلَّ الأبدان يومَ "مِنًى"	بُدْنَ[2] الهدايا تحـلُّ للعـاقرْ
له من القتـل باعثٌ لا يُقـا	ويه من الحزم والتـقَى زاجرْ
اذا كريمٌ عفـا لقـدرته	أغـراه بالشـرّ أنّـه قادرْ
يحصب "وادى الجمارِ" يستغفر الله ومَن للـدماء بالغـافـرْ	
كلُّ حصـاة بتراء تُنبَـذ بالـ	ـوادى حسـامٌ من كفّه باترْ
رامٍ بسـبعٍ اذا رأى كبِدًا	قرطس[3] من واحـدٍ الى العاشـرْ
عـزَّ قبيـلى وخاننى وأنا الـ	ـمظلومُ فى حبـه بلا ناصـرْ
لو كان فى "بابلٍ" رُضـابا[4] وأَلـ	ـحاظا[5] لقلتَ[6] الخمّارُ والسـاحـرْ
تاجرْ هـواه وثِقْ بذمّتـه	تكن شريكَ المقمورِ[7] لا القـامرْ[8]
يلقاك من قـدّه وإمرته	يوم التقاضى بالعادل الجـائـرْ
يا قلبُ صـبرا عساك حين حُرِمـ	ـتَ الوصلَ تُعطَى مَثوبةَ الصابرْ
ولا تُسَمِّ الهجـر الملال وعِشْ	بالفـرق بين الملولِ[9] والهـاجر
تجرُّ عليـك الإطرابُ بعـدَ ليا	ليك اللواتى آنطوت على "حاجرْ"

(١) فى الأصل "عاذر". (٢) البدن جمع بدنة وهى الناقة تنحر بمكة. (٣) قرطس: أصاب الغرض. (٤) الرضاب: الريق المرشوف. (٥) فى الأصل "ونحّاطا". (٦) فى الأصل "لقلب". (٧) المقمور: المغلوب فى لعب القمار. (٨) القامر: الغالب فى لعب القمار. (٩) فى الأصل "الملوك".

ذلك عهـــدٌ ناسِى بشـاشـــتِهِ أسعدُ حظًّا به من الذاكرْ

كم عثرةٍ بين "زمزمٍ" لك و"ال ـمشعرِ" لا يســتقيلُها العاثرْ

أفسدتَ فيهـا فريضة الحجّ بالـ ـذُّلِّ لغــير المهيمنِ القــاهرْ

قلبُــك فيهـا على التنسُّــك معـ ـقودٌ وللفتــك فعلُك الظاهــرْ

فأنت بين الإحرام والحبِّ للـ ـأصنامِ لا مؤمنٌ ولا كافــرْ

تخضعُ منهـا لصورةٍ فُطِــرتْ ويخضَعُ المخبِتونَ(١) للفاطــرْ

حسْبك كان الشبابُ يستر من نفسِــك ما الشَّيب ليس بالساترْ

قــد آن أن ينفعَ الملامُ وأن تــلزَمَ فى العــدل طاعة الآمرْ

طارت، بعــزماتك المُضلّة من شيبك هــذا، عُقابُه الكاسرْ

غاب الشباب المغرِى وقد حضر الـ ـشَّـيبُ نذيــرا والحكمُ للحاضــرْ

قِف! قد مضتْ غفلةُ الخليع بما فيهـا وقوفُ المســتبصر الناظرْ

شمِّر وخُضْها ما دمتَ خائضَــها فربّمـا طَــمَّ(٢) ماؤهـا الغـامرْ

والشــعرَ صنْه فالشــعرُ يحتسب اللهَ اذا لم يُصَنْ عــلى الشاعــرْ

لا تمتهنــه فى كلّ سوقٍ فقــد تربَح حينا وبيعُــكْ الخاسـرْ

أُنظرْ الى مَنْ، وفى مدائح من أنت — وقد بات نائما — ساهرْ

اِخــترْ ولــودا للفهم منجبــةً فأكثرُ الفهمِ مُحمِــقٌ(٣) عاقــرْ

غالِ به واَسْــتمِ(٤) المهــورَ الثقيـ ـلاتِ وصاهرْ أكفاءَها صـاهرْ

وأحرِ عليــه فإنّــه ولدٌ أبــوه قلبٌ وأمُّــه خاطــرْ

صَــرِّفْهُ فيما يَرضى العــلاءُ به ويَعمُر العرضَ بيتُــه العامرْ

(١) المخبتون : المطمئنون الى ربهم . (٢) طمّ : غمر . (٣) المحمق : المرأة جاءت بولد أحمق . (٤) استم : فعل أمر من آستام يقال : آستام البائع السلعة بمعنى عرضها وذكر ثمنها .

إمّا لفخـرٍ يصـدّق النسبَ الحـ ـرَّ ويُحيى ذكـرَ الأبِ الداثـــرْ

أو لأخٍ يشـــفع الـــودادُ بمـا يرضيه منـــه بالفـــذِّ والنـادرْ

أو مَلِك رحتَ منـــه فى نِعـــمٍ أنت لهـا لا محـالة شـاكـرْ

ترى من الوِرْد فى شريعته الـ ـعذبة[1] آثارَ غيظـةِ[2] الصـادرْ

من "آل عبد الرحيم" حيث عهد تَ العُشُبَ الكهلَ والحيا القاطرْ

والبيت من أيمـا آستُضِفتَ به فأنت فى الجدب لابنِ[3] تامرْ[4]

حيث القِـــرى لا تُكَبُّ جفنتُـــهُ[5] والنـارُ لليـــل أوّلا آخـــرْ

والبُزْلُ[6] لا تُعقَل الوديـكةُ[7] والـ ـكَوْماءُ[8] إلا بشـــفرةِ[9] الجازرْ

والنضَـــدُ[10] الضخمُ والأرائـك يؤ ثَرْن لجنبِ النـــديمِ والسـامرْ

كم قمـــرٍ منهُـــمُ ولا "كما ل الملك" ضوّاك نورُه الباهـــرْ

تَمَّ فأبصـــرتَ أو سمعتَ به ما لم تكن سامعا ولا ناظـــرْ

أربابُك المـالكون رقّك من ماضٍ سـعيدٍ وسـيّدٍ غابرْ

تـورّث فيهـــم فأنت ينقُلك الـ ـميراثُ من كابرٍ الى كابرْ

تأنس إن قيل : غرسُ نعمتهم وأنت منهـا فى غـيرهـم نافـرْ

فما الذى ردّ عن حميّتـــه أنفَك فانقـدت فى يد القاسـرِ؟!

بلى تصـــبّاك فى خلائقهـــم مرتبِـــقٌ[11] فى حبالهـــم آســـرْ

---

(١) فى الأصل "العذبة". (٢) فى الأصل "غيظه". (٣) اللابن : من عنده ابن كثير. (٤) التامر : من عنده تمر كثير. (٥) الجفنة : القصعة. (٦) البزل جمع بازل وهو البعير فطر نابه أى آنشـقّ بدخوله فى السنة التاسـعة. (٧) الوديكة : السمينة الضخمة. (٨) الكوماء : الناقة المرتفعة السنام. (٩) الشفرة : السكين. (١٠) النضد : السرير. (١١) المرتبق : من يشدّ الربقة وهى حبل يجعل لشدّ البهم.

ورقيــة يُخرِجُ الأَســودَ بهـا "أبو المعـالى" من غيلها الغـابِرْ (١)

تنفُثُ أخلاقُه العــذابُ فيُجـ ـرين الصفا (٢) قبـل صِلّه الحـادرْ

دلّ عـلى مجدِ قومـه، وعلى الـ ـصّـبح دليـلٌ من نوره الفـاجرْ (٣)

وقدّمـوه طليعــة يصف الـ ـفخر ووافَوا بالكوكب الزاهرْ

أبلج تُمسى النجـومُ راكدةً وكوكبُ الســعدِ برجُهُ السـائرْ

فى الأرض منهـم لعـزّهم فلكٌ بكلّ ما شاد ذِكرهم دائرْ

أراكة حـلوة الثمـار بـه لم تَشْـقَ فى لقحها يدُ الآبِرْ (٤)

عــدّلَ مَيــلَ الدنيـا وثقّفها ـ حتى آستقامت ـ تدبيرُه الآطِرْ (٥)

وآبتسـم الدهرُ تحت سـيرته وعـدلِه وهـو عابسٌ باسرْ

كأنمـا رأيه عـلى لهب الـ ـخطب جُمادى (٦) صُبَّتْ على "ناجِرْ" (٧)

وجمــرة دون سُـدّة الملك لا يثبت وجـهٌ لوجهها الزافـرْ

ينهال تحت الرِّجل القويـة جا لاها (٨) بمـا عمّقتْ يدُ الحافـرْ

قام عليهـا فألقم الجمـرَ الـ ـهاتمَ فيهـا فَمَ الردى الفاغِرْ

تجُـد إمّا بمـاء صارمـه الـ ـباترِ أو ماءِ كفّه المـاثرْ

طَبٌّ بأدواء كلّ معضـلةٍ يغالط الجسَّ عرقُهـا الفائرْ

قـد جرّبوه وآخرين فمـا أُشـكِل بين الوفىّ والغـادرْ

وآعـترف المنـكرون بالآية الـ ـكبرى آضطرارا وآمن الفاجرْ

---

(١) الغابر : ما علاه الغبـار . (٢) الصفا جمع صفاة وهى الحجر الصلد، والصلّ : الحيّة .

(٣) الفاجر : المنبثق كالفجر . (٤) الآبر : متعهد الزرع ومصلحه . (٥) الآطر : العاطف .

(٦) جمادى : يقال للشتاء عنـد العرب : جمادى لجمود المـاء فيه . (٧) ناجر : شهر رجب أو صفر أو هو كل شهر واقع فى صمم الحر . (٨) الجال : ناحية القبر والبئر، وفى الأصل "حالاها" .

جاراكم(١) النــاسُ يدأبون فـما شَــقّ هجينٌ(٢) عَجاجةَ(٣) الضامرْ
وقارعــوكم على العــلا سَــفَها فـما وفى بالمــدجَّج الحاســرْ(٤)
وقــد رأى من نصحته فأبى الـ ـنـصحَ وكان الخلافُ(٥) للخائرْ
وكيف يبــق على زئــيركُمُ قلبُ قطــاةٍ يُراعُ بالصافــرْ
وأســعد النــاس ربُّ مُلكٍ له منكم ظهــيرٌ وعاضــدٌ وازرْ
أنتم لهـا تمسحون غاربَهـا بأذرعٍ(٦) لا يقيسهـا الشـابرْ
وأمرُها كيف غيَّر الدهرُ أو بدّل فيهـا اليكُمُ صـائرْ
منـارُها فيكُمُ وقِبلتُهـا والنـاسُ من تائهٍ ومن حائرْ
فــلا يزل منــكُمُ لهـا ناظمٌ يجمــع منهـا ما بدّد النـاثرْ
ولا أتيحت عِصِىٌّ عزّكُمُ لمتح منهُــمُ ولا قاشــرْ
ولا تزل أنت كالقضــاء بمـا تطلبُ من كلّ بغيــةٍ ظافرْ
تلتــثم الحادثاتُ من خجــلٍ عنــك اذا راع وجهُها السـافرْ
وناوبت ربعَــك السحائبُ من مــدحى بهامٍ مروِّضٍ هامرْ
بكل وطفاءَ(٧) تطمئنّ بجـا جُ الأرض منهـا للرائح الباكرْ
يكسو الثرى ماؤها وترتدعُ الـ ـحصباءُ طيبا من ريحهـا العاطرْ
تُشهَد فى المنصب الكريم وتحـ ـمى العرضَ والعرضُ مهمَلٌ شاغرْ(٨)
يزفُّهـا الحبُّ والرجاء الى بابك من كاعبٍ(٩) ومن عاصرْ(١٠)

---

(١) فى الأصــل "جازاكم" . (٢) الهجين : غير العتيق . (٣) العجاجة : الغبـار .
(٤) الحاسر : من لا مغفر له ولا درع . (٥) فى الأصــل "الحلات" . (٦) فى الأصل "ذرع" . (٧) الوطفاء : السحابة المسترخية لكثرة مائها . (٨) الشاغر : الذى ليس له من يحميــه . (٩) الكاعب : الجارية نهد ثديها . (١٠) يريد بالعاصر : التى بلغت شبابها ، والذى تقول به معاجم اللغة "معصر" ولعله أجراها هذا المجرى للازدواج .

تجارة لا تبور والمشترى سمعُك منها وقلبىَ التاجرْ
أُعظمها عن سواك أنك لل أموال فيها مستصغِرٌ حاقرْ
ووُدُّ نفسى لو أن باطنَها يُحمَلُ فى حبّكم على الظاهرْ
وأن تَرى عينُك العليّةُ من تحت شَغافى نصيبَك الوافرْ
فتصرف الشكَّ باليقين اذا بلوتَ سرّى بالفاحص السابرْ (١)
ذاك اعتقادى وإننى لدمِ ال وفاء إن كنتُ مُدهِناً (٢) هادرْ
فاقبل ولا تنس من حفاظِىَ ما أنت بفضل الحجا له ذاكرْ
واعلم بأنى ما اشتقت عهدالصبا ال عافى ولا سكرة الغنى الغامرْ ،
شوق الى أن أراك أو أشترى ذاك بإنسان عينِىَ الناظرْ
فلا تُصبْنى فيك المقادير بال قاصد (٣) من سهمها ولا العائرْ (٤)
وزارك المهرجانُ يحمل من سعدك أوْفَى ما يحملُ الزائرْ
يومَ أماتوا بالغدر بهجتَهُ وأنت منه رعايةً ناشرْ
أتاك فى الوفد يعتفى روضك ال غضَّ ويعتامُ بحرَك الزاخرْ
فاجتلِ منه المبرّزَ الحسنِ فى ال عين وفزْ بالمبارَك الطائرْ

* * *

وقال يمدح زعيم الملك أبا الحسن ويهنئه بالنيروز

وفى لى بك الحظُّ الذى كان يَغدِرُ وصحَّ لِىَ الدهرُ الذى يتغيّرُ
وسالمنى صرفُ القضاءِ وبيننا فلولُ المواضى والقنا المتكسّرُ

---

(١) السابر : من يسبر الجرح ليعرف غوره ، وفى الأصل " السابر " . (٢) المدهن : المنافق المخادع . (٣) القاصد : السهم المستوى نحو الرمية . (٤) العائر : السهم لايُدرَى من راميه ، وفى الأصل " العابر " .

وحسّنتُ ظنّى فى الزمان وأهلِهِ فأصبحتُ أرجو وصلَ من كنتُ أحذرُ
وعرّفنى فيمن رأى غاية العـلا فطالبَها بالسعى كيف يُشَمِّرُ
وكيف يغـارُ الحرُّ من ثَلْمِ مجده فيدعَمُـه بالمكرماتِ ويعمُـرُ
حنـوًّا وفى قلب الزمان قساوةٌ ورَعيًا لحقّ وآبنُ أُمّىَ يَخفِـرُ(١)
ورفـدا هنيئا تستقلّ كثيرَه وودًّا وما تُسـنِى(٢) من الودّ أكثرُ
عطاؤك كافٍ وآعتـذارك فضلةٌ وغـيرك لا يعطِى ولا يتعـذّرُ
وفيتَ لآباءٍ تكأّمتَ عنهـمُ فضائلَ ما سـنّوا الفخارَ وسيّروا
كرامٌ طواهم ما طوى النـاسَ قبلهم وأنت لهم من ذلك(٣) الطىِّ مُنشِـرُ
مضَـوا سلَفا وآستخلفوك(٤) لذكرهم خلودا فـلم يُخزِ(٥) القـديمَ المؤخَّرُ
وأبقَوا حديثـا طيّبا منك بعـدهم وقد علموا أنّ الأحاديثَ تُؤثَـرُ(٦)
وزَنَّاهُمُ بالنـاس بيتا وأنفُسًـا فزلّت موازينٌ وزادوا وثمّـروا
وجئتَ بمعـنى زائدٍ فكأنهم — وما قصّروا عن غاية المجد — قصّروا
وإنّ أبا أبقاك مجـدا لعقبِهِ وإن عَبَطتْـه(٧) ميتـةٌ لمعمَّـرُ(٨)
أقـول لركبٍ كالأجادل(٩) طوّحتْ بهـم قامصاتٌ كالأهلّة ضُمَّـرُ
على قِمَم البيـداء منها ومنهـمُ — اذا خفق(١٠) الآلُ(١١) — المُلاءُ(١٢) المنشَّرُ
رمت بهـم الحاجاتُ كلَّ مخوفـة(١٣) اذا سار فيهـا النجم فهو مغـرِّرُ(١٤)

(١) يخفر : ينقض العهد و يغدر . (٢) تسنى : تجعله سنيًّا ذا رفعة . (٣) فى الأصـل "ذاك" . (٤) فى الأصـل "وآستحلفوك" . (٥) فى الأصـل هكذا "يحن" .
(٦) فى الأصل "تؤشر" . (٧) عبطته : أردته بفجأة من غير علة ، و فى الأصـل "غبطته" .
(٨) فى الأصل "منه" . (٩) الأجادل جمع أجدل وهو الصقر . (١٠) خفق : آضطرب ، و فى الأصل : "أخفر" . (١١) الآل : السراب . (١٢) الملاء جمع ملاءة وهى ثوب ذو لفقين (الملاية) . (١٣) المخوفة : المفازة . (١٤) المغرِّر : المعرِّض نفسه للهلاك ، و فى الأصل "وهو مغرّر" .

اذا الليلة العمياءُ منها تصرّمت ... تولّاهُمُ يومٌ من التيه أعورُ

رأوا رزقَهم فى جانبٍ متعذّرا ... تطاوله أعناقُهم وهى تقصُرُ

خذوا من "زعيم الملك" عهدا على الغنى ... وردّوا المطايا فاعقلوها وعقّروا

دعوا جانبَ البرّ العسوفِ وحوّموا ... على البحر بالآمال فالبحرُ أغزرُ

ولا تحسبوا أفعال قوم ذلاتُّم(١) ... عليها كما تُروَى الأسامِى وتُذكَرُ

فما كلّ خضراء [من](٢) الأرض روضة ... تراد ولا كل السحائب تُمطِرُ

"ببغداد" فى "دار السلام" محجب ... على عادة الأقمار يخفى ويظهرُ (٢٠٦)

اذا كتمته رِقبةٌ أو مكيدةٌ ... وشى بمعاليه العطاء المشهّرُ

كريم يرى أنّ الغنى تركه الغنى ... وأنّ اتقاءَ الفقر بالفقر مُفقِرُ

غلامٌ اذا ما عدّ أعداد سنّه ... ويومَ قضاء الحزم شيخٌ موقّرُ

تمرّن طفلا بالسيادة مرضَعا ... يدرّ عليه خِلفُها ويوفّرُ

له من مقامات الملوك صدورها ... يقدّم فيها إذنَه ويؤخّرُ

زعيما على التدبير لا هو حاجة ... يعانُ على أمرٍ ولا هو يؤمَّرُ

له من سرايا(٣) رأيه ولسانه ... اذا نازل الأقرانَ جيشٌ مظفّرُ

وأهيفُ يذرى فى العظائم حدّه ... ومنظرُه فى العين يضوى(٤) ويصغرُ

ترى الرزقَ والآجالَ طوعَ قضيّةٍ ... تُخَطُّ على أمريهما وتُسطَّرُ

ومرٌّ على الشحناء، حلوٌ على الرضا ... وللضيم يحلولى(٥) فلا يتمرّرُ

ضحوكٌ اذا حكّمته متطلّقٌ(٦) ... وأشوسُ(٧) إن نازعته متنمّرُ

---

(١) فى الأصل هكذا "للتم" . (٢) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٣) سرايا جمع سريّة وهى القطعة من الجيش، وفى الأصل "سرا" . (٤) يضوى : يهزل ويدق . (٥) فى الأصل هكذا "محلوا" . (٦) المتطلق : المنبسط الوجه . (٧) فى الأصل "بأشوس" .

كفى الملك ما آستكفت لحاظُ جفونها ... وأغناه ما أغـــنى عن الكفّ مِنسَرُ(١)(٢)

وقام له بالنصـــح يُثبتُ رجـــلَه ... عـــلى زَلَقٍ فيـــه الفتى يتعـــثَّرُ

فإن شكرت كفُّ بلاءَ مهنّـــدٍ ... قضى نذرَها فالملكُ لا شـــك يشكُرُ

لك الله مُولِى نعمـــةٍ ومفيـــدَها ... وغارسَها من حيث تزكو وتُثمـــرُ

ومســـتعبدا حُرَّ القـــلوب وفاؤه ... وحُرَّ الكلام ما لَهُ المتيسّـــرُ

جرى الخلقُ إلا فى علاك فأبصر ال ... حقلّد فيهـا وآســـتقال المقصِّـــرُ

وقال بقـــولى فيك كلُّ محـــدث ... يرى أننى ما قلت إلا وأخـــبرُ

وعنّف قومٌ حاســـديك جهـالةً ... وذمّـــوا وهم بالحمـــد أولى وأجدرُ

اذا عرَّفوا الفضلَ الذى حسدوا له(٣) ... فتلك لهم مجـــدٌ يُعدُّ ومفخـــرُ

أعاذك من عين الكمال الذى قضى ... به لك قسما فهـــو يقضى ويقـــدرُ

ولا غشيت ظلمـاءُ إلا وبحـــرُها ... برغم العـــدا عما تحبون يُســـفرُ

فـا تصلح الدنيا ومن غيركم لهـا ... أميرٌ مطـاعٌ أو وزيرٌ مـــدبّرُ

ولا عُـــدم المدحُ الموفَّ أجـــورَه ... بكم وهو فى قـــومٍ سواكم مســـخَّرُ

مواسمُ فى أبياتكم بعـــراصها ... تُحـــطُّ وعنها فى الثناء تُســـيَّرُ

تناوبـــكم منـــه سحـائبُ ثرّةٌ ... تروح عـــلى أغراضكم وتُبـــكّرُ

تســـوق مطاياها رياح زَكـيّةٌ ... بمـا حملت من وصفكم تتعطّـــرُ

اذا عرضتها الصُّحْفُ شك رواتُهـا ... أوشىُ حـــريرٍ أم كلامٌ محـــبَّرُ؟!

تفيـــد قلوب السامعين توقُّـــرا ... لهـا وآهتزازا فهى تصحى وتُســـكَرُ

اليـــك "زعيمَ الملك" لانتْ رقابُها ... وذلّتْ وفيهـا عزّةٌ وتغشـــمرُ(٤)

رأتك لهـا أهـــلا فلان عصيُّهـا(٥) ... لديك وقالت : فى فِنـائك أحشَرُ

---

(١) فى الأصل "من" . (٢) المنسر : منقار الطير الجارح . (٣) فى الأصل هكذا "جهدوا" . (٤) التغشمر : رفع الرأس إباءً وشمما . (٥) فى الأصل "لانت عِصِيها" .

اذا زارك النــيروزُ عُطْــلًا فإنه ... يُطــوَّق من أبياتها ويســوَّرُ
وغاليتَ في أثمانهــا فشريتَهــا ... ربيحا فظنّ الغمــرُ أنك تخسرُ
اذا المــرءُ أعطاني كرائمَ ماله ... ليأخذَ شــعرى فهو مــنّى أشعرُ

***

وقال يصفُ الشطرنج

ومؤمَّرٍ بين الرجال مقــدَّمٍ ... في الأرض وهو مــدَبَّرٌ مأمورُ
باقٍ يخافُ الحتفَ وهو متى يمتْ ... فله مَعــادٌ عاجلٌ ونشــورُ
ويســيرُ ما سار الجيوشُ أمامَهُ ... ويقــودُها فيقيمُ وهو يســيرُ
كثرتْ منــازلُه وضاقت طُرْقُهُ ... فكأنّه بمكانه مأســورُ

***

وكتب الى الأمير شهاب الدولة منصور بن الحسين بن دُبَيس ، وأنفذها الى خوزستان

هل في الشموسِ التي تُحدَى بها العِيرُ(١) ... قلب الى غير هــذا الدينِ مفطورُ؟
أم عنــد تلك العيونِ المتبلات(٢) لنا ... دمٌ علــى أسهم الرامين محظورُ؟
زمُّوا المطايا فدمــعٌ مطلَقٌ أمِنَ الـ ... ـعدوَى ودمعٌ وراءَ الخوف محصورُ
فكم نهيتُ بأولَى الزجر سائقَهــم ... حــتى تشابَه مهتــوكٌ ومستورُ
وفى الخــدور مواعيــدٌ مسوّفةٌ ... لم يُقضَ منهنّ منــذورٌ ومنظــورُ
وماطلات ديونَ الحبّ تلزمها ... ليّا(٣) وهنّ مليّات(٤) مياسيرُ
لا تُقتضَى بفــتًى يقتلن عاقــلةٌ(٥) ... ولا يقــوم وراءَ الثأر مــوتورُ

(١) العير: كل ماأمتير عليه إبلا كانت أوحميرا أو بغالا ، وفى الأصل "الغير" (٢) المتبلات : التى جعلتنا ذوى ترات وحقود . (٣) الليّ : المطل . (٤) مليّات : غنيّات متمولات . (٥) العاقلة : دافع الدية .

٢٠٧

يحذنَ ماسفكتْ أجفانُهن دمًا ... وقـد أقـرّ به خـدٌّ وأظفـورُ[1]

ياسائق البكرات آستبقِ فضلتَها ... على الوريد فظهـرُ العفر[2] معقـورُ

حبسا[3] واو ساعةً تروَى بها مقـلٌ ... هِـيمٌ[4] وأنت عليها الدهرَ مشكورُ

فالعيس طـائعـةٌ والأرض واسعةٌ ... وإنمـا هـو تقـديمٌ وتأخـيرُ

تغلّسوا[5] من " زرودٍ " وجهَ يومهـمُ ... وحطّهـم لطلالِ " البـانِ " تهجيرُ

وجاذبوا الجزع من وادى الأراك وقد ... تعصّبتْ بالغروب الأحمـرِ القُورُ[6]

وضمنوا الليل " سلعا " أن رأوه وقد ... غنّت على قُنّتَىْ " سَلعَ " العصافيرُ

وكيف لا يستطيب العُشبَ رائدُهـم ... وكلّ وادٍ لهم بالدمـع ممطـورُ

وآستكشفوا البقلَ من "نعمان" فاقتمحوا ... لسًّا[7] وخضمًا[8] فمهـلوسٌ[9] ومهصـورُ[10]

ومن ورائهـم عقدُ اليمين سُدًى ... مضيّـعٌ وذمـامُ الجـار مخفـورُ[11].

أطبقتُ جفنى على ضوء الصباح لهم ... حفظًـا فما لنهـارٍ فيهمـا نـورُ

وعاصت اليأسَ نفسى أن تُعـاب به ... وكلُّ سـالٍ بأمرِ النـاس معـذورُ

وقـد عددت على سكرى بفُرقتهـم ... شهـورَ عامٍ وقلبى بعـدُ مخمـورُ

كذاك حظُّ فـؤادى من أحبّته ... مـذ جرّبَ الحبَّ مبخوس ومتزورُ

فما يحـافِظ إلا وهـو مطّـرحٌ ... ولا يواصـلُ إلا وهو مهجـورُ

حتى لقـد خفت أن تنبو على يده ... بالشرقِ من " أسَـدٍ " بيضٌ مشاهيرُ

---

(١) الأظفور : الظفر . (٢) البكرات جمع بكرة وهى الفتية من الإبل والعُفر جمع أعفر وعفراء وهو من الإبل ما شابه لونه التراب . (٣) حبسا : أى قف وآحبس المطايا عن السير، وفى الأصل " جيشا " . (٤) هيم : عطاش . (٥) تغلّسوا : ساروا فى الغلس . (٦) القور جمع قارة وهى الجبيل الصغير المنقطع عن الجبال . (٧) اللس : نتف الكلإ بمقدم فم الدابّة . (٨) الخضم : الأكل بالأضراس . (٩) المهلوس : المهزول الذى يأكل ولا يبين أثر الأكل فى جسمه . (١٠) المهصور : المعطوف المثنىّ . (١١) مخفور : منقوض .

مَن مرسلٌ تسعُ الأرسانَ همّتُه | جُرحُ الفلاةِ به والليلُ مسبورُ
لا يرهب الجانبَ المرهوبَ محتشما | لعلمه أنّ طُرْقَ المجد تغريرُ
يُنضِي الجيادَ الى إدراك حاجته | والعيسَ حتى يضجّ السرجُ والكورُ(١)
يذارع الأُفقَ الشرقىَّ قبلته | فى القسطِ ما ضمّ "خوزستانُ"(٢) فالكورُ(٣)
بأــغ ــ حُملت على الأخطار محتكما | عــلى السرى وأعانتك المقادير ــ ،
حيًّا "بميسانَ"(٤) ربعُ المال بينهُمُ | عافٍ خرابٌ وربع العزّ معمورُ
فثَمّ ما شئتَ نخرُ الناسِ كلّهمُ | بلا مثيلٍ وثَمّ المجدُ والخيرُ
وأوجهٌ مقمراتٌ للقِرى وإلى | معترج الصبح فُرسانٌ مغاويرُ
وآخصص غَطارفَ(٥) من دُودانَ(٦) يقدمها | ضارٍ تبادره الأُسْدُ المساعيرُ(٧)
فقل لهم ماقضى عنّى نصيحتَهم | وأكثرُ النصح تخويفٌ وتحذيرُ:
تخاذلوا لولىّ الأمر واعتزلوا الصـ | ـدور" فالملكُ المنصورُ" منصورُ
توضّحوا فى دياجيكم بطاعته | فهى الصباحُ ولقياه التباشيرُ
وتابعوا الحقَّ تسليما لإمرته | فتابعُ الحقِّ مَنهىٌّ ومأمورُ
ساد العشيرةَ مرزوقٌ سيادتَها | فى الدَّرّ(٨) متخَـل(٩) للملك مخبورُ
مرَدّدٌ من مطا(١٠) "عدنانَ" فى كرم الـ | أصلابِ كنزٌ لهذا الأمر مذخورُ

---

(١) الكور : الرحل . (٢) خوزستان : بلدة بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللُّور المجاورة لأصبهان وهى أشبه شىء بأرض العراق فى هوائها وصحتها . (٣) الكور ثنية فى بلاد اليمن . (٤) ميسان : كورة واسعة القُرى والنخل بين البصرة وواسط . (٥) غطارف : جمع غطريف وهو السيد الكريم (٦) دُودان : قبيلة من بنى أسد وهو دودان بن أسد بن خُزَيمة . (٧) المساعير : جمع مسعار وهو الشديد أو هو الذى يوقد نار الحرب كأنه آلة فى إيقادها . (٨) فى الدَّرّ بمعنى فى وقت الرَّضاع (٩) هذه الكلمة فى الأصل هكذا "مسحل" . (١٠) المطا : الظهر .

يَمِيه من "أســد" عِرقٌ يُوَشِّجُهُ (١)	الى "عفيف" وعرقُ المجد مبنورُ (٢)
وعن "دُبَيْس" بعُرفِ المجـدِ مولدُهُ	الى "الحسين" وأمرُ المجد مقدورُ
لا تخصِموا اللهَ فى تمهيــدِ إمرتِهِ	عليكُمُ، إنَّ خصمَ الله مقهــورُ
كفاكمُ الناسَ فامشوا تحت رايتــه	وكلُّ بيتٍ بكم فى النـاس مكثورُ
ولا تعزوا قُـدامَى مجدِكم حســدا	"لابن الحسين" بما تجنى المآخيرُ
أو فادّعُوا مثــلَ أيام له بهــرتْ	والحقُّ أبلجُ والبهتانُ مدحــورُ
لمن جِفانٌ (٣) مع النكباء مُتأَقَـــةٌ (٤)؟	ليلُ الضيوف بها جذلانُ محبــورُ
وراســياتٌ (٥) تدلُّ المعتمين اذا	ضجت زماجرُ (٦) منها أو قراقــيرُ (٧)
يرِدّها متأقاتٍ (٨) كلّما آنتقصت	مُرحَلٌ (٩) من صــفاياه (١٠) ومنحــورُ
يعاجلُ الآكلين الجازرونَ بها	فِلذًا وفِلذًا (١١) فشــوىٌّ ومقــدورُ
ومن جنـا النحلِ بيضـاء يلملمها	ماءٌ من الأصفر "السوسى" (١٢) معصورُ
على القِــرى ويطيب المشبعون بها	فى الجـدب والزادُ ممنــونٌ وممرورُ

(١) يوشجه، يمد بالقرابة . (٢) فى الأصل "مسور" . (٣) جفان : جمع جفنة وهى القصــعة . (٤) متأقة : ممـلوءة . (٥) يراد بالراسيات : القـدور . (٦) زماجر : جمـع زمجرة وهى الصياح والصخب، وصوت كل شيء زمجرته . (٧) القراقير : الأصــوات . (٨) متأقات : ممـلوءات . (٩) المرحل : الجمـل عليه الرحل . (١٠) الصفايا : جمـع صفىّ وهو ما يصــطفى ويختار . (١١) الفـلذ : القطعة من اللحم والمقدور : الموضوع فى القدر . (١٢) لعله يريد بالأصفر السوسىّ : العنب الأصفر المنسوب الى ديرالسوسىّ وهودير بناه رجل من أهل السوس وسكنه هو ورهبان معه فسمى باسمه وهو بنواحى سرّ من رأى بالجانب الغربىّ وفيه يقول ابن المعتز :

يا ليـالىَّ بالمطــيرة والكر * خ ودير السوسىّ بالله عودى

وقال فيه أحمد بن أبى طاهر :

ســقيَ سُرَّ مَنْ رَى وسكّانَها * وديرا لسوسيّها الراهبِ

وصافنات (١) تَضاغَى (٢) فى مَراسنها (٣) ... كأنهنّ على الصمّ اليعافيرُ (٤)

عتائقٌ أذعنتْ مثل الكلاب له ... ويومُ "طِخفةَ" (٥) مجهولٌ ومغرورُ

للموت يوم يخوضُ النقعَ جائزُهُ ... والغوثِ يوم تعاطاه المضاميرُ

يحملن نحو الأعادى كلّ ذى حنقٍ ... لم يرقب الموتَ إلا وهو مصدورُ

يستنشق الرَّدعَ (٦) من ثِنْيِ (٧) مُفاضتِه (٨) ... كأنّه بالدم المطلولِ معطورُ

فوارس إن أحسّوا فترةً وجدوا ... "أبا الفوارس" (٩) حيث اليوم مسجورُ (١٠)

او لم يُقيموا "شهابَ الدولتين" على ... أسيافهم لم يكن للضرب تأثيرُ

ومن فتًى كلُّ قوم وسمُ شهرتهِ ... على أسرّةِ وجه الدهرِ مسطورُ

كليلة "السُّوسِ" (١١) أوليل "البِذانِ" (١٢) وما ... حَمَى "بواسطَ" (١٣) تُنبيك الأخابيرُ

وموقف مُعلِمٍ أيّامَ منعكُمُ ... تُنسَى خطوبُ الليالى وهو مذكورُ

ومن سواه اذا ما الجودُ هدّده ... بالفقر فهو بذكر الفقر مسرورُ

لم ينبذ المالَ منفوضا حقائبُه ... حتى آستوى عنده عسر وميسورُ

اذا أضبتْ (١٤) على شىء أناملُه ... حفظا فأضيعُ عانيه (١٥) الدنانيرُ

---

(١) الصافنات : جمع صافن وهو من الخيل القائم على ثلاث أرجل . (٢) تضاغى : تصيح وتضور . (٣) مراسن : جمع مرسِن وهو موضع الرسن . (٤) اليعافير : جمع يعفور وهو تيس الظباء . (٥) يوم طخفة : من أيام وقائع العرب . (٦) الردع : الزعفران . (٧) الثنى : كل شىء ثنى بعضه على بعض فكل طاق من ذلك ثنى وفى الأصل "تنى" . (٨) المفاضة : الدرع السابغة . (٩) فى الأصل "حتى القوم" . (١٠) المسجور : المملوء وَقودا ، وفى الأصل "مسحور" . (١١) السوس : بلدة بخوزستان . (١٢) البذان : ناحية من أعمال الأهواز . (١٣) واسط : بلدة متوسطة بين البصرة والكوفة . (١٤) أضبت : احتوت وأمسكت . (١٥) فى الأصل "عافيه" .

تَسرى البدورُ[1] مطايا[ها][2] البدورُ[3] الى عفـاته ثم نتـلوها المعـاذيرُ[4]

شرى المحامد منـه بالتـلائد فال أموال منهوكة[5] والعـرض موفورُ

اذا حوى اليــومَ غُنما لم يدع لغــد حظًّا وعنــد غدٍ شأنٌ وتغيــيرُ

ذِلّى له ثم عِزّى يا بنى " أســد " فالغضُّ للحــقّ تعظيمٌ وتوقــيرُ

الناس دونك طــرًّا وهو فوقك وال آثارُ تَنصرُ قــولى والأساطيرُ

لكم مسامعُ " عدنانٍ " وأعينُهـا والنـاسُ صُمٌّ الى إحسانكم عــورُ

وأنتم الشامة البيضــاء فى " مضر " والمنبِتُ الضخمُ منهـا والجماهــيرُ

وهــل تكابر[6] فى أيام عزّكمُ قبيــلةٌ وَهْىَ[7] الغــرُّ المشاهــير

فيومَ " حجرٍ " و " حجرٌ "[8] كل ممتنع فى ملكه النجمُ مقبــوضٌ ومحجورُ

جرَّ الكتائبَ من " غسّانَ "[9] يقدمهـا عنــه مدلٌّ على الأقدار مغــرورُ

عنا له الدهرُ أحيـانا وأقــدره على الممـالك تأجيــلٌ وتعمــيرُ

فساقها نحوكم يبــغى إتاوتكم وأنتمُ جانبٌ فى العــزّ محــذورُ

يحلفُ لا آبَ إلا بعــد قسركمُ يا لكَ حَلْفًا لو آن الشــيخَ مبرورُ

لكنه لم يكن فى دين غــيركمُ لهـا سوى السيف تحليــلٌ وتكفيرُ

و " جندل " ولغت[10] فيــه رماحُكمُ وذيلُه مثــلُ ظهرِ الأرض مجرورُ

شفى " ربيعةُ " منــه غِلَّ مضطهَدٍ لم يركب السيفَ إلا وهو مغمــورُ

---

(١) البــدور : جمع بدرة وهى كيس فيــه عشرة آلاف درهم . (٢) ليست بالأصل .

(٣) يريد بالبدور النوق الممتلئة من قولهم : غلام بدر بمعنى ممتلئ تام تشبيها بالبــدر فى تمامه وكماله .

(٤) فى الأصل هكذا " سلوها العاذير" . (٥) منهوكة : منهوبة . (٦) فى الأصل " يكاثر" . (٧) الضمير فى "وهى" يعود على الأيام . (٨) يوم حجر : اليوم الذى قتلت فيه بنو أسد حجر بن الحارث الكندى وكان ملكهم . (٩) غسان : اسم قبيلة وماء فى اليمن بقرب سد مأرب . (١٠) ولغت : شربت كما يشرب الكلب بطرف لسانه .

والنارُ أضرمها آبن النار نحوكُمُ ... بالدارعين(١) لها وقدٌ وتسعيرُ
فردّه بغيه شِلوا(٢) وجاحمها(٣) ... بماء فوديه(٤) مطفيٌّ ومكفورُ
وسل "بفارعة" أبناءَ "صعصعةٍ" ... يخبرْك بالحقِّ مصفودٌ(٥) ومقبورُ
لم يقبلوا نصحَ أنفِ الكلبِ فانقلبوا ... بيومِ شرٍّ ثناياه الأعاصيرُ
وبالنِّسارِ(٦) وأيّامِ الجفارِ(٧) لكمْ ... مواقفٌ صونُها فى الأرض منشورُ
شكا سيوفكم "عليا تميم" بها ... الى "بنى عامرٍ" والسيفُ مأمورُ
ومرّ "حاجبُ" يرجو نصرَ سابقةٍ ... لها على النصر ترديدٌ وتكريرُ
"وبالمعلَّى" غنمتم طيِّبا فغدا ... يومٌ له غضَبٌ فيهم وتدميرُ
و"الحارثُ بن أبى شمرٍ" ينوحُ على آبـ ... ـن أختـه منكمُ والنوحُ تقصيرُ
تلك المكارمُ لا إبلٌ معزّبةٌ(٨) ... لها مع الحوْل تضعيفٌ وتثميرُ
ولا سروح يَغصّ الواديان بها ... فيها مُزَكَّى الى الساعى(٩) ومعشورُ(١٠)
وما طوى الدهرُ من آثاركم فعفا ... فإنه "بالحُسَيْنَيْنَ" منشورُ
[يا](١١) خيرَ من رُحِّلتْ أو أُسرِجتْ طلبا ... لبابِهِ العيسُ والخيلُ المضاميرُ
وخيرَ من قامرَ العافون راحتَه ... فراح قَرحانَ يزهو وهو مقمورُ

(١) الدارعون : لابسو الدروع . (٢) الشلو : العضو . (٣) الجاحم : الجمر الشديد الأشتعال أو معظم الحرب وشدة القتل فى معاركها . (٤) الفود : ناحية الرأس . (٥) مصفود : مقيّد . (٦) النسار : ماء لبنى عامر له يوم لبنى أسد وذبيان على بنى جشم بن معاوية ، وفى الأصل "اليسار" . (٧) الجفار : ماء لبنى تميم بنجد ومنه يوم الجفار وهو يوم مشهور كان فيه حرب بين بنى بكر و [بنى] تميم على هذا الماء وكان على بنى تميم فى هذين اليومين حاجب بن زرارة .

(٨) معزّبة : متروكة مغيّبة . (٩) الساعى : من يأخذ الزكاة . (١٠) المعشور : ما يؤخذ عشره زكاة ، وقد ورد هذا البيت فى الأصل هكذا :

ولا سروح الى بعض الواديان بها * فيها مزكى الساعى ومعشور

(١١) ليست بالأصل .

ومن يـــذم عطاياه ويلمنهـا إلا الذى هـــو إسرافٌ وتبـــذيرُ
زجرتُ بآسمك دهرى أو تمهّـدَ لى والدهر بآسم الكريم الحـرّ مزجورُ
وقام ســعدُك حتى قوّمتْ يدُه قنـاةَ حظّى ثقافا وهو ماطـــورُ (١)
سحرتُ جودَك فآستخرجت كامنَـهُ إن الكريم ببيتِ الشـعرِ مسحورُ
وآبتعـتنى بجزيل الرفـدِ مرتخصا حتى ربحتُ وبعض البيع تخسـيرُ
آمنت فى الشــعر توحيدا بمعجزآ ياتى وفى الشـــعر إيمانٌ وتكفيرُ
ولم تكن كرجالٍ سمـعُ عِرضهمُ مُصغٍ لمـدحى وسمعُ الجود موقـورُ
لهم من العـــرب العرباء ما آقترحوا إلا النـــدى فهو تعليلٌ وتعـذيرُ
وسابقاتٌ أناخت فى فِنائكمُ ثم آنثنت (٢) وهى بالنعمى مواقـيرُ (٣)
لكنّ محـــروبةٌ (٤) منهنّ واحـــدةٌ سهوتَ عنهـا وبعضُ السهو مغفورُ
تقـدّمتْ ونى مذ حـــولٍ مؤخّرةٌ وربمـا كان فى التأخير توفـيرُ
وهل يحـلُّ بلا مهرٍ وقـد نُكحتْ بَضْعُ الكريمةِ والمنكوحُ ممهـورُ
فآجمع لها ولهـذى نصفَ حظّهما من النـــدى بات شفعا وهو موتورُ (٥)
فالواهبُ العـدلُ من كرّت نوافلُه ودائمُ المـــدحِ ترديدٌ وتكريرُ
أكسُ — وحرمتِنا — عندى جمالَها فالجودُ بالمـالِ ما لم تكسُ مبتـورُ (٦)
وآردد رسولى يغاظ الحاسـدون به ضخمَ العيابِ عليــه البشرُ والنـورُ
فـا رمتــك الأمانى الواسعات به إلا ومنها عيونٌ نحـــوه حُورُ
ولا سمحتُ لملْكٍ قــطّ قبلَك بآقـ ـتضاءِ رفـدٍ ولكن أنت منصـــورُ

---

(١) ماطور : معطوف مثنىّ . (٢) فى الأصل "انثنت" . (٣) مواقير : مثقلات . (٤) المحروبة : المسلوبة المال . (٥) فى الأصل "موقور" . (٦) فى الأصل هكذا "مسور" .

وباقيات على الأحساب سائرة (١) تصول نحولك حتى يُنفَخَ الصورُ (٢)
للشعر من حولها مذ صرتَ قبلتَهُ طرفٌ بفنجٍ وتهليلٌ وتكبيرُ
كأنها يومَ تسليمِ الكلام بها حقٌّ وكلّ كلامٍ بعدها زورُ
يغدو بها الشادنُ الشادى بمدحكمُ كأنّ أبياتَها كأسٌ وطنبورُ
ما ضرَّها وأبوها من فصاحته "زارٌ" أنّ أبى فى البيت "سابورُ"
فاسمع لها وتمتَّعْ ما آقترحتَ بها تَبقَ ويفنَى من المال القناطيرُ
مقيمة بين نادى ربِّها ولها بالعرض ما آنطلقتْ جَدٌّ وتشميرُ (٣)
سكَتُّ حينا ومن عذرٍ نطقتُ بها إن السكوت على الأجواد تذكيرُ

وقال يمدح الوزير أبا الفضل محمد بن عليّ بن الطيب

سائل الدارَ إن سألتَ خبيرا وآستجِرْ بالدموع تدعُ مجيرا
وتعوَّذْ بالذكر من سُنَّة الغد ر فلا حب أن تكون ذكورا
المغانى أحفى بقلبى من العذ ل وإن هجن لوعةً وزفيرا
أفهمتنى على نحولِ رباها فكأنى قرأتُ منها سطورا
يا مُعيرِى أجفانَه أنا أغنَى بجفونى الغِزارِ أن أستعيرا
دمُ عينى "بالسَّفح" (٤) حَلَّ لدارٍ لا يرى أهلُها دمًا محظورا
ومشيرٍ بالعذل كامنَ أشوا قِ مشيرٍ ولم أكن مستشيرا !
لامنى فى الوفاء، مات ملوما فيه أو عاش عاشقا مهجورا
يا حُداةَ الركابِ لا وألَ القا صدُ منكم غير الحمى أن يجورا

(١) فى الأصل هكذا "وباهات". (٢) فى الأصل "نحول". (٣) فى الأصل "حد".
(٤) السفح : اسم موضع وفيه تورية حسنة لما يتضمنه من معنى السفك والإراقة.

"رامةٌ" بى وأين "رامـــةُ" منّى أنجدَ الركبُ ، والهوى أن أغـورا

هى دار العيش الغرير بمـا ضمّـ ـت قضيبـا لَدْنا وظبيا غـــريرا

ما تخيّلتُ أنهـا جنـــةُ الخلـ ـد الى أن رأيتُ فيها الحـــورا

يا لُواةَ الديون هـــل فى قضايا الـ ـحسن أن يمطُلَ الغنىُّ الفقـــيرا ؟

لِىَ فيكم عهـــدٌ أغيرَ عليـــه يومَ "سَلع" ولا أسمِّى المغـــيرا

احذروا العارَ فيـه ، والعارُ أن يمـ ـسى ذمامى فى رعيـهِ مخفـــورا (١)

أو فـــردُّوا علىَّ حــيرانَ أعشى ناظرا قـــد أخذتموه بصـــيرا

أنا ذاك آعتبـــدتُ قلبى وأنفقـ ـتُ دمـــوعى عليكُمُ تبـــذيرا

فآحفظـــوا فى الإسار قلبـا تمنّى شغفا أن يمـــوتَ فيكم أســـيرا

وقتيـــلا لكم ولا يشتكيكم هـــل رأيتم قبـلى قتيلا شكورا

اعرفوا لى اذا الجـــوارحُ عوفـ ـين ندوبا فى أضـــلعى وكسورا

باقياتٍ وقـــد جررنَ عليهـ ـن الليـالىُ معـــدودةً والشهورا

نَصَـلَ الحولُ بعـــدكم وأرانى بعـــدُ من سكرة النوى مخـــورا

ارجعوا (٢) لى أيامَ "رامـةَ" إن كا ن كما كان وآنقضى أن يحـــورا

وشبابا ما كنتُ من قبـلِ نشرالـ ـشـيب أخشى غرابَهُ أن يطـــيرا

إن تكن أعينُ المهـا أنكرتنى فلعمرى لقـــد أصبن نكيرا

زاورتْ خَبّتين مـــنِّىَ : إقتـا (٣) را يقـــذى عيونَها وقتـــيرا (٤)

كنتُ ما قـــد عرفن ثم آنتحتنى غـــيَرٌ لم أُطقْ لهـا تغيـــيرا

وخطـــوبٌ تُحيـلُ صِبغتَها الأبـ ـشارَ (٥) فضلا عن أن تُحيلَ الشعورا

---

(١) المخفور : المنقوض . (٢) فى الأصل "ارجوا" . (٣) الإقتار : الفقر .

(٤) القتير : الشيب أو أوّل ما يبدو منه . (٥) الأبشار : جمع بشرة وهى الجلد الظاهر .

وآفتقادى من الكرام رجالا كان عيشى فى ظلّهم مستورا
ينضحون الفتيق منّى بأيدٍ ناعشاتٍ ويجبرون الكسيرا
فارقونى فقلّلونى وكم كا ثرتُ دهرى بهم فكنتُ كثيرا
ولعمرى لربما عاسر الحـ ـظُّ على القَوْد ثم جاء يسيرا
ولقد أبقت الليالى "أبا الفضـ ـل" فأبقت (١) فى المجد فضلا كبيرا
قسما بالمقلَّداتِ الى "جمـ ـع" عهونا (٢) محبوكةً وضفورا،
يتلاحكن (٣) فى المضايق أو يُد مِينَ فيها صلائفا (٤) ونحورا،
كلّ تلعاءَ (٥) كالبنيّة تعطـ ـيك سَناما طورا وعينا حفيرا،
سرَّها ما تزيّنتْ، ولأمرٍ ساءها عجّلوا عليها السرورا،
بينما أن رأيتها وهى ملءُ الـ ـعين حسنا حتى تراها عقيرا،
منحوها ذاتَ الإله فلم يفـ ـترضوها إلا الصفىَّ الأثيرا،
والملبّين حرّموا اللُّبسَ والطِّيـ ـبَ آحتسابا والحَلْقَ والتقصيرا،
هوّنوا الأنفسَ الكرامَ فباعو ها على الرُّخص يشترون الأُجورا،
يُجهدون الأرماقَ أو شهدوا "بالـ ـخَيف" ذاك المسعَى وذاك النفيرا،
حَلِفٌ لا تَعيثُ فيه يدُ الحِنْـ ـثِ بإفك ولا يكون فُجورا،:
أنّ "كافى الكُفَاةِ" خيرُهمُ بالـ ـبيت والنفس أوّلا وأخيرا
من رجالٍ اذا آنتموا نسبوا بيـ ـتا من المجد آهلا معمورا
بالمساميح الطيّبين بنى "الطّـ ـيِّـ ـب" أضحى سَبْطُ (٦) التراب عطيرا

---

(١) فى الأصل "أبقيت". (٢) عهون: جمع عهن وهو الصوف، ويشير بذلك الى النوق التى تُهدَى للكعبة. (٣) يتلاحكن: يتلاصقن ويتلاءمن. (٤) صلائف: جمع صليف وهو عرض العنق. (٥) التلعاء: الطويلة الجيد. (٦) السبط نقيض الجعد وهو الرخو المسترسل.

يُمـــتَرَى ماؤه عُقارا ويُستا (١) ف ثـــراه أَلُوّةً وعبـــيرا (٢) (٣)

شرفٌ زاحمَ النجـــومَ على الأُفْـ ـق فأربَى عزًّا عليها ونورا

درجوا فيـــه سيّدا ســيّدا قِدْ مًا وزالوا عنـــه وزيرا وزيرا

يتواصَوْن بالمعـالى فيقتا فُ الفـتى الحىُّ منهم المقبــورا

وإذا حوسـبوا على الحسَب الأبـ ـعدِ عَدُّوا "بَهرام" أو "سابورا"

ومناجيب محصنـات توحَّــدْ ن بأن لا يلدنَ إلا الذُّكورا

زعمـاء على المـــلوك اذا ما آعـ ـتورَ الملكُ ناصحا ومشـــيرا

وكماة عـــلى الوسائد إمَّا آقـ ـتعـــدوها يُقَسِّمون الأمـــورا

غوّروا غـــورةَ النجوم وبقَّـــوْا عَلَمًـا ردّ طيَّهـــم منشــورا

وتصفَّوا من "ناصر الدولة" آبنا ـ يشهد الفخرـ ظافرا منصورا

لحِقَ الأصـــلَ ثم ساد بنفس ظفرتْ بالنـــدى وزادت كثيرا

فضحتْ بالنـــدى الغمامَ وردّتْ بالمسـاعى شَوطَ الرياح حسـيرا

أنِفتْ أن تَرَى لهـا فى بنى الدهـ ـر اذا نوظـــر الرجالُ نظــيرا

فآمتطت وحـــدَها الى غاية المجـ ـد ظُهـورا خُشْنًا وطُرْقا وُعُـورا

راكـبُ العـزّ فى مفاوزها اليهـ ـماءِ سارٍ لا يركب التغـــريرا (٤)

يبتغى حقّــه من الشرف الأبـ ـعـــدِ خوضا اليه أو تشـــميرا

وآنتهى حيث لا يَرَى النجمُ فى الأفْـ ـق صعودا ولا الهلالُ مســـيرا

تارةً بالمَضاء يســـتخدمُ العـــز مَ وطورا يستخدم المقــدورا

مدَّ باعا فى الفضـــل طال لأمرٍ كان عنـــه باعُ الزمان قصـــيرا

(١) العقار : الخمر . (٢) يستاف : يشتم . (٣) الألوّة : العود الذى يتبخّر به .

(٤) اليهماء أو اليماء : المفازة لا يهتدَى فيها ، وفى الأصل " الهماء " .

لم يلامس خطبا وكان جسيما ... فى المعالى إلا رآه حقيرا

وأظنُّ آستقلالَه الدَّستَ أن ير ... كَبَهُ يملكُ الزمانَ السريرا (١)

قهر الدهرَ وهو يقهره الجو ... دُ فناهيك قاهرا مقهورا

وآكتسى حُـلّةَ الغنَى وسلبنا ... ه فأكرِمْ بـه غنيّا فقيرا

لاح فينا فأقمرتْ ليلةُ البد ... رِ وأعطَى فكان يوما مطيرا

وسَلَوْنا بجودِهِ الحىَّ أيْما ... نًا دُروسا من الكرام دُثورا

وشهدنا نداه حقّا يقينا ... وسمعنا عنهمْ ضجيجا وزورا

ورَوِينا بماله الوشَلِ العِدِّ (٢)(٣) ... وأعطَى قومٌ وكانوا بحورا

وسرَى ذكرُه فلم يُبْقِ يوما ... لَهُمُ فى سماحهم مذكورا

يا "أبا الفضلِ" والفضائلُ إن قا ... ضين يحكمنَ فِيَّ أن لا تجورا

أتناسيتَ أو نسيتَ حقوقا ... لِىَ لم آلُكم بها تذكيرا

ووعودا يكنّ عند الكريم الـ ... ـعهدِ حتى يفِى بهنّ نذورا (٤)

وغُروسا (٥) لى فى ثراك الزكىّ ا ... لرَّطبِ يرجو مثلى بها التثميرا

وصفاتى (٦) على لسانك يُسمعـ ... ـن الصفا الصلدَ والفتى الموقورا

فعلام آستردّك الدهرُ منّى ... مكرها بعد خِبرتى (٧) مقسورا

نعمةٌ نُفّرتْ وما كنتُ يوما ... بالعطاء الهنىِّ منها كفورا

وعَذارَى من القوافى تعوّضـ ... ـتُ بهنّ التعليلَ والتعذيرا

لم يكن حجُّها وقد جهدَتْ فيـ ... ـه الى كعبة العلا مبرورا

---

(١) هكذا بالأصل رسما وشكلا وهو لا يخلو من التعقيد . (٢) الوشل : الماء القليل .

(٣) العدّ : الماء الجارى الذى له مادة لا تنقطع كماء العين والينبوع . (٤) فى الأصل "بق" .

(٥) فى الأصل "وعَروسا" . (٦) فى الأصل "وصفانى" . (٧) فى الأصل "عن خبرتى" .

ألظنّ ؟ وربمـا كان إثمـا كنتَ لو قـد عصيتَه مأجورا
لم تدنّس عِرضا ولم تؤت بالذنـ ـب آعتمادا فيـــه ولا تقصـــيرا
لم تكن صـــدقت بأوّل مـــديح ضاق وقتٌ(١) عن ملكه فآسـتعيرا
لتمونى فيـــه وربَّ مـــلوم كان فى غيبِ أمره معـذورا
هو شـعرى وفيـك قيل آبتـداءً جاء أو كان راجعا مكرورا
ولعمرو الواشى لقد(٢) كان ذنبـا هينـا لو وهبتموه يســـيرا
وآعترافى بالهفـــوة الآن يمحو من خبايا الصـــدور تلك الوغورا(٣)
والقـــوافى عنى عبيـــدٌ منيبـا تٌ فكن لى بالصـــفح ربًّا غفورا
لك أبرزنَ بعـــدَ أن رُدَّ عنهـ نَّ بعُـــولٌ أَسْـنَوا(٤) الىَّ المهـــورا
وأرى النزرَ من ودادك أو رفـ ـدك حظًّـا فى مهرهن خطـيرا
باقيـات فى الدهر ما بـقِىَ الدهـ ـرُ وناصى(٥) "رضوَى" أخاه "ثبيرا"
فآستمعهـا مختومةَ العـذرِ أبكا را الى اليـــوم ما برحنَ الخـــدورا
تُتلفُ المـالَ لا تبـالى اذا أحـ ـرزتَ فى الأرض كنزها المذخورا
واذا ما وجـــدن عِرضا بهيا مدلهمًّا طلعنَ فيـــه بدورا
عوَضًا من عتـابك المرِّ حتّى تشربَ الشكرَ منـك عذبا نميرا
نِعَمَ ما تقتـــنى مقيما وإن سا فرتَ كانت الى النجاح سـفيرا
فآحتفظ قاطنا بهـا وآسر مغبـو طا عـــلى ملك مثلها محبـــورا
وتزوّدْ منهـا على صحبـــة اللّـ ـه متـاعا اذا عزمتَ المســيرا
وكُن القَــرْمَ من ملوكِ "بنى مر وانَ"، لى أن أكونَ فيك "جريرا"

---

(١) فى الأصل " ضاف " . (٢) فى الأصل "فلو" . (٣) الوغور جمع وغر وهو الحقد والضغن . (٤) أسنوا المهور : جعلوها سنيّة . (٥) ناصى : مدّ كلّ منهما ناصيته للآخر .

وقال يمدح عميد الدولة أبا سعد فى النيروز

طوى الليلَ راكب أخطارِهِ ... على شحْط دارِىَ من دارِهِ،

خيالٌ وفَى بضمان الهوى ... فجاء رسولا لغتارِهِ[1]،

سَرى من ضنينٍ بمعروفه ... تَعرَّض فِىّ لإنكارِهِ

حبيبٌ جبانٌ بغير الوصال ... شجاعٌ بإهداء آثارِهِ

طُرِقتُ بما زار من طيفه ... كأنى طُرِقتُ بعطّارِهِ

تطلّعَ يُقصِرُ ليل التمام ... طلوعَ كواكبِ أسحارِهِ

بأشنبَ[2] يسمحُ للراشفين ... بنهب ودائعِ خمّارِهِ

اذا أسكرتْ دائراتُ الكئوسِ ... صحا الشاربونَ بأدوارِهِ

أقام فواقَ وجلّى به ... من الصبح أخبثُ أطيارِهِ[3]

وبرقُ خشوعِىَ من طيفه ... وماءُ جفونِىَ من نارِهِ

تَعرَّض لى شفق الأبحرى ... تنزو الرياحُ بأشطارِهِ

فطارحنى من حديث "العُذَيب" ... وفاكهنى طيبَ أخبارِهِ

أرانى مَواقدَ نيرانه ... بعيدا ومجلسَ سُمّارِهِ

وذكّرنى زمنًا ما شربتُ[4] ... دموعِىَ إلا لتَذكارِهِ

وليلا عدمتُ ضياءَ السرو ... ر منذ فُجعتُ بأقمارِهِ

وهيفًا غذاهنّ وادى النعيم ... بجنّاته وبأنهارِهِ

ملَكن الهوى فأعرن القلو ... بَ ما شئْن منه سوى عارِهِ

(١) فى الأصل "لتزاره" . (٢) الأشنب : الثغر فى أسنانه ماء ورقة وبرد وعذوبة .

(٣) أخبث أطيار الصبح : الغراب . (٤) فى الأصل "شربت" .

فهنّ ظواهـرُ ما غاب منـه وهنّ بواطنُ أسـرارِهِ
وأبـله لا تجـد العينُ فيـه نهـجا يُقَصُّ بآثارِهِ
يقـلّ عليـه انتفاعُ الدليـل بتجـريبـه وبتكرارِهِ
ندَبتُ له يدَ طَبِّ(١) الحسابِ بإحمـاسـهِ وبإعشـارِهِ
غـنيٌّ عن النجم أن يَسـتدلَّ بـواقعـه وبطـيّارِهِ
ونبّهتُ ذا رقـدةٍ حُـلوةٍ فقـام لأمـرى وإمرارِهِ
يُخـال بخُـبرته بالفـضا ء أُعطِىَ قِسـمةَ أقطارِهِ
يدارِى الى السوط جفنا خيوطُ الـ ـكرى ممسكاتٌ لأشفارِهِ
فملنا الى جنح ليـلٍ يضيع بياضُ الكواكب فى قارِهِ
لعـزٍّ تركنا غـراما به سـروجَ الطـريق لأكوارِهِ(٢)
وأحرَى به أن يُجَلِّى دجاه بوجـهِ الوزير وإسـفارِهِ
وأن يضعَ السيرُ أثقـالَهُ اذا رُفِعتْ حُجُبُ أسـتارِهِ
اذا شُـرُفُ(٣) الدين حطّت به قَـدَرْنا سـراها بمقـدارِهِ
فطـاب المُقـامُ لقُطّانـه وقـرّ المطىّ بسُـفّارِهِ
اليـك آفتضضنا عـذارَى الـ ـسهوب بعُونِ الرجاءِ وأبكارِهِ
الى خـيرِ من حلّ شوقا اليه ركابُ المطىّ لأسـيارِهِ
فحـرّمها أن تشمّ الهـوانَ فـتًى لا يُجـارُ عـلى جارِهِ
كريمٌ يعـدُّك أغنيتَـهُ اذا أنت جئت لإفقـارِهِ
كأنـك أوّل أحبابـه اذا كنتَ آخـرَ زوّارِهِ

---

(١) الطب : الخبير . (٢) الأكوار : جمع كور وهو الرحل . (٣) شرف : جمع شارف وهى الناقة المسنة .

دع النـاسَ وٱعكف على بيتـه ... فــدَرُّ النـدى تحت أحجارِه

رِواقٌ ترى المجـدَ فى صـدره ... ورزقـك ما بين أكسارِه

وهَبْ عُشُبَ الأرضِ للـرائدين ... اذا ما وليـتَ بأقـطارِه

حَمَى اللهُ أبلـجَ ، بدرُ التمـا ... م يطلُـعُ ما بين أزرارِه

وحيّـا على رغـم زُهرِ النجـو ... م وجـهـا يعـمُّ بأنـوارِه

وأعـدى أعاديه من ماله ... اذا جاد قـلّةُ أعمـارِه

همـامٌ ظـواهرُ أسْـد الشـرَى ... تـلاوذُ فى الغـابِ من زارِه

يُهيب بهـا بعـد إصحـاره ... وترهَبُـه قبـل إصحارِه

حليم السـطا يترك الذنب[1] منـه ... بـوا هبـه وبغفّـارِه

تنـام عـلى القُـرُطاتِ العظا ... م عيناه إلا عـلى ثارِه

نهيتُ عــدوّك لـو أنه ... بـوعظىَ تاركُ إصـرارِه

وقلتُ : حـذارَك لا تغـترر ... بصـلِّ[2] الحَمـاطـةِ[3] فى غارِه

فبعـد سكينةِ مجموعـه ... تسـوءك وثبـة ثـوّارِه

فـلم ينتصـحنى ولم يعنـنى ... وقـد حان كثرةُ إنذارِه

ومرّ يجـارى عـلى الاغـترا ... ر من ليس من خيـلِ مِضمارِه

أراد ليغـمزَ صُـمَّ القنـا ... بجُـوفِ[4] اليـراع وخُـوّارِه

وشـاور فى البـغى شـيطانَهُ ... فأطغتْـه طاعـةُ أمّارِه

وعارَض معجـز آياتكم ... بكذّابـه وبسـحّارِه

تـوغّل يـدرُس آثارَكم ... فأنغض[5] من دون آثارِه

(١) فى الأصل "الذنب" . (٢) الصل : الحية . (٣) الحماطة : شجرة شبيهة بشجر التين ، وقيل : الجميزة . (٤) جوف : جمع جوفاء وهى الفارغة من القنا والشجر . (٥) فأنغض : فأضطرب .

ومــدّ ليحملَ ما تحمـــلون صـــليفا[1] ضـــعيفـا بأوقارِهِ
وكــان يلام فلمــا لحــا الى العجــز قام بأعــذارِه
ألم يكفِهِ غــدرُ كرّاته بــه وتقلّبُ أطــــوارِه[2]
وتجريبُــه معَكــم نفسَــه فينْهى اللجاجَ بإقصـارِه
ولمـا آنتصرتَ "بكافى" المهم أحسّ بخــذلانِ أنصـارِه
ظَفِـرتَ وها هــو تحت الإســا ر يأكل زائــدَ أظفـارِه
تُعــفّى الخطـايا بإقلاعــه وتمحــو الذنــوبَ بإقــرارِه
رضــيتَ بقُلّك حــتى تعزّ ويرضَى الهــوانَ بإكثارِه[3]
فقنطارُ مالك دون الأذى ومهجتُــه قبــلَ دينـارِه
تجلّتْ بســعدك غمّـاؤهـا فتــوقَ الصــباح بإسـفارِه
وغُرم الذى فات فى ذمّــة الـ ـقضـاء وسـابق أقــدارِه
وقــد جنَبَ الدهــرُ من نفعه منـائحَ[4] فى حبــل إصـرارِه
ســيأتى تنصُّــلُه آنفـا فيســفر فى حــظّ أوزارِه
ودون جنـا النحــل وخّازَةٌ تشــقّ عــلى يد مشــتارِه[5]
بقيتَ لملكٍ اذا كنت فيــه فإثراؤه مــع إصــفارِهِ
ويارَبَّ بيتِ النــدى لا أصيـ ـبَ منــك بســيّد عمّـارِه
ودارَ بمـا شئتَ قطب النجــو م تُعطَى ســعادةَ أدوارِه

---

(١) الصليف : صفحة العنق . (٢) و رد هذا البيت فى الأصل هكذا :

ألم يكفه غدر كرابة وتقلب أطــواره

(٣) الإكثار : نقيض القل ، وفى الأصل "يا كثاره" ولا يتفق وقوله "رضيت بقلك" فى أوّل البيت .

(٤) المنائح جمع منيحة وهى الناقة أو الشاة تعطيها غيرك ليحتلبها ثم يردها عليك . (٥) المشتار : جانى العسل .

وزار جنابَك هذا الربيعُ بمنخرق الخِلف[1] درّارِهِ
تجارِى سماحَك أنواؤُه وخُلْقَك زُهرةُ أنوارِهِ
يؤديك نيروزُهُ سالما الى صومه ثم إفطارِهِ
وبُقّيتَ لى وَزَرا لا تَدرُّ سحابى إلّا بإعصارِهِ
لمضطهَدٍ يُسرُهُ ما آتسعتَ وضيقُك آيةُ إعسارِهِ
رَمانى[2] زمانى بما نابكم فأغرق فى نزع أوتارِهِ
وعمّق يجرحُ ما لا تنال كفُّ الطبيب بمسبارِهِ
فإن كَلْمُ[3] قلبى وإحراقَه الى فقر ربعى وإقفارِهِ
فلا يعدمنكم شريبٌ لكم على حلو دهرٍ وإمرارِهِ
سليم الأديم على ودّكم اذا راب كثرةُ عوّارِهِ
يمدّكُمُ ما آستطاع الثناءَ بقاطنه وبسيّارِهِ
اذا لم يجد حبوةً بالثراء حباكم بصفوة أفكاره
فإن فاته بيدٍ نصركم أظلّكُمُ نصرُ أشعاره

* *

وقال وهو من قديم قوله فى اللغز المعمّى فى صيّادِ برقّ[4] .

ما ناشرٌ ذو مخاليـ ـبَ لم يُنَطْنَ بظُفرِهْ
يبغى فينشُرُ مكرًا يطويه من بعد نشرِهْ
له مكايدُ شرٍّ وخيرُه قبلَ شرّهْ
ينال بسط يديه بضمّ ما تحت صدرِهْ

---

(١) الخلف : حلمة الضرع . (٢) فى الأصل "زمانى" . (٣) الكلم : الجرح .

(٤) الرَّق : بالفتح والضم الماء الرقيق فى البحر أو فى الوادى .

يعـــدو برقٍّ خبيث ... لِحِـــلّه ولطُهــرِهْ
شطرين يمشى بشطرٍ ... وشطره فوق مُهرِهْ
عـلى أقبَّ (١) خفيف ... مُحمَّـلٍ فوق وِفْـرِهْ
طورا له هو ظهـرٌ ... وتارةً فوق ظهـرِهْ
فيـا لريّانَ غضَّ الـ ... ـمعاش معْ طول ضُرِّهْ

وقال فى سمكة

وجاريةٍ بيضاءَ حمـراءَ ربمـا ... تكون غدًا سوداءَ إن شئتَ أو صَفْرا
تعيش بخفضٍ ما تمنّت ونعمــةٍ ... بحيث سواها لو يُرَى فارقَ العمْــرا
سرت تقطع الخَرقَ الوسيعَ وما مشت ... ولا ركبت فيــهِ سفينا و لا ظَهْـــرا
مسربلةً لم تدفع النَّبـــلَ دِرعُهـا ... وعُريانةً لم تشـكُ قيظـا ولا قُـرًّا
تطفَّـــلَ حتى زفهـا لك جاهرا ... اذا صاعبتـه عدّ إعسـارَها يُسرا (٢)
وأعجبـــه ممـا يميِّـز أنهـا ... اذا هى زادت كبرةً زدته مَهْــرا
يحـــلُّ له منهـا الحــرامُ لمعشر ... يكونون فى جِنسٍ سوى جِنسها بحرا

وقال وقد اتفق وقوعُ شَغَبٍ مفرطٍ لم تَجرِ بمثله عادةٌ من الأتراك ببغـداد على شاهنشاه ركن الدين، وفسادُ دينٍ فى إزعاجه عن داره، فخرج منها ليلا على رِقبةٍ، وتوجّه الى عكبراء لاجئا الى بلاد غَريب بن مقن ، وصادف هنـاك وزير الوزراء أبا القاسم هبــة الله بن علىّ بن ماكولا، وكان قاطنـا فى تلك النواحى، وقد تردّد له

(١) الأقبّ : الضامر البطن . (٢) كذا بالأصل ولعل قبل ذلك بيتا أو أبياتا يقتضيها السياق .

خطاب على الوزارة فى أوقات مختلفة، ثم يبعد ويتوجّه ثم يقف، فلما أدركه ملك الملوك هناك آستروح الى وجوده، وآستوزره، وآستضاء برأيه فى كشف الغمة، وتدبر بينهما ما آل الى إصلاح أمر الملك، وعَودِ الأتراك الى طاعته، وإبعادهم مَن سَعَى فى الشغب عليه، وجرى ذلك على يد الوزير أبى القاسم، وورد الى بغداد، وقد آستتب لها الأمر، ووصل الوزير الى دار الخلافة، فخلع عليه بها خلعة شريفة، ووثق له على غاية ما آقترح من الوثيقة، وكان للأستاذ أبى الحسن (١) مهيار أسلاف عنده من خِدَم متقدّمة، وحقوق بالمدائح متأكدة، ومودّة بحضرته الجليلة مستحكمة، فوصف ما جرى، وذكر القصّة ببغداد فى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة

أفاق بها من طول سكرته الدهرُ ... وفُكّت أمانٍ فيك ماطلها الأسرُ
وأسمحتِ الأيام بعد حِرانها ... ونهنهها الوعظُ المكرَّرُ والزجرُ
حملت تمادى غيّها ولَجَاجها ... على غاربٍ لم يُدمه النَّدْبُ (٢) والعَقْرُ
نَهُوض اذا خار القَقار (٣) نجت به ... جوارحُ صُمٌّ كلُّها فى السرى ظَهرُ
وأرعيتها الإمهال علما بأنها ... اليك ــ وإن طال التنازعُ ــ تضطرُّ
وما فات مطلوبٌ سرى الجدّ خلفه ... وضامِنُه العمرُ المؤخَّر والصبرُ
وقد كنتُ أستبطى القضاءَ وسعيَه ... وأعذُله فيما ينوب وما يعرو
ويُقنِطنى ما يستقيم ويلتوى ... ويُقبِل من أمرٍ عليك ويزورُّ
ولم أدر أن الله أخّر آيةً ... له بك فى إظهار معجزها سرُّ
وأنك مذخورٌ لإحياء دولةٍ ... اذا هى ماتت كان فى يدك النشرُ

---

(١) كذا فى الأصل وفى الوفيات لآبن خلكان أن كنيته "أبو الحسين" وقد نبهنا الى هذا الخلاف فى الجزء الأوّل فى ترجمة مهيار . (٢) الندب : أثر الجرح الباقى على الجلد . (٣) القَقار : ما آتسق من عظام الصلب من لدن الكاهل الى العَجْب .

تعاورها شـــلّ الغواة وطـــردُهم ... تساق على حكم الغوارِ (١) وتُجتَرُّ

لهـا جانب من خوفهـم متسهلٌ ... وآخر يرجو أن تداركه وعرُ

مزعزعـــة أيدى سَبَا بين معشرٍ ... همُ غمطـوا النعمى وغمطهُـمُ كفرُ

ولم أر كالعبـــد المـــوسّم آمنـا ... يروّع منـــه ربُّه الملـك الحـــرُّ

محافـــرُ أكدت (٢) فى أكفٍّ تخاذلت ... فكان عليهـا حَثْو ما فَحص الحفـرُ

ولمـا نبت بالمـــلك دارُ قـــرارِه ... ومال (٣) عليـــه منهـــم الفاجرُ الغِـــرُّ (٤)

وسُرّحَ من مكنونه الخـوفُ حائمـا ... عليـه وأبدى من نواجـذه الشرُّ

وكوشف حتى لم تحصّـنه رِقبـــةٌ (٥) ... ولم يبـــق بابٌ للحيـاء ولا سِترُ

أتتك به الظلمـاءُ يركب ظهرَها ... على ثقـــةٍ من غِبّـــه أنك الفجـــرُ

يناديك : قم ! هـــذا أوان آنتهازها ... فشمّر لهـا قد أمكن الخائضَ البحرُ

فما ضرّه خـذل الذين وراءه، ... وقـــدامه منـــك الحمِيّـــةُ والنصرُ

تلافيتهـا بالرأى شـــنعاءَ لم تُجُـــزْ ... بظنٍّ ولم يُنفَـقْ على مثلهـا فكرُ

دعاك لهـا يا واحدا وهـــو واحـــد ... فأصرخه من نصحك الجحفـــلُ المَجْرُ (٦)

وفى النـاس من تسرى له عزماتُه ... بعيـدا ولم يُشكَمْ حصـانٌ ولا مُهـــرُ

وأعـــزلُ ما مدّ (٧) الســـلاحَ بنـانُه (٨) ... تَلاوذُ من فتكاته البيضُ والسمرُ

وما كان إلا أن وفيتَ بعهـده ... وأسميتَ حتى مات من خوفك الغدرُ

فكنت عصا "موسى" هوت فتلقّفت ... بآيتها البيضـاءِ ما أفَـــكَ السِّـــحْرُ

طلعت لنـا بالملك شمسـا جـــديدةً ... أعادت بيـاضَ الحقّ والحقُّ مغـــبرُّ

---

(١) الغوار : الغارة وفى الأصل " يساق على حكم الغوار و يجتر " . (٢) أكدت : صلبت .

(٣) فى الأصل " وما " . (٤) الغر : الجاهل بتجربة الأمور وفى الأصل " البر " .

(٥) فى الأصل " رقبة " . (٦) الجحفل المجر : الجيش العظيم . (٧) فى الأصل "ملّ" .

(٨) فى الأصل "بناتُه" .

ترحّل فى يـــوم من الشرّ عابس — وعاد وقــد أعداه من وجهك البشرُ
اضاءت لنـا من بعـد ظلمتها الدجى — فقلنا : الوزير " القاسمىّ " أو البدرُ؟
وكم مثلهـا من غُمّــةٍ قــد فرجتُمُ — ومن دولةٍ هيضت وأنتم لهـا جَـبْرُ
دجَتْ ما دجت ثم انجلت وسيوفُكم — كواكبُ فيهـا أو وجوهكم الغُـرُّ
بكم رُبّ هـــذا الملكُ طفلا وناشئـا — فـا ضمّه حصنٌ سـوا كم ولا حِجـرُ
وفيكــم نمت أعراقـــه وفروعه — ورفّت على أغصـانه الورَقُ الخُضْرُ
لكـم فيـــه أيامٌ يزيد بياضُها — نُصــوعا وأيامُ الأعادى بهـا حُمْـرُ
يداولُ منكم واحدا بعـــد واحـــد — فيُرضيه ما تُمـلى التجاربُ والخُـبرُ
وما تمّ أمرٌ لســتُمُ من وُلاتِــهِ — وليس لكـم نهىٌ عليـــه ولا أمرُ
لكم سورةُ المجـدِ التليـــدِ وفيكُمُ — طرائفُ من يفخرْ بهـا فهِىَ الفخرُ
فيــوما أمــيرا سيفُه ويمينُـــه — حمى جانبيه أوحيا — الدمُ والقَطرُ
ويـــوما وزيرا صـــدرُه ولسـانه — كما اشترط(1) القرطاسُ واقترحَ الصدرُ
هو الشرفُ " العِجلىّ " يَصدَعُ بَحرُهُ — وتُغــنِى عن الدنيـا كواكبُه الزُّهرُ
ويستوقف الأسمـاعَ منشورُ ذكرِهِ — اذا وصم النـاسَ الأحاديثُ والذكْرُ
فلا يعـدَم الدهرُ الفقـيرُ اليكُمُ — فــتًى منكُمُ فى جوده يُنسَـــخُ الفقرُ
ولا زال مغمورٌ من الفضـل دارسٌ — يعــود به غضّـا نـوالُكُمُ الغَمْـــرُ
ومُلّيتَ أنتَ ثــوبَ عزٍّ سحبتَـــهُ — ولا يُبْـــلِهِ سَحْبٌ عليـــك ولا جَرُّ
يطول الى أن لا يُرَى ما يطوله — ويمتـــدّ فيه العمرُ ما حسُنَ العمـرُ
وعذراءَ بكرا من عوارفِ ربّهـا — حُبيت بهـا، ما كلّ عارفــةٍ بِكرُ!
رآكَ الإمامُ كفئَها وقِـــوامَهـا — فسـيقت وما إلّا علاك لها مَهْـــرُ

(1) فى الأصل " اشتط " .

(٢١٥)

لبست بهـا تاجا وحصنا حصينـــةً (١) وإن لم يصغها لا الحـــديدُ ولا التبرُ

تمـــنّى رجالٌ أن يكونوا مكانَهـا ففاتت ولم يقــدِرْ على مثلهـا قــدرُ

مشيتَ على بُســطِ الخلافة واطئـا مكانا تمنّاه من الفَلَك النّســرُ (٢)

مكانا زليقـا لو ســواك يقومُـــهُ هوت رِجلُه أو ظَنَّ أن الثرى جَمــرُ

وقلب شجـاع القلبِ والفمِ باســطا لسـانَك حيث القـــولُ محتشمٌ نَزْرُ (٣)

ولمـا وَعدتَ بالطـــروق تشوّف الـ ـــسريرُ الى رؤياك وآشتاقك القصرُ

وودّ ولىّ الأمر كلُّ صبيحـــة لعينيه عن إقبـال وجهـــك تفـــترُّ

مزايا اذا خاف الكَفـــورُ سراحَها فعنـــدك فيهـا أن يقيّـــدك الشكرُ

وقد كنتُ أرجـــوها وأزجرُ طيرَها بفألٍ قضى أن لا يخيبَ له زجرُ

وأنذُر إن أدركتُهـا فيـــك منسكا أقوم به فاليوم [قد] (٤) وجبَ النــذرُ

وفاءً عصى أن يستحيلَ به النـــوى وعهـــدا تعـالى أن يغيّره (٥) الهجـــرُ

وشفعـا لأســـلافٍ لديك شفيعها مطـاع وقاضيهـا له الحكم والأمرُ

وإن مسنى لذع (٦) الجفـاء وطـال بى فـــربّ جفـاءٍ فى مـــدارجه عُذرُ

وقد أمكن الإنصافَ والجـودَ فرصةٌ اذا أعـــوزتْ فى العسر قام بها اليسرُ

وهـــل ضائعٌ حقّ ومجـدُك شاهدٌ بفضلى، وسلطانى على مالِك الشعرُ؟

اعد نظـــرةً تشجى الزمان بريقـــه يراشُ بهـا المحصوص (٧) أو يُجبر الكسرُ

ووفّر لهـا أعـــواض مافات إنهـا غنيمةُ مجـــدٍ يُستقَلّ بهـا الوفـــرُ

فما زلتُ ألقَ العُدمَ جذلانَ مهـــونا بمـا جرّ علمـا أنّ رأيـــك لى ذخرُ

---

(١) الحصن : السلاح والسلاح يذكر و يؤنث . (٢) النسر : اسم لكوكبين أحدهما يسمى النسر الواقع، والآخر يسمى النسر الطائر . (٣) النزر : القليل . (٤) ليست بالأصل . (٥) فى الأصل "يعيّره" . (٦) فى الأصل "لدغ" . (٧) المحصوص : الذى نتف ريشه .

وقال فى الطبل

دلّ على الخير وأنبائه ودلّ أحيانا على الشرّ
للطالبين الوِتْرَ عونا اذا ثاروا ومأخوذ بلا وِتْرِ
باح بما ٱستودعتْه صدرُهُ لاضيّق الباع ولا الصدرِ
تمّ بقدٍّ لم يطلْ وٱنطوى مجتمعَ الأعضاء بالنشْرِ (١)
غير ضعيف أبدا أسره وهوطَوالَ الدهرِ فى الأسرِ

وقال فى أسطُرلاب (٢)

ماسائرٌ بين الورى دائرٌ بآيةٍ سائرةٍ دائرَهْ
يجولُ فى مستبهِم ضيِّق منه حِذاءَ الحَلْق (٣) الوافرهْ
تنظُرُ منه أبدا كلّما ليست له عينُك بالناظرهْ
يوجَدُ منه ناحلٌ مسمِنٌ يُحمَلُ فى واردةٍ صادرهْ
ووادعٌ يُدئِبُ (٤) أقرانَهُ وغائبٌ صورتُه حاضرهْ
قضت به خرقاءُ مضعوفةٌ قضيّةَ القادرة القاهرهْ
كأنما تعقِد (٥) فى نظمه سحرا ولكن أختها الساحرهْ
تعطيك إما ظفَرا أو ردًى سماتُه العادلةُ الجائرهْ

---

(١) فى الأصل "بالشر" . (٢) الأسطُرلاب : لفظة يونانية مركبة من "استرون" ومعناها كوكب و "لافى" ومعناها أخذ والحاصل "أخذ الكوكب" . و يفسرها العرب "بميزان الشمس أو ميزان الكواكب" وفى الأسطُرلاب أقوال كثيرة فليرجع اليها من يشاء فى المجلد الثالث من دائرة المعارف للعلم بطرس البستانى وفى غيرها من الكتب الخاصة بها . (٣) فى الاصل "جزاء الخلق" . (٤) فى الأصل "بدأت" . (٥) فى الأصل "يقعد" .

فساعةٌ متجـــرُها مربح وساعةٌ خائبـــة خاسرهْ
شواهد الإيمان فى صمته ودِينُـــه فى أمَّـــةٍ كافرهْ

وقال فى غرض من أغراضه

أبكى عليهـا وما شطَّ المزارُ بهـا ودمعةُ البين تُجـرِى دمعةَ الحذرِ
وأقتضى وصلَهـا صداًّ يناوبه، خوفا من العين أو من فطنة الغِيَرِ
غار المحبـونَ من أبصـارِ غيرِهمُ ضدا وغرتُ على "لمياء" من بصرى
فكلّ ذى شجنٍ يشكو صبابتَـــه يلقَ من الشوق ما ألقَ من النظرِ
فى الغاديات يردنَ الصَّيْدَ ناصبةً لأنفس الصِّيدِ أشراكا من الحورِ
تُهدى الى حسنها فى اليوم ليلتهـا وجها تولَّد بين الشـمس والقمرِ

قافيـــة السين

بعـــد خـــلو قافيـــة الزاى

وقال وأنشدها أبا القاسم سور بن الكافى الأوحد وهو مقيم ببروجرد(١)

[ذكرتُ](٢) وما وفاى بحيثُ أنسَى "بدِجلةَ" كم صـــباحٍ لى ومُمْسَى
بقلـــبى من مبانيهـا مغـانٍ بنَى فيهـا السرورُ فصار حِلسـا(٣)
[مغانٍ](٤) نجتـــنى منهـا نعـيما ولم نغـرس بفعل الخـــير غرسا
تركتُ خلالَها — ورحلتُ — قلبى فـــلو عـــذَّبتُ قلـــبى ما أحسَّـا

(١) بروجرد : بلدة بين همـذان و بين الكرج وهى مدينـة حصينة كثيرة الخـيرات و ينبت بها الزعفران . (٢) فى الأصل هكذا "ت" . (٣) الحلس : الملازم لبيته . (٤) فى الأصل هكذا "ن" .

[شربتُ] (١) عراصها نقدا بدَيْنٍ ... فلولا ما شربتُ شكوتُ وكسا (٢)

و بِكرٍ (٣) من ذخائــرِ " رأسِ عينٍ " (٤) ... تعــودُ بمجلس الندمانِ عِرْسا

[يضَنّ] (٥) [بها] (٦) يهود أو نصارى ... وقــد كرمت و إن لؤما وخسّا

خطبناها فقام القَسُّ عنها ... يخاطبنا بخلت القَسِّ " قُسّا " (٧)

[يُحدِّثُ] (٨) معــرِبا ما شاء عنها ... ويُعهـــدُ مُعجِما (٩) لَكَنًّا (١٠) وجِنسا

وصار بمَهــرِها ثمنا يغالى ... بـــه فى ظنّـــه ونـــراه بخسا

[أسِلْ] (١١) ذهبا تزِنْ ذَهبا فإنا ... نـــرى فى حبّها الدينــارَ فَلْسا

وخافقة الفــؤاد مشين عجــلَى ... بهـا الأترابُ وهى تدبُّ همسا

[تعثّر] (١٢) دهشـــةً بالبين حـــتى ... يقلن : لعـا (١٣) لها ، فتقــولُ : تعسا

تُغَــوِّثُ (١٤) من نواى بمُخطَفاتٍ (١٥) ... حَلين عواطـــلا ونطقنَ خُرْسا

[اذا] (١٦) [يجمع] (١٧) الفراقُ قبضن عشرا ... و إن جفا اللقــاءُ بسطن خمسا

تقول : عدمتُ مدّعيا هواكم ... وأصــبحَ يوم بينــكُمُ فأمسى

[أقيمى] (١٨) [غير] (١٩) جازعــةٍ فإنى ... أراها وحشـــةً ستجرُّ أُنسا

---

(١) ليست بالأصل . (٢) الوكس : النقصان . (٣) يريد بالبكر الخمر . (٤) رأس عين : مدينة كبيرة من مدن الجزيرة بين حرّان ونصيبين ودنَيْسر وبها عيون كثيرة عجيبة صافيــة تجتمع كلها فى موضع فتصير نهر الخابور . (٥) ليست بالأصل . (٦) بالأصل هكذا " ا " . (٧) القَسّ : حَبرٌ من أحبار النصارى وقُسّ : هو ابن ساعدة الإيادى أسقف نجران يضرب به المثل فى البلاغة وكان خطيبا مفوّها . (٨) فى الأصل هكذا " ـتـ " . (٩) المعجم : خلاف المعرب ومن فى كلامه عجمة . (١٠) اللكن : العى وثقل اللسان فى النطق بالعربية . (١١) ليست بالأصل و يجوز أن تكون " أنل " أو ما أشبه وقد رجحنا " أسل " لأنها أنسب بالخمر . (١٢) ليست بالأصل . (١٣) لعا : كلمة تقال للعاثر دعاء له بسلامته . (١٤) تغوث : تستغيث . (١٥) المخطفات : الضوامر المنطوية الحشى . (١٦) ليست بالأصل . (١٧) فى الأصل هكذا " ع " . (١٨) ليست بالأصل . (١٩) فى الأصل هكذا " ير " .

ذريني والتطــرُّحَ إنّ بيتـا — اذا هــو صار إلفا صار حبسـا

[أَجُزْ] جبـلا وراء الرزق قالت : — وتتركنا ؟ ! فـؤادُك منـــه أقسى
(١) (٢)

ألا مَن مبلغُ الأيام عـــنّى — وإن نجلتْ فمـا تسطيع نَبْسـا؟،

[متابى] بعــدها من كلّ ذنبٍ — أناخَ بساحتى ثِقَـلًا وأرسَى
(٣)

وكانت سكرة أقلعتُ منهـا — على صحــوٍ وذنبُ السـكر يُنْسَى

[وما] [آجتمعت] "بَروجِرْدٌ" وفقرٌ — ولا أحدٌ رأى " سعدا " ونحسـا
(٤) (٥)

فــتى أحيت به الأيامُ ذكرى — وكان موسّــدا منهنّ رمسـا

[وقد] [ردّتْ] نُيوبَ الدهر دُردا — يداهُ وقـــد فغرنَ الىَّ نهسـا
(٦) (٧) (٨)

وذاد سماحُـــهُ الفيّـاضُ عنّى — ذئابا من صروف الدهر طُلْسـا
(٩)

[وأعطى] ظاهرا سَرَفَ العطـايا — فلمـا عوتب آســتخفى ودسّا
(١٠) (١١)

أيا " سـعدُ بن أحمدَ " ما تسمّى — ويا "رضوى" اذا آنتسب آبن قدسا
(١٢) (١٣)

[نمتْ] أعراقـــه فنماك غصنـا — فطبتَ الفــرعَ لمّـا طاب أُسّا
(١٤)

وأشرق فآســتفدت النورَ منـــه — فكنت البــدرَ لما كان شَمْسا

[عظمت] ندى فلو لُويتْ خطوبٌ — بجــودك لآلتوينَ وكنّ شُمْسـا
(١٥)

وطبت يدا فلو تُمْتْ شـــفاهٌ — تقبّـــلُ راحتيك لُثِمنَ لُعْسا

[بنائل] آل " إبراهيمَ " عاش الســـ — ـماحُ وقـــد محاه الدهر درسا
(١٦)

---

(١) ليست بالأصل . (٢) فى الأصل " جبـلا " . (٣) ليست بالأصـل .
(٤) ليست بالأصل . (٥) بالأصل هكذا "ممت" . (٦) ليست بالأصل .
(٧) فى الأصل هكذا " دت " . (٨) النهس : النهش . (٩) طلس جمع أطلس وهو الذئب فى لونه غبرة الى السواد . (١٠) فى الأصل هكذا " على " . (١١) السرف : التبذير . (١٢) رضوى : جبل بالمدينة . (١٣) قدس : جبل عظيم باليمن .
(١٤) ليست بالأصل . (١٥) فى الأصل هكذا " ت " . (١٦) ليست بالأصل .

وهبَّ الريحُ فى روح المعالى | فطــرن وطالما رُدِّدن قُعْسا
[عرانين] (١) مع الجــوزاء شُمٌّ | تشمُّ عُــداتُها الإرغامَ فُطْسا
وأعــراضٌ تصافحُ لامسيها | ــ غداةَ تضَرّسُ الأعراضُ ــ مُلْسا
[يموتُ] (٢) حســودها منها بداء | اذا [آستشفاه] (٣) عاود منه نكسا
دعانى الشــوق يزأر بى اليكم | فسرت ملبيا والدهرُ يخسا (٤)
[لأُدركَ] (٥) معجزاتِكُمُ بعيــنى | فيصبحَ منظرا ما كان حِسَّا
وكم بمديحكم بددت درًّا | على القرطاس ما آستمددت نِقسا (٦)
[وقد] (٧) كان البنانُ ينــوب خطًّا | فقــد حضَر اللسانُ يهُذُّ (٨) دَرْسا
رعيتُ هشيمَ طَرْقِكُمُ (٩) لماظا | فــردُّونى ألُسَّ الحَمْضَ (١٠) لَسًّا (١١)
ورَوُّوا من نميرِكُمُ غليــلا | وردتُ به القــذى خِمْسًا (١٢) فخمسا
فإن الله أوجبها فروضا | عليــكم لا تزال الدهرَ حبسا
صــلاح بلاده شرقا وغربا | ورزق عباده عربا وفُرْسا

(١) بالأصل هكذا ''نين''. (٢) فى الأصل هكذا ''ت''. (٣) بالأصل ''استسقاه''.
(٤) يخسأ : يبعد و ينزجر . (٥) بالأصل هكذا '' درك '' . (٦) النقس : المداد .
(٧) فى الأصل هكذا '' د '' . (٨) يقال : هذَّ فى قراءته اذا أسرع فيها . (٩) الطرق : الماء تخوض فيه الإبل ، واللماظ : ذوق الشيء بطرف اللسان و فى الأصل ''لماضا ''. (١٠) الحمض : ما ملح وأمر من النبات وهو كفاكهة للإبل تأكله عند سأمها من الخلة وهى ما حلا من النبات ومتى شبعت من الخلة مالت الى الحمض . (١١) اللس : نتف الكلأ بمقدم الفم . (١٢) الخمس : من أظماء الإبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع .

ملحوظة : فى هذه القصيدة طائفة من الكلمات التى فقدت فقدانا تاما فى الأصــل الفتوغرافى وطائفة مثلها لم يبق منها إلا الأحرف الأخيرة فآضطررنا فى الحالة الأولى الى آبتكار كلمات تحل محل المفقود كما آضطررنا فى الحالة الثانيــة الى آبتكار كلمات تنتهى بالأحرف التى بقيت فى الأصــل مع آستقامة المعنى فى كلتا الحالتين وليراجع القارئ الأصل الفتوغرافىَّ لهذه القصيدة فى أوّل هــذا الجزء حتى يلمس بنفسه المجهود الذى بذل فى تصحيحها .

***

وقال [وبعث] بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبـد الرحيم فى المهرجان، ويكلّفه تقديم رسم خلعة الشتاء ويمازحه بذلك

كالشمس من جمرة(١) "عبد شمس" غضبي سخت نفسى لها بنفسى

ماطلةٌ، غريمها لا يقتضى ديونَـه ودَينَها لا يُنسِى(٢)

فى بلدٍ يحرُم صيدُ وحشِهِ وهى به تُحلّ صيدَ الإنس

ترى دمَ العشاق فى بنانها علامةً قد مُوِّهتْ بالورس(٣)

تُفسِدُ خَلْقا لَيِّنا معتدلا لها بأخلاقٍ جِعادٍ(٤) شُمُس(٥)

فى طرفها تغزُّلٌ وقلبها حماسة تنسبها للحُمس(٦)

ذكّرتها العهد على "كاظمة" قالت : نسيتُ، والفراقُ يُنسى

أُنكِرُ منها حِليةً غريبةً تشوب لى معرفةً بلَبْس

وشَعَرا مبدَّلا بشَعَرٍ بَدَّل فيها بالنفار أُنسِى

هل هو إلا الشيب "أمّ مالك"؟ لا بدّ أن يصبحَ ليلُ الممسى

وما عليكِ والهوى مكانَهُ أنّ الثَّغامَ(٧) فى مكانِ النِّقس(٨)

غالٍ بها عند الغوانى لِمَّةٌ(٩) ما لم تبعها حَدَدًا(١٠) بلَبْس

---

(١) الجمرة : كل قبيلة انضموا فصاروا يدا واحدة ولم يحالفوا غيرهم . (٢) ينسئ : يؤجل . (٣) الورس : نبات أصفر يصبغ به . (٤) جعاد : جامدة غير سهلة . (٥) شمس جمع شموس : وهو الصعب الخلق . (٦) الحمس : لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم فى الجاهلية لتحمسهم فى دينهم أو لاعتصامهم بالحمساء وهى الكعبة، الواحد أحمس والنسبة اليهم أحمسىّ .
(٧) الثغام : شجر أبيض الزهر والثمر كأن جماعتها هامة شيخ والمراد به هنا الشيب . (٨) النقس : المداد والمراد به هنا سواد الشعر . (٩) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (١٠) حددا : باطلا وكذبا، يقال أمر حدد أى باطل، وخبر حدد أى كاذب .

إن الكرامَ درَستْ آثارُهم ... فلم أطق ضبطا لها بدرسِ

إلا من البيت الذى خُطّتُه ... يرشح فيها مجدها فيُرسى

شادَ بنو "عبد الرحيم" فى العلا ... خيرَ بناءٍ فوق خير أُسّ

ادفع بهم غضبةَ كلِّ لَزْبَةٍ(١) ... عمياءَ تَدفعْ ربوةً "بقُدسِ"(٢)

وٱلق بنجم منهُمُ وسعدهِ ... تخلُصْ نجيًّا كلَّ يومِ نحسِ

إنى عجمتُ "بالحسين" زمنى ... فلم يُثَلَّمْ وهو صُلْبٌ ضِرسى

وذبَّ عنى فوفيتُ ناهضا ... من الخطوب بذئابٍ طُلْسِ(٣)

أنشَرَ آمالى وكنّ رمما ... يا من رأى حياةَ ما فى الرمسِ !

ومدَّ لى كفًّا فكانت رُقيةً ... والدهر أفعَى فاغرٌ لنهسى(٤)

صالحتُها فصفحتْ بلينها ... عنّى ضروسُ(٥) السنَوات اليُبْسِ

ما ٱستصبحتْ عينٌ بمثل وجهه ... واليومُ عبّاسُ العشىّ مُمْسى(٦)

ولا ورى زندىَ إلا رأْيُهُ(٧) ... أبيضُ منه فى الخطوب الغُبسِ(٨)

من دوحةٍ مُظِلّةٍ مطعمةٍ ... طاب جناها الحلُوطيبَ الغرسِ

أدّتْهُمُ(٩) يحذوك فرعُ أصله ... لم يك دينارُهم ٱبنَ الفَلسِ

إن بَليتْ(١٠) أعراضُ قومٍ أوخبتْ ... يوما فغطّت صحّةً بلَبْسِ،

باتوا بأعراضٍ عراضٍ فى العلا ... يومَ الفخار ووجوهٍ مُلْسِ

---

(١) اللزبة : الشدة والقحط . (٢) قدس : جبل عظيم باليمن . (٣) طلس جمع أطلس وهو الذئب فى لونه غبرة . (٤) النهس : النهش . (٥) الضروس : المهلكة . (٦) فى الأصل "يمسى" . (٧) ورد هذا الشطر فى الأصل هكذا * ولا ورى زند ولا رأيه * وهو غير مستقيم الوزن والمعنى ولم نوفق فى تصحيحه الى أبين مما أثبتناه ، ولو قيل "عينى" بضمير المتكلم فى البيت الذى قبله لالتأم البيتان ولم يأبهما سياق ما قبلهما من الأبيات . (٨) الغُبس جمع أغبس وهو المظلم . (٩) هكذا بالأصل رسما وشكلا ولم نفهمه . (١٠) فى الأصل "تليت" .

مكارمُ معمّــةٌ مخــولةٌ ... تركّبتْ من عَربٍ وفُرسِ

لم يتهجّن غُرُّهـا وشُمُّهـا ... بالبُهـمِ من إمائهـا والفُطْسِ

واليـوم باقٍ من حُلِىّ ما بكُمْ ... بقاءَ سـطرٍ ناحلٍ فى طِـرسِ

غـيرُ أخذُ الحـقّ من باطله ... طلاوةٌ فيــهِ وفــرطَ أنسِ

فراعِ من حفظِهِـمُ فى رسمِـهِ ... ناسجـةَ العـرقِ وحـقَّ الجنسِ

وآعمـرْ بساعاتِ السرور ساعةً ... تُتبِـعُ بـرءَ سكرةٍ بنكسِ

ما بين جَورِ قَـدَحٍ وعدله ... وبين حثِّ مِزْهَرٍ وجَسِّ

هــذا لحـرٍّ فارسٍ نسـبتُهُ ... وتلك من عِلجِ (١) النصارَى الجِبسِ (٢)

عجبتُ منها خَشَـبا من خَشَبٍ ... جاءت ومنـه ناطقا عن خُرسِ

فاشرب على آبن المُوبَذانِ (٣) خُرِقَتْ ... عُـذْرتُه ـ عـذراءَ بنتَ القَسِّ

وخـذ لأيام الشـتاء أهبـةً ... أخذَ العـروس أُهُباتِ العُرسِ

عنـدىَ من جودك فيـه عادةٌ ... يحبسها النسـيان بعضَ الحبسِ

تدركنى وقـد قضت رُعيانهُ الـ ... أوطارَ من تحشُّشى (٤) ولَسِّى (٥)

والمجـدُ فيما أنت مهـدٍ خالعٌ ... والنفـع أن تُلبِسَ وقتَ اللُّبسِ

وحاجتى ـ اذا آقترحتُ حاجةً ... فى لطف حِسٍّ وبحسن مسٍّ ـ

فى أن يكون اليـوم ما يأتى غدا ... إذ كنتُ قد أجممتكم (٦) بالأمسِ

وآعلم ـ بنفسى أنت خيرُ عالمٍ ـ ... أن الشتاءَ من عدوّ النفسِ

---

(١) العلج : الأعجمى من الكفار . (٢) الجبس : الجبان الفدم . (٣) المو بذان : فقيه الفرس وحاكم المجوس ويريد بقوله : ابن المو بذان " العود " لأنه من صنع الفرس ، ويريد بقوله : ابنة القسّ الخمر ، والأبيات التى قبل هـذا البيت تعينهما . (٤) التحشش : أكل الحشيش . (٥) اللس : نتف الكلأ بمقدم فم الدابة . (٦) أجممتكم : تركتكم .

***

وقال فى غرض له

مالى كأنىَ مخبولٌ ولست به ... أشكو الى الناس معْ علمى مَن الناسُ
كنّا اذا آعتلّت الأذناب يجبرنا ... رجاؤنا الرأسَ حتى أُدوِىَ(١) الراسُ
لا بأسَ فى كفّ نفسى عن سؤالهِمُ ... وليس عندهُمُ جود ولا باسُ
نقِّلْ ركابَك إلا فى رحالِهِمُ ... وآستغنِ ماشئتَ عنهم فالغنى الياسُ

***

وقال فى مثله

"خنساءُ" همّى وذكْرُها أنسى ... اذا أمانىَّ حدّثتْ نفسى
وساوس بين خاطرى وفمى ... أصبح أهذى بها كما أمسى
حتى لظنَّ الأقوامُ أنىَ ممسوسٌ وما بى لِلْآلِ من مس
كم دعوةٍ يشهدُ الحفيظُ على ... خلوص سرّى بها من اللّبس
يارب إما أن ضمّنى وصلُ "خنساء" اليها أو ضمّنى رمسى

***

وقال وقد آتفق ورود الشريف الزكىّ مجد الدين أبى علىّ، يشكر ما آتفق من تجديد العهد به، ويذكر شوقَه اليه، وهى تجرى مجرى المكاتبة المرتجلة، والقافية مقترحة، مما كان أملاها فى داره بدار كعب

يا وحشة المجد ثق بالأَنَسِ(٢) ... قد عطّت(٣) الشمسُ رداءَ الغلَسِ
ويا حمى "الزوراء" أمنا، حرّمتْ ... رَعيكَ كفُّ الأخدرىّ(٤) الأشوسِ(٥)

---

(١) أدوى: مرض. (٢) فى الأصل هكذا "نفى". (٣) عطّت: شقّت.
(٤) الأخدرىّ: الأسد الخادر. (٥) الأشوس: من ينظر بمؤخر عينه كبرا أو تغيظا.

من بعـد ما كنتَ ببعـد صوته ... مهبِـط كلِّ خابطٍ مَلَسِّس(١)

عاد الحيا مرقـرقا عـلى الـثرى ... بمـائه قبـل كلِّ يَبِس

واَنتشرت خضراءَ دوحـةُ العلا ... فالساقُ وَحْف(٢) والقضيبُ مكتسى

وردّ "مجدُ الدين" فى أيامه ... دِينَ النـدى كأنّه لم يَدرُس

عزَّ به الفضلُ كأن لم يُهتَضَمْ ... وقامت العليا كأنْ لم تجلس

ووضحتْ على ضَـلالاتِ السُّرى ... طُـرْقُ المـنى للـرائد الملتمس

فيا مشيرَ العيس جعجعها(٣) ويا ... مُرسِلَ [أفراسِ](٤) الرجاءِ أحبِس

كُفيتُما تهجيرَها مُظهِـرةً ... وخوضَها فى الليل بحرَ الحِندِس(٥)

جاءكما الحـظ ولم تقـامرا ... بناقـةٍ فيـه ولا بفـرس

لم تضربا أعناقَهـا وسُـوقَها ... حرصًا لإدلاج(٦) ولا معـرَّس(٧)

ردَّ الكرى الى العيـون قُرّةً ... وعاد للأنفس روحُ الأنفس

بالحلوِ والمرّ عـلى أعـدائه ... والطائش السرج الوقـورِ المجلس

"ببابـلىٍّ(٨)" مالُه لم يمتنـعْ ... "وسامرىٍّ" عِرضُه لم يُمسَس

أروع لا يعـثر مِن آرائه ... بمشكل هـافٍ ولا ملتبِس

اذا دجى الخطبُ سرى مستقدما ... من عزمه فى قمـرٍ أو قبَس

لا هاشم مغـرَّر لم يعتـبر ... ولا حريصٌ معجَب لم يقِس

---

(١) الملسس : الناتف الكلأ بمقدم فه . (٢) الوحف : ما غزر من النبات وأثت أصوله .

(٣) جعجعها : أنخها و بركها . (٤) هذه الكلمة ليست بالأصل ، وقد رجحناها لقوله فيا بعد :

جاءكما الحظ ولم تقامرا * بناقة فيــه ولا بفرس

(٥) الحندس : الظلام . (٦) الإدلاج : السير أول الليل . (٧) المعرس : الموضع ينزل فيه القوم للاستراحة فى آخر الليل . (٨) فى الأصل هكذا "سابلى" .

نجّذتِ الأيامُ منه قارحا (١) ... بفضله والسنُّ لم تُعنِّس (٢)

وطال أقماتِ العضاهِ مشرِفا ... وهو قريبٌ عنده بالمغرِس

تختمر الزُّهْرةُ (٣) في لثامه ... بصُدغِها حتى الدجى المسعسِ (٤)

فإن غلت بصدره حميّةٌ (٥) ... راعك وجهُ الضيغم المعبِّس

رمَتْ به صحنَ السماء فسما ... مدارجَ البيتِ الأشمِّ الأقعس

فأنت من أخلاقه في مغزل (٦) ... ومن حمى غيرته في محمِس (٧)

بيتٌ يقول الله : بيتٌ مثلُه ... عندِيَ لم يُبْنَ ولم يؤسَّس

سماحةُ الغيث وفى أرجائه ... مهابطُ الوحي وروحُ القُدُس

ومنه فرعا "مكةٍ" و"طيبةٍ" ... تشعّبا ومنه "بيتُ المقدِس"

قومٌ بهم تمّ — ونحنُ فترةٌ — ... فرَجُ المضيقِ وانكشافُ الألبَس

هم حملوا على الصراط أرجلا (٨) ... لولا هداهم عثرتْ بالأرؤس

وحطّموا "ودًّا" (٩) وخلوا "هُبَلًا" (١٠) ... مبدّلين بالعتيق الأملس

ديست من الشِّرك بهم جماجمٌ ... ترابُها من عزةٍ لم يُدَس

ساروا بتيجان الملوك عندنا ... معقودةً على الرماح الدُّعَّس (١١)

آلُك آلُ الحجراتِ أيقظوا ... للرشدِ أبصارَ القلوبِ النُّعَّس

٢١٩

(١) القارح : المسن من الإبل . (٢) لم تعنس : لم يطل مكثها كالعانس التي يطول مكثها في أهلها ولم تتزوج حتى تخرج من عداد الأبكار . (٣) الزهرة : اسم كوكب . (٤) المعسعس : المظلم . (٥) في الأصل "حات بصدر" . (٦) المغزل : محل الغَزَل . (٧) المحمس : موضع الحماسة . (٨) في الأصل "رجلا" . (٩) ودّ : صنم كان لقوم نوح وكان على صورة رجل ومنه سمى "عبد ودّ" . (١٠) هبل : صنم كان بالكعبة . (١١) الدعس : الطاعنة جمع داعس وفي الأصل "الدس" .

وأخَـــذُوا الى فســيح لاحبٍ — بالناس من جهل المضيق المُلبِس
قالوا بجادوا فكأنّ الرعدَ لم — يُرزِمْ (١) وماءَ المزن لم ينبجِس (٢)
وجــدُّك الناطقُ بالصـــدق له — طاعةُ كلّ ناطـقٍ وأخرسِ
وبأبيـــك حبـــه وبغضـــه — غدًا يَرَى المحسنُ خسرانَ المُسِى
وأنت — ما أنت — لُحوقًا بهمُ — "زُرارةٌ" (٣) تجرى وراءَ "عُدَس"
يفـديك مملوكٌ عليـه أمرُهُ — رِخوُ البِـدادين (٤) ضعيفُ المَرَس (٥)
يأكله العيبُ فـلا يُميطُـه — بمـاله عن عِرضـه المضـرَّس (٦)
لو خنقتـــه ذلّةُ البخـــل لمـا — قال بدينـار لهـا : تنفّسى
يغـزو أباك و يظنّ مقنعـا — عزُّ الأصـول مـع ذلّ الأنفسِ
ضُمَّ اليـك فـلوت ولَطّى (٧) — سـومَ الأشمِّ قسـتَه بالأفطسِ
عاد بظـلّ بيتـــه وأصحـــرت — غرٌّ مسـاعيك بقاعٍ مشـمسِ
تأخذ حـقّ العــزّ قسرا وسُطّا — والأسـد لا تعـاب بالتغطرسِ
فاصــدع بهـا داميـةً نحورُهـا — صـدعَ فتًى فى نقـعها منغمسِ
وقـــم بنـا نطلبها عاليـــةً — إما لمـرمى العــزّ أو للمرمسِ (٨)
فالسـيف مالم يمض قُـدما زُبرةٌ (٩) — والليثُ كلبُ البيت ما لم يفرِس
نادى البشـيرُ وفـؤادى جمـرةٌ — للشـوق من يرفع له يقتبِس ،
والبينُ قد أوحدنى فليس لى — بعـدك غيرُ وحشـتى من مؤنسِ ،

(١) يرزم : يشتد صوته . (٢) ينبجس : ينفجر . (٣) هو زرارة بن عدس بن زيد الدارمىّ آباء قبائل ، و يريد الشاعر أن الأبناء يقتفون الآباء فى بناء سؤددهم والإشادة بمجدهم .

(٤) البـداد : بطانة تحشى وتجعل تحت القتب وقاية للبعير من شق ومن الشق الآخر مثله وهما بدادان .

(٥) المرس : الحبل . (٦) المضرس : المصاب المثلّم . (٧) لطى : لزق بالأرض .

(٨) المرمس : موضع الرمس وهو الدفن . (٩) الزُّبرة : القطعة من حديد .

والبعـــد باستمـــراره يطلـع لى ـ كيف طمعتُ ـ من ثنايا المؤنس

دعا وقد ضعفتُ عن جوابه كأنّ نفسى خُلقتْ من نَفَس : «

هـــذا الزكىّ ابن التقىّ» فطافى شـيطان شـوق وهفا موسوسى

وقيل : ممسوس ولكن واجد قلبـا له ضـــلّ ولمّا يُمسَس

فيالهـا غنيمةً سـرّى بهـا لم يختلج وخاطـرى لم يهجُس

أحلَى على القربِ ــ وقد تملّأت عينى بهـا ــ من نظرة المختلس

حبـا غزيرا لا كما تُسنيه لى (١) من نَزِرِ (٢) ماءٍ وقَلِيبِ يبِسِ (٣)

وشكر ما توسع من خلائق علـى البعاد ثوبُهـا لم يَدْنَسِ

طاهرةٌ (٤) اذا عركتَ جانبى من ودّ قـومٍ بالخبيث النجِسِ

عرفتنى والنـاس ينكروننى وجدّك بالشـــفوف والتفرسِ

أودعتُك الفضـــلَ فلا حقوقه عندك ضاعت لى ولا العهد نُسى

فقصرُ ما أوليتَ أنــ أجزيَه جزاءه فى المطلَقـاتِ الحُبَّسِ

شواردا باسمـــك كلّ مطـــرَحٍ ولم تُرَحْ عنـــك ولم تعـــرِّسِ

كالحور فى خيامها مقصــــورة وفى الفلا مع الظبـاء الكُنَّسِ

ممـا حـــويت برُقاىَ فسرَى سحـــرِىَ فى حيّاتهنّ النُّهَّسِ

يترك كلّ ماسح ــ غير يدى ــ دما على نُيُـــوبها والأضرسِ

تغشـاك لا تحتشم الصـــبحَ ولا ترهبُ فى الليـــل دبيبَ العَسَسِ (٥)

فأنت منهـا أبدا غـــواديا ورائحـاتٍ فى ثياب العُـرُسِ

---

(١) فى الأصل «لما» وتسنيه لى : تصلنى به وترفعه الىّ . (٢) النزر : القليل .

(٣) اليبس : ما كان رطبا بجفّ . (٤) فى الأصل «ظاهرة» . (٥) العسس : جمع عاس وهو الذى يطوف بالليل لحراسة الناس .

فٱسمع لها وٱسلم على ٱتصالها وٱتّقِ أن تُعيرَها وٱحترِس

وٱستغن بى وأغنى عن معشرٍ(١) سُورَةُ فضلى بينهم لم تُدرَس

أعوذ من لينى لهم بجَعَدى(٢) ومن ذحولى بينهم ببُلُسى(٣)

شفيتُ أعراضَهُم وعيشتى فيهم متى تبرا ٱختلالا تُنكِس

ودّ القريضُ قبل ما قال لهم على لسانى أنَّ نطقى خَرَسى

فإن تَفَرْ أو تكفنى جانبهم فلستُ من ذلك بالمبتئِس

⁂

وقال يمدح أبا طالب فى النيروز ويتنجَّزه رسمَ الكسوة

سل " بالغُوير " السائقَ المغلِّسا(٤) هل يستطيع ساعةً أن يحبسا ؟

فإن فى الدار رذايا لوعةٍ نوقا ضِعافاً وعيونا نُعَّسَا

وثَملين ما أداروا بينهم إلا السهادَ والدموعَ أكؤسا

ما علِمتْ نفوسُهم أن الردى ميقاتُه الصبحُ اذا تنفَّسا

راحَ لهم فإنهم وفدُ هوًى يرضيه [أن](٥) تُزْوِدَ(٦) أو أن تَسْلَسا(٧)

تركتَ من خلفك أجسامَهُم وسقتَ ما بين يديك الأنفُسا

اِعطف لهم شيئا فلو لم ينفِسوا(٨) على الشموس فى الخدور مَنفَسا ،

لأغرقوك دمعةً فدمعةً وحرقوك نَفَسا فنفَسا

---

(١) الجعد : التقبض والجمود ، والأصل فيه سكون العين وحركت للضرورة . (٢) الذحول جمع ذحل وهو طلب مكافأة بجناية وقعت عليك . (٣) البُلُس : جمع بَلَاس وهو المِسْحُ فارسية معربة ؛ والبيت معناه بعيد الوضوح . (٤) المغلس : من يسير فى الغلس وهو الظلام . (٥) ليست فى الأصل . (٦) تزود : ترفق وتئتد . (٧) تسلس : تلين وتسهل . (٨) نفس على الشيء : حسده .

أين تريد عن حياض "حاجر" ... أن تستجيز(١) الخضم(٢) والتلسُّسا(٣) ؟

وهل على ماء "النخيل"(٤) مطعنٌ ... اذا وردتَ مثلثًا أو مخمسا

وفى الحمول سمحةٌ ضنينةٌ ... تُبذَل وجهًا وتصانُ ملمسا

شنَّت على الكاس حتى لم تدع ... للريم إلّا حَمَشًا(٥) أو خَنَسا(٦)

تبسِمُ عن أشنبَ(٧) فى ضمانه ... نطفةُ مزنٍ لقبوها اللعَسا(٨)

سلسالةٌ إن لم أكن عرفتُها ... رشفا فقد عرفتُها تفرُّسا

يا هل الى ذاك اللى وسيلةٌ ... تبلُّ لى هذا الغليلَ اليَبِسا ؟

أم هل الى ذاك الهلال نظرةٌ ... إما بملءِ العين أو مختلَسا ؟

بل كلّ ما بعد المشيبِ مسمِحٌ ... ما كَس أو منجذبٌ تشمَّسا(٩)

ومن عناء اليد أن تبغى الجنا ... والساقُ خاوٍ والقضيبُ قد عسا(١٠)

لامت على تعزُّلى إذ أبصرتَ ... بجحفلَ شيبٍ هاجما ومُحمِسا

تنكرته مذ رأته بلجةً(١١) ... ضاحيةً أن عرفته حِندِسا

بيضاء أعشت فى السواد عينَها ... فاشتبه الصبحُ عليها والمَسا

اذا تلفعتُ بها مُنصَّعًا ... ما كنتُ من صبغتها مورّسا(١٢)

منتبَذًا نبذ الحصى يردّنى ... نقدُ العيون أخزرا وأشوسا

---

(١) فى الأصل "تستجير" . (٢) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس وفى الأصل "الخصم" . (٣) التلسس من لسّ الدابة الكلأ أى تناولها إياه بمقدم فيها ، وفى الأصل " التسلسا " . (٤) النخيل : اسم عين قرب المدينة على بعد خمسة أميال . (٥) الحمش : دقة الساقين . (٦) الخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة وهى طرف الأنف . (٧) الأشنب : من كان فى ثغره الشنب وهو الرقة والعذوبة فى الأسنان . (٨) اللعس : السواد المستحسن فى الشفة . (٩) تشمس : أبى وامتنع كبرا . (١٠) عسا : كبر وانحنى . (١١) البلجة : الضوء . (١٢) المورس : الصابغ بالورس وهو نبات أصفر يصبغ

فــلم تكن أوّلَ حال غبطــةٍ أحسنَ فيها زمـــنى ثم أسا
هو الذى ما جاد أو ضنّ ولا رقَّ عـــلىَّ مرةً إلا قسـا
وقـــد ألفتُ خُلقَـــه تمرُّنًا به على لونيـــه أو تمـــرُّسا
حلفتُ بالحُلْقِ الطِّلاحِ (١) صعُبتْ على الوجى (٢) سُوقًا ولانت أرؤسا
مثل القسىِّ كلُّ ظهرٍ فوقه (٣) ظهرٌ بإدمان السُّرى قـد قُوِّسا
من كلّ فتـلاء تطيع المَرِسَ (٤) الـ ـمثْنِى عليهـا أو تعـودَ مَرِسا
تقامر الأخطـار فى نفوسها على الطلاب إن زَكَا (٥) وإن خسا
يخبطن يطرحن الربى عجرفةً فى الوفد يطلبن العتيـقَ الأملسا (٦)
اذا فرقن (٧) المـوتَ لم يفرقْن ما دِيثَ (٨) من أرضٍ وما توعَّسـا (٩)
حتى يؤدّين الشخوصَ "بمنى" مكبرًا لله أو مقـدِّسا
لا ضاع من يعتمـد الحظَّ به من قسمةٍ على "عميد الرؤسا"
أروعُ لا ترعَى الخطوبُ ما رعَى ولا تشـلُّ غارةٌ ما حرسا
أبلجُ بسّـام العشىِّ ما غـدا وجه الجدوبِ فى الثرى معبِّسا
مبـارك الصفقة يهتزُّ الغـنى فى كلّ ما صافح أو ما لمسا
يفـرِّجُ التقبيـلُ عن أنامل لو قارع الصخرَ بهنّ انبجسـا
جاد على اليُسر فلمـا أفاست به عطايا اليسر جاد مفلسـا
لا يحسَب المـالَ يغطّى عورةً عاريةً ما غطّت العُرىَ الكُسَا (١٠)

(١) الحلق الطلاح : الإبل المهزولة المحلوقة الشعر . (٢) الوجى : الحفا . (٣) الظاهر : ما ركب من الإبل التى تحمل الأثقال . (٤) المرس : الحبل . (٥) الزكا : الزوج من العـدد ، يقال : أزكا هـذا أم خسا أى أزوج هذا أم فرد . (٦) العتيق الأملس : البيت الحرام . (٧) فرقن : خفن . (٨) ديْث : ذلل . (٩) توعس : تعسر سلوكه .
(١٠) الكسا جمع كسوة .

أرهف للاعراض من عزمته أصمع[1] ما أنبل[2] إلا قرطسا[3]

اذا رمى غايته بظنه كفى يقين غيره ما حدسا

قال فأعدى الخُرسَ بالنطق كما حسَّن عند الناطقين الخَرَسا

وقام يبغى حقَّه من العلا حتى اذا جاز النجومَ جلسا

موقَّر المجلس إما هو فى ا لدستِ احتبى أو ركن "شهلان" رسا

اذا سُطاه أوحشت جليسَه فاض عليها بشرُه فآنسا

ذبَّ عن الخليفتين رأيه الـ ـمنصورُ ذؤبانَ[4] الخلاف الطُّلُسا[5]

أصحرَ فى إثر العدوّ عنهما أغلبَ[6] ما واثب إلا فرسا[7]

خلافة الله رقى مشيّدا منها الذى كان أبوه أسّسا

طهَّرها تدبيرُه فلم يدع إزاءها من العباد نجسا

رقَى من الأعداء كلَّ حيَّةٍ أصمَّ لو لم يحوِه لنهسا

كم قد جلوت الحقَّ عن بصيرة عمياءَ فيها وكشفتَ لبسا

أنفقتَ ميراثك فى طاعتها جناه "أيوبُ" الذى قد غرسا

تمنع من قناتها من رامها بالعَجْم أو أدردتَ عنها الأضرُسا

أنت الذى أحيا الزمانَ راعيا من سنن المجد به ما درسا

قومك كنتَ فى اقتفاء سعيهم "زرارةٌ" فى الفخر تتلو "عُدَسا"[8]

قد كبَّرتْ لك العلا وشكرتْ نشرَك ذاك الكرمَ المرمَّسا[9]

---

(١) الأصمع : الرأى العازم . (٢) أنبل : أعطاه نبلا يرمى به . (٣) قرطس : أصاب القرطاس وهو الغرض . (٤) ذؤبان جمع ذئب . (٥) الطلس جمع أطلس وهو الذئب فى لونه غبرة . (٦) الأغلب : الأسد . (٧) فرس : افترس . (٨) زرارة بن عدس : كلاهما أب لقبيلة و يريد الشاعر بهذا أن الأبناء يقتفون آثار الآباء فى بناء سؤددهم ومجدهم . (٩) المرمس : المدفون .

بك آعتلت نارى وهبّت عاصفا ريحىَ وآلتفّ قضيبي وآكتسى

وطمعتْ فى زمنى فضائـــلى وكنتُ من إنصـافه مستيئسـا

إن أجدبتْ أرضىَ صُبتَ مزنةً أو أدجنتْ (١) حالىَ لحتَ قبَسـا

سـاهمتَنى يسرك والعسرَ تــرى بخس (٢) العـلا وغبنَها أن أبخَسـا

لاتذخـــر الأنزرَ تضطــرّ له ولا تضَنُّ ما وجدتَ الأنفَسـا

فـلا تصبنى فيـــك يدُ حادثٍ أومضَ أو بارقُ خطبٍ أربسا (٣)

ولا تزل تُلبِن لى من عُنُقِ الـ ـأيام فظًا فى مقادى شـــرسا

وعاودتْنى بادئـــاتُ نعـــمٍ منك اذا آستوحشت كانت أَنَسا

ضافيـــة (٤) تفضُـلُ عن ذلاذلى لا أنزِع الحُـــلّةَ حتى أُلبَسـا

قـد راعنى العامَ آفتقادُ رسمها وأن أرى مُطلَقه محتبسـا

حاشاك من تطيّرى على العـدا من سطرِها الثابتِ لى أن يُطمَسا

دَيْنى وفى الشتاء بعـــدُ فضلةٌ يوضح منهـا المشكلَ الملتبِسـا

فآسمح بهـا وآسمع لهـا قواطنا شـــواردا ملابنات شُمُسـا

تطوى الفجاج لم ترحّل ناقـــةً لهـا ولم تسرج (٥) اليهـا فرسـا

لا ترهب الجِنّـــةَ فى عزيفِها إن أعتمت (٦) ولا تخاف العَسَسا

عذائرا تكون ما شئتَ بهـا كلّ ضحًى تهنئـــةٍ معـــرِّسـا

قد أمنتْ بحســـنها وصونهـا عند الرجال كلَّ ما تخشى النِّسا

---

(١) أدجنت : اسودّت وأظلمت ، وفى الأصل " أجدبت " والسياق يأباها والصواب مارجحناه .

(٢) فى الأصل " بحسن " . (٣) أربس : أصاب بما يسوء ، وفى الأصل " أربسا " .

(٤) الذلاذل : أسافل القميص الطويل . (٥) فى الأصل " تشرح " . (٦) فى الأصل " أغنمت " .

ما كُتبتْ أو قرئت لم تتْرِك لغيرها مخطّةً أو مَدرَسا
تشفع للنيروز فيما جاء من قبولكم مبتغيا ملتمسا
ثم يعود مثلُها عليكُمُ بألف عيدٍ عَرَبا وفُرُسا
فى نعيمٍ يقينُها وحقُّها يفنى الليالى عن لعلّ وعسى

* * *

وقال فى منشار

وجارٍ يُجدُّ به رائضا نِ[1] من مطلِقٍ منه أو حابِسِ
اذا ما مضى فى سواء الطريق شقّ بذاك على الفارسِ
تبوّعَ[2] تهتز منه الضلوع بين المرنَّح والجالسِ
له نسب فى آغتراس الرجال وهو بلاءٌ على الغارسِ

* * *

قافيـــة الصـاد

بعـد خلو قافيـة الشين

وكتب الى الأستاذ أبى طالب محمد بن أيّوب فى النيروز

(٢٢٢)

أرأيتَ أم حبَستْ لحاظَك عَبرةٌ طللاً "لسُعدة" "بالمحصّب" أوقصا[3]؟
تبِعَ الرياحَ وكان يسأل مفصِحًا عن ساكنيه فصار ينطقُ مُعوِصا
دمَنٌ اذا شخصتْ لعينك أشرفت نزوات قلبك يقتضينك مَشخَصا
بعدتْ بآثار الأنيس عهودُها فوحوشُها فى نجوةٍ أن تُقنَصا
وكأن جاثمةَ الثَّغامِ[4] بعُقرها أشياخُ حىّ جالسين القُرفُصا

---

(١) الرائض : من يسوس الدابة ليذللها وفى الأصل "رابضان" . (٢) تبوّع : مدّ باعه .

(٣) الأوقص : القصير العنق . (٤) الثغام : نبات زهره أبيض اذا آجتمع يكون كهامة الشيخ .

ولقــد تَعُــدُّ فـلا تَعُــدُّ بطالةً ... لك فى ثــراها بُدِّدتْ بَدَدَ الحصى

أيامَ عيشُــك باردٌ متــلوِّمٌ ... وسواك ينهَزُ عيشَــه مســتفرصا (١)

وعليك من ظُلَلِ الشـباب وقاية ... ظلٌّ لعمــرُك حين أُسبغَ قُلِّصـا

نَدمانُ (٢) سافـرةِ الجمـال اذا احتمتْ ... عينا تنقبت البنانَ الرُّخَّصـا

ريَّا اذا هــزَّتْ لشُــغلٍ (٣) غصنَهـا ... أمَرَ الكثيبُ وراءَها أن تنكَصا

سمجتْ فغـودر كلُّ ذنبٍ عنــدها ... ما كان شافعَــه الشـبابُ ممحَّصا

لم يبق عنــدك من حقيقــةِ ودِّها ... إلا الخيـال تكذُّبا وتخــرُّصـا

وعجبتُ منهـا والمــوانعُ جمَّــةٌ ... من أنهـا وجــدتْ الىَّ تخلُّصـا

طــرقتْ وشملتهـا الدجى فأسرَّهـا ... شــيئا ونمَّ بهـا الحُــلىُّ فأوبصـا (٤)

مالى سمحتُ بحــظِّ نفسى ذاهبـا ... فى الغافلين وبعتُ حزمى مرخصـا

والدهــرُ يوســعنى اذا عاصيتُــهُ ... لحظا يســارقنى التــوعُّدَ أخوصـا (٥)

ولقد كفانى شـيبُ رأسى عبرةً (٦) ... وعــلى الفَناء دلالة أن نُقِّصـا

فلأركبنَّ الى الســلامة غاربَىْ ... عَوْدٍ (٧) اذا وخَــدَ المهارى أوقصـا (٨)

أَنِسٍ بأشــباح الفيافى طــرفُــهُ ... لا يطَّبيــه منفِّــرٌ أن يَقمُصـا

يطِسُ (٩) الثرى وَرْدا (١٠) وينصُـل أورقا (١١) ... ممـا ارتــدَى بغبـاره وتقمَّصـا

متحــريا بهــداتى وأداتــه (١٢) ... فى حيث لا تجـد القطاةُ المفحَصـا

---

(١) مستفرصا : منتهزا الفرص . (٢) الندمان : النديم . (٣) فى الأصل "لسقل" .

(٤) أوبص : أضاء وبرق . (٥) الأخوص : الغائر . (٦) فى الأصل "غيرة" .

(٧) العود : الجمل المسن . (٨) أوقص : سار بين الخبب والعنق وهما ضربان من السير .

(٩) يطس : يضرب بالخف ضربا شديدا . (١٠) وردا : أحمر . (١١) الأورق : الذى يضرب لونها الى الخضرة ومنه الورقاء وهى الحمامة التى يضرب لونها الى الخضرة . (١٢) فى الأصل هكذا "واذآنه" .

فى فتيـــةٍ يتبادلون نفوسَـــهم ... فى الحـقّ أين رأوه لاح محصحِصا (١)

ومسوِّمين ضـوامرا ، أعرافُها ... تُفـــلَى بأطــراف الرماح وتُنتصى (٢)

تبعوا هـــواى مكلّفا أو مـؤثرا (٣) ... وتعلَّقــوا بى مازحا أو مخلِصا

واذا بلغتَ بنـاصح أو مدهن (٤) ... ما تبتغيه فقـــد أطاعك من عصى

يشكو مـــلالى نافـــرٌ خُلُـــقٍ به ... ولقد أكون على التواصـــل أحرصا

وتصبُّ نفسى غــيرَ أنى لم أجــد ... خِلًّا ســـقانى الودَّ إلا غصَّصا

قد كنتُ أطلبُ من عـدوّى غِرّةً ... فالآن أطلبُ من صـــديق مَخلَصا

كم صاحبٍ بالأمس صادقَ بِطنــةً ... فـــترتْ بــه لما رآنى مخمَصا

لم يُلفِ لى عيبا وطالعَ عِرضَــه ... فــرنا الىّ بعيبــه وتخــرّصا

عدَّ "ابن أيوب" [و] رُضْ شيمى تَرُضْ (٥) ... متراجعاتٍ عن ســـواه حُيَّصـا (٦)

أنفقتُ كلَّ مـــودةٍ أحرزتُها ... سَرَفا ورحتُ بــودّه متربِّصا

من معشرٍ شرعـــوا الى حاجاتهــم ... أسلا كفته مُداهُمُ أن يَخـــرُصا

من كل أرقش إن تأوّد ثقّفتْ (٧) ... منـــه البلاغةُ أو تســدّد أقعصا (٨)

يتـــوارثون به العـــلاءَ فسابقٌ ... يمضى وقافٍ إثـــرهُ متقصّصا

وُلدتْ حلومُهـــمُ وهم لم يـــولدوا ... من قبل أن قُرِعتْ لذى الحلم العصا (٩)

كرماء حبّبَهـــم الىّ كريمُهــم ، ... إن الهـــوى ما عمّ حتى خصّصا

---

(١) فى الأصل "حصحصا" . (٢) تنتصى : تقبض من ناصيتها . (٣) فى الأصل "و" . (٤) المدهن : المخادع . (٥) ليست بالأصل . (٦) حُيَّص جمع حائص وهو الحائد العادل عن الشىء . (٧) يريد بالأرقش القلم ومعناه فى الأصل الحية الذكر المنقط بسواد وبياض وهو هنا مجاز . (٨) أقعص : قتل . (٩) فى المثل : "إن العصا قرعت لذى الحلم" وله تفصيل فى مجمع الأمثال فليرجع اليه من يشاء ، وهو يضرب لمن اذا نبه انتبه .

" بمحمـــد " رُدّت عـلى أعقابهـا	عن ساحتى غُشْمُ الحوادث نُكَّصـا
أعطَى فأغـــنَى مسرفا متعـــدّيا	ميســـورَه كرما وودّ فأخلصـا
وخـــبَرتُ قوما قبـــلَه وخبرتُه	فعرفتُ مولى السيفِ من عبد العصا
تفــدِى ثرى قدميك قمّـــةُ ناقِص	حزتَ العـــلا مِلكا وطرَّ تلصُّصـا
حُرِمَ الســـيادةَ يافعا فاســـتامها	شـــيخا فكان كآلحِ بعــدَ الخصا (١)
لمـا جلستَ وقامَ ينشر باعَـــه	جهدَ التطاولِ لم يجِـــدْ لك أخْمَصا (٢)
لو ذُمَّ ما ألِمَ المذمّـــةَ عرضُـــه	ما ينقُصُ العـــوراءَ من أن تُبْخَصـا (٣)
وأنا الذى سر القـــلوب وساءها	ما حكتُه لك مسهِبا وملخِّصـا (٤)
وتـاذَر الشـــعراءُ مس لواذعى	والجـــر يحمى نفســـه أن يُقبَصـا
وآستمِتنى رقِّى فبعتُـــك مُرخِصـا	عن رغبـــةٍ، وكواهبٍ من أرخصـا

* * *

وقال يذكر قوما آغتابوه

روَّحها مُخمِســـةً (٥) خمائصـا (٦)	جُبًّا (٧) من الإعيـاء أو وقائصـا (٨)
قرومُها (٩) الجِـــلَّةَ (١٠) والقلائصـا (١١)	مـــوبرةً (١٢) تحسبها قصائصـا
زاد الربيـــعُ وغدت نواقصـا	اذا مشت عـلى الحصى حوائصا (١٣)

(١) الخِصَاءُ : قطع الخصية . (٢) الأخمص : باطن القدم . (٣) تبخص : تقلَعُ عينها ، وفى الأصل هكذا " نخصا " . (٤) فى الأصل " مخلّصا " . (٥) مخمسة أى واردة على الماء فى اليوم الرابع وفى الأصل "محمسة" . (٦) خمائص جمع خميصة وهى ضامرة البطن من الجوع وفى الأصل "حمايص" . (٧) جبّ : جمع جباء وهى المقطوعة السنام وفى الأصل "حبا" . (٨) الوقائص من الإبل القصيرة العنق . (٩) قروم جمع قرم وهو الفحل ترك للفحلة . (١٠) الجلة المسانّ من الإبل ، للواحد والجمع . (١١) القلائص جمع قلوص وهى الشابة من الإبل وقيل أول ما يركب من إناثها . (١٢) موبرة : كثيرة الوبر . (١٣) حوائصا : عليها الحياصة وهو حزام الدابة .

عاد بها لذّاعــه قوامصا   تسأل بالماء القطا الفواحصا

اذا السحاب آغترّها مُراقصا   ردّتْ عليه أعينا أخاوصا (١)

يغدو السفا لموقهن باخصا (٢) (٣) (٤)   حتى لحقن طيّما وعائصا

يفلين من روض الحمى العقائصا (٥)   ويحتلبن الُلّمّع النشائصا (٦)

يا لك ربعا "بالنخيل" شاخصا (٧)   أين الظباء تقنص القوانصا

بأوجهٍ لم تعرف الوَصاوصا (٨)   وأنملٍ يبسطنها رواخصا (٩)

اذا ضممن فى الدجى القَرابصا (١٠)   نمّ عليهن الحُليُّ آبصا (١١)

أيام أرعيك الهوى مخالصا (١٢)   مناوثا غيّ الصبا مناوصا (١٣)

ذلك حتى عدتُ ظلّا قالصا   قل لأمرئ نابلنى (١٤) القوارصا ،

مستخفيا وذمّ فضلى ناقصا :   عمّك جهلٌ أتعب الخصائصا

عش حاسدا ما شئت أو قل خارصا   تعلّقُ منى قُلْقُلا (١٥) محارصا

مصابرا أقرانه مرابصا   حتى يردّ (١٦) كلّ مخزٍ ناكصا

حرّمتُ شربا ما رزقتُ خابصا   يا لك دَرًّا لو تكون خالصا

---

(١) أخاوص : غائرة . (٢) السفا : التراب . (٣) الموق : طرف العين مما يلى الأنف . (٤) باخصا : يقال بخص عينه : قلعها بشحمها . (٥) العقائص جمع عقيصة وهى الخصلة تأخذها المرأة من رأسها فتكويها ثم تعقدها حتى يبق فيها آلتواء ثم ترسلها وهى هنا مجاز . (٦) النشائص جمع نشاص ككتاب وسحاب : السحاب المرتفع بعضه فوق بعض . (٧) النخيل : اسم عين بالمدينة . (٨) الوصاوص جمع وصواص وهو البرقع الصغير . (٩) رواخص : لينة . (١٠) القرابص جمع قربوص وهو حنو السرج . (١١) آبصا : مضيئا لامعا . (١٢) مخالصا : مصافيا . (١٣) مناوصا : مناوشا ، وقد ورد هذا الشطر فى الأصل هكذا :

* ماوها عم الصبى مقاوصا *

(١٤) نابلنى : رمانى بالنبل ، وفى الأصل هكذا "بابلنى" . (١٥) القلقل : الخفيف السريع التحرك . (١٦) فى الأصل "ترد" .

إن ترد الجمـــر تجده قابصـا ... قبلك أقذيت عِـــدًا أخاوصا (١)
تنصّ نحـوى أعينا شواخصـا ... تلفُّتَ العـانةِ (٢) راعت قانصـا
ففتُّهـا بمهَـــلى حرائصـا ... فوتَ الرعوس أعيتِ الأخامصا
فقل مطيـــلا فىَّ أو ملاخصاً (٣) ... تشرِ المنايا من فمى رخائصاً (٤)
وربما عفـــوت عنك ماحصا ... جهدُ البعوض أن يكون قارصا

قافيـــة الضـاد

وقال يمدح عميد الرؤساء أبا طالب ويهنئه بالنيروز

رضيتُ ـ ومامن طاعةٍ كلّ من رضِى ـ ... وفاءً لغـــدّارٍ وحبًّـا لمبغض
وراجعت قلبي أســتر الصبرَ بعــده ... فــلم أر إلا مقبــلا نحو مُعــرِض
حفاظٌ ولـكن لو وجــدتُ جزاءه ... وودٌّ ولـكن منــه لم أتعـوَّض
أكنتَ " بصحراء الأبيرق " صارف ... بعـــذلك (٥) عن بثّ الهوى أم محرِّضى؟
عشــيّةَ لا يخــفى جـوَى متجلدٍ ... ولا تسـع الأجفانُ دمـعَ مغيِّض
وأنت تمنيني بدمـــعٍ سمعتـــه ... وما كان إلا قــولةً من ممرّضى
ألا فى ضمـان الله لبُّ أطاره ... أصيلا سنا برقٍ " بدجلةَ " مومِض
له من سُحـوق (٦) الغـــيم ردّة غامدٍ ... وفى خفقان الريح سـلّةُ منتضى
أضـاء ويومى " بالجـزيرة " مظلمٌ ... يذكّرنى من " بابلٍ " ليلَها المُضى
وحســـناء لم ترج الإيابَ لغـائبٍ ... فترعى ولم تنــوِ القضـاءَ لمقـرِض

(١) أخاوص : غائرة عيونهم . (٢) العانة : القطيع من حمر الوحش . (٣) فى الأصل " مخالصا " . (٤) فى الأصل " رحائصا " . (٥) فى الأصل " بعدلك " .

(٦) سحوق جمع سحق وهو الثوب البالى وهو هنا مجاز .

لهـا منزل " بالغور " بين معدَّنٍ (١) — مَشـيدٍ ومنشـورِ البساط مروَّضِ
حَبستُ به أبـغى الحياة لقـاتلى — غراما وأدعـو بالشـفاء (٢) لممرضى
ولمـا توافقنـا وفى العيس فضـلةٌ — بقـدر الوقوف ساعـةً ثم تنقضى،
رأت شـيبةً ما لوّحت بعـوارضى — فصرّح بالهجران كلُّ معـرِّضِ
وقالت :أشيخٌ؟ قلتُ : كهلٌ،فأطرقت — وقالت : أمامَ السهمِ إنذارُ مُنبِضِ (٣)
يناغيك بعـد الشيب قلبى وناظرى — ومن أين يصفو أسودان لأبيضِ
فيالَسَـنى أيامَ يعطلُ مِسـحلى (٤) — وصمـتىَ فى حَـلْى اللجام المفضَّضِ
أنُوَّامَ ليـلٍ قصَّـر اليومُ عمـرَه : — سـلوا ببقاء الليـل من لم يغمِّضِ
وكنتم جناحى ثم هيض ببعـدكم — فهل بعدكم عضو اذا طرت منهضى
أأركض أبغى فى البـلاد معوضـةً — بكم طال تَطـوافى إذن فتركُّضى
بلى ! قَبَصٌ (٥) من "آل أيوبَ" صاح بى — سناه ــ وقد أعتمت ــ : دونك ناستضى
رعَتْ نفسِىَ الخُلاَّتِ (٦) قبـل وداده — هشيما فلمـا عنَّ لى قلتُ : أحمضى (٧)
" أبا طالبٍ " والظنُّ أنك شـافعٌ — لهـا فى غـنًى عن باعثٍ ومحضِّض
شكيّةَ ممـلوءٍ من الوعـد قلبُـهُ — تحـدّثَ عن داء من المطل مُرمِضِ (٨)
غـنىّ بتسـويف الأمانى تقطّعتْ — عُرَى صـبره بين المجىء الى المُضِى
أحلَّ بكم فى الصوم للفطر حاجـةً — وقـد عبَر الأضحى به وهو يقتضى

(١) معدَّن : مموّه بالمعدن . (٢) فى الأصل " بالشفاء " . (٣) المنبض : الذى يجذب وتر القوس لتصوت، وفى المثـل " لا يعجبك الإنباض قبل التوتير " يضرب فى استعجال الأمر قبل بلوغ إناه . ومنه أيضا " إنباض بغير توتير " . (٤) المسحل : اللسان .
(٥) القبص : الضوء كالقبس . (٦) فى الأصل : " الخلان " . (٧) أحمضى : كلى الحمض وهو فاكهة الإبل بعـد أكلهـا الخلة وهى خبز الإبل . (٨) المرمض : الموجـع المحرق .

أترضَوْن أن تصفو لغـيرى حياضُكم ... وأرضىَ تُغــذى جرعةَ المتــبرّض (١)

لعلّكم آرتبــتم بفضــل تســهلى ... عليكم والمــامى بكــم وتعــرُّضى

فلا تحسبوا ذلًّا فمــا من ضراعةٍ ... بدا لكُمُ نابُ (٢) الشــجاع (٣) المنضنِض (٤)

وغيرك من يرمى القضاءَ بذنبــه ... اذا قيل: قد فرّطتَ،قال: كذا قُضى (٥)

تسمَّعْ لهــا لم توفِ شكرَك حقَّــه ... ولو قد وفت ما كنتُ بالشكر أرتضى

جميــلة وجهٍ عاطلٍ من كُسَى الغنَى ... وإن وسمتهــا منــك حُلَّةُ معــرض

وفى القلب ما لا يبلغ الفــمُ بثَّــهُ ... وفَى بقريضٍ دونه الهــمُّ مُجرِضى (٦)

فعــذرا وفــوزا بانبساطى فإنــه ... عزيزٌ على ما آعتاد فــرطُ تقبّضى

وأخــذا من الأيام (٧) أوفَى حظوظهــا ... بخيرٍ تجــدْ ما شئتَ منهنّ وآرفضِ

تســاقُ لك الدنيــا بظهــرٍ مذلَّلٍ ... اذا وزَعَتْ قَــرْما (٨) بنفــرةِ ريِّض

***

وقال وكتب بها اليه فى النيروز

مَطَــلَ الدَّينَ ولو شاء قضَى ... فاســقُ الذمّةِ ينسَى ما مضى

كيف يُرجَى النصحُ من محتكمٍ ... يُكثر السّخطَ ولا يرضى الرضا

سرّنى يومَ "مِنًى" معترضا ... ملءَ عيــنى وشجانى مُعرِضــا

وجــد الوجــدَ كما خلّفــه ... بعد حولٍ ما بــرا ما أمرضا

أيّهــا الرامى وما أجــرى (٩) دمًا ... لا تحصِّبْ قــد بلغتَ الغرضا

---

(١) المتبرض : من يرشف المــاء قليلا قليلا . (٢) فى الأصل "باب" . (٣) الشجاع : الحية . (٤) المنضنض : المحرك لسانه . (٥) فى الأصل هكذا "كذى" . (٦) يقال : أجرضه بريقه : أغصه ، وفى المثل "حال الجريض دون القريض" . (٧) فى الأصل "الأنام" . (٨) القرم : الفحل يترك بلا ركوب . (٩) فى الأصل "أحرى" .

قَسَمَ الحبُّ فما أنصفني ... جورَ ما نقَّلَ لى وآفترضا (١)

ما على ساقٍ دمعى مغدِقا ... فى رضابٍ لو سقاه مبرِضا (٢)

قد سلبتم حسدا (٣) جوهره ... فآستحِلُّوه وبقُّوا العَرَضا

شَقِىَ السائقُ فى تبليغه ... أدرى أىَّ طريقٍ نفضا ؟

"الغَضا" إن الحشا من ذكره ... ربما آستبردتُ منها بالغضا

آطلبوا للعين فى أبياته ... نظرةً تكحَلُها أو غُمُضا

وبنفسى هاجرٌ لم يعتمد ... قبضوا من أنسه فانقبضا

لمتُمُ فيه وقلتم رقبة ... رمتُمُ (٤) صعبا وقُدتم رَيِّضا

إن تفُتْكَ اليومَ شمسٌ حُجبتْ ... فغدًا، ما كلّ يوم أبيضَا

من أمرَّ الليلَ والصبحَ به ... أظلم الحظُّ عليه وأضا

خلِّ يادهرُ "آبن أيوبَ" وخذ ... كلَّ شىء إن فيه عِوَضا

هبْ لىَ "الواحدَ" إنى آخترتُه ... وهنيئا لك ما ضمَّ الفضا

بك أَفدى وبهم منك أخًا ... حين أمذقتم (٥) ووادى مَحَضا

ناصلا (٦) من صدإِ العار كما ... خلَّص القَينُ الحسامَ المنتضى

لبس المجدَ فما أوحشه ... أىّ ثوبٍ فى هوى المجد نضا

سوددٌ حِلُّ تراثٍ، ونرى ... كرمَ القومِ مُعارا مقرَضا

شرفٌ يا "آل أيوب" مشى ... معرِقا فيكم مطيلا معرِضا

نرتعى أوديَةً مُهشَمةً ... وترودون ربيعا مُخِضا

وقف الحبُّ على دوحتكم ... غُصُنٌ منها لقلبى قبضا

(١) فى الأصل "اقترضا". (٢) مبرضا: معطيه رشفا قليلا قليلا. (٣) فى الأصل "جسدا". (٤) فى الأصل "رتم". (٥) امذقتم: خلطتم. (٦) فى الأصل "فاصلا".

نجتنى منـــه خيـارا الكُمُ حـــلو ما لاك فمٌ أو قرَضا
مِـــدَحًا تنشــر أعراضُكُمُ نشرَ حســناء لعُــرسٍ مَعْرضا
سائراتٍ تحت أوصافكُمُ شاهــداتٍ لا يذقن الغُمُضا
ما سـعى للبيت يمشى حاسرا راجلٌ وآبنُ ركابٍ ركضا
وجرت أوداجُهـا قائمـةً يوم "جَمعٍ" (١) وتَلوّتْ رُبضـا (٢)

* * *

وكتب الى ذى الرياستين كمال الملك أبى المعالى فى النيروز

ســقى زمنا "ببابلَ" عقــربىٌّ (٣) مــلىٌّ بالذى يُروِى ويُرضِى
عنيفُ الســير أوطفُ (٤) مستمرٌّ على غُــلَواء ما يقضى ويمضى
يزور الأرضَ بعـــد جفائه فى قضيضٍ من زماجره وقَضِّ
ســقَى بجرَى فأسمـــنَ كلَّ ضاوٍ يمـــرُّ به ورفَّع كلَّ خفض
فمن ملا ن بعد الغيض طاغٍ (٥) ومن ريّانَ بعـــد اليبْسِ غضِّ (٦)
وكرَّمَ أسرةً (٧) كانوا اذا ما آ ذ نجعت زُلالىَ الصافى وحَمضى
هم حمـــلوا وسوقَ (٨) الدهرِ عـــنِّى وهم نشطوا (٩) عرى نِسعى (١٠) وغرْضى (١١)
أضاءوا مذهـــبى فسرَحتُ طرفى وسيعا بعـــد إطـــراق وغضى (١٢)
وقامـــوا بين أيامى وبيـــنى فلم تقتُـــل ولا راعت بنبـــضِ

---

(١) يوم جمع : يوم عرفة . (٢) رُبضا . باركة . (٣) منسوب الى برج فى السماء .
(٤) الأوطف : السحاب الدانى من الأرض لكثرة مائه . (٥) فى الأصل "الفيظ طاو" ولا معنى لهما وإنما عبث بهما التحريف . (٦) فى الأصل "عض" . (٧) فى الأصل "أزرة" .
(٨) وسوق جمع وسق وهو الحمل الثقيل . (٩) نشطوا : عقدوا وشدوا ، وفى الأصل "بسطوا" .
(١٠) النسع : الحبل تشـد به الرحال . (١١) الغَرض : رباط الرحل كالحزام للسرج ، وفى الأصل "عرضى" . (١٢) فى الأصل "عضى" .

حَمَوا وجهى ولم أسأل سـواهم ... وأعطَوا كلَّ نافلةٍ وفرضِ
فأصبحُ فيهمُ وأروح عنهم ... الى وفرين من مالى وعِرضى
فهل من حاملٍ شَوقِى اليهم ... على ما فيه من ألمٍ ومضِّ
لحاملَه فوصلَه اليهم ... على بزلاءَ يخلها وينضى
يؤم "الزابيين" (١) بها ويعلو ... قويقا (٢) بين تقريب (٣) وركض
فيُسمعَ ثَمَّ سامعةً كراما ... أيَامَى العيش بعدهمُ ويُفضى (٤)
وإنى مذ نأت دنياى عنهم ... من الدنيا على هجرٍ ورفضِ
أقضِّى ما أغالطُ من زمانى ... بلوعاتٍ تكاد علىَّ تَقضى
فكم أحيا وفى "بغدادَ" بعضى ... على مرَضٍ وفى "تكريتَ" بعضى
ومسبوقين فى طرق المعالى ... وإن زُجِروا بِحَثٍّ أو بحضِّ
أصاحبهم فيمسى الودّ منهم ... على زلِقٍ من الشحناء دحضِ (٥)
وأبرمُ فيهمُ مِدَحًا متانا ... فتلقاها معايبهم بنقضِ
ولو حامى "كمال الملك" عنى ... رعيتُ الخصبَ فى دَعةٍ وخفضِ
اذًا لأعاد سلسالا نميرا ... على عاداته ثَمَدِى وبرضى (٦)
فدتك "أبا المعالى" كلُّ كفٍّ ... تقصِّر عنك فى بسطٍ وقبضِ
وكلُّ مدنَّسِ الأبِ لا بحتٍّ (٧) ... يميطُ العارَ عنه ولا برَحضِ (٨)
دعىٌّ فى الفضائل كلَّ يوم ... له نسبٌ يجىء به ويمضى

(١) الزابيان : نهران بأرض الموصل . (٢) قويق : نهر مدينة حلب وفى الأصل "فويقا" ولعله تصغير فوق . (٣) فى الأصل "تقريت"، والتقريب : سير دون الحضر . (٤) فى الأصل "يفضى" . (٥) الدحض : الزلق . (٦) البرض : القليل من الماء مثل الثمد بفتح الميم وسكونها . (٧) الحتّ : فرك الشىء وحكه وإزالته عن الثوب، وفى الأصل "بحثٍّ" . (٨) الرحض : الغسل .

نأى بك جمـــرةٌ بالغيظ تسرى ... الى ســـوداء مهجتـــه وتُفضى
كُرمتَ ففى عطايا الغيث شَوبٌ ... وماء يديك من صافٍ ومحضٍ
ويعطى النـاسُ من جِدةٍ وتعطى ... عطاءَ الحمد من دَيْن وقرضِ
وتخجلك المواهبُ وهى كُثرٌ ... كأنك مســخطٌ وذاك مُرضى
قضى اللهُ الكمالَ فكنت شخصـا ... لصـــورته وخَلقُ الناس يقضى
شريتـــك بالبرية بعـــد قطعى ... طريقَ الإختيـار بهـــم ونفضى
ورعتُ بك النوائب وهى فوق ... وتحتى بين حائمـــةٍ ورُبْضِ
فقـــد أسلمتني بنـــواك حتى ... نَسلنَ قـــوادمى وبرينَ نحضى (١)
فها أنا بين حاجاتى وشـــوقى ... لفتٌّ من مخالبهـا ورضٌ
أزم اليـــكُمُ قلـــبى وعيـــنى ... بآيـــة فيكُمُ جـــذَلى وغمضى
أسادتَنا كم الإبطـاءُ عنكـم ... وصـــبرُكُمُ على الهجـــر المِضِّ؟!
ألمّـا يأتِ وقتُـكم المســمّى ... ألمّـا يأنِ زبدُكُمُ بمخضِ
فكم سخـــطٍ على الدنيـا وصــدٍّ ... عن الدولات وهى عـــلى الترضِّى
حديثكُمُ يـــبرّحُ بالمعـالى ... فنهضـا ، إنهـا أيّام نهضِ
أراها أينعتْ ودنا جنـاها ... وأذعنَ ختمُهـا لكُمُ بفضِّ (٢)
عسى أقـــذى بقـــربكُمُ عيونا ... حســـدنَ علىّ من حزنٍ وبرضِ (٣)
ويـــبرد من أعاديكم وشـــيكا ... زفـــيرُ جـوانحٍ بالهـــمّ رُمْضِ
وبعـــد ! فـما لكم أغفلتمونى ... وأخلبَ بارقٌ من بعـــد ومضِ !
أظنـا أننى عنكـم غـــنىٌّ ... بحـــلّى أو بتطوافى وركضى

---

(١) النحض : اللحم المكتنز كلحم الفخذ .
(٢) فى الأصل " بفيض " .
(٣) البرض : خروج المـاء من العين قليلا قليلا .

معاذَ الله والعهدِ المراعَى ولو أنضيتُ تامكتى[1] ونِقْضى[2]
وتعويلى من النيروز وفدا على متنجّزٍ لى مُستَنَضّ[3]
فلا تتوهموا لى خصبَ مرعى اذا قعدت سماؤكُمُ بأرضى

✦ ✦ ✦

وقال فى قوس صفراء

صفراءُ من غير مرض بلهاءُ تفهم الغرض
عمياء تُبدى السَّنَنَ الـ ـقصدَ رَكوبٌ لم تُرَض
يراكض الريحَ بها فارسُها وما ركض
كأنه يبسط من عنانها وما قبض
لها ابن سوء اسمه[4] فى الأفق وهو منخفض
أخرسُ يُبدى كلَّ ما دقَّ خفيًّا وغمض
ترى دما ترضعه ولم تلد ولم تحض

✦ ✦ ✦

قافيـــة الطــاء

وكتب الى الصاحب أبى القاسم يهنئه بالنيروز

غالِ بها فيما تسامُ واشترطْ فلاءَها[5] فضلا على البيع الشططْ
واعلم بأن الغبنَ[6] حيث نُشطت[7] رُبُطُها[8] والغُنمَ حيث تُرتَبطْ

---

(١) التامكة : الناقة العظيمة السنام . (٢) النقض : المهزول من السير ناقة كان أو جملا ، وفى الأصل " نقضى " . (٣) مستنض : مستنجز . (٤) يشير الى كوكب اسمه "سهم الرامى" ، و يقال له أيضا : السهم . (٥) الفلاء : عزل الدابة عن الرضاع وفطمها .
(٦) فى الأصل "العين" . (٧) نشطت : نزعت . (٨) ربط جمع رباط .

من ضامنات الحاج لو دانيتها	بالنجم لم تُلْوَ به ولم تُلطْ (١)
ليس على راكبها جنايةٌ	من عَلَمٍ يُعيِي (٢) ولا أرض تشطْ
إن لم تكن أنت الذى ينصبه	طولُ السرى فهى التى لم تعيَ قطّ
كأنها تحت الدجى جِنِّيَّةٌ	راكبها فى ظهرها نجمٌ هبَطْ
لا تطأ الأرضَ وإن تسهّلتْ	لوطأة الدائس إلا ما تخطْ (٣)
كأنما أربعُها من خفّةٍ	واحدةٌ فى السير حين تختلطْ
تجرى فتُدمى أذنَها بيدها	كأنها بسنبكيها (٤) تشترطْ (٥)
تخالها الغالون من آياتها	صفوةَ ما خلّف فيهم وفرطْ
لم تتحرّش بشميم أمّها	هجائنُ "الفُرس" ولا غُبْس "النَّبَطْ"
لها من "العُربِ" ضمورٌ ناسبٌ	يغنِّى به عن الوسوم من علَطْ (٦)
جرداء لولا سَعَفٌ منتشرٌ	من عُرفها قلت : عسيبٌ (٧) مخترطْ
بمحزمٍ كما طويتَ بُردةً	ومَلجمٍ كما نشرتَ عن سَفَطْ (٨)
هى التى رحتَ بها مغتبطا	وقد لحقتَ بعد خمسٍ "بالغُبُطْ" (٩)
وبتَّ جارَ الحىِّ ترعى معهم	على نوى المرعَى ومصدوع الخُطَطْ
وناظراتٍ من فروج الرَّقْم (١٠) مذ	سُنّت (١١) عليهنّ السجوفُ لم تُمَطْ
بيضاتِ كِنٍّ مُلْسٍ لو خطّيت (١٢)	ما بينهنّ وصمةٌ لم تخطْ (١٣)

(١) تلط : تلصق . (٢) فى الأصل " يعمى " . (٣) فى الأصل " تخط " .
(٤) السنبك : طرف الحافر . (٥) فى الأصل " تترط " . (٦) علط : وسم ، وفى الأصل " غلط " . (٧) العسيب : الذى لم ينبت عليه الخوص وما نبت عليه الخوص فهو السعف .
(٨) السفط : الجوالق وهو شىء يشبه القفة . (٩) الغبط جمع للغبيط وهو اسم لعدّة مواضع .
(١٠) الرَّقم : ضرب مخطط من الوشى أو الخز . (١١) سنت : وُضعت ، وفى الأصل "مشنت" .
(١٢) فى الأصل "حطيت" . (١٣) فى الأصل هكذا "تخط" .

٢٣٧

لم يُبتــذلْنَ أوجهـا وأيديا ... فى وهَج النارِ ولا مخض الأقـطْ (١)

وادى الغضا يرقدن حوليه الضحى ... لطيمةُ السَّـفْر اليمانين تُحَـطْ

كأن روضـا تتهـاداه الصَّـبا ... هبّاتُهنَّ يتنازعن الشُّرُطْ (٢)

طـرقتهنّ والدجى لم ينفتقْ ... وسبحة الجوزاء لما تنخـرطْ

أنشـد قلبي عنـدهنَّ ضلّةً ... نشـدك بالقاع بعيرا منتشطْ

وبينهنّ ظبيـةٌ شـارفـةٌ ... لم تتعرَّف عنـدَها قبـلى اللُّقَطْ (٣)

ضاعف درعيها وقـد تجرّدتْ ... مرجّـلٌ (٤) أسحـمُ (٥) ذيّالٌ قَطَطْ (٦)

وَحْفٌ (٧) اذا ما غرّبت [فيه] (٨) يدا ... فارقـةٍ (٩) أدردَ أسـنانَ المُشُـطْ

صـدّ بهـا معـرِضةً أن قرأتْ ... خطًّا من الشيب بفودَىَّ وَخَـطْ

من منصفى من عنَت فى طرفهـا ... يزحمُ هُـدّاب الرداءِ بالشَّـمَطْ

قالت : كبِرتَ ، والغـنى (١٠) معبسٌ ... لا بـد ما لم تُحتضَـرْ فتُعتبطْ (١١)

دبت أفانينُ صروفِ الدهـر لى ... أساودا (١٢) فناهشـتنى ورُقُـطْ (١٣)

ونجّـذتنى (١٤) حقَبٌ عُـلوقهـا ... بالشـيب وهى لم تجلّنى فُـرُطْ (١٥)

وكـم أصـبتُ ثم أرمى غلطا ... فدلّنى عـلى الإصـابات الغَلطْ

وصاحبٍ كالجُرح أعيا سَـبرُهُ ... وجلّ عن ضبط العِصابِ (١٦) والقُمُطْ (١٧)

---

(١) الأقط : الجبن المتخذ من اللبن الحامض. (٢) الشرط جمع شريط وهى العتيدة تضع فيها المرأة طيبها وفى الأصل "السرط" . (٣) اللقط جمع لُقطة وهى ما يجده الإنسان . (٤) المرجّل : الشعر المسرّح . (٥) الأسحم : الأسود . (٦) القَطَط : القصير الجعد . (٧) الوحف : الكثير الملتف . (٨) ليست بالأصل . (٩) فى الأصل " فارَقَهُ " . (١٠) فى الأصل " والفتى " . (١١) فتعتبط : فتموت بلا علة . (١٢) أساود جمع أسود وهو العظيم من الحيات . (١٣) رقط جمع رقطاء : وهى الحية التى بها نقط . (١٤) نجذتنى : حنكتنى . (١٥) الفرط : الظلم والاعتداء والأمر المجاوز فيه عن الحدّ . (١٦) العصاب ما يربط به من منديل ونحوه . (١٧) قمط جمع قماط وهو قطعة عريضة من القماش تشدّ على الصبىّ .

حملتُــه لا أتشكَّى ثِقــلَه ... كى لا تقولوا[1] : طَرِفٌ[2] أو مشترطْ

وكالشــجا قافيــةٌ أسغتُهــا ... لو عارضت حنجرةَ البازِلِ أطّ[3]

أُسمِعها مسـتدعيا منــه الرضى ... أصمَّ لا يســمع إلا ما سخَــطْ

يأكل مــدحى وعتابى سُحُتًا ... حلوا ومرًّا ماضغا ومســترِطْ[4]

يأكله بالذلِّ ممنــونا به ... فلا يبالى ساقطٌ كيف لقَــطْ

ليت بنى " عبــد الرحيم " ليتهم ... يبقون لى من عَرَض الدنيا فقطْ !

الواهبين طُعمــةً أرضَهمُ ... ما أخصب العامُ عليهم أو قَحَطْ

والمانعين أَنَفًا جارَهُــمُ ... لم يلتصــق بنسبٍ ولم يُنَــطْ

يحاط فيهم وهو ممنــوع الحمى ... اذا تسمّى بأسمهــم لو لم يُحَــطْ

سادات مجــدٍ واذا قستَ بهــم ... ســيّدَهم باعدَ فضــلًا وشحَطْ

جاء " الحسينُ " فاَحتذى مثالَهم ... ثُمّتَ زاد جائزا تلك النُّقَــطْ

يشمخ أن ترفعَــه وراثةً ... علياءُ لم يَرفَعْ لها ولم يَحُــطّ

كالليث لا تحــلو له مضغةُ ما ... لم يفتــلِذْ بكفّه ويعتبِــطْ

مدّ الى ناصيــة المجــد يدا ... ينقبض المــزنُ مكانَ تنبســطْ

تُفــدَى بيسرى[5] لك إن أعجلتَها ... بالجــود يُمنَى كلِّ روّاغٍ مُلِطّ[6]

يعطى مقــلّا ويضنُّ مكثرا ... وإنمـا أحسنتَ ظنا وقَنَــطْ

وما يد البخيــل إلا ســوأةٌ ... متى بدت بارزةً فقل : تَغَــطّ

ومنكرٍ حقَّك لم تعــلَقْ به ... من الوفاء شيمــةٌ ولم تُلَــطّ[7]

أسلفتَه — لو شكر العبد — يدا ... غطّى عليها بالجحود وغَمَــطْ

---

(١) فى الأصل "فى". (٢) الطرف : الذى لايثبت على هوى . (٣) أطّ : أنّ .

(٤) المسترط : المبتلع . (٥) فى الأصل "بيسر". (٦) الملطّ : الجاحد لحق . (٧) تلط : تلزم .

لو شئتَ بعــد غلطةِ الأيّام فى آر	تقائه جاز يتــه لمّـا ســقَطْ
غرّر اذ خاطــرك الجهــلُ به	ما كلّ من أبصر عشواءَ خَبَطْ
ما كنتَ إلا جبــلا أرسَى ولا	كان سوى سهمٍ من الشرّ مَرِطْ (١)
اِسمعْ فـا تُؤثَر أخبـارُ العــلا	إلا شــذوذا وهى عنك تنضبِطْ
هل أنا فى وصــفك إلا ناقــلٌ	تُمــلِى سجاياك عــلىّ وأخُطّْ
أوانسا لولاك ما كنتُ بهـا	ـ ما فَارقتْ حشمتَها ـ بمغتبِطْ
كلّ نَــوارٍ (٢) لم يفارق نزقــةً	أخمصُها النعلَ وجنباها النَّمَــطْ (٣)
كم عنُــقٍ وهى لهـا طوقٌ وكم	من أذنٍ تُصــغى لها وهى قُرُطْ
أروضها لا نصــبى ضاع ولا	أجرِىَ فيهـا عنــد نعاك حَبِطْ
فى كلّ يــوم قاسمُ الحسن به	أقسط (٤) فى غيرى وفى شعرى قَسَطْ (٥)
كنّ كسالَى قبلــكم لكنّه	ما نشِط الإحسان للشــعر نَشِطْ

* * *

(٢٢٨) وقال وكتب بها الى الرئيس سعد الملك أبى الحسن (٦) بن حاجب النعمان يعتــد له بمراعاة أسلفه إياها (٧)، وتحفة جميلة حباه مبتدئا بها عنـد آستدعائه للقصيـدة البائية التى تقدمت و يهنئه بالنيروز

بكَرتْ هِيا (٨) تحِــلُّ الرُّبُطا (٩)	تملِكُ المـاءَ عــلى سربِ القطـا
تحسَب الأخفـاقَ فى أجنحــةٍ	طرنَ والجرجارَ (١٠) منهـا اللغَطـا (١١)

---

(١) مرط : أسرع . (٢) النوار : المرأة النفور من الريبة . (٣) النمط : ضرب من البُسط .
(٤) أقسط : عدل . (٥) قسط : ظلم . (٦) بالأصل : أبى الحسين وقد تكرر فى عدة صحائف من الديوان بهذا الضبط وفى آبن الأثير "أبى الحسن" وقد آعتمدنا روايته . (٧) يشير الى القصيدة البائية التى نشرت فى الجزء الأوّل صحيفة ٨٨ . (٨) هيا : عطاشا . (٩) الربط جمع رباط .
(١٠) الجرجار : تردّد صوت البعير فى حلقه . (١١) اللغط : صوت القطا .

كلّ هـــوجاء[1] ترى فى حبلهـا … من "أبانٍ"[2] منكبا منخـــرطا
تصف المعــقولَ منهـا ماردا … غُـــلّ والناشـــطَ سهما مَرِطا[3]
ما رأت جَزْعَ "أشيٍّ"[4] خُوصُها[5] … فـــرأت كفٌّ لعُنْقٍ مَضبَطـا
ظـــمأ لا يتبغّين[6] لـــه … مُشتكًى إلا وسـيعاتِ الخُطـا
فانهَ ياحابسَها فضـــلَ العصا … إنمـا تأمر أمرا شطَطـا
وعــلى المـاء الذى جئت له … كلّ جمّ الأخـــذ مزورِ العطـا
يمنـــع الرشـــفةَ لا ترزأُه[7] … ويفـــرّى[8] باللحـاظ النَّبطـا[9]
بارد الريـــق اذا مرّ ســـق … مرهف الجفن إذا همّ سطـا
يافروع البان من "وادى الغضا" … زادكنّ الله بى مختبطـا
أجتنى حيث اجتنَى الظبيُ العِـــرا … قَ أو أعطى المـــنى حيثُ عَطـا[10]
وســـقى الدمـــعُ وإلا فالحيـا … ذلك الملـــعبَ والمختـــلطـا
آهِ كم فيكنّ لى من نظـــرة … قتلتْ عمـــدا وكانت غلطـا
وفـــؤادٍ أبـــدا أرمى بـــه … لعيونٍ تســـتقلُّ اللُّقطـا[11]
ومَقيـــلٍ فـــرَشَ اللهوُ بـــه … فوقكنّ الأُزْرَ[12] لى والرَّيطـا[13]
زمنٍ ليت المـــنى تَرجِعُـــهُ … لـــو بليتٍ رُدَّ عيشٌ فَـــرَطا !

---

(١) الهوجاء : الناقة المسرعة كأن بها هوجا . (٢) أبان : اسم جبل . (٣) مرط : أسرع . (٤) أشىّ : اسم موضع بالوشم والوشم واد باليمامة . (٥) خوص جمع خوصاء وهى غائرة العين ، وفى الأصل "حوضها" . (٦) يتبغين : يبتغين ، وفى الأصل هكذا "يتبعن" . (٧) ترزأه : تنقصه . (٨) يفرّى : يشقّ . (٩) النبط : الماء النابع أو الماء الذى يخرج من البئر أول ما تحفر ، وفى الأصـــل "النيأطا" ولم نهتد اليها فى معاجم اللغة فاضطررنا الى نقلها الى ما يلائم السياق . (١٠) عطا : مد رأسه ورفعه . (١١) اللقط جمع لقطة وهى ما يجده الانسان . (١٢) الأزر جمع إزار . (١٣) الريط : جمع ريطة وهى الملاءة .

كل يوم أتمـنّى وطـرا ... لم أكن أمسِ بـه مغتبطـا
أشـتكى الآتى الى الماضى ولا ... يعـدَم الأقربُ لى ما شحطـا
قـل لبيضـاءَ توسّعت بهـا : ... قـد تلثّمتُكِ صِـلًّا أرقطـا
إنمـا كنتِ حسـاما خُطّ فى ... مَفـرِقى وآسمـكِ شيبٌ وَخَطا
أنكر الطُّـرّاقُ منـه قبسـا ... أعلق النـارَ به من سلَطـا (١)
وتواصت رسـلُ الألحـاظِ من ... قبل أن تبلغَـه أن يسـقطا
قمتُ فى نادى الهـوى أندبُـه ... شَـعَرا صار بـرغمى شَمَطـا
ولئن هان ضعيفـا ذاويا ... فبما عـزّ دهينـا قَطَطَـا (٢)
وأخ والنـوم فى أجفـانـه ... نحـلةٌ شـنّوا عليهـا المـأقطـا (٣)
ومن الليـل عليـه فضـلة ... ميسمُ الصـبح بهـا ما علطـا (٤)
وسـطورُ الأفْق [قد] (٥) جلّلهـا ... أزرقُ الفجـرِ فعـادت نُقَطـا
والـثريا فى مآخـير الدجى ... هامـةٌ شمطـاءُ غَلّتْ مُشُطـا
قلت : قم قد يئستْ منّـا العـلا ... فتمطّى يُوسِـدُ الكفَّ المَطَـا (٦)
ينفض الونيـةَ عن أعطـافه ... منفض المعقـول لاقى مَنشَطـا
ثم قال : آطلب بنـا غاياتهـا ... وتقحّمهـا مَخيضـا مُورِطـا
قد مللنـا النـاسَ فآصفح عنهُـمُ ... عرْضَ هـذا المـلإ المنبسطـا
لا تقـعْ إلا رءوسا فيهُـمُ ... دع ذناباها لهـم والوسَطـا
فأثـرناها رفيـقَىْ عزمـة ... شاكلتْ بينهمـا فاختلطـا

(١) سلط : دهن بالسليط وهو الزيت. (٢) القطط : الشعر الجعد القصير. (٣) المأقط : موضع القتال أو المضيق فى الحرب و يراد به هنا الخلية ، وفى الأصل "الأقطا" والأقط الجبن المتخذ من اللبن الحامض ولا يتفق والسياق. (٤) عَلَطَ : وسم. (٥) ليست بالأصل. (٦) المطا : الظهر.

نأخذُ الأرفــعَ من طُرْق العــلا ونعــدِّى المنحــنى والمهبِطـا
فوصلنـا والعــلا لم تختضــعْ بٱعتسـاف والــذّرَى لم تُلتَطا (١)
نــرِدُ الغُــدرَ زُلالا شَبِمـا ونفىء المجــدَ ظــلًّا سبطـا
والــثرى أخضر لا يلبســه جِــلدةَ الشهبـاءِ عامٌ قَحِطـا
واذا العــوراء غطّتْ وجههـا عنــك لم تُلقِ عـلى المـال غِطـا
ليس إلا جفنــةٌ فهّـاقــة (٢) للقِــرى أو بازلا معتَبَطـا
غــرُرٌ تجــلو الدياجى ولُهًى يتفرّجنَ الخطــوب الضّغّطـا
[نِعَم] (٣) باناتُ صَبًّا مطــلولةٌ تطــرد الريحَ شَمـالا قِطْقِطـا (٤)
تسرح الأبصــار حيث ٱقــترحت والرجاء الرحب كيف ٱشــترطا
كلُّ فضــلٍ عادل مــيزانه فاذا جاء عطـاءٌ فَــرَّطا
لا تعبِّس نعمــةٌ ضـاحــكةٌ قاسم الحــظِّ (٥) بهـا ما غلِطـا
رضىَ المقــدار والحــظُّ بهـا إن رضى حاســدُها أو سخطا
لبنى "عبــد العزيز" ٱجتهدتْ بــوجيف (٦) المتــقِ والمَــرَطَى (٧)
لمساميحَ حــوَوْا سقفَ العــلا حِصصًـا وٱقتســموه خُطَطا
كلُّ وضّاحٍ قُــدامَى دســتِه قُبَــلُ الآمالِ تَحــفِى البُسُــطا (٨)
تبصــر الغاشين حــولىْ بابه أبــدا رَكْـبا ورَجْــلَى سُمُطا (٩)
لو مشى حولا على شــوك القنـا ورأى الضــيم قَعـودا ما ٱمتطى

---

(١) لم نوفق الى معناها ولعلها "تمتطى" . (٢) فهاقة : ممتلئة . (٣) ليست بالأصل .
(٤) القطقط : المطر المتتابع العظيم . (٥) فى الأصل "الحطّ" . (٦) الوجيف : ضرب من السير أو هو العنق . (٧) المرطى ضرب من العدو . (٨) البسط جمع بساط . (٩) سمط جمع سماط وهو الصف .

فاذا آستُصرِخ فى نازلةٍ ... سلّط الآراءَ فيها سلّطا
قام تأويد الخلافات بهم ... حادثاتٍ وسلافا فُرُطا
واذا لم يصبحوا أربابَها ... وزَروا فيها وكانوا الوسطا
واذا ما ولدوا بدرا جلا ... ظُلَمَ الأرض وبحرًا غَطْمَطا (١)
مثلما أحيا الندى "فخرُ العلا" ... وآستراش الكرمَ المنجلطا (٢)
ساكنُ الصدر ليانٌ مسُّه ... فرشَ البشرَ شِعارا ووِطا (٣)
شائما فيها ظبًا مبروّةً ... يفتلان الصارم المخترطا
مثلَ حيّات النقا ما عرَمتْ (٤) ... كان ماكولا بها مسترَطا (٥)
مبصراتٍ فِقَرَ القول اذا ... ما آبنُ عشواءَ بليل خبطا (٦)
تضبِط الدنيا فإن سام يدا ... ضمَّ دينارٍ أبت أن تضبِطا
وسعى طفلا فطالت يدُه ... سوددًا كهلَهم المختلطا
جنَّتُه والدهر قد أرصد لى ... من خفيّ الكيد ذئبا أمعطا (٧)
وجروح اليأس فى حالى سدى ... تقذف القيد وتعيي القُمُطا (٨)
فوقَ جذلانَ حتى ردّنى ... وقصارى غايتى أن تُغبَطا
تأخذ الأبصارَ منى شارة ... تدع الشيخ فتًى مستشرطا
نعمةٌ لو قعد الشكر بها ... بهرت وآشتهرت أن تُغمطا (٩)
فاتت الأملاكَ حتى منعتْ ... كلّ راجى غايةٍ أن يقنطا (١٠)

---

(١) غطمط : كثر ماؤه وعظمت أمواجه . (٢) المنجلط : الذى كشط جلده فذهب ريشه ، وفى الأصل "المختلطا" . (٣) الوطاء : خلاف الغطاء . (٤) عرمت : أخذت ما عليه من لحم . (٥) مسترطا : مبتلعا . (٦) فى الأصل "حبطا" . (٧) الأمعط : الذئب لا شعر على جسده . (٨) فى الأصل "العيل"، والقمط جمع قماط : وهو الخرقة تلف على الصغير اذا شدّ فى المهد . (٩) فى الأصل "تعمطا" . (١٠) فى الأصل "يقبطا" .

فاستمع تخـبرْك عــنى شُـرَّدٌ ... تقطـع الأرضَ الربَى والغُـوطا[1]
تــدع الآمال إما روضـةً ... سُـقيتْ أو عِـترةً[2] أو نمطا[3]
معدِنٌ كلٌّ لسـانٍ مفصِـحٍ ... حـولها يسـقط حـتى تُلْقطا
واذا هُجْنُ القـوافى نُسِـبَتْ ... كانت "العُربَ" وكُنَّ "النبطا"
واذا النـيروز ضمّت عطفَـه ... فـترةٌ هـزّته حـتى يَبسُـطا
فابتـدا بين يديكم قائمـا ... لكمُ يَفتح منهـا سَـفَطا[4]
فاهتبلهـا تحفـة وآنعـم بهـا ... زائـرا [إمّا دنا][5] أو شحطا

✦ ✦ ✦

وقال يمدح كمال الملك أبا المعالى وهو مع أخيه بالبَنْدَنيجين[6] ، يهنّئه بالعيد والمهرجان و يتشوّقه

أصبْ برأيى أصابَ الحظُّ أو غلِطا ... فانهض له كسلَ المقـدار أو نَشِـطا
ولا تفـرّط جلوسا فى آنتظار غـدٍ ... نخـير عزميك أمرٌ لم يكن فُرُطا
خاتلْ يدَ الدهر وآنصُـلْ غيلةً أبدا ... من حبـله مارقَ الجنبين منخـرطا
ولا تشـاورْه فى أمرٍ هممت بــه ... فـربمـا لهـوَجَ الآراءَ أو خبطا[7]
إن قلت: خذ بيدى فى الخوف، أرسلها ... أو قلت فى الأمر: دعنى مرسَلا، ضبطا
أبو العجائب أدوى[8] أو شـفا وكسا ... أو برَّ مرتجعـا أو حـلَّ أو ربطا
جبْ هذه الأرض إمّا عشتَ محتشما ... مؤمَّـلا فـوقهـا أو متَّ معتبِطا[9]

---

(١) الغوط جمع غوطة وهى الوهدة فى الأرض . (٢) العترة : القطعة من المسك الخالص . (٣) النمط : ضرب من البسط . (٤) السفط : الجوالق . (٥) فى الأصل هكذا "ما ذنبا" . (٦) البندنيجين : بلفظ التثنية موضع بناحيـة العراق معرّب (وندنيكان) وهى بلدة مشهورة من أعمـال بغداد . (٧) فى الأصل "خطا" . (٨) أدوى : أمرض . (٩) معتبطا : بلا علّة ، وفى الأصل "مقتبطا" .

إما ذُنابَى فلا تحفل بمنقصة أو قمّة الرأس واحذرْ أن تقع وسَطا

فما الحياة وإن طالت بصالحة لمن يعدُّ متاعا بائرا سقطا

ما خطة العجز والأرزاق معرضة إلا لمن نام تحت الذلّ أو قنطا

يا أهل "بابل" لا طار الوفاء لكم بعدى اذا سرت فى جوّ ولا هبَطا

لأتركنّ رحيلى عنكمُ سمةً شنعاءَ يعاطُ فيها العارُ من عَلَطا (١)

كم يمضغ البين لحمى بين أظهركم وربما ملّ طولَ [المضغ] فاسترطا (٢)

كأننى صعبةٌ فيكم معبدّةٌ (٣) بدت من السرح فى وادٍ وقد خُبِطا

لا فرجة الرائحات السائمات لها ولا ترى ممسكا فى الله مرتبطا

وإن رأى ربها نِشدانها (٤) وقعت فى جانبٍ لم يُعرَف أهلَه اللُّقطا (٥)

فهى لمثلى مقامٌ عند مثلكمُ ! وعند سفن الفلا الإرقاصُ (٦) والملَطى (٧)

والأرض حاملةٌ ما شاء راكبها بزلاءَ (٨) ذات سنامٍ تامكٍ (٩) ومطا (١٠)

فلتأتينّكمُ بالغيب هاجرةٌ يُضحى بها ورقُ الإعراض مختبطا

صوائبا كسهام النزع معتمدا وافى لمقصده أو عائرا (١١) مَرطا (١٢)

تمضى فلا يملك (١٣) الإعتابُ رجعتَها ومن يردّ عقيلا بعد ما آنتشطا

باتت تخوّفنى الأخطارَ مشفقةً ترى الإقامةَ حزما والنوى غلَطا

هل تعلمين آمرأً ردّتْ مخالتُه على الحفيظين ما خطّا وما نقطا

---

(١) يقال : علط الناقة بمعنى وسمها بالعلاط . (٢) فى الأصل هكذا " المغض " .
(٣) يريد بالصعبة المعبدة : الناقة الشاردة . (٤) فى الأصل " وأى " . (٥) اللقط جمع لقطة وهى ما يجده الإنسان فى الطريق . (٦) الإرقاص : الارتفاع والانخفاض فى السير .
(٧) الملَطى : ضرب من العدو، وفى الأصل " اللطا " . (٨) البزلاء : الناقة المسنة .
(٩) سنام تامك : عظيم . (١٠) المطا : الظهر . (١١) العائر : السهم لايدرى من واميه، وفى الأصل " ثر " . (١٢) مرط : أسرع . (١٣) فى الأصل " تملك " .

وهـــل رأيت الذى نجّـاه مجثمُـــه ... بعقوة الدار أو أرداه إن شحطـا

ما نحن إلا قطينُ الموت يعســف با ... لوانى ويُلحقُ(١) بالسـلّاف من فرطـا

وطـــولُ أيامنـا والدهر يطلبنـا ... مراحلٌ تنتهى أعــدادها وخُطـا

وقد كانت الدارُ دارى والكرام بهـا ... حماةُ سرحى وجــيرانى معى خُلَطـا

يحرّمونى فـــلا عـــودى بمهتَصِر ... فيهم ولا خُضْرُ أوراقى لمن خرطا

ويؤمنـــون بآياتى فيتبعهـــم ... مقـــلّدا من بغى فيهـا ومن غمطا

صحبتهـــم وشبابى روضـــةٌ أُنُفٌ(٢) ... ألوثُ منـــه برأسى فاحما قَطَطـا(٣)

مرفرفين عـــلى برّى وتكـرمتى ... حتى غدا شعَرى فى لِمّتى شَمطـا

لا الظن أكدَى ولا أجدى بمدحهمُ ... وحبهـــم حاس(٤) مثقـالا ولا حبطـا

أجادلٌ(٥) من بنى "عبد الرحيم" علتْ ... محلّقات وخلّتـــنى ومن سقطـا

لمـا رأت قُلل الأطواد ساكـنةً ... أولى بهـا عافت الأوطان والغُوَطـا

لو لم تكن أنجمـا للناس ما طلبت ... ذُرَى الشواهق فاختطت بها خططا

ناطوا منـازلهم بالهُضْب نازحـــةً ... فقطّعوا وحشـــةً من قلبى النِّيَطا(٦)

كأنهـــم يوم زمّـــوها مخيّســـة(٧) ... كانت على كبدى أيدى المطىّ تطـا

بانوا(٨) بغبطـــة أيامى وكان بهـــم ... عيشى كما اقترح المحبـــوب واشترطا

فإن سألتُ زمانى أن يعوّضَـــنى ... بهـــم بديلا فقـــد كلّفته شططـا

ســـعى إلينا "كمالُ الملك" غاديةً ... وطفاءَ(٩) تُرضى من الإعراض ما سخطا

---

(١) فى الأصل "يحلق" . (٢) الأُنُف : التى لم يرعها أحد . (٣) القطَط : الشعر الجعد القصير . (٤) حاس : أفسد . (٥) أجادل جمع أجدل وهو الصقر . (٦) النيط : عرق علق به القلب ، والأصل فيه سكون الياء وحركت للضرورة . (٧) مخيسة : مذللة . (٨) فى الاصل "نابوا" . (٩) الوطفاء : السحابة المسترخية لكثرة مائها .

اذا سرت روّضت بالأرض أو جعلت — عَرضَ البسيطة فيما بيننا بُسُطا

كأنها بمجارى ذيلها رقمت — وشيا بنمنمة أو فوّفت نَمَطا (١)

لها من الفكر إمداد بلا أمد — كأنما ماؤها من كفه آنبسطا

تردّ معرضةَ الأسماع مقبلةً — والجعدَ من كلّ فهم ليّنا سَبطا

تميس فيها سجاياه فتحسبها — كواعب الحى قامت تحمل الرِّيطا (٢)

جزاء ما حاط لى من حرمة ورعَى — عهدا وما مدّ من نُعمى وما بسطا

فتى يرى يدىَ العليا على يده — اذا سألتُ نوالا أو قبلتُ عَطا

أفادنى العزّ فى الجدوى فصيّرنى — على آنقباضى الى جدواه منبسطا

ردّ الكمال حبيسا فى حبائله — عبدا فأطلق عن أيدى الندى الرُّبطا

لو كان خُلُق الندى مما يُجاد به — حباك أخلاقَه جذلانَ مغتبطا

خلائق تحبس الغادى لحاجته — طيبا وتستنزل الأحداجَ والرُّبطا

كان خمّار "بُصرى" (٣) بات يسكبها — أو فضّ عطّار "دارينٍ" (٤) بها سفَطا

حلوٌ جناها اذا عاذ الصديق بها — وحنظل من أعاديها لمن خبطا

سهولة الماء فيها رقة وندى — وقسوة النار فيها هيبة وسُطا

اذا حمى أقسطت (٥) أحكامُ صارمه — وإن همى قاسما أمواله قسَطا (٦)

اذا آستجمّوه لم تضغطه جلسته — توحشا أو دعوه فرّج الضَّغَطا

كالسيف تلبس منه مغمدا شرفا — وشارةً ويقيك الشر مخترطا

كفى القبيل (٧) وحيد لا قرين له — وساد أمردَ من بالشيب قد وُخِطا

---

(١) فى الأصل "فوقت" . (٢) الريط جمع ريطة وهى الملاءة . (٣) بُصرى : من قرى بغداد قرب عُكبرَاء . (٤) دارين : فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند . (٥) أقسطت : جارت وظلمت . (٦) قسطت : عدلت وأنصفت . (٧) فى الأصل "القتيل" .

قد أرهقـــوه فلا جبنـا ولا جزعا وآستخطبوه فـــلا عِيًّا ولا لَغطا
اذا آستغشّوا فلولَ السـيف وآتهموا من الذوابل محطوما ومتحَطا(١)
سَلَّتْ(٢) يداه وعينُ الحرب راقـدةٌ لهم أساودَ(٣) يقســمن الردى رُقُطا(٤)
ضمــوا الى تالد العليـاء طارفهـا تمازج الكسبُ والميراثُ وآختلطـا
بنَتْ له "فارسٌ" بيتا دعامتــه(٥) فى الأفق لا بين "ذى طَلْحٍ وذى الأَرَطا"
قوم قِرى ضيفهـم عقر البـدور اذا غدا قرى المعتمين السمنَ والأقِطـا
اذا آحتبت حلقة النـادى بعــزِّهِمُ نصُّوا الدسوت ومدّوا دونها السُّمُطا
كنتم رضاى عن الدنيا فلو حفِظتَ من النوى شملَكم لم أعرف السخَطا
تركتم عيشـــتى بلهاءَ عاطشـــةً فى مجهلٍ(٦) سبسبٍ(٧) [ينْسى](٨) القطاةَ قَطا(٩)
قد عَرِقَ(١٠) الدهرُ عظمى بعـد فرقتكم من بعد ما حزَّ فى جلدى وما كشطا
فلاحظــونى على بعــد المــزار بما يكون ســترا على عــوراته وغِطا
فليس بينى و بين الرزق غــيرُكُمُ إن جل أو دقّ سُــفّارٌ ولا وُسطـا
وآسمع لها — أنت خير السامعين لها — عــذراءَ ما طُــرَّ معناها ولا لُقِطـا
مزفوفــةً لم يضيّعها حواضنُهـا زُورًا ولم تعرف المِدْرَى(١١) ولا المُشُطا
تغــنَى بشافعها من حسنها أبدا عن التحسن مســتجلًى ومشــترَطا
كأنهـا لعــلوق السامعين بها تُهـدى الى كلّ سمع عاطلٍ قُرُطا
للمهــرجان بهـا والعيـدِ ساريةٌ ظهــرا ينقّلهـا رفعا ومنهبطـا

(١) منتحطا : مزجورا . (٢) فى الأصل "شلت" . (٣) الأساود جمع أسود وهو الثعبان . (٤) رقط جمع أرقط وهو المنقوط من الحيات . (٥) فى الأصل "دمامته" . (٦) المجهل : الأرض لا يهتدى فيها ، وفى الأصل "جاهل" . (٧) السبسب : المفازة أو الأرض البعيدة . (٨) هذه الكلمة ليست فى الأصل . (٩) قطا : حكاية صوت القطاة . (١٠) عرق : أكل ما عليه من لحم . (١١) المدرى : المشط .

يومان إن خولفت(١) جنسا [هما(٢)] فلقد تناسَبا فى آجتماع السعد وآرتبطا
"للفرس" و"العُرب" من شانيهما شرفٌ يردُّ خزيا على أعقابها "النَّبطَا"
فطاوِل الدهرَ مغبوطا بحظّهما فى ظلّ نَعماءَ مَنْ دامت له غُبِطا

وقال فى الثريا

ما نازل بمن علا وصاعدٌ بمن هبِطْ ؟
دانٍ على رأى العيو ن وهو إن ريمَ شطَطْ
فهو اذا درجتَه فوق وتحت ووسَطْ ،
جسم له وجهان ما شاء الجمالُ وآشترطْ
وأعين لم يحصهن بحساب من ضبطْ
يقلّ فيهن المصيب والكثيرُ من غلطْ
لا تسَعُ الدنيا له بعضا ولا سيرٌ يُحَطّْ

قافيــة العين

ولم يوجد له فى قافيــة الظـاء شىء

وكتب الى عميد الرؤساء أبى طالب فى النيروز

هبَّتْ ومنها الخلابُ والخدَعُ تأخذ منّى باللوم أو تدعُ
لأُهْبة السيرِ لا تطيرُ مع الـ ذكر بها لوعةٌ ولا تقعُ
لم يختلب(٣) جنسَها الوداعُ ولا آهـ ـتزّت لها(٤) خَلف ظاعنٍ ضِلَعُ(٥)

(١) هكذا بالأصل و يقال إنها لغة . (٢) ز يادة ليست فى الأصل . (٣) فى الأصل "يحتلب" . (٤) فى الأصل "لما" . (٥) ضلع بوزن عنب : عظم صغير من عظام الجنب منحن ، وفى الاصل "ضليع" .

قبلك أعيتْ عــواذلى أذُنى   أىّ صَفاةٍ بالعــذل تنصــدعُ
فى سـلف الرائحين جائرةٌ   تُســمَعُ أحكامُهـا فتُتّبــعُ
لهـا ســوادا قلبى وطرفى فما   يغرب فيها دمعى ولا الجــزعُ
حوراءُ ودّ الظبىُ المكانَ الذى (١)   تنظرُ منــه والظبىُ مرتبِــعُ
صحّحَ رِقّ حبُّ الــوفاء لهـا   ومهجتى فى لحاظها قِطَــعُ
بانت بحـلو المنى وعيشى، (٢) وآ   تى العيش ماضٍ لو كان يُرتجَعُ
وعلّمتْ طيفَها الصــدودَ وقد   كنتُ بإفك الأحلامِ أقتنــعُ
وليلةَ "النّعف" والسُّرى آمرٌ   بالنــوم والشــوقُ زاجرٌ يزَعُ
أكرهتُ عينى على الكرى أرقب الـ   طّـيف ونــومى أَولاه مُمتنِــعُ
فما وفت شيمــة مــلوّنةٌ   تُستنّ فى غدرها وتُبتــدعُ
حتى تمنيتُ لو سهرتُ مــع ا   لرّكبِ وودّ السارون لو هجعوا
شيّبنى قبــل أن كبِرتُ له   حبُّ "لظمياءَ" ناشىءٌ يفَــعُ
يأخذ ما تأخذ السنون من الـ   ـجسم ولا يــترك الذى تدعُ
آهِ لشــمطاء (٣) لا هى الشـــعر   برأسى ولا هى الصَّــدَعُ (٤)
تؤذننى بالمــدى وتخرُقُ من   عمرىَ مالا تســدّه الرُّقَــعُ
صحبتُ منهـا يُبس الرفيق ويا   ليت افترقنا من قبــل نجتمعُ!
كصاحب البــلدة القَوّاء (٥) أخو   ه الذئب فيهـا وجارُه السَّبعُ

(١) فى الأصل "ردّ". (٢) فى الأصل "عيش". (٣) الشمطاء: ما خالط بياضها سواد. (٤) هكذا بالأصل وهو غير متزن فضلا عن تعقيد معناه، ولعله يريد أن يقول:

آه لشمطاءَ لاهى الشــعر [مو   فورا] برأسى ولا هى [الصلع]

(٥) القواء: القفر.

قالوا : ٱرتدعْ إنه البياض وقد كنتُ بحكم السواد أرتدعُ
لم ينقل الشيْبُ لى طباعا ولا دنّسنى قبلَ صقله طَبعُ (١)
نفسىَ أحمَى من أن تُحمِّلَنى بالـوعظ وقلبى بالمجد مضطلِعُ
وإن هوى بى أو حطّنى حُمُق الـحظ فهمِّى يسمو ويرتفعُ
صَدَقتُ دهرى عنّى ليعرفنى لو كنتُ فيه بالصدق أنتفعُ
وقلت : مِلْ بى عن طَرْق مسألة الـناس وقُدْنى فإننى تبعُ
جرّبتُ قوما وفاؤهم بارق الـخُلّبِ لا يُمطِرون إن لمعوا
فى العسر واليسر يمنعون فإن أعطَوا تمنّيت أنهم منعوا
طمعتُ فيهم حتى يئست وما الـيأس سوى ما أفادك الطمعُ
فاقعد اذا السعى جرَّ مهضمةً وجُعْ اذا ما أهانك الشِّبَعُ
وصاحبٍ كاليد الشليلة لا يُدفعُ شىء بها فيندفعُ
مشى جوادا معى لحين علا تخمّعتْ لى بوده ضَبُعُ (٢)
حملت نفسى عنه عزوفا وقد يَخْمَى فيمشى بثقلِهِ الظَّلِعُ (٣)
وقلت : بابُ الإله إن ضقت مفـتوحٌ وهذا الفضاءُ متّسِعُ
وفى وفاءِ الحلو الوفاء "ٱبن أيّـوب" مَرادٌ كافٍ ومنتجَعُ
مولًى يدِى والحسامُ يُسلِمها وناصرى يومَ تخذُلُ الشِّيَعُ (٤)
علِقتُ منه شَزْرَ القُوَى مَرِس الـفتل وحبلُ الآمال منقطعُ (٥)
أبلج يعدى الدجى سناه فتبـيضُّ اذا خاضها وتنتصعُ
راضَ العلا قارحَ العزيمة وآسـتظهر حتى كأنه جَذَعُ (٦) (٧)

---

(١) الطبع : الوسخ الشديد من الصدأ . (٢) يقال : خمعت الضبع أى مشت مشية بها عرج .
(٣) الظلع : الأعرج . (٤) فى الأصل "السبع" . (٥) الشزر : الحبل الشديد الفتل .
والمرس : القوىّ . (٦) القارح من الإبل المسن . (٧) الجذع : الفتىّ .

مسدّد النطق مستريبٌ بما … قال من الحق آمنٌ فزِعُ

يُطلعهُ نجدُهُ كلَّ مشكلةٍ … رأيٌ وراء الغيوب مطّلعُ

عنَّ على قدرةٍ وجادَ وجوّ "ال … جديِ" (١) جعدُ الأرواح منقشعُ

وشد منه مُلكُ الإمامين جا … دَ المتن لا عاجزٌ ولا ضَرِعُ (٢)

ينصح لله والخلافةِ لا … يرفع فى شَهوةٍ ولا يضعُ

وزارةٌ مذ أتيتَها عاشت الـ … سُّنّةُ فيها وماتت البدعُ

تشهد لى أنها اليقينُ قضا … يا الله والمسلمون والجُمَعُ

وزَرتَهم وارثا أباك فما آر … تابوا بما أصّلوا وما آفترعوا

وآغترسوا عِرقَك الكريمَ فما … أطيبَ ما آستثمروا الذى زرعوا

كان آصطناعا على تمنّعه … منهم بمن قدّموا وما آصطنعوا

كنت لسانا يقضى اذا نطقوا … قضاءَ أرماحهم اذا شرعوا

وسنّةٌ تدفع المخالفَ عن … دعوتهم مذ هم بك آدّرعوا

فضلٌ طريف منه ومتّلِدٌ … تنقُلُه حاكيا وتخترعُ (٣)

وحدك الناسُ فى الدعاء ولو … ثنّوا لضلّوا إفكا ولو جمعوا (٤)

وأطنب المادحون فيك بما … صاغوا من السائرات أو رَصَعوا

ولم يقولوا إلا بما علموا … ولا روَوا فيك غيرَ ما سمعوا

فليبقَ للناس منك من أطبقَ الـ … ـناسُ عليه فى الفضل وآجتمعوا

ولتجتنب ربعَك الخطوبُ وفى … قومٍ مَصيفٌ لها ومُرتبَعُ

وليغشَ منك النيروزُ أكرمَ من … حطَّ اليه الوفودُ أو رفعوا

(٣٦٣)

---

(١) اسم نجم وبرج والأرواح جمع ريح . (٢) الضرع : الضعيف . (٣) فى الأصل "تجترع" . (٤) فى الأصل "لصلوا فكا" .

يومٌ جوادٌ حكاك حتّى على الـ ــتُّـربِ حُلى من جِـداه أو خِلَعُ
يعطيك بُشرى الخلودِ ماطفقت تحتجبُ الشمس ثمّ تطّلعُ
وليفدِ كفّيك مغلقُ اليد مخـ ـفورُ(١) النواحى بالبخل ممتنعُ
ما عنده فى المهمّ يطرقُه جدٌّ ولا بالندى له ولعُ

* * *

وكتب الى أبى منصور يزدانفادار فى يوم المهرجان

صدق الوشاة ، العهدُ عندكِ ضائعُ لو كان يوعَظُ فيكِ قلبٌ سامعُ
قُلت : التعاتبُ وهو هجرةُ ليلةٍ ثم آستمرَّ وزاد فهو تقاطعُ
تحتّكِ(٢) نفسٌ تطمئن اذا الهوى ترك النفوسَ اليكِ وهى نوازعُ
ومدامع يُبس النواحى كلّما بَلّت(٣) عليك من الحفاظ مدامعُ
أهوى المليحةَ كلَّ ما أحزنته بك ضائرٌ(٤)، أفأنت يوما نافعُ؟
قسما لئن ردّ الشبابَ وجاهَه ما قد علمتَ فما اليها شافعُ
أعدوّةً والحبُّ أنتِ وإنما تعصينَ فيه إن أحبّك طائعُ
شهد الوفاءُ بأننى لو خنته ما كان يجمعنى وعهدَك جامعُ
عاداتُ أيامى اللئيمةِ غادرت نِعَمى بمن أهوى وهنّ بخائعُ(٥)
دميَتْ قروحُك يا جريحَ زمانه تحت الحمول، أما لخرقك راقعُ(٦)؟
نظرا لنفسك ، ما حياؤك كاشفٌ عنك الهوانَ وما آحتشامك دافعُ
سالمتُ دهرى قبلَ أعلم أنه فيمن يهادنه السلامةَ طامعُ

(١) فى الأصل " محفور " . (٢) فى الأصل هكذا " تحتك " . (٣) هذه الكلمة وردت فى الأصل هكذا " بلت " . (٤) فى الأصل " صابر " . (٥) فى الأصل " بخامع " .
(٦) فى الأصل " رافع " .

فالآن أصميـــه بســـهمٍ ما له ... فى قلبـــه إلا المنيـــةَ نازعُ
" يَزدانَقَـادارٌ " وليس بمـــدّعٍ ... من قال لابن الشمس : نورُك ساطعُ
لا قِـرنَ لى وعلىَّ منـــه وفى يدى ... درعٌ مضاعفـــةٌ وسـيفٌ قاطعُ
فى " فارسٍ " نسبٌ يجاذب نحرهُ ... ما فيـــه لابن المَرزُبانِ (١) منازعُ
لله درّك واهبـا متـبرّعا ... وسـواك مرغوبٌ اليـــه مانعُ
لم يؤتَ من حظّ الشـجاعة ساهرٌ ... فيهـا الذى تؤتَى وطـرفُك هاجعُ
وكم انتضيتَ من الدواة مهنّـــدا ... خطـــراتُه بالدارعين وقائـــعُ
مَيْتٌ له بالنِّقس (٢) نفسٌ حيّـــةٌ ... ظامٍ وفى شـــفتيه (٣) ماءٌ مائـــعُ
يجرى غداة النّيْـــلِ أسـودَ كالحا ... وكأنه للنقـــع أصـــفرُ فاقـــعُ
يفـــديك قوم يسـتغيثك كلمـا ... خابت وسـائلُ عنـــدهم وذرائعُ
باعـــوا المحامـــدَ بالثراء وحسبهم (٤) ... خسرانُ صفقة ما اجتناه البائعُ
اليومَ عيـــدُ مَن الملوكُ جدودُه الـ ... ـماضون، حقٌّ مسـتفيضٌ شائعُ
كم من نصـــيبٍ للخلافةِ عنـــدنا ... فى مثـــله " رمضانُ " منـــه مانع
فالبس له حُلَلَ المعـــمَّر بعـــدَه ... فى العـــزِّ ما نَجَـــمَ الهلالُ الطالعُ
واسمع — كما انتظم الفريدُ، ورقَّ ما ... ءُ غمامةٍ، وصـفا الفِرِندُ اللامعُ —
بنتَ الليالى السـود أسهرنى لهـا ... حفظُ الأيادى البيضِ وهى ودائعُ
لمـا رأيت الدهرَ ضاق وأهـــلَه ... عـنى وعنـــدك لى فِناءٌ واســـعُ
حصَّنتُ باسمـــك جانبىَّ تعـــوُّذا ... فليصنعِ الحَـــدَثانُ ما هـــو صانعُ

---

(١) المرزبان : رئيس الفرس. (٢) النقس : الحبر، وفى الأصل "النفس".
(٣) فى الأصل "شفتاه". (٤) فى الأصل "وحبه".

* * *

وقال يمدح الوزير أبا نصر سابور فى النيروز ويبعثه فى حاجة له

لأيَّةِ لِبسةٍ خلعَ الخلاعَهْ ... وكان عصَى العذول فلِمْ أطاعَهْ
تلثَّمَ كالغمامة أعجبته ... فشام خلالها برقا قَراعهْ
وغالى فى ٱبتياع صِبًا شرته الـ ... ـليالى منه مرتخصا فباعهْ
قليلا ما حملتَ عليه ودا ... قليلا مذ أحبّك ما أضاعهْ
نزلنا فى "بنى ساسان" دُورا ... بها تُسْلَى بيوتُك فى "قُضاعهْ"
وعوَّض كلُّ يوم منك حولًا ... يسرُّ فكان يومُ البين ساعهْ
ألا يا صاحبي إن ناب خطبٌ ... دفعتَ به فاحسِنْ بى دفاعهْ
نشدتك والكرى بيد الليالى ... اذا أهدته أسرعتِ ٱرتجاعهْ ،
أكان سوى الوزير بنا وقلنا ... لماء المزن : جُدْ إلا رباعهْ (١)
اليه صرفت عن ذا الناس نفسى ... كما ٱعتزلت تألُّفَها القناعهْ
أقول لهمة لو قيل : مُدّى ... بباع النجم ، لم ترض ٱرتفاعهْ
اذا ما الضيمُ رابكِ فٱستجيرى ... ذَرَا "سابورَ" وٱنتجعى بقاعهْ
ثقى ولو ٱن حاجتَك "الثريا" ... اذا ما الليث مدّ لها ذراعهْ
فَدَى البخلاءُ والجبناءُ (٢) منهم ... فتًى وصلَ السماحة بالشجاعهْ
زكنتُ (٣) اليه ظنًّا صار حقًّا ... وكم وقفتْ براكبها الطماعهْ
وزرتُ فقمتُ بين يدَىْ كريم ... تحولُ قُوَّى بحضرته الضراعهْ
صفا ماءً وزدتُ على الهوينا ... صفًا، ما رمتُ فى أ ر خداعهْ

(١) كذا فى الأصل وهو مبهم فى تركيبه ومعناه. (٢) فى الأصل "النجباء". (٣) زكنت: تفرست ، وفى الأصل "ركنت".

أقــول لسائلى بك وهـــو ناءٍ كأن لم يرضَ من خبرٍ سماعه[1] :

أمامكَ مُلْك "آل بويه" فآسأل بذاك الشمل من ولِىَ آجتماعــهْ

ومن لو أبصر الأعــداءَ وحشـا تعقّبـــه فصـاد لهم سباعـــهْ

واو زحمـــوا " ثبيرا " فى مضيقٍ ألان على مناكبهم صِراعـــهْ

لقــد أُعطيتَ عدلَ الحـقّ حتّى لحلتك[2] تقسمُ الدنيـا المشاعـــهْ

وما ملِكٌ بعـــد الرأىَ إلا فتًى وصلتْ قنـاةُ الخطّ باعـــه

ولا أولادك الأوضـاحُ إلا وفودُ الفجر أحرزت الصداعـــهْ[3]

هـــو البيت آطمأنّ المجــدُ فيه فألقى وآســتقرّ به متاعـــهْ

ومن حسناتهم ذا اليوم عيدٌ حووا سبقا بفضلهـم آختراعـــهْ

وشرَّفهم[4] بفضـــلك ألفَ عامٍ فأمّنك المغذّون آنقطاعـــهْ

لعلك ناظـــرٌ فى حالِ عبـدٍ بعين الرأى كيف ترى آصطناعهْ

أعِرْ لَسَنى سماعَك كيف أشكو ـ وأُظلَمُ[5] ذاك ـ من حظى ضَياعهْ[6]

يؤخرنى القـــريضُ لدى أناس ركبت الى مدائحهم شراعـــهْ

قصائدُ لو ســبقت بهنّ حـــتى أصيّرهنّ فى ســفرٍ بضاعـــهْ

شريتُ جمالَ "يوسفَ" وهو راضٍ بهنّ وعدتُ فآستثنيتُ صاعـــهْ

وكم أغمـــدتها وسللتُ أخرى برعتُ بهـا فـــلم تُجدِ البراعـــهْ

بُخستُ كتابةً وحُرمتُ شـــعرا فهـــل من ثالثٍ لى من صِناعـــهْ ؟

أميـــل على الكراهة مـــع أناسٍ كما مالت مـــع الريح اليراعـــهْ

---

(١) فى الأصل "ساعه" . (٢) فى الأصل هكذا "لحانتك" . (٣) الصداعة : الإشراق .

(٤) فى الأصل "وشر" . (٥) فى الأصل "وظلم" . (٦) فى الأصل "صناعه" .

وما إن كدّنى إلا ارتكاضٌ على رزقٍ يجيء بلا شفاعهْ
فإن يُدرَكْ فأنت له وإلا فليس علىّ إلا الاستطاعهْ

* * *

وقال يمدح الكافى الأوحد ويودّعه، ويحثه على قضاء حقه، وتعجيل سراحه، وأنشده إياها فى صحراء بروجرد، وقد شخص لترائى هلال شهر رمضان

على أىّ لائمةٍ أربعُ(1) وفى أيّما سلوةٍ أطمعُ؟!
وقد أُخِذَ العهدُ يوم الرحيل أمامىَ والعهدُ مستودَعُ
فقصرَك يا خادعى من وفائى لؤمت، أعن كرمى أخدعُ؟
ويا صاحبى والنوى بيننا ضلالٌ فطُرقُ الهوى مهيعُ(2)
لأمرٍ(3) أخوك غدًا صامتا على أنه الخاطبُ المِصقعُ
سقى الغيثُ "بغدادَ" إمّا سقى لذكرتها جدَّ بى المدمعُ
وحيّا بها قمرا ما استقر بعد فراقى به مطلعُ
رأى شهرَ بُعدِى محاقا له فلم يُغنه العشرُ والأربعُ
ونومٍ على الطيف عاهدتُه وقد زار لو أننى أهجعُ
ضحكتُ(4) أهوّن بينى عليه وعبّس يزرى بمن يفجعُ
أغرَّكَ(5) بعدَ فراق الوزير أنّى لضرب النوى أخضعُ
أسير وضلع الهوى عند من تفرُّ لفُرقته الأضلعُ
وأسكنُ من وطنى بعدَه الى حسرةٍ قلّما تُقلعُ
وفى ضمن فرحةِ عودى جوًى يدلّ على أننى موجَعُ

---

(1) أربع: أعطف. (2) المهيع: الطريق الواسع. (3) فى الأصل "لأمن".
(4) فى الأصل "ضحلت". (5) فى الأصل هكذا "غرلك".

"أكافِيَنا" كافِىَ الحادثا ... تِ سوداً لنا سُمْرُها شُرَّعُ
بك انتصر الأدَبُ المستضامُ ... وأنشر ميتُه المُضجَعُ
سفرتَ بفضلك عن وجهه ... وظِلّ الخمولِ له برقُعُ
اذا المدح ناداه شوق اليك ... فناداه بُطْئِىَ إذ أُسرعُ
فتحت بجودك عينًا ترى ... وفودَك أو أذُنا تسمعُ
[أرى مقصدا م عليه عين بعود به المرجِعُ](١)
وقد هزّنى والدجى مسبِلٌ ... وأسهرنى والورى هُجَّعُ
حوادثُ تغشَى صميمَ الفؤاد ... لها فى صميم الصفا(٢) مَصْدعُ
فلا ربعةٌ(٣) زادُها مشبِعٌ ... يغذّى ولا نهلةٌ تنقعُ
سأهجرُ دارَك لا عن قِلًى ... كما يهجر المرتعَ المُربِعُ(٤)
أودّعُ دارك عن خبرةٍ ... بأىّ غرام غدًا أودَعُ
لجودُكَ بالعذرِ والعُرفِ لى ... سماحان هذا وذا يُوسِعُ
سيُنسَبُ حسنٌ وقبحٌ اليـ ... ـك حاشاك يَقبُحُ ما تَصنَعُ
ويسألُ عن رِبحِىَ المبضعون(٥) ... وغيرك يخسر ما أبضعُ
رحلتُ ولم أبقِ خَلقًا سواى ... اذا اندفع القولُ لا يُدفَعُ
وسُقتُ اليك لسانَ "العراق" ... وإنك للشاهدُ المقنِعُ

---

(١) كذا فى الأصل وفيه سقط وتحريف ولعله :

أرى مقصدا لم تُغَنِّ عليـ ... ـه غَبنًا يعود به المَرجَعُ

(٢) الصفا جمع صفاة وهى الحجر الصلد . (٣) الربعة : الجونة وهى الخابية المطلية بالقار ولعله يريد بها القدرعلى المجاز. (٤) المربع : الذى دخل فى الربيع . (٥) فى الأصل "المبغضون".

لسانٌ يصرّفه فى الرجال ... طريقٌ على غيره مَسبعُ (١)

اذا هو أحمدَ فالشُّهدُ منـ ... ـه والسمُّ من ذمّه مُنقعُ (٢)

وما ينظر الناسُ ما ذا رحلتُ ... ولكن يراعون ما أرجعُ

وودٌّ أوامرَك العالياتِ ... فتًى حافظٌ كلَّ ما يودَعُ

يسرُّك ما آصطنعته يداك ... اذا ضاعَ فى غيره المَصنعُ (٣)

[تهنأ بقابل] شهر الصيام ... وأحصِده خيرا كما تزرعُ (٤)

تلابطه شِرّةُ الظالمين ... وأنت له خاشعا تخشعُ (٥)

وسرّك منه الذى ساءهم ... لحفظك فى الله ما ضيّعوا

ولما برزتَ تُرائى الهلالَ ... مضى آيسا منه مَن يطمَعُ

لأنهُمُ أنكروا أن يروا ... هلالا على قمرٍ يطلعُ (٦)

* * *

وقال يصف مناقب أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب والمدافعة له عن حقّه عند عوده من الجبل

هل بعد مفترَق الأظعانِ مجتمَعُ ... أم هل زمانٌ بهم قد فات يُرتَجَعُ؟

تحمّلوا تسعُ البيداءُ ركبَهمُ ... ويحمل القلبُ فيهم فوق ما يَسعُ

مغرّبين هُمُ والشمسَ ، قد ألفوا ... ألا تغيب مغيبا حيثما طلعوا

شاكين للبين أجفانا وأفئدةً ... مفجَّعين به أمثالَ ما فجَعوا

---

(١) الطريق المسبع : الذى كثرت فيه السباع . (٢) فى الأصل " فاشهد " .

(٣) فى الأصل " المضيع " . (٤) هاتان الكلمتان وردتا بالأصل هكذا " وهن بمال " .

(٥) هذه الكلمة فى الأصل هكذا " بلابطه " ولابط أحدهما الآخر : ضرب كلّ منهما بأخيه الأرض وهى هنا مجاز عن مصارعة شهر الصيام لطيش الظالمين . (٦) فى الأصل " يرون " .

تخطـــو بهـــم فاتراتٌ فى أزمّتهـا ... أعناقها تحت إكراه النـــوى خُضُعُ

تشـــتاق "نعمان" لا ترضى بروضته ... دارا ولو طاب مصـطافٌ ومرتَبَعُ

فداء وافيــن تمشى الوافياتُ بهـم ... دمعٌ دمٌ وحشًـا فى إثرهـــم قِطَعُ

الليــلُ بعــدهُمُ كالفجر متصـلٌ ... ما شاء والنومُ مثلُ الوصـل منقطِعُ

ليت الذين أصاخوا يوم صاح بهـم ... داعى النوى : ثوِّروا، صَمّوا كما سمِعوا

أو ليتَ ما أخذَ التوديعُ من جسدى ... قضَى عـلى فللتعـــذيب ما يــدعُ

وعاذلٍ لجَّ أعصـــيه ويأمـــرنى ... فيهـم وأهرب منـــه وهـو يتّبعُ

يقول : نفسَـك فاحفظها فإن لهـا ... حقّا وإن علاقاتِ الهـوى خـدَعُ

روِّح حشاك ببَرد اليأس تسلُ به، ... ما قيـــل فى الحب إلا أنه طمعُ

والدهــر لونان والدنيـا مقلّبـــة ... الآن يعـــلم قلبٌ كيف يرتدعُ

هــذى قضايا " رسولِ الله " مهمَلةٌ ... غدرا وشملُ " رسول الله " منصدِعُ

والنـاس للعهدِ ما لاقَوا وما قـربوا ... وللخيـانة ما غابــوا وما شَسَـعوا(١)

وآلهُ وهُـــــمُ آل الإله وهـــم ... رعاة ذا الدين ضِيموا بعده ورُعُوا

ميثاقـــه فيهــمُ ملـقًى وأمتـــه ... معْ من بغاهم وعاداهـم له شِيَعُ

تضاع بيعتُـه يومَ " الغـدير(٢) " لهم ... بعــد الرضـا وتحاط(٣) الرومُ والبِيَعُ

مقسِّـمين بأيمـانٍ هـــمُ جَـذبوا ... ببوعها وبأسـياف هـــمُ طَبعـوا

ما بين ناشِرِ حبـلٍ أمسِ أبرمـه ... تُعدُّ مسنونةً من بعــده البِـدعُ

وبين مقتنِصٍ بالمكر يخـــدعه ... عن آجلٍ عاجـلٌ حـلوٌ فينخـدعُ

(١) شسعوا : بعدوا . (٢) الغدير : هو غدير خم بين مكة والمدينة : قيل إن النبى صـلى الله عليه وسلم خطب الناس عنده فقال «من كنت مولاه فعلىٌّ مولاه» . (٣) فى الأصل " وتحاط " .

وقائل لى : "علىٌّ" كان وارثَه (١) ... بالنصِّ منه، فهل أعطَوه أم منعوا؟

فقلت : كانت هَناتٌ لستُ أذكرها ... يجزى بها اللهُ أقواما بما صنعوا

أبلغ رجالا اذا سمّيتهم عُرِفوا ... لهم وجوهٌ من الشحناء تُمتقعُ

توافقوا وقناةُ الدين مائلةٌ ... لحين قامت تلاحَوا فيه واقترعوا

أطاعَ أولُهم فى الغدر ثانيَهم ... وجاء ثالثُهم يقفو ويتّبعُ

قفوا على نظرٍ فى الحقّ نفرضه ... والعقلُ يفصلُ والمحجوجُ ينقطعُ

بأىّ حكمٍ بنوه يتبعونكُمُ ... وفخركم أنكم صحبٌ له تَبَعُ

وكيف ضاقت على الأهلين تربتُه ... وللأجانب من جنبيه مضطَجَعُ

وفيم صيّرتم الإجماعَ حجّتكم ... والناسُ ما اتفقوا طوعا ولا اجتمعوا

أمرُ "علىٍّ" بعيدٌ من مشورتهِ ... مستكرَهٌ فيه "والعبّاس" يمتنعُ

وتدّعيه "قريشٌ" بالقرابة والـ ... أنصارُ لا رُفُعٌ فيه ولا وُضُعُ

فأىّ خُلفٍ كخُلفٍ كان بينكُمُ ... لولا تُلَفَّقُ أخبارٌ وتُصطَنَعُ

واسألهُم "يوم خمٍّ" (٢) بعد ما عقدوا ... له الولايةَ لِمْ خانوا ولِمْ خَلَعوا

قولٌ صحيحٌ ونياتٌ بها نَغَلٌ (٣) ... لا ينفع السيفَ صَقْلٌ تحته طَبَعُ (٤)

إنكارُهم يا أميرَ المؤمنين لها ... بعد اعترافهمُ عارٌ به ادّرعوا

ونكثهم بك ميلا عن وصيّتهم ... شرعٌ لعمرك ثانٍ بعده شرعوا

تركتَ أمرا ولو طالبته لدرتْ ... معاطسٌ راغمته كيف تُجتَدَعُ

صبرت تحفظ أمرَ الله ما اطّرحوا ... ذَبًّا (٥) عن الدين فاستيقظت إذ [هجعوا]

ليشرقنّ بحلو اليوم مُرّ غدٍ ... اذا حصدت (٦) لهم فى الحشر ما زرعوا

---

(١) فى الأصل "وقابل" . (٢) خم : أنظر ص ١٨٢ شرح رقم ٢ (٣) النغل : الضغن وسوء النية . (٤) الطبع : الصدأ . (٥) ليست بالأصل . (٦) فى الأصل "حضذف" .

جاهدتُ فيــك بقولى يوم تختصم الـ ـأبطالُ إذ فات ســيفى يومَ تمتصع(١)

إن اللسانَ لوصّالٌ الى طُــرُقٍ فى القلب لا تهتــديها الذُّبَّلُ الشُّرُعُ

آباى فى " فارس " والدين دينُــكُمُ حقّا لقـــد طاب لى أُسٌّ ومرتَبَعَ

ما زلت مذ يفَعتْ ســنّى ألوذ بكم — حتى محا حقُّكم شكّى — وأنتجعُ

وقد مضتْ فُرُطاتٌ(٢) إن كفلتَ بهـا فرّقتُ(٣) عن صُحُفِى البأس الذى جمعوا

"سلمان" فيها شفيعى وهو منك اذا الـ ـآباء عنــدك فى أبنائهــم شفعوا

فكن بها منقــذا من هول مطّلَعى غدًا وأنت من "الأعراف"(٤) مطّلعُ

سوّلتُ نفسى غرورا إن ضمنتُ لها أنى بذخرٍ ســوى حبّيك أنتفــعُ

* * *

وكتب الى الأستاذ أبى طالب بن أيّوب فى العيد

يقولون : يومَ البين عينُك تدمــعُ دعوا مقلةً تدرى غــدًا من تودِّعُ

ترى بالنوى الأمرَ الذى لا يرونه هوًى، فيقولون الذى ليس تسـمعُ

اذا كان للعـذّال فى السمع موضعٌ مصونٌ، فما للحب فى القلب موضعُ

يرى القومُ فيهـم أن مسراهمُ غدًا، صدقتك إنى من غدٍ لمــروَّعُ

لك الله موضوع اليدين على الحشا صباحا وبيضاتُ الهــوادج ترفعُ

ودون انصداع الشمل لو يسمعونه أنين، حصاة القلبِ منــه تَصدَّعُ

أعد ذكرَ "نعمانٍ" أعد إنّ ذكرَه من الطّيبِ ما كرّرته يتضوّعُ

فإن قــرّ قلبى فاتّهمه وقل له : بمن أنت بعــد "العامريّة" مولعُ ؟

أمنقادَ أحــلامِ الكرى أن تسرّه سهرنا فسلْ "حسناء" إن كنت تهجعُ

(١) تمتصع : تجالد بالسيف . (٢) فى الأصل "فرطاب" . (٣) فى الأصل "فرق" .

(٤) الأعراف : سور بين الجنة والنار .

أرميا على الهجران والشَّيب واخطُط ... فهلّا و فى قوس الشبيبة [منزَع](١)

رو يدك لو كانت سوى الحبِّ خطة ... لأعياك أنى الخاشع المتضرِّعُ

سلى الدهر عن حملى تفاوتَ ثقله ... وصبرى على أحداثه وهو يجزعُ

وتوقير نفسى عن حظوظٍ كثيرةٍ ... يخفُّ اليها الخامل المتسرِّعُ

وما خشُنتْ إلا وقاتُ : دعى غدا ... لكلِّ غدٍ رزقٌ مع الشمس يطلعُ

رشادَكِ ! خير الكسب ما جرَّ سوددًا ... عليك وميسورٌ من العيش يُقنِعُ

وإلا صديقا "كابن أيوبَ" حافظا ... بحيث السواد فى الفؤاد مضيَّعُ

حمى الله والمجدُ الصريحُ ابنَ حرَّةٍ ... حمانى وأرماح الحوادث شُرَّعُ

وناديت إخوانى فأقبل وحده ... علىَّ فلبَّانى وكلُّهمُ دعوا

من السابقين نجدةً إن تحمَّسوا ... لحفظ حمًى أو عفَّةً إن تورَّعوا

لهم قُضُبٌ فلُّوا بها قضُبَ الوغى ... مغامدها أيديهمُ حين تقطعُ

أراقمُ لا ترجو الرقاةُ اختداعَها ... ولا يبلغُ الدِّرياقُ موضعَ تاسعُ

طلبنا فما جازت "أبا طالبٍ" بنا ... منًى شطَطٌ ولا رجاءٌ موسَّعُ

وطرنا بهمّاتٍ تحوم على العلا ... فلما تراءى صاح رائدُنا : قَعُوا

خلفتُ به من كلِّ رثٍّ ودادهُ ... كثوب العدا ينعطُّ(٢) وهو يرقَّعُ

فعش لى أقلِّدْك الجزاءَ مَرَاسلا(٣) ... على العِرض(٤) لا ما زين(٥) سوقٌ وأذرعُ(٦)

اذا زانت الدرَّ اليتيمةُ أصبحت ... بعيدةَ يُتمٍ من معانٍ تُرَصَّعُ

لها أرجٌ فى السمع باقٍ وإن غدتْ ... يخُبُّ بها نطقُ الرواة ويوضِعُ(٧)

---

(١) ليست بالأصل . (٢) ينعطّ : ينشقّ . (٣) المراسل : القلائد واحدتها مرسلة .

(٤) فى الأصل "الغرض" . (٥) فى الأصل "زين" . (٦) فى الأصل "أدرع" .

(٧) يوضع : يسرع فى سيره .

على أوجه الأعياد مِيسمُ حسـنِها — من آسمك سـطرٌ فى الجباهِ موقَّعُ
أراغم دهرى بالحفاظ عليكمُ — وحافظُ قـومٍ آخرين مضيَّعُ
وقال غوىٌّ : إنّ فى الناس مثلَكم! — فقلت له : غيرى بمثلك يُخدَعُ!

* * *

وقال فيـه أيضا

اذا رضِـيَت رباك عن الربيع — فأهـونُ ما أُدِلُّ به دموعى
أدارَ الحبِّ إذ "خنساءُ" جارٌ — و "رامـةُ" ملعبُ العيشِ الخليع ،
وأترابُ الهـوى مـتزاوراتٌ — سريعـاتُ الأفـول من الطلوع ،
ليالىَ إذ ليـالٍ من شـبابى — شواعبُ[1] حين أدنت من صدوعى ،
اذا صـدّت لتهجرَنى شموسٌ — سفرتُ فكان من وجهى شفيعى ،
وقفنا نسـتعيدُك ما ألفنـا — وأين ذَهابُ أمسِك من رجوعِ !
ويبكى نازلُ الطُّـرّاق منّـا — فيصـبغها دموعا من نجيعِ[2]
وما خمدتْ "بذى العلمين" نارٌ — يشيمُ ضيوفُ مُوقدها ضلوعى
ونابذةٍ مع الحصياتِ عهـدى — وكان لهـا مكانٌ يدِ الضجيعِ
اذا قاضيتهـا أخـذتْ بعـدلٍ — لحسن الوجهِ من قبح الصـنيعِ
وليـلٍ قد سـهرتُ وكم سهادٍ — أحب الى العيـون من الهجوعِ
وخوّانينَ منفردين عـنّى — فما نقصَ الوحيـدُ عن الجميعِ
وعاذلةٍ تمـدّ حبالهـا لى — وطرتُ، فأين حبلُكِ من وقوعى !
تـلوم على النزاهـة وهى تدرى — بأن قناعتى حسمت قنـوعى
وقافيـةٍ جمعتُ لهـم شرودا — بهـا ووصلت حبـلَ أخٍ قطوعِ

---

(١) فى الأصل "شواغب". (٢) النجيع: الدم .

ترى البيت الجديد يهزُّ منها ... مُعاوِدهُ على سمعٍ رجيعِ
وسوقٍ للكساد شريت فيها ... بديع البيع بالحمد البديعِ
فلو شهِدَ "آبن أيّوبٍ" مقامى ... نجوت بمُصرَخٍ منه سميعِ
إذن لحمى يدى وحمى جَنانى ... أخٌ لا بالخؤون ولا الخدوعِ
فتًى يده على خَللى ودائى ... يدُ الراقى على العضو اللسيعِ
أتانى رائدى بالصدق عنه ... فها أنا منه أرتع فى ربيعِ
صفا لقبيل "أيّوب" غديرى ... ولان على مقادتهم منيعى

(٢٣٨)

اذا ما الناس كنتُ لهم ببعضى ... ممَاذَقةً محضتُ لهم جميعى
فداؤك حاسدوك على آختيارى ... وقد جهلوا الأشمَّ من الجديعِ (١)
وغاظهم آنفرادُك بى ونشرى ... محاسنَك الغرائبَ فى الجموعِ
وكلّ غريبة الأبوين بكر ... رَداحٍ (٢) شرطَ سمعك أو شَموعِ (٣)
عريقة مفخرٍ نشأتْ وقرّتْ ... مع الأبكار (٤) فى بيتٍ رفيعِ
يعدْنَك زائراتٍ كلَّ عيدٍ ... نواطقَ بالصبابة والنزوعِ
وغيرُك جاء يخطبهن منّى ... فما أغنى الوقوفُ على الربوعِ

* * *

وقال وقد توفى بعض فقهاء بغداد وهو أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمى ، وكان عظيم الإيجاب له والحرص على مودته ، وصلّى عليه بجامع المنصور

عاتبتُ دهرى فى الجناية لو وعَى ... ونشدتُه الحُرَمَ الوكيدةَ لو رعَى
وطلبتُ منه بسلبه وبحربه ... نَصَفًا فأعيا حاسرا ومقنّعا

(١) الجديع : المقطوع الأنف ، وفى الأصل "الخديع" . (٢) الرداح : المرأة الثقيلة الأوراك وهى هنا مجاز . (٣) الشموع : المزّاحة الضحوك اللعوب ، وفى الأصل "سموع" .
(٤) فى الأصل "الأفكار" .

فى كلّ يوم عثرةٌ من صَرفـه ... لا تستقالُ بأن يقال لهـا : لَعـا
جنّبْ هـواك ملوّنا ساعاته ... بالعـذرِ، لا يعطيك حتى يمنعـا ؟
لولا التحاملُ بالمصائب لم يكن ... بالمنفسـاتِ من الذخائر مولَعـا
نزلت مثقّـلة كِفافك ، إننى ... من قبل حملك موشك أن أظلَما
من ساءه صممُ المسامع إننى ... " يوم العَروبةِ "(١) ساءنى أن أسمعا
ونعى " أبا بكرٍ " الىَّ صباحُهـا ... لسـفاهةِ لو كان يعـلم مَن نعى
يومٌ على الإســلام قبلَك فرحةٌ ... ويكون بعـدك حسرةً وتفجُّعـا
ومن الدليل على مكانك فى العلا ... أن كان جمعُ صلاته لك مَجمعـا
فكأنمـا داعى الأذان لفـرضِه ... لك ساقهم و إليـك نثويبـا دعَا
وشككت إذ حملوك غيرَ مدافِع ... بيدٍ نخطُّوا فى الثرى لك مضجَعا
أعَدَوا على رجُلٍ فواروا شخصَـه ... أم طوّحوا " بيلملِم " فتضعضعا ؟
يا من عهدتُ العـزّ فوق جبينِهِ ... من راب عزك فاقتضى أن يرجعا
من زمّ مَخطَمك الأبىَّ فقـادَه ... مع طول ما جذبَ الحبالَ فقطّعا
وحوى لرقيتـه بحاجك فأرعوى ... ودعا نفارَك فاسـتجاب وأتبعـا
وأرى معاشرَ كنتَ ضيقَ حلوقِهم ... يتسـابقون تفسُّحا وتوسُّـعا
ما كنتَ مغلوبا فكيف أبحتهـم ... ذاك الحمى وأضعتَ ذاك الموضعا
ولَجُوا عرينَك آمنين وربمـا ... مرّوا به صعبَ الولوج ممنَّعـا
جَمَعوا فمـا سدُّوا مكانَك ثُلمـةً ... وسَعَوا فمـا كانوا لخرقك مَرقَعا
ما أغمد " النعمانُ " سيفَ لسانه ... حـتى ثويتَ فكان يومُكما معـا

---

(١) يوم العروبة : يوم الجمعة وهو من الأسماء القديمة ، تعريب : أروبا النبطية أو عروبتا السريانية .

ومحدِّثٍ بالخُلد بعـــدك جَهلُه ... وجــدَ الشماتةَ حلوةً فتجــرَّعا
لم تشفه منــك الحيــاةُ بجهــدهِ (١) ... فشفاهُ مــوتُك عاجزا فتــودَّعا
لا يشمتنّ وإن أقام مـؤخَّرا ... لا بدّ أن يقفــوك ذاك المَصرعا
كم فُتَّــه باعا ولو ملك المــنى ... لكفاه فخــرا أن يفوتَك إصبعــا
مالى وكنتُ بربع دارك آنسا ... أمسيتُ منــه موحشا متفــزِّعا (٢)
وأراه جدبا بعــد ما قــد زرتُه ... خِصبا بودّك لى ويُسرِك مرتَعــا
أيامَ أملكُ منـــك غير منازَع ... فى كلّ ما أروَى الـوفاءُ وأشبَعــا ،
سمعا بطيئا فى عمن لامــه ... وفمًا الى ما ســرّنى متســرِّعا
فلأَبكينّك من فــؤادٍ ناصع ... فى الحزن ، إن جفنٌ بكى متصنِّعا
ولأحفظنّــك باللســان ولن ترى ... حقّا على الحرّ الفصــيح مضيَّعــا
وصلتْ ثراك على البــلى وكّافــةٌ ... تُرضى بروضــتها المكانَ البلقعــا
ملءُ الثُّــدِىِّ (٣) على الثرى حنّـانةٌ ... تســقِى اذا فطَم الحيــا ما أرضَعا
أخذتْ من الريح الشَّمالِ لها الصبا ... عهدَ الأمانِ وذمةً لن تَقشعا
إن خان منك الدهرُ عهدى إنما ... فى نقضـــه وعلى محاسنه ســعى
رفقا بقـــلبى يا زمانُ فإنه ... صُلبُ العصــا ما أنَّ إلا موجَعــا
راميتنى فأترك لكفّى ساعــدا ... يُصمى الرميَّـــة أو لكفّى منزَعا
لو كان مَن أخذَ الردى منّى له ... عوضٌ أطال على الردى أن أجزعا
أو كنتُ أبكيه وأكحَلُ ناظرا ... بنظـــيره ما بلَّ مـــنى مدمَعــا

---

(١) فى الأصل " تسفه " . (٢) فى الأصل " متفرعا " . (٣) الثدى جمع ثدي .

* * *

وكتب الى الرئيس أبى الحسين الهمانىّ لمّـا آستُعمل على سَقى الفرات يتنجّزه وعــدا

على كلّ حالٍ جانب الحـقّ أمنعُ ... وكسبُ الفتى بالعــزّ أولى وأمتــعُ (١)

ويصـعبُ أحيـانا وينتظر الغــنى ... فيأتى ولم يخضــع له وهـو طيّــعُ

ولا تـترك الحـــرّ الأبىّ طباعُـــه ... لتخطئـــه (٢)، والذّلّ ثمّ التطبــعُ

ســـقى الله مُرّ الحزم يعرفُ نفسَـــه ... الى أين ما يجـــرى ومن أين ينزِعُ (٣)

اذا بذل الحـــرصُ الكرائمَ صانهـا ... وغالى بهـا إنّ الرخيص مضيّعُ

يلومون نصـــلا (٤) كيف يزْهَى بحدّه ... ولا يعلمون "الهندَ" من أين تَطبَعُ

دعــوه مصون المـاء يأكلُ غمــدَه ... اذا كان فى أيمـانكم ليس يقطعُ

وجُرّوا القنـا الخـوّارَ فآطّــردوا به ... مخادعةً ما دام فى الحـربِ مَخْـدَعُ

أالآن لمّـا أن تفاقم داؤها ... تبينـــتُمُ أىُّ العلاجين أنفــعُ

نقـــد علم الصمصامُ أن مصــيركم ... اليــه اذا آلتفّت رقابٌ وأذرعُ

أضعتم أمورا باعـتزالِ "محمـــدٍ" ... فلمّـا مضت، قلتم له : كيف ترجِعُ

اذا كان فى الأولى التجاربُ قبلهـا ... لمطّلــعٍ فى آخر الرأى مقنــعُ

بعثتم لهـا الحاوى المدرّبَ فآنظـروا ... وشيكا الى صمّائها (٥) كيف تسمعُ

لقامَ بهـا من لم يكن طالبا لهـا ... يدافع قــومٌ دونهـا وهـــو يدفعُ

فتًى لم تُفده رفعةٌ (٦) من حطيطـــةٍ ... وبعض الرجال بالـولاية يُرفَــعُ

لئن أخلفت فيهـا الولاةُ وعــودَكم ... لقــد جازها مَن وعده الصدقُ أجمعُ

---

(١) فى الأصل "امنع". (٢) فى الأصل هكذا "لىحطىه". (٣) فى الأصل "يزع".

(٤) فى الأصل "فصلا". (٥) الصماء: الحية لا تقبل الرُّقَى. (٦) فى الأصل "فعة".

وإن خان عامَيْها الربيعُ فإنها … بماء يديه الآن فى القيظ تُربِع
رحيب نواحى الصدر يفضل باعه … ذراعا اذا ضاقت صدور وأضلعُ
وقور الأناة ضاحكٌ، كلما بكى … — على الأمر فى إدباره — المتسرّعُ
وجدتم به الرأىَ المبيَّتَ ناصحا … لكم، وبَديهُ الرأى آلٌ(١) مشعشعُ
وجربتُمُ مَن قبلَه و"محمدٌ" … أحدُّ وهزاتُ "الهانىّ" أقطعُ
فذاك مغطّى العجز بالحظّ غالطٌ … به الدهرُ مصنوعُ الرياسةِ مبدعُ
نفورٌ زجاجىُّ الإباءِ شفيفُهُ … يكاد بأولى غمزةٍ يتصدّعُ
اذا ما أصابَ ٱرتاب مما تعوّد الـ … ـخطاءَ فيرعى الأمنَ وهو مروّعُ
فإن ساءه من نفسه العجزُ سرّه ٱغـ … ـتيابك والنقصانُ بالفضل مولَعُ
لئن قعدت من لؤمه أربعٌ به … لقد نهضت أضدادها بك أربعُ
تَفيض اذا أصفى(٢)، وتعفو اذا هفا، … وتُصمى اذا أشوى(٣)، وتُعطى وتمنعُ
سقى "الكوفةَ البيضاءَ" ماسرّ جدبَها … بكفّيك فيّاضُ الجداول مترَعُ
أبعد ٱزورار العيش بالأمس دونها ؟ … غدت وهى مرعًى للعفاة ومنجَعُ!
وأسعدَ "بغدادا" — على ما أظلّها … من الشوق — جفنٌ كلّما جفّ يدمعُ
أعدتَ لدارٍ موضعَ الأنس قاطنا … وأوحشتَ أخرى ـ لا خلا منك ـ موضعُ
وأحرنى يومُ ٱنطلاقك أن أرى … على جمراتِ البين فيمن يُشيِّعُ
فؤادٌ اذا قيل: الفراقُ، تسابقتْ … — حقوقا — أواخى صبره تتقطّعُ
وُجدتُ صليب العودَ فى كلّ حادثٍ … ولكننى الخوّارُ يوم أودّعُ
فعذرةٌ ! إن المفارق حافظٌ … هواك، ومُثنٍ الخيرِ بعدك مِصقَعُ
وسمعًا على بعد المزار وقربهِ … لسيّارة فيكم تُحَطُّ وتُرفَعُ

---

(١) الآل: السراب. (٢) أصفى: انقطع. (٣) أشوى: أصاب الشوى وهى غير المقاتل.

اذا أبـتمُ سُرتُ وإن بنتم سَــرَتْ(١) ... وراءكُمُ تقفو علاكم وتتبعُ
وقد كان بخلُ الناس باليأس صانها ... فعلّمها تأميلُكم كيف تطمعُ
لها سابقاتٌ كونُها فى زمانكم ... ضمانٌ وعهدٌ عندكم لا يضيّعُ
ولان لها دهرٌ فما كلّفتكمُ ... وقد ضيّق الآنَ الزمانُ فوسّعوا
لئن حُلِّئتْ(٢) فاستحلبتكم صواديا ... لقد أنظرتكم بُرهةً وهى نُزّعُ
دعوها تَرِدْ أورادَها من حياضكم ... ولا تدفعوها والغرائبُ تكرعُ
اليك وقد عَيَّ الخطيبُ أخو العصا ... وخام(٣) عن النصح الكميُّ المقنّعُ
رغبتُ بها عن ناصلِ الود قلبُهُ ... خبيث وإن طاب اللسان المصنّعُ
يريني بفرط البشر أنى قسيمُه ... وشافعُه مما يضرُّ وينفعُ
وقد كذب الإنسانُ فى أنه أخى ... دعيٌّ يرانى جائعا وهو يشبعُ
اذا قمتُ أشكو عنده الدهرَ [ذمّه](٤) ... وإياه أعنى ما أقول وأسمعُ

* * *

وقال يمدح فخر الملك أبا غالب، ويعتذر من تركه خدمتَه مدةً بسببٍ كان عاقه عنها، ويستوفى عليه العتابَ فى تركه النظرَ له والإقبالَ عليه، ويصفُ شدّةَ الزمان، ويعرِّض بفقد صنعة الشعر مع موت الرضيّ وابن نباتة رضى الله عنهما، ولم يبقَ إلا ما يُسمَعُ منه، وأنشدها فى مجلس حفلٍ فى الدار العزيّة

لكلِّ هوًى من رائدِ الحزمِ رادعُ ... وحبّكُمُ ما لم يَزَعْ عنه وازعُ
تُحَلُّ عقودُ العين مبذولةً له ... وتُشرجُ(٥) من ضنٍّ عليه الأضالعُ

(١) فى الأصل "سرب". (٢) حلئت: منعت عن الورود. (٣) خام: نكص وجبن. (٤) ليست بالأصل. (٥) تشرج: تجمع، وفى الأصل هكذا "سرج".

صفاةٌ على العـذّال لا يصــدعونها ... ولو شَقَّ شعبا من " أبانَينِ " [١] صادعُ

غرامُ الصبا كيف ٱلتفتُّ بصبوةٍ ... الى غـيركم فالقلبُ فيكم ينـازعُ

يقولون : حـولىَّ اللقـاءِ ونظـرةٌ ... مسارِقـةٌ ، حبّ لعمـرك قانـعُ

أجـيرانَنـا " أيامَ جمعٍ " [٢] تعـلّةً ... سلوا النَّفْرَ [٣] : هل ماضٍ من النَّفْرِ راجعُ ؟

وهل لثلاثٍ صالحاتٍ على " مِنًى " ... — ولو أنّ من أثمـانه النفسَ — فاجعُ ؟

أُجِنُّ [٤] " بنجـدٍ " حاجةً لو بلغتهـا ... " ونجـدٌ " على مرمى العراقِ شاسعُ

وحـلَّ لظـبي حرّم اللهُ صـيدَه ... دمٌ ساء ما ضلّت عليـه المسامعُ

يفالتُ أشراكى عـلى ضُعف ما به ... فطارَ بهـا قَطْعا وقلـبيَ واقـعُ

وكم ربع بالبطحاء من متـودِّعٍ ... وقُلقـلَ ركب للنـوى وهو وادعُ

ومشرفةٍ غيـداءَ فى ظهـر مشرفٍ ... له عُنُقٌ فى مِقـود البين خاضعُ

جرى بهم الوادى ولو شئت مسبلا ... جفونى لقد سالت بهن المدامعُ

وبيضـاءَ لم تنفـر لبيضاءِ لِمّـتى ... وقد راع منهـا ناصلُ الصبغ ناصعُ

رأت نحـرَها فى لونه فصـبتْ له ... وما خلتُ أن الشيبَ فى الحبّ شافعُ

عفا " الخَيفُ " إلا أن يعرِّج سائلٌ ... — تعلّةَ شوقٍ [٥] — أو يغـرّدَ ساجعُ

وإلا شجيجٌ [٦] أعجـلَ السـيرُ نزعَـهُ ... عسا [٧] فتعـاقتـه الريـاح الزعازعُ

وفى مثـل بطنِ الراح سُحْـمٌ كأنها ... ثـلاثُ بناناتٍ قضـاها مقـارعُ

وقفتُ بهـا لا القلب يصدُق وعدَه ... ولا الجفنُ يرضينى بمـا هـو وادعُ

---

(١) أبانين : بالتثنية جبـلان يقال لأحدهما : أبان الأبيض وللآخر أبان الأسود وهما بنواحى البحرين . (٢) أيام جمع : أيام منى . (٣) النفر : اليوم الذى ينفر فيه من منى الى مكة وهو الثالث من يوم النحر والنفر أيضا القوم ينفرون معك . (٤) أجنّ : أستر وأخفى ، وفى الأصل "أحن" . (٥) فى الأصل "سوق" . (٦) الشجيج : الوتد . (٧) عسا : قدم .

فيا عجبي حتى فؤادى بوده مداج وحتى ماء عينى مصانع

أبى طبع هذا الدهر إلا لجاجة وأتعب شىء أن تحال الطبائع

يعز حصا المعزاء(١) والدر هين ويشبع عير(٢) السرح والليث جائع

وأودعته عهدا فعدت أرومه ومن دينه ألا ترد الودائع

وأقسم لا أسترجعته ولو أنه قضى من شبابى أنه لى راجع

هنا المانعين اليوم أن سؤالهم منى ما أملتها على المطامع

وإنى بعنق من يد المن مفلت وما المن فى الأعناق إلا جوامع

وفى الأرض أموال ولكن عوائق من اللؤم قامت دونها وموانع

حماها رتاج من صدور شحيحة وأيد خبيثات عليها طوابع

بأى جمام(٣) الماء أرجو عذوبة إذا أملحت طعم الشفاه الوقائع

وما خلتنى أمشى على البحر ظامئا وخمس(٤) فمى منه بما بل قانع

لعل "لفخر الملك" آنف نظرة يعود بها الحق البطىء يسارع

وكم مثلها مضمونة عند مجده وفى لى بها والدهر عنها يدافع

شفت يده غيظ البلاد على الصدى وردت جراز(٥) الأرض وهو مراتع

زكا تحتها الترب اللئيم وأورق الـ قتاد(٦) الجفيف(٧) فهو ريان يانع

وجردها بيضاء واحدة الندى وخضر البحار السبع منها نوازع

وقد زعموا أن لا مرد لفائت وأن الردى يوم متى حم قاطع

وهذى العلا والمكرمات مواتها بجودك من تحت التراب رواجع

(١) المعزاء : الأرض الصلبة الكثيرة الحصا . (٢) العير : الحمار أيا كان وحشيا أو أهليا وقد غلب على الوحشى ، وفى الأصل " غير " . (٣) الجمام جمع جم وهو الكثير والوقائع جمع وقيعة وهى نقرة فى سهل أو جبل يستنقع فيها الماء . (٤) الخمس : ورود الإبل الماء فى اليوم الخامس وهو من أظماء الإبل . (٥) القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر . (٦) الجراز : اليابس الصلب . (٧) الجفيف : ما يبس من النبت .

برغم ملوك الأرض أنَّ ظهورَهم … من العجز عما تستحقُّ ظوالعُ

تركتَهمُ ميلًا اليك رقابُهم … فلا تستقمْ من حاسديك الأخادعُ (١)

وقد سبروا غوريك عفوا ونقمةً … فما عرفوا من أين ماؤك نابعُ

وكنتَ متى تقدحْ بزَندك ثاقبا … سُرى النجمِ لم تُسدَدْ عليك المطالعُ

وكم قمتَ دون الملك كاشفَ كربةٍ … تيقّظ منها الخطبُ والملكُ هاجعُ

وضيقة الأقطار عمياءَ ما لها (٢) … اذا انخرقت من جانب الرأى راقعُ

تجانبُ مَثناةَ النَّصوحِ فتوقُها (٣) … اذا وصلتْ أسبابَها فتقاطعُ

تداركتَها بالحزم لا السيفُ قاطعٌ … حديدته فيها ولا الرمح شارعُ

وَأيتَ بصُغْرَى عزمتيك كبيرَها … كما دبّرتْ نزعَ القناةِ الأصابعُ

وأخرى أبتْ إلا القراعَ رددتَها … تذمُّ وترضى ما جنته المَقارعُ

ركبتَ اليها السيفَ جسمُك حاسرٌ … وقلبُك من لُبس التصبُّر دارعُ

وفيت بعهدِ الصبر فيها حميّةً … وقد غدرت بالراحتين الأصابعُ

ومخطوبةٍ بالكتُب والرُّسْل مهرُها … غرائبُ أبكار الكلام البدائعُ

يقوم الخطابُ الفصلُ والجوُّ ساكنٌ … لديها مقامَ النصلِ والنقعُ ساطعُ

كتبتَ فأمليت الرياضَ وماءها … وكالنار وعظٌ تحتها وقوارعُ

لك النصرُ فاسمع كيف أُظلَمُ وانتصرْ … فما تضعُ الأيامُ من أنت رافعُ

حُرمتُ عطاياك المقسَّمَ رزقُها … وعاقت مديحى عنك منك موانعُ

وحلّأنى عن بحر جودك راكبٌ (٤) … هواه وقد لاحت لعينى الشرائعُ

ثلاث سنين قد أكلتَ صُبابتى (٥) … فغادرتنى شِلوا وذا العامُ رابعُ

(١) الأخادع جمع أخدع وهو عرق فى صفحة العنق . (٢) فى الأصل "وصيقة" .

(٣) المثناة : الحبل من صوف أو شعر أو غيره وفى الأصل "مناه" والنصوح الخائط .

(٤) حلأنى : منعنى الورود . (٥) الصبابة : البقية .

أرى من قريبٍ شمـلَ عزى مبدَّدا ... وقد كان ظنى أنــه بــك جامعُ
على كل ماءٍ لامــعٍ من نداكُمُ ... سنانٌ من الحظ (١) المماكِس لامــعُ
أيا جابر المنهاض لم يبق مفصِـلٌ ... وإلا ندوبٌ تحتــه ولــواذعُ
أعيـذك بالمجد المحسَّد أن يُرَى ... جنابُـك عنى ضيّقا وهو واسـعُ
وأعجبُ ماحُدِّثتُـه حفظُك العـلا ... ومثلىَ فى أيام ملكك ضائـعُ
أأنطَقُ مـنى بالفصاحة يُجتـبى (٢) ... وأمدحُ إن لفَّتْ عليـك المجامعُ ؟ !
أبى الله والفضـل الذى أنت حاكم ... بــه لِىَ لو قاضَى اليـك منـازعُ
وما الشـعر إلا النثر (٣) بعدا وصـورةً ... فـلو شاء لم يُطمِعْ يدا فيـه رافـعُ
وقد أفل النجمان منــه فلا يُضَـعْ ... — على غير سـير — ثالثٌ فيه طالعُ
بقيتُ لكم وحدى وإن قال معشر ... ففى القول ماتنهـاك (٤) عنـه المسامـعُ
ولو شئت بى أخفَى "زهيرٌ" (٥) شاءهُ ... على "هَرِمٍ" أيّام تُجـزَى الصنائعُ
وما شاع عن "حَسّان" (٦) فى "آل جفنة" ... من السائرات اليومَ ما هــو شائعُ
وكان غبينا من "أميـةَ" من شَرَى ... مديحَ "غِياثٍ" (٧) وهو مغلٍ فبائـعُ

---

(١) فى الأصـل "الحظ"، والماكس : المشاكس . (٢) يجتبى : يصطفى، وفى الأصل "يجتنى". (٣) فى الأصل "البشر". (٤) فى الأصل "تنهال". (٥) زهير : هو زهير بن أبى سلمى الشاعر آختص بمدح هرم بن سنان ابن حارثة المرّىّ ومما قاله فيه قوله :

إن البخيل مـلوم حيث كان ولـ ... كنّ الجواد على علّاته "هرِمُ"

(٦) حسّان هو حسّان بن ثابت الشاعر مدح آل جفنـة وهم ملوك من اليمن كانوا يستوطنون الشام ومما قاله فيهم قوله :

أولادُ "جفنة" حول قبر أبيهمُ ... قـبرآبن مارية الكريم المفضـل

(٧) غياث : هو الأخطل شاعر بنى أمية وآسمه غياث آبن غوث بن الصلت، والأخطل لقب غلب عليه لأنه هجا رجلا من قومه فقال له : ياغلام إنك لأخطل فغلبت عليه، وآسمه "غياث" وورد فى الأصـل هكذا "عيان".

عـلى كلّ حال أنتَ معطٍ وكلّهـــم على سَعة الأحـــوال معطٍ ومانـــعُ
وقد وهبوا مثـــل الذى أنت واهب فما سمعوا بعض الذى أنت سامـــعُ
ذرائعُ من فضـل عليـــك ٱتكالها فـا بالها تُدنى وتقصَى ذرائـــعُ
وما لكُمُ واللهُ يعطف خصبكم عـــلى مجدبٍ دنيـاه منه بلاقـــعُ
تصان الأسامى عنـدكم بٱشتهارها وغمض المعانى مهملاتٌ ضوائـــعُ
وموشـــيّةٍ حَوكَ البرودِ صفاتُك الـ حسان تساهيمٌ(١) لها ووشائعُ(٢)
تهبُّ رياحا فى عـــداك خبيثـــةً وطيبًا عليـــك رَدْعُها(٣) متسارعُ
كأن "اليمانى"(٤) حلَّ منها عيابه(٥) تفاوحُ من "دارين"(٦) فيها البضائعُ
متى ضحكت لى من سمائك برقةٌ حكت لك أرضى كيف تزكو الصنائعُ
وإن كان يومٌ فى الحـــوائج شافعا الى النجح ، إن المهرجان لشـافعُ

وقال وكتب بها الى نقيب النقباء أبى القاسم بن عبد الرحمن يهنّئه بالنيروز

أمرتجِـــع لى فارطَ العيش بالحمى غرامى بتـــذكار الهوى وولوعى
وكرّى المطايا أشـــتكى غيرَ ضامن وأدعو من الأطلالِ غيرَ سميعِ
نعـــم! يُقنع المشتاقَ ما ليس طائلا وإن لم يكن قبـــل النوى بقنوعِ
وقفنا بها أشـــباحَ وجدٍ ولوعةٍ وأشـــباهَ ذلٍّ للهـــوى وخشوعِ
نحـــولُ ركابٍ ضامها السيرُ فوقـه نحـــولُ جسومٍ فى نحـــولِ ربوعِ
لعمر البلى ما ٱقتاد من ضوء "ضارجٍ"(٧) ســــوى مسمحٍ(٨) للنائبـات تَبيـــعِ(٩)

(١) التساهيم : الخطوط فى البرد . (٢) الوشائع : الطرائق فى الثوب . (٣) الردع : أثر الطيب . (٤) اليمانى : المنسوب الى اليمن . (٥) عياب جمع عيبة وهى زبيل من أدم . (٦) دارين : فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند . (٧) ضارج : اسم أرض قرب الكوفة . (٨) المسمح : الذى ينقاد ويذلّ بعد ٱستصعاب . (٩) التبيع : التابع .

وقد كُسيتْ(١) أطلالُ قومٍ وعُرِّيتْ ... فما مُنعتْ دارٌ "كأمّ منيع"

رحيبة باع الحسنِ طاولتِ الدُّمَى ... فزادت بمعنًى فى الجمال بديع

خطَت(٢) فى الثرى خطوَ البطىء وقاسمت ... لحاظا لها فى القلب مشىَ سريع

كأنّ مُطيبا قال للعِترةِ(٣) آفتقى ... يقول لها : جُرِّى الذيولَ وضُوعى

وأعهدها والدمع يجرى بلونه ... فتصبغه من خدّها بنجيع

كأنّ شعاعَ النار فى وجناتها ... يُطيرُ شرارَ النار بين ضلوعى

وعصر الحمى عصرى وضلع ظبائه ... معى وربيعُ العيش فيه ربيعى

ليالىَ أغشَى كلَّ جيدٍ ومعصمٍ ... يبيت وحيدا من فمى بضجيع

اذا رعتها من وصل أخرى بزلّةٍ ... تلافيتها من لِمّتى بشفيع

ولخمةِ ليلٍ كالشعور آهتديتها ... بقدحة برق كالثغور لموع

الى حاجة من جانب "الرمل" سُحِّرت ... لها الشمسُ حتى ما آهتدت لطلوع

وجوهٌ تولّت من زمانى وما أرى ... بأظهرها أمارة لرجوع

تعيبُ علىَّ الشيبَ "خنساءُ" أن رأت ... تطلّع ضوءِ الفجر تحت هزيع(٤)

وما شبتُ لكن ضاع فيما(٥) بكيتكم ... سوادُ عِذارى فى بياض دموعى

وقالت : تفرقنا ونمتَ على الهوى ! ... سلى طيفك الزوّارَ : كيف هجوعى

خلعتُ الهوى إلا الحفاظَ ولم أكن ... لأُخدعَ فيه عن مقام خليع

وكنتُ جنيبا للبطالة فآنثنى ... زمامُ نزاعى فى يمين نزوعى

سأركبها خرقاء تذرع(٦) بوعها ... فضا(٧) كلّ خَرْق(٨) فى البلاد وسيع(٩)

---

(١) فى الأصل "كسبت" . (٢) فى الأصل "حطت" . (٣) العترة : القطعة من المسك الخالص . (٤) الهزيع : القطعة من الليل . (٥) فى الأصل "فيها" ولا يستقيم بها المعنى . (٦) فى الأصل "تدرع" . (٧) فى الأصل "قضا" . (٨) الخرق : الأرض الواسعة . (٩) فى الأصل "وشيع" .

اذا قطعتْ أرضا أعدّتْ لأختها ... ظنابيبَ (١) لم تُقرع بمزّ قطيع

ضوامن فى الحاجاتِ كلَّ بعيدة ... وصائل فى الآمال كلَّ قطوع

تزور بنى "عبد الرحيم" فتعتلى ... بأخفافها خضراءَ كلِّ ربيع

تحطّ بماءٍ للندى مترقرقٍ ... مَعينٍ وواد للسماح مَريع

ترى المدح وسما والثناءَ معلّقا ... لهم بين أغراض (٢) لها ونسوع (٣)

وكائنْ لديهم من قراعٍ لنكبةٍ ... وللجد فيهم من أخٍ وقريع

وعندهم من نعمةٍ "صاحبيّة" ... تَرُبُّ أصولا من علا بفروع

حموا بالندى أعراضَهم فوقاهُمُ ... من العار ما لا يُتّقَى بدروع

ونالوا بأقلامٍ تجول بأنمُلٍ ... مَطارحَ أرماحٍ تطول ببوع

بنو كلِّ مفطومٍ من اللؤم والخنا ... وايد وتِربٍ للسماح رضيع

اذا حولموا زادوا بأوفى موازنٍ ... وإن فاخروا كالوا بأوفر صُوع (٤)

وإن ريع جار أو تنكّر منزلٌ ... فربَّ جنابٍ "للحسين" مَريع

رعى اللهُ للآمال جامعَ شملها ... مُشتًّا من الأموالِ كلَّ جميع

وحافظَ سِربِ المكرمات ولم تكن ... لتُحفظَ إلا فى يمينِ مضيع

أخو الحرب أنَّى ربُّها كان ربَّها ... وأبطالُها من سجَّدٍ وركوع

وكالراح أخلاقا اذا امتزجت به ... ولكنه للكأس غيرُ صريع

ومشفقةٍ تنهاه من فرط جوده ... ألا تعبًا تنهين غيرَ مطيع

تسومين كفَّ المزن أن تضبط الحيا ... ولا تسلم الأسرارُ عند مذيع

---

(١) الظنابيب جمع ظنبوب وهو حرف الساق من قُدُم و يقال : قرع ظنابيب الأمر أى ذلّله ومهّله ، وفى الأصل "ظنابيت" . (٢) أغراض جمع غَرْض وهو للرحل كالحزام للسرج . (٣) نسوع جمع نسع وهو حبل يشد به الرحل . (٤) صوع جمع صاع .

شددت بكم أيدى وسـدّدت خَلّتى[1] ورشتُ جناحى وآلتحمت صدوعى

وأقنعنى تجـريب دهرى وأهـله بكم لخستم بذلـتى وقنـوعى

فإن أنا لم أفصح بحسن بـلائكم بشكرى فـذمّونى بسـوء صنيعى

بـكلّ مطاعٍ فى البـلاغة أمرُها مخلٍّ لهـا آستطـراقُ كلِّ بديـع

لها فى القوافى ما لبيتـك[2] فى العـلا سَـنامُ نصابٍ لا يُنـالُ رفيـع

اذا عَرِى الشـعرُ آرتدت من بروده بـكل وسيم الطرتين وشـيع

أمدّ بهـا كفّا صَناعا كأننى أهيب بسيفٍ فى الهياج صنيع

على كلّ يوم طارفِ الحسن طارفٌ لهـا غـيرُ مكرورٍ ولا برجيـع

هـدايا لكم نفسى بهـا نفسٌ باذلٍ وضِنىٌّ بها فى النـاس ضِنٌّ منوع

⁂

وقال يمدح الأستاذ أبا طالب محمد بن أيوب فى المهرجان

لعـلك "بالشِّعب"[3] تعلو اليفاعا فتؤنسَ من نار "هندٍ" شُعـاعا

"تميميّة" لم يكن خطمها فـؤادَك بالوعد إلا خـداعا

غدت نظرا لك تُروى العيونَ وأمست أحاديث تُرعى[4] سمـاعا

حذت أمُّ "ظبيةَ" "أمِّ النجو[5] م" ضياءً[6] لطالبهـا وآرتفـاعا

ومن دونهـا البلدُ المقشـعرُّ[7] يردّ ظبـاءَ المهـارى ضبـاعا

اذا رمتَـه شجـرته الرماحُ فسدّت عليك الثنـايا آطـلاعا

---

(١) الأيد : القوة . (٢) فى الأصـل "لبيتكم" . (٣) الشعب : الطريق فى الجبل ، وآسم لعدة مواضع . (٤) فى الأصل "ترى" . (٥) أم النجوم : المجرة . (٦) فى الأصل "صبا" . (٧) المقشعرّ : الذى لم يُمطر .

" زرودُ " وما جرَّ حبلا " زرو ... د " بيني و بينكِ إلا آنقطاعا

أعيـذ هواك وأخذي بـه الـ ... ـوثيقـة من كاشح أن يطاعا

ووقفتَنـا وهي بكرُ اللقـاء ... عـلى " أجا "(١) أن تكون(٢) الوداعا

أسام فأُرخص بيـع الصِّبـا ... وأُغلي بحبكمُ أن يبـاعا

نزعت الشبـابَ فما زادني ... مشيبيَ نحـوكِ إلا نـزاعا

ظللتُ " بنجدٍ " يفـرُّ الغـرا ... مُ من أضلعي وأجدُّ آتبـاعا

وأنشـد خرقاءَ بالعـاشقين ... تمد الى القتـل كفًّا صَناعا(٣)

اذا آستبطأتْ من دجى ليلة ... صباحا أماطت يـداها القناعا

ألَا بـكرَتْ تستطيبُ المـلامَ ... وتأمُلُ جاهلةً أن تطاعا

تقول : مِراحَك فافطَن له ... متى فات لم تستطعه آرتجاعا

تغنّمْ من العيش إبَّانَـه ... وخذ منـه حظك ساعا فساعا

وتعذُلني في آطـراح الرجال ... سـكونا الى وحدتي وآنقطاعا

ولم تـدر أني صبغت الـزما ... نَ لونيـهِ ضرًّا به وآنتفـاعا

وكاثـرتُ مُتعـةَ لـذّاته ... فـلم أر ذلك إلا متـاعا

ولـو شئتُ ماضاع فيَّ العتابُ ... فإنـكِ لا تنقلين الطبـاعا

وكم من أخ قلت : أحرزتُه، ... فلما ملأتُ يدي منـه ضـاعا

أعالج منـه عـلى صحّتي ... خروقا أكـرُّ عليهـا الرِّقاعا

أريـد لأشعَبَ أضغانَـه ... وتأبى الزجاجـةُ إلا آنصداعا

حمى الله قـوما عـلى نأيهـم ... اذا أبطأ النصر جاءوا سراعا

تضمّ الحفيظـةُ إحسانهـم ... على المجـد أن يتركوه مُضاعا

---

(١) أجأ : اسم جبل . (٢) في الأصل " يكون " . (٣) الصناع : الحاذقة .

بصائرُهم جُمَّعٌ بينهم ولو اصبحوا بالتعادى شَعاعا
اذا كشحوا بالصدور آحتموا بألسنهم أن يخوضوا القِذاعا (١)
تُلين الضروراتُ شُمْسَ (٢) النفوس ويأبون فى الضرّ إلا آمتناعا
اذا قيل : عيشوا شِباعَ البطون وفى الشِّبَع الذلُّ ماتوا جياعا
بنى كلِّ معترِف منكَرٍ اذا سُلَّ راق وإن هُزَّ راعا
تقول وليدا له أُمُّه اذا ما أُكبّت عليه رَضاعا :
رِدِ الموتَ أوكن عَقوقا وعشْ اذا أنت كنتَ جوادا شجاعا
بأبناء "أيّوبَ" حُطَّ السماحُ فحلَّ العيابَ وألقَى البَعَاعا (٣)
وجاوز أيديَهُم شاكرا بنانا رِطابا وبُوعا وِساعا
كرام ترى سِرّ أعراضهم مصونا وسرَّ غناهم مذاعا
اذا أجدبوا خصَّهم جدبُهم وإن أخصبوا كان خِصبا جِماعا
اذا الخطب أعجز برىَ السيوف جاءوه بارين فيه اليراعا
قواطع يُغمدن سِرَّ الصدور ويُشهرن حيَّا بـموتٍ تساعى
اذا كَذَبتْ فى اللقاء الرماحُ قاموا بها يصدُقون المِصاعا (٤)
ظُبًا فى الأعادى تسيء الصنيعَ فيُحسن أربابُها الاصطناعا
اذا شهدوا قارعات الخطوب بها خلتهم يشهدون القِراعا
معالٍ يزيد "أبو طالبٍ" سَنَا شمسِها قوّةً وآتساعا
ولما رأى كيف طيبُ الأصول وَفَى مكرما وأطاب آفتراعا
فتًى ملءُ كفك إن جئته وفاءً [اذا] (٥) العَضْدُ خان الذراعا

---

(١) القذاع : الهجر والشتيمة . (٢) شمس جمع شموس وهو الأبىّ . (٣) البَعَاع : المتاع . (٤) المِصاع : الضرب والمجالدة بالسيف . (٥) ليست فى الأصل .

ربيـــع الجنـاب اذا ما الريا (١) ... حُ أصقرنَ بالوهَدات التِّلاعا
اذا فضَّ نافـــلةَ الأعطيـاتِ ... توهَّـــم يَقسِم حقّـا مشاعا
فـــلو جئت تسأله نفسَــــه ... لحـالك كلَّفتــــه ما آستطـاعا
اذا نفـــرت حسنـاتُ الرجال ... شذوذا أنسنَ عليــه آجتماعا
فضـائلُ قَـــرَّحهنَّ (٢) الكمالُ ... و إن عدَّ أعــوامَ عُمْـــرٍ جِذاعا (٣)
فَداك قصــيرُ المعـالى أشــلُّ ... اذا قاس فِـــترَ عُلًا طُلتَ باعا
تعـــلَّق فى نسبٍ كنتَ منــه ... سَراةَ (٤) الأديمِ وكان الكُراعا (٥)
اذا ما عُدلتَ بـــه لم يزن (٦) ... ك مثقـالَ مجدٍ ولا كال (٧) صاعا
ومختـــلِف الـــودّ خاللتَــه (٨) ... فكان هـــواه عـــدوّا مطـاعا
أراسلُ نابتـــةَ العـــرق منــه ... فضـولا ويقطـــع منى النخاعا
بك آعتضتُ من كل مســـلوبة ... تغصبنيهــا الزمانُ آنــتزاعا
ودافعتُ هجمـــةَ أحداثــه ... وما كان يملك صـــدّى دفاعا
فإن هو كافَ البـــلاءَ الثنـاءُ ... ضمنتُ نهوضا به وآضطـــلاعا
وسيرتهنَّ خمـاص البطـــو ... ن لا يبتغين سواك آنتجـاعا
يقعن بعيـــدا اذا ما قطعن ... بأوعيـــة الشِّـعر (٩) خرقا وقاعا (١٠)
اذا ما خطـــرن على روضــة ... بعرضك زدنَ عليهـا رُداعا (١١)

(١) فى الأصل "وبيع" . (٢) قرحهن : جعلهنّ قوارح جمع قارح وهو المسن من ذى الحافر الذى شق نابه وطلع ، وفى الأصل فرجهنّ . (٣) جذاع جمع جذع وهو الفتىّ ، وفى الأصل "جداعا" (٤) السراة ، الظهر . (٥) الكراع : من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدق الساق . (٦) فى الأصـل : يريك . (٧) فى الأصل "كان" . (٨) خاللته : آتخذته خليـلا ، وفى الأصل "حالله" . (٩) الخرق ما آتسع من الأرض . (١٠) القاع : الأرض السهلة المطمئنة قد آنفرجت عنها الجبال والآكام . (١١) الرداع : أثر الطيب .

وقال فى غرضٍ من الغزل

وكنتُ ـ وأيّامُ المزار رخيّــةٌ | علىَّ ورُخصُ الوصل لى فيك يُطمعُ ـ ،
أعِزُّ فلا أعطى الهوى فيك حقَّه | من الشكر، والمعطَى مع الكفرِ يُمنعُ
فلما آســتردّ الدهرُ منّى عطاءه | وعادت شُعوبٌ فى الهوى تتصدعُ
قعدتُ مع الهجــران أبكيه نادما | وأسأل عنــه ماضيا كيف يرجعُ

وكتب الى الاستاذ أبى طالب يهنّئه بالنيروز، ويعاتبه فى آخرها على إغضـائه عن قوم تكلّموا فيه بكلام حسدٍ ولم ينكره

لى عنــد ظبى "الأجرع" | قصـاصُ جـــرح ما رُعى (١)
ســـهمٌ بعينيــه دليـ | ـلُ فُـــوقِهِ (٢) والمـــنزع
جنـايــة منكـرُهـا | بيّنــــةُ للـــــدعى
غارَ وما آحتسبتـــه | فغـار بين أضـــلعى
ما خلتُ نقـــعَ القـانصيـ | ـن ينجـــلى عن مصرعى
ياليـــتى "بحـاجرٍ" | إن عاد ماضٍ فارجعى
بتنـا على الأحقـاف (٣) تـ | ـنهـالُ بكلّ مضجع
موسّـــدين الليــنَ من | كراكـرٍ (٤) وأذرع
مقـــلةُ ليـــلٍ بُيّضتْ | بفجــره المنصـــدع
قالوا : الصبـاحُ فآنتبـــه | فقـال لى الطيفُ : آسمع

(١) فى الأصـــل " ماوعى " . (٢) الفوق : مشق رأس السهم حيث يقـع الوتر . (٣) الأحقاف جمع حقف وهو ما آعوجّ من الرمل وآستطال . (٤) كراكر جمع كركرة وهى صدر البعير .

(٢٤٥)

فقمت مخلوطا أظنُّ البازل(١) آبن الرُّبَع(٢)
حيرانَ طرفي دائرٌ يطلب من ليس معى
أرضى بأخبار الرّياح والبروق اللُّمَّع
وأين من برق "الحمى" شائمةٌ "بلعلع"
سلا مجالى الشيب عن غيم الشباب المقلع
غمامة طخياءُ(٣) ريـ ـعَ سِربُها بالفَزَع
فأجفلت لا تلتوى أخلافُها(٤) لمرضَع
كما نجت خائفةٌ ورهاءُ لم تُقَنَّع
ملكتَ يا شيبُ فخذ ما شئت منى أو دع
طارقة بمثلها فاجئة لم تَرُع
أفنَى الخطوبَ قبلها صبرى وأفنت جزعى
أعدَى جبينى(٥) مفرق فآستويا فى الصلع
طليعة وجهى بها قبلَ الممات قد نُعى
كان الشبابُ سُدفةً(٦) من لك(٧) لم تَقَشَّع
سَترا على ألّا يرا نى الدهرُ لو لم يرفع
كم ليلةٍ ظلماءَ [طالت](٨) بدرُها لم يطلع
أنكرِ آستكانتى للدهر وتخشُّعى
كريمة ما عهِدتْ تأوهى لموجع

---

(١) البازل : المسن من الإبل . (٢) الرُّبَع : الفصيل ينتج فى الربيع وهو أول النتاج .
(٣) طخياء : مظلمة . (٤) أخلاف جمع خلف وهو الضرع . (٥) فى الأصل "حبيى" .
(٦) السدفة : الظلمة . (٧) فى الأصل "لو" . (٨) هذه الكلمة ليست فى الأصل .

لم ألــقِ أطمارى ولى	فيهـا مكانُ مَرقَعِ
كم أحمِـلُ الدنيـا فـلا	ترقُّ لى من ظَلَـعِ (١)
أعـــذُل منهـا صخــرةً	ليس لهـا من مَصـــدعِ
قـــد فنيتْ مـــواعظى	والدهـــرُ لم يرتــدعِ
فى كل يـــوم صـاحبٌ	يشرَع غـــير مَشرَعى
له شِهـادى مكثرا (٢)	ولى مقــلًّا سَــلَعى (٣)
يســومنى طبــاعــه	مع كلفةِ التطبُّـــعِ
يريد من رفــد اللئا	م أن يكون شِــبَعى
هيهـات ما أبعــدهـا	هشيمةً من نُجَــعى (٤)
لو كنتُ ذئبَ قفــرةٍ	لمـا تبــعتُ طمــعى
إن البطينَ مخمَصُ	فاشــبع ذليــلا أو جُعِ
أســففتَ لدنيَّـــةٍ	فقــعْ لهـا أوطرْ مــعى
زعمتَ أنّ الشــعرَ من	رزق الفــتى الموسَّعِ
ولمتَ فى ضــــنّى به	قلت : تسـمَّحْ وبِــعِ
أما تـــرى كسـادَه	عـــلى نَفاق السِّــلعِ
وحسبك الجهـــل بـــه	خســارةً للبضــــعِ
رُبَّ ـ وحاشا الكرما	ء ـ سامـعٍ لم يســمعِ
صَمَّ وأُذنُ عِرضـــه	تســمعُ عــــنّى وتعى
وخاطبٍ وليس كف	ئـا لكريم البِضَــعِ

(١) الظالع : مشية فيهـا غمز يشبه العرج .   (٢) الشهاد جمع شهـد وهو عسل النحل .

(٣) السَّلَعُ شجرٌ مرٌ وقيل : ... ، وقيل : ضربٌ من الصبر .   (٤) النجع جمع نجعة وهى طلب الكلا فى موضعه .

يبـنى ولم يمهـرْ وإن طـلّقَ لم يمتّـع
يمنـعُ أو ينقِّصُ الـ ـعطاءَ إن لم يمنـع
وأبيض الثغـر آبتسا ما عن ضمـيرٍ أسـفع
ألبسـنى صنيعـةً تُسـلَبُ بالتصـنُّع
أفرشـنى الجمـرَ وقا ل : إن أردت فاهجـع
حملتـه مغالطـا بجـذلى تفجّـعى
يا عطشى إن لم أرِدْ إلا الخلىَّ المشَـرَع
لـو عفتُ كلَّ مالح لما شـربتُ أدمـعى
ولـو أقمتُ كلَّ عو جاءَ أقمتُ أضـلعى
يذاد سـرحُ الحىّ من حيثُ رجا أن يرتـعى
ويجـدِب المـرءُ عـلى أذيالِ دامٍ ممـرِع
أخى الذى آمنُ إن عرّفنيه فـزعى
وكان سـيفا كابن "أ يّـوبَ" اذا قلت : آقطـع
أخطِـرُ - مع جُبنى - به فى لأمـةِ (١) المشـيَّع
اذا رأى ثنيّـةً لسـودَدٍ قال : آطلُـع
أمـرِىَ فى نعمتـه [أمرُ] (٢) الهـوى المتّبـع
فى كلّ يـوم جمّـةٌ (٣) من سيبه المـوزَّع
وعطفـةٌ تـرأبُ [شَعـب] (٤) شمـلىَ المنصـدع
سـابقـةٌ عـثرةَ حا لى أبـدا بدعـدع (٥)

(١) اللأمة : الدرع . (٢) ليست فى الأصل . (٣) الجمة : مجتمع الماء .
(٤) ليست فى الأصل . (٥) دعدع : كلمة تقال للعاثر ومعناها قم وآنتعش كما يقال : لعا .

طال السـحابَ كفُّ صـ ... ـبٌّ بالسماح مولَــع

وبــذُّ حلباتِ الجيا(١) ... دِ سابقٌ لم يُقــرع

يخـرج عنهـا ناصـلا ... من جُلِّهِ(٢) والبرقــع

خاض الحـروبَ حاسـرا ... يهــزأ بالمــدرَّع

وحالَمَ آبنَ الأربعـ ... ـين فى سُموط(٣) الأربع

مِن غالبي شمس العـلا ... عـلى مكانِ المطلـع

أصـولُ مجـدٍ ما بهـا ... فقـر الى مفـرّع

هـم لبسـوا الدنيا وبعـ ... ـدُ حسنُهـا لم يُنتزَع

وآحتلبـوا دِرَّتهـا ... قبـلَ جُفوف الأضـرُع

من كلِّ أخّاذ مـع الـ ... ـفتك بأمر الــورَع

يورى الدجى بموقـدٍ ... من جـوده المشعشع

يصغى لصوت الضيف إصـ ... ـغاء الحِصانِ الأروع

يمسون غَرثَى(٤) وهـمُ ... مُشـبِعةٌ للجــوَّع

وخمـيةٍ من الخطـو ... ب ذات وجـهٍ مفـزِع

كانـوا بـدورَ تِمِّهـا ... عـلى الليـالى الدُّرَّع(٥)

لُدٌّ(٦) اذا القــولُ آحتَسَى ... ريـقَ البليـغِ المِصـقع

تعـاوروا صـمابَه ... بـكلِّ رِخـوٍ أصمـع(٧)

٤٤٦

---

(١) وردت بالأصـل هكذا "حلات". (٢) الجـل : غطاء للدابة كالثوب للإنسان تصان به. (٣) سموط جمع سمط وهو خيط النظم ما دام فيـه الخرز واللؤلؤ. (٤) الغرثى : الجياع. (٥) الدُّرَع : ثلاثُ ليالٍ من الشهر تلى البيض لآسوداد أوائلها وآبيضاض سائرها، واحدها دُرْعة. (٦) لُدّ جمع ألدّ وهو الشديد فى الخصومة. (٧) الأصمع : الذكىّ الحديد الفؤاد والمراد به القلم.

أعلقُ بالراحـــةِ من ... بنـانَــةٍ وأشجـــع (١)
كأنّ أقلامَهُــمُ ... فى اللُّبثِ والتســرُّع ،
نابتــةٌ مـع الأكـ ... ـفّ فى حبـال الأذرع
مَنـاسبٌ لـو قُـذِعتْ ... شمسُ الضحى لم تُقـذَع
واقفـةٌ من العـلا ... عـلى طـريقٍ مهيَـع
لـو دبَّ كلُّ عائب ... أفـعى لهـا لم تُلسـع
تحمـلُ فيهـا ألمَ الـ ... ـميسمَ جبهـةُ الدعى
صـابـوا رَذاذا وتلـ ... ـوّتْ بالسـيول الدّفَّع
اِقتعـدوا الرِّدفَ (٢) وأعـ ... ـطَوْك مكانَ القَمَع (٣)
باغيــك بنقيصـةٍ ... قتيـلُ داءِ الطمـع
أوقصُ (٤) يبغى طلعـةً ... على قُصاص (٥) الأتلـع (٦)
لوكان من نصـيحتى ... بمنظـرٍ ومسـمع
قلتُ : تنحَّ يا فـريـ ... ـس (٧) عن مكان السَّبع (٨)
دع العـلا وآسـرح عـلى ... حا بسـها المجعجـع (٩)
أمرٌ ينـاط بسـوا ... ك خَرقـهُ لم يُرقَـع
كلُّ يمينٍ لم تُـرا ... فـدْها يسارُ الأقطع (١٠)
وقلّمـا أغـنى الفـتى ... شميمُه بأجـدع (١١)

(١) الأشجع : أصل الإصبع من الكف . (٢) الردف : الكفل والعجز . (٣) القَمَع جمع قَمَعة وهى رأس السنام . (٤) الأوقص : القصير العنق . (٥) القصاص : منتهى الشئ . (٦) الأتلع : الطويل من الجياد . (٧) الفريس : المفروس . (٨) فى الأصل " الشبع " . (٩) المجعجع : مبرك الإبل ومنيخها . (١٠) الأقطع : المقطوع اليد . (١١) الأجدع : الأنف المجدوع أى المقطوع .

بك آكنسى عــودى وعا د جَـــلَدا تضعضعى

وبانَ فى الدهـــر الغـ نىّ أثْرى ومـــوقـــــعى

أفســـدتَ قلبى وعقلـ ـتَ قارحى (١) وجَــذَعى (٢)

فعـفتُ أحبـابىَ وآستضـ ـعفت نصـــرَ شِيَعى

فآسمـع أكاثـرْك بهـا أحسنَ ما قيـل، آسمـع

مَطاربا تُحـــرج نسـ لكَ الحـابِسِ المنقطـع

تحنو النجومُ حسَـــدا لبُردها الموشَّـــع

ما خطَـرتْ لمحتـــذٍ (٣) قبــلى ولا مبتـدِع

أعيت عـلى الراقين حـ تى آستزلتها خـــدَعى

فى كلِّ يــوم ملكٌ بتـاجهـا المـرصَّـع

يهيـــج فى آغتيابهـا داءُ الحسـودِ المـوجَع

يخرجها بجهـــله تروع إن لم تقطـع

غضـبانَ أن تُكسَرَ بالـ نَّبع (٤) فــروعُ الخــروع

يُســـرِع فىّ والعثـا رُ مولَـــعٌ بالمسرِع

لما غدت عيـــونُه تصـغُر عن تتبُّـعى

عاقبتــه بضـحكى من ذكره فى المجمع

وآكلين معـــــه زاد الذباب الوُقَّـع

تُغـمَرُ كفُّ الذمّ من أعراضـهم فى شَمَع

تشابهـوا فما عرفـ ـت حالقا من أنزع (٥)

(١) القارح : الذى أسن . (٢) الجذع : الشاب والفتى . (٣) فى الأصل "لمجتد" .
(٤) النبع : شجر صلب تتخذ منه القسىّ . (٥) الأنزع : الذى انحسر شعر جانبيه عن جبهته .

قالـــوا وأصـغيتم ومن يســمعُ فىَّ مُســمِعى
مالى وأنــــتم وزَرى من الأذى ومفــزعى ،
يطمع فىَّ عنـــــدكم بالغيب من لم يطمع
فى كلِّ يوم وقعـــــةٌ شنعاءُ إحدى البـــدع
يُمَضَغُ لحـــمُ الليث فيـ ـها بنيـــوب الضَّـبُع (١)
وفيكم النصـر وعـ ـزّ الجانب الممتنِــــع
وليس عـــنّى بلسا نٍ ويدٍ من مَدفَع
رعايــةٌ للفضـل إن كان ذمامى مارُعى
ولو [غضبتُ] (٢) غضـبةً أعــوز سـدُّ موضعى
اذا لطالت (٣) غيبـــتى وكدّكم توقُّـــعى
ما فى حياض النـاس ما يُزحَـمُ عنـه مَكرَعى
ولا يضيق مــــنزلٌ عنّى مــع تقنُّــعى
اذا ســـلوتُ دارَكم فكلُّ دارٍ مربـــعى
لكنَّ نفسى عن هــوا كم قــطّ لم تختـــدع
لو رأت الخـــلدَ الـــنزو عَ عنـــكُمُ لم تـــنزع
مـــلأتُ قلـــبى شغفا بكهلكم واليفَـع (٤)
فـــلو يسامُ حبّ شـ ـىءٍ معَكم لم يســع
خيَّمتُ فيـــكم فليضَـع من شاء أو فليرفـع
ولو وجـــدتُ مَقنعا فى غيركم لم أقنـع

(١) فى الأصل " الصبع " . (٢) ليست بالأصل . (٣) فى الأصل " لطلت " .
(٤) اليفع : المترعرع .

وكتب الى العميد أبى الحسين محمد بن علىّ المزرّع

حبٌّ اليها "بالغضا" مرتَبعا ... و"بالنخيل" موردا ومشرَعا

"وبأثيلات النقا" طلائلا[1] ... يَفرُشها كراكرا[2] وأذرعا

تُقامصُ البزلاءُ[3] فيها بَكرُها[4] ... من المِراحِ والثنىُّ[5] الجَذَعا

مُنًى لها لو جعلَ الدهرُ لها ... أن تامنَ الطاردَ والمدعدِعا[6]

عزّت فما زال بها جورُ النوى ... والبيدِ حتى آذنت[7] أن تخنعا

وأمكنت من الخشاشِ[8] آنُفا ... ما طمعتْ من قبلُ فيها مطمَعا

اللهَ يا سائقها فإنها ... جرعةُ حتفٍ أن تجوز "الأجرعا"

أسلْ بها الوادى رفيقا إنها ... تسيلُ منها أنفسا وأدمعا

قد كان نامَ البينُ عن ظهورها ... وضمّ شتَّى شملِها الموزَّعا

فعاد منها مضرما ألهوبَهُ ... لا بدّ فى طائره أن يقعا

من "بمِنًى" وأين جيرانُ "مِنًى"؟ ... كانت ثلاثا لا تكون أربعا

راحوا، فمِنْ ضامنِ دَينٍ ما وفَى ... وحالف "بالبيت" ما تورّعا

وفى الحدوج غاربون أقسموا ... لا تركوا شمسا تضىء مَطلعا

سعى بىَ الواشى الى أميرهم ... لا طاف إلا خائبا ولا سعى

لا وأبى "ظبيةَ" لولا طيفها ... ما آستأذنتْها مهجتى أن تهجعا

ولا رجوتُ بسؤالى عندها ... جدوَى سوى أن أشتكى فتسمعا

٢٤٧

---

(١) الطلائل: جمع طلالة وهى الشاخص من آثار الدار. (٢) كراكر: جمع كركرة وهى صدر البعير. (٣) البزلاء: المسنة من الإبل. (٤) البكر: الفتىّ من الإبل. (٥) الثنىّ من الإبل: الذى يلق ثنيته فى السنة الثالثة والجذع: ما قبل الثنىّ. (٦) المدعدع: الداعى للإبل. (٧) فى الأصل "أذعنت". (٨) الخشاش: العود يجعل فى عظم أنف البعير.

يا صاحبي سرّ الهوى إذاعة ... طُرّت(١) خروقٌ سرّنا أن تُرقعا

إشرافةً على "قُبا"(٢) إشرافةً ... أو آجتهادا دعوةً أن تُسمِعا

يا طُلَقاء الغدر هل من عطفة ... على أسيرٍ بالوفاء جُمِعا ؟

سلبتمونى كبدا صحيحةً ... أمسِ فردّوها علىَّ قِطَعا

عدمتُ صبرى بجزعتُ بعدكم ... ثم ذهلتُ فعدمتُ الجزعا

وأنتِ يا ذاتَ الهوى من بينهم ... عهدُك يوم "وجرةٍ"(٣) ما صنعا

لما ملكتِ بالخداع جسدى ... تقلتِ قلبي وسكنت الأضلعا

وآرتجعا لى ليلةً "بحاجرٍ" ... إن تمّ فى الفائت أن يُرتجعا

قالوا : ألِكْنا(٤) ! فوعظنا صخرةً ... لا يجد الغامزُ فيها مَصدَعا

قلبا على العتب الرفيق ما آرعوى ... لحاجةٍ فيك وسمعًا ما وعى

قلت : فما ظنّكما ؟ قالا : نرى ... أن ندعَ الدارَ لهم ! قلتُ : دعا

فهو مع اللوعة قلب ماجد ... اذا أحسّ بالهوان نزعا

قد باطن الناسَ وقد ظاهرهم ... وضرّه تفريرُه ونفعا

وقلّب(٥) الإخوانَ وآقتلاهُمُ ... فلم يجد فى خُلّةٍ(٦) مستمتَعا

بلى ! حَمَى الله "العميدَ" ما حمى ... عينًا بجفن وسقاه ورعى

وصان منه للعلا منبِتَها ا ... لزّاكى وشرعَ دينها المتّبَعا

والواحدَ الباقىَ فى أبنائها ... والشكلُّ قد أوجعها فيهم معا

ضمّ فلولَ الفضل حتى آجتمعت ... مفرّقٌ من ماله ما آجتمعا

وأنشر الجودَ الدفينَ مطلِقُ الـ ... ـكفّ اذا أعطى آبتداءً أتبعا

---

(١) طُرّت : شُقّت . (٢) قبا ويمد : اسم موضع قرب المدينة . (٣) وجرة : موضع بين مكة والبصرة . (٤) ألكنا : كن رسولنا وتحمل رسالتنا . (٥) فى الأصل "وقلت" . (٦) الخلة : الصداقة والمحبة .

ودبَّر الأيّامَ مرتاضا بها فلقّبته الناهضَ المضطلعا
وَفَى بما سنَّ الكرامُ فى الندى ثم آستقلّ فعلّهم فآبتدعا
من طينةٍ مصمَّتةٍ طائيّةٍ يطبعها المجدُ على ما طبعا
خلّى الرجالُ حلبةَ الجودِ لها والبأسِ قداما وجاءوا تبَعا
ومرَّ منها واحدٌ مع آسمه يفضح كلَّ من سخا أو شجعا
ولا ومن أولدهم "محمدا" وآختاره من غصنهم وأفرعا ،
ما خلتُ أن يُبصَرَ ضوءُ كوكبٍ من هالة البدر أبيه أوسعا
وأننا نُغفِلُ ذكرَ "حاتمٍ" فى "طيِّءٍ" ونذكرُ "المزرّعا"
حتى علت من بيته سحابةٌ جفَّ(١) لها ما قبلها وأقشعا
وأمطرتْ من "العميد" مزنةٌ عمّت فما فات حياها موضعا
صابت حسامًا ولسانًا ويدًا بأيِّها شاء مضى فقطَعا
مدّ الى أفْق العلا فناله يدًا تردُّ كلَّ كفٍّ إصبعا
وآلتقط السوددَ من أغراضها(٢) فلم يدَعْ لسهمِ رامٍ منزَعا
تختصم الأقلامُ فيه والظُّبا كلٌّ يقول : بى بداء ولى سعى
ويدّعيه الجودُ ما بينهما لنفسه فيعطَيان ما آدّعى
أيقظك التوفيقُ لى وما أرى فى الناس إلا الهاجعَ المضطجعا
وأجفلتْ عنّى صروفُ زمنى مذ قمتَ دونى بطلا مقنَّعا
وغرت للمجد التليدِ أن ترى تقلُّـلا عندىَ أو تقنُّعا
ملأتَ وَطبى(٣) فتى أقرى القِرى لا أسقِ إلا مفعَما أو مترَعا

---

(١) فى الأصل "حف" . (٢) أغراض جمع غرض وهو الهدف الذى يُرمى اليه ، وفى الأصل "أعراضها" . (٣) الوطب : سقاء اللبن .

وكنتُ فى ظلّك أبدَى(١) جانبا ... من جادة البحر وأزكى مرتعا
فما أبالى حالباتِ المزن أن ... تفطِمنى بعدك أو أن تُرضِعا
أغنيتنى عن كلّ خلق أنفق الـ ... ـنفاقَ فى آبتياعه والخُدَعا
ومِلكِ مستعبِدٍ بماله ... أحُطُّ من عرضى له ما آرتفعا
اذا دعا مستصرخٌ برهطه ... يدفع ضيمَ الدهر عنه مَدفعًا ،
ناديتُ فى نادىَّ "آلَ جعفر" ... على نوى الدار فكنتُ مُسمِعا
وبتُّ أرعَى من جنى إسعادكم ... روضا أريضا(٢) وجنابا ممرَعا
لبستُ عيشى أخضرا أسحبه ... بينكُمُ وكان رَثًّا أسفعا
ليالِيًا يُحسَبنَ أياما بكم ... حُسْنا وأيّاما يُخلَن جُمُعا
فإن شكوتُ أن حظّى عاثرٌ ... بعدكُمُ فقل لحظّى : لا لعا(٣)

* * *

وقال فى غرض له

بعثتُ لقلبى الهمَّ يوم هويتُكم ... وبايعتُ عينى بالرقاد دموعا
وكنت عزيزا لو عصيتُ خلاعتى ... وبتُّ لنصح العاذلات مطيعا
بحقّكُمُ لا تهجرون فإننى ... أملتُ اليكم جانبىَّ جميعا

* * *

وقال وكتب بها الى الصاحب آبن القاسم بن عبد الرحيم فى المهرجان يهنّئه به وبخلاصه من شكاةٍ لحقته

آنَس برقا "بالشُّرَيف(٤)" لامعا ... معتليا طورا وطورا خاضعا
يخرِق جنبَ الليل عن شمس الضحى ... ثم يغور فيعود راقعا

(١) فى الأصل "أيدى" . (٢) الأريض : الزكىّ . (٣) لعا : كلمة تقال للعاثر بمعنى آنتعش . (٤) الشريف : موضع باليمن .

كأنّ "هندا" فيه أو أترابها ترفع ثم تُسدِلُ البراقعا

يُزجى السحابَ ينتضى صوارما على عروق مزنه قواطعا

بدا كهدّاب الرداء وسرى فسدّ من جوّ "الغضا" (١) المطالعا

يجاد "نجدا" ملقيا أفلاذه لا خامرا نصحا ولا مُصانعا

يكسر فيها بالحيا صُمّ الحصى ويبسُط الأُكْمَ (٢) بها أجارعا (٣)

تُخالُ بين مائه وتُربها مَواقعُ (٤) القطر بها مَواقعا (٥)

أطّر (٦) للأرض سهاما لم يدع جسمَ فلاةٍ بحصاها دارعا

هنيهةً ما بين أن أرذّها (٧) وبين أن يفجّرها ينابعا

فأحسنتْ عند الثرى صنيعَها وإن أساءت عندنا الصنائعا

استعلنتْ سرَّ الهوى وأيقظت من عهد "غُمدان" (٨) غراما هاجعا

كأنما النافضُ عن قسيّها نبلَ الحيا يستنفض الأضالعا

يُذْكرنا من عيشنا على "الحمى" لياليا ببدره نَواصِعا (٩)

مواضيا إن عاد رَيعان الصّبا أخضرَ عُدنَ معَهُ رواجعا

كم ليلة بتنا بغير جنحها من ذهبِ الحَلْي وميضا صادعا

تكتُم منا ألسنا عَوارما (١٠) تحت الدجى وأُزُرا (١١) خواشعا

نفضُّ مكتومَ الحديث بيننا عن أرِجاتٍ (١٢) تبرُدُ المضاجعا

---

(١) فى الأصل "الفضل" . (٢) الأُكم جمع إكام وهو ما اجتمع من الحجارة فى مكان واحد . (٣) أجارع جمع أجرع وهو الرمل المستوى لا ينبت شيئا . (٤) مواقع القطار: مساقطه . (٥) مواقع جمع موقَعة وهى موضع يقع عليه الطائر . (٦) أطر : ثنى وعطف . (٧) أرذها : أمطرها رذاذا وهو المطر الضعيف . (٨) غُمدان : قصر باليمن بناه يشرخ بأربعة وجوه أحمرَ وأبيضَ وأصفرَ وأخضرَ وكان مسكنَ التبابعة من حِميَر . (٩) فى الأصل "تواضعا" . (١٠) عوارما : مشتدة متجاوزة الحد . (١١) أزر جمع إزار . (١٢) أرجات : عطرات ، وفى الأصل "أرجاب" .

كأننا نرعى الخزامَى واقعا / به الندى أو نرِدُ الوقائعا (١)

نحفظُ ما كان حديثا حسَنا / منه وما أعجز كان ضائعا

مراكبٌ للهو كنتُ ثاقلا / لطُرقِ عمري فوقَهن قاطعا

أرتضعُ (٢) الدهرَ بها ضرورةً / يا سَرعانَ ما فُطمتُ راضعا (٣)

أستودع الأيّام من مودّتي / لافظةً لا تضبط الودائعا

وراءها تعطيك أسنى خَبّها / بنغضها (٤) رأسا [مُخَشّا (٥)] مانعا

مَعاطفًا ما انّ إلا يبسا / ومنطقا لم يحلُ إلا خادعا

لو حفظَتْ عهدىَ فى ذخيرةٍ / لم أُلفَ يوما بالشباب فاجعا

يا من أطار عامدا وعابثا / عن لمّتى ذاك الغرابَ الواقعا

ما سرّنى فى مدلهمّ ليلها / أنّى أرى نجومَه طوالعا

حبائلٌ اعاتقُ (٦) كُنّ لما / أقنصه (٧) حبائلا جوامعا

فاليوم لا يعقلن إلا شاردا / منى ولا يعلقن إلا قاطعا (٨)

رددن ماكان حبيبا رائقا / منّىَ فى العين بغيضا رائعا

ما خلتُ قبلَ الشيب أن مفرِقا / رُضّع بالدرّ يذمّ الراضعا

ما هى يا دهرُ (٩) وإن حملتَها / منك بأولى ما حملتُ ظالعا

قد عرفَت مطالبي غايتَها / وجاذبت حظوظَها الموانعا

---

(١) الوقائع جمع وقيعة وهى نقرة فى جبل أو سهل يستنقع فيها الماء . (٢) فى الأصل " أرتصع " . (٣) فى الأصل " راصعا " (٤) نغض : يقال نغض رأسه : حركها فى اضطراب ، وفى الأصل " ببعضها " . (٥) مُخَشّا : موضوعا فى أنفه الخشاش وهو عود يوضع فى أنف البعير وفى الأصل هكذا " محسّا " . (٦) فى الأصل " العانق " . (٧) فى الأصل " أقبضه " . (٨) القاطع : الطير الذى يقطع أجواز البلاد . (٩) فى الأصل " باهر " .

وعلمتُ أن الكمال ذنبُها (١) ... وأنّ فى النقص اليـك شافعا

يـلوم فى قناعـتى ذو نَطَفٍ (٢) ... لو كان حرّ العـرض كان قانعا

عادٍ (٣) عـلى خبائثٍ من كسبه ... عَـدْوَ الذئاب (٤) آقـترت (٥) المطامعا

إن كنتَ تبـغى بالهـوان شِبَعا ... فلا شبعتَ الدهـرَ إلا جائعا

ملكتُ نفسى فمنعتُ رسَـنى ... ورحتُ منفـوضَ اللجام خالعا

لا فارسُ الضيم لظهـرى راكبا ... ولا قطيـعُ الذلّ جنـبى قارعا

آليتُ لا أصحبُ ذلًّا كارها ... يـوما ولا آملُ رفـدا طائعا

لله مـذلولٌ (٦) عـلى رشاده ... يعـلم أنّ الحـرصَ ليس نافعا

قامرْ بدنياك وبعْـها مرخصا ... بأبخس الأثمـان تُغبنْ بائعـا

إن عشت متبوعا بها محسَّـدًا ... أولا فمت ولا تكون تابعـا

فى النـاس من يُعطيك من لسانه ... شعشـعةَ الآل آطباك (٧) لامعـا

يَشعَبُ أذنيـك ويرعَى لك فى ... ضـلوعـه فلائقا صـوادعا

فإن ظفـرتَ منهـمُ بماجد ... فآضربْ به شَـوْلك (٨) تُجبْ (٩) فارعا

وآشـدُد عليـه يدَ مفتـونٍ به ... فليس إن أفلت منـك راجعا

حلفتُ بالمنقّباتِ سُـوقُها ... خـوارجا من أُهبِها (١٠) نزائعا

نواحلا خضن الدجى صـوامعا ... ثم رجعن دقـةً أصابعـا

تُعطِى السُّرى من غير ذلّ أظهرا ... حُصًّا (١١) وأعنـاقا له خـواضـعا

---

(١) فى الأصل "وعملت". (٢) النَّطَف : الأتهام بالريبة والتلطخ بالعيب. (٣) فى الأصل "غاد". (٤) فى الأصل "الذباب". (٥) اقترت : تتبعت، وفى الأصل "افترت". (٦) فى الأصل "مدلول". (٧) إطّباك : ازدهاك. (٨) شَول جمع شائلة وهى من الإبل ما أتى عليها من حملها سبعة أشهر. (٩) الفارع : المرتفع الهيِّئُ الحسَن، وفى الأصل "قارعا". (١٠) أهب جمع إهاب وهو الجلد. (١١) حُصّ جمع أحصّ وهو المنتوف الشعر الذاهبه.

اذا رمَتْ وراءَها ببلدةٍ أمست لأخرى ظُلَّعا نوازعا
تحسبها على الفَلا طافيةً مشترعات بلجّةٍ قوالعا
تحمِلُ كلَّ زاحمٍ بنفسه لذنبه المرمَى المخوفَ الشاسعا
يُعطى الهجيرَ حكمَه من وجهه حتى يُرى بعد البياض سافعا
يطلب أخراه بأخرى جَهدِه حتى يقومَ قانتا وراكعا
تحمِلُ أشباحَهُمُ هديّةً الى "منًى" طوارحا دوافعا
وراش حالى فتحلَّقتُ به من بعد ما كنتُ قصيصا واقعا
وصرتُ لا أدفع عن باب العلا وكنتُ لا أُعرَفُ إلا دافعا
أنصفنى من الزمان حاكمٌ [لم] يُبْقِ للفضل نصيبا ضائعا (١)
أبلجُ أبقت خرزاتُ الملك فى جبينه خواتما طوابعا
يُورى شهاب النجح من خلالها لأعين العافين نورا ساطعا
غيرانُ للسودَدِ لا ترى له على المحاماة عليه وازعا
اذا غمزتَ عاسرتْك صخرةٌ منه وتستمريه ماءً مائعا
لا تستطيع نقلَه عن خُلقه فى الجود من ذا ينقُلُ الطبائعا
يُجْو به إباؤه (٢) من أن يُرى (٣) مضعضعا للنائبات خاضعا
يلقَ سرايا (٤) الدهر إن واقعها بمهجةٍ عوَّدها الوقائعا
ولا ترى نفسَ فتًى عزيزةً حتى يُهين عندها الفجائعا
اذا بنو "عبد الرحيم" شمخوا بأصلهم طال عليهم فارعا
سادوا وجاء فاضلا فسادهم والبدر يُخفى الأنجم الطوالعا

---

(١) ليست بالأصل . (٢) فى الأصل "آباؤه" . (٣) فى الأصل "ترى" .

(٤) سرايا جمع سرية وهي القطعة من الجيش .

ثنى الرءوسَ المائلات نحوهم ... وصيّر الناسَ لهم صنائعا

أعطاهُمُ سورةَ مجدٍ لم أكن ... فى مثلها لمجدِ قومٍ طامعا

فلو ظفرتُ منهُمُ بتابع ... رائدَ نصحى أو عذلتُ سامعا

لقلتُ : شُدُّوا الأُزْرَ عن نسائكم ... وحرِّموا من بعده المراضعا

كنتَ — وأنت منهُمُ — أكرمَهم ... فضلَ السَّراة (١) فاتت الأكارعا (٢)

وضمَّ ميلادُك شملَ نحرهم ... كما تضُمّ الراحةُ الأشاجعا (٣)

وكلُّكم نال العلاء ناهضا ... بنفسه طفلا وساد يافعا

من معشرٍ راضوا الزمانَ جِذْعا (٤) ... وزيَّنوا أيّامَه رواضعا

واقتسموا الدنيا بأسيافِهِمُ ... فاقتطعوها بينهم قطائعا

اذا رضُوا تمازحوا أو سخِطوا ... لم يُحسِنوا فى الغضب التقاذُعا

تلقَ المعاذيرَ بهم ضيِّقةً ... اذا استُمِيحوا (٥) والعطاء واسعا

سدُّوا خصاصاتِ الثغور بالقنا ... وملكوا على العدا الشرائعا

وبعثوا غُرًّ زَبونٍ (٦) جهمةٍ ... تحلبُ للأضياف سُمًّا ناقعا

خرساء أو تسمع ما بين الظبا ... فيها وما بين الطُّلَى (٧) قعاقعا

يسترفد الطيرَ بها وحشُ الفلا ... فترفد الكواسرُ (٨) الخوامعا

تعيرُ طخياءُ (٩) العجاج فوقها ... [من] صبغة الليل ضُحاها الماتعا

(١) السراة : ظهر الأديم . (٢) الأكارع : الأطراف . (٣) الأشاجع جمع أشجع وهو أصل الإصبع من الكف . (٤) الجذع : الفتىّ . (٥) فى الأصل " استيحوا " . (٦) الزبون : الحرب التى يدفع بعضها بعضا . (٧) الطلى : الأعناق . (٨) الكواسر جمع كاسر وهى العقاب ، والخوامع جمع خامعة وهى الضبع . (٩) الطخياء : الليلة المظلمة والضحى الماتع : الذى بلغ آخر غايته من الارتفاع ، وقد ورد هذا البيت فى الأصل هكذا :

يعسر طحصاء العجاج فوقها ٭ صنعه الليل ضحاها الماتعا

تَرجعُ خُمصَ الباتراتِ بُطنًا — عنها وتُروى الأسَلَ الشوارعا

اذا نهى النقعُ العيونَ جعلوا — أبصارَهم فى نقعها المسامعا

فاستصبحوا ظلماءها مناصلا — دوالقا (١) وأنصلا (٢) دوالعا (٣)

لا برحتْ آثارُهم منصورةً — بعزمتيك رافعا وواضعا

ولا رأى الملكُ مكانَ نصره — وسرّه منك مباحا شائعا

وقام من دونِ أمانىِّ العدا — جدُّك عنك واقيا ودافعا

طالت لشكواك رقابٌ أصبحتْ — كفايةُ الله لها جوامعا

وظنَّ قومٌ فيك ما لا بلغوا — أو تبلغَ الأخامصُ (٤) الأخادعا (٥)

داء من الأدواء كانَ هاجدا (٦) — فجاء مشتاقا اليك نازعا

زار مليًّا ثم خاف غضبةً — منك فولّى خائفا مسارعا

لم ينتقص دأبا ولم ينقض عُرَى — عزمٍ ولم يُزعج جَنانا وادعا

حَمَلتَه حملَك أثقالَ العلا — لا خائرا (٧) ولا نَكولا ضارعا

ربَّ نفوسٍ أرفدتْ من ألمٍ — نفسَك ما كنَّ له جوازعا

تودُّ أن يحفظك الله لها — ولو غدتْ مهمَلةً ضوائعا

ولا أقرّ الله عينَىْ حاسدٍ — رأى القذى بِرَّك والقوارعا

ولا عفا حزُّ المُدَى عن أُنُفٍ — كنت لها ـ بأن سلمت ـ جادعا

ولا يرمْك المهرجان عُوَّدا — به السنونَ أبدا رواجعا

طوالعا عليك من سعوده — بخير نجمٍ غاربا وطالعا

---

(١) دوالقا : خارجة من أغمادها . (٢) أنصل جمع نصل وهو الرمح، وفى الأصل "نصلا" .

(٣) دوالعا : مشروعة . (٤) الأخامص جمع أخمص وهو ما لا يصيب الأرض من باطن القدم .

(٥) الأخادع جمع أخدع وهو عرق فى العنق . (٦) فى الأصل "ماجدا" . (٧) فى الأصل "جائرا" .

تسحبُ من ملابس العـزِّ به ذلاذلًا(١) لستَ لهنّ نازعا
يُكسى بأوصافـك كلُّ عاطلٍ منـه فنونَ الكلم البدائعا
من الغـريبات يكنّ أبدا مـع الرياح شُـرَّدا قواطعا
اذا آحتبى منشـدُهنَّ خاتـه يمانيًا ينشـرُ الوقائعا(٢)
لم تُخـترَق قبـلى ولا تولّجتْ بمثلهنَّ الألسنُ المسامعا
عـوانسا أودعْتـكم شـبابَها علما بتحصـينكم الـودائعا
أبضـعتُ فيكم عُمُـرى وعمـرَها يا لكرام أربحـوا البضائعا
قـد بلغتْ آمالَهـا فيكم فـلا تنسـوا لهـا الأرحامَ والذرائعا
كم حاسـدٍ دبّ لهـا عنـدكُمُ لو كان أفعى لم يضرها لاسـعا
اذا بقيـتم ووفيـتم [لى] فما(٣) شاء الزمان فليكن بى صانعا

* * *

وقال وكتب الى عميد الكفاة أبى سعد بن عبد الرحيم يهنّئه بالنيروز

دعُـوها تردْ بعـد خِمسٍ(٤) شُروعا وراخوا علائقَـها والنُّسـوعا(٥)
ولا تحبسوا خُطْمَها(٦) أن تطول الـ ـحياضَ وأيديَـها أن تـوعا
وقولوا دعاءً لهـا : لا عُقِـرتِ ولا آمتدَّ دهـرُكِ إلا ربيعـا
فقـد حملَتْ ـ ونجت ـ أنفسًـا كرائمَ جبنَ الأمانى سريعـا
حملنَ نشـاوَى بكأس الغـرا مِ، كلٌّ غـدا لأخيـه رضيعا

---

(١) الذلاذل جمع ذلذل وهو أسفل القميص الطويل وقيل هى أثواب تلبس فوق بعضها البعض ، كل ثوب أقصر مما يليه لتظهر كلها للناظرين . (٢) الوقائع جمع وقيعة وهى القفة من الخوص ، ويقول بعضهم : إنها بالفاء لا غير . (٣) ليست بالأصل . (٤) الخمس : من أظماء الابل وهو ورودها على الماء فى اليوم الخامس . (٥) النسوع جمع نسع وهو حبل من أدم تشدّ به الرحال . (٦) خطم جمع خطام وهو حبل يجعل فى عنق البعير ويثنى على خطامه أى أنفه .

أحبُّــوا فُــرادى ولكنَّهــم ... على صيحة البينِ ماتوا جميعــا

حموا راحةَ النــوم أجفانَهــم ... وشـدّوا على الزفراتِ الضلوعا

وباتوا بأيديهِـــــمُ يسندو ... ن فوق الرحال جُنوبا وُقوعا

وفى الركبِ ـ إن وصلوا لاحقين ـ ... عقائلُ يشعَبنَ تلك الصُّدوعا

من الراقصاتِ بحَبِّ القلو ... ب حتى يكون الحليمُ الخليعا

قصائدُ لم يصطبغن المياهَ (١) ... ولم يحترشن (٢) اليرابيعَ جُوعا

اذا الحسبُ اعتنَّ فى "خِنْدِفٍ" ... مسحنَ ذوائبَــه والفروعا

خرقن نفوسا لنـا فى السجوف ... جعلن العيونَ عليها وُقوعا

وصالحنا بسبـاط البنا ... ن تخضبُ حنّاؤهنّ الدموعا

هـوًى لك من منظرٍ لو يدوم ... ومن آمرٍ بالمنى لو أطيعا

هبطن "أُشَىّ" (٣) فظنّ العذول ... وقد ذهب الوجدُ أن لا رجوعا

ولا وهواكِ ابنـةَ "النَّهشَلىِّ" ... ما زاد فى البعـد إلا ولوعا

سقاكِ مهاةُ مروِّى العطاشِ ... وحيًّا ربوعَكِ عنّى ربوعا

ضمنتُ لهن فلم آلهـنَّ ... قلبا مروعا وعينا دَموعا

وقمتُ أناشـدُهنّ العهو ... دَ لو يستطعنَ الكلامَ الرجيعا

أسكّان "رامةَ" هل من قِرًى ... فقد دفع الليلُ ضيفا قنوعا ؟

كفاه من الزاد أن تَمْهدوا ... له نظرا وحديثا وسيعا

وأخرى وويلُ امّها لو يكو ... ن فيها الشبابُ اليكم شفيعا

ألا لا تلُمْ أنت يا صاحبى ... ودَعْ كلَّ رائعـة أن تروعا

وهبنا لهـذا المشيبِ النزا ... عَ لا عن قلىً وأطعنا النزوعا

---

(١) يصطبغن : يأتدمن . (٢) يحترشن : يصدن . (٣) أشى : اسم واد باليمامة .

وأورى لنـا الدهرُ من مدلهـ ـمٍّ ليـــل الصـبابة بخـرا صديعـا

فليت بيـاضِىَ أعدى الحظوظَ فبـــدَّل أسـودَها لى نصيعـا

حلفت بهـا كشـقاق القسـ ـىِّ تحسَبُ أعناقهن الضّـــلوعا ،

نَواصـــلُ من بزٍّ[1] أوبارها سـناما حليقـا وجنبا قريعـا ،

نواحـــل كلِّ نجـاةٍ[2] أحَ علیها القطيـــعُ[3] فصارت قطيعـا ،

يُجن السُّرى أظهـــرا فى الحبـا ل شامخـــةً ورقابا خضـــوعا ،

أسلن الرُّبَى فى بطون الوها دِ حـــتى وصان خُفوضا رُفوعا ،

عليهنَّ شُعثٌ رقاق الجـــلو دِ قد بُدِّلوا بالبيـاض السُّـفوعا ،

تراهم عـــلى شـعفاتِ[4] الجبـا ل[5] قبـلَ الركوع "بجمع"[6] ركوعا ،

رعَـــوا يَبَس العيش أوكثَّروا على منسَك "الخيف" تلك الجموعا ، :

لأتعبَ سعىُ "عميـد الكفاة" سُرى النجم أو عاد عنـــه ظليعا

فتى الحرب أين لقيتَ الخطوبَ بآرائه آنصعن عنـــه رُجوعا

حديدُ الفـــؤاد وسـيعُ الذراع اذا الناس ضاقوا صـدورا وبوعا

كريم الإباء حليم الصِّـــبا تمطَّق[7] بالمجـــد فوه رضـــيعا

أصمّ عن الكلم المقـذعات اذا الغمـــر[8] كان اليها سميعا

حمى النــــومَ أجفانَه أن تـلَذَّ دون انتهاء المعالى هُجـــوعا

وكُلِّفَ كبرَى المسـاعى فقا م يحملهـا قبـــلَ أن يستطيعا

جرت يدُه سلسلا فى الصـديـ ـق عذبا وبين الأعادى نجيعا[9]

---

(١) البز : السلب . (٢) النجاة : ما ارتفع من الأرض . (٣) القطيع الأولى : السوط ، والثانية بمعنى : مقطعة . (٤) شعفات : جمع شعفة وهى رأس الجبل . (٥) فى الأصل "الجبال" . (٦) جمع : المزدلفة . (٧) تمطق : تذوّق . (٨) الغمر : الجاهل الذى لم يجرب الأمور، وفى الأصل "العمر" . (٩) النجيع : الدم .

وأعطى وغار(١) على عرضه ... فعُدَّ بذاك وهوباً منوعا
من النفر البيض تمشى النجو ... مُ حيرى اذا واجهوها طلوعا
ميامين يعترضون السنين ... عجافا يدرّون فيها الضُّروعا
اذا أجدبوا خصّهم جدبهم ... و إن أخصبوا كان خِصبا مَريعا
طِوال السواعد شمّ الأنو ... ف طابوا أصولا وطالوا فروعا
رشاقٌ فإن ثاروا مختفين ... رأيتهمُ يملأون الدروعا
بَنَى لهم الملكُ فوق السِّماك ... على أوّل الدهر بيتا رفيعا
زليقا ترى حائماتِ العُيوب ... ـواو طرن ما شئن ـ عنه وقوعا
بناه على تاجه "أردشير"(٢) ... جنابا مَريعا وجارا منيعا
وجاء فأشرف "عبدُ الرحيـ ... ـم" قُلّته وبنُوه طلوعا
فداؤك كلُّ أشلِّ الوفاء ... اذا كان منّى السرابَ اللموعا
وَصولٌ على العسر من دهره ... فإن صافح اليسرَ ولّى قَطوعا
وكلُّ مصيبٍ على الغِلّ فيـ ... ـك قلبا كتوما ووجها مذيعا
خَبِي(٣) لك من حسدٍ فى حشا ... ه أفعى فلا مات إلا لسيعا
حملتَ المعالى بسِنّ الفتى ... ولم يك حملا لها مستطيعا
اذا شال(٤) فى الفخر ميزانُه ... وزنتَ مثاقيلَ أو كلتَ صوعا
زحمتَ بجودك صدرَ الزمان ... على ضعف جنبي فأقعى صريعا
وعوَّذتُ باسمك حظِّى الأبىَّ الـ ... ـحرونَ فأصحبَ(٥) سهلا مطيعا
كفَيتَ المهمّة من حاجتى ... وأعذرتنى أن أدارى القَنوعا
وسدَّدتَ أكثر خَلّاتىَ الـ ... ـرِّغاب(٦)، فلو قد سددت الجميعا!

(١) فى الأصل "وعار". (٢) أردشير: أحد ملوك الفرس. (٣) خبي لغة فى خبأ. (٤) شال الميزان: ارتفعت إحدى كفتيه على الأخرى. (٥) أصحب: انقاد. (٦) الرغاب: الواسعة.

لعـلك مُغـنىٌّ عن مورِدٍ أرى ماءه الطَّرْق(١) سمّا نقيعا
جنابٌ ذليـل سحبتُ الخمو لَ عمـرا به وآرتديتُ الخضوعا
وأغمـدتُ فضـلىَ فيـه وكنـ ـتُ أُشهِرُ منـه حساما صنيعا
ولو أنصـف الحظُّ لم أرضَـه نصيبا ولا قاد مثـلى تبيعا
وفى يدكـم أن تغاروا علىَّ وأن تحفظوا فىَّ حقّا أُضيعا
ظفِـرتُ بحـقّ المـنى فيكُمُ فـا لىَ أرعى الخيالَ الخَـدوعا
وغاليتُ أهـلَ زمانى بكـم فـلا تُرخِصوا ببيانى البيوعا
وضمّوا قَـلوصِى(٢) الى سَرحكم وضَنّوا على الدهر بى أن أُضيعا
فإنّ سحابةَ إقبالكـم تعيـدُ الى جدب أرضى الربيعا
وكن أنتَ واليَها نعـمةً ومبتـدئا غرسَها والصنيعا
فقـد شهِد المجـدُ إلا شبيهـا لفضلك فيهـم وإلا قريعا
وخـذ من زمانك كيف آقترحـ ـتَ عمـرا بطيئا وحظّا سريعا
وعش للتهـانى وللـأُنْـرا تِ ما ولد الليلُ فجرا صديعا

* * *

وقال يمدح الكافى الخطير عمـدة الملك أبا عبـد الله القَنَانىّ فى المهـرجان ، ويشكو تأخّر عادةٍ كانت له ، ويستبطئ النظرَ فى بابه ، ويعـرّض بمفارقة البلدان [حين](٣) آستمرّ ذلك عليه

حماها أن تُشَـلَّ(٤) وأن تُراعا رصيدُ الكيد(٥) ما حمـلَ آستطاعا
هصـورٌ تقبض الأقـدارُ عنـه حبائلَهـا اذا بسـط الذراعا

---

(١) الطرق : المـاء الذى خوّضته الإبل و بالت فيه و بعرت . (٢) القلوص : الفتيّة من الإبل .
(٣) ليست بالأصل و يقتضيها السياق . (٤) تشلّ : تطارد . (٥) المراد برصيد الكيد : الأسد .

ذكىّ العين (١) أغلبُ (٢) لم تزده (٣) ممارسةُ العدا إلا امتناعا
يبيت بنفسه جيشا لُهاما ويكفيه توحُّدُه اجتماعا
اذا ذعرَ الطريدةَ، لم يُجرها (٤) هوتْ خفضا أو (٥) اطلعت يفاعا ؟
يشمُّ الرزقَ عن مسرَى ثلاثٍ فيقطعها على سغَبٍ تباعا
تكلّفه الدماءَ ملبّداتٌ له بالغاب تنظُره جِياعا
له ثقةٌ بأوبته نجيحا يطاولها الهَمام (٦) أو (٧) النزاعا
اذا نصلتْ (٨) مخالبُها لغوبا أعاد خضابُها (٩) العَلَق المُتاعا (١٠)
يغاديها الغريضَ (١١) ويعتشيها (١٢) شبولا أو تتمّ له سِباعا
فكيف يخاف سائمُها عليها وما يحفظْ "أسامةُ" (١٣) لن يضاعا
رعتْ وادى الأمانِ به وراحت رِواءً من مشاربها (١٤) شِباعا
تضيق على كَراكرها (١٥) خُطاها اذا صاح الحُداةُ بها: الوَساعا
مضت بجُنوبها عرضا وطولا فما تسع الحبالَ ولا النِّساعا
كفاها "عمدةُ المُلك" الولايا (١٦) وأفرشها النمارقَ (١٧) والنِّطاعا (١٨)
ومدّ لها من الإحسان ظلًّا (١٩) يفىء به الحدائقَ والوقاعا (٢٠)

(١) ذكىّ : متوقد . (٢) الأغلب : الأسد، وفى الأصل "أغلت". (٣) فى الأصل "ترده". (٤) فى الأصل "يجردها". (٥) فى الأصل "و". (٦) الهمام : الهمُّ بالشئ. (٧) فى الأصل "و" . (٨) نصلت : خرجت من الخضاب . (٩) فى الأصل "حصابها". (١٠) العلق : الدم الشديد الحمرة، والمتاع : المسال، وفى الأصل هكذا "المماعا". (١١) الغريض : الطرى من اللحم . (١٢) فى الأصل يعتسيها . (١٣) أسامة : علم جنس على الأسد . (١٤) فى الأصل "مساربها". (١٥) كراكر جمع كركرة وهى صدر البعير. (١٦) الولايا جمع وليّة وهى البرذعة . (١٧) النمارق جمع نمرقة وهى الوسادة الصغيرة يتكأ عليها . (١٨) النطاع جمع نطع وهو بساط من أديم . (١٩) فى الأصل "طلا". (٢٠) الوقاع جمع وقيعة وهى نقرة فى جبل أو سهل يستنقع فيها الماء .

وقـــــد نام الرُّعاة وغادروها عـــــلى جِرّاتهـا(١) نَهبا(٢) مشاعا
تواكلهـا الحماةُ وتصطفيهـا ولاةُ الســوء بُزْلًا(٣) أو جِـــذاعا(٤)
اذا حامت لِورد العـدلِ قامت عِصِىُّ الجـــور تطـــردها تِباعا
فخـــرَّم سَرحها وحنا عليهـا وضمَّ سُروحهـا بَدَدًا شَـــعاعا(٥)
فـتًى إن مدّت الجوزاءُ كفًّا لها خرقاءَ مـدّ يدا صَـــناعا
فقـــرَّت فى معاطنها ودرَّتْ وباركت المنائحَ(٦) والقِـــراعا(٧)
وفى "الكافى" وقد عجزتْ رجالٌ علتْ حظًّا ولم تعـــلُ اَضطلاعا
ونال بحقّـــه ما نال قـــومٌ فشا غَلَطُ الزمانِ بهـم وشاعا
أُضيفوا فى العـلا نسبا دخيلا فعـــدُّوها(٨) الزعانفَ(٩) والكُراعا(١٠)
زوائـــد مثلمـا ألصقتَ ظُلما بثـــوبٍ لا خروقَ(١١) به الرِّقاعا
وما قـــرعوا عـــلى النعماء بابا ولا بســطوا الى العلياء باعا
تعاطَـــوها مكلَّفَـــةً كِراهًا وقمتَ بهـا مـــولّدةً طِباعا
وملّكك السيادةَ عـــرقُ مجـــد تليـــدٍ كان إرثا لاَ ٱبتياعا
حُضِـنتَ بحجـرها وسقتك دَرًّا بِخلفيهـا(١٢) فوقتَـــك الرِّضـاعا
وجئت ففتَّ عزَّ الأصـل حتى فرعتَ بنفســك الأفْـقَ ٱرتفاعا

(١) جرات جمع جرة وهى أن يعيد البعير ما فى جوفه الى فه ليأكله ثانية . (٢) فى الأصـل "نهبا" . (٣) بزل جمع بازل وهو البعـير المسن . (٤) جذاع جمع جذع وهو ما قبل الثنىّ ، والمراد بالبزل والجذاع هنا الشِّيب والشبّان . (٥) بددا شعاعا : متبددة متفرقة . (٦) المنائح جمـع منيحة وهى الناقة أو الشاة تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردها عليـك ، وفى الأصـل هكذا "المنايح" . (٧) القراع جمع قريعـة وهى خير المـال . (٨) فى الأصـل "فعزوها" (٩) الزعانف جمع زعنفة وهى طرف الأديم كاليدين والرجلين . (١٠) الكراع : مستدق الساق أو طرف الشىء . (١١) فى الأصل "حروق" . (١٢) الخلف : حلمة الضرع .

نظمتَ الملكَ منخـــرطا بديدا وقمتَ بحفظــــه ملغًى مضاعا

شعبت قناتَه ولقـــد تشظّت (١) معاقـــدُها وُصُـــوما وآنصـــداعا

وريشت فطارَ وهـــو أحصّ (٢) ترى محلّقـــةُ النســـور به الضـــباعا

على حين النزىُّ (٣) رأى المداوى وحـــطّ مخمّـــــرُ (٤) الشرّ القناعا

وقام الدهر يجـذُبُ كلَّ عُنْـقٍ معظَّمـــةٍ فيـــــوطئها الرِّعاعا

وبات الخوفُ يَقسِم كلَّ عينٍ فمـا يجـــد الكرى طـرفا خُشاعا

وكلُّ يدٍ لهـا بطشٌ بأخـــرى بغَشْمٍ لا آرتقابَ (٥) ولا آرتـــداعا

نهضتَ ـ وبالظُّبا عنها نياطٌ (٦) ـ تهزُّ قنًـا وأقـــلاما شِـــراعا

ولم أر كالحسام غـــدًا جبـانا دعا قلمـا فأصرخه شجـاعا

فداجيـــةٌ برأيك قـــد تجلّتْ وعاصٍ من حِذارك قـــد أطاعا

اذا الوزراء ضمَّهُـــمُ رِهانٌ فتيًّـا أو ثنيًّـا (٧) أو رَباعا (٨)

سبقتَ بخصـــلةٍ لم يحـــرزوها ـ على ما قدّموا ـ القُضُب الوِساعا (٩)

وكنتَ أعفَّهم نفسـا وأجرا هُمُ عزما وأرحبَهـــم ذراعا

عزفتَ فمـا [ترى] (١٠) الدنيا جميعا وزخرفَ ملكِهـا إلا متـاعا

وقـــد أعطتك مِقـــودَها ذَهابا (١١) عـــلى تصريف أمرك وآتبـاعا

وغـــيرك قادرا لم يعصِ والى هـــواه ولا آســـتطاع له دفاعا

---

(١) تشظت : انشقت وتطايرت شظايا وفى الأصل "تشطّت" . (٢) الأحصّ : المنتوف الريش . (٣) النزىّ : السوّار الى الشرّ، وفى الأصل "الترى" . (٤) المخمّر: لابس الخمار. (٥) فى الأصل "ارتقات" . (٦) النياط : المفازة بعد طريقها . (٧) الثنى : الذى ألق ثنيته . (٨) الرَّباع : الذى ألق رباعيته وهى السن التى بين الثنية والناب . (٩) القضب الوساع : النوق الواسعة الخطى التى لم ترض . (١٠) ليست بالأصل . (١١) ورد هذا الصدر فى الأصل هكذا

* وقد أعطتك مقوذها با *

مدحنا النـاسَ قبلك ذا نــوالٍ حــوى خيرا ومخشيًّا مُراعا

وقلنـا فى الكــرام بمـا رأينا عيـانا أو نقلناه سمـاعا

فلمـا عبَّ بحــر نداك كانوا الى يــدك النقائرَ والبِقـاعا [1]

وأنك بالذى سمعــوا لأولَى ولكن صافقٌ غُبِنَ [2] البَيـاعا

فيا لشـــهادةٍ بالجــود زورا جرت ومـــدائح ذهبت ضَيـاعا

ولو أنا ملكنا الريحَ رُمنـا لذاهب ما آســتعاروه آرتجاعا

وســـقناه اليك فكان أنــقَ وأضــوعَ عَبْقَــةً بك وآرتداعا [3]

هل آنت لقولة طفت آضطرارا تقابلهـا فتوســـعها آستماعا ؟

أدوم عــلى خصاصته طويلا مخافــة أن يقـال شكا آقتنـاعا

يسارقُ عيشـــةً رعنـاء حــيرَى فــلا وُهُدا تحــلُّ ولا تِلاعا

يرقِّعهـا وتســبقه خروقا وهــذا الفرىُ [4] قــد غلب الصُّناعا [5]

وكنت تعــيره لحظا فلحظـا فتحفظـــه ولــولا أنت ضاعا

وتُمسِكه ببُلغـــةِ ما تراه الـ ـمكارمُ ممكنا لك مســتطاعا

فينقُص عمـــرُه يوما فيــوما بفَضــلةِ [6] ذاك أو ساعًا فساعا

وقــد نُسخ العطـاءُ فصار منعا وعاد الوصـــلُ صــدّا وآنقطاعا

وكاد الكامن المســتورُ يبــدو وأسرارُ التجمّـــل أن تذاعا

وضاقت ساحة الأوطان حــتى تطاول أن يرسلها آطــلاعا

وما للحــرّ تلفِظـــه بــلادٌ كعزم يُنهض الإبلَ الظِّلاعا

وأُقسم لو أمنتُ عليـك عقبى الـ ـسماحةِ بى لمـا خفتُ الزَّماعا [7]

(٢٥٤)

(١) البقاع جمع بُقعة وهى المكان يستنقع فيه الماء، وفى الأصل " اليفاعا " . (٢) فى الأصل "غبن" . (٣) الآرتداع : أثر رائحة الطيب . (٤) الفرى : الشق الفاسد . (٥) الصناع : الحاذق الماهر . (٦) الساع جمع ساعة . (٧) الزماع : المضاء فى الأمر .

وما ونداك ما هــو أن أمرّتْ ... مريرةُ جفــوتى إلا الــوداعا
أفارقكم لغـير قِــلًى فظــنى ... بنفسى بعدكم أن لا آنتفاعا
وأترك بينــكم غُرر القــوافى ... تَناوحُ خلف ظهـرى أو تَنـاعى
فمن لكُمُ يقــومُ بهـا مقامى ... اذا آندفعت مواكبُها آنــدفاعا
بقيتُ لهـا ومات النـاسُ غيرى ... فغاروا للبقيــة أن تضـاعا
هبــونى مهرةَ العــربىّ فيكم ... تُجاع لهـا العيالُ ولن تُجـاعا
أعيــذ علاك أن أُنسى قريبـا ... وأن تشرى "الكفاةُ"(١) وأن أباعا
لعلّك تصــطفى عِرْقا كريمـا ... فتحمـــدَه آغتراسا وآصطناعا
ومُدليــةٍ الى نعماك عــنّى ... بحـــقٍّ فى المكارم أن تراعى
تشافهك الثنـا عــنّى وتُمسى ... حِصابا فى عــدوك أو قِــراعا
لهـا فى بعــد مسراه أجيــجٌ(٢) ... عصـــوفُ الريح يخـــترق اليَراعا(٣)
تكون تمائمـا لك أو رُقًى فى ... لِساعِ الدهر، إن له لِسـاعا
وأنّ المهــرجانَ له شــفيعٌ ... خليـــقٌ أن يُبَرّ وأن يُطـاعا(٤)
فلا عدمتك ــ يا بدرُ ــ الليـالى ... ولا خفتَ المحـاقَ ولا الشّعاعا(٥)
ولا خلج الزمانُ عليــك بيتـا ... يفـــرّق ما تُحبّ له آجتماعا
فإنّ ظعائنا "بالســفح" قدّت ... أديمَ الليــل ينصعن آنصياعا(٦)
حملن بها ــ مكــرّمةً ــ رخيًّا(٧) ... حصينا(٨) عهـــدُه ودمًا مُضـاعا

(١) فى الأصل "تسرى" . (٢) الأجيج : التلهب . (٣) اليراع : الأجمة .
(٤) فى الأصل "أن تبر وأن تطاعا" . (٥) الشعاع : التفرق . (٦) عاد الشاعر الى الغزل والنسيب مرة ثانية بعد أن آختتم قصيده بالمديح والدعاء ولم نفهم المغزى الذى أراده ولعلها أبيات مؤخرة على ما فيها من آضطراب . (٧) فى الأصل "وخيا" . (٨) فى الأصل "خصيبا" .

طوالع أو غرائب فى "شَرافٍ" (١) مَلًا (٢) فـَـلًا يرونَ بهـا مَلَاعا (٣)

وفى الأحداج محجوبا هـــلالٌ اذا راق العيونَ خفى فــراعا

يحييــه خفوقُ الظلِّ حـتى اذا ركب الهوى صدقَ المِصاعا (٤)

أشاط (٥) دمى وخلّفنى ودمـــعى أُســيلُ به الـمــلاعبَ والرِّباعا (٦)

سطا بقبيــله فلوى ديــونى "قضاعة" من لخصمكمُ "قضاعا"

أمنكِ سرى ٱبنةَ الأعرابِ طيفٌ وقد كذبا على الشعب (٧) ٱنصــداعا

سرى والصبحُ يذعَرُ من توالى الـ ـنجومِ معـــزِّبا (٨) بقَــرًّا رِتاعا

أَلَمّتَ من "شَرافَ" بنا فحَيّت "أظبيةُ" أم أرى حُلُما خِداعا ؟

فإما أنت أو طيفٌ كذوبٌ كَلَا الزَّورين (٩) كان لنـا متاعا

* * *

وقال وكتب بها الى أبى منصور بن المزرّع

مِلْ معى لا عليك ضرّى ونفعى نسأل "الجزْعَ" عن ظباءِ "الجزع" (١٠)

قلتَ : لا تنطـق الديار ولا يمـ ـلك (١١) بالى الطلولِ سمعا فــيُرعى

وعلىّ السـؤالُ ليس عــلىّ الـ ـعارُ إن ضنّت المغانى برجع

لم أكن أوّلَ الرجال ٱلتوى صَغْـ ـوى (١٢) لدار الأحباب أو مال ضلعى

قــد شجا قلــبىَ البكاءُ بنزف الـ ـأربع الحمـرِ (١٣) فى الثـلاثِ السُّفعِ (١٤)

---

(١) شراف : اسم ماء بنجد . (٢) الملا : الصحراء أوالمتسع من الأرض . (٣) الملاع : المفـازة لا نبات فيها وهى أيضا من صفات العقاب . (٤) المصاع : المقـاتلة والمجالدة . (٥) أشاط : سفك . (٦) الرباع جمع ربع وهو المنزل . (٧) فى الأصل "الشعب" . (٨) معزّبا : مبعدا ، وفى الأصل "معربا" . (٩) الزور : الزائر . (١٠) الجزع : اسم واد وديار باليمن . (١١) فى الأصل "باكى" . (١٢) الصغو : ميل الحنك . (١٣) يريد بالأربع الحمر : الموقين والحاظين للعينين . (١٤) يريد بالثلاث السفع : ثلاث حجارة تنصب عليها القدر تسمى "الأثافىّ" جمع أثفيّة .

هــل مجابٌ يدعو مبــدِّد أوطا ... رى "بجمع" يردُّ أيامَ "جَمعِ"[1] ؟

أو أمينُ القـوى أحمّله هـ ... مًّا ثقيلا بحطِّهِ دون "سَلعِ"

وعلى ذكره جرى باسمه المحـ ... ـفوظُ من عهد أهله والمرعى

فافرُجا لى عن نفحةٍ من صَباه ... طال مدّى لها الصليفَ[2] ورفعى

إن ذاك النسيمَ يجرى على أر ... ضٍ ثراها فى الريح رقيةُ لَسعى[3]

وخيام تُثنَى على كلّ بدرٍ ... ملَك الحسنَ بين خمسٍ وتسعِ

وبما ضاق منكما وآستباح الـ ... حبّ سلبي يا صاحبيّ وبخعى

غنيانى[4] "بأمّ سعدٍ" وقلبي ... معَها ، إن قلبيَ اليومَ سمعى

وآصرفا عنّىَ الملامة فيها ... لستما تنقُلان باللوم طبعى

سألتْ بى : أنّى أقام ، وهل نا ... م بعينيه بعد هجرى وقطعى ؟

قيل : يبكى فى الرَّبع ، قالت : فما با ... لى أرى يا بسا ترابَ الربعِ !

خار قلبي فغاضَ فى الدار جفنى ... فآستحلّت دمى بتفريط دمعى

كم "بنجدٍ" لو وفَى أهلُ "نجدٍ" ... لفؤادى من شعبةٍ أو صدعِ

وزفيرٍ علّمتُ منه حمامَ الـ ... ـدّوح ما كان من حنينٍ وسجعِ

وليالٍ قنعتُ منها بأضغا ... ثِ الأمانى ومخلبات اللمعِ

ما أخفَّ الأقدارَ فى غبنِ[5] حظّى ... وتعنّى أنسى وتفريق جمعى

كلّ يوم صَرفٌ يخابط أورا ... قى من الدهر أو يخالس فرعى

أرفع الضيم بالتجمل حتى ... مرَدَ الخرقُ عن خياطِ الرقعِ

رفض الناسُ مذهب الجود حتّى ... ما يدينون للسماح بشرعِ

---

(١) أيام جمع : أيام منى . (٢) الصليف : صفحة العنق . (٣) فى الأصل "تسعى" .

(٤) فى الأصل "غبانى" . (٥) فى الأصل "عين" .

فســـواء عليهـمُ أبجـــــــدِ طَرَقَ الشِّـعرُ أم بسبٍّ وقـذعِ
وأمرِّ العطـاءَ نزرٌ كثيرُ الـ ـمنِّ حـتى آستحليت طعم المنع
أسأل الباخلينـ والله أولى بكريم الجـــدا وحُسن الصـــنع
وعـــلى خطّة العـلا بعـد قومٍ طال باعى فيهم وأرحبَ ذرعى
هم حَمـونى وما حمى حـدّ سيفى ووقـونى ما لا تقيـــنيَ درعى
وأهابوا فـزعزعوا الدهرَ عـنّى وهو ليثٌ على الفريســة مقعى (١)
قسما بالمنقّباتِ الهــــــدايا شُـــقَقِ الضابِ أو قسىِّ النبــع ،
كلّ جرداءَ لفّــها الســـيرُ بالسيـ ـرِ فعادت فى النِّسع مثـلَ النسع ، (٢)
خضعت تحت رحلها بعســيبٍ (٣) كان بالأمس مشرفا كالجـــذع ،
نفضت بين "بابلٍ" و"منًى" قا ب ثلاثينـ ليـــلة فى ســبع ،
تدرج الليـــل بالنهـار فـا تأ نس فرقا ما بينـ رفع ووضع ،
طُلَّعا من "أبى قُبيس" (٤) يُخيَّلـ ـن حَمامًا على الهضابِ الفُـــرع ،
تحمـــلُ السُّهَّمَ (٥) الملاويحَ (٦) أشـــبا حا توافَوا منـ كلّ فَجٍّ وصُقع ،
زمّلوا أوسُـــقَ الذنوب (٧) وقضَّــو ها حِصابا فى السبع بعـد السبع ،:
لحَلَا منـ "بنى المزرّع" مجنا ىَ وزكّى غرسى وريَّع زرعى
الملبّـونـ غـــــدوةً والملبّو ن دفاعا ولات ساعــةَ دفـــع (٨)
كلما هُزَّت الحفائظُ منهـم أطلعـوها ملمـومةً كلَّ طِلع

(١) فى الأصل " مقع " . (٢) النسع : حبل من أدم تشدّ به الرحال . (٣) العسيب : عظم الذنب . (٤) أبو قبيس : جبل مشرف على مسجد مكة . (٥) السهم جمع ساهم : وهو الذى تغير لونه و بدنه مع هزال . (٦) الملاويح جمع ملواح وهو الضامر . (٧) فى الأصل " الذيوب " . (٨) فى الأصل " أطلعوها ملومة كل ظلع " .

حملوا فوقها الشموسَ وقادو ... ها بجاءت من الدجى فى قِطع (١)

يغسل العارَ عنهمُ لذعُ خُرصا ... نٍ قناها إن هبّ عارٌ بلذع (٢)

واذا فار فيهمُ عِرقُ "طيٍّ" ... أضرم الأصلُ نارَه فى الفرع

لبسوا النقع حاسرين فشقّوا ... بنجوم العلا ظلامَ النقع

بأنوفٍ فوق الملاثم شمٍّ ... ورقابٍ تحت المغافر تُلع (٣)

كلُّ تالٍ أباه يجرى كما يجـ ... ـرى ويسعى الى العلاء ويُسعى

سلكوا فى الكمال فانتظموه ... مُولَجَ الخيط فى ثقوب الجَزع (٤)

يُرطبون القِرى وقد أعجفَ العا ... مُ ومُدّت فيهم ذراعُ الضَّبْع (٥)

بعِلابٍ (٦) مفهّقات (٧) اذا ما ... ردَّ شُخبيه (٨) حالبٌ فى الضَّرع

واذا عزّت البِكارُ (٩) عليهم ... لم يُغِذُّوا أعيارَها (١٠) بالكسع (١١)

فزت منهم على الظما بقليب (١٢) ... لم يكدِّر جمّاتِه (١٣) طولُ نزعى

جئته ساغبا مُحلأً (١٤) عن النا ... س جميعا فكان رِيِّى وشبعى

وصلتْ بى حبلَ "المهذّبِ" أنوا ... ءُ سعودٍ ما كنَّ أنجمَ قطع

ودعتنى الى هواه سجايا ... هنّ صَرفى عن سواه وردعى

بالبديع الغريب فيهم وما جا ... ءك من فضله فليس ببدع

(١) القطع : الجزء من الليل . (٢) الخرصان جمع خِرص وهو السنان . (٣) المغافر جمع مغفر وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس وتلع جمع أتلع وتلعاء : الطويل من الأجياد . (٤) الجزع : الخرز . (٥) الضبع : السنة المجدبة . (٦) علاب جمع علبة وهى قدح ضخم يحلب فيه . (٧) مفهّقات : ممتلئات ، وفى الأصل "مفقهات" . (٨) الشخب : ماخرج من تحت يد الحالب عند كل غمزة وعصرة للضرع . (٩) البكار جمع بكرة وهى الفتية من الإبل . (١٠) أعيار جمع عير وهو الحمار أياكان وحشيا أو أهليا . (١١) الكسع : الطرد . (١٢) القليب : البئر . (١٣) جمات جمع جمة وهى معظم الماء . (١٤) يريد محلأ أي ممنوعا عن الورود .

(٢٥٦)

سوّد النـاسُ ودّهـــم وجلا لى ⁂ عن وجـوهٍ بيضٍ من الودّ نُصعِ

ردّ صــوتى ملبّيـا ورعانى (١) ⁂ بيـــدٍ كالغمام تُـروى وتُـــرعى

لا بمليغ غـــريبهـا مــلء أيّا ⁂ مىَ فيــه ولا بــوأدٍ مقـــعى

يا غياثى المبلوغَ قبل آجتهـادى ⁂ وربيعى قبـــل آرتيادى ونجعى

وظلالى من الأذى بين قومٍ ⁂ هجّــروا (٢) بى فى القرقرىّ (٣) النقـعِ

كم كمين من راحتيــك كريم ⁂ لم أُثِـرهُ برقيــتى وبخَــدعى

جاء عفوا وعاد وترا وقـد كا ⁂ ن كفانى منــه وفورُ الشّـــفعِ

لم تُصِخْ للعـذول فى فرط أشعا ⁂ رى ولم تــزدجر بنهيٍ ووزعِ

شيمـــة ما نقلتُها عن أناسٍ ⁂ حلوا هضبةَ العـــلا غـــير ظُلّعِ

كلّ ايثٍ مشى الرُّوَيدَ وخفّفـ ⁂ تَ الى سبقه خُفــوفَ السِّمعِ (٤)

بـك طالت يدى وخفّ عـــلى [كلّ] (٥) فؤادٍ يســتثقل الفضـــلَ وقعى

وتــنزّهتُ عن معـاشرَ لا يفـ ⁂ ـتحُ أبوابَ جودهم طولُ قـرعى

صدتُ بالمضرحىّ (٦) أزرقَ (٧) فآستحـ ⁂ ـييت صيدى بالنـاعقات البُقعِ (٨)

لامنى الحاسدون فيك فآبوا ⁂ بين زَبنٍ (٩) شاهَ الوجـوهَ وقمعِ

مالهم معرضين عـنّى ومصغيـ ⁂ ـن لقولى إلا آصطلامى (١٠) وجدعى (١١)

(١) فى الأصل "ودعانى" . (٢) هجروا بى : ساروا بى فى الهاجرة ، وفى الأصل "هجرونى" .
(٣) القرقرىّ منسوب الى قرقر وهو القاع الأملس المستوى . (٤) السِّمع : سبع مركب وهو ولد الذئب من الضبع ، أسرع من الطير فى عدوه ، ووثبته تزيد على مسافة ثلاثين ذراعا وهو شديد السمع يضرب به المثل فى ذلك فيقال : « أسمع من سمع » . (٥) ليست بالأصل . (٦) المضرحىّ : الصقر أو النسر الطويل الجناح . (٧) أزرق : وصف للمضرحىّ فنصب على الحال . (٨) البقع جمع أبقع وهو صفة للغراب لاختلاف لونه ، وفى الأصل النقع . (٩) الزبن الدفع ، وفى الأصل "زين" ، والقمع : ضرب أعلى الرأس . (١٠) الاصطلام : استئصال الأذن . (١١) الجدع : قطع الأنف . وفى الأصل "حذعى" .

ولك الصائبـات حَبَّ الأعادى بسهام يدمين قبـل الـنزع
كلّ ركّاضـةٍ بذكرك فى الأر ض عـلى ألسن الرواة الدُّلَّع
ما شـيات على الظراب[1] ولم تحـ ـفَ ولا قيـدت قِبالا بشِسع[2]
لا يزاحمن ذا كُراعٍ[3] ولا يُضـ ـرِبْنَ حول الحياض ساعةَ كرع[4]
تقطع البرَّ بالمهارى[5] الجديد يّات[6] والبحرَ بالسفين القُلَّع
نظَمَتْهـا سمـاتُ مجدك فى الأسـ ـماع نظمَ العـذراء خيطَ الودْع
من علاك آنتخبتُ[7] حليـةَ صوغى مستعينا وآخترت دُرَّةَ رصعى
فآستمعهـا لم يلقَ قبـلى ولا قبـ ـلك ذو منطـقٍ بهـا ذا سَمـع
ساق منها النيروزُ عـذراءَ لم تسـ ـمح لصهرٍ سـواك قطّ ببُضْع
كثرت وهى دون قـدرك فاعذر فى قصورى وآقنع بمـا قال وُسعى

* * *

وكتب الى الأمير أبى قوام ثابت بن علىّ بن مَزْيَد يذكر رسمـه، وخلاصَه من جُدَرِىّ كان عرض له، وأشرف منه على التلف

بدينك بعـد ما آنفـرق الجميعُ أتصـبر أم يروعك ما يروعُ ؟
تداعوا بالنـوى فسمعت صوتا يودّ عليـه لو صَمَّ السـميعُ
وزمّـوها مسـنَّمةً بِطـانا تغصُّ بها النمارقُ[8] والقُطـوعُ[9]

---

(١) الظراب جمع ظَرِب وهو ما حدّ طرفه ونتأ من الحجارة، وفى الأصل "الضراب". (٢) القبال: زمام النعل كالشسع. (٣) الكراع: مستدقّ الساق. (٤) الكرع: مد العنق والشرب بالفم لا بكفّ ولا بإناء. (٥) المهارى: الإبل المنسوبة الى حىّ مَهرة بن حَيدان. (٦) الجديليّات: منسوبة الى الجديل وهو فحل تنسب اليه الإبل. (٧) فى الأصل "انحلت". (٨) النمارق جمع نمرقة وهى الوسادة الصغيرة يتكأ عليها. (٩) القطوع جمع قِطع وهى الطنفسة تكون تحت الرجل على كتفى البعير.

حواملَ كلَّ ما شكت المطـايا (١) ولكن كـلَّ (٢) ما شكر الضجيعُ
تكلَّفها الحُداةُ " ببطن خَبتٍ " من الأحداج ما لا تستطيعُ
اذا ما خفَّ أو نهض النـواجى (٣) مشت منهـا الحسـيرةُ والظليعُ
وفى الأظعان متَّهـمٌ برىءٌ بنخـوته ومحفـوظٌ مُضـيعُ
ومنتفضٌ كانتَـه " بنجـدٍ " له " بالغـور " مقتنَص صريعُ
ومن سِرِّ (٤) العشـيرة من " مَعَدّ " — مكانَ النجم — باذلةٌ منـوعُ
عصىُّ الرِّدفِ لِينـة التثنّى تقسَّم خصرَها شِـبعٌ وجـوعُ
اذا سئلت فراجحـةٌ زبونٌ وإن وعـدت نخالبةٌ لمـوعُ
جرى بهمُ " أشىٌّ (٥) " فعبَّ بحـر حمـولَهُمُ سفائنُـه القُـلوعُ
غوارب، فارتجعت الىَّ طَـرفى يناشد " ذا الأراكِ " متى الطلوعُ
ألا هل — والمنَى سـفَهٌ وحلمٌ وصادقـةٌ تسرّك أو خَدوعُ — :
لظمآنٍ " ببابلَ " من سبيلٍ الى المـاء الذى كتم " البقيعُ " ؟
وبانات عـلى " إضمٍ " رِواء سقاها كأسَ نُخبتـه الربيـعُ
تقـوِّدها الصَّبا غصنـا لغصنٍ فتعصى فِي (٦) المَقـادة أو تُطيـعُ
ترنَّمُ فـوقها وُرُقُ العشـايا لمغتبـقٍ سلافتهُ الدمـوعُ
يظنَّ الغادرون بكاى خُرقا وأن وفاىَ بعـدهمُ خضـوعُ
وليس و إنمـا زمنٌ تـولّى " بغُرَّب (٧) " ما لفائتـه رجوعُ
وعهـد ضاع بين يدى وخصمى وما يرعاه مثـلى لا يضـيعُ

(١) فى الأصـل " كلمـا سكت " . (٢) فى الأصل هكذا " كما " . (٣) النواجى جمع ناجية وهى الناقة السريعة . (٤) السر : محض النسب . (٥) أشىّ : اسم واد باليمن . (٦) فى الأصل " فتغضى " . (٧) غرب كسكر : اسم جبل وماء بنجد .

وقبلكمُ صعبت على المَلاوِى(١) ... فطار عن النزاع بِيَ التروعُ

ومرّتْ سلوة بصُدوعِ قلبي ... فبات الداء والتأمَ الصدوعُ

وهمٍّ قد قريتُ فبات عندى ... له الوجناءُ(٢) والعطن(٣) الشريع

أضمُّ صرامةً جنبيَّ منه ... على أضعافِ ما تسعُ الضلوعُ

وقافيةٍ طغت فنهست منها ... بفيَّ مكانَ لا يرقَى اللسيعُ

يسوغ الشهدُ منها فى لَهَاتى ... وفيها الصابُ والسمُّ النقيعُ

اذا ما راضها غيرى تلوّتْ ... تلوِّى البَكرِ(٤) حارفَه القطيعُ

وحاجةِ ماجدِ اليد مستطيلٍ ... الى الغايات يقصُر أو يبوعُ

حبيبٌ عنده طولُ الليالى ... كأنّ سهادَه فيها هجوعُ

ركبت الى الخطارِ بها زَماعى(٥) ... وناجيةً(٦) مسابحُها(٧) الهزيعُ(٨)

اذا زفرتْ من الظمأ المطايا ... فليلةُ(٩) عِشرِها(١٠) أبدا شُروعُ(١١)

خوارق فى أديم الأرضِ طورا ... وأحيانا تُخاط بها الرقوعُ

اذا آختلفت أسامى السير يوما ... فكلّ آسمٍ لمسراها السريعُ

تُيَمِّمُ من بنى "أسَدٍ" بيوتا ... "ببابلَ" جارُها الجبلُ المنيعُ

وتَنشَقُ من ثرى "عَوفٍ" ترابا ... ينمُّ بطيبه الكرمُ الرديعُ(١٢)

يضعن عليه أعناقا رِقاقا ... بها من غير ذلّتها خشوعُ

---

(١) الملاوى : الطرق الملتوية . (٢) الوجناء : الناقة الشديدة . (٣) العطن : المناخ حول الورد والشريع : المشروع بالماء، وفى الأصل "السريع" . (٤) البكر : الفتى من الإبل . (٥) الزماع : المضى فى الأمر والعزم عليه . (٦) الناجية : الناقة السريعة . (٧) فى الأصل "مابجها" . (٨) الهزيع : جزء من الليل . (٩) فى الأصل "فليلة" . (١٠) العشر : الورود على الماء فى اليوم العاشر . (١١) الشروع : الدخول فى الماء والخوض فيه، وفى الأصل "سروع" . (١٢) الرديع : الذى به أثر الطيب .

اذا قيــدت بجــوٍّ "مَزيَدِىٍّ" لواها الخصبُ والوادى المَــريعُ[1]

طوالبُ "ثابتٍ"[2] حيث آطمأنّت من المجــد الذوائبُ والفــروعُ

اذا غُنِّينَ بآسم "أبى قوامٍ" ترنّحت القــوائمُ[3] والنســوعُ[4]

طربن لضاحك العَرصات تَغنى الـ ـيا ضُ بــه ويبتهج الربيـــعُ

ورىّ[5] الوجهِ[6] يظهــرُ ثم يخفَى وراء لثـامه الفجرُ الصـديعُ[7]

اذا آعتقــل القنـاةَ ندًى وبأسا تلاقى المـاءُ فيهـا والنجيـــعُ[8]

كريم الأريحيّـــةِ تطّيبــه[9] رياحُ المجــد تُكتمَ أو تَشــيعُ

يروعه الغــنى لم يبن مجـــدا وتُبطِــره الخصاصــة والقنوعُ

اذا آبتـاع المكـارم لم يُسـفّه من الأعواض[10] ما فيهـا يبيـــعُ

أناف به على شـــرف المعـالى سمـــوُّ النفس والحسبُ الرفيـعُ

وبيتٌ بين "غاضرةٍ" و"عوفٍ" تَناصى عِيصــه[11] الشُّرفُ[12] الفــروعُ[13]

اذا الأنسـابُ أظلمت آستبتّْ لكوكبه الإضاءةُ والنصــوعُ

من النفــر الذيــن هم آتحـادا كَوُسطى العِقد فى "مضرٍ" وقوعُ

تَحضُّنهــم[14] حواضنُ مُكــرَماتٌ ففـات الكهلَ طفلُهم الرضـيعُ

ومدّوا من "خُزيمــةَ" خيرَ عِرقٍ اذا لم يكــرم الفحل القــريعُ[15]

---

(١) المريع : الخصيب والكثير الخير . (٢) فى الأصل "طالب" واسم الممدوح "ثابت" وفيــه شيء من حسن التورية . (٣) القوائم : جمع قائمة وهى واحدة قوائم الدابة ليديها ورجليها . (٤) النسوع جمع نسع وهو المفصل بين الكف والساعد . (٥) يقال : زند ورىّ أى خرجت ناره وهو كناية عن الإضاءة . (٦) فى الأصل "الوجد" . (٧) الصديع : المسفر . (٨) النجيع : الدم . (٩) تطبيه : تزدهيه . (١٠) الأعواض : جمع عوض وهو الخلف والبدل ، و فى الأصل "الأعواص" . (١١) العيص : الأصل . (١٢) الشرف : جمع شرفة وهى ما أشرف من البناء . (١٣) الفروع : المرتفعــة . (١٤) فى الأصــل "تحصنهم" . (١٥) القريع : الشديد المختار .

اذا جلسوا تجمّعت المعالى ... وإن ركبوا تفرّقت الجموعُ
لهم حَلَبُ الندى وحَيَا المَقارِى(١) ... اذا جفّت من السنة(٢) الضروعُ
اذا خمد الوَقودُ ذكت وجوهٌ ... تضيء لهم وأعراضٌ تضوعُ
يشُبُّ الحربَ منهم مطفئوها ... ويُعطِى الأمنَ فيهم مَن يروعُ
اذا نبَتِ السيوفُ مضت قلوبٌ ... وإن قصُر القنا وصلته بوعُ
ولم يتدرعوا سقفا ولكن ... جسومٌ تستجنُّ بها الدروعُ
مضَوا سلفا وجاء "أبو قوامٍ" ... فأقبلَ سرُّ مُعجزِهم يذيعُ
فكان البدرَ تصغُر جانبيه الـ ... كواكبُ وهى ثاقبةٌ طُلوعُ
اذا وُزِنوا به رجَحتْ عليهم ... موازينٌ بسودَدِهِ وصوعُ(٣)
هو الأسد الوحيدُ اذا أغاروا ... وفى الشُّورى هو الرأى الجميعُ
وقاك(٤) حذارَك المالُ الملقّى ... وبلّغك المنى السيفُ القَطوعُ
وكانت نفسُك المدفوع عنها ... بصبرك كلّما جزِع الجزوعُ
وساق لها الغريبَ من المعالى ... غريبٌ من خلائقها بديعُ
كما وُقّيتَ أمسِ وقد تقضّى ... علاقةَ جسمك الداءُ الوجيعُ
محى تلك الكُلومَ العُورَ ماحٍ ... وعفّى ذلك الوسمَ القطيعُ
وكنت السيفَ جوذبَ من صداه ... بصقلٍ وهو مخبورٌ صنيعُ
وكان معطّلا فغدت عليه ... حُلِىٌّ ما تَثَلَّمُ أو رُصوعُ
وظنّ بك العدا أن يبلغوها، ... منّى — وأبيك — فاركةٌ(٥) شَموعُ(٦)

---

(١) المقارى جمع مَقرَى وهى كل ما اجتمع فيه ماء المطر من كلّ جانب . (٢) السنة : القحط والجدب . (٣) صوع : جمع صاع ونحو المكيال الذى يكال به ، وفى الأصل " وضوع " . (٤) فى الأصل "وقال" . (٥) الفاركة : المبغضة زوجها . (٦) الشموع : المزّاحة .

فِرِدْ حوضَ البقـاءِ وهم عطاشٌ   وطِرْ بالمكرُماتِ وهم وُقوعُ
وعِشْ تبلغْــك منى شاردات   زوائرُ كلّما هجــر القَطــوعُ
لها فى الحسن ينبوعٌ مَـديدٌ   وفى الإعجاز جِـنىٌّ مُطيـعُ
تقـود اليــك أبكارَ المعـانى   وفى الشعر : المكرّرُ والرجيعُ
تخازرك(١) العدا حَسَــدا عليها   اذا غنَّى بها اللسِنُ الدليعُ(٢)
لك الإفــراط منها والتغـالى(٣)   ومنك لها التطوّلُ والصنيعُ
فــلا تقطع(٤) لها رَسْما فأنت ا لر بيــعُ(٥) ووقتُ نائلك الربيــعُ(٦)

❖

وكتب الى الوزير ذى السعادات أبى الفرج بن فسانجس وهو بالبصرة

نشــدتُك يابانةَ "الأجـرعِ"   متى رفـعَ الحىُّ من "لعلع"
وهــل مرّ قلــبىَ فى التـابعيـ   ـن أم خارَ ضعفا فـلم يَتْبَـعِ؟
لقد كان يُطمعنى فى المُقام   ونيّتُــه نيّـــةُ المــزمعِ
وســرْنا جميعـا وراء الحُمــول   ولكن رجعتُ ولم يرجــعِ
فأنّتُــه لكِ بين القـلوب   اذا آشتبهت أنـــة المــوجَعِ
وشكوى تــدلُّ على سقمه   فإن أنتِ لم تُبصرى فآسمعى
وأ برحُ من فقــده أنــنى   أظنُّ الأراكــةَ عــنّى تــعى
يــلوم على وطــنى وافــرُ الـ   ـجــوانح ملتــئمُ الأضــلعِ
يبـارح طيرَ النــوى لا يفـال(٧)   بأبــترَ منهـا ولا أبقــعِ(٨)

---

(١) تخازرك : تنظراليك محدّدة . (٢) فى الأصل "الذكيع" . (٣) فى الأصل "التعالى" .
(٤) فى الأصل "يقطع" . (٥) الربيع : المطر . (٦) الربيع : أحد فصول السنة .
(٧) لا يفال : لا يتطير . وفى الأصل "يقال" . (٨) الأبتر والأبقع من صفات الغراب .

وقال : الغرام مدًى لا يُرام ... نفذْ منه شيئا وشيئا دعِ
تصبّرْ على البين وآجزعْ له ... ولو كنتُ أصبرُ لم أجزعِ
وفى الركب سمراءُ من "عامرٍ" ... بغير القنا السُّمرِ لم تُمنَعِ
أغيلمةُ الحىِّ من دونها ... تجرُّ الذوابلَ أو تدَّعى
تطول عرانينُهم غيرةً ... اذا ما آستعير آسمها وآدُّعى
رجالٌ تقوم وراءَ النساء ... فيحمى اللثامُ عن البُرقُعِ
أدرْ يا نديمىَ كأسَ المدام ... فكأسىَ بعدهُمُ مدمعى
فإن كان حدُّك فيها الثلاثَ ... فإنىَ أشرب بالأربَعِ
وزَورٍ(١)، ولسنا بمستيقظينَ ... "ببطن العقيق" ولا هُجَّعِ ،
تُرفِّعنا جاذباتُ السُّرى ... وتخفضنا فترةُ الوُقَّعِ ،
سَرَى يتبعُ "النَّعفَ" حتى أطابَ ... حثيثَ الترابِ على "ينبُعِ"
فبلَّ الغليلَ ولم يُروِهِ ... وأعطَى القليلَ ولم يمنعِ
يدٌ نصعتْ لسوادِ الظلام ... ومن لك بالأسودِ الأنصعِ ؟
تبرّعَ من حيث لم أحتسبْ ... بها وسقَى حيث لم أشرَعِ
رأى قلقى تحتَ أرواقه ... فدلَّ الخيالَ على مضجعِى
نذيرىَ من زمنٍ بالعتا ... ب عن خُلقه غيرِ مسترجعِ
ومن حاكمٍ جائرٍ طينُه ... على طابع الحق لم يُطبَعِ
يميلُ على الحُمُر المقرباتِ ... ويغضب للأسمرِ الأجدعِ
يكاثرنى واحدا بالخطوب ... ويحملُ منّى على أضلَعِ(٢)
ويأكلنى بتصاريفه ... فها أنا أفنَى ولم يشبعِ

---

(١) الزور : الزائر . (٢) الأضلع : الشديد القوىّ الأضلاع .

وكم قام بيني وبين الحظوظ ... وقد بلغتني فقال : ارجعي
ولاحظني في طريق العلا ... أمرُّ[1] على الجَددِ[2] المهيع
فقال لشيطانه : قم اليـ ... ـه فاحبس به الركب أو جعجع[3]
فلا هو في عَطَني ممسكي ... ولا تاركي سارحا أرتعي
" أبغداد " حُلتِ فما أنتِ لي ... بدارِ مَصيفٍ ولا مَربعِ
صفِرتِ فما فيك من دَرَّةٍ ... يقوم بها رمقُ المرضَع
ودفَّعت " البَصرةُ " المجدَ عنـ ... ـك حتى ضعُفتِ فلم تدفعي
فمال اليها فشلَّ الصليـ[4] ... ـفَ عنك وملتفَتَ الأخدعِ[5]
فخلِّ لنا نحوها طرفَنا ... وطيري لنا حسَدا أو قعي
الى كم يُزخرَفُ لي جانباك ... خداعا ولو شئتُ لم أُخدعِ
وكم أسترقّ على شاطئيك ... بمغرب شمسك والمطلع
وتهتفُ " دِجلةُ " بي و" الفراتُ " : ... حذارِ من الآجن المنقع
وتربة أرضك لاتسمحنَّ ... بحرائها للثرى الأسفع
ويرتاح وجهي لبَرد النسيم ... ونارُ الخصاصةِ في أضلعي
وما أنتِ إلا وميضُ السراب ... على صفحة البلد البلقع
وما ليَ أقمحُ[6] مِلحَ المياه ... اذا كنتُ أشربُ من أدمعي
وهل قاتلي بلدٌ أن أقيم ... اذا خُطَّ في غيره مصرعي
حفِظتُكِ حتى لقد ضِعتُ فيك ... لخفض[7] حبِّك من موضعي

---

(١) الجدد : ما استرق من الرمل . (٢) المهيع : الواسع . (٣) جعجع : أنخ وبرك .
(٤) الصليف : صفحة العنق . (٥) الأخدع : عرق بالعنق . (٦) أقمح : أرفع رأسى استكراها للشرب . (٧) فى الاصل " لخفص " .

ولوكنتُ أنصفتُ نفسى وقد قنعتُ بأهلك لم أقنع
غدا موعدُ البين ما بيننا فما أنتِ صانعة[1] فاصنعى
عسى الله يجعلها فُرقةً تعود بأكرم مستجمَع
وتأوى لهذى الأمانى العطاشِ فتأوى الى ذلك المشرع
ويسعدها الحظّ من ظل ذى الـ ـعادات بالجانب الممرِع
فيرعى الوزيرُ لها ٱبنُ الوزيـ ـرِ ما ضاع عندك لمّا رُعى
سيعصِفُ حادى القوافى لها هُبوبا الى الملِكِ الأروع
فتُنصَرُ بالمحتمى المتَّقَى وتُجبَرُ بالرازق الموسِع
فتًى عشقَ المجدَ لما سَلَا وعاش به الفضلُ لمانُعِى
وجمَّع من فِرَقِ المكرماتِ بدائدَ لولاه لم تُجمَع
غلامٌ أناف بآرائه على كلّ كهلٍ ومستجمِع
ومدّ بباع ٱبن ستين وهو بباع ٱبن عشرين لم يذرَع
ودلّ بمعجزِ آياتِه على قدرة الخالق المبدع
نوافرُ قرّت له لم تجزْ بظنٍّ ولم تمش فى مطمع
رأى اللهُ تكليفَه شرعَها فقال له : بهما فاصدَع
سقى كلّ ضدّين ماء الوفاقِ[2] بكأسِ سياسته المترَع
نخيسُ الأسودِ كاسُ الظبا ءِ والماءُ والنارُ فى موضع
وجمّاء[3] من سَرح أمّ التيـ ـم تنهَلُ والذئبَ من مكرَع
وسدّ بهيبته فى الصدور مسدَّ الظُّبا والقنا الشُّرَّع

(١) فى الأصل " ضانعه " . (٢) فى الأصل " النفاق " . (٣) الجماء : الشاة لا قرن لها ، وفى الأصل " حماء " .

فـــلو لطم الليثَ لم يفـــترِسْ ولـــو وطِئ الصِّـــلّ لم يَلسَـــع
سل "البَصرةَ" اليومَ من ذا دعا لهـا وبأىّ دُعاءٍ دُعِى
وكيف غـــدا جَنــةٌ صيفُها وكانت جحيـا عـــلى المـــرتع
ومن ردّها وهى أمّ البـــلا د أنسا على وحشـــة الأربُع
محرَّمـــة أن يحـــومَ الزمانُ عليهـا بأجـــــداثه الوُقَّـــع
وكانت روائـــعُ أخبـارهـا مـــتى يَروِها ناقـــلٌ يُفـــزِع
طـلولا تَنـاعبُ غــربانُهـا اذا الديك أصـــبحَ لم يَصْـــقَع(١)
يرى المـــرء من دمـــه فى قميص أخيـــه صبائغَ لم تنصَـــع
فـــكم رحِـــمٍ ثَمَّ مقطوعـــةٍ ولـــو ربّهـا الحـــزمُ لم تُقطَع
ومن طامِعٍ فى المـــولّى عليـــه ولو سِيس بالعـــدل لم يطـــمَع
رأى اللهُ ضَـــيعتَها(٢) فى البـــلاد فأودعَهـا خـــيرَ مســـتودَع
و ردّ لهـا الشمسَ بعـد الغروبِ بغـــيرِ "علىٍّ" ولا "يُوشَع"(٣)
فبلِّغ "ربيعـــةَ" إن جئتَهـا و"سعدًا" وأسمِعْ "بنى مِسْمَع"(٤) :
ضـحى أهَبَ الحرب وآستسلمى لمـالكِ أمرِك وآســـتضرعى
ويكفيـكِ منتقعا فى الحـــديـ ـد أن تأبُرى(٥) النخلَ أو تزرعى
فقـــد منع السَّرحَ ذو لِبـدتين(٦) مـــتى ما يُهَجهَج(٧) به يُوقـــع
وسَـــدّت عليك مَجازَ الطريـ ـق مســـحبةُ الأرقمِ الأدلـــع(٨)
وضمّ عراقَك من "فارس" شريفُ المفـارس والمَفـــزَع

(١) لم يصقع : لم يصح . (٢) فى الأصل "صيعتها" . (٣) يشير الشاعر الى قصة على ابن أبى طالب والى قصة يوشع بن نون والى كليهما ينسب رجوع الشمس بعد غروبها . (٤) مسمع وما قبلها من الأسماء : آباء قبائل . (٥) أبر النخل : تعهده بإصلاحه . (٦) ذو اللبدتين : الأسد . (٧) يهجهج به : يزجر به . (٨) الأدلع : الذى يخرج لسانه فى العدو .

بطىء عن السوء ما لم يُهَجْ (١)	فإن يرَ مَطعمةً يُسرِع
من القوم تعصف أقلامُهم	لواعب بالأسَلِ الزعزع
وتقضى على خرزات الملوك	عمائمُهم وهى لم توضَع
ويقعَص (٢) بالبطل المستميت	لسانُ خطيبهم المِصقَع
اذا آدرعوا الرَّقْمَ (٣) والعبقرىَّ (٤)	سطَوا بالترائك (٥) والأدرع
لهم فى الوزارة ما للبرو	ج فى الأفق من مطلِع مطلِع
مواريثُ (٦) مذ لبسوا فخرَها	على أول الدهر لم يُنتَزَع
هُمُ ومنابتُ هذى الملوك	من النبع (٧) والناسُ من خِروِع
تصلصلَ من [طينها (٨)] طينُهم	كما الماءُ والماءُ من مَنبَع
قُرِنتم بهم فى شباب الزمانِ	قرينةَ " عادٍ " الى " تُبَّع "
فمن قال : " آلُ بويه " الملوكُ	هُمُ " آلُ عباسَ " لم يُدفَع
تنوط وزارتُكم ملكَهم	مناطَ المعاصمِ بالأذرع
فيا آبن الوزيرين جدًّا أبًا (٩)	وأثلِثْ اذا شئت أو أربِع
الى حيث لا يجِدُ الناسبون	وراءَ " المجرّة " من مَرفَع
بحقٍّ مكانُك من صدرها	وكلُّهمُ غاصبٌ مدّعى
وإنى لأعجبُ من عاجزٍ	متى نتصدّ لها يَطمع
ومن مستطيلٍ لها عِرقُهُ	الى غير بيتك لم ينزِع

(١) فى الأصل " تهج " . (٢) يقعص : يقال : قعصه أى قتله مكانه . (٣) الرقم : ضرب مخطّط من الخز . (٤) العبقرىّ : ثياب فى غاية الحسن منسوبة الى " عبقر " اسم مكان . (٥) الترائك جمع تريكة وهى بيضة الحديد . (٦) فى الأصل " موايث " . (٧) النبع : شجر صلب تعمل منه القسى ، ومن أغصانه تعمل السهام ، والخروع : كلّ نبت ضعيف يتثنّى . (٨) ليست بالأصل . (٩) فى الأصل هكذا * فيا ابن الوزيرين حدابا *

يمــدّ لهـا يــدَه أجــذَما وأين السّــوارُ من الأقطع (١)
أيا حامىَ الــذود ما "للعــرا ق" أهمِـلَ بعضٌ وبعضٌ رُعى !
فمن جانبٍ بــلدٌ جُرحُــه بعــدلك ألحــمَ لمّـا رُعى (٢)
ومن جانبٍ بــلدٌ لا يرى لخُرق الصَّــبا فيه من مَرتَع
وما مِثـلُ شمســك ممّـا تَخُصّ فَعُــمَّ البـلادَ بهـا وآجمــع
"وبغداد" دارُ حقوقٍ عليـك مــتى ترعَ أيســرها تقنــع
فسلطانُ عزّك لم يقهــر الــ ــعــدا فى ســراها ولم يقمع
"وجعفرُ" ما "جعفــر" المكرما تِ لم يســلُ عنها ولم يــنزع
وكم جــذع (٣) منك أقرحتــه (٤) ومثغــر (٥) بعــد لم يجــذَع
وأنت وإن كنتَ جنّبتها فــلم ترعَ فيهـا ولم ترتــع
فعنــدك منهـا الذى لا يُرى محاسنُ تبصَــرُ بالمَســمَع
فجــرّدْ لهـا عزمةً كالحسام متى ما يجِدْ مفصِــلا يقطــع
فإن الطــريق اليهـا عليـ ـك غــيرُ مُشيك ولا مُســبِع
متى رمتهـا فهى من راحتيـ ـك بين الرواجب (٦) والأشجــع (٧)
بنـا ظمأٌ إن جفانا حيـاك وواصــلنا الغيث لم ينقــع
فغوثا فـما زلت غــوث اللهيف مــتى يدع مستصرخا تسـمع
ولو لم يكن غــير أنى أراك فيفزع فضــلى الى مَفــزَع

---

(١) الأقطع والأجذم : المقطوع اليد . (٢) فى الأصل "وعى" . (٣) الجذع : الفتى . (٤) أقرحته : جعلته قارحا : وهو المسن . (٥) المثغر : الذى سقطت أسنانه . (٦) الرواجب جمع راجبــة وهى مفاصل أصول الأصابع . (٧) الإشجع بالفتح والكسر وجمعه أشاجع وهى أصول الأصابع من الكف .

فإن يجمع الله هذا الثناءَ ... وتلك المكارمَ فى مجمع
وإن لم أسِرْ فانتشلنى اليك ... وقُدْنى بحبل الثنا (١) أتبع
ورِش بالنوال جَناحى أطِرْ ... وبالإذن فى مَهَلى أسرع
فما تطرح الأرضُ وفدا اليـ ... ـك أحسنَ عندك من موقعى
ولو ساعد الشوقَ طَولٌ اليك ... طلعتُ به خيرَ مستطلَع
فغيبةُ مثلىَ عن موضعٍ ... — وإن عزّ — عمرٌ على الموضع
وإنى لقعدةُ مستفرِه (٢) ... بصيرٍ ومتعةُ مستمتِع
شهابٌ على أنديات الملوك ... متى يُقتبَس بالندى يلمع
وإن لم يبنْ شبحٌ ذابلٌ ... على طودِ ملككم الأتلع (٣)،

(٢٦١)

فإن القُلامةَ فى ضعفها ... تعانُ بها بطشةُ الإصبع
لكم فى يدى وفى صارمانِ ... بصيرانِ فى القول بالمقطع
ومن دون ذلك رأىٌ يسدُّ ... ناحيةَ الحادثِ المُفظِع
ومفضَى الأمانة منى الى ... صفاةٍ من الحفظ لم تُقرَع
فإما علمت وإلا الخبيرُ ... فسلْهُ فمثلىَ لا يدّعى
بقيت لمعوز هذا الكلام ... متى أدعُ عاصيةً يَخنَع (٤)
وحيدا أُحيًّا بها، إن حضرتُ ... مُدحتُ وإن غبتُ (٥) لم أُقذَع (٦)
وهل نافعى ذاك؟ بل ليت لا ... يضرّ اذا هو لم ينفع
سمعتُ الكثير وما إن سمعتُ ... بأكسدَ منّى ولا أضيع

(١) فى الأصل "بحل" . (٢) المستفره : المستكرم . (٣) الأتلع : الطويل .
(٤) يخنع : ينقاد . (٥) فى الأصل "عبت" . (٦) اقذع : أسب وأشتم .

لعـــلك تأوى لهـا قصـــةٌ الى غـــير بابــك لم تُرفَـــع
ومَـن كنتَ حاكمَ أيّامه متى يطلب النّصفَ لا يُمنـــع
متى تصطنعنى تجـــد ما آقترحت مكان آغتراسك والمصـــنَع
وعـــذراء سقتُ لكم بُضـــعَها ولـــولا رجاؤك لم تُبضـــع
من المـالكات قلوبَ المـلو ك لم بتـــذلّل ولم تخشـــع
تصـــلى القـــوافى الى وجهها فمن ساجداتٍ ومن رُكّـــع
أقمتُ وقـــدّمتُهـا رائـــدا فشـــفّع وســـيلتها شـــفّع
عصتنى الحظـــوظ فيا بدر كن دليـــلا عـــلى حظّىَ الطيّـــع
فـــلا غرو أن أقهر الحـادثاتِ ورأيُـــك لى ولسـانى معى

✦

وقال يمدح ركن الدين جلال الدولة أبا طاهر بن بويه ويذكر الأتراك فى شَغبهم عليه وعودهم الى الطاعة

فى كلّ دارٍ عـــدوٌّ لى أقاذعُهُ وعاذلٌ أتّقيـــه أو أصانعُـــهُ
وآمـــرٌ بســـلو لا يطـاوعنى قلبى عليـــه وناهٍ لا أطاوعُـــهُ
يعيـا بوجدى ولم يحمـــل بكاهله ثِقـــلى ولا ضمنت قلبى أضالعُـــهُ
كأننى أوّل العشاق طـال له مغنى الأحبـــةِ وآرفضت مدامعُهُ
عابوا وفائى لمن أهوى وقد علمـــوا أن الخيـانة ذنبٌ لا أواقعُـــهُ
وهل تصـــح لمأمونٍ أمانتهُ يوما اذا الحبّ لم تُحفظ ودائعُـــهُ ؟
نعم وقفتُ على الأطـــلال أسألهـا ما كلّ مستخبَرٍ تُصغى مسامعُهُ
وقـــد يجيبك وحيـا مَن تخاطبه وتفهم القـــولَ ممن لا تراجعُـــهُ
وما رجوتُ «بذات البان» من سفهٍ دنوَّ من شَسَعت عنى شواسعُهُ

وما وقفتُ لبــدرٍ غاب أطلبــه	جهــلا ولكن شفتْ عيني مطالعهُ
وكلّ من فقد الأحبابَ ناظرُه	مُسرّحُ الطرفِ فى الآثار نافعُــهُ
وفى الظعائن خــلّابٌ بموعده	خَــلَابةَ البرق لم تصدُقْ لوامعُهُ
مقنّــعٌ، لُــثْمُ الأبطال يحدِرُها	ذليــلةٌ ما تــواريه مَقانعــهُ
ظبي يصدّ عن المرعى النفوسَ فقد	صارت حمًى بالدم الجارى مراتعُهُ
لا يُقتَضَى عنــده ثأرٌ ولا تِرةٌ[1]	ولا يُعاب بجبنٍ من يقارعهُ
إن شاء أنكر أو إن شاء معــترفا	بالقتــل لم يتعسّــفه توابعُــهُ
وكيف يجحدُ قتــلاه اذا شهدت	خــدّاه بالدمِ أو باحت أصابعُــهُ
يا تاركى مثــلًا فى النــاس منتشرا	تدور شائعــةٌ[2] فيهــم وشائعُــهُ[3]
ما سلّط الله أجفانى على جــلَدى	إلا ومحفوظُ سِرّى فيــك ضائعُهُ
من أحدثَ الغدرَ دِينا فاستننت به	ومن أباحتك تعــذيبى شرائعُهُ؟
بلى هــو الدهر مفطــورٌ خلائقُه	على الفســاد ومجبــولٌ طبائعُــهُ
أما ترى مَلِكَ الأمــلاك خاونه	عبيــدُه وعتت كفرا صنائعُهُ
ثعالبٌ تتعــاوى ساقَها وَعِــلٌ[4]	لضــيغمٍ لم تزعزعــه زعازعُــهُ
ما قمت تزأرُ منهــا واحدا صَمَــدا	إلا وجبّــار ذاك الجمــع خاشعُهُ
رأوا ولاءَك وسمــا فى جباههِــمُ	فــذُلُّهم لك إن عزّوا طوابعُــهُ
من كلّ قلبٍ قســا والرقّ يخصمه	حــتى يرقّ ونعماكــم تنازعُــهُ
وكيف تَعصِى [رقابٌ][5] أنت مالكها	مِلك اليمين وسيفٌ أنت طابعُــهُ

(١) الترة : الثأر والعدواة . (٢) فى الأصل "سابعة" . (٣) الوشائع جمع وشيعة وهي الطريقة فى البرد وهي هنا مجاز . (٤) الوعل : تيس الجبل . (٥) ليست بالأصل .

وهـــل هباتك يبغيهـا مغاليـــةً من أنت واهبُـــه أو أنت بائعُـــهُ
عادوا وبَســـطةُ أيديهـــم تثقّلُهـا أغلالُ مَنِّكَ فيهـا أو جوامعُـــهُ
يرعون ما أثمر البغيُ الذى غرسوا والبـغىُ معروفَةٌ العقبى مَصارعُهُ
يـلوذ بالعفو منهـم كلُّ ذى شَمَمٍ بأنفـه ، بأسك المحذور جادعُـــهُ
وحسب عاصيك ذلًّا إذ صفحتَ له عن الجريرة [أنّ (١)] الذلَّ شافعُـــهُ
وأنت كالسيف لم ينضُبْ بصفحته ماءُ الفـــرندِ ولم تَثْلَمْ مَقاطعُـــهُ
راموك والله رامٍ دون ما طلبـــوا وهل يفـــرِّقُ شملًا وهو جامعُـــهُ
عـــوائدٌ لك تجـــرى فى كَفالتِه لا يجـــبرُ الله عظما أنت صادعُـــهُ
كم قبـــل ذلك من فتقٍ مُنيتَ به والله ـ من حيث يخفى عنك ـ راقعُهُ
ضاقت جوانبـــه وآشتد مخـــرجُهُ وأنت فيه رحيبُ الصـــدر واسعُهُ
ردًّا اليـــه وتسليما لقـــدرته فيما تحاوله أو ما تدافعُـــهُ
فهبْ عبيـــدَك للعطيك طاعتَهـــم فأنت فى العفو عن عاصيك طائعُهُ
وآعطف عليهم فهم أنصارُ دولتكم ببأسهم كلُّ خصم أنت قامعُـــهُ
يامن اذا قال : هل فى الأرض من ملكٍ ســـواى لم يَرَ مخـــلوقا ينازعُـــهُ ! ؟
من مات من قومك الصيد الكرام فقد احياه ذكرُك وآبتلّت مضاجعُـــه
ومن على الأرض منهم سيّدٌ ملكٌ فأنت خافضُـــهُ أو أنت رافعُـــهُ
الله سربلكـــم بالملك مَصـــلحةً للعالمين ، فمن ذا عنك نازعُـــهُ
وهل يقـــوِّضُ بيتٌ من رجالكم عمـادُه وبأيديكـــم مجامعُـــهُ
فـــركنُ دولتـــكم بالأمس أوّلُه وأنت يا ركنَ دينِ الله رابعُـــهُ
مات الملوكُ على عصيانهـــم كمدا بـــه ، فكاتمُ داءٍ أو مذايعُـــهُ

---

(١) ليست بالأصل .

تمضى على حكمه الأفلاكُ دائرةً ... فكلّ سعد جرى فيهن طالعُه
وكنتَ سيفَهُمُ والمجدُ مرهِفُهُ ... صقلا وتاجَهُمُ والفخرُ راصعُهُ
أجراهُمُ والقنا كابٍ وأكرَمُهم ... يدا اذا جُودُهم سالت ينابعُه
ما أبحُرُ الأرض من بحرٍ تمدّ به ... الى العفاة يدًا إلا رواضعُهُ
وكلّ رزقٍ ترى الأقدارَ ضيّقةً ... به فعندك مسناةٌ وسائعُه
كأن مالَك شخصٌ أنت مبغضُه ... فأنت مقصيه بالجدوى وقاطعُهُ
آثار جودك فيمن أنت منهضُهُ ... آثارُ بطشك فيمن أنت صارعُهُ
إن شمت وجهَك راقتنا روائقه ... أو شمت سيفك راعتنا روائعُهُ
فلا قرارَ لمالٍ أنت باذلُهُ ... ولا آنزعاجَ لثغرٍ أنت مانعُهُ
تضجّ بآسمك ما قامت منابرُهُ ... على الرشاد وما صلّتْ صوامعُهُ
حتى ترى الشرك والإيمان ما آختلفا ... مُلكا وما الفَلَك الدوار قاطعُهُ
موحّد الملك لا تُدعَى بتثنية ... إلا بنيك ، وشبلُ الليث تابعُهُ
كواكبٌ تستمدّ النورَ من قمرٍ ... على جبينك ساريه وساطعُهُ
فلا خلَتْ أبدا منها مواضعُها ... من السماء ولا منه مواضعُهُ
وزارك المدحُ فى أبهى معارضه ... مطرّزًا باسمك العالى وشائعُهُ (١)
يختال بين يدَىْ نعماك مائسُه ... حُسنا ويستعبرُ الانفاسَ رادعُهُ
من كلّ عذراء مخلوعٍ اذا برزتْ ... فيها العذارُ وما إن ليم خالعُهُ
يستوقف الراكبُ الغادى لحاجته ... فيلفت الرأسَ أو تُلوَى أخادعُهُ (٢)
يستقصر المنشدُ التالى طوائلَها ... كأنّ أبياتَ ما يَروِى مَصارِعُهُ

---

(١) وشائع جمع وشيعة وهى الطريقة فى الثوب .
(٢) أخادع جمع أخدع وهو عرق فى صفحة العنق .

مستصعبات على الراق أراقمها ... إلا الذى أنا حاويه وخادعه
يأتى على الصدّ منكم والملال لها ... وصل يواليه أو شوق ينازعه
ما إن رأت قبلكم فيمن يتاجركم ... تجارة الجود من خاست (١) بضائعه
والمهرجان بأن ترعى وسائله ... منها جدير وأن تزكو ذرائعه
ذاك الرجاء لهذا اليوم منتظر ... فاصنع بحكم العلا ما أنت صانعه
واعلم ـ لك المجلس المعمور، ساجده ... يعنو لوجهك إعظاما وراكعه ـ
أنى بقيت لهذا الشعر، مذعنة ... آياته لى وحدى أو بدائعه
وإن سمعت بشىء لست قائله ... فلا تعرّج على ما أنت سامعه

* * *

وكتب الى الوزير عميد الدولة وهو بسرّ من رأى فى المهرجان

لو كان يرفق ظاعن بمشيع ... ردّوا فؤادى يوم "كاظمة" معى
قالوا: النوى، وخرجت وهو مصاحبى ... ورجعت وهو مع الخليط مودّعى
فلأيّما من مهجتى تأسّفى ... وبأىّ قلبىّ الغداة تفجّعى!
لا كان يوم مثل ذاك لآئب ... بجوى ولا غاد سرى لم يمتع
يوم يعدّ الجلد (٢) كلّ ملاوذ ... منه ويعذب فيه ملح الأدمع
أنشأت أسمى فيه غير نشيدتى ... من حيرة وأرود غير المنجع
أطأ الكرى (٣) متململا وكأننى ... لهبا وقعت على حرارة أضلعى
هل يملك الحادى تلوّم ساعة؟ ... إن البطىء معذّب بالمسرع
أم هل اليه رسالة مسموعة ... عنى فينصت للبليغ المسمع؟

---

(١) خاست: كسدت. (٢) الجلد: الصابر المتجلد. (٣) كذا بالأصل ولعلها "الثرى" كما يقتضيه سياق الأبيات وإن كانت "الكرى" لا تخلو من معنى.

روِّحْ "بذى سلم" على متأخرٍ يبغى اللَّحاقَ وإن أبَيتَ فجعجع (١)
وتوخَّها فى التابعين مشوبةً إن المشوق اذا تخلّف يتبع
الشمسُ عندَك فى الخدور وعندنا شمسٌ اذا متع الضحى لم تتصع (٢)
فتَّ العيون بها فهل فى ردها طمعٌ فكيف لنا بآية "يوشع"؟ (٣)
نَمْ نومةَ اليأس القريرةَ إن أوى جنبٌ يقلّبه فراقُ المضجع (٤) (٥)
واعلم بأنك إن رأيت فلن ترى يوما كأمسك من زمانِ "الأجرع"
فوراء عهدك "بالنخيلة" جونةٌ (٦) بهماء تلعب بالمحبّ الموجَع (٧)
تعمَى على بصر الدليل فجاجُها تيها فتُخرِتُ بالبروق اللُّمَّع (٨)
رُكبتْ بها عجلَى ترى من سَوطها أفعَى متى ونت الركائبُ تلسَع
ورهاء ما نفَضتْ يدًا من "حاجر" (٩) إلا وقد غمست يدا فى "لعلع"
لم تألف البيداءُ قبل جُنونها من ذات خُفٍّ أو تطيرَ بأربع
إن شاء بعدهم الحيا فلينسكب أو شاء ظِلٌّ غمامة فليُقلع (١٠)
فقليل جسمى فى ذنوبِ ربوعهم كافٍ وشربى من فواضل أدمعى
كُرِمتْ جفونى فى الديار فأخصبت فغنيت أن أرِدَ الديارَ وأرتعى
فكأنّ دمعى مُدَّ من أيدى بنى "عبد الرحيم" وماؤها المتنبِّع
وسهرتُ حتى ما تُميِّزُ مقلتى فُرقانَ مغربِ كوكبٍ من مطلع
فكأنّ ليلى مع تفاوت طوله أسيافُهم موصولةً بالأذرع

---

(١) فجعجع : فأنخ وبرّك . (٢) متع : ارتفع وأضاء . (٣) يوشع : نبى من الأنبياء عليهم السلام من آياته أن ردت عليه الشمس بعد غروبها . (٤) فى الأصل "يقليه" .
(٥) فى الأصل "الفراق" . (٦) الجونة : السوداء . (٧) البهماء : المفازة .
(٨) فتخرت : فتعرف . (٩) الورهاء : الحمقاء . (١٠) فى الأصل "طل" .

لا يُبعدنّ الله دارَ معاشرٍ ... مذ جمّعوا شملَ العلا لم يُصدَعِ

حملوا العظائمَ ناهضين بأنفسٍ ... لم تنقبضْ وكواهلٍ لم تظلَعِ

مترادفين على الرياسة أُقعِدوا ... منها على سيساءِ[1] ظهرٍ طيّعِ

لم يزلَقوا فى ظهرها قِدَما ولا ... عثروا بها متعوّذين بدعدعِ[2]

داسوا الزمانَ فذلّلوا أحداثَه ... متسلطين[3] على جسامِ أمورهِ

بأخامِصٍ فوق الأضالعِ وُقّعِ ... وثبَ الأسودِ على البهامِ[4] الرُّقّعِ[5]

أنِفوا من الأطراف والأوساطِ فآستلبوا العلاءَ من المكان الأرفعِ

تعطيهم آراؤهم وسيوفُهم ... كفَّ الزمانِ من الخوفِ المُفزِعِ

وُلِدوا ملوكا فالسيادة فيهمُ ... مطبوعةٌ لم تُكتسبْ بتطبُّعِ

للشيخ والكهل المرجّح منهمُ ... ما للموشَّح والصغيرِ المرضَعِ

لكن "عميد الدولة" الشمسُ التى ... عنت النجومُ لنورها المتشعشعِ

سبق الأوائلَ فاستبدّ بشوطه ... متمهلا، والسبقُ للمتسرِّعِ

ورأى نجابةَ من تأخّر منهُمُ ... عنه فقال: آلحقْ نشاوَى وآتبعِ

فضُلوا به ولكلّ ساعٍ منهُمُ ... مجدٌ فضيلةَ "غالبٍ بمجمّعٍ"[6]

من ناقلٍ صدقَ الحديثِ معوّدٍ ... حفظَ الأمانة للصديق المودِعِ

يطوى الطريقَ نشيطةً حركاتُهُ ... للصعبِ منها والذليلِ الطيّعِ

تتجمّع الحاجاتُ عند نجاحها ... للرسائل بشمله المتوزِّعِ

(٣٦٤)

---

(١) السيساء: منتظم فقار الظهر. (٢) دعدع: كلمة تقال للعاثر بمعنى قم وآنتعش كما يقال "لعا". (٣) فى الأصل "مستلطين". (٤) فى الأصل "الهام". (٥) الرقع جمع رافع وهو المسرع فى سيره. (٦) مجمع: لقب قصىّ بن كلاب سمى به لأنه جمع قبائل قريش وأنزلها مكة وبنى دار الندوة وفيه يقول حذافة بن غانم لأبى لهب

أبوكم قصىّ كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل فى فهر

ما بين وقتِ رحيلِه وإيابهِ ... إلا مسافةُ مُثلثٍ أو مُربِعِ

حتى ينيخَ بثقله وبضيفه ... بالمستخفّ وبالوهوب الموسِعِ

فيقول عنى للوزير وربما ... ترد الرسالةُ من سواى فلا يعى:

كم تأخذ الأشواقُ من جلَدى وكم ... قلق بحملِ فراقكم وتروُّعى

وإلام طولُ رضاى بالميسور من ... حظى وفرطُ تعفُّفى وتقنُّعى

طيانَ(١) أبغى الرفدَ بين معاشرٍ ... حبُّ العلا فى طينهم لم يُطبَعِ

يا ضلّتى ما قمتُ أطلبُ عندهم ... رزقا عَداك وياسفاهةَ مَطمَعى

ومن العناء وأنت ساكنُ موضعٍ ... طلبُ العلا فى غير ذاك الموضِعِ

وهبَ النوالَ على العباد مكايلى ... من راحتيك بمفعَمٍ وبمترَعِ

ونداك مثلُ الطيف يخرُق جانبا ... عرضَ الفلا حتى يجاسد مضجعى

لجمالِ أيامى بحضرتك التى ... هى منيتى يومَ الفخار ومفزعى

وجلاءُ طرفى وانبعاثُ خواطرى ... ما بين مرأى من عداك ومَسمَعِ

حظٌّ لعمرك لا اعتياضَ لناظرى ... منه ولا لفؤادِىَ المتصدِّعِ

يا غائبا غدت الوزارة بعده ... شِلوَ الفريسةِ فى الذئاب الجوّعِ

تتداولُ الأيدى الضعافُ بثقلها ... بهرًا وما فى صدرها من مدفَعِ

وُضِع اسمُها فى كلِّ معنًى حائلٍ ... نابٍ لها ولمثلها لم يوضَعِ

يُسمَى بها من لم يكن يسمو لها ... غلَطا ويطمعُ كلُّ من لم يطمعِ

تدعو مفوَّتَةً بمالكِ رقِّها ... من بين قبضة غاصبٍ أو مدّعى

فاسئل أسود الغاب كيف تفسحت ... للشاءِ عن هذا العرين المُسبِعِ

ما قمتُمُ عنها وفيها مُتعةٌ ... — وأبيكُمُ — لمجالس المستمتعِ

(١) طيان : جوعان .

والملك مــذ أهملتموه بَيضــةٌ لم يحمها أنِفٌ وســرحٌ ما رُعى

ما زال يســرى الداءُ فى أعضائه أو مات أو إن لم يمت فلقــد نُعى

يفديك منهم نائمٌ عن رشــده أو حاســدٌ لك ساهرٌ لم يهجع

متصوب القدمين خفّاق الحشا فى حيث يثبت للقنا المــتزعزع

يعطى الرياســة قابضا أو باسطا خرقاء كيف تصرّفتْ لم تصنع (١)

جَعل الوعيــدَ على العباد سلاحَه ووعيــدُه شَنٌّ (٢) بكفّ مقعقع

غضــبان أنك سالم من كيده غضبَ الفرزدق من سلامة "مَربع" (٣)

تُتْلَى صفاتُك وهو يعجَب سادرا (٤) عجبَ الجبان من الكمىّ الأروع

ولئن عظُمتَ وقلَّ أن تُفــدَى به فالعين تَقــذَى مرّة بالإصبع

عِــدْنى بقــربك إنه مَن فاته إدراكُ حــظٍّ عاش بالمتــوقَّع

وآمــدد الىّ يدا لو آنك فى السما وعلى الثرى أهلى لنالت موضــعى

بيضــاء خضراء الندى أغدو بها أبدا رطيبَ التُّرب سَــبْطَ الأربُع

تجــرى بسَــدة خَلّتى، أقلامُها تُملى المضاءَ على الســيوف القُطَّع

وآسمع على بعــد الديار وقربها مثــلَ القِــراط (٥) تعلّقا بالمســمع

غررا بِكارا (٦) أســلمتْ لى عُذْرَها لو لم أكــن لخلا لها لم تُفــرع

ممــا آصطفيتك فى الشباب وشائبا من صفوتيه بمُقرِح (٧) وبجُذَع (٨)

وجعلتــه لك أو لقومك نِحــلةً لولاى أو لولاكُمُ لم تُشــرع

---

(١) لم تصنع : لم تحذق عملها . (٢) الشن : الجلد الخلق ومنه " مثلى لا يقعقع له بالشنان " .

(٣) يشير الشاعر الى قول جرير :

زعم " الفرزدق " أن سيقتل "مربعا" أبشر بطول ســلامة يا " مربــع "

(٤) سادرا : متحيرا . (٥) القراط : جمع قرط وهو ما يعلق فى شحمة الأذن من درّة ونحوها .

(٦) البكار : الفتيّات . (٧) المقرح : المسن . (٨) المجذع : الشاب .

أحوِى أراقَــه بفضــل تلطُّفى فيعى وأخدَعُ منــه ما لم يُخدَعِ

أرسلته طلْقَ السهام اذا آستوت لم تنعــرج واذا مضت لم ترجعِ

فبقيتَ لى وله، وآيةُ معجــزى لــولاك فى إظهاره لم تَصــدعِ

ما كرَّ يــومٌ عائد بصــباحــه ورواحه من مغــرِبٍ أو مَطلــعِ

وتحالفت فى "العُرْبِ" أو فى "فارسٍ" أعيادُها من تالدٍ ومفــرَّعِ

(٢٦٥)

قافيـــة الفــاء

بعد خلو قافيـــة الغين

وقال يرثى أمير المؤمنين عليًّا وولدَه الحسين، ويذكر مناقبهما، وكان ذلك من نذائر(١) ما منّ الله تعالى به من نعمة الإسلام فى المحرّم سنة آثنتين وتسعين وثلثمائة

يُزوِّر عن "حسناءَ" زورةَ خائفٍ تعرُّضُ طيفٍ آخرَ الليــل طائفِ

فأشبهها لم تغــدُ(٢) مسكا لنــاشــقٍ(٣) كما عــوّدت ولا رحيقا(٤) لراشــفِ

قصيّةُ دارٍ قــرّبَ النــومُ شخصَها ومانعــة أهدت سـلامَ مساعفِ

أليِنُ وتُغــرى بالإباء كأنمــا تــبَرُّ بهجــرانى أليّــة حالفِ

و"بالغور" للناسين عهــدى منزلٌ حنانيــك من شاتٍ لديه(٥) وصائفِ

أغالط فيــه سائــلا لا جهالةً فأسأل عنــه وهو بادى المعــارفِ

ويعــذلنى فى الدار صحــبى كأننى على عَرَصــات الحبّ أوّلُ واقفِ

خليلىَّ إن حالت ــ ولم أرض ــ بيننا طِــوالُ الفيافى أو عِراض التنائفِ،

---

(١) فى الأصل: "نذابر". (٢) فى الأصل "تعد". (٣) فى الأصل "لناسق".
(٤) الرحيق: الخمر. (٥) فى الأصل: "لدى".

فلا زُرَّ ذاك السّجفُ إلا لكاشفٍ ... ولا تمَّ ذاك البــدر إلا لكاسـفِ

فإن خفتما شــوقى فقـــد تأمنـانِه ... بخاتــلةٍ بين القنـا والمخـاوِفِ

بصـــفراء لو حلّتْ قديمـا لشاربٍ ... لضـــنّتْ فمـا حلّتْ فتاةٌ لقاطفِ

يطوف بها من آل "كسرى" مقرطَقٌ (١) ... يحدِّث عنها من ملوك الطوائف

ســقى الحسنُ حمــراءَ السـلافةِ خدَّه ... فأنبع نبتـا (٢) أخضرًا فى الســوائفِ (٣)

وأحلفُ أنّى شُعشـعتْ لى بكفّه ... ســلوتُ ســوى همٍّ لقلبى مخالفِ

عصيت على الأيام أن ينتزعنـه ... بنهىِ عذولٍ أو خــداعِ ملاطفِ

جوًى كلمـا آستخفى ليخمدَ، هاجه ... سنا بارقٍ من أرض "كوفانَ" خاطفِ

يذكّرنى مثــوى "علىٍّ" كأننى ... سمعت بذاك الرزء صيحة هاتفِ

ركبت القوافى ردف شـوق مطيّـةً ... تخُبُّ بجـارى دمــعىَ المــترادفِ

الى غايةٍ من مدحه إن بلغتها ... هزأتُ بأذيال الرياح العـواصفِ

وما أنا من تلك المفـازةِ مـدركٌ ... بنفسى ولــو عرّضتُهـا للتـالفِ

ولكن تؤدّى الشهدَ إصبعُ ذائقٍ ... وتعـلَقُ ريحَ المسـك راحــةُ دائفِ (٤)

بنفسىَ من كانت مع الله نفسُـه ... اذا قلَّ يومَ الحق مَن لم يجازفِ

اذا ما عــزوا دِينًـا فآخــرُ عابدٍ ... وإن قســموا دنيـا فأوّلُ عائفِ

كفى "يوم بدر" شاهدا "وهوازن" ... لمســتأخرين عنهما ومزاحفِ

"وخيبر" ذات الباب وهى ثقيلة الـ (٥) ... ـحرام على أيدى الخطـوب الخفائفِ

---

(١) مقرطق : لابس القرطق وهو قباء ذو طاق واحد . (٢) يريد بالنبت : العـذار ، وفى الأصل " بيننا " . (٣) السوائف جمع سائفة وهى القطعة من اللحم . (٤) الدائف : الخالط الذى يخلط المسك بغيره من الطيب . (٥) يشير الشاعر الى وقعة خيبر حين خرج لهـا علىّ كرّم الله وجهه وقد ضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فوجد بابا آتخذه ترسا وما زال حامله حتى آنتصر على اليهود ولمـا ألقاه من يده آجتمع ثمـانية من أصحابه ليقلبوا الباب فلم يستطيعوا .

أبا "حسنٍ" إن أنكروا الحقّ [واضحا] (١) — علـى أنه والله إنكارُ عارفِ

فإلا سعى للبين أخمصُ بازلٍ — وإلا سمت للنعل إصبعُ خاصف

وإلا كما كنت ابنَ عمٍّ وواليا — وصهرا وصِنوا كان من لم يقارِفِ (٢)

أخصّك بالتفضيل إلا لعلمه (٣) — بعجزهمُ عن بعض تلك المواقفِ

سوى الغدرَ أقوامٌ نخانوك بعده — وما آنِفٌ فى الغدر إلا كسالفِ

وهبهم سَفاها صحّحوا فيك قولَه — فهل دفعوا ما عنده فى المصاحفِ

سلام على الإسلام بعدك إنهم — يسومونه بالجور خُطّةَ خاسفِ

وجدّدها "بالطّفّ" (٤) بابنك عصبةٌ — أباحوا لذاك القرف (٥) حكّةَ قارفِ

يعزّ على "محمد" بابن بنته — صبيبُ دمٍ من بين جنبيك واكفِ

أجازوك حقًّا فى الخلافة غادروا — جوامع (٦) منه فى رقاب الخلائفِ

أيا عاطشا فى مصرعٍ لو شهدتُه — سقيتك فيه من دموعى الذوارفِ

سقى غُلّتى بحر بقبرك، إننى — على غير إلمامٍ به غيرُ آسفِ

وأهدى اليه الزائرون تحيّتى — لأشرُفَ إن عينى له لم تشارفِ

وعادوا فذرّوا بين جنبيّ تربة — شفائىَ مما استحقبوا (٧) فى المخاوفِ

أُسرّ لمن والاك حبَّ موافقٍ — وأُبدى لمن عاداك سبَّ مخالفِ

دعىٌّ سعى سعيَ الأُسودِ وقد مشى — سواه اليها أمس مشىَ الخوالفِ (٨)

وأغرى بك الحسادَ أنك لم تكن — على صنمٍ فيما رووه بعاكفِ

(٢٦٦)

---

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل وقد رجحناها على كلمات كثيرة وردت بالخاطر. (٢) يقارف: يقارب ويدانى. (٣) الضمير عائد الى النبي صلى الله عليه وسلم كما هو ظاهر من السياق.

(٤) الطفّ: شاطئ الفرات الذى قتل به الحسين رضى الله عنه. (٥) القرف: البغى.

(٦) الجوامع: الأغلال. (٧) استحقبوا: ادخروا. (٨) الخوالف: النساء.

وكنت حَصَان الجيب من يد غامرٍ كذاك حصانَ العرض من فم قاذفِ (١)

وما نسبٌ ما بين جنـــبيّ تالدٌ بغالب ودٍّ بين جنـــبيّ طارف (٢)

وكم حاســـدٍ لى ودّ لو لم يعش ولم أُنابِـــلهُ (٣) فى تأبينكم وأسايف (٤)

تصرّفتُ فى مدحيكُمُ فـــتركته يعضُّ علىّ الكفَّ عضّ الصوارفِ (٥)

هـــواكم هو الدنيـا وأعـــلم أنه يبيّضُ يومَ الحشر ســودَ الصحائفِ

وأُنشِد قصيدة من مراثى أهل البيت من مرذول الشعر على هذا الروىّ الذى يجىء، وسئل أن يعمل أبياتا فى وزنها على قافيتها، فقال هذه فى الوقت

مشين انا بين مـيــلٍ وهيفِ فقل فى قنـاةٍ وقـــل فى نزيفِ (٦)

على كلّ غصنٍ ثمـارُ الشـبا بِ من مجتنيه دوانى القُطـــوفِ

ومن عجب الحسن أنّ الثقيـ ـل منـــه يُدِلُّ بحمـــل الخفيف

خليـــلىّ ما خُبرُ ما تُبصـــرا ن بين خـلاخيلها والشُّـــنوف (٧)

ســـلانى به فالجمـال اسمـــه ومعنـاه مَفســـدةٌ للعفيف

أمن "عربيّـــةَ" تحت الظلام تـــوَلُّجُ ذاك الخيـالِ المطيفِ؟

سرى عينهـا أو شبيها (٨) فكا د يفضحُ نومىَ بين الضـــيوف

نعم ودعا ذكرَ عهـــدِ الصبا سيلقاه قلـــبى بعهـــدٍ ضعيف

"بآل علىّ" صـــروفُ الزمان بسطنَ لسـانى لذمّ الصروفِ

مصابى على بعـــد دارى بهـــم مصابُ الأليف بفقـــد الأليفِ

---

(١) فى الأصل "قم قادف". (٢) فى الأصل "بغاكب". (٣) أنابله : أراميه بالنبل .
(٤) أسايف : أجالده بالسيف . (٥) الصوارف جمع صارف وهو الناب . (٦) النزيف : السكران . (٧) الشنوف جمع شنف وهو القرط يعلق بأعلى الأذن . (٨) فى الأصل "سيما".

وليس صديقَ غيرَ الحزين ... ليوم "الحسين" وغيرَ الأسوفِ (١)

هو الغصن كان كمينا فهبَّ ... لدى "كربلاء" بريحٍ عصوفِ

قتيلٌ به ثار غِلُّ النفوس ... كما نغر (٢) الجرحَ حكُّ القروفِ (٣)

بكلّ يدٍ أمسِ قد بايعتْهُ ... وساقت له اليومَ أيدي الحتوفِ

نسوا جدَّه عند عهدٍ قريبٍ ... وتالدَهُ مَعَ حقٍّ طريفِ

فطاروا له حاملين النِّفاقَ ... بأجنحةٍ غِشُّها في الحفيفِ (٤)

يعزُّ عليّ ارتقاءُ المنون ... الى جبلٍ منك عالٍ منيفِ

ووجهك ذاك الأغرُّ التريبُ (٥) ... يُشهَّرُ وهو على الشمس موفِ

على ألعن (٦) أمره قد سعى ... بذاك الذميل وذاك الوجيفِ

وويلُ آمِ مأمورِهم لو أطاع ... لقد باع جنّته بالطفيفِ

وأنت ــ وإن دافعوك ــ الإمامُ ... وكان أبوك برغم الأنوفِ

لمن آيةُ الباب (٧) يومَ اليهود ... ومَن صاحبُ الجنّ يوم الحسيفِ (٨)

---

(١) الأسوف : السريع الحزن الرقيق القلب . (٢) نغر : أسال و في الأصل "نفر" .

(٣) القروف جمع قرف وهو القشرة تعلو الجرح . (٤) الحفيف : صوت أجنحة الطائر .

(٥) التريب : المعفر بالتراب . (٦) كذا بالأصل ولم نوفق الى فهمه ولعله : * غليل لمن أمره قد سعى * ... والغليل شدة العطش وحرارته ، والمراد الدعاء عليه بأن ينأله ما نال الحسين من ظمأ ويؤيد أنه دعاء بالشر ذكر واو العطف في البيت التالي في قوله "وويل" الخ . (٧) يشير الشاعر الى خروج عليّ رضي الله عنه يوم وقعة خيبر فلما دنا من الحصن ضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول عليّ بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فاجتمع ثمانية من أصحابه وحاولوا أن يقلبوا الباب فا استطاعوا . (٨) الحسيف : البئر التي تحفر في صخر فلا ينقطع ماؤه لكثرته ، ويشير الشاعر بذلك الى ما يعتقده الشيعة من أن عليا كرم الله وجهه قاتل الجنّ وحاربهم ببئر ذات العلم عندما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية الى مكة حيث أصاب الناس عطش شديد وحر شديد فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل من رجل يمضي في نفر من المسلمين معهم القرب فيردون بئر ذات العلم ثم يعود يضمن له رسول الله الجنة ؟ ثم بعث رجلا من الصحابة ففزع من الجن فرجع ، ثم بعث آخر فذعر من الجن فرجع ثم أرسل عليّ بن أبي طالب فنزل البئر وملأ القرب بعد هول شديد .

ومن جمع الدينَ فى يوم "بدرٍ" "وأُحُدٍ" بتفريقِ تلك الصفوفِ

وهـــدّمَ فى الله أصـــنامَهـم بمـرآى عيونٍ عليهـا عُكوفِ

أغــير أبيــك إمام الهـــدى ضياء النـــدىّ هزبر العـــزيفِ (١)

تفلَّلَ ســيفٌ به ضرَّجـــوك لســوّدَ خزيا وجوهَ الســيوفِ

أمرّ بـــفىَّ عليـــك الزلالُ وآلم جِـــلدِىَ وقعُ الشُّـــفوفِ (٢)

أيحمِـــلُ فقـــدَك ذاك العظيمَ جوارحُ جسمِىَ هــذا الضعيفِ ؟

ولهـــفى عليـــك مقالُ الخبيـ ـر : أنك تُـــبرِدُ حرّ اللهيــفِ (٣)

أنشرُك ما حـــلَ الزائرو ن أم المسكُ خالط تُرب الطّفُوفِ ؟ (٤)

كأن ضريحـــك زهرُ الربيـ ـع هبّت عليـــه نسيمُ الخريفِ

أُحبُّكُـمُ ما ســـعى طائفٌ وحنّتْ (٥) مطـــوَّقةٌ فى الهُتــوفِ

وإن كنتُ من "فارس" فالشريـ ـفُ معتـــلِقٌ ودَّهُ بالشريفِ

ركبتُ — عــلى من يعاديـــكُمُ ويفسُــدُ تفضيلكم بالوقوفِ — ،

ســوابقَ من مــدحكم لم أَهَبْ صُــعوبةَ رِيِّضها (٦) والقَطــوفِ (٧)

تُقَطِّــرُ (٨) غــيرِىَ أصـــلابُها وتَزلَـــقُ أكـفالُها بالرديفِ (٩)

---

(١) العزيف : صوت الرمال اذا هبت عليها الرياح . (٢) الشفوف جمع شِفّ وهو الثوب الرقيق . (٣) اللهيف : المظلوم يستغيث ويتحسر . (٤) الطفوف جمع طف وهو الشاطئ ، وقد قتل الحسين بطفّ الفرات . (٥) فى الأصل "وجنت" . (٦) الريض : الدابة أول ماتراض وهى صعبة . (٧) القطوف الدابة التى تسىء السير وتبطئ . (٨) تقطر : تلق الإنسان على قطره وهو كاثبته وعجزه ، والكاثبة : أعلى الظهر . (٩) الرديف : الراكب خلف الراكب .

وقال وقد آستبطأ الصاحب أبو القاسم بن عبد الرحيم إنفاذ رسمه من الشعر فى عيد النحر، وكان قد أخّره لعائق من شكاة ثالثة، فعاتبه وألزمه الجرى على العادة بحسب مادة القوة، فعمل هذه القصيدة وأنفذها اليه بين يومى الأضحى والغدير(١)

لو شاء سارٍ ليلةَ "النعف" وقفْ ... وعارفٌ ينكر حقٍّ لاَعترفْ

عهد تفرّقنا وحلقتْ به ... فتخاء(٢) طاح هدَرا ما تختطِفْ

بمزاق من العيون ما لمن ... يطلبها فائتة إلا الأسفْ

أسهرنى ونام من عاهدنى ... بنجوةٍ — من رغبة — ومنحرِفْ

أكلّما آستأنف ذنبا ظالمى ... عفوتُ من ذنوبه عما سلفْ!؟

لو قيل سكانُ "الحمى" وفعلُهم ... بى فعلُهم نزا(٣) فؤادى ورجَفْ

سل بارقا أذكى الغضا على الغضا ... محدِّثا عن الحيا كيف يكفْ

أمن جفون "العامريين" آنتضى ... أم من ثنايا "العامريّات" خطَفْ؟

وآسئل بغصن منهمُ أشكو الجوى ... وثقلُه(٤) اذا مشى يشكو الهيَفْ(٥)

شككنى فيا آستقام وآنثنى ... الامُهُ أقتلُ لى أم الألِفْ؟

عزّ به التيهُ فلو كلّمه ... جمالُه أعرضَ عنه وصدَفْ

كأنه لم يرَ حِقفا(٦) عَمَّا ... هِيلَ ولا بدرا مع التّم آنكسفْ

لكلّ شىء آفة تنقُصُه ... اذا آنتهى وآفة الحسن الصلَفْ(٧)

---

(١) يشير الى غدير خم وهو موضع على بعد ثلاثة أميال بالجحفة بين الحرمين وله يوم معلوم .

(٢) الفتخاء : العقاب اللينة الجناح . (٣) نزا : وثب . (٤) فى الأصل "وثقله" .

(٥) الهيف : ضمر البطن ورقة الخاصرة . (٦) الحقف : المعوج من الرمل . (٧) الصلف : التكبر والإعجاب .

خـــبَّرنى أنِّىَ شائِكِ بعـــده ... لواعجَ الشـــوق، فقـال وحلَفْ:،
إن باح بالسرّ لأهجـــرنّه ؛ ... عاقبْ بغـــير الهجر فالهجرُ سَرَفْ
ما لحســـودٍ فى هـــواكم عابنى ... لا رام رفـــعَ طرفه إلا طُـــرِفْ!
وناقلٍ اليكُمُ ما لم أقـــل ... أصابه الله بذنبٍ ما آقـــترفْ
يا للغـــوانى يجنين(١) ولى، ... مـــتى سمحتُ بقيادى للعنَفْ(٢)!
قـــد علمتْ اذا الغـــرام ضامنى ... أنِّىَ منـــه بالســـلو أنتصِفْ
وأننى عـــلى اللجاج صخـــرةٌ ... اذا لويتُ عُنُـــقى لم أنعطِـــفْ
لا تنتهى نفسى آنصرافا عن هـــوى ... دام، ولا ترجعُ حين تنصرفْ
سمحتُ للدنيـــا بجُـــلِّ أهلها ... سمـاحَ غـــيرِ نادمٍ ولا أسِفْ
رأيتهـــم ببخلهـــم(٣) وعفّـــتى ... دونى وفيهـــم ذو الغنى وذو الشرفْ
لم أخشهم من حيث لم أرجُهُـــمُ ... إنك ما لم تـــرجُ شيئا لم تخَفْ
كفتنىَ الرزقَ يدٌ واحـــدةٌ ... والنـاس طرّا واحدٌ منهـــم خَلَفْ
ما رعَتِ "الصاحبَ" عينُ الله لى ... فشملُ آمالى جميـــعٌ مؤتلِفْ
سيّان ما آستخلصتُه من ســـيِّد ... وما صفا منهـــم ومن عقّ وعفْ
وجدتُ فيـــه ما طلبتُ عنـــده ... فـــلم أجدْهُ وهـــو ما عزّ وكفْ
لا عدّةٌ تُـــلْوِى(٤) ولا خُلْقٌ على آخـ ... ـتلاف ألوانِ الزمانِ يختلِفْ
وراحـــةٌ على مقابض الظبـا ... تثقل(٥) أو فى بسطة الجـــود تخِفْ(٦)
يومَ الردى جنـــدلة وفى النـــدى ... جنـــدلة كلتاهما ملء الأكفْ

---

(١) فى الأصل يحنين . (٢) العنَف: ضد الرفق و فى الأصل "العيف" . (٣) فى الأصل هكذا " بخلهم " . (٤) فى الأصل هكذا " لاعده ملوى " . (٥) فى الأصل هكذا "ىثقل" . (٦) فى الأصل " تجف " .

أُنظــرْ اليه تختــبرْ ما عنــده ... إن الظهاراتِ الرقيقاتِ تشِــفّْ
وجــهٌ لبيقٌ (١) بالنعــيم ماؤه ... وبَشَر (٢) لم يغــتربْ فيــه التَّرَفْ
ألــومُ إلا حاســدا كمالَه ... وحســدُ الشمسِ عــلوٌّ وشرفْ
قــل لمُعارِ المجــد معنى حائلا ... وآسما عــلى إعرابه لا ينصرفْ
جارِ "أبا القاسم" أولَى خطــوةٍ ... تعلُّما، ودعه يجــرى ثم قِفْ
لم يتقــلّدها قصــيرا أوقصا (٣) ... إن العــلا حمائلٌ لذى الكتِفْ
سمعا بنى "عبــد الرحيم" إنهــا ... بناتُ طبــع لم يدنّسها الكَلَفْ
تبعثهــا فى مدحكــم محبــةٌ، ... مدحُ الرجاءِ غيرهُ مــدحُ الشغفْ
مقيمــة بذكــركم لم تســترح ... لوطنٍ سائرة لم تعتســفْ
تبيضُّ أو تخضرُّ من ســطورها ... بنــورِ أوصافكُمُ ســودُ الصُّحُفْ
ينشُر منهــا المنشــدون بُردةً ... أو من رياض الحَــزنِ (٤) عيناءَ (٥) أُنُفْ (٦)
يعجبــنى تســلُّطٌ فيهــا اذا ... قامت تعاطى من علاكم ما تصِفْ
تُهــدى لكم فى كلّ يومِ فرحــةٍ ... عيونُها : المســتغرباتِ والطُّرَفْ
تجــول رعيــا حــول أعراضكُمُ ... تحمى من العــار حماها وترِفّْ
إن فاتها عيــد فعيــد بعــده ... لكــم صــفايا (٧) سَلَفها والمؤتنَفْ
لا يقــدحُ الحسادُ فىَّ عنــدكم ... وفيتُــكم رســومها أو لم أوفّْ؟
قلبِىَ مأمــونٌ عــلى ودادكــم ... ما دام مأمونا على الدرّ الصَّــدفْ

(١) اللبيق : اللائق بالشىء. (٢) البشر: جمع بشرة وهى ظاهر الجلد. (٣) الأوقص: قصير العنق. (٤) الحزن : ما غلظ من الأرض. (٥) العيناء : الأرض الخضراء. (٦) الأنف : التى لم يرعها أحد، ومنه يقال : روضة أنف. (٧) الصفايا : ما يصطفى ويختار.

وكتب الى الكافى أبى عبد الله القَنّانى فى المهرجان

سافرْ بطرفك وآشترف هل تعــرفُ (١) ... أنَّى سرى برقٌ " بوجرةَ " يخطِـفُ؟

هبَّ آختــلاسا ثم غمَّض موهنـا ... وعلى الرحال نواظــرٌ ما تطــرِفُ

يشـــتاق صحــبى أن يُضىء ودونه (٢) ... من شمــلةِ الظلمــاء سِتر مســدَفُ (٣)

فكأنمـا ضحكت لهم بوميضــه ... "خنساءُ" فهو بكلِّ لحظٍ يُرشفُ (٤)

حملوا الخدود على أكفٍّ ،وطلت ... بالنــوم فهى عن المخاصر تضعُفُ (٥)

بعث الغــرامُ المدلجين جرت لهم ... طير الفــراق بوارحا فتعيّفــوا

لمـا آســتقام بعيسهم لَقَمُ السُّرى (٦) (٧) ... عــثَرَ الكرى بدليلهــم فتحرَّفوا

يتهافتون عــلى الرحال كأنمـا ... لعبت بما تحت الشـعور القرقفُ (٨)

يا سائق الأظعان إنّ مع الصَّــبا ... خــبرا لو آنك للصَّــبا تتوقّفُ

هبَّت بعارفة تســوقُ من الصَّـــبا ... أرجًا بريّا أهــله يتعــرَّفُ

فكأنمـا حبس التّجارُ لطيمــةً (٩) ... فى الركب أو سكب السلاف مصرفُ (١٠) (١١)

فبَردتَ بين " عَنيزتين " " وصارةٍ " ... كبدا الى زمن " الحمى " يتلهفُ (١٢)

ومن العقائل بالغضا " ســعديّة " ... تفــنَى الصفاتُ وحسنُها لا يوصفُ

كالريم لو كانت تصــاد بحيــلة (١٣) ... والبــدرِ إلا أنهــا لا تُكسفُ

---

(١) اشترف : انتصب ناظرا . (٢) فى الأصل " ودنه " . (٣) مسدف : مرسَل . (٤) فى الأصل "يَرسُفُ" . (٥) المخاصر : الأوساط ، واحدها مخصرة . (٦) فى الأصل "العنس" وهى الناقة الصلبة القوية ، وقد رجحنا "بعيسهم" . (٧) اللقم : معظم الطريق أو وسطه وقيل : أوضحه . (٨) القرقف من أسماء الخمر . (٩) اللطيمة : نافجة المسك . (١٠) السلاف من أسماء الخمر . (١١) المصرَّف من لم يمزج الشراب و يشرب به صرفا . (١٢) الحمى وما قبله أسماء مواضع . (١٣) الريم : الظبى الخالص البياض .

بيضاءَ يُقعِدها كثيبٌ(١) أهيلٌ(٢) طورا ويُنهضها قضيبٌ أهيفُ

في صدرها حَجَرٌ وتحت صِدارها(٣) ماءٌ يشِفُّ وبانةٌ تتعطّفُ

زارت من "البلد الحرام" وبيننا "عنقا زرودَ" ومن "تهامةَ" نفنفُ(٤)

نتعسّف الشقَّ العدوَّ لقومها فعجبت للسارى وما يتعسّفُ

أنى تصرَّم قلبُها لك بعد ما كانت تُراعُ بظلّها وتخوّفُ!

ولقد سترتُ عن الوشاة طروقَها ومكانُها لنبالهم مستهدفُ

وطويته حتى تحدّث غدوةً عنها النصيفُ(٥) به وغنّى المُطرفُ(٦)

ولئن وشوا فلقد تنزّه بيننا ذاك المبيتُ وعفَّ ذاك الموقفُ

أنا من علمتِ ومن أُحبّ عزوفةً(٧) عما يعاب بعيبه ويعنَّفُ

لا المال يغلبني على حبسي ولا دِيني بمأثم لذّةٍ يتحيّفُ

ولقد أصدّ عن المطامع مُعرِضا ووجوهُها للطالبين تُزخرَفُ

وتُجمّ أودية النوال ودونها ضيمٌ وبي ظمأ فلا أتنطّفُ(٨)

خُلُقٌ فطرتُ عليه كانَ سجيّةً والعِرضُ يسمَنُ والمعيشةُ تعجَفُ

والمالُ أهون أن تُضيع لحفظه إن كنتَ حرًّا ماءَ [وجهٍ يُنزفُ(٩)]

فاْركب جَناح العزّ لست بمخلف عِرضا مضى ولكلّ مالٍ مخلَفُ

واذا لقيتَ المجدَ فاْصحب أهله واْكثر فأنت بمن تكاثر(١٠) تُعرفُ

واْستمِلِ من شرف المعالى عادةَ الـ ـخلُق الكريم فإن نفسَك تشرُفُ

---

(١) الكثيب : التل من الرمل . (٢) أهيل : منهال . (٣) الصِّدار : ثوب بلا كمين .

(٤) النفنف : المفازة أو المهواة بين جبلين . (٥) النصيف : الخمار وكل ما غطى الرأس .

(٦) المطرف : الرداء من خز . (٧) العزوفة : الزاهد فى الشىء . (٨) لا أتنطّف : لا أطلب النطفة وهى القليل من الماء . (٩) هاتان الكلمتان مطموستان بالأصل الفتوغرافى طمسا تاما فوضعناهما من عندنا بعد ترجيحهما مع ما يتفق والسياق . (١٠) فى الأصل " تكاثر " .

قـــرمٌ تجـــودُ بوصلهـا الدنيـا له ... حُبّـا وتقـرُّب وهو عنهـا يصدِفُ

وتطيعــه الدولُ الفـوارِكُ(١) غَـيرةً ... فيعـــــزُّ عمـا فى يديه و يظلِفُ(٢)

و يعفُّ عن تبعاتها عن قـدرة ... ومن الغـــرائب قادرٌ متعفِّفُ

لـولا العـــلا ما كلّفتْـه نفسُــه ... من شـــقّةِ الإعياء ما يتكلّفُ

غيران أن يرعى لمصــلحة حمى ... أو أن يبيت سـياسة يتخطّفُ

كلِفٌ بأن يُوفى الأمانةَ(٣) حافظٌ ... للعهد تعـــرفه الحقوقُ وتعسِـــفُ(٤)

يقظانُ من دون الملوك ، اذا ونى(٥) ... مستعمل فى الرأى أو مســتخلِفُ

تَعِبٌ يزاحـــم ليـــلَه بنهـاره ... فيما يُجِـمُّ(٦) ظهورَهـــم ويخفّفُ

كم عالجوا خَطْبا به من بعـــد ما آسـ ... ـتشرى يمـاطلُ داؤه ويســـوِّفُ

وتحطّمت عجياءُ تركـبُ رأسَهـا ... غشّـامةٌ شـــيطانُها متعجـــرِفُ

كالســـيل ليس اوجهـــه متحدَّر ... بمص(٧) الربى عمـا يحاول مُصـــرفُ

لا تملك الحيـــلُ النـوافذ ضبطهـا ... حتى اذا يدنو لهـا " الكافى " كُفُوا

عزمٌ أشـــدّ من الصفا ووراءه ... خُلُقٌ ألذّ من المـــدام وألطفُ

مرٌّ اذا غضِب آستســـلّ لسـانُهُ ... كَلِمًـا من البيض الحـدائدِ أرهفُ

فاذا كشفتَ ضمـــيرَه متنصّـــلا ... ألفيتَ خـــيرَ بطانة تتكشّفُ(٨)

ولربّمـا جار اللســـانُ وتحتـــه ... قلبٌ منيبٌ وآعتقادٌ منصـــفُ

---

(١) الفوارك : اللواتى يبغضن أزواجهن وهى هنا مجاز . (٢) يظلف : يكفّ ، من ظلف نفسه بمعنى كفّها ، وفى الأصل " يطلف " . (٣) فى الأصل " أمانة " . (٤) تعسف : تستخدم ، من قولهم : عسف فلانا بمعنى آستخدمه ، و يكون معنى عجز البيت أن الحقوق تعرفه وتستخدمه لأخذها . (٥) ونى : فتر وضعف وكلّ وأعيا . (٦) يجم : يريح من الحركة . (٧) كذا بالأصل ولم نوفق الى صحته . (٨) فى الأصل " تتكسف " .

لله درّك ضاربا بعروقه … في السبق إن وقف الهجين(1) المقرف(2)

ومهجّنا(3) حلمَ الكهول وعشره … في السنّ لم يركب مطاها(4) نيف(5)

عوّدت مهجتَك السموّ فما علا … كعبُ امرئ إلا وكعبك أشرفُ

وعربتَ فاسمك يوم تقضي : عادلٌ … في الناس واسمك يومَ تعطي : مسرفُ

وترى غنيَّ القوم يُصلحُ ماله … شفقا(6) وأنتَ بضعف مالك تُجحفُ

لك راحتان كلاهما يُمنَى اذا … كانت شمالٌ عن يمين تضعفُ

فيدٌ اذا عاقبتَ لم تعجل بها … ويدٌ اذا أنعمتَ لا تتوقفُ

أعيا الرجالَ طلابُ شأوك فاستوى … في العجز دونك سابقٌ وموقّفُ

وركبت كلَّ مقطّر(7) بسواك من … ظهر الكفاية متنُه لا يُردفُ(8)

واذا فتلتَ حبالَ عهد لم يكن … يوما لُينكثَ حبلُك المستحصفُ(9)

واذا خلطتَ فتًى بودّك لم يكد … كرما صديقُك من شقيقك يُعرَفُ

أنا من(10) جفاك لسانُه ، وفؤاده … بهواك مع طول البعاد مكلَّفُ

وعدته(11) عنك قوابضٌ من حشمة … ومِكاسُ حظٍّ بالفتى يتصرّفُ

فولاؤه بين الجوانح والحشا … لك واصلان وسعيه متخلّفُ

كم تحت جنبي أن أزورك من جوًى … ذاك ومن ريح اشتياق تعصفُ

ومحبة تصلُ الديانةُ حبلَها … بيني وبينك عيصها(12) متلففُ

(١) الهجين : من أبوه عربيّ وأمه . (٢) المقرف : من أمه عربية لا أبوه وهو يدانى الهجنة غير أن الإقراف من جهة الفحل والهجنة من قبل الأم . (٣) المهجن : المقبّح . (٤) المطا : الظهر . (٥) النيف : الزيادة ، يقال عشرة ونيف ومائة ونيف ، وكل ما زاد عن العقد فنيف الى أن يبلغ العقد الثانى . (٦) شفقا : خوفا . (٧) المقطار : الدابة التى تلق الفارس على قطره . (٨) لا يردف : لا يركب عليه ردف وهو الراكب خلف الراكب . (٩) المستحصف : المستحكم الفتل . (١٠) فى الأصل " أيامن " . (١١) عدته : صرفته . (١٢) العيص : الشجر الكثير الملتف .

وإن اتهمتَ فمِى فربَّ فِراسةٍ ... فى الوجـــه تشهد لى بذاك وتحلِفُ

هـــذا وإن بسـط انقباضى باعثٌ ... نحـوى بوجهــك أو برأيك يعطفُ،

اتأنَّســت حُوشـيَّتى ولأصبحت ... همى الشـذوذُ جـوامعا تتألَّفُ

ولزرتُ عن ثقـــة فإن مكانتى ... تُدنَى وإن زيارتى تُتَشـوَّفُ

ولقـــد علمتَ وكلُّ مـولى نِعـمةٍ ... أنى اذا ثقـــل الحـــريصُ مخفِّفُ

لا تحت ضغطة حاجـــةٍ أنا طارحٌ ... نفسى ولا أنا حين أسأل ملحفُ

يقتـادنى قَودَ الجنيبـــة[1] موســى ... بِشـــرا ويملكُ رقِّىَ المتلطِّفُ

تغشــاك[2] أو تُجِّى[3] بمـا استقبلتَــه ... من حسنها تقريظِىَ المستسلفُ

ومن العجائب أن "كسرى" والدى ... وأنا بناتى[4] فى الفصاحة "خنـدِفُ"[5]

فتملَّهـا ، والمهـرجانُ يزفُّهـا ... عذراءَ ، درُّ عقودها لك يُرصَـــفُ

وآفن الليـالىَ خالدا متســلِّطا ... حـــتى يقـــوِّمَ مَيْلَهـا ويثقِّفُ

ما حنَّ للوطنِ الغريبُ وما سعى ... بحرامِ "مكَّةَ" حاصبٌ[6] ومعــرِّفُ[7]

(٢٧٠)

* * *

وكتب الى عميـد الكفاة أبى سـعد يذكِّره سالفَ حرمته ، ويبعثه على قضاء حاجتـــه

رعتْ من "تبالةَ"[8] جعدا[9] لفيفا ... وسَـــبطا[10] يرفُّ عليها رفــوفا

وسـاقَ لهـا حارسُ[11] الإنتجـا ... ع من حيث حنَّتْ نميرا[12] وريفا

(١) الجنيبة : الدابة تقاد بجانب أخرى . (٢) فى الأصل "تغشاك" . (٣) فى الأصل "تحى" . (٤) فى الأصل "بنانى" . (٥) خندف : اسم قبيلة منسوبة الى خندف امرأة الياس بن مضر بن نزار واسمها ليلى . (٦) الحاصب : رامى الجمار بالحصب . (٧) المعرف : الواقف بعرفة . (٨) تبالة : اسم موضع باليمن . (٩) الجعد : الملتوى المتقبض . (١٠) السبط : خلاف الجعد . (١١) وردت بالأصل هكذا "رس" . (١٢) النمير : الزاكى من الماء ، والريف : الأرض فيها زرع وخصب .

تخطّاه تُبشِمُه بالعيون ... بِطانا وتُقلصُ عنه الأنوفا
رعتْ ما آشتهت ذا وذاك الربيـ ... ـع رعيا يجُرُّ عليها الخريفا
وحدّثها أُسَرُ المحصناتِ ... أحاديثَ "نجد" فخبَّتْ خفوفا
وحنّت لأيّامها بالبطاح ... فـدّت وراء صليف صليفا (١)
تراود أيديَها فى الرويد (٢) ... ويأبى لها الشوق إلا الوجيفا (٣)
فهل فى الخيام على "المأزمـ ... ـين" (٤) قلبٌ يكون عليها عطوفا ؟
وهل بانُ "سلع" على العهد منـ ... ـه يحلو ثمارا ويدنو قُطوفا ؟
تَزاوَرُ ريح الصَّبا بينهن ... فيُقبلن مِيلا ويُدبرن هِيفا
وحىٌّ دوينَ "مِنًى" لا يزا ... ل يقرِى عزيب (٥) الغرامِ الضيوفا
تجاوره فتخافُ العيو ... ن مرهفةً وتُخيف السيوفا
ترى ما آشتهت (٦) لك عينُ الصديـ ... ـق عزًّا عريضا وبِرًّا لطيفا
نساءً بأكسارِ تلك البيو ... تِ شاهدةً ورجالا خُلوفا
وصفراءَ من طيّباتِ "الحجا ... زِ" تمشى تريك الخليعَ التزيفا (٧)
ترى الزعفرانَ سقَى خدَّها ... مُجاجته والعبيرَ المَدوفا (٨)
تملَّق قومٌ بِدورَ التِّمام ... وعُلِّقتُ منها هلالا نحيفا
حماها الغيورُ فعادت تلو ... ث (٩) دونى الستورَ وترخى السجوفا
وروّضها قائدُ الكاشحين ... فألقى مقادا وحبلا ضعيفا

---

(١) الصليف : صفحة العنق . (٢) الرويد : المهل . (٣) الوجيف : ضرب من السير كالعنق . (٤) المأزمان : جبلا مكة . (٥) فى الأصل "غرب" . (٦) فى الأصل "اسهت" . (٧) التزيف : السكران . (٨) المدوف : المخلوط بالطيب . (٩) تلوث : تلف .

اذا مجَّ سمــعىَ قــولَ(١) الوشاةِ تعــلَّقَ فى أذْنيهـا شُـنوفا(٢)
فكم ليلةٍ — ورقيب العيــو ن لا يحمــل النوم إلا خفيفا — ،
سمــرتُ ففاســقنى طــرفُها وألفاظُهـا ثم كنتُ العفيفـا
وقد كان حبٌّ يقُضُّ(٣) الضــلوعَ ولكنّه كان حبًّا شريفا
وحاجــةِ جِــدٍّ تناولتهـا(٤) برأيٍ يبُــذُّ الفــؤادَ الحصيفا
دعوت لهـا قبلَ داعى الصباح غلاما بطُــرْق المعـالى عروفا
فهبَّ وفى رأســه فضــلة من النــوم تُطلقُ جفنـا رسيفا
يودُّ بكبرى المــنى لو رقد تُ فى ساعةٍ كنتُ فيهـا عَسوفا
وعاجلتُــه فركبتُ الخطـارَ وقام لخاضن ظهــرى رَديفا(٥)
وقلتُ : تيمَّــمْ بنـا جانبـا منيعا وبيتَ نخارٍ مُنيفـا
فأهلُك حيث تكون المطـاعَ ودارك حيث تكون المَخــوفا
تطلَّــعْ وراء ثنايا الظــلام أتؤنس للجــد برقا خَطــوفا ؟
عسى البدرُ فى آل "عبد الرحيم" يضىءُ فيرفع هــذى السُّــدوفا(٦)
هم الناس فاحبس عليهــم وخذ بحُجْــزتهم إن رهبت الصروفا
ترى المـاءَ لامعُــه لا يغُـرُّ والنـارَ لا تكذِبُ المستضيفا
ومربوطةً لتجيب الصــريخ وسارحــةً لتروّى اللهيفـا
وبيضًا تجـالَ فى الأنــديا ت لا ينظرُ البــدرُ منها الكسوفا
اذا صــدئت أوجهُ المـانعين أرتك النــدى رقّةً أو شُــفوفا

---

(١) فى الأصـل " قومل " . (٢) شنوف جمع شنف وهو قرط يعلق بأعلى الأذن .
(٣) فى الأصل " يفض " . (٤) فى الأصل " تناوكتها " . (٥) الرديف : الراكب خلف الراكب . (٦) السدوف جمع سدف وهو الظلمة .

وشارة ملك تريك الفذو (١) ذ منهم حيالك جمعا كثيفا
تكثّر قلّةَ أعدادهم فتحسبهم عشراتٍ ألوفا
تمارى العلا فيهمُ أيهم (٢) أشدّ علوقا بها أو حفوفا
فتحمد كهلَهمُ والغلامَ وترضى تليدَهُمُ والطريفا
توافوا عليها توافى البنا ن كبرى وصغرى يطُلن الكفوفا
رأوا قبلة المجد مهجورة فمالوا فظلوا (٣) عليها عكوفا
وقام "عميدُ الكفاةِ" الإمام وجاءوا وراء صفوفا صفوفا
فتى لا يقرّ على عثرةٍ (٤) ولا يرِدُ الضيمَ إلا عَيوفا
ولا يحسب المالَ وجها يُصانُ ولا ساحةَ العُدم ظهرا مُخيفا
اذا آشتدّ عاركتَ ليثا غضوبا فإن لان غازلتَ ظبيا ألوفا
تخالُ عِمامتَه مِغفَرا (٥) ويومَ الحياءِ تراها نَصيفا (٦)
وشعواء تنزو بهامِ "الكفا ةِ" طورا طِرادا وطورا وُقوفا
تُريبُ الشجاعَ بظلِّ القناةِ ويتّهمُ الطرفُ فيها الوظيفا (٧)
ندبتُ اليها على خطبها الـ ـجليلِ هضيما حشاه لطيفا
يطأن على فِقَرٍ لا تزا لُ والأسد مستأخراتٍ دُلوفا (٨)
ومغبرّة الجوّ غرثى الترا ب لا تحلب الضرعَ إلا القُروفا (٩)
يعود بها الفحلُ نِضوا (١٠) أجبّ (١١) يألم جِرّتَه (١٢) والصريفا (١٣)

(١) الفذوذ جمع فذ وهو الفرد . (٢) فى الأصل "أنهم" . (٣) فى الأصل "فظلوا" . (٤) فى الأصل "يفر" . (٥) المغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس . (٦) النصيف : الخمار أو كل ما غطى الرأس . (٧) الوظيف : مستدق الساق . (٨) الدلوف : مشى يقارب الخطو . (٩) القروف : الأمراض الوبيئة . (١٠) النضو : المهزول . (١١) الأجبّ : المقطوع السنام . (١٢) الجرة : ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثانية . (١٣) الصريف : صرير ناب البعير .

فتحتَ يديــك فجلّلتهــا سحابا ظليـــلاً وغيثا وكيفا
مكارم تُتمِـكُ(١) عَرض الســنا م بعــد الذبول وتبنى الســديفا(٢)
اليــك رحلنـا مطايا الثنـا ء نُدمِى مناسمَهـا(٣) والدُّفــوفا(٤)
عليهـا وُســوقُ الأمانى الثقـا لُ مقـــترحاتٍ صنوفا صــنوفا
فأصبحنَ يحكمن بالإشــتطا ط فى بحـرْ كفّك حكما عنيفـا
أوانس منــك بمـا يبتغين وكنّ من الناس وَحْشا عَزوفا
وعقّ الرجالُ بنـاتِ القــريض فكنت بهنّ حفيًّـا رؤوفا
كأنىَ من عزّها فى ذَراك أرى النجمَ جارا لها أو حليفـا
فــلا زلتُ أركبهُنّ الروا ةَ فيــك مُهملِجة(٥) أو قَطــوفا(٦)
ســوائر لا البحــر يخشينه ولا يتنـاذرن ريحا عَصــوفا
لمجــدك منهـا رسومٌ تقـا م كالعهــدِ يُحفَظُ(٧) والنـذرِ يوفى
تُــرِى لك إكثارَها قِــلّةً ومنــك كثيرا جــداك الطفيفا

✦ ✦ ✦

وقال يمدح الوزير بن زعيم الدين ويهنئه بالنيروز، ويذكر غرضا له

سأَلَ " اللوى " وســؤالُه إلحافُ لو كان من أهلِ " اللوى " إسعافُ
وآستمنحَ الأظعانَ وقفةَ ساعــةٍ لو أسمــعَ المتسرِّعَ الــوقّافُ
ساروا وغَشْمُ البين يخلِــط أمرَهم حتى آســتوى القُرّاط والسُّــلّافُ
هى نظــرةٌ هيهاتِ من أخواتهـا عينـاك إن كفرالمطىّ(٨) " شَراف "(٩)

(١) تُتمك : تسمن . (٢) السديف : شحم السنام . (٣) المناسم جمع منسم وهو خف البعير . (٤) الدفوف جمع دف وهو الجنب من كل شيء . (٥) المهملجة : الدابة تسير سيرا حسنا . (٦) القطوف : الدابة تسيء السير وتبطئ . (٧) فى الأصل " البدر " .
(٨) كفر : ستر . (٩) شراف : اسم ماء بنجد .

وتعـــوّمتْ فى الآل فهى اذا طما ... سفُنٌ له وحُدوجها أصــْـدافُ

فاطـــرحْ لحاظَك سارقا ما أبصرت ... من قبـــل أن تتصـــدع الأُلّافُ

يا دار لستِ اليـــوم مثلكِ أمسِ لى، ... ظهـــرتْ مفارقةٌ و بان خـــلافُ

ذوت الغصـــونُ الناضراتُ وهُيِّلتْ(١) ... بعـــد الوِثارةِ(٢) فـــوقَك الأحقافُ(٣)

وتغـــيّرت ريحُ الصَّبا عن خُلقِها ... وليانِهـــا فنسيمُهـــا إعصـافُ

كنّا نرودُكِ روضـــةً مرشـــوفةً ... فاليـــومَ تُربك دِمنـــةٌ(٤) تُستافُ(٥)

بذلت عزيزتَكِ المنـــاسمُ(٦) وطأةً ... عنفًا(٧) وداست خـــدَّك الأخفافُ

وبمـــا يكـــون العيشُ فيك صبائغا(٨) ... سحّـارةً حـــبراتُهـــا أفـــوافُ(٩)

وعلى ر باط اللهـــو حولَك ضُمَّـــرٌ ... ذيّالة أذنابُهـــا أعـــرافُ

إن غاب(١٠) أهلكِ فالجبـــاهُ أهـــلّةٌ ... أو غاض ماؤك فالسِّـــقاء(١١) نِطافُ(١٢)

فاليـــومَ أنت الى الدمـــوع ذريعةٌ(١٣) ... إن ضنّ منهـــا المسبِلُ الوكّافُ

قـــد أنجزتْ فيك النـــوى ميعادَها ... يا ليت إنجازَ النـــوى إخـــلافُ

لم ترمـــنى الأيامُ فيـــك بعائرٍ(١٤) ... هى أســـهمٌ وجوارحى أهـــدافُ

أأذمُّ فاحشَ صـــبغها فى غـــدرةٍ ... عنـــدى لهـــا أمثالُهـــا آلافُ؟

قـــد ملّستْ جنبى ضغاطُ حبالِهـــا ... فتشـــابهَ الإدمالُ(١٥) والإقـــرافُ(١٦)

(٣٧٣)

---

(١) فى الأصل " وهتلت " . (٢) الوثارة : السهولة واللين . (٣) الأحقاف جمع حقف وهو ما اعوج من الرمل واستطال . (٤) الدمنة : الأثر . (٥) تستاف : تشتم . (٦) المناسم جمع منسم وهو الخف أو من الناقة كالظفر للإنسان . (٧) العنف : ضد الرفق . (٨) فى الأصل "صبايعا" . (٩) أفواف جمع فوف وهو ضرب من برود اليمن . (١٠) فى الأصل "عاب" . (١١) فى الأصل "فالشفاء" . (١٢) نطاف جمع نطفة وهى القليل من الماء . (١٣) فى الأصل "دريعة" . (١٤) العائر : السهم لا يدرى من راميه ، وفى الأصل "بغاير" . (١٥) الإدمال : برء الجرح . (١٦) الإقراف : قشر القرحة بعد يبسها .

وطفتْ نوائبها علىّ فقرصها | جرحٌ ومختصراتها إسرافُ
كاشفتُها وصعبتُ(١) لما لم يكن | عونا عليها الرفقُ والإلطافُ
ورددتُ سيفَ تجلُّدى بفلوله | وصداه إذ لم يُغننى الإرهافُ
هرِم الزمانُ وحُوِّلت عن شكلها | شيمُ الرجال وحالت الأوصافُ
ورقدتُ تحتَ الضيم لا عن ذلّة | مستحليا للشوم وهو ذعافُ(٢)
ما إن شربت(٣) الجورَ مرتخصا له | حتى غلا وتعذّر الإنصافُ
وجفت خلائقُ كنت إن جاذبتُها | سهلَ القياد ولانت الأعطافُ
وعذرتُ فى فَرط العقوق أرقّةً(٤) | لؤماءَ(٥) حتى عقّنى الأشرافُ
وغدا " زعيم الدين " مع أمنى له | ورجاىَ فيه على الوفاء يُخافُ
وقسا فلولا أن أحاشىَ مجده | منها لقلتُ : ملولةٌ مِطرافُ(٦)
دبت اليه عقارب من كاشح | مسحولةٌ(٧) أسبابُهن ضِعافُ
فأطفن منه بسمع أروعَ لم يكن | من جانبيه لمثلهنّ مَطافُ
ما كن من تحقيقه أو ظنه | طرفا وقد تجمع الأطرافُ
حتى سلا صبٌّ وأعرض مقبلٌ | عنى وأنكر خابرٌ(٨) عرّافُ
يا سيفَ نصرى والمهنّدُ مانعٌ | وربيعَ أرضى والسحابُ مُصافُ(٩)،
ومعيد(١٠) أيامى اللّ سَمانَنا | بُدْنًا وهنّ على الحياض عِجافُ،
أخلاقُك الغُرُّ الصفايا مالها | حمَلت قذى الواشين وهى سُلافُ(١١)

---

(١) فى الأصل " صيمت " . (٢) الذعاف : السم يقتل من ساعته ، وفى الأصل "رعاف". (٣) فى الأصل " شربت " . (٤) فى الاصل " أدقة " . (٥) فى الأصل " لؤما " . (٦) المطراف : من لا يثبت على وداد أو صداقة صاحب . (٧) مسحولة : مفتولة فتلا غير محكم . (٨) فى الأصل " حابر " . (٩) المصاف : الذى يكون فى الصيف لا يحمل ماء . (١٠) فى الأصل "ومعتد" . (١١) السلاف : من أسماء الخمر .

والإفكُ فى مرآة رأيك ما له ... يخفى وأنتَ الجوهرُ الشفّافُ!

أظننت أنى مع تصاعدُ همّتى ... نحو الدّناة يكون لى إسفافُ

أو للتسرع فى قناتى مغمزٌ ... من بعد ما أطَرَ[1] القناةَ ثقافُ[2]

قد كنت أحسبها تمرُّ بسمعكم ... سَهكَ[3] الرياح يمجّها الإسرافُ

وإخال مشيَ الوخد فيه القهقرى ... فاذا الذميلُ وراءه الإيجافُ[4]

إن كان ظنّا فهو إثم أو تقل ... صدقَ المبلّغُ فهو بى إجحافُ

أو كان عتبا مُصلحا ما بعده ... فالعتبُ مع عدم الذنوب قِذافُ

ونعم صدقتَ ! سواك من أصغى لها ... سَرَفا وأسمعه بها المتّافُ

لكن كرهتَ[5] مِصاعَهم[6] فى طرحها ... عنى وأنت الفارسُ العطّافُ

فاسمع ظلامةَ نافثٍ لم تكفه ... سيفَ الزمان نزاهةٌ وعفافُ

إن فاته استئنافُكم إنصافَهُ ... غضبتْ له حُرُماته الأسلافُ

واعطف لها عطف الكريم وداوِها ... تُبلِلْ فقد دَوِيتْ[7] لها الأجوافُ

واحمل وإن ثقُلتْ عليك فإنه ... ما كلّ حاجاتى اليك خِفافُ

ولقد علمتَ[8] ــ وفى الشروع غضاضةٌ ــ ... أنى اذا وردَ الحريصُ أعافُ

علّمتنى شرفَ الطباع فليس لى ... إلا الى معروفك استشرافُ[9]

وأفدتُ عدوى العز منك فكلّما ... وسِعَ الكفايةَ لى غنًى وكَفافُ

يا من اذا نُدبَ القريضُ لمدحه ... عجِزَ البليغُ وقصّر الوصّافُ

---

(١) أطر : عطف ولوى . (٢) الثقاف : آلة لتقويم المعوّج من الرماح . (٣) سهك الرياح : مرورها بشدّة . (٤) الوخد : رمى البعير بقوائمه كالنعام ، والذميل : ضرب من السير السريع ، والأيجاف : ضرب آخر من السير السريع . (٥) فى الأصل "كرهب" . (٦) المصاع : المجالدة . (٧) دويت : مرضت . (٨) فى الأصل "عملت" . (٩) الأستشراف : رفع البصر الى الشيء والنظر اليه مع بسط الكف على الحاجب كالمستظل من الشمس .

ومن آجتنى ثمـــرَ النفوس بمـا حفا[1] ... والحـــق أقـــتَمُ والمَـــرادُ جَفافُ
واذا الرجالُ تدارســـوا أخلاقَـــه ... وهُمُ الكفاة تعلّمـــوا وآقتافـــوا[2]
واذا آنتضى الأقلامَ من أغمادها ... طفقت تَلَــثَّم بالحيـا الأسـيـافُ
زُبُرٌ[3] توغّـــلُ حيث لا آبن الزُّبرةِ[4] الـ[5] ... ـدامى ولا آبنُ الغـابة الرّعّافُ[6]
طلب الرجال مـــداك لمـا أن جَروا ... وتناكصُوا باليأس لمـا خافـــوا
والبـــدرُ من أنوار وجهك خاشعٌ ... يشكو وشكوى مثـــله آستعطافُ
لك دونه شرفُ النهـار ، وحظُّـــه ... من ليـــله الإظلام والإســـدافُ
واذا آستتم فليـــلةٌ من شهره ... نصـــفٌ وشهـــرك كلّه أنصافُ
والقَطرُ يقنع من سمـاحتِـه بمـا ... يعتامُ[7] من كفيك أو يعتافُ[8]
جاريتُـه وسحابُ جودك ساكنٌ ... ففضلتـــه وسحـابُـــه رَجّافُ[9]
بكم آســتقام من السياسة مَيلهـا ... وثرا المقـــلُّ وأخاف المتـــلافُ
وتعـــدّلت فى الحـــق كلّ فضيلة ... فتسـاوت الصهوات والأردافُ
أنـــتم بنـــو المُلك التليـــدِ وقومُهُ ... وســـواكم الجـيران والأحلافُ
ميلادكم ســـببُ الصـــلاح وخَلْقُكم ... فينـا من البـارى لنـا ألطافُ
سمعا ولولا أن سمعَـك آذنٌ ... ما قادهـا رِفـــق ولا إعنـافُ[10]
أمّ القـــوافى المنجبات ولم تكن ... لـــولاك تـــولَدُ فاؤهـا والقـافُ
لو لم يحرّكها هـــواك لمـا مشت ... خَطْـرا ولا آهـــتزّت لهـا أعطافُ

(١) حفا : أعطى . (٢) اقتافوا : تتبعوا الأثر . (٣) الزبر جمع زبور وهو الكتاب .
(٤) فى الأصـــل "عيث" . (٥) الزبرة : القطعة الضخمة من الحـديد ، ويريد بآبن الزبرة الدامى : السـيف . (٦) الرّعاف : السيّال بالدم ، ويريد بآبن الغابة الرّعّاف : الرمح .
(٧) يعتام : يختار . (٨) يعتاف : يتزود . (٩) الرجاف : الكثير الاضطراب .
(١٠) الإعناف : الأخذ بالشدة ، وفى الأصل "أعياف" .

فاجلس لهـا النـيروزَ مجلسَ خَلوةٍ — سعدانِ عيـدٌ مقبـلٌ وزفافُ
وفِّـرْ قِراهُ من السرور وقِسـمَنا — ممّا تجـود فكلّنا أضـيافُ
فى نعـمةٍ مخـلوعُهـا متجـدِّدٌ — أبدا وماضى عمـرِها آسـتئنافُ
غُـرُفاتهـا مرفـوعـةٌ ومياهها — مسكوبةٌ (١) وجِنانُهـا ألفـافُ (٢)

* * *

وقال فى السيف

وآبنٍ سُررتُ به إذ قيـل لى : ذكَرٌ — فصنته و يصان الدرُّ فى الصـدفِ
أخشى الرياحَ عليـه أن تهبَّ فما — تراه فى غير حجرى أو على كتفى
أغار (٣) عجبـا به من أن أقبِّـلَه — يـوما وتقبيـلُه أدنى الى شرف
يتيه من فوق كرسىٍّ — وُهِبتُ له (٤) — من "الحسين" — بقدٍّ قام كالألف
كالسيف (٥) أرسله فى الروع صاحبُه — على الكتيبة ذات الحشْـدِ لم يقِف
أخفيتُه وهـو لـمّا تَخفَ صـورتُه — وها هو الآنَ ما أخفيتُه وخَفِى

* * *

وكتب الى الوزير كمال الملك أبى المعالى بسرّ من رأى فى النيروز

لعلّهـم لـو وقفـوا — أبـلَّ (٦) هـذا المـدنَفُ
قالوا : غدا وعدُ النـوى — يا بردَهـا لـو لم يفُـوا
فاسـتنفروا وأجمعـوا — وآسـتنظروا وأخلفـوا
تسرّع النـاجى الحشـا — وجعجـع (٧) المكلَّفُ
ثم آستوى على النـوى الـ — سـابقُ والمخلَّـفُ

---

(١) فى الأصل "مسكونة". (٢) الألفاف : الأشجار يلتفّ بعضها ببعض. (٣) فى الأصل "أعار". (٤) يريد بقوله وهبت له = جعلت له بدلا من الحسين بن الإمام على رضى الله عنهما . (٥) كذا بالأصل ولعلها "كالسهم". (٦) أبلّ : شفى . (٧) جعجع : أناخ و برّك .

هــل أنت يا قلبُ معى أو معَهــم منصــرِفُ ؟
قل لهُـمُ عن جسدى إن سألوا وأسعفوا
قفــوا على فارطكم يا أيّهــذا الســلفُ
ما كل ســير اليعملا تِ الغشْـمُ والتعجرفُ
تحــرّجوا فما دمى أنف البعــير يرعُفُ !
يا سائق الأظعان أر وِدْ (١) بعضَ ما تعتسف
فإنّ بين سُــوقها أفئـــدةً تُختَطــفُ
أنتَ على خــدورها — فارفق بهـا — مستحلَفُ
وهى عــلى الدرّ الذى أُكِنّ فيــه الصدفُ
وفى الركاب بَكرةٌ (٢) تطــولها وتَشــرفُ
تضعُف عن راكبها فهــل تــراها تُردِفُ (٣)
عــلى النقا المبلول منـ (٤) ـها غُصُنٌ مهفهفُ
مال وقام فاستقا (٥) م لامُـــهُ والألفُ
أورق لــو أزفَّ لى ذاك القضيب المخطَفُ (٦)
آه عــلى ريحانــه لو كان مما يُقطفُ
ســلالةٌ من الهــلا ل جســمُه المنحّفُ (٧)
يا زمنى عــلى " الغضا " ما أنتَ إلا الأســفُ
لهــفى عليــك ماضيا لــو ردّك التأسّــفُ
قد كنتُ فى ظلّك لا أخاف ما أُخـــوّفُ

(١) أرود : أمهــل ، وفى الأصــل " أورد " . (٢) البـكرة : النـاقة الفتية .
(٣) تردف : تحمــل رديفا وهو الراكب خلف الراكب . (٤) فى الأصل " المبــلوك " .
(٥) فى الأصل " فالسقام " . (٦) المخطف : الضامر . (٧) فى الأصل " المنجف " .

وأنت والشباب لى خميلةٌ (١) ومُطرفُ (٢)
ولِدَتى (٣) على المها (٤) بينكما تَصرُّفُ
فبِنتما وصوحتْ روضةُ عيشى الأُنُفُ (٥)
فاليوم كلّ ناظرٍ يُرمَدُ لى أو يُطرَفُ
تلفّتتْ ذاتُ اللمى (٦) عن المنى تحرفُ
فصدَفتْ (٧) أمس لها واليوم عنها تصدِفُ
رأتْ بها ما كرهتْ فأنكرتْ ما تعرفُ
وهى التى من يدها سيفُ عِذارى يُرهفُ
لو أنصفت أسودَه ما راعها المنصَّفُ
حلفتُ بالمقصَّريـ (٨) ـن ركبوا فأوجفوا (٩)،
لانوا على العيش وخا فوا فَوتها فعنفُوا،
بانوا فطاروا فى الرحا ل شُعثًا (١٠) حين حَفوا،
رجَّوا لأثقال الذنو ب ساعةً تخفَّفُ،
فاستنفدوا جهدَهمُ سارين حتّى وقفوا،
فلثموا ومسحوا وجمَّروا وطوّفوا:،
إن "كمال الملك" من جَور الليالى منصِفُ

---

(١) الخميلة : الأشجار الكثيرة الملتفّة . (٢) المطرف : ثوب من خز مربع ذو أعلام . (٣) اللدة : هو الذى ولد معك وتربى . (٤) المها جمع مهاة وهى الظبية . (٥) الروضة الأنف : التى لم ترع . (٦) اللمى : سمرة فى باطن الشفة وهو مما يستحسن . (٧) صدفت : أعرضت وانصرفت . (٨) المقصّرون : واسمو الإبل بالقِصار وهو سمة على أصل العنق . (٩) فأوجفوا : فأسرعوا ، والإيجاف ضرب من ضروب السير السريع . (١٠) شعثا : جمع أشعث وهو المغبر الرأس المتلبّد الشعر .

وإنــه وقـــومَهُ أكرمُ عينٍ تَطـرِفُ
وهـو عـلى نخـرهمُ نخـرٌ لهـم وشـرَفُ
أبلـجُ كلُّ غُمّـةٍ(١) بوجهــه تنكشفُ
وكلّ والٍ للخطـو ب(٢) باسمــه منصـرفُ
حـلّق والنسـرُ المُطـا ر حـوله يرفـرفُ
وتمّ فالبيضـاءُ(٣) عن أنـواره تنكسفُ
ودبّر الملكَ السحيـ ـلَ(٤) رأيُـه المستحصِفُ(٥)
فضـمّ منـه عـدلُه(٦) ما نشـرَ التحيُّـفُ
قاد الصعابَ الحُمسَ(٧) يشـ ـتدّ لهـا ويلطُفُ
حتى آستوى على الطريـ ـق وهي ميـلٌ حُنُفُ(٨)
وعـرّفَ الدنيـا وما أعانـه معـرِّفُ
فقـد أقام مَيلَـها تدبـيرُه المثقِّـفُ
نفسٌ مـع الحـق تعـ ـزّ ولـه تنعطـفُ
تَـبرّجُ الدنيـا لهـا وَهِيَ عنهـا تعـزِفُ(٩)
تُقسِـم : لا خادعَهـا متاعُهـا المـزخـرَفُ
وقـدرة يحبسهـا عن شأوهـا التعفُّفُ
وراحـةٌ ركيّةٌ(١٠) تُمـلأُ وهي تُـنزَفُ(١١)

---

(١) فى الأصل "عمة" . (٢) فى الأصل "للخاطوب" . (٣) البيضاء : الشمس .
(٤) السحيل : المفتول فتلا غير محكم . (٥) المستحصف : المفتول فتلا محكما . (٦) ورد هذا الشطر فى الأصل هكذا : « فضم منه له » (٧) الحمس : الصلبة المشتدة واحدها أحمس وحمساء . (٨) حنف جمع أحنف وهو المعوج الرجل أو المتقلب ظهر القدم ، وفى الأصل "حيف" .
(٩) تعزف : تزهد . (١٠) الركية : البئر ذات الماء . (١١) تنزف : تنزح .

"دجلةٌ" و "الفراتُ" أو ... شالٌ[1] لها ونُطَفُ[2]

بيضاءُ لو جاد بها ... ما قال : إنى مسرفُ

وخُلُقٌ كالماء لا ... بل كاللَّمى يُرتَشَفُ[1]

تسكرُ منه صاحيا ... إن أسكرتك القرقفُ[2]

جلَّ عن الوصْف فما ... يُنصِفه من يصفُ

وبهرتْ آيتُه ... فاعترف المقترفُ[3]

شاوره التاج وفى ... أذنيه بعدُ الشَّنفُ[4]

وفات أسلافَ الكهو ... ل عمرُه المؤتنفُ

إن الذى آستلك سيـ ... ـفا دونه لمرهفُ

قَويتَ فنصرتَه ... وحدُك المضعَّفُ

أجننته من الردى ... وصدرُه مستهدفُ

وزارةٌ عليكمُ ... دون الرجال تقفُ

أنتم لها ما قرُب الـ ... ـدار بكم أو تقذفُ

يشعفها[5] هواكُمُ ... تُعذَرُ أو تُعنَّفُ

فما لقومٍ يبتغو ... ن وصلها وتصدِفُ[6]

شاموا فكانت برقةً ... تخدعُ حين تخطفُ

والتيهُ من أكفّهم ... يجذبها والصلَفُ[7]

(١) أوشال جمع وشل وهو القليل من الماء . (٢) نطف جمع نطفة وهى الماء القليل يبق فى الدلو .

(٣) اللى : سواد فى باطن الشفة . (٤) القرقف : من أسماء الخمر . (٥) المقترف : المكذب . (٦) الشنف : ما يعلق بأعلى الأذن وقيل هو القرط والأصل فيه سكون النون وقد حركت نونه هنا للضرورة ؛ لأن الشنف بفتح النون لغة بمعنى البغضة والكره وهذا بعيد عن المعنى المراد .

(٧) فى الأصل "يشفعها" . (٨) تصدف : تميل وتصد . (٩) الصلف : التكبر .

عادوا بها فعيَّفوا[١] بما لهم وأجحفوا

وهى التى قد جرّبوا نشوزَها[٢] وعرَفوا

ما ثقُلت وإنما قويتُمُ وضعُفوا

عبرتم الناس بأن جريتُمُ ووقفوا

وذاك ما لا يستطيـ ـعُ البَشَرُ المكلَّفُ

وكيف لمباهلٍ[٣] أن يُنكِروا ويشرُفوا

ومجدكم واسطةٌ وكلُّ مجدٍ طرَفُ

بكم سرى عِرقى وكَـ ـثَّ[٤] ريشىَ المتحَفُ

وطار ذكرى جاريا مع الرياح تعصفُ

ظهرى بكم محصَّنٌ وجانبى مكنَّفُ

ألِفتكم، والمنزل الـ ـرَّحب الخصيبُ يؤلفُ

فدَحى عليكُمُ دون الأنام تعكُفُ

من مُزِجت[٥] أهواؤه بسلوة تكلَّفُ،

فقد سقا حبُّكم الـ ـمدْهِق[٦] المصرِّف[٧]

ملكتمُ نفسى فما لى عنكُمُ منصرَفُ

وودّكم منها مكا ن كبدى أو ألطفُ

فلا برا وجدى بكم ولا أفاق الشعَفُ[٨]

لست وإن أعرضتمُ أيأَسُ أن تعطَّفوا

---

(١) عيفوا : تكهنوا . (٢) النشوز : الأستعصاء والكراهة، وفى الأصل "بسورها" .
(٣) المباهل : المفاخر . (٤) كث : كثف، وفى الأصل "كنت" . (٥) فى الأصل "مرحت" . (٦) المدهق : الذى يملأ الكأس . (٧) المصرّف : من لا يمزج الشراب ويشربه صِرفا . (٨) الشعف : الحب .

وصبر "يعقوبَ" معى حتى يُردَّ "يوسفُ"

يبقى عليك ما دَعت أمُّ هديلٍ تَهتِفُ (١)

وما أهلَّ وسعى مزدلِفٌ (٢) معرِّفُ (٣)

وما مشى النيروز يرخى ذيله ويُسدِفُ (٤)

عليه من بُرد الربيع بُردُه المفوَّفُ (٥)

فى طالِع من نعمةٍ أفوله لا يزِفُ (٦)

فالناس أذيالٌ وأنت قطبُها والمَنصَفُ

خُلقتَ فينا واحدا ثانيه من لا يُعرَفُ

أقول لا محتشما لقولها وأحلِفُ

وضامنات لعلا كم موعدا لا يُخلَفُ

سوائر من وصفكم بضوعةٍ (٧) تَعَرَّفُ (٨)

فهى لكم صوارمٌ وهى لديكم تُحَفُ

* * *

وقال فى ريح

ما سُمُحٌ وفاقهن خُلُفُ شتّى الصفاتِ ضمّهن وصفُ

على اليمين والشمال النصفُ وربع قدام وربع خلفُ

اذا امترى من بعضهن خالِفُ بـلّك منها ما به تجفُّ

أجنحة من "الفرات" تهفو طرد النعام مالهن زفُّ (٩)

---

(١) أمّ الهديل : الحمامة . (٢) المزدلف : من نزل المزدلفة . (٣) المعرّف : الواقف بعرفات . (٤) يسدف : يرفع ، من أسدف الستر اذا رفعه . (٥) المفوف : المخطط . (٦) يزف : يسرع . (٧) فى الأصل " نصوعة " . (٨) تعرف : تفوح بالعرف وهو رائحة الطيب . (٩) الزف : إسراع الظليم فى عدوه ، وفى الأصل " رف " .

يقول كاتب هذه النسخة: هذا آخر ما وجدته فى ديوان شعره على هذه القافية، ووجدت على ظهر كتاب مما ينسب اليه هذه الأبيات فأثبتّها

قفوا فاسألوا عن حال مثلى وضُعفِه فقد زاده الشوق الأسى فوق ضِعفِهِ

وقولوا لمن أرجو الشفاءَ بوصله : أسيرك قدْ أشفى (١) على الموت فاشفِهِ

أخو دَنف أخفاه إخفاؤه الهوى نحولا ومن يُخفى الصبابةَ تُخفِهِ

قافيـــة القــاف

وكتب الى صديق له بالبطيحة (٢) يشوّقه ويمازحه باستهداء جُبَّة

قــل لها أيها الخيالُ الطروقُ : نَفَّـرَ العشقَ ما جَـنَى المعشوقُ

بردتْ بعدكِ الضلوعُ من الوجـ ـد وخفَّ (٣) الهوى وجفَّ المـوقُ (٤)

ومن الصـبر ما يساعدُ إن ريـ ـم وفى العاشقين من يستفيقُ

كبدى فوق أن أكلِّفها منـ ـك على البعد حمـل ما لا تُطيقُ

وفؤادى يعزُّ عنـــدىَ أن يطـ ـمعَ فى أسـره فــؤادٌ طليقُ

يانديمى "بالصَّراة" (٥) "آغصبا (٦) [ذا] (٧) الـ ـيومَ رهنا (٨) بذا الصَّبوح (٩) الغبوقُ (١٠)

وآكفيانى أمر المِراح الذى يُحـ ـسَبُ بِرًّا فالـبِرُّ وقتا عقوقُ

(١) أشفى: أشرف. (٢) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة.

(٣) فى الأصل "خف". (٤) الموق: طرف العين مما يلى الأنف وهو مجرى الدمع.

(٥) الصراة: نهر يدور حول مدينة السلام. (٦) فى الأصل "آعصبا". (٧) ليست بالأصل. (٨) رهنا: مقيدا وفى الأصل "وهنا". (٩) الصبوح: شرب الخمر صباحا.

(١٠) الغبوق: شرب الخمر عشية.

فدم الدَّنّ صِرفُه كدم الخش ـفِ متى غُشَّ لم تسغه العروقُ (١)

ومـــدير ســيّان عيناه والإبر ـريقُ فتكا وريقُـــه والرحيقُ (٢)

ملَّكتنى له الخـــلاعةُ وآقتا د له رقَّ الفـــؤادُ الرقيـــقُ

ياليالى "بغدادَ" طبتِ ولكن غصبتكِ البدرَ التمامَ "الصليقُ" (٣) (٤)

حلَّها الغيثُ فى عَزاليــهِ والشمـ ـسُ ففيهـا الحيا ومنها الشروقُ (٥)

بأبى ذلك القـــريبُ وإن نا زعنى سمعَـــه المكانُ السحيقُ

سل بمـا سرَّ غـــير قلبىَ فالحز نُ به مـــذ نأيتُ عنـك مُحيقُ

أنزلتْـــنى الأيامُ بعــدكُمُ حيـ ـث تضاع العلا وتُلوَى الحقوقُ

وعرفتُ الرجالَ والجودَ والبخـ ـلَ وكيف المحـــرومُ والمرزوقُ

اِستمع ــ أسمعتْ عطاياك أذنيـ ـك ــ ثنــاءً تبحُّ منــه الحلوقُ

أخلَقَ الدهرُ من سماحك ما أنـ ـتَ بتجــديده عـــلىَّ خليقُ

فاكسنى ــ صرَّحَ الشتاءُ وما أنـ ـت الى مكرماته مسبوقُ ــ ،

جُبّــةً جُنّةً من القُرّ قد وا فق معـــنًى تصحيفِها التحقيقُ

كسجاياك نزهـــة القلب والعيـ ـنين تحـــلو ملبوســـةً وتروقُ (٦)

ولِيَتْ خلقَ ثوبهـا يـــدُ رَبٍّ لم يفتـه التغريب والتـــدقيقُ

نَقَشَ الروضـــةَ الأنيقـةَ ألوا نا كما راقك الشـــبابُ الأنيقُ (٧)

يحسَب الناظرُ المشـــير اليــه أنه من خميـــلةٍ مسروقُ

راق لونا ورقَّ لينـا عـــلى اللا مِس فهو الدقيقُ منهـا الصفيقُ

(١) الخشف : ابن الظبية . (٢) الرحيق : من أسماء الخمر . (٣) فى الأصل "عصبتك".

(٤) الصليق : مواضع كانت فى بطيحة واسط بينها وبين بغداد كانت دار ملك مهذّب الدولة أبى نصر المستولى على تلك البلاد . (٥) العزالى جمع عزلاء، وهى مصبّ الماء من الراوية ونحوها وهى هنا إشارة الى شدّة المطر على التشبيه . (٦) فى الأصل هكذا "والينين" . (٧) فى الأصل "نقس".

وله ـــ إن أماجت الريحُ قُطريـ ـه كما تُنتضَى السيوفُ ـــ بريقُ
وحبيب الىّ ما ريحـــك الطـ ـيّب مســـكٌ من نشره (١) مفتوقُ

* * *

(٢٧٦) وقال يهنّئ نقيب النقباء أبا القاسم بن تمّـا بعقد نكاح

طرفُ "نجديّةٍ" وطرفُ "عِراقِ" أىّ كأس يـديرها أىّ سـاقِ !
سنحتْ والقـلوب مطلَقـةٌ تر عَى وعاشت وكلُّهـا فى وثاقِ
لم تزلْ تخـدع العيونَ الى أن عَلّقتْ دمعـةً عـلى كلّ ماقِ (٢)
ما أعفَّ النفوسَ يا صاحبَىّ شكـ ـواى لـولا غرامـةُ الأحداقِ
وبنفسى المحـلّ ليس رفيقـا للسـوافى (٣) ولا لتيـه الرفاقِ
فى مكان الوحش العواطل تلقى الـ إنس فيـه حَوالىَ الأعنـاقِ
يتعـرّضن مالهنّ من الـ ـس نفورٌ ولا من الصـيد واقى
كلّ محبـوبةٍ الى الحُقُبِ (٤) مستد نّـةِ لُبس الخلخال عنـد الساقِ
لم تفـوّز لىَ الأمانى ولم تــر م بأشـباحنا ظهـورُ النياقِ
بين آمالنـا "ببغـداد" والنجـ ـج مـدًى بين رميـةٍ وفُواقِ (٥)
ضمنت حورُها لنا العيشَ "والصا حب" فيهـا الكفيل للأرزاقِ
لم يحـز غـيرَه الكمالُ ولكن ظهـرتْ فيـه قدرةُ الخلّاقِ
باطنٌ مثل ظاهرٍ ، إنّ حسن الـ ـخَلْقِ بُشرى محاسنِ الأخـلاقِ
لـو تراه وأنت تشـناه أبلسـ ـتَ (٦) فعـوّذته من الإشفاقِ

---

(١) فى الأصل "بشره" . (٢) الماق : طرف العين مما يلى الأنف وهو مجرى الدمع .
(٣) السوافى : الرياح تسفى التراب . (٤) الحقب جمع حقاب وهو شىء محلى تشده المرأة على وسطها . (٥) الفواق : الزمن ما بين الحلبتين . (٦) أبلست : حرت فى أمرك .

خـــذ هنيئا شجـاعةً وسمـاحا (١) أو طأ أخمصيـك أعلى المـراقي (٢)

وقرينـا أقــرَّ عينَـ المعـالى ونفوسُ العـدا له [في] (٣) السيِّاق (٤)

وُصلَ البـــدرُ (٥) ليلةَ التم بالشمـ ـس صباحا والشمسُ في الإشراقِ

صـــدق الفألُ يومَ بشِّر أصهـا را نعيب العـــلا لهم في الصداق

اجتماعا في الله يُعْطى بـه اللـ ـه أماناً شمليكما من فـراقِ

بأبى أنت فـديةً لست أرضـا ها وغـير الفـداء غير مُطاقِ

أكثر النـاسُ من ندى يدك القو لَ وسـارت نعماك في الآفاقِ

وآسـترقَّ الأسماعَ وصفُك فآشتقـ ـتُ ، فهل من عطف على المشتاق ؟

ومجـيرى آنفتاحُ كفِّك طلقـا من أكفّ وقفٍ على الأنغلاقِ

ورجال يلقون بِشْرِى بالبشـ ـرِ وقولى : الجـزاءَ ، بالإطراقِ

موضع الشـعر منهمُ موضع العـ ـذّال يومَ النوى من العشّاقِ

وعـدتنى الآمالُ فيك غـنىً قـ ـوِّت به نُصـرتى على الإخفـاقِ

فـتى نابنى الزمانُ بما يصـ ـعب (٦) هـدّدتُه بأنـكَ باقى

* * *

وقال وقد توفِّىَ أبو الحسين محمد بن عمر المعروف بابن الصيدلانى ، وكان من وجوه البغداديين أبوة ، ومن أوحادهم فى شرف الأخلاق ، وكانت بينهما مودّة تزيد على النسب والأهليّة

صديقٌ يدارى الحزنَ عنك مماذقُ ودمعٌ يغبُّ (٧) العينَ فيـك منافقُ

وقلبٌ اذا عانى الأسى طلبَ الأسى لراحتـه من رقّ ودّك آبقُ

(١) فى الأصل هكذا " هينا " . (٢) الأخمص : بطن القـدم مما لا يلامس الأرض .
(٣) ليست بالأصل . (٤) السيِّاق : الأحتضار ونزع الروح . (٥) فى الأصل " النذر " .
(٦) فى الأصل " تصعب " . (٧) يغب : يأتى يوما بعد يوم .

بكى القاطنون الظاعنون وقوّض الـ ... ـحُلولُ وصاحت (١) بالفراق النواعقُ (٢)

ولكنني بالأمس لم تسر ناقـــةٌ ... بمختلس مـــنى ولم يحـــدُ سائقُ

ســـلا عنه فى أىّ المفاوز فاتنى ... وطـرفى له راعٍ وطرفِىَ ســابقُ

تباغضنا الدنيـا على حبّنا وإن ... رأت مللا ظلّت خداعا تُوامقُ (٣)

سوى أننـا نغـــتر يا يومَ وبلها ... بعاجلةٍ والآجلاتُ الصـــواعقُ

تصدّت بزور الحسن تقنصنا وما ... زخارفهـا إلا رُبًى وخنـادقُ

تبسّمُ والثغـــرُ المقبّـــل ناهشٌ ... وتحســـرُ والكفّ المصافح حابقُ (٤)

أتأمل منهـا حظوةً وهى عانس (٥) ... ولم يحظ أقـــوام بها وهى عاتقُ (٦)

أمات أخى فى الودّ أم غاض زاخرٌ ... من العيش عنى أم تقوّض (٧) شاهقُ

أظلّ غمـــامٌ ثم طلّ جمامُـــهُ ... وقد كنتُ فى عمياءَ وهى بوارقُ

أعُـــدُّ له الأيّامَ أرجـــو شفاءه ... ولا علمَ لى أنّ المنـــونَ تسابقُ

وأعلِلُ بالخوف الشكوكَ تعـــلُّلا ... فيا ســـوءَ ما جرّبت علىّ الحقائقُ

بمن لستُ أنسى من رواحٍ وبُكرةٍ ... مضى صابحٌ بالأمس قبلى (٨) وغابقُ

دعوت فما لى لم أُجَبْ، إنّ عائقا ... أصمّـــك عنى أن يلـــبّى لعائقُ

تخطّى الدواءُ الداءَ وهـــو مجرّبٌ ... وفات طبيبا رأيُه وهـــو حاذقُ

خفرناك حـــقّ الودّ إذ أنت آمن ... وخنّاك يوم الموت إذ أنت واثقُ

وقمنا فأوســـعنا اليك طريقَـــهُ ... وحولَك منا جحفـــلٌ متضـايقُ

نخالفك القصدَ اعتمادا وكنت من ... تساق الى أهوائنـا فتـــوافقُ

٢٧٧

---

(١) فى الأصل "وصاحب". (٢) النواعق: الغربان. (٣) توامق: تحبب.
(٤) الحابق: الضارب. (٥) العانس: التى فاتت سن الزواج. (٦) العاتق: الجارية أول ما أدركت. (٧) فى الأصل "تقوص". (٨) فى الأصـل "قلبى".

رحيبا على الطـراق منا فما لنا ... بعلنا[1] جميعا يـوم جاءك طارق[2]

طوى معشرٌ ذاك التنافسَ واستوى الـ ... ـحسودُ المعادى فيك لى والموافقُ

وغاضت مودّاتٌ أقضّت وقطّعت ... عُرًى كنت وصالا لها وعلائقُ

سرورى حبيس فى سبيلك وقفه[3] ... ولذة عيشى بعـد يومك طالقُ

تمسّك بما كنّا عليـه ولا تحُلْ ... عهودٌ ــ وإن حال الردى ــ ومواثقُ

وكن لى على ما كنتَ أمسِ معوّدى ... غدا مسـتعِدًّا ، إننى بك لاحقُ

أتتك السوارى الغادياتُ فأفرغتْ ... عليـك مِلاءً والجوارى الشوارقُ

ولو لم يكن إلا البكاءُ لأنبتت ... عليك بما تُجرِى الجِداقُ الحدائقُ

رَثيتُ بعـلمى فيك حتى كأنها ... تملّى علىّ القولَ تلك الخـلائقُ

وهل يبلغ القولُ الذى كنت فاعلا ... ولم تسمع الحـقّ الذى أنا ناطقُ

وأُقسم ما أعطتك فضـلَ فضيلةٍ ... أقولُ بها فى مائق وهـو فائقُ

وكيف يناجَى نازحُ السـمع فائتٌ ... عليه مَهيلٌ ــ من ثرًى ــ متطابقُ

اذا الحىّ يوما كان فى الحىّ كاذبا ... نِفاقا فإن الحىّ فى الميت صادقٌ

مضى صاحبى عنى وقد شاب ودّنا ... فيا ليتَ هـذا والوداد مُراهقُ[4]

بجهدك لا تألفْ خليـلا فإنها ... بقـدر مسرّات الألوفِ البوائقُ[5]

* * *

وقال فى غرض له

وقالوا : خف اللهَ فى مهجـةٍ ... سمحتَ بها لضَـنًى وآشتياقِ

ويُسليك أنك مـذ فارقوك ... على عهد من أتلف البينُ باقِ

(١) بعلنا : برمنا وضقنا ، وفى الأصل هكذا " بعلنا " . (٢) فى الأصل " جال " .
(٣) فى الأصل "وقفة" . (٤) المراهق : مقارب الحلم . (٥) البوائق : الغوائل والشرور والدواهي واحدها بائقة .

فقلت : وهــل هو إلا الحِمـا م أحلى من العيش بعد الفراقِ
فداؤك طائفــةُ البين فى بكائى عــلى إثره وآحتراق
وقلبٌ على العهـــد إما سلو ت من حفظ ميثاقكم فى وثاق
أرى الأرض بعدك مثل القَذاة تَرَدَّد ما بين جفنى وماق (١)

* * *

وأخّر أبو القاسم سعد بن الكافى الأوحد إنفاذ ما جرت به عادته، فكتب اليه يعاتبه، ويستبطئه بهذه، وأنفذها مقترنة بالدالية التى كتبها الى والده وقد تقدّمت

أشاقك من "حسناء" وهنا طُروقُها؟ نعم ! كلُّ حاجاتِ النفوس يشوقُها
سرت أَمَّـا والأرضُ شحطٌ مزارُها كثيرٌ عــواديها قليــلٌ رفيقُها
تخــفّى وما إن يكتم الليــلُ بدرَه وهــل فارةٌ (٢) فُضّت بخاف (٣) فتيقُهـا (٤)؟
لعمر الكرى ــ ما شاء ــ ما شبهُ الكرى هــلالٌ محيّاها وصهباءُ (٥) ريقُهـا
يمثّــل "حسناء" الخيالُ لمغــرمٍ حبيبٍ اليــه زُورها وحقيقُهـا
حلفتُ لواشيهـا ليزدادَ غيظــه علىّ وخيرُ المقسمين صــدوقُها
لئن ضرّنى بالهجــر أنى أســيرها لمـا سرّنى بالغــدر أنى طليقُهـا
أرى كبدى للشوق أنى تنسّمتْ (٦) رياحُ النّعـامى (٧) غَضَّهـا (٨) ووريقُها،
فريقين، عند "الحاجبيّة" "باللوى" فريقٌ، وعنــدى "بالعراق" فريقُها
وأتبــع ذكراها اذا آعترض آسمُهـا وإن فــترت أحشاؤها لى وموقُهـا (٩)

---

(١) المـاق : طرف العين ممـا يلى الأنف . (٢) الفارة : نافجة المسك . (٣) فى الأصل "يخاف" . (٤) الفتيق : رائحة المسك . (٥) فى الأصــل "وصقباء" .
(٦) فى الأصل "تبسمت" . (٧) النعامى : ريح الجنوب وهى أبلّ الرياح وأرطبها، وقيل : هى التى بين الجنوب والصبا . (٨) بالأصــل "غلفها" . (٩) الموق : طرف العين ممـا يلى الأنف وهو مجرى الدمع .

شرارة قلبٍ ليس يخفَى حريقُه ... وزحمة عين ليس يطفو غريقُها
وكم مسحتْ يوما على السّبْق غُرّتى ... وقد عزّ حلباتِ الوفاء سَبوقُها
عذيرىَ من قلبٍ صحيحٍ ألوفةٍ ... وإخوانِ عِلّاتٍ كثيرٍ خروقُها
ودنيا خداعٍ كالقذاة بمقلتى ... وإن ملأتْها من جمالٍ يروقُها
متى كنتُ فى شرط "الأمانى" عبدَها ... فإنى على شرط العفاف عتيقُها

(٢٧٨)

وأعلم منها أين تُمطر سُحبُها ... فلا تخدعنّى بالخلاب بروقُها
وعاذلةٍ قالت : رُم الحظّ تلقه ... وما كلُّ طلّاب الحظوظ لَحوقُها
قضت عادةُ الأيّام أن صريحَها ... قليلٌ اذا درّتْ وعزّ مَذيقُها (١)
فناشطها فى غالب الأمر مجدبٌ ... خميصٌ (٢) ويرعاها بطينا ربيقُها (٣)
أفى هذه الأشباح أهلٌ لمطلب ... عفيف أبت أخلاقها وفسوقُها؟
رعَى الله آمالا اليهم بعثتها ... ضياعا كأنى فى "الفرات" أريقُها
اذا كان "سعدٌ" وهو أكرم من مشت ... به وله أيدى الركاب وسُوقُها
نبا وقسا على القوافى فؤادُه ... فمن بعدَهُ حنّانُها وشفيقُها
لمن تُبضَع الأشعار يرجَى نَفاقُها ... اذا كسدت يا "سعدُ" عندك [سُوقها] (٤)
اذا أقصيتْ فى "العرب" يوما وأهملت ... ففى "العجم" تُرعَى ليت شعرى حقوقُها!
لئن كنتَ نشئا أو لسانا عدوَّها ... فإنك علما وانتسابا صديقُها
ألست الذى عزّتْ (٥) عليه قصائدى ... كما قيل حتى ليس شىءٌ يفوقُها
وأعطيتنى عذراءَ نعمى هنيئة ... متى كُتمتْ فاشهد بأنى سَروقُها
الى أن توهّمت الليالى قد ارعوت ... لتُرقَع من جدواك عندى فتُوقُها

---

(١) المذيق : الممزوج المخلوط . (٢) الخميص : الضامر البطن (٣) الربيق : المشدود بالربقة وهى كل عروة تشد بها البهم . (٤) ليست بالأصل . (٥) فى الأصل هكذا "عزب".

وقلتُ : أمانٍ قد أقرّت نَوارها (١) ... به ودنت من مجتناى سَحُوقها (٢)

" بسعدٍ " هوت عنقاؤها فتحكّى ... مُرادك يا نفسى ، وباضَ أنوقُها (٣)

ولم يك فيها غير باعثِ نعمةٍ ... لعاقلها بالشكر من لا يسوقُها (٤)

مَن الشعراءُ القائمون مَقاوِمى ... لديك ومَن ذا إن سكتُّ نطوقُها؟

مجالسُ تُخلَّى (٥) لى بحقّ صدورُها ... وأرضٌ يخلِّى لى بسيفٍ طريقُها

وأنت — وإن هجنتها العامَ — شاهدٌ ... لها كيف يأتى حلوُها ورشيقُها

وكم طربٍ لى وهو يُنشد نفسَه ... الى الحول يصبو نحوَها ويتوقُها

يكاد بما تحلو وتصفو لسمعه ... ينضُّ (٦) لسانا نحوها يستذيقُها

عدوُّك مثلى يوم آبتْ خفائفا ... قِلاصُ (٧) المطايا من رسومى ونوقُها

مددتُ لها كفى فلمّا ثنيتُها ... على اليأس ما إن كدت ردًّا أطيقُها

فيا خجلةً فى خيبة فاض ورسُها (٨) ... حياءً بما خابت وغاض خلوقُها (٩)

ويا طرفةً فى مقلةٍ ، ذاب لو جرى ... على الخدّ خلطا دُرّها وعقيقُها

سأخطو اليك الحادثاتِ ولو غدت ... تلوح سيوفا لم يرعنى بريقُها

وأهجرُ أرضا أسلمتنى وهادُها ... عساه بقربى منك يعصِمُ نيقُها (١٠)

سيوسعها لى حسنُ رأيك آجلا ... فلا يحرجنّى عاجلا منك ضيقُها

---

(١) النوار : المرأة النفور . (٢) السحوق : النخلة الطويلة . (٣) الأنوق : الرخمة أو العقاب وفى المثل " أعز من بيض الأنوق " . (٤) كذا بالأصل ولم نوفق فيه الى معنى واضح . (٥) فى الأصل " تحلى " . (٦) ينض : يظهر ، وفى الأصل " يبض " . (٧) قلاص جمع قلوص وهى الفتية من الإبل . (٨) الورس : نبات أصفر . (٩) الخلوق : ضرب من الطيب أعظم أجزائه من الزعفران . (١٠) النيق أعلى موضع فى الجبل .

وقال يذمّ الزمان، ويستبطئ أهله، ويمدح بعض أصدقائه من العلويّين

حَمَلتْ ركابُ الغرب شمسَ شروقِ ... وحملتُ منك العهدَ غيرَ مُطيقِ

عقدتْ ضمانَ وفائها من خصرها ... فوهى كلا العقدين غيرَ وثيقِ

والغانياتُ بناتُ غدرٍ مِنْ أبٍ ... يضربن في نسبٍ إليه عريقِ

ثاروا فكم قاسٍ عليّ فؤادُه ... لو لم يدلّسه لسانٌ شفيقِ

لله عينا مالئٍ من لؤلؤٍ ... عينيه — يومَ وداعنا — وعقيقِ

إن التي علّقت قلبَك ودَّها ... راحت بقلبٍ عنك غيرِ عَلوقِ

يا أهل "عبدةَ" هل يدٌ يفدَى بها ... قلبٌ أسيرٌ بينكم لطليقِ

أشعرتكم زمنا "بعبدةَ" غيرها ... لو رُجِّمَ المكروهُ بالموموقِ

لله ناشطةٌ جمعتُ بودّها الـ ... ـمحفوظِ باعي في حبالِ ربيقِ (١)

ما كان أوّلُ عهدٍ استودعته ... من قلب غانيةٍ إناءَ مريقِ

ولقد أخالفهنّ غاياتِ الهوى ... وطريقُهن من الشبابِ طريقي (٢)

كان الهوى سكرانَ تنظر عينُه ... حتى صحا فرأى بقلبٍ مفيقِ

ونأيتمُ ومن الغيوب مسترٌّ ... بالإجتماع يبين بالتفريقِ

فانفس بنفسك أن تحطّك حاجةٌ ... إلا وصبرُك مشرفٌ من نِيقِ (٣)

وآبرز لهم جَلْدا وغصنُك مصفرٌ ... تنفى الشماتة في آهتزاز وريقِ

كم باطنٍ غالطتُ — وهو مرمَّقٌ — ... عنه الحسودَ بظاهرٍ مرموقِ

والناس أهلُ الواحدِ المثرى وأعـ ... ـداءُ المقلّ بمعشرٍ وفريقِ

(١) الربيق : المشدود بالربقة وهو كل عروة تشد بها البهم . (٢) فى الأصل "طريق" .

(٣) النيق : أعلى موضع فى الجبل .

سلنى بهـم فلقـــد حلبت أمورَهم ... شـــطرين من محضٍ ومن ممذوقِ

وخبرتُهـــم خُـــبرَ اللبيب طباعَه ... فمعى على سَـعةٍ، عـلىَّ لضـــيقِ

ما إن ضننتُ على الظنون بصاحبٍ ... إلا سمحت به عـلى التحقيـــقِ

لا يُضـحك الأيامَ كذبُ مطامعى ... الا اذا طالبتُها بصــــــديقِ

بخـلوا بمـا وجدوا فلو قدروا لمـا ... وجدتْ لهـاةٌ أنْ تُبَـلَّ بريقِ

ويئستُ حتى لو بصُرت بنـارِهم ... لقِرًى شككتُ وقلتُ : نارُ حريق

ضحكتْ لىَ الأيامُ بعـــدَ عُبوسهـا ... بابن النبيّ عن المـنى المصـــدوق

آنست منـــه بوارقا أمطـــرننى ... ماءَ الحفاظ عـــلى خِلاب بروق

شرفٌ تنفس بجَرُه عن غُرَّتَىْ ... جـــدٍّ نبىٍّ أو أبٍ صِـــدِّيقِ

نسبٌ تعثَّرُ منـــه لو عَرضتْ له الـ ... أفــلاكُ فى صعبِ المجاز زليـــقِ

أرِجُ المنفَّس خِيلَ واصـفُ طِيبِه ... عَيًّا[1] بمسـك الفـارةِ المفتـــوقِ

واذا "قريشٌ" طاولت بفخارها ... فى عصر إيمـانٍ وعهدِ فسـوقِ،

بنـــتم كما بانت عــــلى أخواتهـا ... "بمِنى" ليالى النحـــرِ والتشريقِ[2]

تتوارثون الأرضَ إرثَ فريضـــةٍ ... وتُملَّكـون النـاسَ مِلكَ حقوقِ

يفديك مســـتعرٌ عليـــك فؤادُه ... حسدَ الحضيضِ محلَّة "العيُّوقِ"[3]

تفضى صفاتُك بين أضلعه الى ... جُرحٍ على سَـــبر[4] الأساةِ[5] عميـــقِ

لحـــق انتسـابُك باتفاقِ عـــزِّه ... فأراد فضـــلَك عامدا بلُحـــوقِ

حـــتى اذا المضـــمار ضمكما درى ... أن الســـوادَ لجبهـة المســـبوقِ

---

(١) العىّ : الذى فى منطقــه حصر . (٢) التشريق : ثلاثة أيام بعـد يوم النحر .

(٣) العيّوق : نجم مضىء فى طرف المجـرة يتلو الثريا . (٤) السـبر : اختبار الجـرح .

(٥) الاساة جمع آسٍ وهو الطبيب .

لما ٱدعى وأبيتَ نَكَّس رأسَــه ... تجـلَ المفاخر بالأب المسروقِ

اسمع — فقلبي من سماع معاشرٍ ... خُرْسٍ مكارمُهم لكلِّ نطوقِ —

— صَمُّوا فما فرقوا نِداىَ نداهُمُ ... ما قلتُ أم فى الضأن كان نعيق — ،

فى كلِّ يـومٍ بنتَ فكرٍ حرّةً ... تغـنَى ببهجتها عن التنميقِ

حمّلتها كدرَ الهموم وأقبلتْ ... فصفت خلوصَ الخمر بالراووقِ (١)

لم يُجـدِ لى تعبى بها فكأننى ... فيما يخيبُ ولدتُها لعقـوقِ

✦✦✦

وكتب الى الأستاذ أبى طالب يشكره على جميله اليه ، ويذم الزمان

أيا سكرَ الزمان متى تفيـقُ ... ويا سَعة المطالبِ كم تضيقُ ؟ !

ويا نَيـلَ الحظوظِ أما اليها ... بغير مذلّةٍ لفتى طريقُ ؟

أكلُّ فضيلةٍ كانت عليها ... تعين هى التى عنها تعوق ؟

قضى عكس الزمان الحقّ ألّا ... يفـوقَ بحاله من لا يموق (٢)

ولا يحمِى رقيـقَ العيش فيه ... سوى حرٍّ له وجهٌ صفيقُ

قضاءٌ ضلَّ رشـدُ الرأى فيه ... وكاذَبَ دونه الظنُّ الصدوقُ

وعتبٌ طال والأيامُ صُمٌّ ... كما يشكو الى الموج الغريقُ

تهشّمه الخزائمُ (٣) وهو صعبٌ (٤) ... وتخفضه الخصاصةُ (٥) وهو نِيقٌ (٦)

ألا بأبى يفارقنى أبىٌّ ... عظاتُ الدهر فيه لا تحيقُ

ونفس لم يبت حادى الأمانى ... يسوقُ رجاءَها فيما يسوقُ

(١) الراووق : المصفاة . (٢) يموق : يحمق . (٣) الخزائم جمع خزامة وهى حلقة من شعر تجعل فى وترة أنف البعير يشد فيها الزمام ، وفى الأصل "الجرائم" . (٤) الصعب : الفحل لم يركب . (٥) الخصاصة : الفقر . (٦) النيق : أعلى موضع فى الجبل .

اذا روّضتُهـا حمــلَ الأيادى	فقـــد كلفتُهـا ما لا تُطيـــقُ
عصت حـــتى مخادَعةَ الغـوانى	وطاعات الشـــباب بهـا تليقُ
أحسّت فى الهـوى هونا فأضحت	تُراع من الحسان بمـا يروقُ
وذى خصر دقيق ، لا جليـــلٌ	غذاه من الجمـال ولا دقيـــقُ
هجرتُ وغير أدمـــىَ الجـوارى	عليــه وغير أضلعىَ الخُفـــوقُ
سأسلك طُرقَهـا البيضـاءَ فردا	وأين إن آرتفعتُ بهـا الرفيقُ
لأحرز كآبن "أيوبٍ" صديقـا	ألا طالت على السـارى الطريقُ
تركتُ العـالمين له وإنى	بتركهمُ لواحـدِهم خليـــقُ
خليـــلى من بنى الوزراء خِرقٌ (١)	تصحّ بفرعهم منـــه العـــروقُ
شهيـد أن مجـــدَهمُ مُقـامٌ	على أقـــدامِ غيرهـــمُ زليـــقُ
"لأيوبٍ" مخايلُ فيـــه دلّت	كما دلّت عـــلى الغيث البروقُ
ومنه الفضل "إسماعيل" خالٍ	كما إكمال موقِ العين مُوقُ (٢)
مناسبُ ، ساقُ دوحتهـا طويلٌ	عريضٌ فى مفاخرهـــم عميـقُ
بأحسـابٍ يـــزلُّ العـارُ عنهـا	وأموالٍ مشت فيهـا الحقـــوقُ
ذوى لَسَنٍ وأفـــواهٍ رطابٍ	اذا يبست من العِىِّ الحلُوقُ
أولئك ماهُـــمُ وفضُلتَ شـــيئا	كأنك لاحقـا بهـــمُ سَـــبوقُ
فداؤك مكمَدٌ بك لا تُداوَى	برتَى بين جنبيـــه الفُتـــوقُ
اذا راماك (٣) من حسدٍ فأقصى (٤)	مكايدِ سهمه فيـــك المـــروقُ
يريد علاك وهـــو بهـا غريبٌ	وأنتَ مـــدرّبٌ فيهـا لبيـــقُ

(١) الخرق : السخىّ والفتى الحسن الكريم الخليقة . (٢) الموق : طرف العين مما يلى الأنف (٣) فى الأصل "رماك" . (٤) فى الأصل "فأقضى" .

اذا جاراك بان لمن يداف الـ(١) ـسوادُ ومن لجبهته الخَلوقُ(٢)
رآك – وأنت حسرتُه – بعينٍ كعين الطِّرف(٣) ماطلها العليقُ
بقيت لكبْتِه ولنا سرورًا فكم حسَنٍ يغيظ كما يشوقُ
يعود العيدُ دارَك ألفَ شمسٍ عليك غروبُها وبك الشروقُ
اذا هرِمَ الزمانُ أتاك وهْو الـ ـمهفهف فى غضارته الرشيقُ
حديث العزِّ ما وافى حديثٌ وحُجَّ لمثله البيتُ العتيقُ
عدَاتُ بك النوائبَ فاضمحلّت وهل يبقى على السيل الحريقُ
وسُدَّ بفضلِ همّتك اختلالى وقد جلّت عن النُّصْح(٤) الخروقُ
فككتَ توحشى وأسرتَ ودّى فهأنا ناشطٌ بك بل ربيقُ(٥)
جعلتَ الدهرَ يملك لى جوابا اذا ناديتُه : أين الصديقُ
ليسقِ مكارما لك واصلتنى سكوبٌ من حيا شكرى دَفوقُ
تناقلَه الرواةُ فكلّ بيتٍ له رهَجٌ(٦) كما هدرَ الفنيقُ(٧)
تسهّلَ فى فمِ الصعبانِ منه : الـ ـكلامُ الحلوُ والمعنى الدقيقُ
سبى الأبصارَ والأسماعَ حتى لطال به اللسانُ المستذيقُ
ولو قد لاكه غيرى لأعيا عليه فمات وهو به شريقُ
يبثُّ(٨) علاك فى النعم اللواتى نسيمُ المكرمات بها عبيقُ
فلو كُتمتْ أبتْ إلا انتشارا كما يتضوّع المسك الفتيقُ

(١) يداف : يمزج ويخلط . (٢) الخلوق : ضرب من الطيب تضمخ به جبهة الفرس اذا سبق . (٣) الطِّرف : الفرس . (٤) النصح : الخياطة . (٥) الربيق : المشدود بالربقة وهى كلّ عروة تشد بها البهم . (٦) الرهج : الشغب والفتنة . (٧) الفنيق : الفحل المكرم . (٨) فى الأصل "بيت" .

وِقاؤك مهجـــةٌ قُســمتْ ثلاثا فريقــاها اليـــك ولى فريقُ
وثقتُ بحسن ظنّى فيـــك ألا يقـــومَ لغيرِ ودّى فيــه سوقُ
وخفت عليك عينَ الدهرِ غُضّتْ فأزرقهـــا بأغراضى عَـــلوقُ
فـــا أرجـــو فمن انّى مــدِلٌّ وما أخشى فمن أنى شـــفيقُ

وكتب اليه فى المهرجان يهنّئه و يمازحه باستهداء جُبّة

من العار ــ لولا أنّ طيفَك يطرقُ ــ عُلوقُ الكرى بالعينِ والقلبُ يعشقُ
خيالٌ من "الزوراء" صدَّقتُ فرحةً به خدَعاتِ الليل والصبحُ أصدقُ
عجِبتُ له أدنى البعيــدَ وسمَّح الـ ـبخيلَ وأهـــدى النومَ وهو مؤرَّقُ
طوى رملتَىْ "يبرينَ" لا هو شائمٌ ولا خائلٌ من روعـــة البين مشفقُ
يمثّل من "خنساء" غيْرَى بأن ترى سوى وجهها شمسا على الأرض تُشرقُ
فنبّه مـن أيام "جَمْـــعٍ"(١) لبانةً يكاد لها جمعُ الضـــلوع يفــرّقُ
لدى ساعةٍ أما الضجيع فصــارمٌ وأما الوثيرُ مـن وسادٍ فَمِـــرفَقُ
وفى الركب هاماتٌ نشاوَى من الوجَى(٢) وأيدٍ طريحاتُ الكلالِ وأســؤُقُ
وشُعثٌ(٣) أراق الســيرُ ماءَ مَزادهم(٤) وهمّـــاتُهم فيـــه رَوايا(٥) تَدَفّـــقُ
بهم فـــوق لسعاتِ الرحالِ تململٌ وفيهم الى أخرى الأمانى تشـــوّقُ
كأن لهم عنـــد الكواكب حاجةً فأحشاؤهم مثلُ الكواكب تخفقُ
تُسرّون من "نجدٍ" حديثا، عيونُهم [به](٦) فى الأحاديث المريبة تَنطِقُ

(١) أيام جمع : أيام منى . (٢) الوجى : الحفا أو وجع فى الحافر . (٣) شعث جمع أشعث وهو المغبرّ المتلبد شعر الرأس . (٤) المزاد جمع مزادة وهى الراوية . (٥) الروايا جمع راوية وهى المزادة يجعل فيها الماء . (٦) ليست فى الأصل .

ورامٍ "بنجدٍ" خضّب السهمَ من دمى ... على ما اتّقيتُ وهو بعــدُ يفوّقُ

حبائل ما كانت ، وليست لحاظُه ... لها كُفّةٌ(١) مــنّى بعضو تعــلّقُ

هنيئا له أنى أداوَى بذكـره ... ـ وقد يئست منى الأساةُ(٢) ـ فأفرِقُ(٣)

وأنى جديد العهد مع كلّ غــدرةٍ ... وكلّ هوًى لا يحمل الغدرَ مخــلقُ

مريرةُ خُــلْقٍ فى الوفاء وشيمةٌ ... أنستُ بهــا ، والنــافرُ المتخلّقُ(٤)

وقــوّدنى للحبّ أولُ زاجــر ... أخبُّ على حــكم الزمان وأُعنقُ(٥)

وقد كنت صعبا فى مماكسة الهوى ... فعلّمنى جورُ النوى كيف أرفُقُ

وبصّرنى بالنــاس قلبٌ ممــرّنٌ(٦) ... ولحظٌ على ظنّ العيون محقّقُ

صديقَ منهم أين كنتُ ممــوّلا ... ثريّا عــدوّى أينمــا أنا مــملقُ(٧)

لوامــعُ قــولٍ كالسراب بلالُه ... بطىءٌ ، وسَرّ العينَ ما يترقرقُ

وشرٌّ علىّ من عــدوٍّ مكاشفٍ ... صــديقٌ طوى لى غشّه متمــلّقُ

ولكنّ فــذًّا(٨) منهمُ صحّ وحــدَهُ ... على وســبرى فى الرجال معمّقُ

فذاك ابن "أيوب" وإن لم نقس به ... بصيرٌ بعورات الأمور محــدّقُ

غريبٌ دعىٌّ فى المكارم شــقّه ... ـ على عُجمه ـ منك القعيدُ المعرّقُ

لك السوددُ العِدُّ الحلالُ ومجــدُه ... رُقُــوعٌ بأيدى السارقين تُلَفّقُ

يلوم على تقصيره عنــك حــظّه ... وآفتــه الحــدثانُ والعتقُ أسبقُ

ومتسعٌ يوم الخصــام بصــوته ... وباب الكلام الفصلِ عنه مضيّقُ

اذا مــلأت فاه الخطــابةُ سَرّه ... وما كلّ آلات الفصيح التشدّقُ

---

(١) الكفة : ما يصاد بها . (٢) الأساة جمع آس وهو الطبيب . (٣) فأفرق : فأبرأ . (٤) فى الأصــل " المتحلق " . (٥) الخبب والإعناق ضربان من السـير . (٦) فى الأصل " ممون " . (٧) الملق : الفقير . (٨) الفذ : الفرد ، وفى الأصل "فذا" .

وحاســدُ إقبالى عليــك بخُلّتى ومـــدحىَ حـــلوٌ منهما وممَــقُ
يرى فَرْكَةً(١) بى عن سواك ومسرحا وعنـــدك قلبى بالمـــودّة مُوثَقُ
وفى الناس من يبغى مكانَك من فمى وقلبىَ مشتاقٌ ورهنُــك أغـلقُ
ومحتجب بالمـلك يَشْرَق بابُه بموكبه الغـاشى ويرجَى ويُفرَقُ
دعانى لمـا أدركتَ منى ففـاته لسمعىَ أن أُصطاد نسرٌ محلّقُ
أراد برفـد طيبٍ(٢) ما ملكتَه بودٍّ وريحانُ المـودّة أعبـقُ
وعاب أناسٌ حشمتى وتأخُّرى بنفسى وأبوابُ المطالب تُطـرقُ
وقالوا : تقدّم قد تمـوّل ناقصٌ وأنت وأنت الواحدُ الفضلِ مخفِقُ
ويا بردَ صـدرى لو حُرِمتُ بعفّتى ويسرىَ لو أنى بفضـلىَ أرزقُ
تسمَّعْ فإنّ الإنبساطَ يقصّهـا أحاديثَ فى ســوق المحبـة تنفُقُ
هــل المهرجان اليـومَ إلا نذيرةٌ بهجمةِ أيّام من القُــرّ تُزهقُ؟
مصاعيبُ(٣) ترمى كالمصاعيبِ فى الدجى لُغـاما(٤) على الآفاق يطفو ويفـرقُ
ترى الليــلة الدهماء شهباءَ تحتــه ويُصبح منـــه أخضرُ اللون أبلقُ
اذا وليتْ كفُّ الشّمال آلتئـامَـــه فليس لكفّ الشمس منـه مفرّقُ
وإن مسّ جسما عاريًا مسّ مُحـرقا على برده، والثلجُ كالنـار تُحـرقُ
فهل أنتَ منـــه حافظى بحصينة(٥) تمــرُّ بهـا تلك السهـامُ فتزلَقُ
تضمّ الى الدفء الجمـالَ فوجهها الرّ قيقُ وَقاحٌ ليـلةَ القُــرّ(٦) يُصفَقُ
موافقــةٌ لونا ولينـا كأنمـا تجـارَى بعطفيها(٧) نضـارٌ وزئبــقُ

(١) الفركة : الكراهة والبغض . (٢) فى الأصل "أطيب" . (٣) المصاعيب جمع مصعب وهو الفحل . (٤) اللغام : زبد أفواه الإبل . (٥) يشير بالحصينة الى الجبة التى يستهديها . (٦) القر : البرد . (٧) فى الأصل "بعطفها" .

رعى أبواها من "خَوارزمَ" هضبةً ترِفُّ عليها الغاديات[1] وتُغدِقُ

ودبّا على أمنٍ وخصبٍ فلقّقا بجسميهما جسما يَقِى ويُمَرِّقُ

وقيضَ لها طَبٌّ[2] فلاءم بينها صَناعٌ[3] اذا ولّيته متأنِّقُ

أخو سفرٍ، من "إصبهان" وِلادُه، و"بغداد" منشاه، مُجِلٌّ مدقِّقُ

كأن الذى سدّى وألحَمَ روضةٌ تفتّحَ من حولك الربيع وتُشرِقُ

لها شافعٌ عند القلوب بأحمرٍ حكى دمَها تحنو عليه وتُشفِقُ

وقرّبها عند النفوس بأسودٍ على أبيضٍ أو أبيضٍ فيه أزرقُ

ومهما تكن من مُرسِلٍ أو مصوّرٍ فرأيك فى التقريب منه الموفَّقُ

وأحظى لدىّ[4] من صحيحٍ ببُطئِه[5] تخيَّطُ له ريحٌ بنشرك يَفتُقُ[6]

ويُفسدها عند المِطالُ فربما تُسابق لفظَ الوعد حزما فتسبِقُ

سواءٌ اذا عجّلتها زِينَ منكبٌ جمالا بها أو ليث[7] بالتاج مَفرِقُ[8]

ويقبح عند الودّ والمجد أنني أُرَى عاطلا منها وأنت مطوَّقُ

* * *

وقال عند ما آتصل من إكرام ربيب النعمة أبى معمّر بن إسماعيل الموفّق أبى علىّ وتفقُّده وحسنِ عشرته وجميلِ محضره ما يستحقُّ به الشكر، ويَسقط معه الضنُّ والمنافسة فى المدح، وكان على مرّ الأيام يحبُّ أن يُتحَف بشىء من شعره ويُكثرَ آستعمالَ دواعيه، فكتب اليه

---

(١) الغاديات : السحب تسير غدوة، وفى الأصل "العاديات". (٢) الطب : الخبير. (٣) الصناع : الحاذق الماهر. (٤) فى الأصل "الذى". (٥) فى الأصل هكذا "بطيئة". (٦) يفتق : يضوّع. (٧) ليث : لُفّ. (٨) المفرق : محل الفرق من شعر الرأس.

أما "والنقا" اولا هوى ظبيةِ "النقا" لمـا قلتُ : حيّا الله دارا ولا سـقَى
ولا أرسلتْ عينى مع الليــل لحظَها ترودُ السحابَ الجَوْنَ[1] من أين أبرقا
خليـلىَّ دعوى الودّ بابٌ موسَّـعٌ ولكن أرى بابَ التصادق ضيّقا
ألم تر يوم "الجوّ" ما كنت مبصرا فـلِمْ دمعىَ الجارى ودمعُك قد رقا[2]
نجوتَ وفى أسرِ الهوى لك صاحبٌ فهل أنت مغنٍ عنه أن رحتَ مطلَقا؟
سل الجيرة الغادين هل مُودَع الهوى أمينٌ وهل بعــد التفرّق ملتقى؟
وأين الظباءُ العـاطيات[3] الى الصِّبـا يجاذبنــه الأغصـانَ ريّانَ مورِقا
حلفتُ بدينِ الحبِّ يومَ "سويقةٍ" أليــةَ[4] مغــلوبٍ تألّى[5] ليصــدُقا،
لَمَـا بعث "القارىُّ[6]" زُرق نبـالِه بأقتــلَ من تلك العيــونِ وأرشقا
كأنّ فؤادى عنــد صائحةِ النــوى وقــد رقّ ضُعفا أن يجيشَ فيخفُقا
أديمٌ تفــرّاه[7] الزمانُ، فلم تجدْ به نَغَــلا[8] أيدى الخــوالقِ مُخلِقـا
ولمـّا أتقى نبــلَ الوشاة بصــبره رمتــه وشاةُ الدمع من حيثما أتقى
حَيَى الله عيشا ـ إن حَيِىَ العيش ـ "باللوى" تكدّر بعــدى صــفوُه وترنّقـا
وربّمـا بجنبىَ "غُرَّبٍ[10]" ما تمتّعتْ[9] لحـاظى به حتى أخيف فشرّقا
ضممتُ عليــه مغــرما ساعةً يدى وخلّيت لمـّا رعتُه عنــه مشفقـا
ولم أك لمـّا صِــدتُه فسرحتــه بأوّل قنّـاصٍ تجــنّى فأخفقـا

---

(١) الجون : الأسود . (٢) رقا : مسهّل رقأ الدمع بمعنى جفّ . (٣) العاطيات : الرافعات رءوسهن . (٤) الألية : القسم واليمين . (٥) تألّى : حلفَ . (٦) القارىّ : المنسوب الى القارَة وهى قبيلة مشهورة بالرماية ، ومنه المثل " أنصف القارة من راماها " . (٧) تفرّاه : بحثه وأستقصاه . (٨) النغل : فساد الأديم ، والخوالق : المقدّرات . (٩) الرئم : الظبى الخالص البياض . (١٠) غرّب كسكّر : اسم ماء بنجد .

وأعلم لو أن الشبيبةَ كُفَّتى (١) … هناك لأمسى فى حبالِىَ موثَقا

أليلَ سوادى ما أرى الصبحَ سَرّنى … فمن ردَّ لى ذاك الظلامَ فأغسقا (٢)

أبيت تَنزّى بين جنبىَّ لسعةٌ … لذكركِ شاف عضَّها غيرُ من رقى

أبَى خُلُق الأيّام إلا إساءةً … وأحسن حينا كُلفةً وتخلُّقا

أعاتبُها لو كان يجْدى عتابُها … ومن حالَمَ الخرقاءَ أصبح أخرقا (٣)

تعجّبُ منى أختُ "عذرةَ" أن رأت … بحبل بنى الدنيا رجائى معلَّقا

وقد عهدتنى منهُمُ ناصلَ المنى … اذا لمسوا ودّى (٤) تفلَّت مزلَقا

وقالت: متى آستذرى (٥) وقد كان مصحرا (٦) … وخبّ (٧) وقد كنا عهدناه [مُعنِقا] (٨)؟

اليك! فإنى ما آنحططتُ لرفدهم … وبى نَهَضانٌ عنه أن آتحلَّقا

وما كلّ يوم يأكل المرءُ ما جنت … يداه له قسرا ويشربُ ما آستقى

وإنى على ما قد ألِتُ محسَّدٌ … أكابدُ مفئودا (٩) علىَّ ومُحنِقا (١٠)

بُكيت بمغتابين لحمَ أخيهمُ … يبيت — وما جاعوا — لديهم ممزَّقا

اذا سَرَحتْ عنّى من الفضل هجمةٌ (١١) … أحالوا عليها عاقرين وسُرّقا

رمَونىَ إذ أضحوا هَوانا أخامصا (١٢) … ذُنابى (١٣) وأن أصبحت فى الفضل[مَفرِقا] (١٤)

أحدّوا أظافيرى فلم أحتلبهمُ … ولا لحمَ إلا ما أرى فيه مَعرَقا (١٥)

---

(١) الكفّة : حبالة تصاد بها الظباء . (٢) أغسق : أظلم . (٣) الأخرق : الأحمق .
(٤) فى الأصل "دى" . (٥) استذرى : استظلّ . (٦) المصحر : البارز للصحراء .
(٧) خبّ : سار سير الخبب وهو مراوحة الفرس بين يديه ورجليه . (٨) فى الأصل هكذا "مع" والمعنق : السارى سير العنق وهو سير سريع . (٩) المفئود : المريض الفؤاد .
(١٠) المحنق : الخانق . (١١) الهجمة : القطيع من الأبل . (١٢) أخامص جمع أخمص وهو باطن القدم مما لا يمس الأرض . (١٣) الذنابى : الذنَب . (١٤) المفرق : موضع فرق الشعر من الرأس ، وفى الأصل هكذا "م" . (١٥) يقال : عرق العظم عرقا ومعرقا : أكل ما عليه من لحم .

جنايةُ جهلٍ جرّها الحلمُ عنهمُ … وما كنتُ أخشى أن أرى الحلم مُوبقا
ولما رأيت العفوَ لا يستردّهم … ولا العتبَ صيّرتُ العتابَ التفرّقا
طرحتهمُ طرحَ السِّقاء تفجّرت … مخارزُه بالماء حولَين مُخلِقا
لئن نُفضتْ باليأس(١) كفّىَ منهمُ … وأصبحتُ مما يغمر العيشَ مملقا
فلى من ربيب النعمة اليوم نعمة … تردُّ الصِّبا جذلانَ والعمرَ مونِقا
خلائقُ إمّا ماءُ كَرْمٍ مرقرَقا … أغادَى به أو ماءُ مُزنٍ مصفَّقا
كأن الصَّبا جرّت عليه ذيولَها … أصيلا ، وفأرَ(٢) المسك عنها تفتّقا
أغرُّ هلالىٌّ صحيفةُ وجهه … اذا طلعتْ لم تُبق للشمس مَشرِقا
ترى الحسن فيها واقفا متحيّرا … وماءَ الحياءِ فوقها مترقرِقا
بليلُ يدِ المعروف لو مرّ كفُّه … على الصَّلد من أحجارِ ”سلمى“(٣) تدفّقا
يرى المالَ وِزرا فى الرقاب مجمَّعا … فيعيا به حتى يراه مفرَّقا
من النفر المطفين جدبَ بلادهم … بماءِ الندى الجارى اذا العامُ أحرقا
ميامين تلق الخيرَ يوم لقائهم … اذا خفتَ يُسرى(٤) أو تعيَّفتَ أبلقا(٥)
طِوال العمادِ طيّبٌ نشرُ أرضهم … حيُّون حتى تطرقَ الحربُ مَطرَقا
اذا ناهزَ الضيفُ البيوتَ تبادروا … له فاستوَوا فيه غنيّا ومخفقا
حَموا مجدهم بالسمهرىّ(٦) تطاعنا … وبالكَلِم المربى على الطعن منطِقا
تؤم الفتى منهم حليما فإن تقل … يقل مفحما(٧) لدى الخصوم ومرهقا
اذا أشعل الأبطالُ فى الحرب شوكةً … وطوها حفاةً أرجلا ثمّ أسؤقا

(١) فى الأصل ” بالناس “ . (٢) الفأر : نافجة المسك . (٣) سلمى : اسم جبل . (٤) اليسرى : خلاف اليمنى . ويشير الشاعر بذلك الى الطير التى تمرمن ناحية اليسار وهى مما يتشاءم منه . (٥) الأبلق : الذى فيه سواد و بياض والمراد به الغراب . (٦) السمهرى : الرمح . (٧) فى الأصل ”معجما“ .

بكلّ غلامٍ لا ترى السيفَ يحتمى   ولا الموتَ فى نصر الحفيظة يتّقى
اذا قام ساوى الرمحَ حتى يمسّه   بغاربه (١) أو طالَ عنه محلّقا
تمارت له أيدى القوابل إذ بدا!   أيبرز نَصلا (٢) أم جبينا مُطرّقا؟ (٣)
يدلُّ عليه بشرُه قبل نطقه   سنا الصبح أمّ الفجرَ ثمّ تألّقا
يطُرّ (٤) سنانا كاللسانِ حلت له الـ   ـنفوسُ اذا آشتاق الدماءَ تذوّقا
لهم قَصَبٌ فى المجد زدت مصلّيا (٥)   عليها وإن مرّوا أمامك سُبّقا
وما ضرّ سارى ليلةٍ لو تناثرت   كواكبُها ما آمتدَّ للقمر البقا
لك المجدُ، يلقى حاجبُ الشمس دونه   مواقفَ جَدٍّ لم يجد عنه مرتَقى
مناسبُ ودَّ النجمُ لو تستضيفه   اليها دعيّا أو تسمّيه ملحَقا
تمكّن "إسماعيلُ" منه ورهطُه   مكانَ تمنّى البدرُ لو أنه آرتقى
اذا عقَد النادى الفخارَ عددتُهم   أبًا فأبًا حتى عددتُ "الموفّقا"
أبوك الذى أعيا الملوكَ جفاؤُهُ   فأعطَوه لينا ما آشتهى وترفّقا
تَدارَكَهم والشرُّ يفغَرُ نحوهم   فأمسكَ فيه دون ذاك المخنّقا
دَعْوهُ ــ وأطرافُ الرماح تنوشهم ــ: لَحاقِ (٦)، فلبّاهم فأُكرِمَ مُلحِقا
فأنشَرهم مَوتى وأنقذَ بالقنا   نعيمَهم المعتادَ من قبضةِ الشقا
له صارمٌ ريّانُ من دمِ بعضهم   وآخرُ يحمى بعضَه أن يمزّقا
حَمَى بين "كرمانَ" الى الثغر سيفُه   وعمَّ بلادَ الجَوْرِ عدلا وطبّقا
ولم يُبقِ فوق الأرض للخوف مَسرَحا   ولا لجَناح الظلم فى الجَوْر مَخفَقا

---

(١) الغارب : أعلى الكتف . (٢) النصل : حديدة السيف . (٣) المطرق : المرقق، من قولهم : طرّق الصائغ الذهب والمراد منه غضارة الجبين ونضارته ورقّته . (٤) يطرّ : يحدّ .
(٥) المصلّى : ما يجيء ثانيا فى حلبة السباق . (٦) لحاق : اسم فعل أمر بمعنى آلحق .

وما مات حتى أبصـــر العيش ذلّةً ... وحمّلَ الأذى غُلًّا على الحرّ مُوبِقا
ولمـا أراد الدهرُ تعطيلَ جيـدِهِ ... من الشرف آختـارَ الحسام فطوّقا
فَــذاك من الأقرانِ أبترُ(١) لم يكن ... عتيقا ولا فى المجــد مثلَك مُعــرِقا
اذا لفَّــه المضمارُ يومَ عريكةٍ ... بنقعـك ولّى يسأل الأرضَ مَنفَقا
يرى مثــلَ عينيه لأسْــودِ قلبه ... عدوًّا عــلى أنحَى قنـاتك أزرقا

* * *

أبثُّك عن قلبٍ أحبّــك صادقا ... اذا كان حبٌّ خـدعةً وتملُّقا
وُصِـفتَ له قبــلَ اللقاء فشقتَهُ ... فلمّـا آلتقينا صـاده كَرَمُ اللقا
وأصبحتَ من قومٍ عليـه [أعزّةٍ](٢) ... قضى الدهرَ مختصّا بهـم متحقّقا
فزارك من أبكاره بكريمة ... من الخـيّرات الغرّ صــونا ورونقا
عزيزٌ على غير الكرام آفتراعها ... وإن ساق أعنـاقَ المهورِ وأصـدَقا
ولمـا رددتُ الراغبين ولم أدع ... عليهـا لرامٍ بالمــنى متسـلّقا،
أتانى بشيرُ الخير : أن قــد خطبتَها ... فما كدتُ مسرورا به أن أصدّقا
وزدتُ يقينا فيــك أنك واحــدٌ ... اذا آخترتَ كنتَ العـارفَ المتأنّقا
فأشرفُ نفسٍ همّــةً نفسُ ماجدٍ ... يبيت الى أمثـالهـا متشــوّقا
فــراعِ أبًا فى حفظها لم يجــدْ لهـا ... سَـواءك كفئا ما تَنخّــلَ وآنتقى
لئن سُمْتَنيهـا بادئا بطِــلابها ... لَتستثمرنْ منهـا البنـاء المنمّقا
بجوهرةِ الغــوّاصِ دلّاه حظُّــه ... عليهـا فأهــوَى ما آستطاع وعمّقا
وابرزها بيضـاءَ تنصُفُ كفَّه ... وميضا ترى وجهَ الغنى فيــه مشرِقا
وقــد أفسد النـاسُ المقالَ فلا ترى ... — لكثرةِ مَن يرضى المحالَ — محقّقا

---

(١) الأبتر : مقطوع النسل . (٢) ليست بالأصل .

أرى العيــدَ والنيروزَ جاءا فأعطيا ... أمانا من الأحداثِ فيــك وموثقا

فعُـادِ بذالِهِ لذّةَ العيش مُصبِحـا ... وراوحْ بهــذا سُنّة الدِّين مُغبِقا

وأعطِ وخـــذْ عمــرَ الزمان محكَّما ... وضحِّ وعيِّـــدْ ناحـــرا ومشرِّقا

فــلو كانت الأيامُ تَنطِقُ أفصحَـا ... بمـا فيك من حســن الثنـاء وأنطقا

وكــتب اليـــه

سَلكَ الخيـالُ[1] "بحاجرٍ" ... طَرْفا كــراه مـــؤرّقُهْ

حيًّـا خديعـــةَ خُلّبٍ ... ما بـــلَّ ربعـا مبرِقُـــهْ

وَهْنًـــا وراحَ وليس إ ... لّا ذكـــرُه وتشـــوُّقُهْ

وفتحتُ جفـــنى ثمّ عد ... تُ مع الطاعة أُطبِقُـــهْ

وأجيلُ كــفّى أستعيـ ... ـذُ بـــبُردِه أتعلّقُـــهْ

عجبا لمسرَى "أمِّ سعيـ ... ـدٍ" أىَّ تيــهٍ تخرُقُـــهْ

وخَطَـا ومشتبه الشـخو ... ص على الدجى تستـطرِقُهْ

ولقـــد تعـادل ظلّهـا ... بيـن البيوت فتفـــرقُهْ

زارت وتحت خـــدودنا ... رُكَــبُ المطىِّ وأسؤُقُهْ[2]

ورداءُ كــلّ مـــترِّف[3] ... منّـا "برامـــةَ" نُمـرقُهْ[4]

فتعطّـــرتْ بذيــولهـا ... كُثُبُ[5] "الغوير" "وأبرقُهْ"

وآسترجعت باقى كــرًى ... بتنـا آختطافا نســرِقُهْ

يا "روضــة العلمينِ" جا ... دكِ من "جُمادَى" ريِّقُهْ[6]

---

(١) فى الأصل "الجبال". (٢) أسؤق جمع ساق . (٣) المترف : الذى نعَّمته النعمة .

(٤) النمرق : الوسادة . (٥) كثب جمع كثيب وهو التل من الرمل . (٦) الريّق : المطر .

وأتاكِ من تُحفِ الربيـ ع بمـا يســرُّكِ مونِقُــهْ
ما خلتُ أنّ البين بعـ ـد تمـامِ بدرِكِ يمحَقُــهْ
حتى آطلعتُ وغــربهُ يبكى عليــه ومشــرِقُهْ
فى "الداعرِىّ" ـ به قِلا ص "الداعرِىّ" وأينقُـه (١) (٢) (٣)
ساقٍ يصــرِّف لحظَهُ كأسَ الغــرام، وتدفقُــهْ
ما عنــد عينِــكِ يا غزا لةُ فى طليــقٍ توثقُـــهْ؟
شــفتاكِ تَرشُــفُه مغا لطةً وطــرفُكِ يرشــقُهْ
فلمـاكِ يُــبرِدُ صــدرَه ولحـاظُ عينكِ تُحـرِقُهْ
زيديه وجــدا إنْ أقـ ـرَّ حشـاكِ وجــدٌ يُقلقهْ
وصِــلى السهـادَ بليــلِه إن كان طيفُــكِ يطرُقهْ (٤)
لا تحــرَجى بدمى فعنْـ ـقُكِ غــيرُها يتــطوّقهْ
أنا ذاكِ أطعمتِ الهـوى لحمى فبـات يمــزّقهْ
ورهنتُ قلــبى لاعبـا والحبّ عنــدكِ يُغلقُــهْ
القلب لى فاذا عشـــقـ ـتُ فربُّه من يعشقُهْ
أُنظـــر ولَيتَــك مفلتٌ أشـــطانَ من يتعلّقهْ (٥) (٦) (٧)
وآعـــلم بأنك مخــلِفٌ إلا فــؤادا تُنفقُـــهْ
زعمتْ بأنّ الشّيب ذنـ ـبٌ ليس يُغفـرُ مُوبِقُـــهْ
فمن الذى دامت له حَدقُ الكــواعب ترمقُهْ

---

(١) قلاص جمع قلوص وهى الشابّة من الإبل . (٢) الداعرىّ نسبة الى داعر، وهو فحل تنسب اليه الإبل . (٣) الأينق جمع ناقة . (٤) فى الأصل وكذا "الساد" . (٥) فى الأصل "وليك" . (٦) فى الأصل "مفلت" . (٧) الأشطان جمع شطن وهو الحبل .

يصدا الطرير[1] وأى غصـ ... ـن لا يصوّح مورقُه

لا تنظرى بالفجر إلا ... لا أن يبيّض أزرقُه

وعبيث[2] فى فلتات عيـ ... ـش بالعفاف أرمّقُه[3]

من لى بنهضة ناشط[4] ... أسر[5] المقادر[6] مطلقُه

والحظّ تخدج[7] أمُّه ... لى أو تتمّ[8] فتحمقُه

ما أتعب المحروم يأ ... مل أن حرصا يرزقُه

تستعبد الحرَّ المطا ... مع والقناعة تعتقُه

والوجه إن كُفِىَ السؤا ... ل فليس شىء يخلقُه

ولقد فرجت الى العلا ... نقعا يضيق مختّقُه

متشهرا فى جوّه ... حتى كأنى أبلقُه

وبليدة الأعلام ينـ ... ـكر تربها مستنشقُه

يعيا بذرع بساطها ... رحب المطى وضيّقُه

كتب الرسيم[9] وخدّها ... تحت المناسم[10] مهرقه[11]

طورا يحقّق فوقها ... سطرا وطورا يمشّقُه

خاوصتها[12] والليل يفـ ... ـلى بالثريّا مفرقُه[13]

فردا يساعد وحشتى ... عضب[14] جديد مخلقُه

---

(١) الطرير : السنان المحدّد . (٢) فى الأصل هكذا "وعبث" . (٣) أرمقه : أمسك رمقه . (٤) فى الأصل هكذا "ناسط" . (٥) فى الأصل "سر" . (٦) المقادر : المقادير . (٧) تخدج : يقال أخدجت الدابة أى جاءت بولد ناقص الخلق ، وفى الأصل هكذا "تحدج" . (٨) فى الأصل هكذا "تم" . (٩) الرسيم : ضرب من السير . (١٠) المناسم جمع منسم وهو الخف . (١١) المهرق : الصحيفة . (١٢) خاوصتها : نظرت اليها محدقا نظرى . (١٣) المفرق : محل الفرق من شعر الرأس . (١٤) العضب : الحسام القاطع .

يسلو عن الرفقاء من ... أنس به مسترفقُه
ريّانُ إن يبس الثرا ... دُ ضُحًى سقانى ريقُه (١)
طورا يوشّح منكبيّ ... وتارةً أتنطّقُه (٢)
ومردّدٍ (٣) بين السوا ... بق لم يهجّن معرقُه
سهل اذا استلب المدى ... أكلَ الطريقَ تدفُّقُه
لى حلمه ووقارُه ... وعلى المهامه أولقُه (٤)
يرمى بواسعةٍ (٥) على ... كذبِ النواظرِ تصدُقُه
لم أجزِه إذ بات يُسـ ... ـمِنُ لى الحظوظَ وأعرُقُه (٦)
حتى علقتُ بساهرٍ ... حبُّ الضيوف يؤرّقُه
جذلان كلّ عشية ... فيها المغارمُ تُغبقُه
متبسم السنوات ضا ... فى القعب (٧) فيها مُتأَقُه (٨)
سيلٌ على ألواذِه (٩) ... أدمانُه (١٠) أو أنوُقُه (١١)
للسيف ما ترضاه منـ ... ـها العينُ أو تستونقُه (١٢)
يلقاك أبلجُ وجهه ... قبلَ العطاء ومشرقُه
كالبرق بعد وميضه ... خلفَ السحاب تدفُّقُه

---

(١) الرّيق : المطر . (٢) أتنطّقه : أجعله نطاقا . (٣) يريد بذلك فرسا .
(٤) المهامه : المفاوز والأولق : الطيش والنزو وما يشابههما . (٥) يريد بالواسعة : العين لاتساع مداها فى النظر . (٦) أعرُقُه : آخذ ما على عظمه من اللحم . (٧) القعب : القدح الضخم .
(٨) متأق . مملوء . (٩) ألواذ جمع لوذ وهو منعطف الوادى أو الناحية . (١٠) الأدمان جمع آدم وهو البعير تعلو بياضه غبرة . (١١) أنوق جمع ناقة ، وقد ورد هذا البيت فى الأصل هكذا رسما وشكلا ولم نوفق الى فهمه بأكثر مما رجّحنا .

يَسـلّ على الوا د ه ... أدمانه أو موقُـه

(١٢) تستونقه : تستحسنه وتعجب به .

يستنُّ ماءُ الحسن فيـ ـه عـذبُهُ ومرقـرقُهْ
متموّل من كسبه الـ ـعـالى لجـودٍ يملِقُهْ
كالليث يأنفُ ما كلا إلا عَبيطًا (١) يُشرِقُـهْ
ضمنت صـوارمُه له أرزاقَ مَن يسترزقُهْ
فالسـيفُ يجمع ماله والمكرمات تفرِّقُـهْ
من آل "إسماعيل" منتـ ـشر الفـخار معـرِّقُهْ
بيت قعيـد العـز قـ ـلَّ دخيـلُه أو ملصَـقُهْ
نسبٌ كأنّ الشمس إشـ ـراقا وعـزا تعبقُـهْ
ويودّ أعـلى الشهب يد ـنا أنـه يستلحقُهْ
صعبٌ تزِلّ صـفاتُه (٢) قـدمَ الدعىّ وتُزلِقُـهُ
لا يرتقيـه – طائرا – عيبٌ ولا يتسـلّقُهْ
وُسطاهُ "إسماعيلُه" ومدى علاه "وفقُـهْ"
شـرفٌ دنا ونأى محـ ـوّمـه لكم ومحلّقـهْ
بأبيـك تمّ عمـادُه وسرى فعـمّ مطبّقُـهْ
سبق الرجال، فبذّهم – مستعجلين – ترفقُـهْ
ومضى يصيب برأيـه مثـلَ الرِّماءِ (٣) يفـوّقُهْ
شرف بتيجان المـلو ك رِواقُـه أو فيلقُـهْ
ما بين رأسٍ قد حمى عنـه ورأسٍ يفلُقُـهْ
قاد العـلا وجرى ففا تَ وليس تُدرَك سُـبّقُهْ

(١) العبيط : الدم الطرىّ . (٢) الصفاة : الحجر الصلب الضخم لاينبت . (٣) الرماء : الرمى .

ورأيتُ سـعيك خلفه فعـ ـلمتُ أنـــك تلحقُـــهْ

ما مات مجـــدٌ أوّلٌ تتـــلوه[١] أنتَ. وتنسُـــقُهْ

تَنمِي[٢] الطروسُ لفضلكــم[٣] خــبرًا وأنتَ تحقِّقُــهْ

ومـــتى تعـــلّمَ ناشئٌ كرما فنفسك تُحـــذِقُهْ

كم بابِ حظٍّ باسمــك ا لـ ـمحبوب يُفتَحُ مُغلَقُـــهْ

وسحـابِ جــودٍ عن يميـ ـنك عمَّ ربعى مغــــدِقُهْ

لى وبـــلُهُ ولمن ينـا فسنى الفضــيلةَ مُصعِقُهْ

وقصائدٍ[٤] كرمت وقــد فضـــحَ اللــئيمَ تخلّقُــهْ

يحـــلو جنـاها كلّما شافهتَـــه لتـــذوّقُــهْ[٥]

ومــلامة عــثَرتْ بسمـ ـعــك[٦] فىّ لا تتخــرّقُهْ[٧]

سمــع حديدات العـــوا ذل فى النـدى لا تسلُقُهْ

فليسقيَنَّ رياضَ عرْ ضــك فى الندى مغدودقُهْ[٨]

من كلّ سيّارٍ بحكـم ركّاضُهُ أو معنِقُــهْ[٩]

يمضى فيعتـــلق الصخو رَ بوصف مجـــدك مفلقُهْ

من معدن الكلمِ الغريـ ـب ســـواى لا يتطـــرّقُهْ

أحرزت محكمَــه اذا آحـ ـتطبَ الكلامَ ملفِّقُــهْ

لك[١٠] حلمُــه وعلى عـــد وّ ك طيشُـــهُ وتنزّقُــهْ

---

(١) فى الأصل "تتلوم" . (٢) فى الأصل "منى" . (٣) فى الأصل "بفضلكم".

(٤) فى الأصل "وفضائل" . (٥) فى الأصل "لتذوقه" . (٦) فى الأصل "فسمعك" .

(٧) فى الأصل "تخرقه" . (٨) المغدودق : ما كثر قطره من المطر، وفى الأصل "معرورقه" .

(٩) المعنق : السارى سيرا سريعا وهو من العنق . (١٠) فى الأصل "لكم" .

يأتيك زورا(١) كلّ يو ... م هـديّةٍ تتسوّقه

يحبوك خالصتى بـه ... وسواك من أتملّقه

كم مهرجانٍ راح منـ ... ـه وكلّ يوم ترمُقه

خلّيته عطـلا أسـ ... ـوّره(٢) بـه وأطوّقه(٣)

لا يعجب الحسّاد أن ... يصفو(٤) لمدحك ممذقه(٥)

رجلٌ حلا بك عيشُه ... فحلا بسمعك منطقه

وكتب الى الرئيس أبى طالب بن أيوب يهنّئه بالنيروز

يا ديار الحى من جنب(٦) الحمى ... عدتِ ظنّا بعد ما كنتِ حقيقه

أخذ(٧) الدهرُ قشيبا رائقا ... من مغانيكِ وأعطاكِ سُحوقه(٨)

فلئن كنت عدوّ العين من ... بعدهم إنكِ للقلب صديقه

خلتُ لمّا [لم](٩) أطق حمل النوى ... أن تلك الدمنَ الصمّ مطيقه

لم أكن أعلم حتى نحلَتْ ... كنحولى أنها مثلى مشوقه

أين جيرانى بها ، لهفى بهم ... لهفة سكرتُها غيرُ مفيقه

وظباءٌ " بالحمى " ناشطةٌ ... ظنّها السحرُ رجيات ربيقه(١٠)

شام أصحابى على " كاظمةٍ " ... عارضا يحمل وطفاء(١١) دفوقه

فتماروا ، ثم قالوا : وقفةً ... علّه يطرحُ " بالنّعف " وُسُوقه(١٢)

(١) الزور : الزائر . (٢) أسوره به : أجعل له سوارا . (٣) أطوقه : أجعل له طوقا .
(٤) فى الأصل "صفا" . (٥) المذق : المخلوط المشوب . (٦) فى الأصل " حب " .
(٧) فى الأصل " أحد" . (٨) سحوق جمع سحق وهو الثوب البالى . (٩) ليست بالأصل .
(١٠) ربيقه : موثقه فى الربقة وهى عروة تشد بها الدوابّ . (١١) الوطفاء : السحابة المسترخية لكثرة مائها . (١٢) وسوق جمع وسق وهو الحمل الثقيل .

قلت : أما إن فعلتم فاحبسوا ودعوا نِضوى[(١)] يمضى وطريقه

لم تقصّر بى مجارى أدمعى فأرود الغيثَ أستبكى بروقه

وبذاك " الحـق " إن أدركته لىَ قلبٌ سابِقٌ[(٢)] أبغى لحوقه

وهلال لا ومن أغربه وهُوَ المالكُ أن يَقضِى شُروقَهْ،

ما ظننت الرشفَ محظور اللى حظره [الخمرةَ[(٣)]] حتى ذقتُ ريقه

يا لواة[(٤)] الدين عن ميسرةٍ كيف للعسر أن ينسى حقوقه

ألَما أبصرتُمُ من ولهى والنوى تغشمنى قلتم : فَروقه[(٥)]

كيف لا تُشفِقُ من بينكُمُ مهجتى وهى من الموت شفيقه

أرفُقوا يا ربما ذاق الهوى واثقٌ من قسوة ألا يذوقه

واَقسموا قلبيَ فيما بيننا لى فريقٌ وخذوا أنتم فريقه

ما على دهرٍ سقى لى سَجلُهُ[(٦)] نُطفًا[(٧)] من عيشة الدنيا الرقيقه[(٨)]

حيثُ أيامى ملوكٌ كلُّها ومن الأيام أملاكٌ وسُوقَهْ

وفتاةُ العمر بيضاءُ الطُّلى وردةُ الخدّين سوداءُ العقيقه[(٩)]

ولحاظ المقبِل المرضَى التى تنصُلُ اليوم وتنبو بى علوقه

فى ظلالٍ للصِّبا سابغةٍ وغصونٍ للأمانىّ وريقه

لوثنى لى راجعا من عِطفه لا ولكن ساعةٌ منه أنيقه

زمنٌ أمكننى من رأسه فتعسّفتُ به غير الطريقه

لانَ فى كفّى فأرخيتُ له فمضى كالسهم لم أملك مُروقه

---

(١) النضو : البعير المهزول . (٢) فى الأصل " شائق " . (٣) ليست بالأصل .

(٤) لواة الدين : المماطلون . (٥) الفروقة : الشديد الفزع . (٦) السجل : الدلو .

(٧) النطف جمع نطفة وهي ماء يبق فى الدلو . (٨) فى الأصل " الرفيقة " . (٩) العقيقة : شعر كل مولود .

إن يكن متعــةَ دنيـا فارقت ... فعــلى الشيمة نفسى والخليقَــهْ
لا يدى تُعطى على الهــون ولا ... تحــواتى بعصا الضيم مَسوقَــهْ
أنا ذاك العضبُ (١) لا تمنعــه ... قــلّة التصميم فى يوم الحقيقَــهْ
وقُــوى كفّى معقــودٌ لهـا ... "بابن أيوبَ" علاقاتٌ وثيقَهْ
الفتى كلّ الفتى إنْ خذلت ... أختها الكفُّ وذمّ السهــمُ فُوقَهْ (٢)
وأخــو الليــلة نهّاضٌ اذا ... ما آستهبّتْهُ الملمّاتُ الطّروقَــهْ
لُذْ بــه وآنــدبه للجُــلّى ولا ... تخش من غفــلة عذرٍ أن تعوقَهْ
يُخــرجُ الصــلُّ (٣) الى حاجاته ... راقيـا فى كلّ زلاءَ زليقَــهْ
واذا رابتــك من خُلْقِ أخٍ ... هفــوةٌ تخلِطُ بالبرّ عُقــوقَــهْ
فعليكَ السهــلَ من أخلاقِــهِ ... فتضوّعْ مسكَه وآشربْ رحيقَهْ
من رجالٍ ســبقُوا فى مَهَــلٍ ... وخَدانَ (٤) النجيم ســيرًا وعنيقَــهْ (٥)
وآنتضوا من طبع أيمانهــمُ ... كُلّ عضبٍ (٦) يأمن الجفنُ (٧) دُلوقَهْ (٨)
فقَــرٌ تحملُهـا مــوقَــرةٌ ... صحــفٌ لِقحتُها (٩) الدُّهمُ (١٠) المُليقَهْ (١١)
كلّ بيضــاءَ سمينٌ متنُهـا ... ضمّنتهـا الســحرَ هيفاءُ دقيقَهْ
فاذا الأوجــه غطّت لونهـا ... غَبْرةٌ وآستخلفَ الورسُ (١٢) خُلوقَهْ (١٣)
شهد الحربَ سُــفورا منهــمُ ... غلمةٌ تحت قَتام (١٤) النقــع (١٥) روقَهْ (١٦)

(١) العضب : الســيف القاطع . (٢) الفوق : مشــق رأس السهم حيث يقع الوتر .
(٣) الصل : الأفعى . (٤) الوخدان : ضرب من السير . (٥) العنيق : ضرب من السير السريع .
(٦) العضب : السيف القاطع يشير به الى القلم . (٧) الجفن : غمد السيف . (٨) الدلوق : خروج السيف من غمده . (٩) اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن وهى هنا مجاز ويريد بها الدواة .
(١٠) الدهم : السود ويشير بها الى الدوايات فيها الحبر . (١١) المليقة : التى جعل لها ليقة وأُصلح مدادها . (١٢) الورس نبات أصفر يصبغ به . (١٣) الخلوق ضرب من الطيب مائع فيه صفرة .
(١٤) القتام : الغبار الأسود . (١٥) النقع : الغبار . (١٦) روقة : حسان .

بأكفٍّ كالظبا مصقولة ووجـوهٍ كالدنانير عتيقـه
واذا الليـلةُ ماتت نارُهـا وآستلان الكلبُ بالأرض لُصوقَهْ
فطوى الراعى على أضـلاعه [كشحه][1]وآستعدت[2]الشُعْرَ الحليقَهْ
برزت تَفهـقُ[3] فى أبياتهـم كلُّ جوفاءَ من الشِّيزى[4] عميقَهْ
لا يبالى عاقرُ البدنِ[5] لهـا أيُّها الواجبةُ[6] الجنبِ الشريقه[7]
نِلتَهـم طولا وزيَّدتَ فمـا شُقَّ نقعٌ لم تكن أنت سَبوقَهْ
طلبوا مثلك فآستنُّوا[8] قَـرى[9] من "أبان"[10] يستبيضون أنوقـه[11]
كنتَ فيهـم واحـدا ليس له من أخٍ لكن له الشمسُ شقيقَهْ
كم لإسعادك عنـدى من يدٍ سبغت[12] ظلًّا ووجهى والوديقـه[13]
ألحفتْ[14] حالىَ منهـا نعمـةٌ نعمةُ المـزنةِ تنثوها[15] الحـديقَهْ
لم يخـرِّق زمـنى فى جانبٍ لِىَ إلّا قمتَ نصّاحا[16] خُروقَـهْ
نخليـلٌ فاسـدٌ أصلحتـهُ وقريضٌ كاسـدٌ نفَّقتَ سوقَهْ
فابـق لى ما هتفت باكيـةٌ شجوَها، أو حنَّ فحلٌ لطروقه[17]
سامعا كلَّ بعيـدٍ صيتُهـا تنفض الأرض ولو كانت سَحوقه[18]

---

(١) ليست بالأصل، والكشح: الوشاح. (٢) استعدت: استنصرت، وفى الأصل "استعذبت" والشُعْر جمع شَعْراء وهى الكثيرة الشعر الطويلته. (٣) تفهق: تمتلىء حتى تنصبّ. (٤) الشيزى: الجفان والقصاع. (٥) البدن جمع بدنة وهى الناقة تنحر. (٦) الواجبة: الساقطة. (٧) الشريقة: التى غصّت. (٨) استنّوا: اتخـذوه سننا أى طريقا. (٩) القَرى: الظهر. (١٠) أبان: اسم جبل. (١١) الأنوق: ذكر الرخم وقيل العقاب، وفى المثل "هو أعز من بيض الأنوق" يضرب للمحال. (١٢) سبغت: طالت وآتسعت. (١٣) الوديقة: شدّة حر الهاجرة. (١٤) فى الأصل "ألحقت". (١٥) تنثوها: تذيعها. (١٦) نصّاحا: خائطا. (١٧) الطروقة: الناقة يطرقها الفحل. (١٨) كذا بالأصل ولعلها "سحيقة" بمعنى بعيدة أو لعلها الطويلة على التشبيه بالنخلة.

عَبْلَةَ(١) المعنَى وإن صاغ لها … طبعُها «للعرْبِ» ألفاظا رشيقَهْ

تدَعَ العِرضَ(٢) اذا ديفت به … عِترةٌ(٣) تنسب «دارين»(٤) فتيقَهْ(٥)

يحمل النيروزُ منها تحفةً … هى أن يُحمَدَ مُهديها خليقَهْ

فِعلُها فى الوجهِ أن تبسطَهُ … جَذِلا والصدرِ أن تَفرِجَ ضِيقَهْ

(٢٨٧)

* * *

وكتب الى الأستاذ أبى الحسن المختار بن عبيد الله بن الذهبى الكاتب

دَرَّ لها خِلفُ(٦) الغمام فسقَى … ومدَّ من ظلِّ عليها ما وقَى

ورابها ليلُ «جُمادى» أن ترى … من لهب «الجوزاء» يوما محرِقا

فنهضَتْ بسُوقها(٧) ودرَجتْ … كَهلًا(٨) أثيثا(٩) ومَعينا(١٠) غَدَقا(١١)

حتّى تخيلت رباها حُوِّلتْ … بالخصب غُدْرا(١٢) وحَصاها وَرَقا

لو جاء يُعطى خبرا عن جنةٍ . رائدُها راعيَها لصدَقا

خضنا بألحاظِ العيون طُرُقا … منها وأخفافِ المطىّ طُرُقا

ملجَمَةٌ تركب من دهمائها … على متاعِ(١٣) من ضحاها غَسَقا(١٤)

تحبِسنا صدورُها والحبُّ فى … أعجازها يجذُب مَن تعلَّقا

كلّ فتًى يَخلُفُ(١٥) وجهَ شمسِها … غاربُه حتى يعودَ المَشرِقا

---

(١) العبلة : الضخمة . (٢) ديفت : مزجت وخلطت . (٣) العِترة : القطعة من المسك الخالص . (٤) دارين : بلدة مشهورة بالمسك . (٥) فتيقة : ساطعة الرائحة .
(٦) الخلف : حلمة الضرع . (٧) سوق جمع ساق . (٨) الكهل : النبت المتناهى .
(٩) الأثيث : الكثير العظيم . (١٠) المعين : الماء الجارى على وجه الأرض ظاهرا تراه العين .
(١١) الغدق : الماء الكثير . (١٢) غدر جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل .
(١٣) متاع الضحى : ارتفاعه . (١٤) غسق : أظلم . (١٥) فى الأصل "يحلف" . . .

اذا المطـايا لجأتْ ببـــوعها	الى الوريد[1] دعـــدعوها العَنَقـا[2]
تعسّفا حـــتى يُنقّيَ[3] ســـوقَها	طـــلابُها أيّامَها عـــلى "النَّقـا"
تغرَنّ "بالجـــرعاء" ياسائقَهـا	فإن ونت شـيئا فزدها " الأبرقا "
واْغنَ عن السياطِ فى أرجوزة	"بحاجرٍ" ترى السهامَ المُـــرَّقا
واْسـتقبل الريحَ الصَّبـا بخُطمها[4]	تجـدْ سُرًى ما وجـــدتْ منطلَقا
إنّ لهـا عنـد " الحمى " وأهــلِه	إنْ حَمَلتْ لُعلَقـا وعُلَقـا[5]
والجانب الممنوع من "وادى الغضا"	هنأً[6] ما نقّبَ[7] أو ما عـــرقا[8]
كم "بالغضا" يازفرتى على "الغضا"	من شافع رُدَّ وعهـــد سرِقا
ونظـــرةٍ لله منهـا حكمُهُ	يومَ تخاصِمُ القلوبُ الحـــدَقا
وطـارحٍ للنَّكـثِ يَثـــنِى حبلَه	حـــتى يكونَ الرُّمّةَ[9] الممـــزّقا
قد حبسوا "ظبيةَ" هـــلّا حبسوا	دمعـا الى ذكـرتها مستبِقـا
وبرِدَ الليـــلُ عـــلى ما لَقِقــوا	لكنهـم لا يُبرِدون الحُـــرَقا
أما — وكان قسما أبرّه — :	والظَّـــلْمِ[10] ما أشَـــمَّ أو ما ذوقا ،
والبانِ يحنـــو هذه لهـــذه	بالجيـــدِ حـــتى دنيـا فاْعتنقا ،
وما سرى بين الغرار[11] والكرى	طيفٌ لهـا ردَّ الظـــلامَ فلَقـا[12] ،
خطْفَ القـلوب ثمّ طارت شُـعَبا	أضغاثُه عـــنّى وطاحت شُـقَقا[13] ،

(١) : دعدعوها : دعوها من قولهم دعدع بالمعـز اذا دعوها . (٢) العنق : ضرب من السير السريع . (٣) ينقّ : يأخذ نِقيها وهو المخّ الذى فى العظم . (٤) الخطم جمع خطام وهو حبل يوضع فى أنف الدابة . (٥) العلق جمع عُلقة وهى ما يتعلّق به . (٦) هنأ الإبل : طلاها بالهناء وهو القطران . (٧) نقّب : أجرب . (٨) عرق العظم : أخذ ما عليـه من اللحم . (٩) الرمة : الحبل البالى . (١٠) الظلم : ماء الأسنان . (١١) الغرار : القليل من النوم . (١٢) الفلق : الصبح . (١٣) فى الأصل "شفقا" .

فقمت [أجلو] (١) لَبس (٢) طرفى ويدى ... أنفض رحلى وأقصّ (٣) الطُّرُقا ،

ثم وهمت أن بدرا زارنى ... فبتّ لا أسألُ إلا الأفقا :

لقد مشى الواشى على سمعى بها ... فى ضيّق الفجّ زليقِ المرتقَى

شأنَك لا يُبرى الجوى إلا الذى ... أدوى (٤) ولا يفرِى (٥) سوى من خلقا (٦)

قد عوّذوا وعقدوا تمائمى (٧) ... وأنقع السلوةَ راقٍ وسقى

وما يعود الحولُ إلا عادنى ... منها مسيسٌ لا يُحَلُّ بالرُّقَى

وليلةٍ والحىّ بعدُ لم يخف ... أعينهم ولا الغيورَ المشفِقا

واللامزُ (٨) المرتابُ سلْمٌ صدرُه ... وجارةُ البيت التى لا تتّقى

قِسمتُها شكلان من وصالها ... وعتبها بين النعيم والشقا

ثم افترقنا ومعى وثيقةٌ ... تُقرِب ما بين الفراق واللقا

يا صاحبى : وقولةٍ مصمِّيَة ... لا تفتح الألسنُ منها مُغلَقا ،

يغنى اللهاةَ (٩) رفعُها وخفضُها ... حتى يقال : غلِطا أو سرِقا ،

ترى البليغ حولها مجمجِما (١٠) ... يومَ تراه الأشدقَ المنطَّقا ،

من أمّهات الفضل إما نُثرت ... أو نُظمت كانت لجوجا (١١) عنقا ،

ركبتُها أقتحم النادى بها ... جامحةً تفوت (١٢) بى أن أُلحقا ،

---

(١) ليست بالأصل . (٢) اللبس الإشكال وعدم الوضوح ، وفى الأصل "ليس" .
(٣) أقصّ : أتتبع وأقتفى ، وفى الأصل "أفضّ" . (٤) أدوى : أمرض . (٥) يفرى : يشق . (٦) خلق الأديم : قدّره وقدّه قبل قطعه وشقّه . (٧) التمائم جمع تميمة : وهى عوذة تعلّق على الصغار مخافة العين . (٨) اللامز : من يشير بعينه ونحوها من كلام خفى ، وفى الأصل "الملمز" وهو خطأ . (٩) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق . (١٠) المجمجم : من لا يبين الكلام . (١١) اللجوج : الملازم للأمر يأبى أن ينصرف عنه عنادا . (١٢) فى الأصل "تفوب" .

(٢٨٨)

تضحك بالمجـــرى معى يريدها ضِحْــكَ الصَّنّاع[١] بيمين أخرقا[٢]،

... ... نعيمها ... ... ظهرها والعنقا[٣]،

من اللواتى تستصبُّ نحـوها نفسَ الوقــور أو يكونَ الأنزقا،

لو راودت أشمــطَ وفى مائــةً يشتو "بقدس" ويصيف "الأبلقا"،

يعتــجر[٤] الشَّــملةَ[٥] حيطانا اذا قــرٌّ[٦] و يحْنشُّ[٧] اذا ما آســترزقا،

أهـــوى لها يأخذ من عاجلها أوبقـــه[٨] آجلهـا ما أوبقا،

حلتُ عنهـا حـــرّةً كريمـةً لو ألصق العـارُ بهـا ما اِصــقا،

وصاحبٍ كالغُـلّ بات منكبى من رِبقـــة الودّ بــه مطوّقا،

يكرع منى فى نمــيرٍ[٩] سـلسلٍ وأســتقيــه مِلِحا مرنَّقا[١٠]،

أرمُّ من أخــلاقه مـــلوّنا يصــبغ لى فى كلّ يومٍ خُلُقا،

تكثّرتْ بعــدى من أسرتى نفسى فأصــبحتُ المقــلَّ المملِقا،

وطوّفتْ تســأل فى قبــائلٍ غريبــةٍ : أين تكون الأصــدقا،

فمـا رأت إلا النِّــفاق مســدَلا عــلى المــودّات وإلا الملَــقا:

شمــتُ الأنام خلّبــا إلا فــتى من "قيصرٍ" أمطرَ لمـا برقا

أفرَقَ[١١] رأسُ الدهر من جنونه بـــه وصـــحّ رأيُـــه وحقّقـا

غنيتُ منـــه بأخٍ فــــداؤه كلُّ أخٍ أصبحتُ منــه محفقا

وملئتْ كفّى بـــه وأفضلت جـــوهرةً أمَّ شُـــفوفٍ ونقـا[١٢]

---

(١) الصناع : الحاذق فى الصـــنعة . (٢) الأخرق : الأحق الذى لا يحسن الصـــنعة .
(٣) هذا البيت مطموس فى الأصل الفتوغرافى ولم نتبيّن منه إلا الكلمات التى أثبتناها . (٤) يعتجر : يتلفف . (٥) الشملة : الكساء . (٦) قر : برد . (٧) يحتش : يطلب الحشيش ويجمعه . (٨) أوبقه : أهلكه . (٩) النمير السلسل : الماء العذب . (١٠) المملح المرنق : الماء الملح الكدر . (١١) أفرق : برئ وأفاق . (١٢) أم الشفوف والنقاء : اللؤلؤة لصفائها .

باع بها الغـوّاصُ ذاتَ نفسـه ... مغامرا لحسنِها معمّقا
يهـوِى به الفقر ومن شعاره ... إما الغنى رَبٌّ وإما الغـرَقا
ومجّـه البحـرُ فلو أبصـرتَه ... بها مُضيّاً ولها معتنـقا
ترى الحصى والرمـلَ فى يمينـه ... كيف آنتحى عينا (١) بها ورِقا (٢)
كرهتُ فى المختار كلَّ حاسـد ... يحسَب فى آجتماعنا التفـرُّقا
وبعتُ خُـلانى به بيـعَ فتًى ... يعلم أن الربح حيث صُفِقا
عرّفنيـه خُـبرتى بغيره، ... من جرّب الناسَ درى وحذَقا
وصحّ لى بعـدَ رجالٍ مرِضوا، ... وكثرةُ التيـه تريك الطرُقا
ظنٌّ غلوّى فيـك قومٌ سَرَفا ... وفرطَ مـدحى زُخـرُفا مختلَقا
وزاد حتى لن يقولوا : حاضرٌ ... ودّ فقـالوا : بدوىٌّ عشِـقا
ولو رآك مَن رأى بنظرى ... وخُـبرتى قال (٣) : بليـغٌ صـدَقا
جاء بك الدهـرُ على شـرائطى • ... تحفـةَ عمـدٍ لا على ما آتفقـا
رأيا له القرطاسُ والسهمُ سـوا ... وراحةً فى المحـل تجـرِى دفَقـا
وسامرا والنـار قـد أخمـدها ... ربُّ المئين (٤) وجـفانا فُهُـقا (٥)
وخلقـا اذا غضبتَ واسـعا (٦) ... وعُـذُرا اذا وهبت ضيّـقا
وجانبـا فى الـودّ ظـلًّا باردا ... ردَّ الى الـودّ فـؤادا معتَـقا
رشتَ جَنـاحى وآلتحمت معـرِقا ... زَورِىَ حـتى طرتَ بى محلّـقا
فتحتَ عينـا فى العـلا بصـيرةً ... حـتى رأيتَ غايـتى مـدفَّقا (٧)

---

(١) العين : الذهب . (٢) الورق : الفضـة . (٣) فى الأصل " قيـل " .
(٤) المئين : المئات . (٥) فهُقا : مملوءة . (٦) فى الأصـل " واسع " .
(٧) فى الأصل "مدفقا" .

ودلّك المجـــدُ على فضيلتى ... دلالةً كنتَ لها موفَّقا
لم تك فى الإيمان لى مقلَّدا ... ولم يكن يُسرُك بى تخلُّقا
أنت اذا الدهر رمى شاكلتى ... دِرعى وأنت مُنذِرى إن فوّقا
ما غمّضت عنّى عينُ حاجةٍ ... فأرتادها طرفك إلا رمقا
وقمتَ فى آثارها مجلِّيا ... بعثَ القنيْص المضرحىَّ[1] الأزرقا
فلا تُصبْنى فيك عينُ حاسدٍ ... له القذى محدِّقا ومطرِقا
ولا تَنَلْك[2] الحادثاتُ بيدٍ ... حتى تشلَّ ساعدا ومِرفَقا
ونهضَتْ عنّى بما أوليته ... رواحلُ الشعر تجوب الأفقا
ثقائلا يسوقها خفائفا ... على الوجى[3] لا تطمئن قلقا
رافعةً واضعةً أعناقَها ... يوما ويوما مغرِبا ومشرِقا
إن ظمئت فالشمسُ وامابها ... أو سغبت جرت تدارى الرَّمَقا
تحمِلُ كلَّ مستعادٍ ذكرها ... عمَّ البلادَ صيتُها وطبَّقا
هى العذارى البيض لم تلق لها ... مبتكرا غيرى ولا مستطرِقا
اذا أقامت رُشفتْ أو ظعنت ... تفُتْ على الأفواه نشرًا عبِقا
اذا الكلام نُسبت أصولُه ... كانت أصولا والكلامُ أسوُقا[4]
أو طُرحَ الشعر فماتَ بجأةً ... بقين ما طال وما طاب البقا
يُنِصُّ[5] شيطانُ القريض سمعَه ... مرتقيا فى جوّها مسترِقا
لطائم[6] سوائرٌ اذا غدا ... ذكُرك فى أعجازها معلَّقا
تعلّقت باسمك حتّى خرقتْ ... بك السماءَ طبَقا فطبَقا[7]

---

(١) المضرحىّ: النسر الطويل الجناح أوالصقر. (٢) فى الأصل "شلك". (٣) الوجى: الحفا أووجع الحافر. (٤) الأسْوُق: السيقان، وفى الأصل "شوقا". (٥) ينصُّ: يحرّك ويرفع. (٦) لطائم جمع لطيمة وهى العير يحمل الطيب. (٧) طبقا فطبقا: منزلة بعد منزلة.

وكتب الى الشريف الزكىّ أبى علىّ، وقد ورد من الكوفة الى بغداد

تربعتْ بين "العذيب" "فالنقا"	مرعًى أثيثا(١) ومعينا(٢) غَـدَقا(٣)
وبُدِّلتْ من زفراتِ "عالجٍ"	ظلائلًا من "الحمى" وورَقا
ترتع فيـه مرِحاتٍ بُـدُنا(٤)	كما اشتهت ربيقةٌ(٥) أن تُطلَقا
فدبّ فيها الخصبُ حتى رجعتْ	سدائسا(٦) بُزْلا(٧) وكانت حِققا(٨)
فكلّما تزجرها حـداتُها	رعى الحمى ربُّ الغمام وسـقى
وإنما ذاك لينفُضنَ لنا	الى ديار الظاعنين الطُّرُقا
حـواملا منا هومًا ثقُلتْ	وأنفسًا لم تبـق إلا رمَقا
يحملننا وإن عرينَ قصَبًا	وإن دمينَ أذرعا وأسؤقا
واصـلةً(٩) ومَن يردُّ(١٠) جنبَه	عن ليلها وإن سمِنّ العرقا(١١)
خلن لها "فَلَجًا"(١٢) نخلنا وقعَها	فى آلٍ(١٣) وهى طـوافٍ عَرَقا
نواصلًا من غمرةٍ(١٤) فى غَمرةٍ	لا يعـلق السـيلُ بها تدفُّقا
دام عليها الليلُ حتى أصبحتْ	تحسَب بجَز(١٥) "ذات عرقٍ"(١٦) شفَقا
ومَن لها ومَن لنا يُخبرنا	عن ظبياتِ "عاقلٍ"(١٧) أن يصدُقا؟

(١) الأثيث : الغزير الملتفّ . (٢) المعين : الماء الظاهر تراه العين جاريا على وجه الأرض . (٣) الغدق : الغزير الفائض . (٤) بدنا : سمانا . (٥) الربيقة : المشدودة بالربقة وهى عروة تشد بها البهم . (٦) السدائس : الإبل الطاعنة فى السن السادسة . (٧) البزل جمع بازل وهو المسن من الإبل . (٨) الحقق جمع حِقّة وهى الناقة الطاعنة فى السن الرابعة . (٩) فى الأصل "وصلة" . (١٠) فى الأصل هكذا "حسه" . (١١) العرق جمع عرقة وهى الحبل يشدّ به الأسير . (١٢) فلج : موضع قريب من البصرة . (١٣) الآل : السراب . (١٤) هذه الكلمة وأختها فى الأصل هكذا "عمره" . (١٥) فى الأصل "نفرا" . (١٦) ذات عرق : مُهَلّ أهل العراق وهو الحدّ بين نجد وتهامة . (١٧) عاقل : واد بنجد واسم لكثير من المواقع .

وعن قلوبٍ رحن فى قبـابها ... لو نضح المـاء عليها آحترقا

ياحبّـذا المُعرضُ عن سـلامنا ... " برامـةٍ " سالفـةً وعنقـا

وحبّذا حىّ اذا شـنّوا الوغى ... شاموا السيوفَ وآستسلوا الحدَقا

ورامياتٍ لا يؤدّين دما ... ولا يبالين أسال أم رقا (١)

وقفن صـفًّا فرأين شَرَكا ... من القلوبِ فرمَين طلَقـا

ولا ومَن كـنّ الردى بأمرِهِ ... لولا القلوبُ لم يجـدنَ مَرشَقا

من راكـبٌ تحمله الى الهوى ... أختُ الهـواء (٢) نزوةً وقلَقـا؟

عرِّج على الوادى فقل عن كبدى ... للبـان ماشئت الجوى والحُرَقا

وآحجر على عينيك حفظا أن ترى ... غصنين منه دَنَيـا فآعتنقا

فطالمـا (٣) آسـتظللتُه مصطبحا ... سـلافةَ العيش بـه مغتبِقا

أيّامَ لى عـلى المها بلِمَّـتى (٤) ... إمارةٌ أُرجَى لهـا وأُتّـقَى

وفى يدى من القلوب حبُّها ... أملكها صبـابةً وعُلَقـا (٥)

والبينُ ماآستنبح لى كلبا ولا آسـ ... ـتنعب فى شملى غرابا أحمقـا

وشرب جارتى "منًى" ومشربى ... من منهل إما صـفا أو رنقا

أمشى وقد رصـعننى (٦) بأعين ... تكحلهنّ أُشُرا (٧) ورونقـا

فاليـومَ بقّ العيشُ لى قـذاتَه ... وآرتجـع الشعشاعةَ المصفَّقا

لاجار إلا أن تكون " ظبيةٌ " ... ولا ديارَ أو تكون "الأبرقا"

لا وأبى " خنساء " أو رقادها ... على النـوى وقد فنيتُ أرقا

---

(١) رقا : جمد . (٢) أخت الهواء : الناقة لسرعتها فى السير كالهواء . (٣) فى الأصل . "فطالمـا" . (٤) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٥) العلق جمع عُلقة وهى ما يتعلق به .

(٦) رصعننى : طعننى . (٧) الأشر : الحدة والرقة .

ما سهرى "ببابلٍ" ونومُها "بحاجرٍ" إلا النعيمُ والشقا

وليلةٍ من التِّمام(١) جئتها أساير النجمَ وأحدو الغسَقا،

تمطُلُ عيني أن ترى من فجرها بين السواد أبيضًا وأزرقا

ضلّت بها البيضاءُ(٢) عن طريقها فلم تجد بعد الغروب مشرقا

سريتها مستأنسا بوَحدتي وطالبُ العز قليلُ الرُّفَقا

وطارق على الكلالِ زارني بعد الهدوء وبخيرٍ طرَقا

يُهدى من "الكوفة" لى تحيةً ذكيةً تملأ رحلى عبَقا

فضمنت سوادَها صحيفةٌ ردت سوادَ النِّقس(٣) فيها يَقَقا(٤)

من الزكىِّ طينةً ودوحةً وثمرا وخِلقةً وخُلُقا

معرفة وافق معناها آسمها كالسيف ألفى مفصلا فطبّقا

وبعضهم ملقّب أكذوبة لا صادق المعنى ولا متّفقا

فقع "بكوفان" فقل لبدرهاه إن بلّغتك العيسُ ذاك الأفُقا:،

يا خيرَ من حُلّت على أبوابه حبي الوفود جُمَعا وفِرَقا

وخيرَ من طاف ولبّى وسعى وعبَّ فى بئر"الحطيم" وسقى

وآنتظموا المجد نبيًّا صادعا بالمعجزات وإمامًا صدَقا

وآبن الذين بصّروا من العمى وفتحوا باب الرشاد المغلَقا

مناسكُ الناس لكم وعندكم جزاءُ من أسرف أو من آتقى

والوحىُ والأملاكُ فى أبياتكم مختلفان مهبِطا ومُرتَقى

لا يملك الناسُ عليكم إمرةً كنتم ملوكا والأنامُ سُوَقا

(١) التمام: أطول ليلة من ليالى الشتاء. (٢) البيضاء: الشمس. (٣) النقس: المداد، وفى الأصل "النفس". (٤) اليقق: يقال: أبيض يقق كما يقال: أصفر فاقع وأحمر قانئ.

في جِدّة الدهر وفى شـــبابه وحين شاب عمـــرُه وأخلَقا

مجـــدا إلهيّـا توخّاكم بــــه ربُّ العـــلا وشرَفًا محـــلّقا

أربقـــتُمُ بالدين قوما ألحـــدوا فيكم وعن قوم حللتم رِبَقـا (١)

وأمّنَ الله بكم عبادَه حـــتى حماكم بيتَـه المطوّقا

ليس "المسيحُ" يومَ أحيا ميّتا ولا الكليمُ يومَ خرّ صـــعِقا،

بالغين ما بنى أبوكُمُ وإن هما تقـــدّما وســـبقا

وراكب الريح "سليمان" لو آبـ ـتغاكُمُ في ظهرها ما لحـــقا

ولا أبوه (٢) ناسجا أدراعـــه مضاعفا ســـرودَها والحلَقا

فضلتـموه ولكلٍّ فضـــلُهُ فضـــيلةَ الرأسِ المطا (٣) والعنُقا

ومنـــكُمُ مكلّم الثعبان والـ ـعابر — والموتُ يراه — الخندقا (٤)

ومـــؤثر الضيف بزادِ أهـــله وصـاحبُ الخاتَم إذ تصـــدّقا

وكلُّ مهـــدىٍّ له معـــجزة باهـــرةٌ بها الكتابُ نطقا

من استقام ميـلُه اليكُمُ فاز ومن حرّف عنكم أوبقا (٥)

كنت ابنه ســـيفا حساما ويدا غيثا زكيا وجبينا فلقا (٦)

وأنّ غصنا أنت من فروعه لخـــيرُ غصنٍ مثـــمرا أو مورقا

ولُسْنا اذا الكلام انعقـــدت أطـــرافه وأخَـــذَ المخنّـــقا،

تطعن شزرا والحصامُ واسعٌ فيه وإن كان المجالُ (٧) ضـــيّقا

فوارِكٌ (٨) من الكلام لم يكن تنكَحُ إلا الأفـــوهَ المنطِّقا

---

(١) الربق جمع ربقة وهي عروة تشد بها البهم . (٢) أبو سليمان داود عليهما السلام وهو مشهور بنسج الدروع وسردها . (٣) المطا : الظهر . (٤) المعنىّ بهذا البيت والثلاثة الأبيات التى بعده هو الإمام علىّ بن أبي طالب كرم الله وجهه . (٥) أوبق : أهلك . (٦) الفلق : الصبح . (٧) فى الأصل "الحال" . (٨) فوارك جمع فاركة وهي الناشزة التي تبغض زوجها وهي هنا مجاز .

قد وصلتْ تحلُّ لى عقودها منخرَط الشهب انحدرنَ نَسَقا

أسمعُ منهله المتحدّى مُعجزا حتى يُقَرّ وأريه مونِقا

أعرتَنى فيها سِماتِ مِدَحٍ كنتَ أحقّ باسمها وأليقا

واليتَها باديةً وعُوّدا كالسيل يرمى دُفَقًا فدُفَقا

حتى ملكتَ رقّ نفسٍ حرّةٍ بها وقيّدتَ فؤادا مطلَقا

تكرمة أيقظك الفضلُ لها والحظّ قد غمّض عنها الحدَقا

جاءت أمينا كيدُها فى زمنٍ لا تُخدعُ الحيّاتُ فيها بالرُّقَى

كأنما رُدَّ على قلبى لها فى دولةِ الوحشةِ أنسٌ سُرِقا

والعينُ فى أمثالها مشرَعةٌ ما لم يقِ اللهُ وقِدْمًا ما وقى

نحلْتنى مدحَك فخرا باقيا فى عَقِبى ما دام للدهر بقا

حلّيتَ منه "فارسا" من بعد ما تعطّلتْ أسورةً(١) وأطوُقا

فاستقبلتْ من عزّها ما قد مضى واسترجعتْ من مُلكها ما طَلُقا

وكيف لا يُنصَر فضلُ معشرٍ هم نشروا لواءكم أو خفقا

وهم أعزّوا صهرَكُمُ وودّكم وقد أطاع القرباءَ الرُّفَقا

وبيننا — إن لم تكن قرابة — ولايةٌ تُحصِفُ(٢) تلك العُلَقا(٣)

ولم يكن أحرارُ ملك "فارسٍ" إلا عبيدًا لكُمُ أو عُتَقا

وعاجلٌ أمطرنى منك الحيا وآجلٌ أومضَ لى وأبرقا

وعدتَنى فارتشتُ محصوصا(٤) بما وعدتنيه وغنيتُ مخفقا

فاسمع وعش مُجزَى بما تسمعه مَطارِبًا(٥) لو نادت الميْتَ زقا

(١) أسورة جمع سوار . (٢) تحصف : تحكم . (٣) العُلق جمع علقة وهى ما يتعلق به .

(٤) المحصوص : الذى نتف ريشه . (٥) زقا : صاح .

لو ما رميتُ الحجـرَ الصلدَ بهـا … أخدعــه عمـايةً لانفلقـا

تخلُق لى فى قلبِ كلّ حاســدٍ … إما هــوًى محضًا .وإما ملَقـا

قــد ترك الناسُ لهـا طريقَها … وسلّموا الركضَ لهـا والعَنَقـا(١)

اذا الكلامُ الفصلُ كان ذنبـا … أو كفَلا كانت طُلًى(٢) ومفــرِقا(٣)

غريبــة الحدثان فى أزمانهـا … بذّت فحُـولَ الشـعراء السُّبّقا

اذا الكلام اشتبهتْ شِـياتُهُ(٤) … واختلطتْ عرفتَ منها الأبلقا

يجهــلُ منها الناسُ ما علمتَــه … لا عجبـا أن يُحــرَموا وتُرزَقا

فهى اليــك دون كلّ خاطبٍ … تُزَفُّ(٥) شَــغفا وتُساق رُفَقا

بشّرنى عنــك الخبــيرُ بالتى … تحيي السرورَ وتميتُ الحُــرَقا

وقال : صبرا وانتظر صبحَ غدٍ … تُدنى السماءُ بــدرَها المحلّقـا

غــدًا تراه ، فرفعت ناظــرا … كان على قذَى الفــراق مطبَقا

وقلتُ : نفسى لك إن قبلتهـا … " حقُّ البشير ، قال : رهنٌ غَلِقا

قــد ملّكتنى غائبـا نَعاؤه … وأفعمتْ قلــبِيَ حتى اندفقـا

فــلم يدع قبــلَ اللقاء طَوْلُه … فيــه مكانَ فــرحةٍ يومَ اللقا

فمرحبا اذا صــدقتَ مرحبـا … لك المــنى إن تمّ أو تحققـا

جادتك أنــواءُ الســماء أبدا … أين حللتَ وَكَفًا ووَدَقا

ولا عدت بكَتْبهـا ونشــدِها … سمعَــك موردا بها مستطرَقا

ولا يزال المهــرجانُ واضحـا … بهـا عليــك فى الطلوع مُشرِقا

---

(١) العنق : ضرب من السير السريع . (٢) الطلى : الأعناق . (٣) المفرق : محل فرق الشعر من الرأس . (٤) شيات جمع شية وهى لون يخالف معظم اللون . (٥) فى الأصل " ترق " .

والصوم والعيد الى أن ينطوى ... مرُّ النجـوم طَبقـا فطَبقـا (١)
اذا دعوتُ الله أن يبقيـك لى ... فقـد دعـوتُ للمعالى بالبقا (٢)

* * *

وقال يمدح وزير الوزراء أبا سعد بن عبد الرحيم ويهنئه بالمهرجان

دعاها معقّـلةً "بالعـراقِ" ... الى أهل "نجد" هوى مطلَقُ
فباتت تمـاكس (٣) ثِنىَ الحبا ... لِ منها الكراكرُ (٤) والأسـؤقُ (٥)
فيأبَى عليها المـريرُ الفتيـلُ (٦) ... ويُسمح ذو الرمّـةِ (٧) المخـلقُ
تحنُّ ويا عجبا أن تحـ ... ـنَّ لـو أنها سائلٌ يُـرزقُ
وما هى إلا بـروقُ المـنى ... خِلاباً وما "السفحُ" "والأبرقُ"
فهـل لمجعجعها (٨) أن يروحَ ... لـو آنَ الرواحَ بها أرفـقُ
مراتعُها أمسِ أمرَى لها ... وتربُ معاطنها أرفـقُ
أتت "بابلا" ونبت "بابلٌ" (٩) ... بها وبكى المشـئمُ (١٠) المعـرِقُ (١١)
فخـلِّ لها طُـرقَها والظـلا ... مَ تحـلُمُ فى السـير أو تخـرقُ
وإن كذبتْ هاديات النجـوم ... فإنّ لها مُقـلًا تصـدقُ
عسى رقُّها فى ديار الخمـول ... اذا شارفت عزَّها يُعتَـقُ
وقم أنت فاسـبق بها المدلجين ... فعفوُ المياه لمن يسـبِقُ
فإما آعتـذرتَ وإما بلغتَ ... فحظُّك غايةُ من يلحـقُ

---

(١) طبقا فطبقا : منزلة بعـد منزلة . (٢) فى الأصل "البقا" . (٣) تماكس : تشاكس . (٤) الكراكر جمع كركرة وهى صـدر البعير . (٥) الأسؤق جمـع ساق . (٦) المرير الفتيل : الحبل المحكم الفتل . (٧) ذو الرمة المخلق : الحبل البالى . (٨) لمجعجعها : لمبركها ومنيخها . (٩) فى الأصـل "وبلى" . (١٠) المشئم : قاصد الشأم . (١١) المعرق : قاصد العراق .

كم النوم تحت ظلال القنـــوع — وفوق القــذى جفنك المطبَــقُ
تهُبُّ عليــك رياحُ المــنى — فــتروى بمـا أنت مستنشقُ
وخِلفُ[1] العــلا وأفاويقُها[2] — لغــيرك يُصــبَح أو يُغبَــقُ
وكم تســتقيمُ فتمشى الحظوظُ — وحظُّك أعمى الخُطى مُزلــقُ
تُخفَّضُ من حيثُ تبغى العــلا — وتُحرَمُ من حيث تَســترزِقُ
ترودُ لنفســك غيرَ المَــرادِ — فــرِجلٌ سعت ويدٌ تُخفِــقُ
مطالبُ تُنفِــقُ فيهـا الزمانَ — ومن صُلبِ عمــرك ما تُنفِــقُ
وحولك — حيث ترى — راعياك — ثرًى منبتٌ وحيًا مغــدِقُ
ودارٌ تعــزُّ عــلى أهلهـا — ولم تتقلقــل بك الأينــقُ
وأسمـاع[3] أبناء "عبــد الرحيـ — ـم" تُصــغى وأبوابُهم تُطــرَقُ
وأنجهــم لك رعيـا تضىء — فتــورى وشمسهُمُ تُشــرِقُ
وبأسم الوزيـر — فعــذ بالوزيـ — ـر — يُفتَح بابُ النــدى المغلَقُ
ألم تر للنـاس فى فــترةٍ — وقــد أكلَ الأحلمَ الأنحرقُ
ومن ركب الشرَّ طالت يــداه — وطارت وخَــودٌ به معنِــقُ[4]
وفى كلّ سرح "أبو جعــدةٍ"[5] — مكانُ الرُّعاةِ به يُنعَــقُ
تجشَّمــه رحضُ ما دنَّســوا — وإحسانُه جمــعُ ما فرَّقــوا
وكنتَ تغيبُ فتشرى[6] الأمو — رُ ثمّ تعــودُ فتستوســقُ[7]
حَمَى "شرفُ الدين" أطرافَهـا — ومن خلفها طاردٌ مرهــقُ

(١) الخلف: حلمة الضرع. (٢) الأفاويق جمع فيقة وهى اللبن الذى يجتمع فى الضرع بين الحلبتين.
(٣) فى الأصل "أسماء". (٤) الوَخود والمعنق: المسرعة فى سيرها وفى الأصل "وجودا".
(٥) أبو جعدة: كنية الذئب. (٦) تشرى: تضطرب. (٧) تستوسق: تجتمع.

وأضــغاث أرسانها فى الرقابِ | نَواصــل بالكف لا تعــلقُ
فقــوَّمَ والذئبُ مستأســدٌ | وعــدّل والفحــلُ مستنوقُ
كريمٌ تصلصــلَ من طينــةٍ | أعانَ المُطيبَ بها المعبــقُ
رأت عينُ "ساسانَ" فيها النمـ | ـوّ وهى عــلى كفّه تشــرَقُ
فشــجّرها شــرفا لاحــقا | اذا هُجّن(١) النسبَ الملصَــقُ
تــلألأُ فى أفقهــا أنجــمٌ | بحاشيتىْ بــدرها تُحــدِقُ
تــودّ البــحارُ لأصــدافهـ | ـنّ لــو هى عن مثلها تُغــلَقُ
رعاك مليــكٌ رعى الملكَ منـك | بعينٍ على الضيم لا تُطــرقُ
وأنقــذه بك فانتــاش(٢) وهـ | ـو محــترِشٌ(٣) ما له مَنــفقُ(٤)
حملتَ الوزارة حمــلَ المخفِّ | وقــد أثقلتْ غيرَك الأوسُــقُ(٥)
وكم عالجوها بخُــرقِ الأكفّ | ورأيُك فى طبّهــا أحــذقُ
وسعتَ بصبرك إصــلاحَها | وصدرُ الزمان بها ضــيّقُ
وأخّرهم عنــك إذ قدّمــو | ك أنك تفــرِى(٦) الذى تخلُقُ(٧)
وتَرتُــقُ ما فتَقتــه الرجالُ | ولا يرتُقون كما ترتُقُ
فكونوا لهــا كلما عُطّلتْ | حلّى منــكم القُلْبُ(٨) والأطــوقُ
وزدْ شــرفا أنت يا تاجهــا | ولا افــترق التــاجُ والمفــرِقُ(٩)
يريــد ســواكم ثنــاءً بهــا | فتــأبَى عليــه وتســتطلقُ

---

(١) هجّن: قبّح وعاب . (٢) انتاش: أنقذ . (٣) محترش: مجتمع . (٤) المنفق: جحرة اليربوع يخرج منها الى غيرها . (٥) الأوسق جمع وسق وهو الحمل الثقيل . (٦) تفرى: تشقّ . (٧) تخلق: تقدّر . (٨) القُلْب: السوار . (٩) المفرق: محلّ فوق الشعر من الرأس

ويســـتروح النـاسُ أثوابَهـا وأردانَهـا(١) بكم أعبــقُ

علوتَ فما تنتحيك الصــفاتُ بسهـــم ولـــو أنه مغــرِقُ(٢)

فسيَّان فى مدحك النـاجم الـ(٣) ـمُعـــذِّرُ والمنتهى المفــلقُ

اذا جدتَ أنطقتَ من لا يدين وإن قلتَ أخرستَ من [ينطقُ](٤)

فقــد شكّ ربُّ الكلام البليــغ أيكســدُ عنــدك أم ينَفُقُ!

فداك — وكيف له لو فداك — طليــقٌ بروعتــه مــوثَقُ

تكنَّفُـــه مانعـاتُ البـــلا د وهـــو على أمنهـا يفـرقُ(٥)

يخـال سـيوفَكَ يخطفنــهُ ومن دونه البـابُ والخندقُ

ويعــلم أنّ القنـا فى يديــك يــراه على البعــد أو يرمُــقُ

وكيف تحيــلُ خفايا الشخوص عـــلى أسمرٍ لحظُـــهُ أزرقُ

تســمَّعْ لهـا، تستحقُ الحليـ ـمَ منهـا الطـــلاوةُ والرونـــقُ

وِهادُ الكلامِ وأجبالُه طـــريقٌ بحافــرها يُطــرقُ

نوافثُ فى عُقَــد المـامنين فكلّ ييبس بهـا مـــورقُ

ســـوائر بالعرض ســيرَ النجوم لهـا مغــربٌ ولهـا مشــرقُ

دعاةٌ بحمــدك فى الخافقين لهـا بـك ألــويةٌ تخـفقُ

لك السكبُ من سُحبها والعهاد وعند العدا الحصبُ المصــعقُ

يكيس(٦) بهـا والدٌ منجبٌ اذا ولَدَ الشـاعرُ المحمِــقُ(٧)

بقيت وقــد فنىَ القائلون عليهـا وما حزَنى لـــو بقُــوا

---

(١) أردان جمع ردن وهو الكم. (٢) المغرق: الذى يولغ فى غاية مدّه فى القوس، وفى الأصل «معرق». (٣) الناجم: الناشئ. (٤) ليست بالأصل. (٥) يفرق: يخاف.
(٦) يكيس: يأتى بأولاد كيسى أى ظرفاء. (٧) المحمق: الذى يأتى بأولاد حمق.

تُذكّركم فيَّ حفظَ العهود وإن لم يضع عندكم موثقُ
تحاشيكمُ أن أرى ظامئا أحوم ووادِيكمُ مُتأقُ (١)
ويوحشها أنّ ربعي على تجدُّد دولتكم مُخلِقُ
وأني بمضيعةٍ ، مثلكم على الفضل من مثلها يُشفِقُ
ترى الناسَ لم يُسلِفوا مثل ما لها وهي تهبط قد حلّقوا
وفي الحقّ ــ والحكمُ العَدْلُ أنت ــ اذا لحقوا أنها تَلحقُ
أمنتُ عليك صروفَ الزمانِ وأخطأك القَدَرُ الموبِقُ (٢)
ودارت لك السبعة الجارياتُ بما تستحبُّ وتستوفقُ
وعُدَّ ألوفا لك المهرجان يُجِدُّ السنين كما يُخلِقُ
يزورك مسترفدا سائلا فيغمره سيبُك المغدِقُ
ويُذهِله وجهُك المستنيرُ عليه ومجلسُك المونِقُ

* * *

وكتب الى عميد الدولة أبي طالب يهنّئه بالعيد والمهرجان

سل "أبرقَ الحَنّانِ" ــ وآحبس به ــ أين ليالينا على "الأبرقِ" ؟ (٣)
وكيف باناتٌ " بسقط اللّوى " ما لم يجُدْها الدمعُ لم تورقِ ؟
هل حملَتْ ــ لا حملَتْ ــ بعدنا عنك الصَّبا عَرْفا لمستنشقِ ؟
جدّدَ ما جدّدَ من لوعتي أخذُ البِلى من ربعك المخلقِ
لتبخلِ الأنواءُ أو فلتجُدْ عليك بالمنهمر المغدِقِ
أغناك صوبُ الدمع عن مِنّة أحملُها للرعدِ المبرِقِ
دمعٌ على "الخَيف" جنى ما جنى بكاءَ " حسّان " على " جِلّقِ "

(١) متأق : مملوء . (٢) الموبق : المهلك . (٣) أبرق الحنّان : ماء لبني فزارة يسمع فيه الحنين .

لله رهنٌ لك يـــومَ النقـا … لـــولا وفاء الحبّ لم يَغـلَقِ
يا سائقَ الأظعان رِفقا وإن … لم يُغنِ قولى للعســوف : آرفُقِ
أؤاخذ الحـادى ونفسى جنَت … لو شئتُ لم أبك ولم أشـتقِ
لـــولا زفيرى خلف أجمالهـم … ووخــزُ أنفـاسِىَ لم تَنسـقِ
يا غدرَ من لم أكُ من غدره … بخـائف القلب ولا مشـفقِ
ما لغـــريمى قادرا واجـــدا … يمطُــلُ مطلَ الفـاجر المملقِ
وما عـــلى اللائم فى حبّـــه … ما ضاع من حلمِىَ أو ما بـقى
أنفقتُ لِّى فى الهـــوى طائعـا … والخلَف العاجـــلُ للمنفـــقِ
لا تبدؤا بالعـــذل صدرى فـا … أستنجدُ المـاءَ على محـــرق
سمّيتَ لى " نجدا " على بعـــدها … يا ولَهَ " المشئم " " بالمعـرقِ "
داوِ بها حـــبّى فـا مهجـتى … أوّلُ مخبـــولٍ " بنجـــدٍ " رُقِى
ومنكــرٍ شمطاءَ مـدّت الى الـ … ـخمسين يدلوها فـلم تلحـقِ
جنَت شَطاطى وجَنَت ما جنتْ … من صـــدإٍ عمّ عـــلى رونقِ
لا بدّ أن يُفتَـــقَ عن فجـــرها … وإن تمـادت ليـــلةُ المغيـــقِ
ما ضرّها خائنـــةً لـــو وفتْ … أو ضرّنى لو كنتُ لم أعشـــقِ
كان مشيبا ضـــلّ عن نهجه … فـــدلّه الحبُّ عـــلى مَفـــرِقِ
وموقفٍ هبَّ عـــلى غِـــرّةٍ … يطـــرقنى ساعةَ لا مطـــرَقِ
والنجمُ حىٌّ نبضُـــه راسبٌ … فى لجّـــة الخضراء لم يغـــرقِ
قال : آنتبـــه للحظّ كم خفقـــة … على مِهـاد الخامـــل المخفـــقِ
حتّـامَ تحـــويمٌ عـــلى عُسرةٍ … حـــلّقْ الى النّســـر بنـا حَلّقِ
قلتُ : بغـــيرى فتحرّش لهـا … فالنّهضـــة الخـــرقاءُ للأخرقِ

أما ترى المالَ وجمّاتِه (١) ... في قُلُبٍ (٢) تنهارُ بالمستقِي
يسوغ بالعين فمن رامه ... بالفم قال المنعُ : رِدْ تشرَقِ
وما انتفاعي بحيًا واسعٍ ... تخفره ذاتُ جَدًّا ضيِّقِ
لا مسّ للحرمان عندي اذا ... كنتُ من البُخّال لم أُرزَقِ
لا أجلب الرزقَ اذا لم يكن ... يدرُّ من أكرم مسترزَقِ
قناعة أعتقَ عزّى بها ... عُنْقٌ وعبدُ الحرص لم يُعتَقِ
حلفتُ بالخُضَّعِ أعناقها ... تذرع بالواخد والمعنقِ (٣)
كالسطر بعد السطر مخطوطة ... من صفحة البيض على مَخْرَقِ (٤)
ينصُّها السير على لاحبٍ (٥) ... مثل صليف (٦) الجمل الأورقِ (٧)
تقدحُ صُفّاح الثرى كلّما ... لاحكتِ (٨) الأعضاءَ بالأسؤقِ (٩)
تسمحُ للجلمدِ (١٠) أخفافُها ... بكلّ ما يعرُقُ (١١) أو ينتقِ (١٢)
يطلبن محجوبا عتيقَ البِنى (١٣) ... لولا دفاعُ الله لم يُعتَقِ
والأسودِ الملثوم (١٤) أحواله (١٥) ... من كلّ أوبٍ (١٦) فِرَقٌ تلتقي
تهوى بشُعثٍ (١٧) بدّلوا سُهمةً (١٨) ... بكلّ ضاحٍ (١٩) لونُه مونِقِ (٢٠)

---

(١) الجمات جمع جمة وهى الماء المجتمع . (٢) القلب جمع قليب وهى البئر . (٣) الواخد والمعنق اللذان يسيران سير الوخد والعنق وهما ضربان من السير . (٤) المخرق : الفلاة . (٥) لاحب : واضح . (٦) الصليف : صفحة العنق . (٧) الأورق : من الإبل ما فى لونه بياض الى سواد . (٨) لا حكت : زاحمت . (٩) الأسؤق جمع ساق . (١٠) الجلمد : الصخر . (١١) يعرق : يأخذ ما عليه من لحم . (١٢) ينتق : يأخذ نقيه أى مخه . (١٣) البنى جمع بنية وهى ما بنيته والمراد بعتيق البنى : البيت الحرام . (١٤) الأسود الملثوم : الحجر الأسود الذى بالكعبة . (١٥) أحواله بمعنى حوله . (١٦) الأوب : الطريق والناحية . (١٧) الشعث جمع أشعث وهو المغبر شعر الرأس المتلبدة . (١٨) السهمة : تغير اللون مع هزال . (١٩) الضاحى : المشرق . (٢٠) المونق : المعجب .

زفّوا جِماما[1] وعدّوها "منّى" متى تضع أوزارها[2] محلّق
لولا ابنُ "أيّوب" وآباؤه لم يُضَع الفضلُ ولم ينفقِ[3]
ولا سرى مُلكُ بنى "هاشم" فألحقَ المغربَ بالمشرقِ
لقد أوى منهم الى هضبةٍ تزلُّ عنها قدمُ المرتقى
هم عززوه ورموا دونه بكلّ مطرورِ[4] الشّبا[5] مطلَقِ
يطيعه الموت اذا ما عصت به يمينُ الخاطبِ المفلقِ
نصرُ بنى "الأشهلِ[6]" من قبلهم على بنى الأحمرِ والأزرقِ
وما وَهَى إلا غدا ممسكا منهم بثِنْيِ[7] الأحصف الأوثقِ
لا كرجالٍ قُلّدوا حكمَه خلطوا الممذوق[8] بالريّقِ[9]
من كلّ ناسٍ فى غدٍ بعثَهُ لم يرهب الله ولم يتّقِ
باعَ هداه طائعا عن يدٍ يدًا على التوفيق لم تُصفقِ
يرتفق الأجرَ على دينه لو كان حرّ الدين لم يرفقِ
حتى كفى اللهُ فُدّت يدٌ طُولَى يقِ[10] اللهُ لها مَن تقى
دلّت وقامت فى "أبى طالب" شهادة المورق للعرقِ
شفت به الدولةَ بعد الصدى[11] جلجالةٌ[12] أمُّ حيًا[13] مطبِقِ
زَلّالةٌ طيّبةٌ ريحُها ما قيل للساقى بها رقّقِ
جاءت بمجنًى ماؤه مخصبٌ أدرك بعد المحصبِ المصعقِ

---

(١) جمام جمع جم وهو الكثير من كل شىء . (٢) الأوزار : الأثقال واحدها وزر . (٣) لم ينفق : لم يرج . (٤) المطرور : المحدد . (٥) الشبا جمع شباة وهى سنّ السيف والرمح . (٦) الأشهل : حىّ من العرب . (٧) الثنى : الحبل . (٨) المذوق : المشوب . (٩) الريق : أول كلّ شىء وأفضله . (١٠) فى الأصل "يق" . (١١) الصدى : الظمأ . (١٢) الجلجالة : الرعّادة من السحاب . (١٣) أم الحيا : السحابة .

كانت على الفترة لم تُحتَسَبْ مفتاحَ باب الفرَج المغلَقِ
إن "الإمامَين" به آسترعيا فتًى لغير الخير لم يُخلَقِ
مُرّ القِلَى والسخطِ، حلو الرضا والوجه والأخلاقِ والمنطقِ
طال بكفٍّ رطبةٍ عَفّةٍ مذ بُسطت للجود لم تُطبَقِ
أغنتهما من قبلُ تجريبِها كالسيف يُعطَى العتقَ بالرونقِ
جَلتْ دُجَى الظلم له نُقبةٌ (١) بمثلها الظلماءُ لم تُفتَقِ
فأدركاه غرضا قطّ لم ينبِضْ له الظنّ ولم يوفقِ (٢)
نصحا كما شاء ورأيا متى يقلْ بغيبٍ قولةً يصدُقِ
فكم حشًا قرّت على أمنها بعد آفتراشِ الحذرِ المقلقِ
لم تك يا بازلُ (٣) في حملها مقطّرا (٤) تظلَعُ (٥) بالأوسقِ (٦)
ولا دخيلَ الظهر في صدرها مدلسا بالنسبِ الملصَقِ
لم تقتعدها رغبةٌ في اللُّها (٧) ولم تخف ضيما ولم تفرَقِ
أبوك من قبل آمتطى دَستَها سبْقا وقال: آقتَفِني وآلحقِ
لطيمة (٨) ريحانُها لم يلق بغيركم قطّ ولم يعبَقِ
ميراثها فيكم فمن رامها يغصِبْ ذليلَ الغصبِ أو يسرِقِ
فآرعَ بها حقك من روضةٍ بأعينِ الروّادِ لم تُرمقِ
في سابغ من ظلها واسع وسائغ من مائها ريّقِ
تفوز بالجذلِ منها ولل حسّاد حظُّ المكمَدِ المحنَقِ

(١) النقبة: الوجه. (٢) لم يوفق: لم يوضع له فوق. (٣) البازل: المسنّ من الإبل.
(٤) المقطّر: الذي يلق الراكب على قطره. (٥) تظلع: تعرج، وفي الأصل «تطلع».
(٦) الأوسق: جمع وسق وهو الحمل الثقيل. (٧) اللها: جمع لهوة وهي أجزل العطايا.
(٨) اللطيمة: نافجة المسك.

وأسحب ذيولا من كراماتها ... لم تبـل بالسحب ولم تُخْـلق(١)

كساكَ منها المـدّ فضفاضـةً ... بغـير أعطافك لم تلبـق

بان بك الجـودُ على معشـرٍ ... كما تجلّت شِـية(٢) الأبـلق

أنت الذى لو لم تكن مطمعى ... ألجمنى اليأسُ فلم أنطـق

أعلقتـنى منـك بمفتـولةٍ ... حصـداء(٣) ما خاربها مُعلـق

كلّ يدٍ تحرشـنى بالأذى ... فأنت من محفارها مَنـفَق(٤)

فى زمن يرشُـقنى كيـدُه ... ليس له غيرىَ من مَرشَـق

يـرى خـوافىّ(٥) بما لا أرى ... إذ كنت عن قادمتى(٦) أتّقى

ذاك لأنّى بين أبنائـه ... لم آلف الهُجْـرَ ولم أخـرق(٧)

موحّـدٌ لـو نخلَتْ كفّـهُ ... عن مثلىَ الغـبراءَ لم تلحَق

وهـو عدوّ الفضـل مذ لم يزل ... يكاثر الأحـلَمَ بالأنـزق

فابق فما مثـلُك جـودا ولا ... مثـلى مليّا(٨) بثناءٍ بَـقِى

وأسعد بعيدين : جديد العلى ... ومُخْـلِق فى مُـذهَبٍ مخـلقِ

فمسـلم ينظـره من علٍ ... وكافر ذو ناظـرٍ مطـرِقِ

تصاحبا(٩) مـع خُلف حاليهما ... تصاحبَ الموسِـر والمخفِـق

يضـمّ إقبالُك شمليهـما ... فيلحـق المأسـورَ بالمطـلَقِ

وانضُ ثيابَ الصـوم عن عاتق ... من كلّ وِزرٍ فى غدٍ معتَـقِ

وراعِ فى الإمكان ما أغفلت ... منّىَ عينُ المحرِج المرهِـقِ

---

(١) لم تلبق : لم تلق . (٢) الشية : لون يخالف معظم اللون . (٣) الحصداء : المحكمة النسج . (٤) المنفق : المحل الذى يخرج منه اليربوع الى غيره . (٥) الخواف : ريشات اذا ضم الطير جناحيه خفيت . (٦) القادمة : ريشة من كبار الريش فى مقدم الجناح ، وفى الأصل "وأنا عن قادمتى" الخ . (٧) لم أخرق : لم أحمق . (٨) مليا : طويلا . (٩) فى الأصل "تصاحبها" .

قد كان ريبٌ بك لو لم أكن ... آخُذُ بالأحزم والأوثقِ
وآبن بها عذراءَ مولودةً ... فى الحِلّ لم تُسبَ ولم تُسرَقِ
ناشزة لولاك ما أُنكحتْ ... وهى اذا طلِّقت لم تطلُقِ
مسبوقة أخَّرها عصرُها ... وهى الى الإحسان لم تُسبَقِ
أنبطتُها من ثَغَبٍ[1] ماؤه ... شريعةٌ[2] قبلِىَ لم تُطرقِ

* * *

وكتب الى بعض الرؤساء من أصدقائه ، وكان ناظرا فى ميسان حربا وخراجا، ولها خبرٌ يجىء بعد، ويذكر آسم صاحبها، وفيها صفة السفينة

أروْض الوادى أم آبيضّ الغسقْ[3] ... أم طيف "ظمياءَ" على النأى طرقْ ؟
جاء على غربته[4] لم يحتفل ... ما نكدُ الأرض وما تيهُ الطرقْ
تحملهُ راحلةٌ كاذبةٌ ... من الكرى تُشكر شكرَ من صدَقْ
فقمت أمشى نائما ينفضنىْ ... إكبارُ ما خاض الىّ وخرقْ
مرتشفا ترابَه أعرفه ... من غيره بما آستفاد من عبَقْ
والركبُ قد ألهاهُمُ عن شأننا ... يوم "النخيل" سامنى مالم أُطِقْ
وناظر رقادُه من غدرِهِ ... لولا فراقُ الطيف ما ذمّ الأرقْ
ناشدْ غصونا "باللوى" موائلا ... طوعَ النسيم تلتوى وتفترقْ
أهنّ أحلى أم قدودٌ تلتوى ... شكوى على جمر النوى وتعتنقْ؟
وعن قناةٍ لحظُها عاملُها، ... وحُبّبَ الرمحُ إن آسمرّ ودقّ
لمياءَ يُلفَى الظبىُ من أوصافه ... صِفراً اذا ردّ الذى منها سرَقْ

---

(١) الثغب : الغدير يكون فى ظل جبل لاتصيبه الشمس فيبرد ماؤه . (٢) الشريعة : طريقة الماء . (٣) الغسق : الظلام . (٤) فى الأصل "غربه" .

تمّ البــــدورُ وهــــلالُ وجهها ما بلــغ الــتّم بهـا ولا آمّحــقْ
فارقتُ حولا أهلَ "نجدٍ" والهوى ذالك الهوى وحُرَق تلكَ الحُــرَقْ
فقلْ لمن ظنّ البعادَ سلوةً : لا تَنتحِلْ(١) طعمَ شيءٍ لم تــذُقْ
آه لقلبٍ شــقّ عنــه أضلعى من "الحى" تخالجُ البرقِ الشفقْ(٢)
ثار به الشــوقُ فهبّ فهــفا تطلّعا ثمّ نــزا(٣) ثم مرَقْ
أنشُده، وليس فى أهل "منًى" ــ والقوم حَجٌّ ــ مَن تعرّفَ الشَّرَقْ(٤)
لله عيشٌ "بالحمى" تعلّقتْ حبالُه بيــد قطّاع العُــلَقْ(٥)
صحبتُ منــه رُفقــةً سائرةً لو أمهل الحادى العنيفُ أو رَفَقْ
أيّامَ لى من الشــباب دوحةٌ ملتفّــةُ الأغصان خضراءُ الورَقْ
ولِمّتى تقطُر من ماء الصِّــبا شرطَ المفــدَّى(٧) ما فلا وما فرقْ
اذا الظباء نفــرتْ من قانصٍ تزاحمتْ عــلى حبالى ورِبَقْ(٨)
فاليــومَ لا أرجــع إلا محفقا محصَّنَ المــدية مثنىّ الورَقْ(٩)
قالوا : المشيبُ لبسـةٌ جديدةٌ، خذوا الجديدَ وآستردّوا لى الخَلَقْ
أسلفتُ دهرى غَبَنًا(١٠)، فارتجعتْ أحداثُه منى الذى كان آستحقْ
كم قــد ركبت ظهـره، ولُجُمى تُبدِلُه عن العليــق بالعَلَقْ(١١)
أجريتُـــه ركضا الى مآربى وخَبَبًا حــتى أفوزَ بالسَّــبَقْ

---

(١) فى الأصل هكذا "تنحل". (٢) الشفق صفة للبرق بمعنى الأحمر. (٣) نزا : وثب. (٤) الشرق جهــة شروق الشمس، والشرق أيضا الشمس. (٥) العلق جمــع علقة بمعنى التعلق بالشىء. (٦) اللمة : الشَّعر المجاوز لشحمة الأذن. (٧) المفدّى : من تلزمه الفدية فى الحجّ اذا فلا رأسه أو فرقه. (٨) الربق جمع رِبقة وهى عروة تُشـد بها الدوابّ. (٩) الورَق جمع ورقةٍ وهى جُلَيْدةٌ توضع على حزّ الوتَر من القوس. (١٠) الغبَن : الخداع فى البيع والشراء كالغبْن بتسكين الباء. (١١) العلق : الدم.

فلم تزل خُطاه بى قصيرةً	وجَلَدى حتى رضيت بالعنق (١)
قالت : يئستَ بجلستَ تَجْرةً (٢)	والرزقُ فى أخرى يصوبُ ويدقْ (٣)
مزمِّلا بعيشةٍ ذبذابةٍ	لم يَكِسِ (٤) الدهرُ بها ولا حَمُقْ
تألفُ دارا "بالعراقِ" جدبُها	قد عدِمَ اللحمَ وعاد يسترِقْ (٥)
أضَرَبتْ أسدادُ "جوِّ" غيرَها	على المطىّ أم على الأرض طَبَقْ؟
يُحِبُّ كسرَ (٦) البيت إما عاطلٌ	من العلا أو طائش القلبِ فرِقْ (٧)
مَجثَمتانِ (٨) أين أنت منهما	هما الثرى وأنتَ بيضاءُ (٩) الأُفُقْ
عنِّى ! فما أعدلها قضيّةً	لو أنّ من يُحرَم بالفضل رُزِقْ
أما رأيتِ الفضلَ واجتماعَه	فى وطنٍ والحظُّ قلّما اتفقْ !
العربىُّ راقعٌ شَملتَهُ (١٠)	والقروىّ بالنُّضار ينتطِقْ
من لى بسوقِ المائقين (١١) يُشترَى	حلمىَ فيها برفاغةِ (١٢) السَّرَقْ !
وقد حرصتُ مطلقا أعنّتى	لو أنّ معقولَ القضاء ينطلقْ
والشعرُ قد أبضعتُه فكاسدٌ	أو نافقٌ (١٣) وليت (١٤) [شعرى] (١٥) ما نَفَقْ
عبَّدتُه حرًّا لقومٍ عُنُفوا	بملكه فما نجا حتى أبِقْ (١٦)
فصرتُ إن أردته لمثلها	أبَى علىّ خيفةً منها وشقْ
وقد عصانى فى الملوك زمنا	فهل تُرى يُسمِحُ فى مدح السُّوَقْ؟

---

(١) العنق : ضرب من السير السريع . (٢) جمرة : ناحية . (٣) يدِقّ : ينهلّ بالودْق .
(٤) لم يكس : لم يفطن وهو ضد حمق . (٥) يسترق : يأكل ما على العظم من لحم .
(٦) كسر البيت : جانبه . (٧) الفرق : الخائف . (٨) المجثمة : محلّ الجثوم .
(٩) البيضاء : الشمس . (١٠) الشملة : الكساء . (١١) المائقون : الحمق .
(١٢) الرفاغة : الاتساع ومنه رفاغة العيش أى اتساعه . (١٣) نافق : رائج . (١٤) فى الأصل هكذا "ولت" . (١٥) ليست بالأصل . (١٦) أبق : هرب من سيده .

لو كان كالأمير كلُّ سامـــع ... لم يُحتبَس عن شأوه ولم يُعَقْ
ولو "بسـعد الدولة" اشتغاله ... مذ سار ما سار بمدحٍ مختـلَقْ
حارن ما حارن وارتاض له ... لقـد أرمَّ (١) ولأمر مّا نطـقْ
أصاب كفئًا ورأى ضريبـةً ... ففالتَ الغِمدَ اليها واندلقْ
ومن مشتاقا مع الأوصاف لا ... تُملِّك منـه صبوةٌ ولا عُنُـقْ
طابت له الأنباءُ فاستروحها ... شمًّا ، وللجـود رياحٌ تُنتَشَـقْ
يا راكبا تنقُـله سابحـةٌ (٢) ... ورهاءُ لا من جِنّةٍ ولا خُرُقْ (٣)،
سـوداء من لباسها وجلدها، ... وجسمُها أبيضُ عريان يَقَـقْ (٤)،
أرضـعها البحـرُ وربّاها وما ... تخشَى على ذاك ردًى من الغـرَقْ،
اذا المطايا ألِمَتْ من الصدى ... خمسًا وعِشرا (٥) ألِمت من الشَّرَقْ،
تُحدَى برجْزٍ (٦) ليس من أشجانها ... ونغَـم لم يُصبِها ولم يَشُـقْ،
تركب من هُوجِ (٧) الرياح غَرَرا (٨) ... وما لها إلا بهنّ مرتفـقْ:
بلِّغ "بميسان" اذا بلغتهـا ... عاقـلةَ (٩) الشاوى وزادَ المنطلِقْ،
وقمـرا يطلـع فى سمائهـا ... ونـورُه فى الخافقيْن يأتلِقْ،
وقـل كما شاء النـدى لخالدٍ ... قـولةَ لا تخلُّبٍ ولا مَـلَقْ:
يا خير من حلّت على أبوابه ... رحائل البُـدْن (١٠) وحاجات الرُّفَقْ

(١) أرمّ : سكت . (٢) يريد بالسابحة السفينة . (٣) الورهاء : الحمقاء ، والخرق : الحمق . (٤) يقال أبيض يقق كما يقال أصفر فاقع وأحمر قانئ . (٥) الخمس والعشر من أظماء الإبل وهو ورودها على الماء فى اليوم الخامس والعاشر . (٦) الرجز : الإنشاد . (٧) هوج جمع هوجاء وهى الريح التى لا تستوى فى هبوبها . (٨) الغرر : الخطر . (٩) العاقلة : قرابة الرجل من قِبَل الأب . (١٠) البدن جمع بدنة وهى الناقة .

ومَن أتتــه كالحبال عُجَّفا (١) ورجعتْ كالوَسْقِ من تحت الوَسَقْ (٢)

لــولا السماحُ وغرامٌ بالنــدى لما قَرعتَ تطابُ المالَ الحَلَقْ (٣)

ولا شهدتَ اليــومَ تغلِي قِدرُه لو لم يَصُبْ ماءُ الطُّلَى فيه احترقْ (٤)

عمّت على أشــعارها صِبائغٌ (٥) تولّدت بين النجيــع والعــرَقْ

يحملن كلَّ خائضٍ بحــرَ النــدى حتى يرى الموجَ عليــه ينطبِقْ

كأنه بالمــوت يقضى لذّةً أو بفراقِ نفســهِ يشفى حَنَقْ

كتيبة خرساء إلا قــونسٌ (٦) يطِنُّ أو خرٌّ غلامٌ فصَــعِقْ

لم تر من قبلك خِرقًا (٧) قادها أُسْــدَ شَرًى تهفو عليهنّ الخُرُقْ (٨)

اذا طغى على " الصليق " (٩) زأرُها فأضلُعُ " البصرةِ " منها تَصطفِقْ

لواؤك المرفــوعُ من أمامها لم يخفض ولا هوى منــذ بسَقْ

كأنه أبصر أكباد العــدا • تنزو (١٠) فأعــداه الخفوقُ نخفــقْ

قــد جرّبوا كيدك أمسِ، والذى عنــد غدٍ أشق عليهــم وأشقّ

يا فارس القرطاس والسيفِ لقد جمعتَ من ذى طرَفَين مفــترقْ

حــتى لقالوا : طاعنٌ بقــلمٍ أو كاتبٌ بالرمح فى الطِّرس مشقْ

عرفتَ من نفســك ما لم يعرفوا فطِرتَ حتى صرتَ حيث تستحِقْ

كم عجبــوا منــك وأنت ترتقِى وانتظَــروا فيك الزليــلَ والزلَقْ

(١) العجف : ذهاب السمن . (٢) الوسق : الحمل الثقيل وحرك للضرورة . (٣) المال الحلق : الإبل الموسومة بالحلقة . (٤) الطلى : الأعناق . (٥) أشعار جمع شَعْر . (٦) القونس : أعلى الرأس . (٧) الخرق : الكريم السخى . (٨) خرق جمع خريق وهو المطمئن من الأرض . (٩) الصليق : مواضع كانت فى بطيحة واسط بينها و بين بغــداد كانت دار ملك مهذب الدولة أبى نصر المستولى على تلك البلاد . (١٠) تنزو : تضطرب وتثب .

وخاوصــوك(١) حسَــدا بأعيــن لم تحفِــل الشّهلةَ(٢) منهـا والزّرَقْ
حــتى تركت النجم فى خضرائه يخطِر زهوا أن سَبَقتَ ولحِــقْ
فالمـال إن لم تلتحف بريشــه ولم تنُطْــه بيــدٍ ولم تُــلِقْ(٣)،
أنفقتـــه فى الجود فهـــو بدَدٌ فى الأرض حتى ما له منك نفَقْ
والحوضُ يُفنيــه اعتــوارُ شَفَةٍ فشفةٍ وإن عــلا وإن عمُــقْ
وفَرُ الفــتى ما شاء من حديثــه والمجــدُ فى غيرِ النُّضـارِ والورِقْ(٤)
هل لك فى ودٍّ على شحط النــوى صفَا على غِشّ المــودّات ورَقّْ؟
وصاحبٍ كما اشترطتَ صاحبـا أخلصَ ما كان اذا قلتَ : مَذَقْ؟
يكيلك البِرَّ بصــاعٍ أصــوُعا وإن عققتَ ـ غيرَ غدرٍ ـ لم يعُقْ
مطهّــرِ الشيمةِ غُنمٌ قــربُهُ محبّبِ الإكثار محفــوظِ النُّطُقْ
لا يشرب الراحَ لأن تُسكِــره لكن لأن يجــذُبها حسنَ الخُلُقْ
سيف اذا أنت عرفتَ قــدرَه فَــرَى(٥) بأعناق عِــداك وفَلَقْ
أتاه عنــك من أحاديث النــدى والمجــدِ ما صبا اليــه وأرِقْ
فساقها عــذراءَ ما خطبتَهـا وكم غلا خِطبٌ(٦) بهـا فلم تُسَــقْ
ثمينــةَ البُضْــعِ حصينا سرّها عــلى الرجال حرّةً لا تُســترَقْ
إن آنستْ خيرا أقامت أو رأت ضيما أجاز حكمهـا أن تنطــلقْ
العَقــدُ والتطليقُ للبعـل، وفى قبضتها أقرّ بعــلٌ أم طَــلِقْ(٧)
إنســيّة تحسَب نفثَ سِحــرها كلامَ جِــنّيٍّ حكى ما يسترِقْ

---

(١) خاوصوك : حدّقوا فيك . (٢) الشهلة : حمرة تشرب الحدقة ؛ والزرق : أن تشوب سواد العين زرقة . (٣) لم تُلِق : لم تُمسِكْ . (٤) النضار : الذهب، والورق : الفضة . (٥) فرى : شقّ . (٦) الخِطب : الرجل الذى يخطب المرأة . (٧) طلَق : تباعدَ .

حاضـرة تحسبهـا باديةً تديّرتْ داراتِ "خبتٍ" "فالبُرَق" (١)

أخّرها الميـلادُ وهى رتبـةً فى الشعر بالتقديم أولى وأحـقّْ

اذا قـرنتَ بالفحـول شأوَها حكمتَ أن السـابقَ الذى سُبِقْ

فاجتلِهـا من فم راوٍ قـد فَرِى (٢) بالسـعى فيهـا لك دهرا وخَلَقْ (٣)

أشفقَ أن يَعْطُلَ ـ وهو مفخرٌ ـ عرضُك منها ، والمحبُّ ذو شَفَقْ (٤)

فاشكـر له ما حملَتْ يمينُـه منهـا وما فتّـقَ فيهـا ورتَقْ

وآعرف لمهديها لك آفتتاحَـه فى المـدح بابًا عن سواك منغلقْ

وجازِهِ وآبقَ عـلى وداده مسلّمـا ما طـرد الليلَ الفـلَقْ (٥)

ولا تَعلّـلْ بآستمـاع غـيرِها فإنمـا تلك بُنيّـاتُ الطُّـرُقْ

⁂

وقال يمدح الملك شاهانشاه جلال الدولة أبا طاهر رحمه الله، ويهنئه بالمهرجان، وأنشدها بحضرته

اذا لم أحظَ منـكِ على التلاقى فـما بالى أُروَّعُ بالفـراقِ!

بعادُكِ حيث لا يرجـوكِ راجٍ كقربِكِ حيث لا يلقـاكِ لاقى

فمن يشكُ النوى أو يبكِ منهـا فلا دمعى هنـاك ولا آحتراقى

نواكِ من الملال أخفُّ مسًّـا عـلى كبدى وأبردُ لآشتياقى

ولولا البينُ لم أملِكْ وُصـولا الى قُبَـلِ الوَداع ولا العِناقِ

عـلى أنّى وأنتِ النجمُ بعـدا حديثُكِ بين صدرى والتراقى (٦)

---

(١) البرق جمع برقة وهو آسم لكثير من المواضع . (٢) فرى : شقّ . (٣) خلق : قدّ وقدّر من خلَقَ الأديمَ أى قدّره قبل فريه . (٤) الشفق : الخوف . (٥) الفلق : الصبح .
(٦) التراقى جمع ترقوة وهى مقدم الحلق فى أعلى الصّدر .

أقول لصاحبىَّ غداة "جمعٍ"(١) وأبدى النفـر(٢) تلعب بالرفاق:
قِيانى(٣) من سهام بنات "سعد"(٤) وهـل مما قضاه الله واقى ؟
ومن ظبيٍ مـددتُ له حبالى لأقتنصـه فعدنَ على خُناق
خذا طَرْفى بما أبقَ، وطَـرْفى بعمـد جرّ قتـلى لا اتفاق
أراق دمى الحرامَ فضـولُ عينى فثارى بين أجفانى وماقى(٥)
أيا ربعَ الهوى : دعْ لى طريقى فلا حبسى اليـكَ ولا اعتيـاق
لك الخلَقُ الحِسانُ اذا تصدّت ولكن ما لأهلكَ من خَلاقِ
وقـل لشقيقة القمرين : بِينِى فهـذا عنك بَيْنى وانطـلاق
وإلا تفعلى أنطِـقْ بهُجْـرٍ يسـوء الودَّ يا ذات النطاقِ
علقتُـكِ ضائعا فى الحبّ عزمى فكان المجـدُ أولى باعتـلاق
أنا الجارى اذا الحلَبَاتُ طالت مراكضُها على الخيـل العتاق
نفضتُ طريقَها شوطا فشوطا وسُلِّم لى بها قَصَبُ السـباقِ
فمن ذا يبتغى فى الفضـل سبقى وقد يئس السـوابقُ من لحَاق
بقيتُ لحِرْ هـذا القول وحدى فعبـدى منه مأمونُ الإباقِ(٦)
وحسبكِ ما بدا لكِ من نفاذى عـلى ملك الملوك ومن نَفَاق
"بركن الدين" سالمنى زمانى وأطلقتِ الحوادثُ من وَثاق
فمهما أبقَ يسـمعْ سائراتٍ مطبَّقـةً من الكلِم البـواق
تكون له مَطاربَ فى غدايا الـصّـبوح وفى عشـايا الإغتباقِ

---

(١) جمع : مِنًى . (٢) النفر : اندفاع القوم من منى الى مكة . (٣) قيانى : إحفظانى . (٤) يريد بسعد هنا اسم القبيلة . (٥) الماق : مؤخر العين مما يلى الأنف .
(٦) الإباق : الهرب .

وفى الأعــداء تقطع ماضياتٍ ... مصمّمةً مــع البيض الرقاق
حمى الدنيا فثبّتَ جانبيها ... صليبٌ لا يروّعُ بالصّــفاقِ (١)
أبو شــبلين من تعــلّق يداه ... فليس له من الحدثانِ واق
وساق النــاسَ خفضا وآرتفاعا ... بصــيرٌ بالإناخة والمَســاقِ
وقاوم بالســياسة كلَّ داءٍ ... طبيبٌ من لداغ الدهــرِ راقى
اذا غمّضَ السّقامُ على المداوى ... تطلّع من غوامضــه العِماقِ
ألا أبلــغْ مــلوكَ الأرض أنّا ... على "الزوراء" فى العيش الوفاقِ
لنــا مــلكٌ يربُّ (٢) على نظــامٍ ... شــتاتَ أمرنا وعلى آتساقِ
اذا جمــدَ الغمامُ جــرت يداه ... فعمّــتْنا بمنهــمرٍ دُفاقِ
أطاعتــه المقــادرُ وآستجابت ... له فى كلّ رقْــعٍ وآنفتــاقِ
تناهَوْا عن عداوتنا تناهَوْا ... وفى الأرواح باقيــةُ الرّماقِ
فقــد جــرّبتُمُ بالأمس منّــا ... عرائكَ لا تلينُ على آعتياقِ
وكم ملكٍ جليــلٍ ندَّ عنا ... فطــاحَ عــلى ذوابلنا الدّقاقِ
عسفناه، وآخــر قــد ملكنا ... مقــادتَه بلطف وآرتفــاقِ
وجاءتنا الســعودُ بكلّ عاصٍ ... على عجــلٍ تَعارَضُ وآستباقِ
وأبصر رشــدَه آبنُ أخٍ شقيقٍ ... فطاوع أمرَنا بعــد الشّــقاقِ
رأى طعم العقــوقِ لنــا مريرا ... فــبَرَّ ودلَّهُ صــدقُ المــذاقِ
أراه الحــقَّ أمرُ اللهِ فينــا ... فنبّــه جفنَــه بعــد آنطباقِ
تذكّرَها على "الأهواز" شُعثا (٣) ... نزائــعَ بينَ خَرْقٍ (٤) أو مَراق

---

(١) الصــفاق : الأضطراب . (٢) يربّ : يجمع . (٣) شعث جمع أشعث وهو المغبّر الرأس المتلبّد الشعر . (٤) الخرق : الفلاة .

وأنذره "بدلّان"(١) وسومٌ — على الأعناق ثابتةٌ بواقى
وناشدَ بالقرابة فانعطفنا — له عطفَ الغصون على الوراقِ
فها هو لو دعوناه لخطبٍ — أطاق لأمرنا غيرَ المطاقِ
فنصرا يامليك الأرض نصرا — على رغم المحايد والملاقى
تهنّ بدولةٍ أنكحتَ منها — فتاةً لا تروّع بالطلاقِ
وما اقترحت سوى أن ترتضيها — وأن تحنو عليها من صَداقِ
وعاد المهرجانُ بخفض عيشٍ — يرفّ على ظلائله الصّفاقِ
هو اليومُ ابتناه أبوك "كسرى" — وشيّد من قواعده الوثاقِ
وشقّ له من اسم الشمس وصفا — يصول به صحيحَ الإشتقاقِ
ويُقسم لو رآك جلستَ فيه — لجاءك قائما لك فوق ساقِ
وأعجبه تنزّله بعيدا — وأنت على سرير الملك راقى
وأسلاه عن الإيوان بُقيا(٢) — مقام العزّ فى هذا الرواقِ
فبادرْ حظّ يومك واقتبله — على النشواتِ بالكأس الدّهاقِ
من السوداء لم تك بنت كرمٍ — دفينٍ بل من الهيف البِساقِ
مولّدة الخوابى لم تلدها الـ — دّنانُ ولم تُمخّضْ فى الزّقاقِ
وإن هى لم تكن حمراءَ صِرفا — ولا صفراءَ بالماء المُراقِ،
ولا لونُ الخدود لها اذا ما — أُفيضتْ فى أوانيها الرّقاقِ،
فألوانُ القلوب اذا أديرت — تُناسبها وألوانُ الحداقِ
وأحسنُ صبغتين سواد كأس — تعلّق فى بياضِ يمين ساقِ

---

(١) دلان غير مشدّدة اللام : قرية فى اليمن ، وقد شدّدت لامها للضرورة الشعرية .

(٢) فى الأصل "لقيا" .

وحرّمها "الحجازيّون" ظلما ... لها فأحلّها أهلُ "العراقِ"

وما متحبّبٍ فيه آختلافٌ ... كمحظورٍ يحرّم بالوفاقِ

عففتُ فعِفتَ عين الخمرِ دينا(١) ... اذا ما عفّ قومٌ للنّفاقِ

فباكِرْها على أقمارِ تمٍّ ... تَقابَلُ فوق أغصانٍ رِشاقِ

ونلْ بيمينك الدنيا جميعا ... وأطبقْها على السبعِ الطباقِ

تدرّج فى السنين تعدّ ألفا ... وترجع بعدُ فى أُولى المراق

الى أن تصبحَ الخضراء ماءً ... ويفنَى النيّرانِ وأنت باق

وكتب الى كمال الملك أبى المعالى فى النيروز، ويعرِّضُ فى آخرها بغرضٍ له

الى كم حبسُها تشكو المضيقا ... أثِرها ربّما وجدتْ طريقا

تنشّطْ سُوقَها وآسرَحْ طُلاها ... عساها أن تَرى للخصب سُوقا

وإن لم تمضِ هرولةً وجمزًا(٢) ... فأمهلْها الروائدَ(٣) والعنيقا

أجلْها تطلب القُصوى ودعْها ... سُدًى، يرمى الغروبُ بها الشروقا

فإنّ من المحال — ولم تُهدِّمْ ... غواربُها — تنجِّزَكَ الحقوقا

أتعقِلُها وتقنعُ بالهوينا ... تكونُ إذًا بذلّتها خليقا

ولم يُشفِقْ على حسبٍ غلامٌ ... يكون على ركائبه شفيقا

أخضْ أخفافَها الغمرات حتى ... ترى فى الآلِ(٤) سابحَها غريقا

سمائنَ أو تعرِّقَها(٥) الفيافى ... فتتركها عظاما أو عروقا

تلاقط جوهرَ الحصباء منها ... مناسمُ من دمٍ يصف العقيقا

(١) فى الأصل "عضفت" . (٢) الهرولة والجمز: الإسراع . (٣) يريد بالروائد والعنيق ضربين من السير . (٤) الآل: السراب . (٥) تعرّقها: تأكل ما على عظمها من لحم .

يصيب به رميّتــه مُعانُ الـ ـيدين موفّقٌ نَضْلاً وفُــوقا
يُفضّ على جُنــوب البيد منهـا سهـامَ النزع مفلتيـةً مُرُوقا
صــبور للهواجـر والسـوافى يرى بجنوبه العيش الرقيقـا
اذا عدم المياهَ عـلى الركايا(١) كفاه أن يعـدَّ لها البُروقا
تورَّطهـا فإما نلت خـبيرا فسعيٌ وافق القـدَرَ المسبوقا ،
وإما أن تخيب(٢) فلست فيهـا بأول طالبٍ حُـرِمَ اللُّحـوقا
أرى الأيام تأخــذُ ثم تُعـطى وتخــرُق ثم تنتصِحُ(٣) الخُـروقا
وتوقـد نارَها دِقًّا(٤) لقـومٍ وفى قـومٍ تُضـرِّمها حـريقا
وكلُّ حُلوبها عندى سـواءٌ مشـوبا أو صريفا(٥) أو مَـذيقا(٦)
مظـالم لـو رُفعن الى كريم لكان بسـدّ عـورتها حقيقا
ولـو نادت "كمالَ الملك" ألفتْ عـلى الأدواء حاسمها الرفيقـا
وحطَّت فادحَ الأثقـال منـه بذى جنبين يحلها مطيقـا
غيـور لا ينام على اهتضـام الـ ـكرام ولا الغِـرارَ(٧) ولا الخُفـوقا(٨)
تنقّله مـن العـزمات شُـمٌّ يدوس جبالها(٩) نِيقـا(١٠) فنيقـا
اذا ركب الطـريقَ الى المعـالى فـلا زادا يُعِـدُّ ولا رفيقـا
وحيـد تُرهِفُ الأحداثُ منـه عـلى أعناقهـا نصـلًا عتيقـا
لبيب الرأى يكبر عن مشـير اذا ما الرأىُ شارَفَ أن يَمُـوقا(١١)

---

(١) الركايا جمع ركيّة وهى حفرة يجتمع فيها الماء . (٢) فى الأصـل : « تجيب » .
(٣) تنتصح : تخيط . (٤) الدقّ : الدقيق من الشجر . (٥) الصريف : اللبن الخالص
وفى الأصل "مديقا" . (٦) المذيق : المخلوط . (٧) الغرار : القليل من النوم .
(٨) الخفوق : النعاس . (٩) فى الأصل "حبالها" (١٠) النيق : أعلى موضع
فى الجبل . (١١) يموق : يحمق .

اذا خفيت شموا كل أمرٍ ... جليل الخطب أبصرها دقيقا
فلو روّى ليفرق بين ماءٍ ... وماءٍ مثله وجد الفروقا
نمت أمّ الوزارة من أخيه ... ومنه البدرَ والغصنَ الرشيقا
هما الولدان من صلةٍ وبِرٍّ ... اذا ولدت من الناس العُقوقا
من النفر الذين اذا استغيثوا ... رأيت بهم وساعَ الأرض ضيقا
كتائبَ ما رعت عيناك خُرْسا ... مسوّمةً وألويةً خفوقا
تخال بديه إمرهم نروّيا ... اذا اجتمعوا وواحدَهم فريقا
رطابُ النطق بسّامو المجالى ... اذا ما أيبسَ الفَرَقُ(١) الحُلوقا
لهم شرفٌ سرى من ظهر "كسرى" ... مَطًا(٢) فطًا(٣) فما ضلّ الطريقا
طوى أصلابهم أو جاء "عبد الـ ... ـرحيم" فجاء متّسقا مَسُوقا
ترى الأبَ بالشهادة فى بنيه ... قريبا وهو قد أمسى سحيقا(٤)
وما تسمو النفوس ولا تزكّى ... اذا لم تنظم الحسبَ العريقا
وبانت آيةٌ "بأبى المعالى" ... فكان مصلّيا(٥) فضلَ السبوقا
ربا معه الكمالُ فشُقّ منه ... له لقبٌ فصار له شقيقا
خلائق تارةً يُشرَبن صابا ... وأحيانا مشعشعةً رحيقا
يثير السخطُ منها والتغاضى ... صواعقَها ووابلَها الدَّفوقا
ففى حالٍ تكون بها شريبا ... وفى حالٍ تكون بها شريقا
ويُسكرك الذى يُصحيك منها ... فما تنفكّ سكرانا مفيقا
فداؤك كلُّ جهم الوجه أنّى ... لقِى مُرَّ الخلائق كيف ذيقا

---

(١) الفرق : الخوف . (٢) المطا : الظهر . (٣) فى الأصل "مل". (٤) السحيق : البعيد . (٥) المصلّى : الثانى فى حلبة السباق .

تـراه ناشـطا يأتى ويمضى ... وقيـدُ العجز يجعـله ربيقـا (١)
اذا عزلوه لم يحـذر عـدوًّا ... وإن ولّوه لم يُحـرِز صـديقا
يراك بمُـؤخرِ العينين غيظـا ... وقـد أقذيتَـه جفنا ومـوقا (٢)
فـلا مَدّت لنعمتـك الليـالى ... يدا طُـولى ولا ظُفـراً عَلوقا
وإن سنحتْ ميامنُ كلّ يوم ... صبـاحا بالسّعادة أو طُـروقا
فغنّتـك المَطـاربَ ثم أبكـت ... ديارَ عِـداك نَوْحا أو نعيقـا
وجادك كسبُ جودك من شآبى (٣) ... مـواقرَ ترجع الذاوى وريقـا (٤)
اذا هى أوبلت بسـطتْ عريضا ... وإن هى أسبلتْ حفرتْ عميقـا
فتُلحِم (٥) فى ربوعك أو تُسـدِّى ... خمـائلَ تأسر الطـرف الطليقـا
تزورك شاكـياتٍ كلّ يـوم ... حشَى حرّانَ أو قلبـا مشـوقا
عـلى بسعاتهـا قامت مقـاما ... مقـرًّا من قبـولك أو زليقـا
وكم عـثرتْ بذنبٍ كان سهـوا ... فكنتَ بأن تَغمّـدَه حقيقـا
وحرّ بالخطيئـة صار عبـدا ... غفـرتَ غلاطَه فغـدا طليقـا

***

وكتب الى زعيم الملك أبى الحسن بن عبد الرحيم فى المهرجان

أما لنجوم ليلك " بالمصـلّى " (٦) ... مغـاربُ بل أما للشمس شرقُ ؟
تسـاعدنى على السهـر الليـالى ... فهـل إسعادُهنّ عليـه عشقُ ؟
وأين طـريق نومى والدرارى (٧) ... حوائرُ فيـه ليس لهنّ طُـرْق !

(١) الربيق : المشدود بالربقة . (٢) الموق : مؤخر العين مما يلى الأنف . (٣) فى الأصل " ثيابى " . (٤) المواقر : السحائب المثقلة بالماء . (٥) فى الأصل " فتحلم " .
(٦) المصلّى : موضع فى عقيق المدينة . (٧) الدرارى : النجوم .

أرقتُ، فهل لماجعةٍ "بسلعٍ" ... على الأرقين أفئـدةٌ ترِقُّ ؟

وما أشكو السهادَ لأنّ جفنى ... تنافى عنده فتحٌ وطبْقُ

ولا أنّ الرقادَ يُعيد روحا ... جوًى كبدى فيبرُدُ منه حرقُ

ولكن أن أرى "خنساء" حُلما ... كأن زخارفَ الأحلام حقُّ

نشَدتك بالقرابة بابن ودّى(١) ... فإنك لى من ابن أبى أحقُّ

أسلْ "بالجزع" عينَك إن عينى ... اذ استبردتُها وقتا تعُقُّ

وإن شقَّ البكاءُ على المعافَى ... فلم أسألك إلا ما يشُقُّ

ورافدْنى بكفّك فوق قلبى ... "ببُرقة عاقلٍ" إن عنّ برقُ

تألّقَ ثم حلّقَ "حاجريًّا" ... له أفقٌ وللأظعان أفْقُ

له من عَبرتى حَلَبٌ وصبغ ... ومن أحشاى شعشعةٌ وخفقُ (٣٠١)

كما عطّ(٢) المشبرِقُ(٣) شطرَ بُرْدٍ ... يُطرِّح واستوى شِقٌّ وشِقُّ

يطارحنى الغرام وساعدته ... هواتفُ تركبُ الأوراقَ وُرقُ

ورَى أكبادَها "بالقاع" [زُغْبٌ](٤) ... جوائمُ ما استتمّ لهنّ خَلْقُ

رماها فى شوا كلها مصيبٌ ... من الأقدار فاختُتلت(٥) مُـدِقُّ

زقت(٦) من كُفّة(٧) القنّاص تمكو(٨) ... اليها وهى أفرخةٌ تُزَقُّ

وما بين الفراق المرّ فيها ... تحاذره وبين الموت فرقُ

وليس عليك من عَلَقٍ بمغنًى(٩) ... صُماتُ(١٠) حديثه بالموت نطقُ

---

(١) فى الأصل "درى" . (٢) عطّ : شقّ . (٣) المشبرق : مقطّع الثوب
(٤) ليست بالأصل ، والزغب جمع أزغب وهو الفرخ نبت ريشه . (٥) اختتلت : أصيبت مخاتلة ، وفى الأصل "فاختلبت" . (٦) زقت : صاحت . (٧) الكفّة : حبالة يصاد بها . (٨) تمكو : تصفر بفيها . (٩) المغنى : المنزل الذى غنِىَ به أهله . (١٠) الصمات : السكوت .

كأنّ معالم الأحباب فيه ... سطورٌ ملهوجٌ[1] والدار رِقُّ

وخَرْقٍ[2] ميّتِ الأشخاص عافٍ ... وسيعٍ ليس يُرقَع منه خَرقُ،

كأن عزائف الجنّان[3] فيه ... مُلاءُ السُّحْب من ريحٍ تُشَقُّ،

سلكتُ ولا أنيسَ سوى اعتزامى ... ولا صوتٌ سوى الأصداء[4] تزقو[5]

على ضَرِمِ القوائم أعوجىٍّ[6] ... تكاذيبُ الشخوص عليه صدقُ

يفيضُ على الوهاد من الروابى ... بما تاليه سالفةٌ وعُنْقُ

أقبَّ[7] تخال سنبكه اتساعا ... يُكَبُّ على المداوس منه حُقُّ

تظنّ العينُ فارسه رديفًا[8] ... يطامن شخصه عُنُقٌ أمقُّ[9]

تنقّله قوادمُ[10] مضرحىٍّ[11] ... خطائطهن فوق الترب مَشْقُ

سبقتُ به الى أخرى المعالى ... بدار الفوت، والعلياءُ سَبْقُ

فأوردتُ الزلالةَ من ملوكٍ ... صفَوا الفنى، ومزجُ الناس مَذْقُ

وُزِقتُ جزيلَ مالهمُ بفضلى ... اذا لم يجتمع فضلٌ ورزقُ

اذا لبّى "زعيمُ الملك" صوتى ... فكلّ مواعدِ الآمال صدقُ

أغرّ كأنّ جبهته بلوجا[12] ... لعينك فى جبين الشمس فَتْقُ

يُغيِّرُ حسنُ أخلاق الليالى ... عليه وخُلْقُه فى الجود خُلْقُ

ولا يرضى بعذرٍ وهو حقٌّ ... مبينٌ فى الندى وعليه حقُّ

---

(١) الملهوج : الذى لم يحكم الأمر ولم يبرمه . (٢) الخرق : الفلاة . (٣) عزائف الجنان : أصوات الجن . (٤) الأصداء جمع صدى وهو رجع الصوت . (٥) تزقو : تصيح . (٦) أعوجىّ : نسبة الى أعوج وهو فرس لبنى هلال تنتسب اليه الخيل . (٧) الأقبّ : الضامر البطن الدقيق الخصر . (٨) الرديف : من يركب خلف الراكب . (٩) الأمقّ : الطويل . (١٠) القوادم : ريشات كبار فى جناح الطائر . (١١) المضرحىّ : النسر الطويل الجناح . (١٢) بلوجا : وضوحا .

كريمُ العيص(١) زاد وملد غصن ... له من حيث طال وطاب عِرقُ

عتيق الطيبتين سما عفيفا ... بعتنيه، وبيتُ المجد عِتقُ

ويصطلون(٢) ما حكموا وبجوا ... وهم خلقاء أن يعفوا ويُبقوا

إذا أذنبوا فأحلامٌ وهديٌ ... وإن وهبوا فإفراطٌ وخُرقُ

وإن نطقوا بفاصلة أرمت(٣) ... شقاشقُ كلِّ هدّار يبقُّ(٤)

فلم يعرب ببيّنة لسانٌ ... ولم يرطب على اللهوات(٥) حلقُ

فإن تك يا "علىُّ" نقلت منهم ... مناقبهم فأنت بها أحقُّ

سمحتَ لها ووجهُ الدهر جهمٌ ... وهم سمحوا ووجهُ الدهر طلقُ

إذا خان البنون أبًا كريما ... وَفَى لهمُ غلامٌ منك خِرقُ(٦)

فلا يدخل عليك فسادُ دهرٍ ... يُخاف على تمامك فيه محقُ

ونَلّمت(٧) كفُّ خطبٍ كان منها ... لرتق علائكم وهنٌ وفتقُ

غلاظٌ من جهالات الليالى ... وهن سواكنٌ أبدا ونزقُ

وحُمقٌ فى الزمان أصاب منكم ... وفى أخلاقه كيسٌ وحُمقُ

شِماسٌ من مقادكمُ ولينٌ ... وصفوٌ تارةً لكمُ ورَنقُ

وعسفٌ فى القضاء ويقتضيه ... فتمحوه مياسرةٌ ورِفقُ

وإيمانٌ بمعجزكم وشكرٌ ... وكفرٌ تارة بكمُ وفسقُ

فلا تُغمَزْ قناتُكم ببوعٍ(٨) ... ولا يُسبرْ لكم غَورٌ وعُمقُ

ولا تُقرَعْ بجُزعة صفاكم(٩) ... وإن خدشت سهامٌ فهى مرقُ

(١) العيص: الأصل والشجر الكثير الملتف. (٢) يصطلون: يستأصلون.
(٣) أرمت: سكتت. (٤) يبق: يقذف ما فى فيه بعنف. (٥) اللهوات جمع لهاة وهى لحمة مشرفة على أعلى الحلق. (٦) الخرق: الكريم السخية. (٧) فى الأصل "سلت".
(٨) بوع جمع باع. (٩) الصفا جمع صفاة وهى الحجر الصلب.

ولا شرب المرِيَّة[١] من رماكم ... وإن هو ظنّ أن الماءَ طَرْقُ[٢]

يناطح صخرةً منكم مليسا ... معارجُ طرقها زلّاء زَلْقُ

وإن سمحتْ لناتجها بِفلقٍ[٣] ... فمنها للسقوط عليه فِلقُ

هو البادى فإن كايلتموه ... بصاع الغدر فالبادى أعقُّ

وأنصعَ[٤] حين خاف الغمرُ شرًّا ... فلا ينفُقْ[٥] له ما عاش عِلقُ[٦]

سحابة صيِّف ستعود صحوا ... ولم يعلَقْ لها بالريب وَدقُ[٧]

وما سلمت لكم نفسٌ وعِرضٌ ... فأهون هالك عينٌ[٨] ووَرقُ[٩]

سينزِعها ويَرجِعها اليكم ... وبعد اللُّبس نزعتها أشقُّ

وإنّ أحقّ من ردّ العوارى ... فتًى أخذ الذى لا يستحقُّ

فلا يتوهّم المنجاةَ منها ... وأن طريدكم بالخوف طاقُ

وأنّ البعد يُحصنه وتَثنِى الـ ... ـمكايدَ عنه حيطانٌ وغَلقُ

وهل تخفَى المكايدُ وهى بيضٌ ... على مُقَلِ الذوابل[١٠] وهى زُرقُ

فلا بُسطتْ ولا قُبضت يمينٌ ... لها نبضٌ بنائلكم[١١] ورشقُ

وكشف هذه الغمّاء جَدٌّ ... عوائده بما تهوون سبقُ

وجمعكم وصاح بمن نعاكم ... غرابُ نوًى له فى الدار نَعقُ

وعادت دولةٌ ، والحربُ سلمٌ ... لكم من ربها ، والخُلف رِفقُ

الى أن تُورَثَ الدنيا وفيكم ... ولايتُها وما للناس حقُّ

---

(١) المريّة مايمرى من لبن الناقة . (٢) الطرق : الماء تخوض فيه الإبل وتبول .

(٣) الفلق : نصف كلّ ماشُقّ . (٤) أنصع : أقرّ واعترف . (٥) فلا ينفق : فلا يرج .

(٦) العلق : الشيء النفيس . (٧) الودق : الإمطار . (٨) العين : الذهب .

(٩) الورق : الفضة . (١٠) الذوابل : الرماح . (١١) النائل : العطاء .

تعودكم القوافى لا بساتٍ حفاظا لا يرثّ ولا يرقّ
ينقّحها لكم قلبٌ سليم فيأتيكم بها حُبٌّ وحذْقُ

* * *

وكتب الى عميد الرؤساء أبى طالب فى النيروز

نبّهتُ "سعدًا" والأُفُقْ أدهمُ[1] شارفَ البَلَقْ[2]
وصادح الفجر على الـ مَفحَصِ[3] بعد ما نطقْ
فآرتاع ثم قام فآهـ تزّ لها ثم آنطلَقْ
لهفان لا على الكرى حيران لا من الفَرَقْ[4]
مداريا أجفانَه بين السهاد والأرقْ
وقال : أمرَك ! ما ذاك عرا وما طرقْ ؟
اِصدع به ! اِمضِ له ! أطقتُه أو لم أُطقْ !
قلت : الجلوسُ فى كسو ر البيت أفْنٌ[5] وخرقْ[6]
والعزّ ما أفاده هجرُ الجدارِ والفرقْ
راخِ لها فأدنُ بها ناشطةً من الرِّبَقْ[7]
يُبزلها[8] آستنانُها بين المثانى[9] والحِقَقْ[10]
لها من آعتيادها أدلّةٌ على الطُّرُقْ
تغنَى اذا الليلُ دجا عن النجوم بالحدَقْ

---

(١) الأدهم : الأسود . (٢) البلق : سوادٌ مختلط ببياض . (٣) المفحص : المجثم .
(٤) الفرق : الخوف . (٥) الأفن : ضعف الرأى . (٦) الخرق : الحمق .
(٧) الربق جمع ربقة وهى عروة تشدّ بها الدوابّ . (٨) يبزلها : يجعلها من البزل جمع بازل وهو المسن من الإبل . (٩) المثانى : الإبل الطاعنة فى السنة الثانية . (١٠) الحقق جمع حِقّة : وهى الناقة الطاعنة فى السنة الرابعة .

قم نشتر العز بها … ببيع النضار بالورق (١)

وافكك من العار بها … عنقك وخدا وعنق (٢)

والمرء فى دار الأذى … عبد فإن سار عتق

جب طبق الأرض بنا … فما على الأرض طبق

قد مزج الناس فكم … تشرب شوبا ورنق

خان الثقات فبمن … تدفع ضيما أو تثق؟

والهفتى الى صديـ … ـق قال خيرا فصدق

وصاحب مستصرخ … يسمع شكوى فيرق

طار الوفاء فترى … بأى جو قد لحق؟

لولا ابن "أيوب" لما … خلت أخا صدق صدق

ولا رأيت خلقا … يعجب من هذى الخلق

لم تترك الأيام غيـ … ـر مجده ولم تبق

على "عميد الرؤسا … ء" وقف الظن المحق

والناس ما عدوته … خوالب البرق الشفق (٣)

يفديه كل وغر الـ … ـصدر على الفضل حنق

دعاؤه لوفره : … جمعته فلا افترق

لم ترتدع بعرضه (٤) … سيادة ولم تلق (٥)

قد غالط الدهر له … حمقا وفى الدهر حمق

فما له من سودد "الـ … أوحد" إلا ما سرق

---

(١) الورق : الفضة . (٢) الوخد والعنق : ضربان من السير . (٣) الشفق : الذى به حمرة كالشفق . (٤) لم ترتدع : لم تضمخ . (٥) لم تلق : لم تلصق .

سقى الحيا كفّا إذا ... جفا الحيا فهي تدق (١)
وحيث النعمة من ... أعطى منها ما آستحق
مصطبحا من لثبوا ... بت المكرمات مغتبق
مذ شكرت أخلاقه ... من السماح لم يفق
راهن في شوطه الندى ... جرى الرياح فسبق
وحالم الطود خف الطود عنه وزق
أبلج نور وجهه ... يخطف عيني من رمق
وسائد الدست بما (٢) ... شعشع منها تأتلق
يطمع فيه بشره ... إذا آستدر فآندفق
وتونس المنية من ... حصاته أن تسترق (٣)
فعفوه ليل ندى ... وبطشه يوم صعق
ناصح "للخليفتين" ... من" حدث الرأي شفق (٤)
ورد في نصابه ... ما كان شذ ومرق
مستدركا بنصحه ... ثغرة كل ما آنفتق
سار من العدل على ... محجة لم تخترق
متسقا سعي "الإما ... م" نسقا بعد نسق (٥)
على آقتفاء أمره ... في كل ما جل ودق
فالبأس والإسلام في ... جاعة لا تفترق
نظمت دار الملك حتى آلتأمت وهى حذق (٦)

---

(١) تدق: تمطر. (٢) وسائد جمع وسادة وهي ما يجلس أو يتكأ عليها. (٣) الحصاة: الرأي والعقل. (٤) شفق: ذو شفقة. (٥) في الأصل: نتسقا. (٦) الحذق جمع حذقة وهي القطعة من كل شيء.

ينسخ إيمانك فيـ ـها شرعَ كلّ من فَسَق

وهى التى يُختبر الـ ـبطلُ فيها والحمق

وتلتقى الطاعات فى أبوابها وتتفق

ويستوى الملوك فيـ ـها خاضعين والسُّوَق

رعيتها بمرهف (١) أجفانُه لا تنطبق

يمضى مضاءَ السيف قد جرَّبته اذا مُشق

تخال صبغَ النِّقس (٢) فى سنانه صبغَ العَلَق (٣)

يصدر عن تنفيذه باللطف ما عزّ وشق

فالرمح منه ما استقا (٤) م والالتواءُ ما خفق

فلا عُدمتَ آسيا (٥) كدَّ العلاجَ فرفق

يُبرم ما يفتل بالـ ـحزم ويفرى (٦) ما خلق (٧)

أنت الذى خلصتَ لى والناسُ غدرٌ وملَق

أسقتنى الودَّ وهم بين الغصاص والشرَق

عهدٌ حديثٌ بالوفا ء عهدُه وإن عتُق

تُجِدّه لِبْسته وكلُّ ملبوس خلَق (٨)

كم حادث عنّى أمطـ ـتَ بعد ما كان علِق

ومثقل حملته لولا قواك لم يُطَق

فما لإعراض طرا ينسخ إقبالا سبَق ؟

---

(١) يشير بالمرهف الى القلم على التشبيه بالسيف . (٢) النقس : الحبر، وفى الأصل "النفس" . (٣) العلق : الدم . (٤) فى الأصل "استقام" . (٥) الآسى : الطبيب . (٦) يفرى : يشق . (٧) خلق : قدّ وقدر . (٨) الخلق : البالى .

وما لِبابٍ عن بذ يٍّ ماتِيَ بعد ما عشق؟

يتركهنَّ بارد الـ	ـقلب يعالجن الحُرَقْ
ينـدبن آثارا وعهـ	ـدا كان حرًّا فأبق
وعيشـةً عندكُمُ	بيضـاءَ خضراءَ الورَقْ
مع النسيَّات غرابُ الـ	ـهجـز فيها قـد نعَقْ

تشكو الظما بحيث كنّ أبـدا تشكو الغـرقْ

ما طرقَتْ فى حاجـةٍ	باباً لكم إلا غُـلِقْ
هـذا عـلى أقتناعها	منكم بما بلَّ الرمَقْ
وأنهـا لا تسـتبلُّ الـ	ـماءَ حـتى تختنـقْ
وهى عـلى جفائكم	تحنـو عليكم فترِقُّ
فما تُغِبُّ (١) وافـدا	تٍ رُفَقا عـلى رُفَقْ
لا يلتوى عنكم لها	لا ناظـرٌ ولا عُنُـقْ
تُبضِعُكم جوهرَها	أكسدَ فيكم أو نفَـقْ
تُهـدِى الى أعراضكم	نشرًا (٢) اذا سار عبِـقْ
فى كلّ يـوم حسنُه	وحسنُها لا يفـترِقْ (٣)
تُجـلِى لكم فى حَلْيها	مُـوَشَّحا (٤) ومنتطِـقْ (٥)
تضمن ألفا مثلَه	يأتى بها على نسَـقْ

---

(١) تغبّ : تزور يوما بعد يوم . (٢) فى الأصل هكذا " سرا " . (٣) فى الأصل " يفرق " . (٤) الموشح : لابس الوشاح . (٥) المنتطق : من يشدّ النطاق على وسطه .

* * *

وقال فى الشيب

ركب الدجى فسعى بغير رفيق عجلا فأصبح قاطعا لطريق

أبكى لغاربه و يضحك مظهرا برى بما يأتى وفيه عقوق

مستصحبا فرقا خلاف صحابتى ضعفا و ينتك بالقوى فريق

متجاربان فأبت مغلوبا يثنا بغنى وحاز الحصل(١) بالمسبوق

يرمى جنابا كنت عنه أذوده بالمرهفات مقيمة للسوق(٢)

قافيـــة الكاف

وقال فى غرض له

أيا بانة "الغور" عطفا سقيت وإن كنت أكنى واعنى سواك

أحبك من أجل من تشبهين لو آنى أراه كما قد أراك

ذكرت، ويا لهفتى هل نسيت ليالى أسمرها فى ذراك(٣)؟

يخضر عودك من دمعتى و يعطر من برد "هند" ثراك

ويا "هند" إن تقل الكاشحون وعندهم من ذنوبى نداك،

كفى الوجد أنى اذا ما استرحت الى اسمك عميته بالأراك

ظمئت الى أعذب الشربتين فكلتاهما قد حوتها يداك

فكيف تمنينى فى الشهاد(٤) محلئة(٥) وتحلين فاك

هناك، ومن عجب فى هوا ك قولى فى قتل نفسى: هناك!

---

(١) الحصل: الفضل . (٢) السوق جمع ساق . (٣) الذرا: الكنف .

(٤) الشهاد جمع شهد . (٥) محلئة: مانعة ورودى، وفى الأصل "محلية" .

غُروبٌ (١) تَبَيُّنُ اذا القطر شَحَّ ؛ وقلبٌ اذا خَمَدَ الجمرُ ذاكى
أخافُ انتقاصكِ (٢) عند العتاب سِقاطى (٣) فأشكرُ والقلبُ شاكى
اذا الصدّ أرضاكِ فهو الوصالُ فأنّى فعلتِ فأهلاً بذاكِ

✦ ✦ ✦

وسئل عملَ أبياتٍ فى مرثى أهل البيت عليهم السلام على هذا الوزن والروىّ ، وهما ممّا تقلّ مساعدةُ الكلام المختارِ على مثله ، ولم يجدْ لإجابة الملتمس لذلك بُدًّا — على ما فيه من اللين والانحطاط — فقال ارتجالاً على جهة الإملاء ومقتضى إجابة السائل

يابنةَ القومِ تُراكِ بالغٌ قتلى رضاكِ؟!
أم دمى وهو عزيزٌ هان فى دِينِ هواكِ؟
إن يكن طاح فما أو لُ ما طَلَّتْ يداكِ
حُبَّ يومُ "السفح" إلا أنه يومُ نواكِ
لعبتْ ساعاتُه بى ما كفاها وكفاكِ
كم غزالٍ بالمصلَّى (٤) سام وصلى فحكاكِ
جاريًا فى حلبةِ الحسن ولم يبلغ مداكِ
مرَّ لا أرهقَ عينيك ولا أرشفَ فاكِ
غير أنى قلتُ : حُيِّيتَ على ما أنت حاكى
وقصيراتِ الخُطى غيرك لَدْنات (٥) العراكِ
عادلاتٍ عالَ الوجد بلذّاتِ التشاكى

(١) الغروب جمع غرب وهو الدمع . (٢) فى الأصل "انتقاشك" . (٣) السقاط : الخطأ فى القول . (٤) المصلى : موضع فى عقيق المدينة . (٥) لدنات : ليّنات .

رُعْنَ فى "مكّةَ" نسومى ... قبلَ تغريدِ المكاكى [١]

كلّ عَطْرَى شفتاها ... عِترةٌ [٢] فوق مُداكِ [٣]

يغتدى مسواكُها ري ... حانةً غِبَّ السِّواكِ

فرأت عينى ولكن ... ما رأى قلبى سواكِ

أجتدى النومَ وهل فى الـ ... ـنوم إلا أن أراكِ

ما على من حظَرَ الرا ... حَ لو استثنى لَمَاكِ!

كنتُ صَعبا لا أُلوَّ ... ى بالخَشاشاتِ [٤] الرِّكاكِ

فقضى حكمُ اكتهالى ... تابعا حكمَ صِباكِ

يا مَسيرى ليلةَ "السفـ ... ـحِ" وقد نادوا: بَراكِ [٥]

والمطايا تخلِط المَعْـ ... ـجَ [٦] كَلالا [٧] بالسَّواكِ [٨]:

أتباكيتَ نفاقا ... "باللِّوى" أم أنتَ باكى؟

أم أراكَ الشوقُ أشبا ... هَ "سُلَيمى" فى الأراكِ؟

سألتْ بى أمُّ "سلمى" ... أينَ حزمى واحتناكى

ورأت ضعضعةً بيـ ... ـنَ سكونى وحَراكى

طاوِيًا كشحَ مَهيضٍ ... ناشرا أنفاسَ شاكى

لا تخالى خَوَرًا ذا ... كِ فإنى أنا ذاكِ

بل رزيئاتٌ [٩] تواصيـ ... ـنَ شماتا بانتهاكى

---

(١) المكاكى جمع مُكَّاء وهو طائر. (٢) العترة: القطعة من المسك الخالص.

(٣) المُداك: الحجر الذى يُسحَق عليه الطيب. (٤) الخشاشة: خشبة توضع فى أنف البعير.

(٥) براكِ: اسم فعل أمر بمعنى ابركْ. (٦) المعج: السير السهل. (٧) الكلال: التعب.

(٨) السواك: السير الضعيف. (٩) الرزيئات: المصائب.

كلّ يـومٍ خادثٌ ينـ ـكأُ (١) قَـرْفى (٢) بالحِكاك (٣)

أتّقى ما أعـزلَ فيـه وسلاحُ الدهـرِ شاكى (٤)

كم عركتُ الصبر حـتى جاء ما فلّ عـراكى

وتسـترتُ وزرُهُ "الـ ـفاطميّين" انهتاكى

خمَـدَ الجمـرُ وجدى ببنى "الزهراء" ذاكى

بأبى فى قبضـة الفُجّار منهم كلّ زاكى

ملصَـقٌ بالأرض جسما نفسُـه فوق السُّكاك (٥)

مفـردٌ ترميـه كفُّ الـ ـبغىِ عن قوسِ اشتراك

أظهرتْ فِرقـةُ "بدرٍ" فيـه أضـغانَ النواكى (٦)

كلّ ذاكى الحقـدِ أو يخـ ـضب أعراقَ المَذاكى (٧)

وغـريبُ الدار يُلـقَى موطِنَ الطعن الدِّراك (٨)

طاهـرٌ يُخـطَفُ بالأيـ ـدى الخبيثاتِ السِّهاك (٩)

يخـرَسُ الموت اذا سـمّته أفـواهُ البواكى

يابنـةَ الطاهـر كم تُحْـشَر بالظلم عصاكِ

غضِبَ اللهُ لخـطب ليـلةَ "الطَّفِّ" عَراكِ (١٠)

ورعَى النارَ غـدًا جسـمٌ رعَى أمسِ حماكِ

شـرعَ الغَـدرَ أخو غِـلٍّ عن الإرثِ زَواكِ (١١)

---

(١) ينكأ : يقشر . (٢) القرف : القشرة تعلو الجرح بعد يبسه . (٣) الحكاك : مصدر بمعنى الحك . (٤) شاكى : تام . (٥) السُّكاك : الهواء الملاقى عنان السماء، وفى الأصل « الشكاك » . (٦) النواكى : الجهّال العاجزون . (٧) المذاكى : الخيل . (٨) الدراك : المتتابع . (٩) السهاك : ذوات الرائحة الكريهة . (١٠) الطّف : شاطئ الفرات الذى قتل عنده الحسين رضى الله عنه . (١١) زواك : نحّاكِ .

يا قبـــورا « بالغـــريـِّـ(١) ـيّن » الى « الطفِّ »(٢) سقاكِ ،
كلُّ محـلول عُرَى المـــز(٣) ـزِم محــلوبِ السِّماكِ
حامل من صلوات الله ما يُــرضِى ثــراكِ
و إن آستغنيتِ عن [وكـ(٤) ـف] حيًّـا غــيرِ حياكِ
إنه لـــو أجـــدب البحـ ـرُ آجتدىٰ فضـــلَ نداكِ
أو أضلّ البـــدرُ فى الأفـ ـقِ سـناه لآهتـــداكِ
يا هـــــداةَ الله والنجــ ـوةَ فى يـــوم الهـــلاكِ
بكم آســتدللتُ فى حيـ ـرةِ أمـــرى وآرتبـاكى
أظلم الشـــكُّ وكـنتم لى مَصـابيحَ المَشـاكى(٥)

◆
◆ ◆

وكتب الى وزير الوزراء عميد الدولة أبى سعد بن عبد الرحيم وهو فى الآعتقال يسليه ، ويبشّره بانكشاف غمّته

حُبستَ وأيّام المـــلوك كذا كا تكون إسارا مـــرّة وفكا كا
ويحجُبُ ظـلُّ الأرض غُرّةَ شمسها فتـــنزلُ خفضًـا تارةً وسُكاكـا(٦)
وليس يضرُّ النجمَ مَهـــوَى غروبه اذا عاد فى أُفْـــق السماء سِماكـا
وما قصَّروا من خطوِ سعيك للعـــلا و إن قصَّروا بالقيـدِ رحبَ خُطاكا
ومن كانت « الجوزاء » بالأمس نعلَه يكون له القيـــدُ الغداةَ شِراكـا

(١) الغريّان : بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه .
(٢) الطف : شاطئ الفرات الذى قتل عنده الحسين رضى الله عنه . (٣) المرزم : السحاب اشتد صوت رعده . (٤) ليست بالأصل . (٥) المشاكى جمع مشكاة وهى الأنبوبة فى وسط القنديل .
(٦) السكاك : الهواء الملاقى عنان السماء .

ملكتَ زماناً جائراً فقسرتَهُ ... على العدل إذ وليته فأباكا

ومن جعجع (١) الأقدارَ عن طُرقِ كيدهِ ... عطفن عليه فاستُرِن وشاكا (٢)

حملتَ الذى أعيا الرجال وغيرَهم ... نخافوا على ضعف الرقاب قُواكا

ونفّر ذؤبانَ (٣) "الغضا" ريحُ ضيغم ... تطيح عليه نَوشةً وعراكا

فدبّوا فسدّوا غابَهُ وهو خادرٌ ... فضاق عليه نهضةً وحَراكا

وقد غرَّه أن يعملَ الحزمَ سابقاً ... على الكيد (٤) أن ليس الذئابُ هُناكا

مشى حافياً فوق القتادة (٥) حاقراً ... لما شامَ (٦) منها أخمصَيْه وَشاكا

فإن قصدتْ أظفارَه فلطالما ... أراحَ (٧) بها رَدْعُ الدماء وصاكا (٨)

ولاحت (٩) به للوثبِ نفساً حميّةً ... تردُّ الرقابَ المصمِيات رِكاكا

فقل للعدا : لا تمضغوها تحلّياً ... وإن هى طابت ذوقةً ومِلاكا

ولا تلمسوا بعد التجارب حدّها ... فإن بنى "عبد الرحيم" أولاكا

هم السيزنيّاتُ (١٠) التى إن أغبّكم ... بها ذاعرٌ منّى فكرّ دِراكا،

فلا تستقلّوا مغمَداً من سيوفهم ... وقد حزّ فى أعناقكم فأحاكا (١١)

ولا تحسبوا استهلاكم خزنَ مالهم ... يجرّ على غير النفوس هلاكا

فإن الجيادَ الطيّباتِ عروقُها ... تكون هزالاً مرّةً وتماكا (١٢)

---

(١) جعجع : منع وحبس . (٢) وشاكا : سراعا . (٣) ذؤبان : جمع ذئب .
(٤) فى الأصل "كيد" . (٥) القتادة : نبتة لها شوك . (٦) شام : غبّر رجليه بالشّيام وهو التراب ، وفى الأصل "شبن" . (٧) أراح : تنفّس ، والردع : أثر الرائحة .
(٨) صاك : لصق . (٩) لاحت : أبصرت وفاعلها يعود الى الأظفار ، وفى الأصل "لاحبه" .
(١٠) اليزنيّات : الرماح المنسوبة الى ذى يزن ملك من ملوك اليمن . (١١) أحاك : عمل وأثر .
(١٢) تماكا : سمانا .

ألا يا بشـيرَ الخيرِ قل ــ غيرَ متّقٍ ــ متى نلتَ من رؤيا الوزيرِ مناكا؟

وأمكنك الحـرّاسُ من بَسـط قولةٍ تبوحُ بهـا جَهـرا وتفتحُ فاكـا

توكّلْ على مَن غمّهـا فى سِـفارها فكم كنتَ فى أمثالهـا فكفاكا

وإن هـذه طمّتْ على أخواتها فوكِّلْ بها الصبرَ الجميـلَ أخاكا

ولا تحسبنّ الشرّ ضربةَ لازبٍ وإن طال فى هـذا المطالِ مَداكا

فقد يخطئُ الجَلدُ المصيبُ بغـدرةٍ وكم وألتْ[1] من عثرةٍ قدَماكا

ستخلُص من أدناسها نازعا لهـا ولم يتعـلّقْ عارُهـا بِرداكا

كأنّـك بالإقبـال قـد هبَّ ثائرا فناشَـك فيهـا ثم ردَّك ذاكا

وقـد زادك التخميرُ عَبْقا وضَوعةً ونشرا، كأنّ الحبسَ كان مُداكا[2]

وسُـلِّمَ سـهمُ الانتقام مفـوّقا اليـك اترمى من بغَى فرماكا

فـودَّ إذًا لو شُـقَّ عنـه إهابُهُ[3] وما شَقّ بالغـدرِ المصَـرِّ عصاكا

فعاذرُ «ركنِ الدين» فى الحفظِ أنه جنـاه عليـك ما عليـه جناكا

فمـا زال مـع المـامهِ لك بالأذى اذا أُقـرِضَ الإنعامَ منـك قضاكا

يـزيدك علمـا بالرجال وفطنـةً ويكره قـوما بِغضـةً وفِرَاكا[4]

ويعـلم أنْ ما زلتَ فى كلّ حالةٍ سِـنادًا له فى مُلكه ومِلاكا[5]

وتمشى بكم وخدًا وجَمـزًا[6] أمـورُهُ وتمشى بأقوامٍ سِـواك سِـواكا[7]

---

(١) وألت : طلبت النجاة . (٢) المداك : حجر يسحق عليه الطيب . (٣) الإهاب : الجـلد . (٤) الفراك : الكراهة . (٥) المـلاك : القِوام ومن يعتمد عليه . (٦) الوخد والجمز : ضربان من السير السريع . (٧) السواك : السير الضعيف .

فعطفا على المألوف من برّ عهده ... وإن هو فى هذا المقام جفاكا

وسمعًا وإن لم تستمع لعياقتى ... وزجرى وإن لم تُصْغِ لى أُذُناكا

وحاشاك أن تخلو[1] من اسمك مدحةٌ ... ويُقفِرَ من وفد الثناء ذَراكا[2]

وأن لا أرَى فى الصدر وجهك طالعا ... وعينُ القوافى والرَّجاء ترا كا

وحاشاك من يوم جديد وموقف ... أقوم إليه منشدا لسواكا

(٣٠٦)

(١) فى الأصل "تحلو" . (٢) الذرا : الكَنَف .

تم الجزء الثانى ويليه الثالث

وأوله قافية اللام

(مطبعة دار الكتب المصرية ٣٢٧/١٩٢٦/٣٠٠٠)